فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله، واولئك هم اولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ مصر — الاثنين ٢٩ المحرم ١٣٢٩ — ٣٠ يناير (ك ١) سنة ١٢٨٩هـ ١٩١١م ﴾



فاتحة المجلد الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك اللهم وانت ولي الحمد، ولك الامر من قبل ومن بعد، تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي، وتخلق الضعف من القوة وتخلق القوة من الضعف، وتجعل العلم من الجهل وتجعل الجهل من العلم، وتنصر الحق على الباطل ولا تنصر الباطل على الحق، فللحق السلطان الأعلى ما وجد من يقوم به، وانما بقاء الباطل في نوم الحق عنه، وقد قلت وقولك الحق (١١ : ٤٨ إنَّ العاقبةَ لِلمتقينَ * ١١ : ٤٥ وإنَّ وعدكَ الحقُّ وأنتَ أحكم الحاكمينَ)

احمدك اللهم وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، النبي الامي الذي بعثته في الاميين ، فزكاهم بالتأديب والتربية الفضلى ، وعلمهم الكتاب والحكمة العليا ، فكانوا بتربيته سادة العالمين، وبتعليمه أئمة العالمين، فاستجبت فيه دعوة أبيه ابراهيم (٢:١٢٨ ربَّنا وابعثْ فيهمْ رَسولاً منهمْ يتلو عليهمْ آياتكَ ويزكّيهمْ ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا مِنْ قبلُ لفي ضلالٍ مبين)

أحمدك اللهم وأسألك الرحمة والرضوان ، والبركة والاحسان، لآل نبيك الطاهرين ، وأصحابه الهادين المهديين، الذين ابتلوا في سبيلك فثبتوا وصدقوا ، وأوذوا لاتباع دينك فصابروا وصبروا ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم فهاجروا وهجروا ، والذين عاهدوا فوفوا وآووا ونصروا، ولمن اتبعهم باحسان ، على هداية السنة والقرآن ، أولئك هم الصالحون المصلحون ، والعاملون المخلصون (٩:١٠١ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسانٍ رضي الله عنهم ورضوا عنهُ، وأعدَّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيمُ)

أحمدك اللهم وأسألك أن تهدينا صراطهم المستقيم ، وتقينا كما وقيتهم من كيد الشيطان الرجيم ، وتعيذنا كما أعذتهم من شر الوسواس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس، من شياطين الجن المستترين، وشياطين الانس الظاهرين، الذين يقعدون بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجاً ، الذين قطعوا حبل الرابطة التي آخيت بها بين المسلمين، ففرقوا بينهم في الجنس والوطن ومذاهب الدين ، فقالوا عربي وتركي ، ومصري وغير مصري ، وسني وشيعي ،

وأنت قلت وقولك الحق (٣ : ١٠٢ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا - الى قولك الحكيم - ١٠٤ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

اللهم انهم قد تفرقوا عن حقك ، وفرقوا بين من جمعتهم بالتوحيد من خلقك ، واتبعوا سنَنَ من قبلهم ، في أيام فسادهم وجهلهم ، وقد عادوا أولئك المتفرقون الى الاتحاد ولم يعودوا ، وتابوا عن التعادي والخصام ولم يتوبوا ، فغيرت ما بهم ، لما غيروا ما بأنفسهم ، تصديقاً لكتابك ، وانفاذاً لسنتك ، غيرت تلك النعمة التي أنعمت بها على سلفهم من الملك الواسع ، والعزّ السابغ ، والمال الوافر ، وأدلت الدولة لسواهم ، وجعلتهم في حكمهم ورزقهم عالة عليهم ، ولا تزال بلادهم تنتقص من أطرافها ، ويتغلغل نفوذ الأجانب في أحشائها ، وقد أتى عليهم حين من الدهر يسمعون نذر الزوال من كتاب الوحي ولا يزدجرون ، ويشاهدون عبر النكال في كتاب الكون ولا يعتبرون ، (٧٤ : ٤٩ فما لهم عن التذكرةِ مُعرِضين ٢٣:٦٩ أفلمْ يدَّبروا القول أمْ جاءهم ما لمْ يأت آباءهم الأولين)

اللهم انك تعلم ان ما حل بالمسلمين بتركهم الاعتصام بكتابك ، واعراضهم عن سننك في خلقك ، قد جعله الناس شبهة على كتابك الحكيم ، ووسيلة للطعن في دينك القويم ، وما ظلمتهم ولكن كانوا هم الظالمين ، والقرآن هو حجتك عليهم أجمعين ، أمرهم بالاتحاد والاعتصام فتفرقوا، ونهاهم عن الاختلاف فيه فاختلفوا ، ولا يزالون مختلفين ، الا من رحمتهم من المقربين (٥٦:١٣ ثلةٌ مِنَ الأوَّلين ١٤ وقليلٌ مِنَ الآخرين)

ومن أصحاب اليمين ، (٥٦ : ٣٩ ثلة من الاولين ٤٠ وثلة من الآخرين)

اللهم إنك لم تذر المؤمنين الأولين على ما كانوا عليه، ولا تدع المسلمين على ما انتهوا اليه، بل مزت وتميز الخبيث من الطيب ، وزيلت وتزيل بين المفسد والمصلح ، ووفقت من شئت لنشر دعوة التوحيد والاعتصام ، بين جميع الشعوب والأقوام، اللهم فانصرهم وهم حزبك على أحزاب الشيطان، المفرقين بين المسلمين في المذاهب أو العناصر أو اللغات أو الأوطان، وقهم اللهم فتن السياسة ، وشرور زعمائها محبي الرياسة ، الذين يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، ولكنهم آثروا عليه الشهوة والهوى ، فيناضل فارسهم بسهام البهتان ، لا بالدليل والبرهان ، وينافح بالنميمة وقول الزور، ويُدلّ بالمخيلة والدعوى والعجب والغرور، (٢٢:٨ ومن الناس مَن يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ٤٥: ٤٠ أفأنتَ تسمع الصمَّ أو تهدي العميَ ومَن كان في ضلال مبين)

أحمدك اللهم عوداً على بدء أن وفقتني لتأييد المصلحين ، والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين ، فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاماً يدعو الى ذلك بدليلي النقل والعقل ، والأساليب المتنوعة من القول الفصل، وأضرع اليك أن توفقني على رأس العام الرابع عشر في السعي اليه بالفعل، وان تظهر هذا الدين في الآخرين، كما أظهرته في الأولين، فقد بدا غريباً وعاد كما بدا في غربته ، فأتمّ اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته ، وانصر دعاته الصادقين ، على عداته المنافقين ، الذين يلبسون لباسه ويجهلون حقيقته ، فيجنون عليه ما لا يجني المنكرون له ، حتى صدق عليهم ما قلته فى المتفرقين قبلهم (٥٩ : ٢ يخرّبون بيوتهم بأيديهم ١٤

بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون
١٥ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم)

اللهم انك تعلم أن من هؤلاء المفرّقين من أعماه الحسد وحب الظهور، ومنهم من أصمه الكبر والغرور ، ومنهم من أفسده الفسق والفجور، ومنهم من أبعده الكفر بك ، والصدود عن هداية رسلك ، فهم امشاج مختلفون في عقائدهم واخلاقهم الباطنة ، مختلفون في عاداتهم وأعمالهم الظاهرة ، لا يجمع بين قادتهم الا حب المال والجاه في الحياة ، والطمع في نصب التماثيل والصور لهم بعد الممات ، وتلك عاقبة الذبذبة ، فيما ابتليت به هذه الأمة من اختلاف التعليم والتربية ، نال الأجانب من نفوسهم ما يشتهون وهم لا يشعرون ، فهم لهم خادمون ويحسبون أنهم هم المقاومون، أولئك هم المفرقون ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، يفرقون بين أعضاء الأمة ، ويحللون العناصر التي يتركب منها جسم الدولة ، أولئك هم الأخسرون أعمالا، والرابحون أقوالا وأموالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ، (٢ : ١٥ أولئك الذينَ اشتَروُا الضلالةَ بالهدى فما رَبحتْ تجارتهم وما كانوا مهتَدِينَ)

اللهم قد ضاق ذرع المصلحين، بهؤلاء المفسدين المفرقين، كلما داووا جرحاً سالت جروح ، وكلما رتقوا فتقاً ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعوى بالباطل ، واختلط الحابل بالنابل ، وظهر في جو السياسة العارض الممطر ، واضطربت القلوب من موعد الصبح المسفر ، يومئذ تظهر عاقبة الذين يعملون في السر ، ضد ما يقولون ويدعون في الجهر، ويتبرأ أهل الجنوب من شياطينهم أهل الشمال . اذا ظهر ما يضمرون لما بقي للاسلام من سلطان

وشبه سلطان، باغراء أولئك الذين قضوا على سلطة غيره من الأديان، ويومئذ يعلم المغرورون من نوكى المسلمين، أنهم كانوا فاتنين مفتونين، (٣٧: ١٠٠ إنَّ هذا لهوَ البلاءُ المبينُ * ٣٨: ٨٨ ولَتعلَمُنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ)

تطلعت رءوس الفتن، واشتعلت نارها في ألبانية فحَوران فاليمن، يخرب المسلمون بيوتهم بأيديهم، ويقتلون أنفسهم بسيوفهم، ويمهدون السبل للطامعين فيهم، فيكفونهم أمر الحرب، وبذل المال وسفك الدم، أهلك أهل الحضارة والترف منهم حب الشهوات، وأهلك أهل الخشونة والقشف الجهل بالفنون والصناعات، وقد أفسد الرؤساء من الفريقين حب الرياسة، وما يتبعها من فتن السياسة، « أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة، ومن معنى السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة، ومن ساس ويسوس، وسائس ومسوس، » (*) فالسياسة مثار الفتن، ومصدر الإفك والكذب، ومورد السعاية والمحل، وناهيك بسياسة أهل الضعف، في مثل هذا العصر، الذين فقدوا كل شيء، ويدعي الواحد منهم كل شيء، ويجرد من لا يتبع أهواءهم من كل شيء، يلبسون الحق بالباطل، وينصرون من يتبع أهواءهم من مظلوم أو ظالم، يؤيدون المفسدين والمجرمين، ويتجرمون على البرآء الصالحين، (٣٤: ٢٥ قل لا تُسئلون عمَّا أجرَمنا ولا نُسئلُ عمَّا تعملون ٢٦ قلْ يجمعُ بيننا ربنا ثمَّ يفتحُ بيننا بالحقِّ وهوَ الفتَّاحُ العليم)

*) هذه الاستعاذة للاستاذ الامام رحمه الله تعالى

يا أيها المفتون المغرور، المختال في ثوبين من الزور، اعلم انه ليس في طاقة أحد، ان يتقن كل عمل، فيكون رئيساً أو زعيماً في السياسة، والعلم والدين والأدب والكتابة والخطابة، والأمور الاجتماعية والمالية. وكل ما تحتاج اليه الأمة لتكون من الامم الحية. فعليك ان كنت من الصادقين. أن تتقن عملاما ثم تكون عوناً وظهيرا للعاملين، ويا أيها المفتون بالقوة اذخر قوتك للقاء خصمك الاقوياء، ولا تضعفها بالبغي على إخوانك الضعفاء، فرب جهاد في غير عدوّ، ورب ضعة في حب العلوّ، ورب باغ على نفسه، وهو يحسب انه ينتقم من خصمه، والبغي مصرعه وخيم، (٤٢: ٤١ ولَمنِ انتصرَ بعدَ ظلمه فأولئكَ ما عليهمْ منْ سبيل ٤٢ إنما السبيلُ على الذين يَظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحقِّ، اولئكَ لهمْ عذابٌ أليمٌ)

يا أهل القرآن أقيموا القرآن. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان، قد غُلبتم على ما فرطتم فيه من حقكم، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاسقون من قومكم، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب في أرضكم، تركتم لهم دنياكم فطمعوا في دينكم، يريدون إطفاء نوره، والاحاطة بوليه ونصيره، فافيقوا من نومكم، واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وانشروا دعوة الاسلام، واجعلوا أمامكم القرآن، فهو حبل الله الممدود بين أهل الايمان (٥: ٢ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، * ٨: ٤٧ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازَعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا انَّ اللهَ معَ الصابرين)

هذا ما يذكر به المنار، قراءه المصطفين الاخيار، على رأس عامه الرابع عشر، كما هي سنته في فاتحة كل سنة، وانها لتذكرة للخاصة،

بحسب حالة الاصلاح العامة ، ويدعوهم كما يدعو جميع العلماء الذين يطلعون عليه ، الى الكتابة اليه بما يرونه منتقداً فيه ، مؤيداً بالدليل والبرهان ، لا بقول فلان ورأي فلان ، فانما المنار صحيفة جميع المسلمين ، لا صحيفة طائفة واحدة من المقلدين ، فهو يدعوهم الى الاجماع على ما اتفقوا عليه، وأن لا يتعادوا فيما اختلفوا فيه ، بل يردوه الى الله والرسول ، فهو خير عمل وأحسن تأويل ، (١٦ : ٩ وعلى الله قصدُ السبيل ومنها جائرٌ ولو شاء لهداكم أجمعين)

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ الاشتراك في المنار ﴾

(١) جرى العرف في أقطارنا كلها بأن المشترك في صحيفة مؤقتة كالجرائد والمجلات يكون اشتراكه مسانهة كلما جاءت سنة كان مشتركا فيها مالم يؤذن صاحب الصحيفة قبل دخول السنة الجديدة أو في أولها بقطع الاشتراك وعملا بهذا العرف نرسل المنار الى المشتركين في العام الماضي فمن قبل هذا الجزء الأول كان مشتركا الى آخر هذه السنة ووجب عليه أن يؤدي قيمة الاشتراك كاملة وان بدا له في أثناء السنة قطع الاشتراك اوجعله نصف سنة فمن لم يرض بهذا الشرط فليرد الينا هذا الجزء

(٢) من أحب ابتداء الاشتراك في المنار هذا العام فعليه أن يرسل القيمة سلفا مع الطلب وهي مبينة على غلاف كل جزء

(٣) اذا لم يصل بعض الاجزاء الى المشترك فالادارة ترسله اليه اذا طلبه بعد موعد وصوله اليه بشهر واحد فان طلبه بعد ذلك أو طلب بدلا عما أضاعه من الأجزاء فعليه أن يرسل ثمن ما يطلبه وثمن الجزء بمصر ستة قروش وفي الخارج فرنك ونصف

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

ثم أقول بعد هذا انه قد بقي في الآية مباحث لا يتجلى معناها تمام التجلي وتتم الفائدة منه الا بها فنأتي بما يفتح الله تعالى به منها وان كان فيه شيء من تكرار بعض ما تقدم

(المبحث الاول في أولي الامر في الصدر الاول) أولو الامر في كل قوم وكل بلد وكل قبيلة معروفون فانهم هم الذين يثق بهم الناس في أمور دينهم ومصالح دنياهم لاعتقادهم أنهم أوسع معرفة واخلص في النصيحة وقد كانوا في عصر النبي (ص) يكونون معه حيث كان وكذلك كانوا في المدينة قبل الفتوحات ثم تفرقوا وكانوا يحتاجون اليهم في مبايعة الإمام (الخليفة) وفي الشورى في السياسة والادارة والقضاء :

فأما المبايعة فكانوا يرسلون الى أمراء الأجناد ورؤوس الناس في البلاد من يأخذ بيعتهم ولما لم يبايع معاوية أميرَ المؤمنين عليا كرم الله وجهه وكان له عصبة قوية قال من قال من الناس انه كان مجتهدا في حربه وقد كان في أتباعه من هو حسن النية كما كان فيهم محب الفتنة ومن قال فيهم أمير المؤمنين « أتباع كل ناعق » ولو كانت البيعة في عنقه لما كان ثم مجال لاشتباه من كان مخلصا في أمره .

وأما القضاء فكانوا يجمعون له من حضر من أهل العلم والرأي ورؤساء الناس فيأخذون برأيهم فيما لا نص فيه

روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها ، فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال أتاني كذا وكذا فنظرت في

كتاب الله وفي سنة رسول الله (ص) فلم أجد في ذلك شيئا فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك « الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا » وان أعياه ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياه ان يجد شيئا في الكتاب أو السنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء فان وجده قضى به فان لم يجد دعا رءوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به » فليتأمل الفقيه تفرقة أبي بكر بين من يسئل عن الرواية لقضاء النبي (ص) وبين من يستشار في وضع حكم جديد أو استنباطه ، فأما الرواية فكان يسأل عنها عامة الناس وأما الاستشارة فكان يجمع لها الرءوس والعلماء وهم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بالرد اليهم . ولم يذكر الراوي ما كان يعمل الخليفتان اذا اختلف أولئك المستشارون في القضية

وروى ابن عساكر عن شريح القاضي قال قال لي عمر بن الخطاب ان اقض بما استبان لك من كتاب الله فان لم تعلم كل كتاب الله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله (ص) فان لم تعلم كل أقضية رسول الله (ص) فاقض بما استبان لك من أمر الأئمة المهتدين فان لم تعلم كل ماقضت به الأئمة فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح . اه والرواية ضعيفة وفيها من الغرابة لفظ الأئمة ولم يكن وقتئذ أئمة متعددون يعتمد على قضائهم لبنائه على الكتاب والسنة

وروى الطبراني في الاوسط وابو سعيد في القضاء عن عليّ قال قلت يارسول الله إن عرض لي أمر لم ينزل فيه قضاء في أمره ولا سنة كيف تأمرني قال « تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برأيك خاصة » وتأمل قوله (ص) « تجعلونه » والعدل به عن « تجعله » ــ والخطاب للمفرد ــ فان فيه ان هذا الجعل من حق جماعة المؤمنين والمراد بالفقه معرفة مقاصد الشريعة وحكمها لا علم أحكام الفروع المعروف فان هذه تسمية محدثة كما بينه الغزالي في الاحياء والحكيم الترمذي والشاطبي وغيرهم . وكان رءوس المسلمين في ذلك العصر من أهل هذا الفقه غالبا

وأما استشارتهم في الامور الادارية فمثالها ما ورد في الصحيحين وغيرهما ان عمر خرج الى الشام حتى اذا كان (بسرغ) لقيه أهل الاجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه ان الوباء وقع بالشام . قال ابن عباس فقال عمر ادع لي المهاجرين الاولين فدعوتهم له فاستشارهم وأخبرهم ان الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى ان ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله (ص) ولا نرى ان تقدمهم على هذا الوباء . فقال ارتفعوا عني . ثم قال ادع لي الانصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني . ثم قال ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا نرى ان ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس « اني مصبح على ظهر » (أي مسافر والظهر ظهر الراحلة) فأصبحوا عليه . فقال ابو عبيدة أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة — وكان عمر يكره خلافه — نعم نفرّ من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والاخرى جدبة أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ (قال) فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم به (أي الوباء) بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » قال فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف . اه

أقول وفي هذه الواقعة من العبرة ان عمر (رض) حكم مشيخة قريش في الخلاف بين جمهور المهاجرين والانصار فلما اتفقوا على ترجيح أحد الرأيين أنفذه، وهذا نحو مما اخترناه في تفسير الآية . وفيه أيضا انه لايشترط في الرجوع الى رأي أولي الامر ان يكونوا محيطين بما ورد في السنة من قضاء وعمل أو حديث ، وصرح بهذا الاصوليون في صفات المجتهد

كان الخلفاء الراشدون وقضاتهم العادلون يعرفون رءوس الناس وأهل العلم والرأي والدين . ويعرفون أنهم هم أولو الامر فيدعونهم عند الحاجة وكانت

الامة في مجموعها رقيبة على أميرها يراجعه حتى أضعف رجالها ونسائها فيما يخطئ فيه كما راجعت المرأة عمر في الصداق فاعترف بخطأه وأصابتها على المنبر (* فكيف بأولي الامر الذين يتبعهم خلق كثير ، ولم يكن لاحد من الخلفاء الراشدين عصبية تمنعه من المسلمين ان أراد أن يستبد فيهم الا ما كان لعثمان من عصبية بني أمية ولم يرد هو أن يستبد بقوتهم وعصبيتهم ولما أخذته الامة بظلمهم لم يغنوا عنه شيئا فالخلفاء الراشدون كانوا مخلصين في مشاركة أولي الأمر من الامة في الحكم والتقيد برأيهم فيما لا نص فيه لقوة دينهم وعدالتهم ولأن هذا هو الذي كان متعينا ولم يكن في استطاعة أحد منهم ـ والاسلام في عنفوان قوته ـ أن يتخذله عصبية يستبد بها دون أولي الامر ان شاء (على انه لقوة دينه لا يشاء) وهذه الحال من الاسباب التي حالت دون الشعور بالحاجة الى وضع أولي الأمر لنظام يكفل دوام العمل بالشورى الشرعية وتقييد الأمراء والحكام برأي أولي الأمر

(المسألة الثانية في حال أولي الأمر بعد الراشدين) بنو أمية هم الذين زحزحوا بناء السلطة الاسلامية عن أساس الشورى إذ كوّنوا لأنفسهم عصبية بالشام هدموا بها سلطة أولي الأمر من سائر المسلمين بالحيلة والقوة وحصروها في أنفسهم فكان الامير مقيدا بسلطة قومه لا بسلطة أولي الأمر من جميع المسلمين فخرجوا عن هداية الآية شيئا فشيئا ثم جاء العباسيون بعصبية الأعاجم من الفرس فالترك . ثم كان من أمر التغلب بين ملوك الطوائف بعصبياتهم ما كان فلم تكن الحكومة الاسلاميه مبنية على أساسها من طاعة الله ورسوله وأولي الأمر بل جعلت أولي الامر كالعدم في أمر السلطة العامة ، وكان تحري طاعة الله ورسوله بالعدل ورد الامانات الى أهلها يختلف باختلاف درجات الأمراء والحكام في العلم والدين فكانت أحكام عمر بن عبد العزيز كأحكام الخلفاء الراشدين في العدل ولكنه لم يستطع أن يرد أمانة الامامة الكبرى الى أهلها لان عصبية قومه كانت محتكرة لها حبا في السلطة والرياسة. ثم كانت سلطة الملوك العثمانيين بعصبيتهم القومية ، وقوة جيوشهم المعروفة بالانكشارية ، ولم يكن هؤلاء من أولي الامر ، أصحاب الفقه والرأي ،

*) راجع ص ٤٦٧ ج التفسير الرابع وص ١٨ م المنار الثالث عشر)

الذين هم في المسلمين أهل الحل والعقد، بل كانوا اخلاطا من المسلمين والكافرين يأخذهم السلاطين ويربونهم تربية حربية .

(المسألة الثالثة أولو الامر في زماننا وكيف يجتمعون) ذكرنا في تفسير الآية ان أولي الامر في زماننا هذا هم كبار العلماء ورؤساء الجند والقضاة وكبار التجار والزراع وأصحاب المصالح العامة ومديرو الجمعيات والشركات وزعماء الاحزاب ونابغو الكتاب والأطباء والمحامين (وكلاء الدعاوي) لذين تثق بهم الامة في مصالحها وترجع اليهم في مشكلاتها حيث كانوا. وأهل كل بلد يعرفون من يوثق به عندهم ويحترم رأيه فيهم ويسهل على رئيس الحكومة في كل بلد ان يعرفهم وان يجمعهم للشورى ان شاء ، ولكن الحكام في هذا الزمان مؤيدون بقوة الجند الذي تربيه الحكومة على الطاعة العمياء حتى لو أمرته أن يهدم المساجد ويقتل أولي الامر الموثوق بهم عند أمته لفعل فلا يشعر الحاكم بالحاجة الى أولي الامر ولا يريد أن يقرب اليه منهم الا المتملق المدهن . فاشتدت الحاجة لأجل هذا الى اعادة السلطة الى أولي الامر بقوة الامة ورأيها وتكافلها . وقد جرت الدول التي بنت سلطتها على أساس الشورى أن تعهد الى الامة بانتخاب من تثق بهم لوضع القوانين العامة للمملكة والمراقبة على الحكومة العليا في تنفيذها ومن تثق بهم للمحاكم القضائية والمجالس الادارية ولا يكون هذا الانتخاب شرعيا عندنا الا اذا كان للامة الاختيار التام في الانتخاب بدون ضغط من الحكومة ولا من غير الحكومة ولا ترغيب ولا ترهيب ومن تمام ذلك أن تعرف الامة حتما في هذا الانتخاب والغرض منه ، فاذا وقع انتخاب غيرهم بنفوذ الحكومة أو غيرها كان باطلا شرعا ولم يكن للمنتخَبين سلطة أولي الامر ويتبع ذلك ان طاعتهم لا تكون واجبة شرعا بحكم الآية وانما تدخل في باب سلطة التغلب فمثل من ينتخب رجلا ليكون نائبا عن الامة فيما يسمونه السلطة التشريعية وهو مكره على هذا الانتخاب كمثل من يتزوج أو يشتري بالإكراه لا تحل له امرأته ولا سلعته . وقد ذكر الاستاذ الامام اشتراط حرية الانتخاب كما تقدم ولكن الاجمال لا يغني في هذا المقام عن التفصيل

خاطب الله الامة كلها باقامة القواعد الأربع المنصوصة في الآية بدليل قوله للمخاطبين

« وأولي الأمر منكم » فاذا لم يقم أهل الحل والعقد من أنفسهم بالاجتماع لاقامتها فالواجب على مجموع الامة مطالبتهم بذلك ولا يترك الأمر فوضى ثم يبحث عن إجماع أهل الحل والعقد أو الاجتهاد وعن استنباط أهل الاستنباط في رواية الرواة : قال فلان كذا وسكت فلان عن كذا ، وهذه المسألة لا نعرف فيها خلافا فهي إجماعية ، كما وقع منذ زمن الرواية والتدوين والتصنيف الى اليوم، فالله تعالى قد ذكر أولي الأمر هنا بصيغة الجمع كذلك ذكرهم بصيغة الجمع في الآية الآتية التي ينوط فيها الاستنباط بهم بقوله (٨٢ لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فعلم من ذلك انه يجب أن يكون لأولي الأمر مجمع معروف عند الأمة لترد اليهم فيه المسائل المتنازع فيها والمسائل العامة من أمر الأمن والخوف ليحكموا فيها ، والظاهر ان طاعتهم تجب على الحكومة وافراد الأمة اذا هم اجتمعوا وانه يجب على الحاكم والمحكوم رد المسائل العامة والمتنازع فيها اليهم سواء اجتمعوا بأنفسهم أو بطلب الأمة أو بطلب الحكومة بشرط أن يكونوا هم هم ،

فإن قيل أرأيت اذا انتخبت الأمة غير من ذكرتم وفاقا للرازي والنيسابوري أنهم أولو الأمر ليكونوا هم المستنبطين لما تحتاج اليه من الاحكام والقوانين والمشرفين على الحكام والمستشارين لهم أيكون أولو الأمر من وصفتم وان لم تنتخبهم الأمة أم يكونون هم المنتخَبين من قبل الامة وان فقدوا تلك الصفات ؟ أقول في الجواب ان الامة اذا كانت عالمة بمعنى الاية ومختارة في الانتخاب عالمة بالغرض منه لا يمكن أن تنتخب غير من ذكرنا انهم هم أهل المكانة الموثوق بعلمهم ورأيهم وإخلاصهم عندها لأن هذا هو الذي تقوم به مصلحتها الدينية والدنيوية ويتحقق به العمل بما هداها الله اليه في كتابه، فانتخابها إياهم أثر طبيعي لثقتها بهم ولعلها بهدي دينها ، وان كانت جاهلة بما ذكر أو غير مختارة في الانتخاب فلا يكون لانتخابها صفة شرعية. وانما الخطاب في الآية لأمة الاجابة في الاسلام وهي المذعنة لأمر الاسلام ونهيه العالمة بما لا بد من علمه فيه . ولعل جهل الذين كانوا يدخلون في الاسلام أفواجا في الصدر الاول بهذا الحكم ، وعدم معرفتهم لأولي الامر، كان احد الاسباب ، في عدم العمل بقاعدة الانتخاب

فإن قيل أيجب انتخاب جميع أهل الحل والعقد لأجل الاجتماع لاستنباط

الأحكام العامة التي تحتاج اليها الأمة في سياستها وادارتها العامة أم يكتفى ببعضهم؟ أقول الظاهر أنه يكتفي بأن يقوم بذلك من تحصل بهم الكفاية برضى الباقين ، فاذا فرضنا ان المملكة مؤلفة من مئة مدينة أو ناحية في كل واحدة منها عشرة من أولي الامر الذين يثق أهلها بعلمهم ورأيهم وينقادون لهم يكون مجموع أولي الامر ألف نسمة فاذا هم اختاروا من أنفسهم بالانتخاب أو القرعة مئة أو مئتين للقيام بما ذكر حصل المقصد بذلك وكان ما يقررونه إجماعا من الامة . ويرجع الناس الى الباقين في الامور الخاصة بمكانهم كالشورى في القضاء والادارة . وهذا ما يظهر لي انه اقرب ما يتحقق به العمل بالآية

(المسألة الرابعة أولو الامر هم أهل الاجماع) بينا ان أصول الشريعة الاساسية هي الاربعة المبينة في هذه الآية، وطبق ذلك بعض المفسرين الاصوليين على الاصول الاربعة التي عليها مدار علم أصول الفقه ـ وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ـ وجعلوا الآية حجة على مشروعية الاجماع وهي لعمري أقوى دلالة عليه من آية(٤ : ١١٤ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) الآية، بل لا تدل هذه على الاجماع الاصولي كما سيأتي في تفسيرها من هذه السورة ، وجعلوا معنى رد المتنازع فيه الى الله ورسوله هو القياس الاصولي . واشترطوا ان يكون أهل الاجماع هم المجتهدين وكذلك أهل القياس وعلى هذا يشترط في أعضاء مجلس النواب الذين يسمون في عرف العثمانيين بالمبعوثين وفي أعضاء المحاكم والمجالس ان يكونوا من المجتهدين ولا يكون لهم صفة تشريعية بغير ذلك ، وهذا هو الذي يفهم من علم الأصول وقد علمت رأينا فيه وسنزيدك إيضاحا

قال الرازي في تفسيره الكبير : في المسألة الثانية من مسائل الآية اعلم ان هذه الاية آية شريفة مشتملة على أكثر علم أصول الفقه وذلك لان الفقهاء زعموا ان أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس وهذه الآية مشتملة على تقرير الاصول الاربعة أما الكتاب والسنة فقد وقعت الاشارة اليهما بقوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » فان قيل أليس ان طاعة الرسول هي طاعة الله فما معنى هذ العطف قلنا قال القاضي الفائدة في ذلك بيان الدلالتين فالكتاب

يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لامحالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله لامحالة

ثم قال في المسألة الثالثة : اعلم ان قوله « وأولي الامر منكم » يدل عندنا على ان اجماع الامة حجة. اه وقد تقدم تفصيل كلامه في اثبات ذلك ورد قول من قال ان المراد بأولي الأمر الأئمة المعصومون ومن قال إنهم الأمراء والسلاطين . وجزمه بأن المراد من يمثل الامة وهم أهل الحل والعقد .

ثم قال في المسألة الرابعة : اعلم ان قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» يدل على ان القياس حجة، الذي يدل على ذلك ان قوله « فان تنازعتم في شيء » اما أن يكون المراد فان اختلفتم في شيء حكمه منصوص عليه في الكتاب أو السنة أو الإجماع ، أو المراد فان اختلفتم في شيء حكمه غير منصوص عليه في شيء من هذه الثلاثة ، والاول باطل لان على ذلك التقدير وجب عليه طاعته فكان ذلك داخلا تحت قوله « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وحينئذ يصير قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » إعادة لعين ما مضى وإنه غير جائز، واذا بطل هذا القسم تعين الثاني وهو ان المراد فان تنازعتم في شيء حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والاجماع، واذا كان كذلك لم يكن المراد من قوله « فردوه الى الله والرسول » طلب حكمه من نصوص الكتاب والسنة ، فوجب ان يكون المراد رد حكمه الى الاحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة له وذلك هو القياس فثبت ان الآية دالة على الامر بالقياس

ثم أورد الرازي على الاخير انه يجوز ان يكون المراد برد المتنازع فيه الى الله ورسوله تفويض أمره اليهما وعدم الحكم فيه بشيء أو الى البراءة الاصلية وأجاب عنهما بإسهابه المعتاد وانني اذكر عبارة النيسابوري في الاجماع والقياس ورده هذين الايرادين وان تقدم بعضها لانه اختصر فيها ما أطال به الرازي قال بعد رد ماقيل في مسألة أولي الأمر غير ما ادعاه « واذا ثبت ان حمل الاية على هذه الوجوه غير مناسب تعين أن يكون المعصوم كل الامة أي أهل الحل والعقد وأصحاب الاعتبار والآراء فالمراد ما اجتمعت عليه لامة وهو المدعى

(قال) وأما القياس فذلك قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » اذ ليس المراد من رده الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع والا كان تكرارا لما تقدم ، ولا تفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت عنه لأن الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال ، وتفتقر الى قطع مادة الشغب والخصومة فيها بنفي أو إثبات ، ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول ، فاذا ردها الى الاحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة لها فهذا هو معنى القياس

« فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعته ثم لما سوى أهل الحل والعقد بطاعتهم ، ثم أمر أهل استنباط الاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه في الناس في حكم واقعة ما أن يستخرجوا لها وجوها من نظائرها وأشباهها فما أحسن هذا الترتيب» اه كلام النيسابوري والاظهر المختار أن رد مالانص فيه الى الله والرسول يتحقق بعرضه على مافيهما من القواعد العامة كاليسر ورفع الحرج من الامة وكان النبي (ص) لايخير بين أمرين الا اختار أيسرهما ، وكمنع الضرر والضرار وكون المحظور لذاته يباح للضرورة والمحظور لسد الذريعة يباح للحاجة وقد تقدمت الاشارة الى هذا . ويلي هذا عرض الجزئيات في المعاملات على اشباهها . وتقدم أيضا ان المراد بالرد هنا رد مايتنازع فيه أولو الامر وأما ما يتنازع فيه غيرهم فيرد اليهم عملا بآية الاستنباط (٤ : ٨٢)

﴿ المسألة الخامسة الاجماع والاجتهاد عند الاصوليين ﴾

قد علمت انهم جعلوا الآية حجة على ان الاجماع أصل من أصول هذه الشريعة ورأيت ان بعضهم يقول اجماع الامة واجماع أهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة ثم انهم صرحوا مع ذلك بأن المراد بهذا هو الاجماع الأصولي فما هو تعريفه ؟

الاجماع في اصطلاح جمهور الأصوليين « هو اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد

وفاة نبيها في عصر على أمر أي أمر كان » فلا عبرة فيه باتفاق بعض المجتهدين ولو الا كثر ولا باتفاق المقلدين ولا باتفاق غير المسلمين كالذين يكفرون ببدعتهم والذين يجعلون الإسلام جنسية لهم لا دينا فاذا فرضنا ان عصرا خلا من المجتهدين (كما يقول جماهير المشتغلين بالعلم من المنتمين الى السنة في هذا العصر) واتفق جميع المسلمين فيه على حكم في واقعة عرضت ليس فيها نص شرعي فان اتفاقهم كلهم لا يعد إجماعا وربما يقول متفقهتنا انهم يكونون بذلك كلهم عصاة لله تعالى باجتهادهم هذا ، ولا يبعد أن يقول المتنطع من هؤلاء المتفقهة انهم اذا استحلوا وضع الحكم والعمل به وعده شرعيا يكونون مرتدين عن الاسلام ، ونعوذ بالله من مثل هذا التنطع الذي يجيز عقل صاحبه خطأ الملايين ويقول بعصمة الاثنين فا كثر من المجتهدين

واعتبر بعضهم وفاق العوام للمجتهدين ليصح ان الأمة اجمعت اذ عبر بعضهم كالغزالي في التعريف باتفاق الأمة . وعبر في جمع الجوامع « بمجتهد الأمة » لصدقه على الاثنين فا كثر والمفرد المضاف يعم . وأراد انه لو لم يوجد الا اثنين من المجتهدين واجمعا وجب العمل باجماعهما بشرطه ولو كانا امرأتين أو عبدين وفيه خلاف . وهنالك خلافات أخرى في قيود الحد ومفهومها وفي مسائل أخرى تتعلق بالاجماع

وقال في كشاف اصطلاحات الفنون الاجتهاد في اصطلاح الاصوليين استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي والمستفرغ وسعه في ذلك التحصيل يسمى مجتهدا . ثم قال : فائدة للمجتهد شرطان (الاول) معرفة الباري تعالى وصفاته وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزاته وسائر مايتوقف عليه علم الايمان كل ذلك بأدلة إجمالية ان لم يقدر على التحقيق والتفصيل على ماهو دأب المتبحرين في علم الكلام (والثاني) ان يكون عالما بمدارك الاحكام وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالتها وتفاصيل شرائطها ومراتبها وجهات ترجيحها عند تعارضها والتفصي عن الاعتراضات الواردة عليها فيحتاج الى معرفة حال الرواة وطرق الجرح والتعديل وأقسام النصوص المتعلقة بالاحكام وأنواع العلوم الأدبية من اللغة والصرف والنحو وغير ذلك ، هذا في حق المجتهد المطلق الذي يجتهد في الشرع . وأما المجتهد في

مسألة فيكفيه علم مايتعلق بها ولا يضره الجهل بما لايتعلق بها . هذا كله خلاصة مافي العضدي وحواشيه وغيرها اه

وانني اذكر لك خلاصة ما في كتاب جمع الجوامع في ذلك وهو ان المجتهد عندهم هو الفقيه ويشترط في تحقق الاجتهاد أن يكون بالغا عاقلا ذا ملكة يدرك بها المعلوم فقيه النفس عارفا بالدليل العقلي — أي البراءة الأصلية — ذا درجة وسطى في اللغة العربية وفنونها (من النحو والصرف والبلاغة) والأصول والكتاب والسنة . وصرح بأنه يكفي في زماننا الرجوع الى أئمة الحديث أي الى مصنفاتهم في الجرح والتعديل وما يصح وما لا يصح وبأنه لايشترط علم الكلام ولا الذكورة ولا الحرية ، فيجوز أن يتألف المجتهدون أهل الاجماع من النساء والعبيد .

أقول ليس تحصيل هذا الاجتهاد الذى ذكروه بالأمر العسير ولا بالذي يحتاج فيه الى اشتغال أشق من اشتغال الذين يحصلون درجات العلوم العالية عند علماء هذا العصر في الامم الحية كالحقوق والطب والفلسفة ومع ذلك نرى جماهير علماء التقليد منعوه فلا تتوجه نفوس الطلاب الى تحصيله

وظاهر ان تعريف جمهور الاصوليين للاجماع وتخصيصه بالمجتهدين المعرفين بما ذكر لا يتفق مع قول القائلين اهل انهم الحل والعقد ولا على المصلحة العامة فان العالمين بما ذكروه من شروط المجتهد لا يعرفون مصالح الأمة والدولة في الامور العامة كمسائل الامن والخوف والسلم والحرب والاموال والادارة والسياسة بل لا يوثق بعلمهم الذي اشترطوه في احكام القضاء في هذا العصر الذي تجدد للناس فيه من طرق المعاملات ما لم يكن له نظير في العصور الاولى فيقيسوه به

ثم ان ماذكروه في تعريف الاجتهاد والمجتهد لايقتضي ان يكون المجتهدون معصومين في اتفاقهم على الامر الذي يسمى اجماعا ولا سيما على قول الجمهور الذين يجيزون اجماع العدد القليل كالاثنين والثلاثة ،وغلا بعض أهل الاصول فقالوا ان عصمتهم كعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل بعضهم من ذلك اتفاقهم على العمل وان لم يصدر منهم قول فيه فقالوا فعلهم كفعل الرسول (ص) واختاره الجويني خلافا للباقلاني . وصرحوا بأن وقوع الخطأ منهم محال أخذوا هذا من كون الامة

لاتجمع على ضلالة وهذا معنى آخر على انهم يجيزون خطأ الامة كلها اذا خلت من المجتهدين كما تقدم فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا العقل والدين ، ونحمده أن كانت هذه الآراء مختلفا فيها بين الباحثين ، حتى منع بعضهم هذا الاجماع ألبتة واحاله وبعضهم لم يعتد الا باجماع الصحابة واعتد بعضهم باجماع العترة النبوية وبعضهم باجماع أهل المدينة في العصر الأول واشترط بعضهم عدد التواتر وبعضهم موافقة العوام

وبعد هذا وذاك نقول ان حصر المجتهدين بالمعنى الذي ذكروه لايمكن والعلم باتفاقهم على تفرقهم لايمكن ولهذا قال بعض العلماء إن هذا الاجماع الاصولي غير ممكن واذا أمكن فالعلم به غير ممكن وقال بعضهم يمكن العلم بالاجماع السكوتي دون القولي وهو مختلف في كونه إجماعا قال بعضهم انه حجة ظنية لااجماع وقال بعضهم انه ليس باجماع ولا حجة والقول الثالث انه اجماع ظني ، وقد يقال السكوتي لاسبيل الى العلم به أيضا لأن عدم العلم بالقول من زيد لايقتضي عدم صدور القول منه وكان يطلق بعض السلف الاجماع على المسألة التي رويت عن جمع من الصحابة ولم ينقل ان أحدا خالفهم فيها وهذا غير الاجماع الذي يعتد به جمهور الاصوليين

وروي عن الامام أحمد انه قال « من ادعى الاجماع فقد كذب لعل الناس قد اختلفوا هذه دعوى بشر المريسي والاصم (من المعتزلة) ولكن يقول لا أعلم الناس اختلفوا أو لم يبلغه » نقل هذا في المسودة ثم قال: وكذلك نقل المروزي عنه انه قال كيف يجوز للرجل أن يقول « أجمعوا » اذا سمعتهم يقولون أجمعوا فاتهمهم ، لو قال اني لا اعلم مخالفا كان (أحسن) قال في المسودة وكذلك نقل أبو طالب عنه انه قال هذا كذب ما علمه ان الناس مجتمعون ولكن يقول لا أعلم فيه اختلافا فهو أحسن من قوله إجماع الناس ، وكذلك نقل عنه أبو الحارث : لاينبغي لأحد أن يدعي الاجماع لعل الناس اختلفوا . وحمل القاضي إنكار أحمد للاجماع على الورع وحمله تقي الدين بن تيمية على إجماع المخالفين بعد الصحابة أو بعدهم وبعد التابعين أو بعد القرون الثلاثة . وانما أولوا كلامه المقرون بالدليل الذي يرد تأويلهم لانه وقع في كلامه لفظ الاجماع كاستدلاله على ان التكبير من غداة يوم

عرفة الى آخر أيام التشريق بإجماع عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ذكره القاضي وهذا إجماع مقيد غير الاجماع المطلق الذي نفاه

كان بعض السلف يذكرون الاجماع في الصدر الاول بمعناه اللغوي ويظن بعض الناس انه الاجماع الذي اصطلح عليه أهل فن الاصول الذي حدث بعدهم ولهذا ظن القاضي ان كلام الامام احمد اختلف في الاعتداد بالاجماع تارة وانكاره تارة أخرى وليس كذلك

الاجماع في اللغة جمع الامر وإحكامه والعزم عليه يقال اجمعوا الامر والرأي واجمعوا عليه اذا أحكموه وضموا ماانتشر وتفرق منه وعزموا عليه عزما لاتردد فيه ولا يكون ذلك في غير الضروريات الا بعد الروية والتدقيق والمرادة في الشورى قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (٧١:١٠ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا اليّ ولا تُنظرون) وذلك انه ليس بعد الاجماع الا الإمضاء والتنفيذ . وقال في أخوة يوسف (١٥:١٢ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) ثم قال فيهم (١٠٢:١٢ وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وقال حكاية لقول فرعون للسحرة (٦٤:٢٠ فأجمعوا كيدكم) والاجماع للأمر يكون من الواحد ومن الجمع .

قال في لسان العرب : وفي الحديث « من لم يُجمع الصيام من الليل فلا صيام له » الاجماع إحكام النية والعزيمة ، أجمعت الرأي وأزمعته وعزمت عليه بمعنى ، ومنه حديث كعب بن مالك « اجمعت صدقه » وفي حديث صلاة المسافر « مالم أجمع مكثا » أي مالم أعزم على الاقامة ، وأجمع أمره جعله جميعا بعدما كان متفرقا ، قال وتفرقه انه جعل يديره فيقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على أمر محكم أجمعه أي جعله جمعا . قال وكذلك يقال أجمعت النهب ، والنهب ابل القوم أغار عليها اللصوص وكانت متفرقة في مراعيها فجمعوها من كل ناحية حتى اجتمعت لهم ثم طردوها وساقوها فاذا اجتمعت قيل اجمعوها . . . والاجماع ان تجمع الشيء المتفرق جميعا فاذا جعلته جميعا بقي جميعا ولم يكد يتفرق كالرأي المعزوم عليه المضي ، وأجمع المطر الارض اذا سال رغابها

وجهادها (١) كلها ، وفلاة مجمعة ومجمعة (بتشديد الميم) يجتمع فيها القوم ولا يتفرقون خوف الضلال ونحوه كأنها هي التي تجمعهم اه المراد منه

فعلم من هذا ان الاجماع في اللغة ليس هو اتفاق الناس أو طائفة منهم على أمر مطلقا وانما هو إحكام الامر المتفرق وعزمه لئلا يتفرق . ويكون من الواحد وا كثر من الواحد ولا يقتضي أن يقوم به كل أهل الشأن ، فرجوع عمر بمن كان معه عن الوباء كان بالاجماع اللغوي دون الأصولي ، ومنه قول عمر وابن مسعود وغيرهما من الصحابة « اقض بما في كتاب الله فان لم يكن فبما في سنة رسول الله (ص) فان لم يكن فبما أجمع عليه الصالحون » وفي لفظ ما قضى به الصالحون ، ومنه قول الامام أحمد انه عمل في مسألة التكبير باجماع عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس ، أي ما جزموا به وعزموه بالعمل فأين هذا من إجماع الأصول الذي معناه أن يتفق جميع المجتهدين على أمر ما ، وكان المجتهدون في العصر الأول ألوفا كثيرة لا يمكن حصرهم فلذلك أنكر الامام أحمد دعوى العلم باجماعهم على المعنى الذي اصطلح الناس عليه في زمنه ، وكذلك أنكره غيره

وما زال أهل الاستقلال في الفهم يبحثون في ذلك وقد زرت الاستاذ الامام في العيد منذ اثنتي عشرة سنة فألفيت عنده أحمد فتحي باشا زغلول العالم القانوني واذا هو يسأله في الإجماع كيف يمكن أن يقع وان يعلم به مع عدم حصر أهله ولا تعارفهم ؟ ورأيت الاستاذ رحمه الله تعالى وافقه على استنكاره فقلت أن الذي أعتقده في الاجماع هو أن يجتمع العلماء النابغون الموثوق بهم ويتذاكروا في المسائل التي لا نص فيها ويكون ما يتفقون عليه هو المجمع عليه حتى ينعقد إجماع آخر منهم أو ممن بعدهم ، فقال الاستاذ الامام هذا حسن لو كان ولكن ليس هو الاجماع الذي يذكرونه

وجملة القول أن الأصل في الاجماع أن يكون إجماع الأمة كما صرح به بعضهم ولا سبيل الى اجتماع افراد الأمة فيحصل المراد بمن يمثلها وهم أولو الأمر

(١) الرغاب بالفتح الارض اللينة ، التي لا تسيل الا من مطر كثير ، والجهاد بالفتح أيضاً الارض المستوية أو الغليظة أو الجدبة

بالمعنى الذي بيناه مرارا ولا بد من اجتماعهم ، وللمتأخرين منهم أن ينقضوا ما اجمع عليه من قبلهم بل وما أجمعوا هم عليه اذا رأوا المصلحة في غيره فان وجوب طاعتهم لأجل المصلحة لا لأجل العصمة كما قيل في الأصول والمصلحة تظهر وتخفى وتختلف باختلاف الأوقات والأحوال من القوة والضعف وغير ذلك . وهذا غير ما حظره السلف من مخالفة الاجماع الذى كانوا يعنون به ما جرى عليه الصحابة وكذا التابعون من هدى الدين بغير خلاف يصح عن أحد من علمائهم . وظاهر كلام الشافعي في رسالته ان هذا هو الاجماع الذى يعتد به وأرى أن أحمد كان على هذا ومن البديهي انه لا يعقل أن يتفق أهل العصر الأول على أمر ديني ولا يكون له أصل في الدين ، وأين هذا مما يعزى الى المجتهدين بعدهم من قول أو سكوت مما لم يكن معروفا في خير القرون ، ولا سيما اذا لم يوافقهم عليه سائر المسلمين

وقد احتجوا على دعوى عدم جواز مضادة الإجماع لاجماع قبله بحديث « لا تجتمع أمتي على ضلالة » والحديث رواه أحمد والطبراني في الكبير مرفوعا ، والحاكم في مسنده عن ابن عباس بلفظ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة . وجاء المرفوع بلفظ « سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة واعطانيها » والحديث لا يدل على ذلك لا في إجماع جمهور الأصوليين المتأخرين الذى لا يصدق عليه انه إجماع الامة ولا في غيره لان الاجماع يكون عن اجتهاد والمخطئ في اجتهاده لا يعد ضالا وانما يعد عاملا بما وجب عليه وان ظهر له خطأ اجتهاده الاول كمن يجتهد في القبلة ويصلي عدة صلوات ثم يظهر أن اجتهاده كان خطأ فان صلاته صحيحة . فهذا هو الحكم في العبادة التي لا تختلف أحكامها كما تختلف المصالح القضائية والسياسية التي يجرى فيها الاجتهاد العام والاجماع . وذكر في جمع الجوامع ان مضادة الاجماع لاجماع قبله فيه خلاف أبي عبد الله البصرى الذى يرى ان الاجماع الاول ملغيا بوجود الثاني . وفي المسودة عن ابن عقيل الحنبلي قال : يجوز ترك ما ثبت وجوبه بالاجماع اذا تغيرت حاله مثل الاجماع على جواز الصلاة بالتيمم فاذا وجد الماء فيها (أي وهو في الصلاة) خرج منها بل وجب وبه قالت الحنفية وقال بعض الشافعية لا ينتقل من الاجماع إلا باجماع مثله . وهذا الذي ذكره يقتضي

جواز مخالفته بدليل شرعي غير الاجماع ويبطل قول من زعم ان الاستصحاب تمسك بالاجماع كما في مدلول النص فالاقوال في المسألة ثلاثة اه

﴿ المسألة السادسة القياس الاصولي ﴾

عرفه ابن السبكي تبعا للباقلاني بأنه حمل معلوم على معلوم لمساواته في علة حكمه ، وابن الحاجب تبعا للآمدى بأنه مساواة فرع الاصل في علة حكمه . وفيه خلاف فمنعه ابن حزم في الاحكام الشرعية مطلقا وابن عبدان الا في حال الضرورة ومنع داود غير الجليّ منه ، ومنعه ابو حنيفة في الحدود والكفارات والرخص والتقديرات ، وقوم في الاسباب والشروط والموانع ، وقوم في أصول العبادات صرح بذلك كله في جمع الجوامع وعلى الاخير الاستاذ الامام . وأركان القياس عندهم أربعة (١) الاصل المشبه به أي المقيس عليه و(٢) حكم الأصل قالوا ومن شرطه ان يثبت بغير القياس و(٣) الفرع المشبه بالاصل وهو المقيس ومن شرطه وجود تمام علة حكم الاصل فيه ، و(٤) العلة قالوا وهي المعرّف للحكم ، أقول وفيها معترك الانظار فمنها ماهو بديهي ككون الاسكار هو علة تحريم الخمر ومنها مالا يدل عليه عقل ولا نقل كالاقوال المشهورة في علة تحريم الربا : الكيل والوزن والطعم ، وقد اكتفى الحنفية في العلة بأي نوع من التشبه ، والحنابلة على انه لابد من علة معينة تجمع بين الفرع والاصل حتى يجوز الرد والحمل وهو الاقرب ولا يظهر حمل الامر برد المتنازع فيه الى الله والرسول على عرضه على مثل تلك العلل والتشبيهات التي لا نص عليها في الكتاب ولا في السنة ولا هي متبادرة منهما على ان ذلك لا يزيل التنازع بل ربما يزيده ، واذا امتنع هذا وامتنع ان يكون المراد بهذا الرد طلب النصوص في نفس الشيء المتنازع فيه تعين أن يكون المراد ماقلناه من قبل وهو رده الى مقاصدها اوقواعدها العامة وما يتبادر من علل الاحكام فيهما بحيث لا يكون للتنازع فيه مجال

هذا والظاهر من تعريف الأصوليين للاجتهاد والمجتهد انه لا يشترط فيه عندهم الاحاطة بما يمكن معرفته من الاحاديث بل صرح بعضهم بأن سنن أبي داود كافية لماينبغي العلم به منها ، ويؤيد ذلك عمل الصحابة وقضاؤهم فقد كان الخلفاء الراشدون

يسألون عن السنة وقضاء النبي من حضر ولا يستقصون في الطلب فان لم يجدوا عملوا بالرأي الذي مناطه المصلحة كما فعل عمر واصحابه في واقعة الوباء قبل ان يخبرهم عبد الرحمن بن عوف بما عنده فيها من الحديث المرفوع ، ولكن طلب النصوص من الكتب الآن اسهل من طلبه من الناس قبل تدوين الحديث

قال ابن تيمية : هل يجوز الحكم بالقياس قبل الطلب التام للنصوص ؟ هذه المسألة لها ثلاث صور (احداها) الحكم به قبل طلبه من النصوص المعروفة وهذا لا يجوز بلا تردد (الثانية) الحكم به قبل الطلب من نصوص لا يعرفها مع رجاء الوجود لو طلبها فهذه طريقة الحنفية تقتضي جوازه ومذهب الشافعي واحمد وفقهاء الحديث انه لا يجوز ولهذا جعلوا القياس بمنزلة التيمم وهم لا يجيزون التيمم الا اذا غلب على الظن عدم الماء فكذا النص وهو معنى قول الامام احمد ماتصنع بالقياس وفي الحديث ما يغنيك عنه ، وهذه المسألة أمّ في الفرق بين أهل الحديث وبين أهل الرأي ، لكن يتفاوت أهل الحديث في طلب النصوص وطلب الحكم منها ، وهذه المسألة تشبه جواز الاجتهاد بحضور النبي (ص) وفيها لاصحابنا وجهان مع ان قول الحنفية هناك انه لا يجوز لكن قد يقولون وجود النبي (ص) ليس بمنزلة وجود النص (الثالثة) اذا أيس من الظفر بنص بحيث يغلب على الظن عدمه فهناك يجوز بلا تردد اه

﴿ المسألة السابعة بناء اجتهاد أولي الأمر على المصالح العامة ﴾

اذا علمت ان اجتهاد أولي الامر هو الأصل الثالث من أصول الشريعة الاسلامية وانهم اذا أجمعوا رأيهم وجب على افراد الامة وعلى حكامها العمل به فاعلم ان اجتهادهم خاص في المختار عندنا بالمعاملات القضائية والسياسية والمدنية دون العبادات والاحكام الشخصية اذا لم ترفع الي القضاء وانه ينبغي أن يبنى على قاعدة جلب المصالح وحفظها ودرء المفاسد وإزالتها ، ويظن بعض المشتغلين بالعلم ان جعل المصالح المرسلة أي المطلقة أصلا من أصول الفقه خاص بالمالكية لكن قال القرافي انها عند التحقيق ثابتة في جميع المذاهب . ومن الادلة عليها حديث

«لا ضرر ولا ضرار» رواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس والثاني عن عبادة وعلم السيوطي عليه في الجامع الصغير بالحسن ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولها دلائل أخرى أشرنا الى بعضها في محاورات المصلح والمقلد والاصل فيها رفع الحرج والعسر وتقديم كل ما فيه اليسر على الامة وهذا ثابت في القرآن وأشرنا اليه في سياق تفسير الآية التي نحن بصدد تفسيرها

ومما يتفرع عن ذلك التعارض بين المصلحة العامة و بين العمل ببعض النصوص وهو يرجع في الحقية الى التعارض بين النصوص لان مراعاة المصلحة مؤيدة بها وقلما ترى في الكتب المتداولة بحثا مشبعا في هذه المسألة المهمة التي تتوقف عليها حياة الشريعة والعمل بها وانك لترى المشتغلين بالفقه لا يبالون بتقديم نصوص علماء مذاهبهم على العمل بما تحفظ به المصلحة العامة فما بالك بنصوص الكتاب والسنة ولم نر أحدا توسع في هذه المسألة كما توسع فيها نجم الدين الطوفي من أئمة الحنابلة (توفي سنة ٧١٦) في شرح الحديث الذي ذكرناه آنفا وقد نشرنا كلامه في ذلك في المجلد العاشر من المنار وقاعدته ان المصلحة مقدمة على النص والاجماع ، وقد عرّفها بحسب العرف بأنها السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع بأنها السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عادة ،وأورد في الاستدلال عليها من القرآن سبعة أوجه من قوله تعالى (١٠ : ١٦ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ٥٧ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأقول ان في القرآن دلائل كثيرة أصرح من هاتين الآيتين في الدلالة عليها والكلام في تفصيل ذلك بدلائل الكتاب والسنة وعمل الصحابة يطول ويمكن أن يدخل في كتاب خاص ولعلنا نوفق لبيانه في مقدمة التفسير التي نودعها كليات فقه القرآن وحكمته العليا

على ان الطوفي لم يقتصر على وجوه تينك الآيتين بل ذكر دلائل أخرى من الكتاب والسنة ومسائل الاجماع وردّ ما يعترض به على هذه القاعدة و بين ما تعارض به المصالح وطرق الترجيح فيها فليراجعه من شاء في المجلد العاشر من المنار (من ص ٧٤٥ — ٧٧٠)

﴿ المسألة الثامنة في الاخبار والآثار في الجماعة بمعنى الإجماع ﴾

بينا ان لفظ الاجماع لم يرد في الكتاب والسنة بالمعنى المعروف في اصطلاح الاصوليين ولكن ورد في الاخبار والآثار لفظ الجماعة بالمعنى المقصود من الاجماع الاصولي الصحيح المختار ويقابله الاختلاف والتفرق اللذين نهى الله عنهما ورسوله نهيا شديدا

ومن الاخبار في ذلك حديث «من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه» رواه احمد وابو داود والحاكم عن أبي ذر ، وابن ابي شيبة عن حذيفة ورواه الحاكم عن ابن عمر بلفظ «من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه حتى يراجعه ومن مات وليس عليه امام جماعة فان موتته موتة جاهلية» وبقريب من هذا اللفظ الطبراني عن ابن عباس. والنسائي عن حذيفة بلفظ «من فارق الجماعة شبرا فارق الاسلام» ورواه غيرهم أيضا بألفاظ متقاربة

ومنها حديث «يد الله على الجماعة» رواه الترمذي عن ابن عباس والطبراني عن عرفجة بزيادة «والشيطان مع من خالف الجماعة يركض» وحديث «لن تجتمع امتي على ضلالة أبدا وان يد الله على الجماعة» رواه بهذا اللفظ الطبراني عن ابن عمر وتقدم في المسألة الخامسة ذكر الشطر الاول منه

قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند ذكر قول البخاري «باب وكذلك جعلناكم وسطا وما أمر النبي (ص) بلزوم الجماعة وهم أهل العلم» وورد الامر بلزوم الجماعة في عدة أحاديث منها ما أخرجه الترمذي مصححا من حديث الحارث بن الحارث الاشعري فذكر حديثا طويلا فيه «وأنا آمركم بخمس امرني الله بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه» وفي خطبة عمر المشهورة التي خطبها في الجابية ، عليكم بالجماعة واياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، وفيه ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . وقال ابن بطال مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة لقوله «لتكونوا شهداء على الناس» وشرط قبول الشهادة العدالة وقد ثبتت

لهم هذه الصفة بقوله وسطا والوسط العدل ، والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر ، وقال الكرماني مقتضى الأمر بلزوم الجماعة انه ملزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون وهم المراد بقوله (أي البخاري) وهم أهل العلم . والآية التي ترجم عليها احتج بها أهل الاصول لكون الاجماع حجة لانهم عدّلوا بقوله تعالى « جعلنا كم أمة وسطا » أي عدولا ، ومقتضى ذلك انهم عصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه قولا وفعلا اه ما أورده في الفتح وقوله عصموا الخ ممنوع كما تقدم

اقول ان التعديل للامة وانما يمثل الامة اهل الحل والعقد وهم المجتهدون الذين يناط بهم أمر الأمة ويجب عليها اتباعهم فيما اجمعوه وعزموه لا المجتهدون خاصة الذين ذكرهم جمهور المصنفين في الأصول الذين قد يكونون رجلين حرين أو عبدين أو امرأتين فان هذين لا يصح أن يصدق عليهما نص « وكذلك جعلنا كم أمة وسطا » فلله در ابن بطال فقد جاء بالحق وما بعد الحق الا الضلال

وقال البخاري في باب قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » من أواخر كتاب الاعتصام : وكان الأئمة بعد النبي (ص) يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الامور المباحة ليأخذوا بأسهلها فاذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي (ص) ـ وذكر قتال ابي بكر لمانعي الزكاة من غير استشارة عملا بالنص ثم قال ـ وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبانا وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل اه

هذا ما فتح به علينا عند طبع تفسير هذه الآية الحكيمة من المسائل التي يتجلى به معناها والترجيح بين أقوال المفسرين فيها انه يجب على جميع المؤمنين طاعة الله بالعمل بكتابه وطاعة رسوله باتباع سنته وطاعة جماعة أولي الامر وهم أهل الحل والعقد من علماء الامة ورؤسائها الموثوق بهم عندها فيما يضعونه لها بالشورى من الاحكام المدنية والقضائية والسياسية ومنها الصحية والعسكرية ، واذا وقع التنازع بين أولي الامر أو بين أفراد الامة وجماعاتها في شيء فيجب رده الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة والعمل بما يظهر للمتنازعين أو لمن يحكمونهم في فصل النزاع من النصوص أو مقتضى القواعد والاصول العامة فيهما أو القياس على ما عرفت

علته فيهما ولا نسلم قول الرازي والنيسابوري ان هذا الرد خاص بما لا نص فيه ولا إجماع لانه مبني على التنازع والخلاف ويجوز أن يقع التنازع والخلاف فيما فيه نص لم يعرفه المتنازعون كما اختلف المهاجرون والانصار على عمر في الدخول على مكان الطاعون مع وجود النص الذي رواه بعد ذلك عبد الرحمن بن عوف ولو جاء عبد الرحمن قبل تحكيم عمر لمشايخ قريش وروى لهم الحديث لعملوا به ولم يحتاجوا الى التحكيم ، فليتأمل المستقلون ماحققناه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من سومطرا ﴾

(س ١ ـ ٣) لصاحب الامضاء في فيلمبغ (سومطرا)

الى حضرة الاستاذ الاكبر مرشد الأنام ، ومشيد دعائم الاسلام ، السيد محمد رشيد رضا . بعد التحية والاكرام بناء على واسع حلمكم ، ووافر علمكم ، أتجاسر على أن أقدم لحضرتكم بعض المسائل الدينية التي أعيانا حلها ، وقد أصبحت اليوم بطرفنا من الوقائع الحالية . مؤملا من حميد شيمكم أن تجيبونا عنها على صفحات مناركم المنير ، ولشدة مسيس الحاجة الى الجواب نلح على سماحتكم في المبادرة به فالناس لجوابكم منتظرون ولكم من الله جزيل الأجر ومنا جميل الشكر وهي هذه

(١) ما قولكم لابرحتم نوراً للمهتدين ، وحساماً مصلتاً على رقاب الملحدين ، في

جبانة ببلادنا تدفن فيها أموات المسلمين ، وقد اشتدّت في هذه الأيام اليها حاجة الحكومة لجعلها رصيفاً على البحر لوقوف البواخر بسبب لياقتها لذلك وقربها من الميناء وقد أضحى من المتعذر هنا وجود غيرها من الاراضي التي تجدر بأن تكون رصيفاً وقد أعلنت الحكومة قصدها هذا وطلبت من المسلمين من غير اجبار أن ينبشوا موتاهم وينقلوهم إلى مكان آخر ليتسنى لها بحث الارض المطلوبة وتسويتها ولا برحت تكرر الطلب مع الاعلان بعدم الاكراه فهل يجوز للمسلمين والحالة هذه نبش موتاهم نظراً للمصلحة العمومية أم لا فان قلتم لا فهل يحصل الجواز لو فرضنا وجود الاكراه والاجبار من الحكومة أم لا يحصل ، تفضلوا سادتي بادروا بالجواب

(٢) وما قولكم لا زال مناركم شجاً في حلوق الدجالين، وشباً ترتعد منه فرائص المحتالين ، في خضاب اللحية أو حلقها هل ورد في السنة المنيفة نص يصرح بتحريم ذلك فان قلتم لا فهل وقع الاجماع على التحريم وما هو الحكم فيما لم ينص الكتاب والسنة على تحريمه ولا انعقد عليه الاجماع وهل للقياس مدخل في هذا الباب أفيدونا مأجورين

(٣) وما قولكم حفظكم الله وأبقاكم في ضمانة الحياة هل يجوز في شرعنا الشريف الجنوح اليها وما الدليل على عدم الجواز لو فرضنا قولكم به فان سبق لكم في هذا كلام في المنار أو غيره فالمأمول من فضلكم عدم احالتنا عليه والمكرر يحلو جزاكم الله عن هذا الامة خيراً آمين

السيد جعفر بن شيخ السقاف

﴿ ج ١ – نبش المقابر وجعلها للمصلحة العامة ﴾

المشهور في كتب الفقه ان المقابر المسبلة يحرم البناء فيها سواء كان المبني قبة أم بيتاً أم مسجداً ويجب هدمه قال ابن حجر الهيتمي حتى قبة إمامنا الشافعي التي بناها بعض الملوك وينبغي لكل أحد هدم ذلك مالم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للامام . وقال انه لا يجوز زرع شيء فيها لانه لا يجوز الانتفاع بها بغير الدفن . قال الشمس الرملي وقد أفتى جماعة من العلماء بهدم ما بني فيها ويظهر حمله على ما اذا عرف حاله في الوضع فان جهل ترك حملاً على وضعه بحق كما فى الكنائس التي تقر أهل الذمة عليها في بلدنا وجهلنا حالها وكما في البناء الموجود على حافة الانهار والشوارع

وصرح في المجموع بحرمة البناء فى المسبلة قال الاذرعي ويقرب إلحاق الموات بها لان فيه تضييقاً على المسلمين بما لا مصلحة ولا غرض شرعي فيه بخلاف الاحياء اهـ وتأمل تقييده الحرمة بالتضييق بما لا مصلحة فيه وهل يعمل بمفهومه من انه اذا كانت هنالك مصلحة عامة وامتنع التضييق باستبدال تلك المقبرة بغيرها فانه يجوز ؟

وأما نبش القبور فان كان قبل البلى حرم الا لضرورة وعدّ الفقهاء منها الدفن بغير غسل أو فى أرض مغصوبة أو ثياب مغصوبة أو لغير القبلة أو وقع فى القبر مال وغير ذلك قال الرملي فى النهاية أما بعد البلى عند من مر (أى أهل الخبرة بتلك الارض) فلا يحرم النبش بل تحرم عمارته وتسوية ترابه عليه اذا كان فى مقبرة مسبلة لامتناع الناس من الدفن فيه لظنهم عدم البلى

وقال الشعراني في الميزان الكبرى « واتفقوا على انه لا يجوز حفر قبر الميت ليدفن عنده آخر الا اذا مضى على الميت زمن يبلى فى مثله ويصير رميما فيجوز حينئذ ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول اذا مضى على الميت حول فازرعوا الموضع اهـ والشافعية صرحوا بمنع زراعة المقبرة المسبلة والموقوفة كالبناء عليها وتشريف القبور فيها لان ذلك يمنع من الانتفاع

وفي كتاب (كشف القناع عن متن الاقناع) من كتب الحنابلة المعتبرة ان البناء على القبر مكروه وفى المسبلة أشد كراهة وعن الامام أحمد منعه فى وقف عام ثم قال ما نصه : (واذا صار) الميت (رميما جازت الزراعة وحرثه) أي موضع الدفن (وغير ذلك) كالبناء عليه قاله أبو المعالي (والمراد) أي بقول أبي المعالي تجوز الزراعة والحرث ونحوهما اذا صار رميما (اذا لم يخالف شرط الواقف لتعيينه الجهة) بان عين الارض للدفن فلا يجوز حرثها ولا غرسها اهـ المراد منه ثم ذكر جواز نبش قبور المشركين ليتخذ مكانها مسجداً لان موضع مسجد النبي (ص) كان مقبرة لهم فاشترى الارض وأمر بنبشها وجعلها مسجداً ، وكذا اذا كان فيها مال . وعبر فى المنتهى من كتبهم بقوله « ويباح نبش قبر حربي لمصلحة أو لمال فيه »

هذا مارأيت ان أورده من كلام الفقهاء والمذاهب فيه متقاربة ولا أذكر نصا صريحا عندهم في الواقعة، وقد رأيت ما ذكره بعضهم من المصلحة . وجمهورهم على ان المقبرة الموقوفة أو المسبلة ليس لأحد ان يتصرف فيها بغير الدفن حتى انهم منعوا ان يحفر الانسان فيها قبرا لنفسه أو لغيره من الاحياء ليدفن فيه عند الموت ، ومن الفقهاء من يرى انه يجوز التصرف في الوقف بالاستبدال وبما هو أقرب الى مقصد الواقف،

والتصرف في المسبلة أهون ، وروي عن الامام أحمد جواز استبدال مسجد بمسجد للمصلحة واحتج بأن عمر أبدل مسجد الكوفة القديم بآخر وصار الأول سوقاً ، وجوز أن يباع ويبنى بثمنه غيره للمصلحة ولو في مكان أو بلد آخر .

أما الكتاب فلا ذكر فيه لهذه المسألة والسنة كذلك الا أنه ورد فيها مما يتعلق بالمسألة حديث بناء مسجد النبي (ص) في مكان كان مقبرة وتقدمت الاشارة الى ذلك في كلام الفقها وحديث جابر عند البخاري والنسائي قال دفن مع ابي رجل فلم تطب نفسي حتى أخرجته فجعلته في قبر على حدة . قال بعض العلماء وفيه دليل على انه يجوز نبش الميت لامر يتعلق بالحي . أي على رأي من يعد فعل الصحابي حجة وهو خلاف ما عليه الجمهور ولو كان لهم عناية بالاحتجاج لهذه المسألة لقالوا ان هذا العمل مما لايخفى وقد أقره الصحابة عليه فكان إجماعا وكم قالوا مثل ذلك

والذي أراه ان هذه المسألة كسائر المسائل التي لانص فيها عن الشارع ترد الى أولي الامر من المسلمين وهم رءوس الناس وأصحاب العلم والمكانة فيهم فيتشاورون فيها ويقررون ما يرون فيه المصلحة للمسلمين فاذا رأوا المصلحة في استبدال مقبرة أخري بها استبدلوا ولهم ان ينقلوا حينئذ رمم الموتى ويدفنوها في المقبرة الجديدة والا فلا وأما اذا أكرهتهم الحكومة على ذلك فالامر ظاهر انهم يكونون معذورين

(ج ـ ٢ خضاب اللحية وحلقها)

أما خضاب اللحية وكذا غيرها فهو مستحب وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة الامر به كحديث « ابي هريرة في الصحيحين « ان اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم » وهناك أحاديث أخرى وفيها تصريح بالخضاب بالحمرة والصفرة والحناء والكتم وهو بالتحريك نبات بالبادية خضابه أصفر واذا مزج بالحناء جاء لون الشعر بين السواد والحمرة ، وخضب النبي (ص) كما صححه النووي الحسن والحسين وكثير من كبراء الصحابة وكره بعض العلماء الخضاب لما ورد من وصف الشيب بالنور وقال بعضهم يتبع عادة بلده لان هذه المسألة من العادات لا من العبادات ، ولكن آداب السلف أعلى فينبغي ايثارها

قال علي القاري في شرح الشمائل ثم ان القائلين باستحباب الخضاب اختلفوا في انه هل يجوز الخضب بالسواد والأفضل الخضاب بالحمرة والصفرة فذهب اكثر

العلماء الى كراهة الخضاب بالسواد وجنح النووي الى أنها كراهة تحريم وان من العلماء من رخص فيه للجهاد ولم يرخص في غيره واستحبوا الخضاب بالحمرة أوالصفرة لحديث جابر قال أتي بأبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً فقال رسول الله (ص) غيروا هذا واجتنبوا السواد اخرجه مسلم ـ ثم قال ـ والثغامة بضم المثلثة وتخفيف المعجمة نبات شديد البياض زهره وثمره ، ولحديث أبي ذر رفعه « ان أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم » أخرجه الاربعة وأحمد وابن حبان وصححه الترمذي وتقدم ان الصبغ بهما يخرج بين السواد والحمرة اه

أقول حديث مسلم في أبي قحافة رواه أحمد من حديث أنس بلفظ « ولا تقربوه السواد » وزاد في الفردوس يعني أبا قحافة فالنهي في الحديث خاص به والسواد للشيخ الهرم يستقبح . وفي الباب حديث ابن عمر عند الطبراني والحاكم « الصفرة خضاب المؤمن والحمرة خضاب المسلم والسواد خضاب الكافر » والحديث منكر كما قال الحافظ الذهبي وقال الهيثمي فيه من لم أعرفه ، وحديث ابن عباس عند أبي داود والنسائي سيكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لايجدون رائحة الجنة . زعم العراقي ان اسناده جيد ولكن قال ملا علي القاري في إسناده مقال ، ولو كان مما يحتج به لجزموا بالتحريم ، وحديث أبي الدرداء « من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة » قال علي القاري إسناده لين اه والصواب ان ضعفه أشد من ذلك ولا يصح في هذه الحنيفة السمحة مثل هذا الوعيد فيما لا ضرر فيه في دين ولا نفس ولا عرض ولا عقل ولا مال وهي الكليات الخمس للمحرمات في الاسلام . على ان هذه الاحاديث الضعيفة معارضة بمثلها وبما هو أقوى كحديث الامر المطلق بالصبغ في الصحيح وحديث صهيب عند ابن ماجه « ان أحسن ما اختضبتم به لهذا السوادُ أرغب لنسائكم فيكم وأهيب لكم في صدور عدوكم » ولاجل التعليل الثاني قال بعض العلماء ان كراهة الخضاب بالسواد تنتفي بنية الجهاد أي لمن هو من أهله وحملوا على ذلك ما روي عن بعض السلف من الاختضاب به ومنهم ابن عمر وسعد بن أبي وقاص (رض) وما ورد من تعليل كراهة السواد بكونه كان من

عادة الكفار يفيد زوال الكراهة بانتفاء اختصاصهم بذلك ، وتتجه الكراهة الشديدة بل التحريم اذا كان في الخضاب غش محرم

وأما حلق اللحية فهو مكروه فان من آداب السنة قص الشارب واعفاء اللحية وفي ذلك عدة أحاديث في الصحيحين والسنن وقد علل ذلك فيها بمخالفة المشركين والمجوس واليهود والنصارى وذلك ان الامم تمايز بآدابها وعاداتها وأزيائها وانما يتشبه الضعيف بالقوي ، والواطئ بالعلي ، وقد يفضي إسراف الضعيف في التقليد والتشبه الى ضياع استقلاله ، وتمكين من يتشبه بهم ويقلدهم من التصرف بجميع أمره ، فلا يقولن قائل ان هذا من أمور العادات لا من أمور الدين ، وقد فقه حكمته وفائدته المتبعين ، وأشهر الاحاديث في ذلك حديث ابن عمر مرفوعاً (خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفروا اللحى) رواه الشيخان . وإذا زال الاختصاص زال معنى التمايز وقد صار بعض المسلمين يعفي لحيته تشبهاً بالافرنج .وأما سؤال السائل في هذا المقام عن العمل بما لم يرد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع فقد أشرنا الى جوابه بالاجمال في الجواب الاول وراه مفصلا في تفسير هذا الجزء من المنار وما قبله

﴿ ج ٣ ـ ضمان الحياة ﴾

لم يذكر السائل كيفية هذا الضمان ولا عقده والمشهور ان هذا من العقود التي تشبه الميسر (القمار) في كون الذي يعطي المال لشركة الضمان لا يعطيها إياه في مقابلة عمل تعمله له أو منفعة تسديها اليه وانما يرجو بذلك أن تأخذ ورثته منها اكثر مما اعطى إن هو مات قبل المدة المعينة ، وجمهور الفقهاء يصرحون بأن مثل هذا العقد باطل ومحرم لما فيه من إضاعة المال الواجب حفظه وعدم بذله الا فيما فيه منفعة دينية أو دنيوية معلومة أومظنونة . وليست كل العقود التي يحكم الفقهاء ببطلانها محرمة دينا فانهم قد يشترطون شروطا اجتهادية لا يحكم قاضيهم ولا ينفذ أميرهم الحكم الا اذا تحققت في العقد وان لم يكن في ترك الشرط منها مخالفة لأمر الله ورسوله . وقدصرح بعض الفقهاء بحل جميع العقود والشروط التي يتعاقد الناس عليها ويشترطونها اذا لم تكن مخالفة للكتاب والسنة الصحيحة وهذا هوالصواب وقدذكرناه في المنار غير مرةوربما نفصل القول فيه في وقت آخر تفصيلا

جمعية الدعوة والارشاد

(٣٩ : ٤٦ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

أشهد الله وملائكته والصالحين من عباده بأني سعيت الى إنفاذ مشروع الدعوة والارشاد في القسطنطينية وأنا أعتقد اعتقادا راسخا لازلزال فيه ولا اضطراب انه انفع مايخدم به دين الاسلام في نفسه وانه أقرب الطرق لارتقاء المسلمين في دينهم ودنياهم وان البلاد العثمانية ستكون هي التي تجني بواكر ثمراته وأن سيكون من هذه الثمرات ائتلاف الشعوب العثمانية وتعاونها على ترقية البلاد في العلوم والاداب والثروة والعمران وشدة الاتحاد بالدولة ومنع الفتن والثورات الداخلية لان المرشدين للعامة إذا كانوا من العلماء الاتقياء الخطباء يكون تأثيرهم أقوى من كل تأثير

سعيت الى انفاذ المشروع هناك فرأيت جميع العقلاء حتى من غيرالمسلمين متفقين على نفعه وفائدته وكونه لا يحل محله سواه حتى ان جريدة صباح ولا توركي أثنتا عليه وهما لغير المسلمين ولكن تصدى لمقاومته رجلان من المسلمين أحدهما من رجال الحكومة وجمعية الاتحاد والترقي والآخر من المبعوثين ، قاوماه في الباطن ، وهما يدعيان المساعدة عليه في الظاهر ، فاما رجل الحكومة والجمعية فلا أصرح باسمه الآن ويعرفه جميع أعضاء جمعية العلم والارشاد التي أسسناها هناك وأكثر أهل البصيرة في الاستانة من العلماء وغيرهم ، وأما المبعوث فهو عبيدالله افندي مبعوث أزمير وصاحب الجريدة المسماة بالعرب ، .

أقمت في الاستانة سنة كاملة كما علم قراء المنار ومعظم أعمالي في مصر معطلة ثم عدت ولايزال يبلغني من بعض أصحاب الشأن في حكومتها انهم يريدون تنفيذ المشروع الذي وافقوا عليه فيها وعن غيرهم انهم لايريدون ذلك ، وهذا ماحملني على السعي تنفيذه هنا باوسع وأكمل مما وافقوني عليه هناك

لا يختلف اثنان في أن أول ما يبدأ به في مثل هذا العمل هو مكاشفة من يرجى منهم القيام به ودعوتهم الى الاجتماع والتشاور فيه وهذا ما بدأت به ، وقبل ان يتم اختيار الافراد الذين أحببت ان يكونوا هم المؤسسين قامت جريدة العلم التي هي لسان حال الحزب الوطني بمصر ترجف بالمشروع وتلبس على الناس أمره باتفاق محمد بك فريد رئيس الحزب والشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة العلم على مقاومته فكان مثل خذلان المسلمين لانفسهم ولدينهم بمصر والاستانة واحداً

كانت جريدة العلم زعمت انه يوجد بمصر جمعية تدعى جمعية الاتحاد العربي غرضها فصل البلاد العربية من الدولة العثمانية واقامة خليفة عربي فيها تحت حماية الانكليز، وانها تعمل أعلاما مطرزة لترسلها الى البلاد العربية ثم مزجت مشروع الدعوة والارشاد بتلك الاوهام ، وأطلقت القول في ذم العرب

خرق في السياسة وسعاية للايقاع بين الشعبين الكبيرين المقومين للامة العثمانية وهما العرب والترك عن جهل أو علم فالشعب العربي أكثر عدداً وأوسع بلاداً وقيمته وقيمة بلاده المعنوية في هذه الدولة أعظم من كل شيء ، وهذا الطعن فيه يتضمن الطعن في الدولة نفسها كما نعلم ذلك من العهد الحميدي المظلم الذي كان يروج فيه مثل هذه السعايات والوشايات الوهمية التي كانت جريد اللواء ترجف بها

ليس هذا المقام بمقام البحث في هذه المسألة وانما ذكرتها لأبين ان جريدة العلم بنت عليها الطعن والارجاف في مشروع الدعوة والارشاد وجعلته تابعاً لها ووسيلة اليها وهو المشروع المقدس من أدناس السياسة وأهلها المفسدين وكأن المغرور بما أرجف به كان يتوهم انه بارجافه يقضي على هذا المشروع ويقتله وهو جنين حتى لا يطمع أحد في وجوده فيعمل له !! وفاته ان المخلصين لا يبالون من رماهم بالريبة ، وأكل لحومهم بالغيبة ، ولا يثنيهم عن عملهم الافك والبهتان وإنما يزيدهم ذلك إيماناً وعزماً ويقولون حسبنا الله ونعم الوكيل

وها نحن أولاء نسجل ما كتب في جريدة العلم مع الرد عليه ليكون من مادة تاريخ هذا المشروع الجليل وللزمان الحكم الفصل في اظهار الحقائق للعالمين ، وإبطال أباطيل المبطلين ، والى الله المصير والعاقبة للمتقين

المقالة الأولى لجريدة العلم

نشرت جريدة العلم بعد الذي أشرنا اليه في المقدمة المقالة الآتية في عددها ٢٠٥ الذي صدر في ٨ المحرم وهذا نصها :

﴿ مدرسة التبشير الاسلامي ﴾

« ماوراء الحجاب »

ان فكرة ارسال مبشرين بالاسلام في أطراف الارض لنصح العامة وتمكين عقيدة التوحيد في نفوس أهل الشرك قد عرضت في العهد الاخير للاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ولقد سمعناه يقول انه لو لا حكم عبد الحميد ووساوسه لعرض على الدولة العلية اتخاذ الآستانة التي هي دار الخلافة مقراً لتلك المدرسة الدينية

مات الشيخ عبده ودالت دولة عبد الحميد وحل الدستور والعدل والعقل محل الفوضى والظلم والجنون فخطر للشيخ رشيد فيما نظن تحقيق أماني استاذنا المرحوم فذهب الى دار السعادة وأفضى بمشروعه الى ذوي الحل والعقد هناك فرحبوا به لانه من الضرورات اللازمة للعالم الاسلامي وقد تمكنت الجهالة بأصول الاسلام من نفوس عامة المسلمين وخاصتهم حتى ان أحدهم ليسمع آي كتاب الله أو شيئاً من سنة رسوله المصطفى فلا يخيل اليه الا أنها بدع أو مفتريات تلصق بالدين !

رحب رجال الدولة بهذا المشروع وأرادوا ان يحلوه محله الطبيعي بجعله تحت رعاية شيخ الاسلام الذي له دون سواه الاشراف على المعاهد الدينية فأبى ذلك صاحب المشروع وزادهم نفوراً منه فيما يقولون ما اتصل بهم (ان صدقاً وان كذباً) من افراطه في الاشتغال بالمسألة العربية واغراقه في التحرش بالاتراك . لقد كان يبلغهم ذلك فيظنون بالشيخ الظنون ويخشون مغبة تسليمه مقاليد تلك المدرسة فأبوا الا ان تلحق رأساً بالمشيخة وهم الآن فيما نعلم يشتغلون باقامتها واختيار المعلمين

الصالحين لها كما انهم مشتغلون بوضع برامجها وميزانيتها ونظامها وربما افتتحت في المستقبل القريب ان شاء الله تعالى

ولقد نقل الينا من الآستانة العلية ان الشيخ رشيد رضا لم يكد ييأس من استقلاله بأمر تلك المدرسة حتى سارع الى الاستعانة ببعض ذوي السلطان من العرب لينشئوا مدرسة للتبشير عربية . ويدور في الاندية من الاشاعات والاقاويل مالا يسعنا الا استبعاده

فمن ذلك ان جمعية الاتحاد العربي هي التي تسعى وراء ذلك في الخفاء وتريد ان توجد تلك المدرسة لتخرج في الظاهر مبشرين بالاسلام وفي الباطن مبشرين بدعوتهم الخصوصية الى مناهضة الاتراك والاستبداد بالوظائف ونحو ذلك من الأغراض الحقيرة

ومن الاقاويل ان الموعز بذلك هم الانكليز يريدون ان يبلغوا بذلك ما يتمنونه من تقويض دعائم المملكة العثمانية (خلدها الله) ليقيموا بدلها خلافة عربية يضعونها في أيدي عباد الشهوات والاموال حتى يتم لهم الاحتكام المطلق في العالم الاسلامي (لا قدر الله) كما تم لدولة المماليك الذين سخروا الخلفاء في عهدهم لبلوغ مآربهم وقصورهم على الخطبة والصلاة على الجنائز والتصدر في المواكب والمجالس

ولقد ظلت الخلافة الاسلامية في ذلك التعس والانحطاط حتى قيض الله لها آل عثمان فرفعوا من شأنها وأعلوا من كلمتها ودافعوا عن بيضتها . فالانجليز يريدون اليوم بتشجيع تلك العصبة الغوية الغافلة أن يعيدوا للخلافة الاسلامية ذلك العهد الذي كان شرا ووبالا على العالم الاسلامي جميعه فيتخذوا من تلك العصبة خليفة يقيمون به دولة سلطانها الأعظم وخاقانها الافخم الملك جورج الخامس ويؤسسون ملكا يكون حاكمه العامل السير ادوارد جراي وكعبته المقدسة لندن

ومن الاشاعات المتناقلة أيضا أن القائمين بهذا المشروع مخلصون لا يريدون الا الخير للعالم الاسلامي ولكنهم مع ذلك يخطئونهم في عدم أخذهم بالحزم من الامور اذ استهانوا بما يحف بعملهم هذا من الشبهات وما يعتوره من الشكوك .
ويقول هؤلاء انه كان الاجمل ان يتربص بالامر قليلا حتى تقيم الدولة العلية

مدرسة الاستانة فتلحق مدرسة القاهرة بها أو أن يكتفى بتلقين تلاميذ الازهر جميع ما يلزم المبشرين من فنون الوعظ وأساليب الارشاد . وأذا علمنا ان برنامج الازهر أمثل الاشياء وأشبهها بما يرمي اليه ذلك المشروع نعلم أن زيادة مادة أو مادتين على ما احتواه بالفعل كافية لجعل الازهر تلك المدرسة التي يريدونها ويسعون الى اقامتها دون أن يكون من وراء ذلك مجلبة للظنون ومثار للتهم . واذا ارتأى بعض القائمين بهذا المشروع عدم كفاءة علماء الازهر لتدريب طلاب التبشير وتمرينهم على هذا الفن الجديد فليتقدم بنفسه اما متطوعا أو مأجورا ليقوم في الازهر بهذا الامر وليكون له في العاقبة جميل الشكر وجزيل الاجر

هذا ما رأينا أن نقدمه من النصائح للقائمين بهذه الحركة الجديدة ناصحين للمخلصين منهم أن يتجنبوا مواطن الشبه والا يساعدوا العاملين على التحرش بدولتهم الناهضين لاخوانهم العثمانيين المساعدين للدسائس الاجنبية المروجين للفتن الداخلية

فليتقوا الله في دينهم وليتقوا الله في جامعتهم وليتقوا الله في أنفسهم فانما هلك من قبلهم بهذا الطيش والرعونة وبالكدح الى نيل مآربهم السافلة الحقيرة

واذا كان الاتراك فيما تزعمون قد اغتالوا ما تسمونه بالوظائف واستبدوا بها فانما هم اخوانكم في الدين وشركائكم في الجنسية

واذا كانوا أصابوكم بشيء من الاذى كما تتقولون فقد قال المثل قديما أنفك منك ولو كان أجدع

فاتقوا الله واحذروا أن تنصب عليكم داهية ككسف الليل المظلم لا تجدون منها مخرجا ولا ترجون بعدها فرجا

الا انني لا أخاف على الدولة العلية من رعاياها البلغاريين ولا اليونانيين ولا الارمن ولا العربي المسيحي وانما أخاف عليها العربي المسلم يطمح الى الوظائف ويعمد الى كتاب الله فيستفز العامة بما يؤول من آياته ويحرف من بيناته ولولا نزغات الشياطين لكان العالم الاسلامي كما أمره الله أمة واحدة ولقام بدل المفرقين منهم أمة تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحفظ حدود الله وتصلح بين الناس حتى لايحب أحدهم لاخيه الا ما يحب لنفسه

ولكن « هوالقادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » اه

* * *

(المنار) هذا أول ما كتبه الشيخ عبد العزيز شاويش في جريدة العلم التي هي لسان حال الحزب الوطني إرجافا بالمشروع من غير مشاورة أعضاء مجلس ادارة الحزب ولا لجانه ولكن بأمر محمد بك فريد . وقد جعل في الكلام منافذ لأجل الخروج منها اذا اضطر الى الرجوع عن مقاومة هذا المشروع الاسلامي الجليل فبنى كلامه على « أقاويل » افتجرها وقال انه يستبعدها ، ورأيت بعدها بعض اصحابه يقصدون الى محادثتي في المشروع ويمزجون كلامهم بالتعريض ثم التصريح باستحسان دعوتي إياه ليكون من المؤسسين ويذكرون من الرأي في الاستفادة منه مايذكرون ، وقد ذكر بعضهم من أمره وحاله في عمله الذي هو فيه مالا اذكره ، فقلت لهم ان هذا المشروع يجب ان يكون بعيدا من السياسة والمشتغلين بها فلهذا السبب ولاسباب أخرى لا يمكن أن يكون الشيخ شاويش من المؤسسين لهذا العمل والمديرين له الان ، وقد كنت عازما على استشارته فيه وطلب مساعدته عليه قبل أن يتهور في الارجاف به وتشكيك الناس فيه ، أما وقد فعل فعلته ، فقد أغنانا الله عن مساعدته

بنى الشيخ شاويش إرجافه على الأقاويل المفتجرة وهو يعلم ان جماهير العامة لا يلتفتون الى كلمة الأقاويل المستبعدة ، وكلمة « ان صدقاوان كذبا » وانما يأخذون من جملة الكلام ان هذا المشروع ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب لأنه سيفصل البلاد العربية من جسم المملكة العثمانية ، ويؤسس فيها خلافة المملكة انكليزية ، ! بخ بخ لهؤلاء الزعماء الخادمين للدولة بمثل هذه الدسائس التي كانت شر السيئات الرائجة في سوق السياسة الحميدية

كتب الشيخ شاويش ما كتبه ونحن في ابتداء دعوة الفضلاء المخلصين للاسلام الى العمل فعلمنا ان في الناس من ضعاف الرأي ومقلدة الجرائد الذين هم أتباع كل ناعق من يصدق كل ماينشر فيها لعجزهم عن تمحيص الكلام ، والتمييز بين الممكن والمحال ، فلاجل هذا كتبت المقالتين الآتيتين لانشرهما في الجرائد إبطالا لارجاف جريدة العلم ، وبيانا للمشروع في نفسه ليعلم حقيقته من لم يعلم ،

المقالة الاولى

(التي كتبت رداً على جريدة العلم التي يصدرها الحزب الوطني)

﴿ مشروع العلم والارشاد في الآستانة ﴾

« والدعوة والارشاد بمصر »

(٤١ : ٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

ذكر هذا المشروع في بعض الجرائد محفوفا بأوهام غريبة عنه ونشرت جريدة « العلم » مقالة افتتاحية في العدد الذي صدر في ثامن المحرم ارجف كاتبها فيها بالموضوع إرجافا مبنيا على أقاويل لايجزم بصحتها وكان يسهل عليه ان يراجعني أو يراجع المنار ويرى فيه ما كتبته عن المشروع وأنا في الآستانة بين أولي الامر وأهل الحل والعقد ، وكذا ما كتبته فيه وفي جرائد الآستانة التركية والعربية من المقالات في إزالة سوء التفاهم بين العرب والترك والتأليف بينهم بحجج الاسلام القيمة ، وآيات السياسة البينة

فان كان لم يتح له الرجوع الى صاحب المشروع ولا مراجعة ما كتبه فان صاحب المشروع يكتب بيانا وجيزا يعلم منه خطأ تلك الاقاويل التي بنى عليها كلامه لعله يرجع عنه وينقض تلك الشكوك التي أقامها حول أفضل وأقدس عمل ديني اجتماعي يخدم به المسلمون دينهم وهو الدعوة الى الاسلام ودفع شبهات المشككين فيه والمنفرين عنه وهو فاعل ان شاء الله تعالى ان كان حسن النية فيما أخطأ فيه من قبل

ليست فكرة الدعوة و بث الدعاة الى الاسلام بالفكرة التي حدثت عندي في هذه الايام فيقال إنني أريد أخدم بها جمعية سياسية جديدة ان صح ماأذاعته جريدة العلم ولم نسمعه الا عنها من خبر هذه الجمعية، وإنما هي أمنية قديمة صارت رغبة ثم اقترنت بها العزيمة بعد تمهيد طويل واليك البيان بالايجاز :

كنت في أيام طلبي للعلم في طرابلس الشام أتردد بعد الخروج من المدرسة الى مكتبة المبشرين الامريكانيين اقرأ جريدتهم الدينية و بعض كتبهم و رسائلهم وأجادل قسوسهم ومعلميهم وأتمنى لو كان للمسلمين جمعية كجمعيتهم ومدارس كمدارسهم

ولما هاجرت الى مصر وأنشأت المنار قويت عندي هذه الفكرة وأحببت أن أنبه المسلمين لها فكتبت في جمادى الاولى من سنة ١٣١٨ مقالتين عنوان إحداهما (الدعوة حياة الاديان) وعنوان الثانية (الدعوة وطريقها وآدابها) ونشرتهما في المجلد الثالث من المنار ، وكتبت مقالات أخرى في الرد على كتب وصحف دعاة النصرانية الذين يطعنون في الاسلام عنوانها العام (شبهات النصارى وحجج المسلمين) وكنت أقصد بذلك إعداد النفوس للقيام بهذه الفريضة فريضة الاجتماع والتعاون على الدعوة ، اي انني بدأت بالكتابة في ذلك منذ عشر سنين او اكثر

وفي سنة ١٣٢٣ توجهت نفسي للسعي والعمل فكتبت في المنار مقالة نوهت فيها بالدعوة واشرت الى ماتحتاج اليه من الاستعداد ، وبحثت فيها عن دعوة اليابانيين الى الاسلام ، وكان قد شاع انهم يريدون عقد مؤتمر ديني للبحث عن امثل الاديان وأجدرها بالاتباع ليتبعوه ، وبدأت بالسعي لتأسيس جمعية للدعوة يكون أول عملها إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة ، وجعلت تلك المقالة تمهيدا لذلك فكان لها تأثير حسن في الاقطار الاسلامية شرقيها وغربيها ، و بدأت المكاتبة في ذلك بيني و بين أهل الغيرة من الصين الى بلاد المغرب ، وقد اشرت الى ذلك في الجزء الاول من المنار الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٤ أي منذ خمس سنين

كاشفت يومئذ بهذا الأمر كثيرا من أصدقائي بمصر ورغبت الى صاحب الدولة رياض باشا أن يكون رئيس الجمعية التي تقوم بالاكتتاب لتنفيذ العمل ، والى محمود بك سالم أن يكون كاتب السر لها والى حسن باشا عاصم (رحمه الله

تعالى) ومحمد بك راسم وغيرهما من الفضلاء أن يكونوا أعضاء مؤسسين ، واجتمع بعض من دعوتهم للمذاكرة في ذلك مرارا في ادارة المنار

وشاورت يومئذ أحمد مختار باشا الغازي في العمل فاستحسنه هو و ولده محمود باشا و وعدني ولده بالاشتراك بمئة جنيه في السنة عدا مايدفعه من نفقات التأسيس

ولكن عرض في أثناء السعي دعوة مصطفى كامل بك الغمراوي الى تأسيس مدرسة جامعة مصرية وتلت ذلك العسرة المالية في مصر فوقف الاكتتاب للمدرسة الجامعة ، ووقف أيضا سعيي الى مشروع الدعوة

ثم حدث في سنة ١٣٢٦ الانقلاب العثماني الذي كنا نسعى اليه في الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذي كان مانعا في بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين فعزمت أن أجعل مشروع الدعوة والارشاد في الآستانة لاسباب أهمها أمران (أحدهما) انني أرجو من نجاحه ومساعدته والثقة به بالآستانة في ظل الدستور ما لا أرجوه في مصر التي كنت أتوقع فيها مقاومة الحزب الوطني كما كنت احذر مقاومته في طلب الدستور من السلطان عبد الحميد فاشتغل بذلك سرا (وثانيهما) انني رأيت بلاد الدولة تكثر فيها الفتن باختلاف العناصر والاديان والمذاهب ، وانني أعلم أن لكل طائفة من النصارى العثمانيين مدارس دينية تابعة لبطاركهم على شدة اقبالهم على مدارس دعاة دينهم من الافرنج ، واعلم ان المسلمين هم المحرومون من ذلك ، فقلت في نفسي أن تأسيس المشروع في الآستانة تكون فائدته الاولى ترقية مسلمي الدولة العلية في دينهم ودنياهم والتأليف بينهم و بين أبناء وطنهم ، ومنع أسباب الفتن والخروج على الدولة من أقرب طرقها وهو الوعظ الديني ، وبذلك يكون ارتقاء الامة العثمانية الاجتماعي والاقتصادي سريعا و به تزيد ثروة الدولة وقوتها

رحلت الى الآستانة في أواخر رمضان من سنة ١٣٢٧ بعد مكاتبة في المشروع مع بعض معارفي فيها ومع بعض رجال جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك ظهر لي منها ميلها الى مشروعي حتى انها سألت عن سفري بلسان البرق وتلقتني بالحفاوة في أزمير والآستانة ، وقد اقمت في الآستانة سنة كاملة لا عمل لي فيها الا السعي لهذا

المشروع وحسن التفاهم بين العنصرين المقومين لهذه الدولة وهما العرب والترك اللذان شبهتهما بالعنصرين المكونين للماء أو الهواء ، وقد كتبت في هذه المسألة الاخيرة مقالات نشرت أكثرها هنالك بالتركية والعربية في جريدة إقدام وجريدة كلمة الحق ثم جريدة الحضارة ، ويجدها القارئ كلها في مجلدي المنار للسنتين الماضيتين

عرضت المشروع هنالك على وزراء الدولة وكبرائها من رجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم فاتفقت كلمتهم بعد البحث معي في لجنتين احداهما علمية والاخرى سياسية على أن يصرف النظر عن البحث في مسألة تخريج الدعاة الى الاسلام وان تسمى المدرسة المراد إنشاؤها (دار العلم والارشاد) وجمعيتها (جمعية العلم والارشاد)

وكان وصل المشروع في وزارة حسين حلمي باشا الى حيز التنفيذ إذ قال لي : ان العمل قد تم نهائيا فألف الجمعية حالا ونحن نصرف لكم الآن خمسة آلاف ليرة لأجل الابتداء بالعمل وفي أول السنة المالية نزيد لكم بقدر الحاجة ، ولكن استقالت وزارة حسين حلمي قبل أن نتمكن من تأليف الجمعية

ثم استأنفت العمل في وزارة حقي باشا وقد عرض عليّ ناظر الداخلية وناظر المعارف فيها ان آخذ رخصة المدرسة باسمي وأدع مسألة الجمعية الى فرصة أخرى فلم أقبل وقلت يجوز أن أموت بعد مدة قليلة وحينئذ تصير المدرسة لورثتي وهم ليسوا أهلا لهذا العمل فلا بد من جمعية دائمة

وقد فوضت اليهم اختيار الاعضاء المؤسسين فاختارهم ناظر المعارف مع مدير شعبة الالهيات والادبيات في دار الفنون من صفوة رجالهم في المشيخة الاسلامية ومجلس الامة ونظارات الحكومة وقد ذكرت أسماءهم في الجزء السادس من المنار الذي صدر في آخر جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ ومنهم شيخ الاسلام الحال (وكان من أعضاء مجلس الاعيان والمدرسين) ومستشار المشيخة، واقترح بعض الاعضاء أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف للجمعية فقبلت

* * *

قال صاحب مقالة جريدة (العلم) في مقالته التي أرد عليها بعد ذكر رحلتي الى الآستانة وعرض المشروع على أولي الشأن ما نصه :

« رحب رجال الدولة بهذا المشروع وأرادوا أن يحلوه محله الطبيعي بجعله تحت رعاية شيخ الاسلام الذي له دون سواه الاشراف على المعاهد الدينية فأبى ذلك صاحب المشروع وزادهم نفورا منه فيما يقولون ما اتصل بهم (ان صدقا وان كذبا) من إفراطه في الاشتغال بالمسألة العربية وإغراقه في التحرش بالاتراك. لقد كان يبلغهم ذلك فيظنون بالشيخ الظنون ويخشون مغبة تسليمه مقاليد تلك المدرسة فأبوا الا أن تلحق بالمشيخة وهم الآن فيما نعلم يشتغلون باقامتها » اه

أقول (١) قول الكاتب انهم رحبوا بالمشروع - يعني المشروع الذي عبر عنه بالتبشير الاسلامي - غير صحيح وانما رحبت وزارة حسين حلمي باشا بمشروع تربية المرشدين الذين يكونون وعاظا ومعلمين للمسلمين لشدة الحاجة اليهم في بلاد الدولة العلية وأراد ان ينفذه كما اقترحت من غير ان يكون لشيخ الاسلام رأي فيه ولا إشراف عليه

(٢) لما سقطت وزارة حلمي باشا بقيت بضعة أشهر أراجع وزارة حقي باشا حتى اقتنعت بوجوب تنفيذ مشروع العلم والارشاد - لا الدعوة والارشاد - بواسطة جمعية لا بواسطة شيخ الاسلام وتأسست الجمعية وصدقت عليها الحكومة رسميا وقانونها أو نظامها الاساسي مطبوع في المنار (ج ٦ م ١٣)

(٣) ان كون المشروع في يد جمعية من خيار رجال العاصمة ينافي ان يكون بيدي فلا محل لخوفهم مني ان صح انهم سمعوا عني ماينفرهم ، فان كان جعل المدرسة تابعة للمشيخة مبنيا على عدم الثقة فانما ذلك عدم الثقة بالجمعية التي ألفوها لا بعضو واحد له فيها صوت واحد وان كان هو صاحب المشروع

(٤) الحق الذي وقع هو انه لم يقترح أحد من رجال الدولة جعل هذا المشروع تابعا للمشيخة بل كانوا كلهم متفقين على جعل المدرسة من المدارس التي يسمونها (المكاتب الخصوصية) وعلى ان فائدتها بأن لاتكون من مدارس الحكومة الرسمية (ولا أزيد على هذا الآن)

(٥) انا بعد تأسيس الجمعية وتصديق الحكومة عليها طلبنا من شيخ الاسلام ان يستنجز الحكومة ماوعدتنا به من المال فقال لنا بعد ان ذاكر الصدر الاعظم

واتفق معه على ذلك ا كتبوا ماتريدون من المساعدة فكتبت صورة مذكرة وترجمها كاتب الجمعية العام بالتركية وأعطيناه إياها فأمر بتبييضها ثم ختمها وأخذها بيده الى الباب العالي وبقيت انا ألح بعرضها على مجلس الوكلاء لاجل تقريرها زمنا طويلاحتى عرضت و بشرني شيخ الاسلام وناظر الاوقاف بقبولها وصدور القرار الرسمي بمقتضاها

(٦) كان هذا في شعبان من السنة الماضية وفي الاسبوع الاول من رمضان بلغنا شيخ الاسلام صورة القرار الذي قرره مجلس الوكلاء فاذا فيه ان المدرسة تكون لها لجنة تحت ادارة ومسؤلية شيخ الاسلام ، ولم يطرق سمع أحد من أعضاء الجمعية هذا الرأي الا في أوائل رمضان وهو الشهر المتمم للسنة من سعيي للمشروع هناك

(٧) لم أكن أنا الذي اعترضت وحدي على هذه الفقرة من القرار بل اجتمعت جمعية العلم والارشاد بدار الفنون بعد ظهر يوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ١٣٢٨ وقررت باتفاق الآراء الاعتراض على قرار مجلس الوكلاء و بلغوا شيخ الاسلام قرارهم بالكتابة الرسمية فقال حفظه الله تعالى ان الاعتراض في محله (حقكز وار) اي معكم الحق، وانه سيراجع الباب العالي ويقترح تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل مدرسة (دار العلم والارشاد) خاصة بالجمعية التي الفت لاجلها . وكذلك قال ناظر المعارف ووعد . وقال لي احمد نعيم بك بابان العضو في مجلس المعارف وفي مجلس إدارة الجمعية اظن ان الناظر كتب بالفعل الى الباب العالي يقترح تعديل القرار

**

هذا نبأ وجيز من تاريخ المسألة وهو يدحض جميع تلك « الاقاويل » و« الاشاعات » التي بني عليها كلامه كاتب تلك المقالة في جريدة العلم ومنه يعلم كل من له مسكة من الاستقلال في الفهم والرأي انه لامجال للظنون والاراجيف في هذا المشروع العظيم ولا في سعي هذا العاجز الضعيف اليه ، وهل يعقل أن أترك عملي الكثير بمصر وأقيم سنة كاملة في الآستانة وأخسر من المال والوقت ما لا غنى لي عنه الا لشدة اخلاصي في خدمة ديني ودولتي كما سبق لي منذ قدرت على خدمتها

اما ما قيل « ان صدقا وان كذبا » من افراطي في الاشتغال بالمسألة العربية

فليعلم ذلك الكاتب انه من الكذب والبهتان وهو أغرب من اتهام الحزب الوطني بخدمة الانكليز في المسألة المصرية وتمهيده السبيل لامتلاكهم مصر . وذلك ان كتاباتي في محاربة العصبية الجنسية في الاسلام وفي اخوة المسلمين العامة وفي التأليف بين العرب والترك خاصة منبثة في ثلاثة عشر مجلدا ضخما من المنار وفي أربعة مجلدات من التفسير ولا أطيل في هذه المسألة البديهية فانما غرضي في هذا المقال بيان ما لا بد منه من أمر مشروع الارشاد في الآستانة العلية ليعلم انه لا مجال للاشتباه فيه وأن ما تقرر هنالك لا يغني عن انشاء مدرسة للدعوة الى الاسلام هنا

وسأبين في مقال آخر جوهر المشروع المتفق على إنشائه هنا وانه لامجال فيه ايضا للاراجيف والظنون وانه لايعارضه ولا يناهضه الا عدو للاسلام والمسلمين، اوحاسد للعاملين ، فاصبر ان الله مع الصابرين

وما سكتنا عن بيان المشروع في الجرائد لانه سري أو لان فيه شيئا سريا وانما هو في طور التكوين ، فمتى تم تكوينه بيناه للناس أجمعين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ،

المقالة الثانية

وهي المقالة التي أرسلتها الى الجرائد في بيان المشروع ووجه الحاجة اليه برأي الجماعة التي تسعى معي في تنفيذه

﴿ مشروع الدعوة والارشاد في مصر ﴾

(٤ : ١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(١٦ : ١٢٥) أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

الدعوة الى الاسلام فريضة اذا تركها المسلمون يكونون كلهم عصاة لله تعالى مستحقين لعذابه واذا قام بها بعضهم سقط الحرج عن الباقين

والدفاع عن الاسلام عند ظهور الشبه والقاء الشكوك في عقائده وأصوله فرض أيضا فاذا سكتوا عنه حيث يظهر كانوا عصاة لله تعالى مستحقين لعذابه واذا قام به بعضهم وحصلت بهم الكفاية سقط الاثم عن الباقين

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الحاجة من فرائض الكفاية أيضا فاذا سكت المسلمون عنه حيث يترك المعروف من الفرائض والسنن ويظهر المنكر من البدع والمعاصي كان جميع المسلمين هناك آثمين مستحقين لعذاب الدنيا بذهاب عزهم ومجدهم، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون، واذا قام به من تحصل بهم الكفاية سقط الحرج عن الباقين

هذه مسائل مجملة مجمع عليها بين المسلمين الذين يعتد باسلامهم ولها تفصيل وجزئيات معروفة في مواضعها من كتب الدين بشروطها وأدلتها

وقد اهملت هذه الفرائض في زماننا هذا إهمالا لم يسبق له نظير كما ان الحاجة اليها قد اشتدت اشتدادا لم يسبق له نظير في تاريخ الاسلام

فشا الجهل بين المسلمين وكثرت فيهم البدع والخرافات وقل الوعاظ والمعلمون الذين يتصدون لارشاد العامة أو فقدوا (اللهم الا الدجالين المحتالين على التجارة بدينهم) وانبثت دعاة النصرانية في جميع شعوبهم يشككونهم في دين الاسلام ويطعنون في كتابه المنزل، وفي نبيه المرسل، ويبثون مطاعنهم بالخطب في المحافل العامة، والتعليم في المدارس الخاصة، والوعظ في الملاجىء والمستشفيات، وبكتب ورسائل يطبعونها وينشرونها في الناس، وأكثر المسلمين عوام أميون لا يميزون

بين الحق والباطل، ولا بين الصادق والكاذب، مايعزى الى دينهم والى علمائهم، ووراء ذلك أموال تبذل للمرتدين، تغر الطامعين الجاهلين

فصار من الواجب المحتم عليهم في كل البلاد ان يقاوموا هذه الشكوك والشبهات دفاعا عن دينهم، وأن لا يكتفوا بالدفاع كما هو شأن الضعيف بل يزيدوا عليه تعليم عامة المسلمين حقيقة دينهم، ويدعوا غير المسلمين ولا سيما الوثنيين، الى هذا الدين القويم، دين العقل والفطرة، المصدق لجميع الرسل، الجامع بين مصالح الروح والجسد، المؤدي الى سعادة الدنيا والآخرة

يجب ان تقاوم هذه القوة المهاجمة لهم بمثلها وأنى لهم مع هذا التخاذل والتواكل والتحاسد والتباغض أن يأتوا بمثلها

ان لكل مذهب من مذاهب النصرانية جمعيات دينية غنية بالهبات والتبرعات، ولهذه الجمعيات فروع كل فرع منها موجه لتنصير شعب من الشعوب — فمنهم الموجهون لتنصير العرب يتعلمون العربية ويتقنونها أكثر من أهلها ويؤلفون الكتب بها ويعلمونها في مدارسهم وهم منبثون في البلاد العربية الآسيوية والافريقية، ومنهم الموجهون لتنصير الفرس والموجهون لتنصير الترك والموجهون لتنصير الهنود ولتنصير الجاويين الخ

يشعر المسلمون في مصر بالألم والامتعاض عندما يرون جريدة من جرائد هؤلاء الدعاة أو كتابا من كتبهم أو رسالة من رسائلهم تطعن في دينهم، يتألمون لانهم يعدون هذا إهانة لهم وقلما يخطر في بال أحد منهم ان بعض المسلمين ينخدع بها فيشك في دينه أو يخرج منه، لأن ضروريات الاسلام معروفة هنا بين العامة في الجملة ومعرفتها كافية لرفض كل ما يخالفها والإعراض عنه، ويزيدهم قلة مبالاة مايرونه من المطاعن الجديرة بالسخرية كالكتاب الذي نشرته المكتبة الانكليزية بمصر لقسيس انكليزي ذكر فيه سورة زعم أنها كانت سقطت من القرآن أو كتمت، وما تلك السورة بسورة وانما هي كلام ركيك تتبرأ منه الفصاحة والبلاغة بل اللغة العربية

الا فاعلموا أيها الاخوة ان هذه الجمعيات قد انتزعت في مصر نفسها أفراداً من المسلمين ونصرتهم ولكنكم لاتشعرون بهم لقلتهم فماذا ترونها تفعل في غير مصر من البلاد التي لايعرف فيها الاسلام كما يعرف بمصر ولا يوجد فيها من يدافع عنه كما يوجد في مصر

جاءني في كتاب من سائح مسلم مشهور بسنغافوره بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣٢٨ مانصه : « اني قد ترددت الى جاوه ومتعلقاتها منذ ثلث قرن وقد تبين لي ان دعاة النصرانية قد اضروا بالاسلام وأهله لتغلب الجهل عليهم لمنع الحكومة الهولندية دخول الدعاة الى الاسلام ، وحجتها انهم ليسوا علماء بل دجاجلة وكل من منعته أو طردته ليس من متخرجي المدارس ،ولقد هالني جدا مارأيته في سياحتي هذه فان الداء قد تمكن وفتك بالاهالي فتكا ذريعا مهولا ، و بالجملة أقول ان المتنصرين سنويا من مسلمي جاوه ومتعلقاتها - هنديندرلند - لا يقلون عن مئة الف إنسان ، واذا دام هذا عادت جاوه اندلسا ثانية ﴿ الى ان قال بعد لوم العرب الذين هنالك على سكوتهم عن هذا الامر ﴾ ولو وجد عالم له إلمام بفن الدعوة و بعض معرفة بلغة أور باوية وكان ذا عقل واعتدال وساح في هذه النواحي لأوقف هذا التيار الجارف ، فكيف لو وجدت بعثة كالبعثات الاوربية »

ثم جاءني منه كتاب آخر جوابا عن كتاب أرسلته اليه مبشرا إياه بالسعي لانشاء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام ، وصل الي في ١١ المحرم الحال وقد كتب في ٢٤ ذي الحجة الماضي وفيه مانصه :

« أماماذكرته لكم من فتك دعاة النصرانية بأهل هذه النواحي فصحيح لامرية فيه بل الامر أشد وأكبر ولاسيما في جزائر تيمور ريتو وسليبس وبندقيني وفلفاني ولاقوة الا بالله ، - الى ان قال - اما ماعرفتموه من عدم سريان سموم أولئك الادعياء في الاقطار التي عرفتموها فله أسباب كلها لاتوجد هنا من تصلب الاهالي ووجود شيء من العصبية وقليل من العلماء و بصيص من نور التمدن وكثرة قراء المجلات ونحو ذلك

« ولو عرفتم ماعرفته عن حال من بهذه الجهات لعجبتم من بقاء عشرات الملايين على الاسلام مع ماهم فيه من الجهل وما يعرض عليهم من الاعانات ان تنصروا .

« وأسأل الله ان يمدكم بعونه وتوفيقه ليتم لكم إقامة جمعية - الدعوة والارشاد - ويطيل عمركم حتى تروا ثمرتها ونفعها للاسلام وأهله ، وأرى ان لو كاتبتم أهل الهند ولاسيما رؤساء ندوة العلماء لمدوا لكم يد المعاونة لكان حسنا » اه

لا يوجد قطر من الاقطار الاسلامية الا وعنده من أنباء هؤلاء الدعاة في بلاده ما يحرك غيرته الدينية ويذكره بما يجب عليه لدينه من القيام بمثل ذلك، ولكن المسلمين أصيبوا بأمراض اجتماعية حتى صاروا على شدة تمسكهم بدينهم وغيرتهم عليه أبعد أهل الملل عن التعاون والاجتماع لخدمته ، واذا قام فيهم من يريد خدمة الاسلام لا يلقى الخاذلين والمقاومين له الا من المسلمين إما من باب السياسة وفتنها و إما من باب الحسد، وهم يتهمون غيرهم ولاسيما الاوربيين بالمقاومة التي كفوهم أمرها والصديق الجاهل أضر من العدو العاقل

ولكن حوادث الزمان وأحداثه قد نبهت المسلمين في جميع أقطار الارض وحفزت هممهم الى التعاون على إحياء دعوة الاسلام والدفاع عنه وارشاد عامة أهله الى ما يجب عليهم في هذا العصر من الاستمساك بآدابه وأعماله ومباراة الامم الأخرى في العلم والمدنية مع الحكمة والمودة والسلام العام بين اهل الملل

قد قطع الاوربيون حجتنا بمثل ما نقله السائح عن حكومة هولنده في جاوه وما قاله لورد كرومر في بعض تقاريره عن دعاة النصرانية في السودان(* فلم يبق لأحد منا حجة في تعصب الاوربيين، وأما من يخافون من حسد جهلة المسلمين والمارقين منهم فليعلموا أن هؤلاء لا قوة لهم الا بالأراجيف وسفه القول وليس

*) جاء في الفصل الذى عقده اللورد في تقريره عن السودان سنة ١٩٠٤ انه كتب الى جمعية التبشير للكنيسة الانكليزية كتاباً يدعوها فيه الى التبشير في أقاليم السودان الجنوبية ويخبرها أنه خصص لها قسم كبير من تلك البلاد في الوقت الحاضر - كما خصصت أقسام أخرى للمبشرين النمساويين والامريكيين . وقال انه ذكر في كتابه الى تلك الجمعية الجملة الآتية التي أوردها افادة للقراء من المسلمين وهي

« لم يطلب أحد حتى الآن رخصة لانشاء مدراس في جنوب السودان على نفقته تعلم فيها فرائض دين الاسلام ولو طلب أحد ذلك لحل طلبه محل القبول . أقول ذلك اظهاراً لخطة الحكومة ودفعا لكل وهم فان غرض الحكومة التعليم والتهذيب لاغير فعلى الذين يتبرعون للدخول في هذا العمل على نفقة الجمعيات أو الافراد أن يتقنعوا من مقاصد الحكومة وينشروا معها تعاليمهم الدينية »

هذا بعذر شرعي يسقط هذه الفريضة بل الفرائض التي بيناها في صدر المقال

هذا العمل لا يمكن أن تقوم به الحكومات لما يحدث فيه حينئذ من فتن السياسة ولأن الحكومات لا تربي أرواحا بل عمالا، ولا الأفراد لضعفهم، والشرع قد أوجب علينا أن نقوم به مجتمعين بقوله «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» الآية ولم يوجد في دين من الأديان التصريح بمثل هذا في افتراض الاجتماع لهذا العمل، وما يعضده في القرآن الحكيم من الأمر بالتعاون والاعتصام، وقد دلت التجارب على ذلك في غيرنا من الأمم، فلهذه الاوامر الدينية والأسباب الاجتماعية استخار الله جماعة من أهل الغيرة من المسلمين المقيمين بمصر وشرعوا في التوسل الى انشاء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام والمرشدين للمسلمين وإقامة تلك الفرائض وسيعلنون الدعوة الى التعاون على ذلك عن قريب

مدرسة الدعوة والارشاد

نبين للناس أهم ما تقرر بين الجماعة المشتغلة بتأسيس هذه المدرسة بادئ بدء الى أن يصدقوا على قانونها فننشره

(١) يختار طلاب هذه المدرسة من طلاب العلم الصالحين من مسلمي الاقطار ويفضل الذين هم أشد حاجة إلى العلم على غيرهم كأهل جاوه والصين وما عدا القسم الشمالي من افريقية

(٢) المدرسة تكفل لهم جميع ما يحتاجون اليه من الغذاء والمنام والكتب

(٣) يعتني بتربيتهم على آداب الاسلام وأخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من ثبت عليه الكذب أو إظهار العصبية الجنسية أو المذهبية أو ارتكاب شيء من المعاصي، وعلى قيام الليل وصيام أيام من كل شهر وعلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن مع التدبر

(٤) يعلمون كل ما يحتاج اليه الدعاة من العلوم الدينية كالعقائد والتفسير والحديث والأحكام على الوجه المؤدي الى القدرة على إقامة الحجة ودحض الشبهة وما يحتاجون اليه من العلوم الرياضية والكونية واللغات لأجل ذلك

(٥) لا تشتغل المدرسة ولا الجماعة المديرة لها بالسياسة المصرية ولا العثمانية ولا سياسة الدول الأجنبية مطلقا

(٦) يرسل الدعاة والمرشدون الذين يتخرجون في المدرسة الى أشد البلاد الاسلامية حاجة اليهم كجاوه والصين، ثم الى الشعوب الوثنية، ثم الى أمريكة وأوربة من البلاد الكتابية، ولا يرسل أحد منهم الى الولايات العثمانية لما يترتب على ذلك من اعتراض غير المسلمين وتهويشهم على الدولة وان كان لكل مذهب من مذاهبهم دعاة في تلك الولايات والعلم بأنه سيوجد في الاستانة مدرسة لاجل تخريج المرشدين لتلك الولايات دون الدعاة الى الاسلام

(٧) سيبدأ المؤسسون بجمع الاعانات للقيام بهذا العمل ثم يفتحون باب الاشتراك الدائم لاجل استمراره ويرجون نجاح السعي بما يجود به أهل الخير والبر من الاشتراكات والتبرعات والهدايا والوصايا والاوقاف التي يرجى أن توقف على هذا العمل

(٨) نشرت هذا البيان بعد استشارة المتعاونين على تنفيذ هذا المشروع واستحسانهم، وسينشر قانون المشروع الاساسي بعد التصديق عليه مذيلا بأسماء المؤسسين

محمد رشيد رضا

* * *

اصرار جريدة العلم على الارجاف

أرسلنا المقالة الاولى من هاتين المقالتين الى جريدة العلم وعزمنا على أن لا نرسلها الى غيرها اذا هي نشرتها لانها رد عليها أرسلناها مع صديق لنا ولزعماء الحزب الوطني فوعد الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير العلم في يوم الاثنين ١٥ المحرم بنشرها والتعقيب عليها ثم اكد الوعد يوم الثلاثاء واعتذر عن التأخير ولكن بلغنا انه حصل خلاف بينه وبين محمد بك فريد رئيس الحزب الوطني في أمر نشرها فكان رأي رئيس الحزب أن لا تنشر لأنها تفيد المشروع قوة والمراد سحقه قبل أن يقوى وكان رأي رئيس التحرير أن تنشر ويعقب عليها بشدة

تقوي الشبهة في المشروع وتزيده وهنا على وهن ، وقد انتظرت الى يوم الاربعاء فلما رأيت جريدة العلم خلوا منها أرسلتها مع المقالة الثانية الى جميع الجرائد اليومية العربية في مصر والاسكندرية في مساء هذا اليوم

المقالة الثانية للعلم

وفي صبيحة يوم الخميس ١٨ المحرم صدر العلم وفيه المقالة، وفي فاتحة باب الحوادث والاخبار منه ثلاثة أعمدة في سبي وشتمي و وصفي بالعجز والضعف مع الارجاف والايهام بقوله « لو ان العلم شاء لبسط للناس كيف ذهب صاحب المشروع الذي هو « أقدس وأفضل عمل ديني » الى السير غورست ليعرض عليه مشروعه فيحظى برضاه وينال إسعاده ولو شاء العلم لبين للناس ما في ذلك من المخازي والمآرب المكنونة »

لو كان في هذه الشتائم والاراجيف شبهة على الموضوع لنشرناها كما نشرنا مقالة العلم الاولى على وهنها وضعفها ولكن فيها أمرين يحسن ذكرهما والجواب عنهما . أحدهما الارجاف بعبارته التي نقلناها آنفا ، والثاني تخطئة العلم إياي بقولي انني كنت اتوقع مقاومة بعض رجال الحزب الوطني في هذا المشروع كما كنت أحذر مقاومتهم إياي في طلب الدستور من السلطان عبد الحميد

أما الاول فأقول فيه انني لم أذهب الى السير غورست لأحظى برضاه وأنال إسعاده ومعونته على المشروع كما أرجف الكاتب، وأصرح بأعلى صوتي ان غاية ما أرجوه وأتمناه من الانكليز ان لا يقاوموا المشروع في مصر والهند لانني أرجو من مساعدة المسلمين في هذين القطرين ما لا أرجوه من غيرهما فاذا قاومه الانكليز فيهما فلا شك في انه يفوتنا من المساعدة ما لا غنى لنا عنه . على انه لا يوجد عاقل في الدنيا يقول ان طلب المساعدة على عمل نافع ممن لا نفع له فيه نفسه ولا لقومه يخرج ذلك العمل عن وضعه ولا سيما اذا كانت المساعدة المطلوبة سلبية كعدم المقاومة . مثال ذلك الجمعية الخيرية الاسلامية طلبت المساعدة في السنين الخالية من العميد الانكليزي ومن غيره من الاجانب وكانت ولا تزال تأخذ من هؤلاء في كل سنة شيئا من النقود فيما أعلم فهل صارت الجمعية بذلك خادمة للانكليز وضارة بالمسلمين ؟؟ ونحن لا نطلب من غورست ولا من غيره من الاجانب ولا غير المسلمين من

الوطنيين مساعدة مالية ولا أدبية وانما نطلب منهم ان لا يكونوا ضارين لنا ولا مقاومين لمشروعنا كما يقاومه بعض المسلمين ولا يبعد ان تنال هذه الامنية السلبية منهم فقد قال الاستاذ الامام وحلف على قوله بالله انه لم يقم بمشروع ينفع المسلمين ووجد له مقاوما فيه من الانكليز ولا من القبط ولا من نصارى السوريين ولكنه لقي المقاومة في كل مشروع أراد به خدمة الاسلام من المسلمين أنفسهم . أقول ومن ذلك انهم وشوا بالجمعية الخيرية الى الانكليز بأنها تمد مهدي السودان بالمال ليحارب به مصر والانكليز ، وهاجت جريدة اللواء عليه وعليّ اليهود عند تفسير بعض الآيات المتعلقة بهم في كتاب الله عز وجل . . .

إذا أثبتنا لرئيس تحرير العلم ان شيخ الازهر أو بعض أعضاء إدارته زار الوكالة البريطانية ولورد كرومر فهل يعد هذا حجة على كون الازهر صار خادما للانكليز ، وقد علمنا ونحن في الاستانة إن بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي يختلفون إلى بعض السفارات كاختلاف حسين جاهد بك وإسماعيل حقي بك بابان الى سفارة روسية فهل يسمح لنا محرر العلم المنطقي أن نستدل بذلك على خيانة الجمعية للدولة العلية ؟؟

وأما الثاني فسببه ان مدير جريدة اللواء كان مقاوما لي منذ سنته الاولى وسبب ذلك أنني انتقدت عليه عند ظهوره أمراضا فقلت في ص ٦٠٧ من مجلد المنار الثاني ما نصه:

«وقد انتقدنا عليها أمرا ذا بال وهو الارجاف بأن بعض الناس يسعون في إقامة خلافة عربية كأن الخلافة من الهنات الهينات ، تنال بسعي جماعة أو جماعات ، ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الأعلى بأكثر من هذا الارجاف .

« مقام الخلافة اسمى من أن يتطاول اليه أحد وقد سلم السواد الاعظم من المسلمين زمامه لبني عثمان تسليما ، والرابطة بين الترك والعرب هي (كما قال المرحوم كمال بك الكاتب الشهير) موثقة بالاخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وحده ، وان كان أحد يطمع في ذلك فهو الشيطان .

«ويعلم كل خبير بحال هذ الزمن انه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان :رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش وأكل السحت أو التحلي بالوسامات والالقاب

الضخمة ، ورجل اتخذه الأجانب آلة لخداع بسطاء المسلمين بايهامهم أن منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأي أمير أن يناله ولأية جمعية أن تزحزحه عن مكانه ، ليزيلوا هيبته من القلوب ، ويقنعوا نفوس العامة من الاغرار ، بامكان تحويله في وقت من الاوقات ، وبأن المسلمين ليسوا راضين من الخلافة العثمانية جميعا » الخ

هذا ما كتبناه في الانتقاد على اللواء عند ظهوره أي من إحدى عشرة سنة وشهور وانه لم يظهر لنا في كل هذه المدة أن الاجانب اشتغلوا بهذه المسألة ، بل الذي ظهر أن الارجاف والافساد لم يكن الامن الطامعين في دنانير السلطان عبدالحميد وأوسمته ورتبه ، المتوسلين اليها بدعوى الاخلاص له ولدولته ، أو الانتقام ممن يسلطون عليهم عقارب سعايتهم ، ومن يريد بالمسلمين سوءا من الأجانب لايحتاج الى سعي ولا عمل فحمقى المسلمين يكفونه كل سعي

كبر انتقادنا هذا على جريدة اللواء في ذلك الوقت فصارت كلما سنحت الفرصة تنتقم منا ضروبا من الانتقام حتى انها نشرت في سنة ١٣٢٣ مقالة في العدد الـ ١٧٥٤ ثم بعد أسبوع نشرت مقالة اخرى في ع ١٧٦٢ زعمت انها جاءتها من جاوه تؤيد المقالة الاولى وتستدرك عليها ، توهم قراءها بذلك ان في جميع البلاد الاسلامية أفرادا يشايعونها على الطعن فينا ، ولم يخطر لمديرها ولا لمحرريها ولا لمصححيها أن البريد الى جاوه غدوه شهر ورواحه شهر تقريبا فكيف يصدق العارفون بتقويم البلدان من قراء اللواء أن العدد الاول يصل الى جاوه ويكتب الكاتب ما يكتب في استحسان تلك المقالة والاستدراك عليها وتصل رسالته الى مصر وتنشر ويتم ذلك كله في أسبوع واحد ؟؟ وزاد طعنها فينا معاداتها للاستاذ الامام ودفاعنا عنه كما هو مشهور

هذا التحامل علينا من جريدة اللواء الذي استمر من أول انشائه الى سنة ١٣٢٣ التي أردت فيها تنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وتلك التهم التي كانت تشيعه عن مسألة الخلافة العربية لتنتقم بها لدى السلطان عبد الحميد ممن تتهمهم بها ، وذلك الاطراء الذي كان يطري به مدير اللواء ذلك السلطان المخرب للمملكة حتى انه

قال مرة مامعناه انه ينبغي لكل مسلم أن يضيف الى الشهادتين بوحدانية الله ورسالة خاتم النبيين شهادة ثالثة بخلافة عبد الحميد — ذلك كله كان هو السبب في حذرنا من مقاومة الحزب الوطني في مشروع الدعوة الى الاسلام وفي مقاومة سياسة عبد الحميد ومطالبته بالشورى والدستور في (جمعية الشورى العثمانية)

ولو شئت ان اشرح هذه المسألة وأنشر ما صار مطويا في صحائف اللواء من مدائح عبد الحميد وتقديسه ومن الارجاف بمسألة الخلافة العربية لاجل التزلف إلى المابين لامكنني ان أكتب في ذلك مؤلفا حافلا ولا سيما إذا اضفت الى ذلك بعض الوقائع كإنكار محمد بك فريد على صاحب المؤيد نشره مقالاتي في إصلاح الدولة العلية منذ ثنتي عشرة سنة لان ذلك يسيء السلطان و ...

ان الذين كنت أحذر مقاومتهم وسميتهم الحزب الوطني هم مدير اللواء و بعض محرريه ومحمد بك فريد و بعض مقلديه ولا أعني أحدا غيرهم ممن اتصلوا بهم للمطالبة بجلاء الانكليز عن مصر وجعل الحكومة المصرية دستورية ولا يهمهم غير ذلك كالانتقام الشخصي ومقاومة كل مشروع نافع يقوم به غيرهم. ومن العجائب ان تطالبني جريدة العلم بالدليل على ما كان من حذري وتوقعي مقاومة من ذكرت للمشروع في نفس العدد ونفس المقالة التي تقاومه هي فيه ، فاذا كان رئيس تحريرها ومن على رأيه من المحررين قد نسوا ما نشروه في جريدتهم منذ أقل من أسبوع كما نسي سلفهم الصالح المدة بين تينك المقالتين في اللواء اللتين أشرنا اليهما آنفا فهل نسوا المقالة التي نزهوا فيها أنفسهم عن المقاومة وهي ما أنشئت إلا للمقاومة !!! يقولون الآن ان عندنا « أقاويل » أو « إشاعات » أو شبهات على ان هذا يراد به غير ظاهره ، وهذا عين ما كنت أحذره منهم من قبل اذ المقاومة لمثل هذا المشروع لا تكون الا بمثل هذه « الاقاويل » والأراجيف « شنشنة أعرفها من اخزم »

على أنني كنت أظن في هذه المرة أن زعماء الحزب الوطني لا يقاومون هذا المشروع لأن لهم في شغل الحزب وقد تكوّن ونمي ما يشغلهم عن انتقام هو في الحقيقة جهاد في غير عدوّ وقد مرت السنين وليس بيني وبينهم ما يسوء ولأن

الشيخ عبد العزيز شاويش هو رئيس تحرير جريدتهم (العلم) وما كنت أظن انه يقدم على الارجاف بهذا المشروع الجليل بناء على الأقاويل والأوهام . فاذا كانوا قاوموا في الحال التي حسن ظني بهم فيها فكيف كان يكون شأنهم في الأيام التي توفرت فيها الدواعي على المقاومة

هذا وانني أبرئ كل عضو من أعضاء هذا الحزب عن مشايعة اللذين أو الذين تصدوا للمقاومة الامن كان أمعة لا روية له ولا استقلال – وأرجو وقد بينا لهم المشروع – أن يثوبوا الى رشدهم ، ويتوبوا الى ربهم ، فان لم يفعلوا اليوم فسيندمون بعد ظهور المشروع للوجود وقيام حزبهم عليهم باللائمة والتفنيد ، وما ذلك من المستعجلين يبعيد

ولا بأس أن نفكه القراء وقد استولى عليهم الحزن من خذلان المسلمين بعضهم لبعض بقول الشيخ عبد العزيز وهو يكتب باسم الجريدة التي هي لسان حزبه « فان كان الذي أغضب الاستاذ نسبتنا تلك الفكرة الى أستاذنا المرحوم الشيخ عبده الذي كان لا يلقبه في حياته الا بأمثال « الاستاذ الحكيم والاستاذ الامام وفيلسوف الاسلام » فليخفف عن نفسه قليلا فانما أول من جاء بهذا الأمر منزل القرآن » اه اقرءوا واسمعوا واضحكوا ! ! ولا تعجبوا من قوله كان يلقبه في حياته وأنتم ترون هذا التلقيب في المنار بعد مماته أكثر ورودا في المنار فمكابرة الحس لا تعد عجيبة من هؤلاء الناس ولكن احمدوا الله معي ان صاروا يعترفون بأن الاستاذ الامام أستاذهم فالحمد لله على ذلك بعد ان كان معظم ما نالني من اذاهم سببه دفاع تهمهم عنه رحمه الله تعالى كما تعلمون من مجلدات المنار .

انا لم اقل في ردي عليهم ان الاستاذ الامام لم يفكر في هذا الأمر ولا ذكرته لان الكلام كان مسوقا لبيان ان هذا المشروع ليس جديدا عندي فيصدق انني أريد ان اخدم به الجمعية السياسية التي لم نسمع بخبرها الا من « العلم » ولكنني وانا الذي نشرت مناقب الاستاذ الامام في الشرق والغرب اقول إنني لم اسمع منه رحمه الله تعالى كلمة تدل على انه يريد تأسيس جمعية ومدرسة لهذا المشروع في مصر ولا على انه يتمنى ذلك في الآستانة وانما كان يرجو ان يصلح الازهر

فيكون للمسلمين منه كل ما يحتاجون اليه في أمر دينهم ومنه الاستعداد للدعوة الى الاسلام ، ولم اسمع منه شيئا في ذلك بعد تركه للازهر ،

واقول إنني لا اشك في تفكير كثير من مسلمي الاقطار في هذا المشروع كما فكرت فيه ، وقد اشرت في المقالة الاولى الى تاريخ هذه الفكرة عندي والى بعض ما كتبته من التمهيد لها وانني لم استقص في تلك الاشارات وقد تذكرت الآن حديثا في ذلك دار بيني و بين شيخ الجامع الازهر وذكرته في عدد المنار الذي صدر في شهر المحرم سنة ١٣١٩ اي منذ عشر سنوات كاملة ذكرت فيه للشيخ شيئا عن الجمعيات الدينية في فرنسة وثروتها وأعمالها وتوقف حفظ الدين الاسلامي على مثل هذه الجمعيات المالية التي تجمع بين الدين والعلوم الكونية وقلت له هذه العبارة « وان هذا ما يدعوا اليه المنار » فليراجع ذلك من شاء في أول ص ١٥٨ من مجلد المنار الرابع

* * *

مقالة العلم الثالثة

بعد نشر مقالتنا الثانية في بعض الجرائد اليومية رجعت جريدة العلم عن الارجاف بكون مدرسة الدعوة والارشاد تنشأ لهدم الخلافة العثمانية وتأسيس خلافة انكليزية ونشرت في صدر عددها الذي صدر يوم الاحد ٢١ المحرم المقالة الآتية بنصها وهي

﴿ مدرسة الدعوة والارشاد الاسلامي ﴾

نشرنا في هذا الباب ما نشرنا وكنا نحسب انه غنية لمن كان مخلصا من رجال هذا المشروع ولكننا نجد في كل يوم أفرادا يكثرون من اللغط ويطرحون علينا أسئلة الاستنكار والاستهجان زاعمين أننا أتينا بدعا من الرأي وزورا من القول فلا بد لنا من كلمة ثالثة في الموضوع تزيده إيضاحا وتبيانا

يعلم المفكرون ان أوربا كل يوم ترمينا بتلك التهمة الباطلة تهمة التعصب الديني والجامعة الاسلامية

طالما رمتنا بذلك وكم جنت من وراء هذه التهمة التي انما تختلقها لتنال بها

مآربها من العالم الاسلامي فتلزمه السكون والسكوت وتقعده عن النشاط والعمل وتفرق بين أجزائه حتى لا يلتئم له شمل ولا يرتق له فتق

طالما رمتنا أوربا بذلك وطالما جنت من وراء هذه التهمة المفتراة . فماذا كنا ندرأ به عن أنفسنا هذه الويلات لا سيما في تلك السنين التي خضدت فيها شوكة الحكومات الاسلامية وأصبح الاسلام وأهله في أيدي الحكومات الصليبية ؟

وهل استطاع المسلمون أن ينجوا من آثار تلك التهم إلا بما كانوا يعلنونه ويشهدون العالم عليه من انهم أهل سلم لكل مسالم وأرباب وفاء لكل معاهد . هل استطاعوا ان يعدوا لأعدائهم مثل ما أعد هؤلاء لهم من مدافع مدمرة وأساطيل مصفحة وكتائب سابغة الدروع تامة السلاح ؟ هل استطاعوا أن ينافسوهم في ميادين الاقتصاد فيستغنوا عن مالهم أو يزاحموهم في أسواق التجارة فيكفوا الحاجة اليهم ؟

اذًا فماذا يبتغي أصحاب هذه المدرسة ؟ قد يكونون — كما قلنا في أول كلمة لنا — حسان القصد طاهري الضمير ولكن الى من يعدون خريجي مدرستهم ؟ ألى أهل تونس والجزائر والمستعمرات الاسلامية الفرنسية وهي تلك الدولة التي لا تغفل عن مصالحها ولا تكاد تبيح لاجنبي عنها التوغل في اعماق مستعمراتها أو مخالطة أحد من رعاياها ؟ أم الى مسلمي جاوه وتلك حكومة هولانده قد أحاطتهم بنطاق من يقظتها وحالت بينهم وبين العلم والنور والحرية والعوالم الاخرى فهي لا تسمح لاحد منهم بمقابلة أحد ولا معاشرته الا اذا كان هناك من عيونها من لا يفتر عن مراقبته ولا تأخذه غفوة عن سكونه أو حركته

لعلهم يريدون أن يبعثوا بهم الى ارجاء السودان ليدخلوا أهله في دين الاسلام. اذًا فهل أمنوا جانب انجلترا ونسوا مآربها هنالك ؟ الا والله لتعتبرن أولئك الدعاة للاسلام أهل فتنة ودعاة ثورة ولتقيمن لهم المحاكم المخصوصة ولتنصبن لهم المشانق ولتبطشن بهم بطش الجبارين . فهل أعددتم لوقايتهم ما أعدت دول الصليب لمبشريها وحماة دينها من البأس والقوى وهل سلكتم ما سلكه أولئك أيام كانوا جهالا ضعفاء من الدعوة من غير جلبة ولا ضوضاء.

أظننتم ان مريدي الشر للاسلام في غفلة عنا أو انهم يسرهم أن تقوم على

وجه البسيطة مدرسة كهذه على النحو الذي يقوله أصحاب ابتداعها ؟

أأمنوا اتحاد دول الصليب علينا اذا علموا اننا نسعى لنشر كلمة الاسلام وهل غرهم ما يرونه من احدى الدول العظمى التي تظهر الميل والعطف على العالم الاسلامي وكيف يغتر بها من يستقرىء خطواتها ويدرس اضطرابها وتذبذبها وهي تلك التي لاتكاد تستقر على حال واحدة عدة أيام فكم من عهد لم توف به وكم من أمة خدعت بمعسول وعودها واطمأنت لزخارف أقوالها ثم قطعت أناملها ندما على ما فرط منها

اعقلوا أيها القوم وتدبروا الامر قبل أن تجنوا في مغبته الخيبة وتعجلوا للمسلمين ما لا قبل لهم به . واذا زعمتم انكم تريدون دعوة غير المسلمين كما صرحتم بذلك فخير لكم ان تبدأوا بالجهال من بني دينكم وكثير ما هم ثم اذا وجدتم من أوقاتكم ومجهوداتكم متسعا فتنوا بمن تشاءون من غيرهم. ولقد أسلفنا لكم أنكم اذا ربحتم المسلمين وأصلحتموهم واكتفيتم بهم فقد ربحتم كثيرا وخسرتم قليلا

اننا أيها القوم لسنا أعداء الاصلاح ولا محاربي العاملين في سبيل الاصلاح ولكنا قد أدركنا مغبة مساعيكم فروينا الذي رويناه ولم ندع اعتقاد شيء منه وانما بسطنا لكم القول وشرحنا لكم وعورة الطريق التي تسلكونها وأرشدناكم الى أن أمامكم الازهر الذي هو المدرسة الاسلامية العظمى فادخلوا فيه ما شئتم من مواد الدراسة واعدوا طائفة منهم للوعظ والارشاد وهداية العامة من المسلمين وغيرهم الى الحق والصواب من قواعد الدين الحنيف وأركانه ولا تستمسكوا بالالقاب والاسماء ولا تقيموا معهدا خاصا لما أردتم فقد نمتم عن قوم لاينامون وتجاهلتم أمر أعدائنا الذين لايغفلون واذا لم يكن لكم بد من اقامة هذه المدرسة فلا تدعوها بما يجلب عليها وعلى الاسلام الشقاء من الاسماء

هذه كلمتنا للعقلاء المفكرين من المشتغلين بهذا المشروع . اما النفر المتعصب لرأيه المتنطع في قوله فما كان لنا أن نعنيه برد ولا نصيحة فليأت العقلاء المخلصون من الأعمال ما تحتمله الاحوال الحاضرة ولا تنافره الظروف السياسية وليقيموا ما شاءوا من المدارس على شريطة ألا يجروا بأسمائها الضخمة وعنوانها الفخمة

عليا شيئا من البلاء والشقاء وليتقوا الله في العالم الاسلامي فلا يجلبوا عليهم بتسرعهم وعدم تحوطهم أكثر مما نزل بهم. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

* * *

الرد على هذه المقالة

بينت لنا هذه المقالة التي نشرت يوم الاحد ٢١ المحرم عدة أمور نذكرها مع التعقيب عليها

(١) ان أصحاب جريدة العلم يجدون في كل يوم أفرادا يكثرون اللغط ويطرحون عليهم أسئلة الانكار والاستهجان ويرمونهم بالبدع من الرأي والزور من القول. كل هذا صرحت به العلم، وما سمعنا من أصحاب جريدة الحزب الوطني قبل مثل هذا الاعتراف بانكار الناس عليهم كل يوم شيئا من الاشياء. بل ما رأينا المسلمين بمصر اهتموا بمواجهة فرد من الافراد فضلا عن حزب من الاحزاب بالانكار والاستهجان وناهيك استنكار واستهجان ما يكتب في جريدة العلم التي يتحامى الناس الجهر بالإنكار عليها تكريما لانفسهم وصونا لها من هجو جريدة تكتب بمداد من السم، بل العادة الغالبة ان ينتقد الناس المخطىء في غيبته ويسكتون في وجهه ولو علم رئيس تحرير العلم كل ما يقول الناس فيه لتبين له أن مقامه لم يصل في مصر الى درجة يقبل معها كلامه في تقبيح أفضل وأقدس خدمة يخدم بها الاسلام لا عند الحزب الوطني ولا عند الجمهور وانما يمكن أن يقبله بعض الملحدين المارقين من الاسلام دينا وجنسية. ويغلب على ظني ان في المنكرين على الشيخ عبد العزيز شاويش بعض اعضاء الحزب الوطني ولولا ذلك لما غير رأيه وناقض نفسه فيما كتبه أولا وثانيا

(٢) تقول جريدة العلم اليوم ان أوربا تتهم المسلمين بالتعصب الديني وما استطاعوا أن ينجوا من آثار تهمتها بما يعلنونه من سلمهم ومسالمتهم، وان هذه الخدمة تزيد في اتهامهم وعداوتهم للمسلمين فلا ينبغي أن تكون. ونجيبها عن ذلك بأنه اذا كانت أوربا لا يرضيها منا الا ترك شعائر الاسلام وفرائضه أو حتى تتبع ملتهم أفتأمرنا جريدة العلم بأن نترك فرائض ديننا لأجل ارضاء أوربا أو دفع

تهمتها. قد بينا في مقالتنا الثانية التي أرسلناها الى العلم كغيره من الجرائد أن هذا المشروع قيام بثلاث فرائض اسلامية مجمع عليها فكيف ينهانا أن نؤدي فرائض ديننا خوفا من اتهام أوربة إيانا بالتعصب وهو تحصيل حاصل ؟؟

(٣) تسألنا جريدة العلم في معرض الإنكار الى أين نرسل خريجي هذه المدرسة وفرنسة وهولندة وانكلترة لنا بالمرصاد في مستعمراتهن وفي السودان وأقسم الكاتب على أن الاخيرة منهن لابد أن تقيم لهم في السودان المحاكم المخصوصة وتنصب لهم المشانق وتبطش بهم بطش الجبارين، يريد الكاتب أن يوهم قراءه أن الرحمة والشفقة الفائضتين من قلبه الشريف على الذين سيتخرجون في مدرسة الدعوة والارشاد ويرسلون الى السودان هما اللتان حملتاه على هذا الانكار الشديد لاستعداد المسلمين لأداء هذه الفرائض الدينية فأبرز إنكاره أولا بزعم ان المراد من هؤلاء الدعاة اسقاط دولة الخلافة العثمانية وإنشاء خلافة انكليزية وآخرا بأن الانكليز سيبطشون بهم بطش الجبارين، ويجعلوهم عبرة للمعتبرين، ويكون مؤسسو المدرسة هم السبب في ظلم هؤلاء المساكين !!!

ونجيبه (أولاً) بأن الناصح الغيور على المسلمين، الذي لا يعادي الاصلاح والمصلحين، لا يستحل مثل البهتان الذي أرجف به العلم في المسألة من قبل، (وثانيا) بأن الخوف من ايذاء المسلم في سبيل الله في المستقبل لا يبيح له ترك الفرائض والاستعداد لنشر الدعوة، (وثالثا) بأن المتعاونين على هذا المشروع ومن يربونهم ويعلمونهم ليسوا ممن قال الله فيهم (٢٩ : ١٠ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فهل يرضى أصحاب العلم أن يكونوا منهم

(ورابعا) ان لورد كرومر قال في تقريره الرسمي عن السودان ان الحكومة هناك تسمح للمسلمين بنشر الاسلام وتعليمه فاذا أرسلنا الى هنالك من يطلب منها الاذن له بهذا ولم تأذن له فانه يمكنه ان يرجع الى مصر بحجة ناهضة لجريدة العلم أو ما يخلفها تجاهد بها الانكليز ولا يعرض نفسه لبطش الانكليز

(وخامسا) ان السبب في اتهام أوربا إيانا بالتعصب الديني هو السياسة في الغالب وقد امتاز مصطفى كامل باشا وأتباعه في الحزب الوطني بدعوة الوطنية على وجه ينافي

الوحدة الاسلامية ونرى أوربة وغير أهل أوربة كالقبط يتهمون هـذا الحزب وجرائده بالتعصب الديني ولم نرهم يتهمون مجلة المنار بذلك وهي دينية تقيم حجج الاسلام وترد شبهات النصارى وغيرهم وتقيم الحجة عليهم . لانها لاتفعل ذلك لاجل السياسة ، وقد قامت جمعية ندوة العلماء في الهند بعمل قريب من العمل الذي شرعنا فيه أو مثله ولم تلق من الانكليز بطش الجبارين بل أعطوها قطعة أرض لتبني مدرستها فيها ،وغاية مانرجو نحن بعملنا الديني العلمي المدني الخالي من كل شائبة سياسية ان لا تعرقله وتضطهده كل حكومات أوربة في مستعمراتها عملا بحرية الدين وقد صرحت هولندة بأنها تأذن لعلماء المسلمين بالارشاد في جاوه ان وجدوا ولا تمنع الا مشايخ الطرق الدجالين ، وسيكون المتخرجون في مدرستنا أبعد المسلمين عن أهواء السياسة ومقاومة الحكومات

(وسادسا) اذا منعنا الاوربيون من مستعمراتهم الاسلامية في افريقية وجزائر المحيط والهند فأمامنا اليابان والصين فإذا تيسر لنا ترقية مسلمي الصين بالارشاد ، وأهل اليابان بالدعوة الى الاسلام ، نكون قد عملنا أفضل الاعمال

(وسابعا) اذا كان ذلك الكاتب في العلم يخاف على هذا المشروع من اضطهاد دول الصليب كما ادعى فلماذا يختار إلصاقه بمشيخة الاسلام في الآستانة ويقول إن ذلك محله الطبيعي ؟ أيجهل انه لايقيم قيامة أوربة عليه شيء كإلصاقه بالدولة العلية ، ان كان يجهل هذا فساسة الآستانة لايجهلونه ، وليعلم ان هذا هو السبب الذي حملني على إيذان شيخ الاسلام وغيره من رجال الآستانة بأنني لاأشتغل بالعمل هناك الا اذا كان بعيدا عن السياسة ظاهرا و باطنا ولم يكن له صبغة رسمية

(٤) تسألنا جريدة العلم هل سلكنا ما سلكه أهل الصليب أيام كانوا مثلنا اليوم جهلاء ضعفاء ، من الدعوة من غير جلبة ولاضوضاء ، ؟ ونجيبها نعم أننا أردنا ذلك ولكن مصاب المسلمين بوجود مثل ذلك الكاتب محررا أو رئيس تحرير في جريدة تنتمي الى حزب يعتقد انه يؤيدها ولو بالباطل هو الذي حال بيننا و بين ما نشتهي من السكون والسكوت ، فماذا نفعل اذا كان الذي أثار بيننا الجلبة

والضوضاء هو أقدر أهل بلادنا على الجلبة والضوضاء لأنه هجيراه في حياته ، ومورد رزقه وعنوان جاهه ،

(٥) ينصح لنا ذلك الكاتب المفتات بأن نبدأ بالجهال من أبناء ديننا فنعلمهم ونرشدهم ثم نثني بغيرهم ان وجدنا من أوقاتنا ومجهوداتنا متسعا ، كتب هذا بعد أن قرأ في مقالتنا الثانية التي أرسلناها اليه مع كتاب خاص فلم ينشرها و بعد أن نشرها المؤيد ونشر موضوع المدرسة منها غير المؤيد كالأخبار والأهالي وعلم الالوف من الناس كما علم هو ان هذا هو غرضنا ، وليس هذا ببدع من إرشاد جريدة العلم فقد كانت منذ عهد قريب تقترح من إصلاح قانون الأزهر ما هو منصوص في ذلك القانون لأن رئيس تحرير هذه الجريدة جعل نفسه بغروره مرشدا للحكومة والامة و إن كان ما يأمر به تارة من تحصيل الحاصل وتارة من الممتنع شرعا أو عقلا أو قانونا أو عادة، وماذا يهمه ان تمتع بلذة الامر والنهي ، ان يكون ارشاده من العبث واللغو

(٦) أمرنا رئيس تحرير العلم عملا بشنشنته بأن ندخل ما نشاء في مواد الدراسة في الازهر ونعد طائفة من طلابه للارشاد والدعوة ونهانا ان نقيم معهدا خاصا لما أردناه !! وهو يجهل أولايجهل (الله أعلم) أن امتثال أمره ليس في أيدينا ولا مما يدخل في استطاعتنا . ان الداعي الى هذا المشروع هو العاجز الضعيف صاحب المنار وقد عيره هو بالضعف والعجز في جريدة العلم مرارا وما فعل ذلك إلا إعجابا وغرورا بحوله وقوته واعتزازه بحزبه ، ولكنه نسي مع ذلك انه هو قد عجز على قوته وعظمته عن تغيير شيء من مواد قانون الدراسة في الازهر فكيف يقدر على ذلك هذا العاجز الضعيف الذي لاحزب له ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، واذا كان أمره لايطاع فكذلك نهيه فليترك هذه الرياسة العامة ، في هذه المسألة الخاصة ، أو ليكتف بالإرجاف والتشهير ،ان كان مصرا على مقاومة هذا العمل الشريف

(٧) ناقض العلم نفسه كعادته فأذن في آخر مقالته للعقلاء المخلصين منا بالأعمال التي تحتملها السياسة وان يقيموا ما شاؤا من المدارس « على شريطة أن لايجروا

شيئاً بأسمائها الضخمة وعناوينها الفخمة عليها من البلاء والشقاء » ونهاهم « أن يجلبو على العالم الاسلامي بتسرعهم وعدم تحوطهم أكثر مما نزل به » !!! وغرضه من هذا الأمر إن أطيع فيه أن يتلذذ بنفوذه في إبطال المشروع أو عنوانه الدال عليه ،

ومارأينا في غرائب هذا الكاتب و بعده عن المعقول أبعد عن الصواب من توهمه أو إيهامه ان البلاء والشقاء سينزلان بالعالم الاسلامي بسبب كلمة الدعوة والارشاد وان الاوربيين مثله يخلون بالالفاظ دون المعاني والحقائق . وأما المشتغلون بتنفيذ هذا المشروع فيريدون أن يكون ظاهرهم كباطنهم وقولهم كفعلهم و يعلمون انهم لا يقدرون على غش الاوربيين وخداعهم ان أرادوا ذلك — وهم لا يريدونه كغيرهم — ولذلك يصرحون بأنهم يربون طائفة من الطلاب و يعلمونهم مايقدرون به على الدعوة والارشاد والتعلم ، ويرسلونهم الى أحوج البلاد الاسلامية اليهم ثم الى البلاد الوثنية ثم الى غيرها كما بينا في المقالة الثانية من تقديم الاهم على المهم بحسب الاستطاعة وسيسيرون على سنة الله تعالى في أمثالهم من المصلحين ، وقد وعد الله تعالى باظهار هذا الدين كله ولو كره الكافرون ، وكان وعده مفعولا في كل حين

وقصارى الكلام ان جريدة العلم قد خرجت عن منهج الرشد ، وأسرفت في البعد عن الحق ، بالغلو في مقاومة هذا المشروع المفروض ، بما لا يقبله الا من اتبع كل ناعق فيما يقول ، لحرمانه من حرية الفكر ، وعطله من حلية استقلال الرأي ، فهاجمته أولا بالإرجاف السياسي وايهام الناس انه سيكون من القوة ، بحيث يسقط دولة للمسلمين ويؤسس دولة للانكليز ، ثم بايهامهم بعد ثلاثة أيام انه من الضعف بحيث يجزم الكاتب و يحلف بأن الإنكليز سوف يسومون أهله سوء العذاب !!! حار الكاتب في هذا الامر وحاص ، وناقض نفسه عدة مرات ، ثم تنصل من عداوة المشروع ومقاومة أهله وادعى انه ناصح ولو كان ناصحا لنشر مقالتنا الثانية وجعل النصيحة بيننا وبينه ، على اننا ننصح له كما نصح لنا بأن يحاسب نفسه فيما يكتب بينه و بين الله ولا يقفو ما ليس له به علم ، عملا بكتاب الله عز وجل ، وليقل خيرا أو ليصمت ، عملا بهدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وان يرجع الى الحق فذلك خير من الإصرار على الباطل كما هي سنة

السلف الصالح ، فان قبل النصيحة عاد من التشنيع والتشهير والتشكيك والتهديد والوعيد الى بيان محاسن المشروع والحث عليه والترغيب فيه ويكون عمل بحديث « وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » (رواه أحمد والترمذي عن أبي ذر ومعاذ) وحينئذ يجعل النصيحة بينه و بين القائمين باحياء هذه الفرائض التي يرجى بها تجديد دعوة الاسلام ان شاء الله تعالى كما هو شأن المخلصين في نصحهم الذين لا يقصدون به الرياء والدعوى ، وان أخذته العزة بالاثم ولم يعمل بهذه النصيحة فحسبه غروره وتغريره ، وعاقبة عدوانه ومصيره ، وحسبنا الله فهو أغير على دينه من جميع عبيده المؤمنين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين

انذار للمرجفين

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في مصر بمشروع الدعوة والارشاد لنكشفن الستار عن السر الخفي الذي آلى على نفسه ذلك الرئيس في الآستانة أن يحارب به الاسلام وعهد باسم جمعيته السرية الى مندوبه في مصر ان ينصره فيه ظالما ومظلوما باسم الانتصار للدولة العلية ومحاربة أعدائها ، فصديق الدولة الحقيقي من يخدم الاسلام ، وأعدى أعدائها من يخذل أي مشروع إسلامي في أي مكان ، ولا خير لها في إصلاح يضع أساسه يهود أوربا في سلانيك ، ويؤيدهم فيه ملاحدة الروملي والاناطول ، وان شايعهم عليه المندوب الاخرق ، ومحرره البذيء الاحمق ، وتضافروا على نصر الباطل وخذل الحق ، نعم اننا نكشف الستر ، ونفشي ذلك السر ، الذي أشرنا اليه في فاتحة هذه السنة ، ولا نخشى في ذلك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، فاننا لم نحلف عليه يمينا ، ولم نعاهد عليه أحدا عهدا ، وانما جاءنا من مصادر شتى في الآستانة يتمنى رواتها لو يعرفه المسلمون ، ولكنهم لا يأذنون الآن بذكر أسمائهم ، ولا الاشارة الى سماتهم ، بل سمعنا بآذاننا ، وشهدنا بأنفسنا ، في مقام الجهر ، لا في زوايا السر ، ما لا يمكن دفعه ، ولا يستطاع دحضه ،

باب المراسلة والمناظرة

﴿ نهضة التعليم الاسلامي في سملك دابل ﴾

بعد حمد الله والصلاة والسلام على المصلح الأعظم سيدنا محمد وآله وصحبه نقدم تحياتنا الخالصة لحضرة الامام العلامة الداعي الى الله على بصيرة الغيور على الملة الاسلامية حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء

سيدي انا لما نعلمه من تفانيكم في خدمة الانسانية عموما والمسلمين خصوصا الذي نرى أعظم شاهد عليه انتشار مجلتكم الغراء في أرجاء العالم وما لها من التأثير العجيب في استنهاض همم المسلمين الى ما يعلي شأنهم ويأخذ بهم الى الطريق الأقوم وتحسين حالاتهم الادبية والمادية ولما نعلم من شغفكم بالاطلاع على ما يتجدد من حركات التقدم بين المسلمين في هذه الجهات والطرق التي يسلكونها للرجوع الى أحوال دينهم القويم وما جاء به سيد المرسلين وما كان عليه السلف الصالح من التخلق بأخلاق القرآن العزيز والتأدب بآدابه والسير في حالاتهم الاجتماعية على ذلك الدستور الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الصالح لكل زمان ومكان الموافق لحالة أي جنس من الاجناس البشرية - انا لما نعلم كل ذلك منكم أحببنا أن نبشركم ان حركة تقدم المسلمين في كل حالاتهم بجهاتنا لا تزال في تقدم مستمر وقد أدرك جميع العقلاء أن لا سبيل الى نيل ما يؤملون الا بالعلم الذي به تتنور الاذهان وتتثقف العقول وقضية مسلمة تكاد تكون مجمعا عليها عند سائر الامم ولهذا لهجت الالسن وقامت الخطباء وكتبت الكتاب التعليم التعليم العلم العلم حتى أصبحت فكرة التعليم هي الشائعة هنا وقد انشئت في المدن الكبرى عدة مدارس وكتاتيب وهي وان كانت لم تبلغ الدرجة المطلوبة الا أنها الآن عاملة على احداث حركة فكرية لا يستهان بها يصحبها ترق في الأخلاق والآداب وهي سائرة على سنة النمو الطبيعي ولا بد يوما أن يكون لها شأن يذكر في العالم الاسلامي

ونبشركم أيضا وهو ما جعلنا نتجاسر على مكاتبتكم من غير سابق معرفة انا قد وفقنا بعونه تعالى الى إقامة مدرسة بقريتنا المسماة (سملك دابل) التي لا تبعد عن مدينة (سورت) الا بمسافة قريبة بجهة الهند ، هذه المدرسة تعاون على انشائها أعيان المسلمين في القرية المذكورة وأول كتتاب سمحت به أنفس أولئك الكرام لانشاء هذا المعهد العلمي يقدر بأربعين ألف روبية ثم تعاونوا على اخذ عقار تكفي غلته نفقات المدرسة تأسست منها المدرسة منذ سنتين باسم (مدرسة تعليم الدين) أما العلوم التي تدرس فيها فأما هي العلوم الدينية والقرآن الشريف والخط العربي والفارسي والاوربي والانكليزي والقزاري مع تعليم هذه اللغات الخمس ويدرس فيها علم التاريخ الاسلامي بوجه خاص مع بقية التواريخ بوجه أعم وتدرس فيها أيضا مبادىء العلوم الاخرى . أما المدرسون في هذه المدرسة فكلهم من مسلمي الهنود وتتكفل هذه المدرسة بتعليم أولاد الفقراء مجانا وتقوم بكل ما يلزم لهم من السكنى والنفقة والكسوة وغير ذلك حتى من المكملات الغير الضرورية كل ذلك رغبة في نشر العلم وتربية الناشئين تربية دينية تهذيبية تزرع في قلوبهم حب الخير وتقدح في صدورهم زناد الغيرة وتحثهم على النشاط والجد والسعي الى كل ما يعلي شأنهم وبلادهم

وقد أنشئت حتى الآن لهذه المدرسة فروع عديدة في نواحي القرية المذكورة وكلها عامرة بالتلاميذ وترسل هذه المدرسة الى نواحي القرية والاماكن النائية قليلا عنها المعمورة بالفلاحين المسلمين ترسل اليها بعثات تدعوهم الى الدين الحق وتعلمهم واجباته الاولية وتعود هذه البعثات يتبعها من أولاد المسلمين الفقراء وغيرهم عدد غير قليل كلهم يهاجرون من أماكنهم رغبة في التعليم والمدرسة تتكفل بكل ما يلزم لهؤلاء الغرباء وكل تلميذ يدخل في هذه المدرسة لا يكون لوليه ان يخرجه من المدرسة قبل أن يمضي عليه فيها ثلاث سنوات على الاقل وبالجملة فنحن بتوفيق الله سائرون بهذه المدرسة الى طريق التقدم راجين من كل من تجمعنا معه الجامعة الاسلامية والشريعة مد يد المساعدة الينا بالافكار السديدة والآراء الحميدة فالمرء كثير بأخيه ولولا ضيق المقام لشرحنا لكم من أخبار هذه الجهة ما ربما أحببتم الاطلاع عليه وربما بعد هذا أرسلنا اليكم الرسالة التي تطبع رأس كل سنة مبينا فيها من تنجبهم مدرسة

التعليم الديني وفي أي العلوم وعدد التلاميذ والمرسلين وقدر المصروفات والتبرعات وكيفية اخراج ذلك ولولا انها مطبوعة باللغة الاوردية لارسلنا اليكم منها نسخة الآن لكن عسى نحصل فرصة لنترجمها الى العربية فنرسلها اليكم أو نرسل اليكم رسالة السنة القادمة لقرب موعدها

وفي الختام نمد يد الفاقة الى مساعدتكم وذلك بأن تسعفونا بإرسال مجلتكم المنار لهذه المدرسة مساعدة لاخوانكم في الدين ولكم من الله مزيد الاجر وفي محلنا هذا قل ان توجد المجلات والجرائد العربية ونحن كثيروا التلهف الى انتشارها هنا لنطلع على ما عليه اخواننا بجهاتكم وما هي المسافة التي قد قطعوها في سيرهم العلمي ونطلع على أحوال الدول الاسلامية بتلك الجهات ولا سيما ما يتجدد من أخبار دولتنا العلية وما هو مركزها اليوم بين دول الأرض بعد أن أصبحت حكومتها دستورية موافقة لروح العصر، وبناء على ذلك فنحن نطلب منكم أن تلفتوا أنظار أهل الجرائد المصرية والبيروتية والتي تصدر بالآستانة بأن يمنّ علينا من شاء منهم بإرسال جريدته وله منا مزيد الشكر والامتنان وكذلك المؤلفون والمتصدقون بالكتب العلمية من سمحت نفسه منهم بإرسال كتاب أو كتب لمكتب هذه المدرسة فنحن له من الشاكرين ويقلدنا بذلك منة لا نستطيع القيام بحق شكرها ويخدم بني ملته خدمة يحفظها له التاريخ

أما مجلتكم فلا تخيبوا آمالنا بتأخير ارسالها كما ان ثقتنا باخلاصكم في خدمة المسلمين تجعلنا لا نشك في مساعدتكم وان تفضلتم بارسال نسخة من تفسير الاستاذ الامام فحاجتنا اليها شديدة جدا. أكتب لكم هذا وأنا الآن بسرباية جزيرة جاوه وأتيت اليها من مدة قريبة لاستنهاض مواطني المهاجرين بهذه الديار وحثهم على مد يد المساعدة على احياء العلم ونشره ببلادهم

محبكم حسن أحمد منصور
خادم مدرسة تعليم الدين

(المنار) نشكر للكاتب ولسائر أهل الغيرة القائمين بأمر هذه المدرسة والمتبرعين لها حسن سعيهم ونرغب الى الكاتب أن يعجل بارسال الرسالة التي وعد بها مترجمة بالعربية وان يبين لنا أسماء الكتب العربية التي تدرس في المدرسة لنبدي رأينا فيها وسنرسل المنار وغيره من الجرائد للمدرسة إن شاء الله تعالى

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ النسائيات ﴾

كنا نقرأ في « الجريدة » مقالات في شؤون النساء عنوانها العام « النسائيات » بامضاء « باحثة بالبادية » وكنت ظننت عند قراءة أول ما اطلعت عليه بهذا الامضاء ان كاتبه رجل ثم علمت انه من إنشاء الكاتبة الشاعرة الادبية « ملك » ناصف كريمة صديقنا حفني بك ناصف وقرينة صديقنا عبد الستار الباسل الزعيم في قبيلة الرماح العربية التي تقيم في جهة الفيوم وكأن الكاتبة بدأت بما كتبته للجريدة وأمضته بلقب « باحثة بالبادية » وهي في دارها التي هناك بجوار القبيلة وان كانت دار مقامها عامة السنة في القاهرة

تربت الكاتبة في حجر والدها ومقامه في العلم والادب والنظم والنثر معروف فهو من الرعيل الاول الذين تخرجوا في مدرسة دار العلوم بعد الدراسة في الازهر وأخذ عن الاستاذ الامام ثم علم وصنف ثم صار قاضياً في المحاكم الاهلية فقتل الزمان علماً وخبراً وآثار علمه وأدبه مدروسة غير دارسة، وتعلمت في المدرسة السنية الأميرية حتى صارت من المعلمات، ثم اقترنت بالرجل البدوي الحضري الذي عرف أوربا كما عرف القاهرة، وخبر الاحوال الاجتماعية البادية والحاضرة، وهو من مؤسسي حزب الامة ولهذا خصت قرينته « الجريدة » بمقالاتها. وغرضنا من هذا البيان أن يعرف القارئ بأن صاحبة مقالات النسائيات جديرة بذكائها الفطري والوراثي وبتربيتها المنزلية والمدرسية ثم صيرورتها ربة بيت وقرينة بعل يعرف قيمة العلم والادب والاصلاح جديرة بأن تكتب ما ترجى فائدته في النسائيات التي هي أهم المسائل الاجتماعية في مصر والعالم الاسلامي المدني في هذا العصر

تغيرت حال الاجتماع في المدائن الاسلامية بقدر انتشار التعليم العصري فيها واختلاط أهلها بالافرنج والمتفرنجين فتجددت لكثير من الرجال آراء ورغبات فيما ينبغي أن تكون عليه بيوتهم ونساؤهم والنساء لا يشعرن بالحاجة الى تغيير ما في نظام البيوت

ولا في معارفهن وآدابهن وعادهن . واقتضت تلك الرغبات في بعض الرجال أن يعلموا البنات كما يعلمون الصبيان في المدارس العصرية التي أنشأتها الجمعيات النصرانية الافرنجية ثم المدارس التي أنشأتها الحكومة ثم الاهالي لمحاكاة مدارس الافرنج وتقليداً لهم فيها . ولما تعلم بعض البنات صار فيهن من يرغبن فيما يرغب فيه بعض المتعلمين من التغيير ولكن الراغبات في ذلك من المتعلمات أقل من الراغبين فيه، على أن المتعلمات أقل من المتعلمين

يختلف المفكرون في هذه المسألة اختلافا كبيرا فمنهم من يرى انه ينبغي لنا تقليد الافرنج حذو القذة بالقذة ومنهم من يرى أن ذلك أضر علينا من جهل النساء وبين هذين الطرفين آراء كثيرة ، والحق الذي لاريب فيه هو انه لايمكن ان ينتظم حال الحضارة الاسلامية الا بتربية البنات وتعليمهن ولذلك قلت في فاتحة العدد الاول من منار السنة الاولى عند بيان مقاصد الصحيفة ، وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » ولكنني لم اشرح هذا المقصد كثيرا كما شرحت غيره من مقاصد المنار لانني أرى ان التربية والتعليم لايفيدان الفائدة التي نحتاج اليها الا اذا قامت بهما الجمعيات الخيرية الملية دون الحكومة ودون الافراد الذين ينشئون المدارس لاجل الكسب فكنت لهذا أطالب الاستاذ الامام المرة بعد المرة بانشاء معهد خاص لتربية البنات بالعمل وتعليمهن يكون تابعا للجمعية الخيرية الاسلامية ، وكان رحمه الله تعالى يقول ان المال الخاص بالتعليم في الجمعية لا يكفي لهذا العمل فلا بد من انتظار فرصة لفتح اكتتاب لذلك وكنا ننتظر هذه الفرصة ونرجئ القول في الحاجة الى هذا التغيير في حال نسائنا وفى طريقه وكيفيته الى وقت الشروع في العمل ، حتى لا يكون القول مثاراً للمراء والجدل

ما فتحنا باب البحث والجدل في المسألة ولكن سخر الله له قاسم بك أمين ففتحه هنا بكتابه (تحرير المرأة) اذ كتب في مسألة الحجاب ما اسخط السواد الاعظم من الناس فردوا عليه في الجرائد والمصنفات الخاصة وبينوا آراءهم في التربية والتعليم النافعين لترقية النساء

ثارت الرياح فى ذلك عند ظهور كتاب تحرير المرأة ثم كتاب (المرأة الجديدة) الذى رد به قاسم على المعترضين ثم سكنت زمناً وكاد يغلق باب البحث فيه لولا أن فتحت « الجريدة » مصراعيه لغير واحد من الكتاب وفي أثناء ذلك دخلت صاحبة

مقالات (النسائيات) في مضمار البحث مناضلة مناظرة للكاتبين من الرجال ، ومظهرة لهم مالايعرفون من شؤون النساء ، ثم دعت النساء مرتين الى سماع خطبتين لها إحداهما في شؤونهن العامة وما ينبغي أن يكن عليه في البيوت والثانية في المقارنة بين المرأتين المصرية والغربية وبيان مايصلح العمل به وأجابها الى سماعهما المئات من المصريات وقد نشرناهما في المنار

الحق أقول أن ما كتبته هذه الكاتبة في بدايتها خير مما كتبه الكثيرون من الرجال عبارة ورأياً فاكثر الرجال جاؤا بالآراء النظرية والاهواء النفسية، أو تقليد الافرنج والمتفرنجين ، وهي قد بنت كلامها على اجتهاد واستقلال يرجع الى أصول ثلاثة أحدها الدين وثانيها الاختبار وثالثها مصلحة المرأة المصرية ، ومن فروع هذا الاصل الأخير استنكارها تزوج المصريين بالافرنجيات والتركيات ، وانا لنقرها على هذه الاصول ، وان كنا نخالفها في بعض الفروع ، ونشهد ان ما كتبته مفيد للقارئين والقارئات ، ونشكرها شكر المستزيد من هذه الفوائد ، ونهنئ بها بيت الزوج وبيت الوالد

طبع الجزء الاول من « النسائيات » في منتصف العام الماضي فكان ١٤٦ صفحة وطبع معه تقاريظ من أرباب القلم المشهورين بلغت ٢٠ صفحة وافتتح بمقدمة حكيمة لاحمد لطفي بك السيد مدير الجريدة أحسن مافيها مسألة « المرأة والدين » وثمن النسخة من هذا الجزء عشرة قروش صحيحة فعسى ان ترى الكاتبة من رواج كتابها مايبعث همتها الى زيادة العناية ويرغب غيرها من الكاتبات في الكتابة والخطابة والتأليف

☆ ☆ ☆

﴿ البرهان الصريح في بشائر النبي والمسيح (ص) ﴾

جمع هذا الكتاب من نصوص العهد القديم والعهد الجديد احمد افندي ترجمان وهو رجل واسع الاطلاع في كتب أهل الكتاب الدينية كثير الحفظ منها قوي الاستحضار لها وأعانه على تحريره وترجمة النصوص من الاصل العبراني محمد افندي حبيب صاحب مكتبة برج بابل « بموافقة عالمين من علماء الاسرائيلية على صحة النصوص العبرانية والكلدانية » وفي الكتاب فوائد كثيرة دينية وتاريخية ومقارنات غريبة بين النصوص وتفسير بعضها ببعض لايستغني عنها من تعنيهم هذه المباحث . وثمن النسخة منه قرشان ويطلب من مكتبة المنار بمصر

﴿ مصادر المسيحية وأصول النصرانية ﴾

« رسالة لاهوتية تاريخية تبين المصادر الاصلية للدين المسيحي القديم وما ورد فيه من توحيد وتثليث واثنينية وتسبيع وتسيع ومقبول ومرفوض من العناصر الدينية القديمة كالمصرية والبرهمية والبوذية والبابلية والاشورية والميثرازمية لمؤلفها محمد افندي حبيب صاحب مكتبة برج بابل في مصر مؤسس حزب الله » وهذه الرسالة مأخوذة من الكتب الدينية والتاريخية المكتوبة باللغة الانكليزية في الغالب وثمنها خمسة مليمات وتطلب من مؤلفها

* * *

« الدرة اليتيمة لابن المقفع »

طبعت هذه الرسالة الادبية الطبعة الخامسة في مطبعة الرغائب بمصر وتطلب من مكتبتها وهي غنية بشهرتها عن الوصف

* * *

« دروس التاريخ الاسلامي »

كتاب مختصر مفيد في تاريخ المسلمين يؤلفه الشيخ محيي الدين الخياط ويطبع في بيروت بنفقة المكتبة الاهلية وقد صدر منه ثلاثة أجزاء او ثلاثة أقسام كما عبر المؤلف الاول في مجمل من السيرة النبوية والثاني في مجمل من تاريخ الخلفاء الراشدين والثالث في مجمل تاريخ دولة بني أمية . ويقرب الجزء من ٩٠ أو ١٠٠ صفحة مقسمة الى دروس في كل درس مسائل مختصرة لكل مسألة عنوان وفي آخره خلاصة وأسئلة فيصلح هذا الكتاب أن يدرس في المدارس الابتدائية لسهولته وحسن ترتيبه على انه للعارفين كالمذكرات الوجيزة التي تسمى بالاعجمية « النوتة » وثمن الجزء قرشان ونصف ويباع في المكتبة الاهلية ببيروت والمكتبة السلفية بمصر

* * *

(المشير) جريدة جديدة اسبوعية « اسلامية اصلاحية عمومية » ظهرت بتونس في أوائل هذا الشهر وقد كتب الينا من نثق بعلمه ورأيه من الثناء على صاحبها « الطيب بن عيسى » والثقة بحسن قصده ما جعلنا تمنى لها الثبات والنفع العام وعسى أن يعضدها أهل الغيرة والرأي

(تصحيح) في السطر ٦ ص ٣ كلمة عادوا وصوابها « عاد »

باب الأخبار والآراء

﴿ أعظم رجل في العالم ﴾

اختلف أحرار الباحثين في أعظم رجل ظهر في العالم وقد سبق لبعض الجرائد الاوربية الاقتراح على قرائها أن يكتبوا اليها آراءهم في ذلك وكان منهم من صرح بأن رأيه ان أعظم رجل ظهر في البشر هو سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين . قد اقترحت هذا الاقتراح وآخر في معناه من عهد قريب جريدة الوطن البيروتية وصاحبها مسيحي وكان أول من أجابه كاتب من أحرار الطائفة المسيحية قالت الجريدة :

سألنا فريقا من الفضلاء عمن هو أعظم رجل في العالم . وفي سوريا ولماذا فوردتنا الاجوبة الآتية ننشرها بحسب ورودها

(١)

من هو أعظم رجل في العالم ولماذا ؟

أعظم رجال العالم على الاطلاق رجل وضع في عشر سنين دينا وفلسفة وشريعة اجتماعية وقوانين مدنية وغير شريعة الحرب وأنشأ أمة ودولة طاولت الدهر وكان أميا ذلك هو :

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي العربي نبي المسلمين

وقد تدارك النبي لمشروعه العظيم كل حاجاته فوفر لامته ولتابعيه وللملك الذي أنشأه أسباب الانتشار والخلود بحيث إذا انقطع المسلم الى القرآن والحديث وجد فيهما مايهمه من أمور دينه ودنياه وجعل للمسلمين مؤتمرا ينعقد كل عام في مكة ومن تنبه الى فرض الحج على من يملك الراحلة والنفقة واسقاطه عمن لا يملكهما أدرك ان الغاية من الحج اجتماع الموسرين والوجوه من الامة للبحث في شؤون جامعتهم وأمور سياستها واجتماعها وتعاونها

وتدارك أمر الفقير بالزكاة المفروضة على كل مسلم بحيث اذا أداها المسلمون على حقها لم يبق في الامة فقير

وجعل نواة أبدية للاسلام بكون القرآن كتابا عربيا يتحتم على كل مسلم ان يتفهمه بلغة العرب وإذا لم يكن في هذا غير ان فهم العربية حتم على كل عالم وامام يكفي به جامعة لسان للمسلمين

ومهد طريق النبوغ لافراد الامة بكون المسلم لا يفضل المسلم الا بالتقوى فكان الاسلام جمهورية حقيقية يختار المسلمون رئيسها الذي هو الخليفة وقد ساروا على هذه السنة حينا من الدهر ولن تزال المبايعة بالخلافة رمزا من رموزها

وسهل اعتناق الاسلام لغير العرب بقوله لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي

ويسر لغير المسلمين العيش برخاء في بلاد الاسلام بقوله « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله »

ونظر في أمر « العائلة » فرتب أمور الزواج والتناسل والتوارث ورفع من شأن المرأة

وعاد الى الامور المدنية فوضع قوانين وقضاء للنظر في شؤون الافراد

ولم يهمل مالية الدولة بل وضع سننا لبيت المال

وكان للعلم من همه نصيب وافر فجعل الحكمة ضالة المؤمن وأوصاهم بأن يطلبوا العلم ولو في الصين فكان لهذه الوصية شأن عظيم في اقتباس المسلمين العلم من كل أبوابه وازدهاره في أيامهم

أفلا يكون الذي فعل كل هذا أعظم الرجال ؟

من هو أعظم رجل في سوريا ولماذا ؟

لو عرف التاريخ اسم الفينيقي الذي اخترع الكتابة بالحروف لكان جوابي اسم ذلك الرجل

واذا صح أن نعد صلاح الدين الأيوبي سوريا لموته في سورية ولإقامة أبيه فيها فهو أعظم رجالها لانه انتصر في تسعين موقعة وكان أعدل الملوك واكرمهم خلقا ويدا فقد مات ولم يخلف دارا ولا عقارا ولم يكن في خزانته يوم توفي غير ٤٧ درهما

أما والتاريخ لا يعرف ذلك وللناس على سورية هذا اعتراض فاني أرى أبا العلاء المعري السوري القح الذي كان شاعرا كبيرا ومنشئا بليغا وفيلسوفا عظيما وانسانا حكيما ونابغة في حدة ذهنه وفي حرية قلبه ولسانه أعظم رجال سوريا

داود مجاعص

﴿ اعتصام الفئتين الكبيرين من المسلمين ﴾

جاء في بعض جرائد العراق مانصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

بعد الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه المنتخبين . قد رأينا ان اختلاف الخمسة الفرق الاسلامية في بعض مالا يتعلق بأصول الديانة والشقاق بين طبقات المسلمين هو السبب الموجب لانحطاط دول الاسلام واستيلاء الاجانب على معظم ممالكها فلاجل المحافظة على كلمة الجامعة الدينية والمدافعة عن الشرعة الشريفة المحمدية قد اتفقت الفتاوى من المجتهدين العظام الذين هم رؤساء الشيعة الجعفرية ومن علماء أهل السنة المقيمين بدار السلام على وجوب الاعتصام بحبل الاسلام كما أمر الله به فقال عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وعلى وجوب اتحاد كافة المسلمين في حفظ بيضة الاسلام وصون جميع الممالك الاسلامية من العثمانية والايرانية عن تشبثات الدول الاجنبية وهجمات السلطة الخارجية وقد اتحد الرأي منا جميعاً تحفظاً على الحوزة الاسلامية ان نبذل تمام قوانا ونفوذنا في ذلك ولا نكف عن كل اقدام يقتضيه المقام واثقين بكمال اتحاد الدولتين العليتين الاسلاميتين وعناية كل منهما بحفظ استقلال الاخرى وحقوقها وقد أعلن لعموم الملة الاسلامية وجوب السكون والتعاون في حفظ استقلال دولتها العلية وحماية مملكتها وصيانة ثغورها عن مداخلة الاجانب فيكونوا كما قال الله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ونذكر عامة المسلمين الاخوة التي عقدها الله تعالى بين المؤمنين ونعلن لهم وجوب التحرز والتجنب عما يوجب الشقاق والنفاق وان يبذلوا جهدهم في نواميس الامة والتعاون والتعاضد وحسن المواظبة على اتفاق الكلمة حتى تصان الراية الشريفة المحمدية وتحفظ مقام الدولتين العثمانية والايرانية أدام الله تعالى شوكتهما بمحمد وآله وصحبه خير البرية

(الاحقر شيخ الشريعة الاصفهاني) (الراجي اسمعيل بن الصدر العاملي)

(المنار) لكل عمل وحال أجل ولكل أجل كتاب وقد طال الامد على التفرق والتدابر بين المسلمين وقدبح صوتنا وحفيت أقلامنا من كثرة الدعوة الى الاعتصام ولكن كان المفرقون يهدمون ما نبني حتى قام يوهم الناس بعض المفتونين بالرياسة أننا غيرنا طريقتنا لاننا نشرنا تلك الرسالة المعهودة لسائح في العراق، وما كنا مغيرين، ولكن كانوا هم المفرقين ، ولم ينس القراء خطابنا في العام الماضي لعلماء الطائفتين، بالقيام بما يجب من جمع الكلمة في الدولتين ، ونحمد الله أن أجاب دعاءنا ، وهذا أول صوت من الفريقين في تلبية طلبنا، وانا لنرجو فوق ذلك اعتصاما واتحاداً :

﴿ البابية البهائية ﴾

ضاق هذا الجزء عن متابعة الكلام في الباطنية سلف هؤلاء البهائية وقد جرى بيني وبين أحد كبار رجال القضاء في الاسكندرية حديث في شأن عباس افندي زعيمهم وكنا بدار محمد سعيد باشا رئيس النظار بمصر وقد اتفق جلوسنا في احدى الحجرات ليلة احتفال الرئيس بعيد جلوس الامير وكان معنا بعض العلماء الوجهاء

افتتح محدثي الكلام بمعاتبتي على ما كتبت في شأن عباس أفندي وأطراه أشد الإطراء وشهد له بالاسلام الكامل علما وحكمة وعملا فقال انه يؤدي الصلوات الخمس وغيرها من الفرائض والنوافل ويبين من فضائل الاسلام ما لا يكاد يستطيعه سواه ويسعى في نشره في أمريكة وسواها ويحاول جمع الشعوب عليه فكان سبب دخول الملايين في هذا الدين المبين قال ولو سواك طعن في إسلامه وقال فيه ما قلت واكثر مما قلت لما كنا نبالي بقوله ولكن لكلامك من القيمة والاحترام ماليس لغيره ولذلك ساءني ان تتكلم في هذا الرجل العظيم وأنت لم تعرفه معرفة اختبار بما لعلك أخذته من غمر جاهل أوذي غمر متجاهل . واني أدعوك الى ضيافتي بالاسكندرية واجمع بينك وبين الرجل وانا موقن بأنك تعجب بدينه وعقله وعلمه وآدابه الجذابة وفصاحته الخلابة ـ هذا حاصل معنى ما قاله هذا اللائم المعجب بالرجل

ومما قلته له إنني أسلم بما سمعته منك ومن سواك عن شمائل الرجل وأدبه وفصاحته ولم أكتب فيه الا مايدل على هذا وهذا التسليم لا ينقض شيئا من بناء اعتقادي واختباري وان قواعد هذا الاعتقاد ليست مأخوذة عن أعداء الرجل وأعداء

قومه بل منهم ومن كتبهم فقد جرى بيني وبين داعيتهم هنا مناظرات متعددة وثبت عندي أنهم من الباطنية الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منهم وعلى ملتهم ولا يطلبون الا الاصلاح فيها ، وهؤلاء البهائية اذا دعوا النصارى في أمريكة مثلا الى نحلتهم قالوا لهم إنا نصارى مثلكم نؤمن بألوهية المسيح وبمجيئه في يوم الدين ـ أو الدينونة كما تقول النصارى ـ وقد جاء المسيح كما وعد في ناسوت البهاء وآمنا به واتبعناه ، وكذلك يقولون للمسلمين إنا منكم ونطلب إصلاح حالكم باتباع المهدي المنتظر والمسيح الموعود به ، بل يقولون ان دين برهما ودين بوذه ودين زردشت حق، ويقولون لهؤلاء اذا لقوهم إنا منكم وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا من بلاد الشام ، ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لاحد دفعة واحدة وانما يرتقون به درجة بعد اخرى . وقد وضع سلفهم الاولون هذه الدرجات وجروا عليها وقلدهم الماسون فيها (أي الدرجات فقط) وقصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من ألوانها

ولما بالغ محدثي بإنكار ذلك قلت له إنني لا أدعي معرفة الرجل والحكم عليه بما ظهر لي منه نفسه وانما احكم عليه من حيث هو زعيم هؤلاء القوم باعترافهم واعترافه وقد بلغني عنه نفسه انه يدعي الإسلام ويجاري أهله في عباداتهم عند ما يكون معهم ، ونحن لا نقول لمن اظهر الاسلام انك لست بمسلم اتباعا للظن ولكننا نعلم من تاريخ هؤلاء الباطنية مثل هذا فقد كان العبيديون بمصر يدعون انهم مسلمون ويبثون دعاتهم في الناس لتحويلهم عن الاسلام الى عبادة إمامهم المعصوم بزعمهم . فاذا كان عباس أفندي مسلما حقيقة لا بالمعنى الذي تقوله الباطنية عادة فليكتب لنا مقالة بخطه وإمضائه يصرح فيها بالنص الصريح بأن سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو خاتم النبيين والمرسلين لا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وان القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأنبيائه ورسله وان معانيه الصحيحة هي ما دلت عليه مفرداته وأساليبه العربية

فقال محدثي البارع كيف يمكن أن تقول للبريء انك متهم بالجناية وينبغي أن تتبرأ منها وتدافع عن نفسك ؟ قلت إننا لا نطلب أن يكتب ذلك بأسلوب الدفاع وانما

نطلب أن يكتبه في مقال يبين فيه حقيقة الاسلام إرشادا للناس وتعليما أو ردا على المعترضين ، ومثل هذا يقع كثيرا ، ولذلك اكتفينا منه بذلك ولم نكلفه أن يتبرأ مما سمعناه من أتباعه من القول بألوهية والده ونسخه للشريعة الاسلامية كجعل الصلوات ثنتين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين ، فان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فاننا نكتب اليه أسئلة ونطالبه بالجواب عنها فهل يضمن لنا ذلك المعجب باسلامه انه يجيب عنها ؟؟

(المأسون في الدولة العثمانية)

كان السلطان عبد الحميد عدواً للجمعية الماسونية لاعتقاده انها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وإزالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها ، وقد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا شرقاً عثمانياً أستاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقي وأنصارها من اليهود وغيرهم ، ولاجل هذا نرى طلعت بك لا يبالي بسخط الامة ولا برضاها في ادارته التي استغاثت منها المملكة بألسنة ولاياتها كلها الا ولاية سلانيك وكذا أدرنة فيما أظن وألسنة مبعوثيها حتى بعض الاتحاديين، وسلانيك هي الآن مركز السلطة الحقيقية في المملكة وإنما الاستانة مركز التنفيذ كأن حظ عبد الحميد أن تكون السلطة الحقيقية حيث يكون ما دام حياً وان لم تكن في يده الخاطئة

وانا نتمنى أن لا يكون تصرف طلعت بك في الماسونية كتصرفه في نظارة الداخلية فاني والله لم أسمع من أحد في الاستانة ولا في غيرها شهادة له بحسن التصرف ولا أحصي عدد الشهادات التي سمعتها عن سوء تصرفه الذي ظهر أثره في اضطراب اكثر ولايات المملكة فسوء تصرفه في مسألة الارنؤد قد عرف الان وان لم تظهر عواقبه السيئة كلها وأما سوء تصرفه في مسألة اليمن فقد ظهرت بوادره ونعوذ بالله من أواخره

نتمنى أن يكون تصرفه في الماسونية أحسن حتى لا يجني عليها ولا على الملة والدولة فان الفرق بيننا وبين فرنسة والبورتغال بعيد جدا وان كان يراه هو والدكتور ناظم بك وبعض الزعماء قريباً فليتدبروا ولا يغتروا بقوة الجمعية ولا بغيرها فطبيعة الاجتماع أقوى من تدبير الجمعيات وقد يكون مع المستعجل الزلل

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

— الاربعاء ٣٠ صفر ١٣٢٩ — اول مارس (آذار) سنة ١٢٨٩هـ ١٩١١م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

{ المسألة التاسعة في توسيد الأمر الى غير اولي الأمر }

اخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة المرفوع الى النبي (ص) « اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة » وتقدم في تفسير الآية السابقة ان الاستاذ الامام قال ان المراد بالساعة في هذا الحديث ساعة الأمة التى تقوم فيها قيامتها أي تدول دولتها على حد : من مات فقد قامت قيامته . وفي إحياء علوم الدين ان القيامة قيامتان القيامة الصغرى وهي قيامة أفراد الناس بالموت والقيامة الكبرى وهي قيامتهم كلهم بانتهاء هذا العالم والدخول في عالم الآخرة . وقد يقال ان قيامة الجماعات كقيامة الأفراد، والتجوز بالساعة في هذا المقام أقرب الى اللغة من التجوز بلفظ القيامة فان القيامة من القيام وهي « يوم يقوم الناس لرب العالمين » وأما الساعة فهي الوقت

المعين مطلقا ولا يزال الناطقون بالعربية يقولون جاءت ساعة فلان أو جاء وقته والقرينة تعين المراد بذلك الوقت وتلك الساعة ، وان خروج أمر الناس من يد أهله القادرين على القيام به كما يجب سبب لفساد أمرهم ومدن للساعة التي يهلكون فيها بالظلم أو بخروج الامر من أيديهم. ثم راجعت مفردات الراغب فرأيت في تفسير الساعات تقسيما ثلاثيا : الساعة الكبرى بعث للناس للحساب والوسطى موت أهل القرن الواحد والصغرى موت الانسان الواحد . وحمل على الاخير بعض الآيات

توسيد الامة الاسلامية أمرها الى غير أهله لا يمكن ان يكون باختيارها وهي عالمة بحقوقها قادرة على جعلها حيث جعلها كتاب الله تعالى وانما يسلبها المتغلبون هذا الحق بجهلها وعصبيتهم التي يعلو نفوذها نفوذ اولي الأمر، حتى لا يجرأ أحد منهم على أمر ولا نهي ، أو يعرض نفسه للسجن أو النفي أو القتل ،

هذا ما كان ، وهذا هو سبب سقوط تلك الممالك الواسعة ، وذهاب تلك الدول العظيمة ، ووقوع ما بقي في أيدي المسلمين تحت وصاية الدول العزيزة ، التي لم تعتز وتقوى الا بجعل أمرها بيد الأمة ، وتوسيد هذا الامر الى أهله ، وهو هو الذي تركه المسلمون من ارشاد دينهم . وما تيسر لهم ترك أصول الشورى وتقديس الملوك والامراء المستبدين الا في الزمن الطويل بعد ان حجبوا الامة عن كتاب ربها وسنة نبيها فجهلت حقوقها ثم افسدوا عليها بعض أولي الامر منها وأسقطوا قيمة الآخرين بضروب من المكايد الدينية والدنيوية

نعم كان الجهل بالكتاب والسنة هو الذي مكن لأهل العصبية في بلاد المسلمين بالتدريج فكان أول ملك من ملوك العصبية قريبا من الخلفاء الراشدين في احترام أولي الامر الذين تثق بهم الامة لدينهم وعلمهم قبل ان تقوى العصبية عليهم ، واعتبر ذلك بأخبار معاوية ومن بعده : دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية فقال السلام عليك أيها الاجير ، فقالوا قل السلام عليك أيها الأمير ، فقال السلام عليك أيها الأجير ، فاعادوا قولهم واعاد قوله ، فقال معاوية دعو أبا مسلم فانه أعلم بما يقول . ونظم ذلك أبو العلاء المعري فقال :

مُلَّ المقامُ فكم أعاشر أمة   أمرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها   فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقد عني الملوك المستبدون بعد ذلك بجذب العلماء اليهم بسلاسل الذهب والفضة والرتب والمناصب ، وكان غيرهم أشد انجذابا وقضى الله أمرا كان مفعولا وضع هؤلاء العلماء الرسميون قاعدة لامرائهم ولانفسهم هدموا بها القواعد التي قام بها أمر الدين والدنيا في الاسلام وهي أنه يجوز ان يكون أولياء الأمور كالأئمة والقضاة والمفتين فاقدين للشروط الشرعية التي دل على وجوبها واشتراطها الكتاب والسنة وان صرح بها أئمة الاصول والفقه، قالوا يجوز اذا فقد الحائزون لتلك الشروط، مثال ذلك انه يشترط فيهم العلم الاستقلالي المعبر عنه بالاجتهاد وقد صرح هؤلاء بجواز تقليد الجاهل وعدوه من الضرورة واطلق الكثيرون هذا القول وجرى عليه العمل وذلك من توسيد الامر الى غير أهله الذي يقرب خطوات ساعة هلاك الامة، ومن علاماتها ذهاب الامانة وظهور الخيانة ولا خيانة أشد من توسيد الامر الى الجاهلين . روى مسلم وأبو داود من حديث ابن عباس « من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم ان فيهم أولى بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين » وان لحديث البخاري الذي تقدم في توسيد الامر الى غير أهله مقدمة وذلك انه (ص) قال « اذا ضيعت الامانة انتظر الساعة » قيل يارسول الله وما إضاعتها فقال « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة » والاحاديث في هذا الباب كثيرة

أطلق أعوان الملوك والامراء القول بجواز تولية الجاهل وكذا فاقد غير العلم من شروط الولايات كالعدالة الشرعية ولم يصرح الجمهور منهم بأن هذه ضرورة موقتة وانه يجب على الامة اذا فقد شرط من شروط إقامة أمر دينها أو دنياها ان تسعى في إقامته ، ومن صرح بذلك من أفراد المحققين ذهب قوله في الجمهور الجاهل عبثا ، والامة كلها تكون آثمة اذا فقد أولو الامر والامراء والحكام ما يجب فيهم من العلم والتقوى و يجب عليها السعي والعمل لايجاد الصالحين لذلك الذين يقيمون أمر الدين والدنيا وأن تكون هي التي تحكم بفقد تلك الشروط كلها أو بعضها وتقدره بقدره

قال ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية : الأئمة متفقون على انه لابد في المتولي

من ان يكون عدلا أهلا للشهادة واختلفوا في اشتراط العلم هل يجب أن يكون مجتهدا أو يجوز ان يكون مقلدا أو الواجب تولية الامثل فالامثل كيفما تيسر على ثلاثة أقوال، وبسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع ، ومع انه يجوز تولية غير الاهل للضرورة اذا كان أصلح الموجود فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الاحوال حتى يكمل في الناس مالابد لهم منه من أمور الولايات والامارات ونحوها كما يجب على المعسر في وفاء دينه وان كان في الحال لايطلب منه الا مايقدر عليه وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز فان مالايتم الواجب الا به فهو واجب بخلاف الاستطاعة في الحج ونحوها فانه لايجب تحصيلها لان الوجوب هناك لايتم الا بها اه وجملة القول انه ماوسد أمر الولايات العامة والخاصة الى غير أهله الا بجهل أولي الامر وضعفهم ثم بافساد الامراء لهم والواجب على الامة أن تعرف مايشترط فيهم وتعيد اليهم حقهم ليعيدوا اليها حقها

﴿ المسألة العاشرة الاستدلال بالآية على بطلان القياس ﴾

استدل بعض الظاهرية بالآية على بطلان القياس كما استدل بها غيرهم على اثباته وقد تقدم . ووجه هؤلاء ان الله تعالى أمر برد المتنازع فيه الى الله والرسول أي الى نصوص الكتاب والسنة ولو كان القياس مشروعا لقال : فان تنازعتم في شيء فقيسوه على أشباهه، أو نحوا من هذا. والصواب أنها ليست نصا أصوليا في إثبات القياس كما قال الرازي وغيره ولا في منعه كما قال هؤلاء . أما كونها ليست نصا في مشروعية القياس فلما بيناه من جواز التنازع مع وجود النص قبل علم المتنازعين به فاذا تحروا رد المسألة الى الكتاب والسنة وبحثوا فيهما أوشك ان يجدوه ، ومن جواز كون المراد بالرد اليهما الرد الى قواعدهما العامة بغير طريق القياس، وأما كونها ليست نصا على منعه فلأن مالا نص فيه اذا حمل على مماثله من الاحكام الثابتة مع علتها بالنص يصدق عليه انه رد الى ذلك النص . نعم إنها تدل على بطلان القياس على أقوال الفقهاء وان كانوا مجتهدين كما نراه كثيرا في كتب الفقه يقولون هذا جائز أو حرام أو واجب قياسا على قولهم كذا . ومثله القياس بالعلل المنتزعة عن

بعد بالتمحل الذي يوجد في النص ماينفيه ولا يوجد مايثبته ومنه قياس الدم على البول في نقض الوضوء عند بعض الفقهاء ولو كان هذا قياسا صحيحا لمضت به السنة وتوفرت فيه النصوص لكثرة الوقائع فيه في العصر الأول لأن الدماء كانت تسيل كثيرا من جميع تلك الاجساد الطاهرة دفاعا عن الدين والنفس واعلاء لكلمة الحق ، وفي السنة مايدل على بطلان هذا القياس وهو التفرقة بين الحيض والاستحاضة . وقد قاس النبي (ص) والصحابة (رض) وتبعهم من بعدهم .

ولا يعارض ثبوت القياس العمل بالبراءة الاصلية وكون الاصل في الاشياء الاباحة كما هو ظاهر . فان قيل ان القياس في الدين باطل بنص الاحاديث والقرآن . أما الاحاديث فمنها حديث « مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم » رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث ابي هريرة وفي معناه أحاديث كثيرة في الصحيحين والسنن ورواية احمد ومسلم بلفظ «ذروني ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » وحديث « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » قال النووي في الاربعين حديث حسن رواه الدارقطني وغيره . فان هذه الاحاديث تدل على ان الدين لايؤخذ الا من نص الشارع وان من مقاصد الحنيفية السمحة ان لاتكون تكاليفها كثيرة فتكثيرها بقياس المسكوت عنه على المنصوص مخالف لما أراده الله فيها من اليسر ولنصوص هذه الاحاديث المأخوذة من عموم القرآن اذ النبي (ص) ما كان الا مبينا للقرآن فهو قوله تعالى (٧: ١٠٤ يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين يُنزَّل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور رحيم ١٠٥ قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) والتعبير بالعفو وتأكيده بالمغفرة والحلم مما يدل على ان المسكوت عنه قد يكون شبيها بالمنصوص بحيث لو سئل عنه حين كان ينزل القرآن أي وقت شرع الدين لكان الجواب إلحاقه بالمنصوص وزيادة التكليف به وانما سكت الله عنه عفوا منه تعالى ورحمة بنا . ولنفاة القياس ان يقولوا

واذا كان الامر كذلك فالقياس باطل وتفسير رد المتنازع فيه الى الله ورسوله به باطل والجواب ان الآية والاحاديث خاصة بأمر الدين المحض من العبادات والحلال والحرام بحيث يزيد القياس فيها عبادة أو يحرم شيئا لا يدل النص على تحريمه وهذا هو الذي تجرأ عليه الكثيرون من المسلمين الذين هم ليسوا أهلا للاجتهاد والقياس فكم قالوا ولا نزال نسمعهم يقولون هذا حرام وهذا حلال ، بما تصف ألسنتهم الكذب والتهجم على شرع مالم يأذن به الله ، واذا تنازعوا في شيء ردوه الى كلام هؤلاء المقلدين ، حتى ان من يأخذ الاسلام عنهم يراه غير الحنيفية السمحة المبنية على أساس اليسر وموافقة الفطرة، يراه دينا لا يكاد يحتمل من شدة الضيق والعسر وكثرة التكاليف، والله ورسوله بريئان من كل هذه الزيادات. وأما القياس الذي قد تدل الآية على الاذن به فهو ما يتعلق بأحكام المعاملات القضائية والسياسية والادارية التي فوض الله تعالى الاجتهاد فيها الى أولي الأمر لأنها تختلف باختلاف الاحوال والازمنة ولا يمكن استيفاء كل ما يحتاج اليه منها بالنصوص

﴿المسألة الحادية عشرة في زعم بعض المقلدين ان الآية تدل على وجوب التقليد﴾

هذه المسألة ظاهر من سابقتها في جعل الآية دليلا على ضد المراد منها فانها مبينة لأركان الاجتهاد وشارعة له وقد جعلها بعض الجاهلين حجة على وجوب التقليد فزعموا ان تفسير أولي الأمر بالعلماء المجتهدين يدل على ذلك وهو ظاهر البطلان، فان الذين فسروها بذلك أرادوا به أن إجماعهم حجة يجب العمل به على المجتهد وغير المجتهد لا أن كل عالم مجتهد يجب أن يتبع فان طاعة أفراد المجتهدين تتعارض باختلافهم وطاعة الجميع اذا أجمعوا هي الممكنة على أن الطاعة غير الاتباع قال صاحب (فتح البيان في مقاصد القرآن) ما نصه

« ومن جملة ما استدل به المقلدة هذه الآية قالوا وأولوا الأمر هم العلماء والجواب ان للمفسرين في تفسيرها قولين أحدهما أنهم الامراء والثاني أنهم العلماء كما تقدم ولا يمتنع ارادة الطائفتين من الآية الكريمة (أي معا) ولكن أين هذا من الدلالة على مراد المقلدين فانه لا طاعة لأحدهما الا اذا أمروا بطاعة الله على وفق سنة رسوله وشريعته،

وايضا العلماء انما ارشدوا غيرهم الى ترك تقليدهم ونهوهم عن ذلك كما روي عن الأئمة الاربعة وغيرهم فطاعتهم ترك تقليدهم ولو فرضنا ان في العلماء من يرشد الناس الى التقليد ويرغبهم فيه لكان يرشد الى معصية الله ولا طاعة له بنص حديث من رسول الله (ص) على وفق سنة رسوله وشريعته وانما قلنا يرشد الى معصية الله لأن من أرشد هؤلاء العامة الذين لا يعقلون الحجج ولا يعرفون الصواب من الخطأ الى التمسك بالتقليد كان هذا الارشاد منه مستلزما لارشادهم الى ترك العمل بالكتاب والسنة الا بواسطة آراء العلماء الذين يقلدونهم فما عملوا به عملوا به وما لم يعملوا به لم يعملوا ولا يلتفتون الى كتاب وسنة بل من شرط التقليد الذي أصيبوا به ان يقبل من إمامه رأيه ولا يعول على روايته ولا يسأله عن كتاب ولا سنة فان سأله عنها خرج عن التقليد لأنه قد صار مطالبا بالحجة » اه كلامه والأمر عند هؤلاء المقلدة الذين يضعون هذه الأحكام في أصول الدين وفروعه أعظم مما قال والجماهير متبعة لهم مع نقلهم الاجماع الذي لم يخالف فيه أحد قط أن المقلد جاهل لا رأي له ولا يؤخذ بكلامه وقد بينا تهافتهم في مواضع كثيرة ولله الأمر من قبل ومن بعد

﴿المسألة الثانية عشرة﴾

« مراتب الطاعات الثلاث في الآية ونكتة تكرار لفظ الطاعة »

قد رأى القارىء ما قاله الاستاذ الامام في نكتة تكرار لفظ « أطيعوا » في جانب الرسول (ص) دون أولي الامر ولم تكن هذه النكتة ظاهرة عندي وقد ورد الأمر بطاعة الله والرسول مع تكرار لفظ الطاعة وعدمه في عدة آيات التفرقة بينها عسيرة ، فان كان هنالك فرق بين التعبيرين فالاقرب عندي أن يقال ان إعادة كلمة « أطيعوا » تدل على تغاير الطاعتين كأن تجعل الأولى طاعة ما نزل الله من القرآن والثانية طاعة الرسول فيما يأمر به باجتهاده . وقد يؤيد هذا الفهم ما ورد من الحكم بما في كتاب الله عز وجل فان لم يوجد فيه نص في القضية ينظر في سنة النبي (ص) فيقضى بما فيها وهذا ما أمر به النبي (ص) معاذا حين ارسله الى اليمن وهو ما جرى عليه الخلفاء الراشدون وقضاتهم وعمالهم كما تقدم في المسألة

الاولى من هذه المسائل (وعبر عنها بالبحث الاول) وعطف طاعة أولي الامر على طاعة الرسول بدون إعادة العامل (أطيعوا)لانهما في هذا المقام من جنس واحد أي ان طاعة أولي الامر في اجتهادهم بدل من طاعة الرسول (ص) في اجتهاده وحالة محلها بعد وفاته ، لا لأنهم معصومون كعصمته بل لأن المصلحة وارتقاء الأمه وسلامتها من الاستبداد لاتتحقق الا بذلك وقد نبهنا على هذا المعنى من قبل وانما اعدناه لنذكر الناس ان هؤلاء الاصوليين لم يقولوا بعصمة الانبياء في اجتهادهم لأن الله تعالى بين في كتابه شيئا مما عاتبهم فيه على بعض اجتهادهم ولم يقرهم عليه فكيف يكون لخلفهم من أولي الامر من المزية ماليس لهم ؟؟

وما ثبت في السنة وعمل الصحابة من جعل السنة في المرتبة الثانية يدل على ان الكتاب لاينسخ بها وانه هو المرجح دائما عند التعارض

﴿ تنبيه ﴾ تكرر في تفسير هذه الآية لفظ النص معرفا ومضافا الى الكتاب والسنة بمعنى عبارتهما لا النص الاصولي

(٥٩ : ٦٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠ : ٦٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١ : ٦٥) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢ : ٦٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا

قال السيوطي في لباب النقول اخرج ابن ابي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال كان ابو برزة الاسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون

فيه فتنافر اليه ناس من المسلمين فأنزل الله تعالى «الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا - الى قوله - إلا احسانا وتوفيقا » . واخرج ابن ابي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال كان الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد و بشر يدعون الاسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم الى رسول الله (ص) فدعوهم الى الكهان حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم « ألم تر الى الذين يزعمون »الآية . واخرج ابن جرير عن الشعبي قال كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي أحا كمك الى أهل دينك أوقال الى النبي لأنه قد علم انه لايأخذ الرشوة في الحكم فاختلفا واتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فنزلت اه

الاستاذ الامام : الكلام متصل بما قبله فانه تعالى ذكر ان اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت الخ وذكر من سوء حالهم ووعيدهم ما ذكر ثم أمر المؤمنين بعد ذلك بأداء الامانات الى أهلها والحكم بالعدل ، لأن أولئك قد خانوا بجعلهم الكافرين اهدى سبيلا من المؤمنين ، وأمرهم بطاعة الله ورسوله في كل شيء وطاعة أولي الامر فيما يجمعون عليه مختارين لامسيطر عليهم فيه وبرد ماتنازعوا فيه الى الله ورسوله في مقابلة طاعة أولئك للطاغوت وإيمانهم به وبالجبت واتباعهم للهوى . وبعد هذا بين لنا حال طائفة أخرى بين الطائفتين وهم المنافقون الذين يزعمون أنهم آمنوا ومن مقتضى الايمان امتثال ماأمر به المؤمنون في الآيتين السابقتين ولكنهم مع هذه الدعوى يريدون ان يتحا كموا الى الطاغوت الذي عليه تلك الطائفة فقال ﴿ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحا كموا الى الطاغوت ﴾ وقد ذكر المفسرون أسبابا متعددة لنزول هذه الآية يمنعنا اختلافها وتشتت رواياتها ان نجزم بواحدة معينة منها وانما نسترشد بمجموعها الى معرفة حال من أعرضوا عن حكم الرسول(ص) وقد تقدم أن «الطاغوت» مصدر الطغيان وهو يصدق على كل من جاءت الروايات في سبب نزول الآية

بالتحاكم اليهم (كما قرأت آنفا) ومن قصد التحاكم الى أي حاكم يريد أن يحكم له بالباطل ويهرب اليه من الحق فهو مؤمن بالطاغوت ولا كذلك الذي يتحاكم الى من يظن أنه يحكم بالحق، وكل من يتحاكم اليه من دون الله ورسوله ممن يحكم بغير ما انزل الله على رسوله فهو راغب عن الحق الى الباطل وذلك عين الطاغوت الذي هو بمعنى الطغيان الكثير ، ويدخل في هذا مايقع كثيرا من تحاكم الخصمين الى الدجالين كالعرافين وأصحاب المندل والرمل ومدعي الكشف ويخرج المحكم في الصلح وكل ما أذن به الشرع مما هو معروف

أقول والاستفهام في قوله تعالى « ألم تر » استفهام تعجيب من أمر الذين يزعمون انهم آمنوا ويأتون بما ينافي الايمان كما تقدم بيانه في تفسير « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب » وأحوال الامم تكون متشابهة لانها مظهر أطوار البشر فالايمان الصحيح بكتب الله ورسله يقتضي الاتباع والعمل بما شرعه الله تعالى على ألسنة تلك الرسل، وترك العمل مع الاستطاعة دليل على ان الايمان غير راسخ في نفس مدعيه فكيف اذا كان العمل بضد ما شرعه الله تعالى؟ هكذا كان يدعي الايمان بموسى والتوراة جميع اليهود حتى أولئك الذين يشترون الضلالة بالهدى ويأكلون السحت ويؤمنون بالجبت والطاغوت ، وهكذا كان في مسلمي العصر الاول من يزعمون انهم آمنوا بما أنزل الى الرسول (ص) وهم مع ذلك يرغبون عن التحاكم اليه الى التحاكم الى الطاغوت ، وهكذا شأن الناس في كل زمان لايكونون كلهم عدولا صادقين في ملة من الملل ، ولا يكونون كلهم منافقين أو فاسقين في ملة من الملل ، ومن العجائب ان يقال ان كل المسلمين الذين رأوا النبي (ص) كانوا عدولا والقرآن يصف بعضهم بمثل ما في هذه الآية ويسجل على بعضهم النفاق .

والزعم في أصل اللغة القول والدعوى سواء كان ذلك حقا أم باطلا . قال أمية ابن ابي الصلت في شعر له « سينجزكم ربكم ما زعم » يريد ما وعد وارى ان القافية اضطرته الى استعمال هذا الحرف هنا وما هو بمكين ووعده تعالى لايكون الا حقا. وقال الليث سمعت أهل العربية يقولون اذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فانما يقال ذلك لأمر يستيقن انه حق واذا شك فيه فلم يدره لعله كذب أو باطل قيل زعم

فلان كذا . وقيل الزعم الظن وقيل الكذب ، وكل هذا مأخوذ من اختلاف الاستعمال ينظر القائل الى بعض كلام العرب دون بعض ، والذي ينظر في مجموع استعمالاتها لهذه الكلمة يجزم بأن الاكثر ان تستعمل فيما لايجزم به وان كان يمكن ان يكون حقا . وقال الراغب الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلين به ، وأشار الى بعض الآيات في ذلك ونحن نزيد عليه في بيانها . قال تعالى (٧:٦٤ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن) وقال (٩٤:٦ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقال (٥٦:١٧ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال (٤٩:١٨ بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) وفي هذه السورة أيضا (٥٣ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم) وبقي آيات أخرى مستعملة هذا الاستعمال فلغة القرآن ان الزعم يستعمل في الباطل والكذب وهو يرد على الزاعمين ولا يقرهم على شيء

﴿ وقد أمروا ان يكفروا به ﴾ أي يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به في التنزيل الذي يزعمون أنهم آمنوا به فهذا التنزيل قد بين ذلك بنص الخطاب أو فحواه قال تعالى في سورة النحل وهي مكية (٣٦:١٦ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية وهي نص في ان كل نبي أرسله الله تعالى قد أمر أتباعه باجتناب الطاغوت . وقال تعالى (٢٥٥:٢ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) الخ الآيتين . والمعنى ان هؤلاء الزاعمين تدعي ألسنتهم الايمان بالله وبما أنزله على رسله وتدل أفعالهم على كفرهم بالله وايمانهم بالطاغوت وإيثارهم لحكمه

﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾ قال الاستاذ الامام أي ان الشيطان الذي هو داعية الباطل والشر في نفس الانسان يريد ان يجعل بينهم وبين الحق مسافة بعيدة فيكون ضلالهم عنه مستمرا لانهم لشدة بعدهم عنه لايهتدون الى الطريق الموصلة اليه . قيل له فما تقول في هذه المحاكم الاهلية والقوانين ؟ قال تلك عقوبة

عوقب بها المسلمون أن خرجوا عن هداية قوله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » فاذا كنا قد تركنا هذه الهداية للقيل والقال وآراء الرجال من قبل أن نبتلى بهذه القوانين ومنفذيها فأي فرق بين آراء فلان وآراء فلان وكلها آراء منها الموافق لنصوص الكتاب والسنة ومنها المخالف له ؟ ونحن الآن مكرهون الى التحاكم الى هذه القوانين فما كان منها يخالف حكم الله تعالى يقال فيه أي في أهله « الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان » الآية . وانظر الى ما هو موكول الينا الى الآن كالاحكام الشخصية والعبادات والمعاملات بين الوالدين والأولاد والازواج والزوجات فهل نرجع في شيء من ذلك الى الله ورسوله ؟ اذا تنازع عالمان منا في مسألة فهل يردانها الى الله ورسوله أم يردانها الى قيل وقال، فهذا يقول قال الجمل وهذا يقول قال الصاوي وفلان وفلان اهـ ما كتبته عنه في الدرس وكتبت في آخره يومئذ « يحرر الموضوع » ومراده ظاهر فانه يقول انه لاقول لأحد في قضية أو مسألة مع وجود نص فيها مما انزله الله تعالى على رسوله أو ماقضى به (ص) باذن الله عز وجل والمسلمون قد تركوا ماجرى عليه السلف من النظر في كل قضية في كتاب الله أولا ثم في سنة رسوله وفي رد المتنازع فيه اليهما بل عملوا بآراء الناس الذين ينتمون اليهم ويسمونهم علماء مذاهبهم وان وجد نص الكتاب أو السنة مخالفا له، ويحرمون الرجوع الى هذه النصوص لان ذلك من الاجتهاد الممنوع عندهم الذي يعد المتصدي له ضالا مضلا في نظرهم، وقد ترتب على هذا الذنب الذي هو اجتناب تقديم الكتاب والسنة على كل قول ورأي أن سلس المسلمون لحكامهم في مثل مصر حتى انتقلوا بهم من الحكم بقول فلان وفلان من الذين يسمونهم أهل الفقه ويأخذون بما في كتبهم ابتداء وافق نصوص الكتاب والسنة أم خالفها الى الحكم بقول فلان وفلان من واضعي القوانين، ولم يكن المتحاكمون الى رجال القانون أسوأ حالا من المتحاكمين الى أقوال الفقهاء ، وهم الآن أقدر على تحكيم الكتاب والسنة في عباداتهم ومعاملاتهم فيما بينهم وفي محاكمهم الشرعية منهم على تحكيمها في المعاملات المدنية والعقوبات لأنهم في هذا تحت سيطرة الاجانب الاقوياء ، واما في ذاك فليسوا تحت سيطرة أجنبية ، فاذا أراد علماؤهم وأهل الرأي والمكانة فيهم ذلك نفذ ولكنهم لايريدون . والذين يضعون هذه

القوانين المصرية يوافقون في أكثرها الشرع ويبنون رأيهم على المصلحة العامة بحسب ما يصل اليه علمهم ولكنهم لا يلصقون رأيهم بالشرع كالفقهاء ، ومراعاة المصلحة من مقاصد الشرع في المنصوص وفي الموكول الى الرأي والناس يقبلون آراء المنسوبين الى الفقه ولو فيما يخالف نصوص الكتاب والسنة لأنهم يلصقونها بالشرع من حيث يدعون انها اجتهاد صحيح مبني على اصوله ولكن لا اجتهاد مع النص، وربما كان العامل بالرأي لا يسميه دينا أقل جناية على الشرع ممن يعمل بالرأي يسميه دينا ولا سيما مع وجود النص .

وجملة القول انه ما كان للمسلمين ان يقبلو قول احد أو يعملوا برأيه في شيء له حكم في كتاب الله أو سنة رسوله (ص) الثابتة ، الا فيما رخص الله تعالى فيه من أحكام الضرورات والحاجات ومالا حكم له فيهما فالعمل فيه برأي أولي الأمر في كل زمن بشرطه أولى من العمل دائما برأي بعض المؤلفين لكتب الفقه في القرون الخالية لأنه أقرب الى المصلحة . هذا هو ما كان يريده رحمه الله تعالى في العبارة التي قالها في درسه بالازهر وما كان يعتقده . نعم إن من يضعون الاحكام لما لا نص فيه يشترط في الاسلام ان يكونوا عالمين بالنصوص ومقاصد الشريعة وعللها حتى لا يخالفوها وليتيسر لهم رد المتنازع فيه اليها ، والاستاذ الامام يقول بهذا أيضا

﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ صرح في هذه الآية بما دلت عليه التي قبلها من نفاق هؤلاء الذين يرغبون عن حكم كتاب الله وحكم رسوله الى حكم الطاغوت من أصحاب الأهواء وناهيك بمن يفعل ذلك في عهد الرسول (ص) وحكمه لا يكون الا حقا ما بنيت الدعوى على حقيقتها لأن الحكم بحسب الظاهر ، واما حكم غيره بشريته فقد يقع فيه الخطأ بجهل القاضي بالحكم أو بتطبيقه على الدعوى . يقول تعالى واذا قيل لأولئك الذين يزعمون انهم آمنوا وهم يريدون التحاكم الى الطاغوت : تعالوا الى ما انزل الله في القرآن لنعمل به ونحكمه فيما بيننا والى الرسول ليحكم بيننا بما أراه الله رأيت المنافقين أي رأيتهم وهم المنافقون — جاء بالظاهر بدل الضمير ليبين حالهم وحال أمثالهم بالنص ويبني عليه ما بعده وهو أثره — يصدون عنك صدودا أي

يعرضون عنك و يرغبون عن حكمك إعراضا متعمدا منهم . وهو هنا من «صدّ» اللازم. والآية ناطقة بأن من صد واعرض عن حكم الله ورسوله عمدا ولا سيما بعد دعوته اليه وتذكيره به فانه يكون منافقا لا يعتد بما يزعمه من الايمان وما يدعيه من الاسلام، وهي حجة الله البالغة على المقلدين لبعض الناس فيما استبان حكمه في الكتاب والسنة ولا سيما اذا دعوا اليه ووعظوا به . قال الاستاذ الامام ان الحامل لهم على هذا الصدود هو اتباع شهواتهم وألفتهم للباطل، وعدوّ الحق يعرض عنه اعراضا شديدا

(قال) ثم اراد تعالى ان يبين سخافتهم وجهلهم وعدم طاقتهم بالثبات على

هذا الصدود فقال ﴿ فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴾ الخ أي لو عقلوا لالتزموا ما أظهروا قبوله من الاسلام وعملوا بمقتضى ما ادعوه من الايمان ليتم لهم الاستفادة منه لأن العاقل يعلم ان تلك الحال التي اختاروا فيها التحاكم الى الطاغوت لا تدوم لهم وانه يوشك ان ينتقلوا منها فيقعوا في مصاب يضطرهم الى الرجوع الى النبي (ص) ليكشفه عنهم وأن يعتذروا عن صدودهم بأنهم ما كانوا يريدون بالتحاكم الى غير الرسول إلا إحسانا وتوفيقا ، كأنه يقول فكيف يفعلون اذا اطلعك الله على شأنهم في اعراضهم عن حكم الله والتحاكم اليك وتبين ان عملهم يكذب دعواهم الايمان ؟ انهم اذا يستحقون العقوبة والاذلال ليكونوا عبرة لغيرهم . وذهب أبو مسلم الى ان في الآية بشارة بان المنافقين سيقعون فى مصيبة تفضح أمرهم، وتكشف سرهم ، وهل يتوبون حينئذ ويجيئونك أم لا، ويقول غيره ليس المراد بذلك البشارة بشيء سيقع، وانما هو بيان تاجز لامرهم، وايذان بمؤاخذتهم وإذلالهم، وإراءتهم انهم سفهاء الاحلام ، مستحقون لما يعاقبهم به النبي عليه السلام ،

أقول اشار الاستاذ رحمه الله تعالى في كلامه بالدرس الى اختلاف المفسرين في فهم الآية وإنما تناقلوا الخلاف فيها لأنه روي عن بعض السلف فيها فهم شاذ فتبعه بعضهم فيه وهو قول الحسن ان قوله تعالى « فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم » جملة معترضة بين ماقبلها وما بعدها والمعنى: رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك يحلفون بالله الخ أي اذا دعوا الى ما أنزل الله واليك يصدون عنك

في غيبتك، ثم يجيئونك يعتذرون و يحلفون في حضرتك، فكيف اذا أصابتهم مصيبة أي كيف يكون حال تلك المصيبة والشدة . وقال الرازي ان الواحدي قد اختار هذه الرواية، واقول لاعجب اذا اختارها، وان كان النظم الكريم يتبرأ منها، وقد خطرت في بال من هو أحسن منه فهما للكلام ، وهل عثر متقدم عثرة ولم يعثر وراءه فيها كثير من المتأخرين ولو تكلفا للعثار ؟ ثم ان بعضهم حمل الكلام هنا على معنى الآيات الواردة في المنافقين عامة وخلط بين الآيات الواردة في الوعد ببيان نفاقهم ، واغراء النبي (ص) بعقابهم ، وفي الذين يتخلفون منهم عن الخروج معه (ص) الى الجهاد ثم يعتذرون اليه بعد ذلك كما هو مفصل في سورة التوبة وسورة الاحزاب وكل ذلك من التوسع الذي يضيع معه المعنى المتبادر من الآية وهو:

فكيف يكون حال هؤلاء المنافقين أو المنافقين مطلقا أو كيف يكون الشأن في أمرهم اذا أصابتهم مصيبة بسبب ماقدمت أيديهم أي ماعملوا من السيئات بباعث النفاق الظاهر ، والخبث الباطن، فان الأعمال السيئة تترتب عليها آثار سيئة، وتكون لها عواقب ضارة لا يمكن كتمانها، ولا يستغني صاحبها عن الاستعانة فيها بقومه وأولياء أمره، فالآية تنذر جميع المنافقين الذين يستخفون من الناس بأعمال النفاق مبينة أن هذه الاعمال لابد ان يترتب عليها بعض المصائب التي تفضح أمرهم وتضطرهم الى الرجوع الى النبي والاعتذار له، والحلف على ذلك ليصدقه، فانهم يشعرون بأنهم متهمون بالكذب . أو كيف تعاملهم في هذه الشدة أيها الرسول بعد علمك بما كان من صدودهم عنك، في وقت الاستغناء عنك، هل تعطف عليهم وتقبل قولهم

اذا أصابتهم المصيبة التي يستحقونها بارتكاب أسبابها ﴿ ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا الا إحسانا وتوفيقا ﴾ أي يخادعونك بالحلف بالله انهم ما أرادوا بما عملوا من الصدود أو من الاعمال المنكرة والمعاصي التي ترتبت عليها المصيبة الا احسانا في المعاملة اوتوفيقا بينهم و بين خصمهم بالصلح أو الجمع بين منفعة الخصمين. ونحن نعلم أنك لا تحكم إلا بمرّ الحق لا تراعي فيه أحدا فلم نرض را في استمالة خصومنا بقبول حكم طواغيتهم والتوفيق بين منفعتنا ومنفعتهم

سأل العليم الحكيم كيف تكون المعاملة في هذه الحال تمهيدا لبيان ما يجب العمل به وهو قوله تعالى ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾ من الكفر والحقد والكيد وتربص الدوائر بالمؤمنين ليظهروا عدواتهم . قال الاستاذ الامام والعبارة تدل على تعظيم الامر أي فظاعته وكبره ولا يزال مثلها مستعملا فيما يعظم شأنه من خير وشر ومسرة وحزن يقول الرجل لمن يحبه ويحفظ وده الله يعلم ما في نفسي لك ، أي ويقول فى العدو الماكر المخادع الله يعلم ما في قلبه . والمعنى ان ما في قلوب هؤلاء المنافقين كبير جدا لا يعرفه كما هو إلا الله تعالى ﴿ فأعرض عنهم ﴾ أي اصرف وجهك عنهم ولا تقبل عليهم بالبشاشة والتكريم ﴿ وعظهم ﴾ ببيان سوء حالهم لهم اذا هم اصروا على ما هم عليه ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ﴾ يبلغ من نفوسهم الأثر الذي تريد ان تحدثه فيها . أقول أما الاعراض عنهم فهو يحدث في نفوسهم الهواجس والخوف من سوء العاقبة فانهم لم يكونوا على يقين من اسباب كفرهم ونفاقهم ولا جازمين بما في نفوسهم من تكذيب الوحي ولذلك كانوا يحذرون أن تنزل سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، ويحسبون كل صيحة عليهم ، فاذا رأوا من النبي (ص) الاعراض عنهم وعدم الالتفات الى اعذارهم المؤكدة بأيمانهم الكاذبة على خلاف عادته مع اصحابه من الاقبال عليهم والبشاشة في وجوههم فانهم يظنون الظنون : لعله عرف ما نسر في نفوسنا ، لعل سورة نزلت نبأته بما في قلوبنا ، لعله يريد ان يؤاخذنا بما في بواطننا . وهذه الظنون تعدّهم للتأمل فيما يلقي عليهم من الوعظ وهو - كما تقدم في تفسير الجزء الثاني (ص ٤٠٣ ج ٢) - النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل . واما الامر الثالث وهو « وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا » فقيل معنى قوله في أنفسهم في شأن أنفسهم كأن يذكر لهم من شأن أنفسهم في عقائدها وما تنطوي عليه سرائرها وما يترتب على تلك العقائد والسرائر ، من الاعمال الدالة على ان الظاهر مرآة الباطن ، ويبين لهم ان هذه الذبذبة لم تكن خيرا لهم فيما يهمهم من أمر دنياهم ، لانهم صاروا بها في اضطراب دائم ، وهمّ ملازم ، وهي شر لهم في آخرتهم ،

وقيل في أنفسهم معناه في السر دون الملأ لأن الكلام في السر يبلغ من النفس مالا يبلغه الكلام على مسمع من الناس فان من تحدثه خاليا لا يشغله عن معنى حديثك ما يشغل غيره من ذهاب نفسه وراء تأثير حديثك في نفوس الناس الذين سمعوه : هل يحتقرونه به ، هل يحدثون به غيرهم ، ماذا ينبغي ان يفعل وان يقول اذا قيل له فيه أو احتقر لأجله . وقيل المعنى قولا بليغا في انفسهم أي يغوص فيها ويبلغ غاية ما يراد به منها ، وهو الذى اشار اليه الاستاذ الامام . وفيه تقديم معمول الصفة على الموصوف وهو جائز عند الكوفيين وكثيرا ما يرجح الاستاذ الامام مذهبهم ولا سيما في الجواز واستعمال اللغة والبصريون لا يجيزونه الا حيث يجوز تقديم العامل وتوسع بعضهم في الظروف . وقيل ان المراد بالقول البليغ ان يكون الوعظ بكلام بليغ وقيل هو أمر ثالث فالوعظ النصح المتعلق بأمر الآخرة والقول البليغ ما يكون في أمر الدنيا ومعاملتهم فيها . وذكر بعضهم ان من بلاغة الكلام طوله وهو قول مردود

وفي الآية شهادة للنبي (ص) بالقدرة على الكلام البليغ وتفويض أمر الوعظ والقول البليغ اليه لان الكلام يختلف تأثيره باختلاف افهام المخاطبين وهي شهادة له بالحكمة ووضع الكلام فى موضعه وهذا بمعنى إيتاء الله تعالى نبيه داود الحكمة وفصل الخطاب وما أوتي نبي فضيلة الا وأوتي مثلها خاتم النبيين (صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين) وشهادة الله تعالى له في هذا المقام أكبر شهادة وإنما آتاه الله تعالى هاتين المزيتين على وجه الكمال بالنبوة والقرآن ولم يكن قبل النبوة مشهورا بين قومه بالفصاحة والبلاغة وان كان فصيحا بليغا لان الله تعالى صرفه عن مظهر فصاحتهم وبلاغتهم وهو الشعر والخطابة والمماتنة (المغالبة) في الاسواق والمجامع . وانما صرفه الله تعالى عن ذلك لتكون حجته في إعجاز القرآن بالبلاغة أظهر وابعد عن الشبهة فلا يقولن قائل انه تمرن على الكلام البليغ وزاوله الزمن الطويل حتى ارتقى فيه الى هذه القمة العليا التي لا يطاول فيها . هذه هي حجتنا المؤيدة بسيرته الشريفة على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن معدودا قبل النبوة في بلغاء القوم بالشعر ولا الخطابة ولم يكن يحفل بمفاخراتهم ومماتناتهم فيها وانما كان مشهورا بالامانة والفضيلة والصدق .

وأما دليلنا على ان الحكمة العليا كالبلاغة العليا قد كمله الله تعالى بها بالنبوة أيضا فنصوص القرآن ، وسيأتي منها في هذه السورة قوله تعالى (١١٢ وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم)

قال القاضي عياض في الشفاء « وأما فصاحة اللسان و بلاغة القول فقد كان (ص) من ذلك بالمحل الافضل ، والموضع الذى لايجهل ، سلاسة طبع ، و براعة منزع ، وايجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من اصحابه ، يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه ، وتفسير قوله ، من تأمل حديثه وسبره ، علم ذلك وتحققه ، وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشار الهمداني وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى وغيرهم من اقيال حضرموت و ملوك اليمن » ثم أورد الشواهد على ذلك

(تنبيه)

كنا جعلنا المسائل المتعلقة بإتمام تفسير آية « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول » الخ ثماني مسائل وختمنا الكلام عنها في الجزء الماضي بقولنا في ص ٢٨ منه هذا مافتح الله علينا الخ ثم تذكرنا من مباحثها ما أودعناه في أول هذا الجزء فكانت به المسائل اثني عشرة ، فصار محل « هذا مافتح الله به علينا » الخ العبارة في ص ٢٩ بعد تتمة المسألة ١٢ في ص ٨٨ من هذا الجزء وكذلك جعلناها في التفسير الذى يطبع على حدته

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(الذكر بالاسماء المفردة)

(س ٤) من صاحب الامضاء بطوخ القراموص

حضرة الفاضل صاحب المنار المنير الافخم

اطلعت على ماجاء في جوابكم على سؤال في الطريقة الشاذلية الدرقاوية المنشور في ج ٣ م ١٣ ص ١٩٤ من المنار — من ان الذكر بالاسماء المفردة لم يرد في الشرع الامر به ولا العمل ... الخ

وحيث ان هذا المذهب وان سبقكم الى القول به العز بن عبد السلام وابن تيمية الحنبلي وغيرهما ممن حذا حذوهما — مخالف للسنة ولاجماع الصوفية وجمهور الفقهاء والمحدثين . رأيت أن أرسل اليكم بهذه العجالة لتنشروها في المنار فان الحقيقة بنت البحث واليكم البيان : —

(١) في الجوهر الخاص للعلامة الغمري أن الذكر ماأتى قط مقيدا بشي فليس في الكتاب ولا السنة اذكروا الله بكذا بل اذكروا الله مطلقا من غير تقييد بامر زائد على هذا اللفظ

وفيه أيضاً — هل قول الذاكر الله الله يحتاج الى تأويل خبر أم لا — الجواب أما من حيث الأكمل فيحتاج الى خبر ليتم المعنى لا من حيث أنه يسمى ذكرا فانه يسمى ذكرا بدون ذلك لان صيغ الذكر وضعت للتعبد بها ولو من غير تأويل خبر

ونقل العلامة العسقلاني في شرحه على البخاري في الكلام على حديث إنما الأعمال بالنيات أن النية إنما تشترط في العبادة التي لاتتميز بنفسها وأما ماتميز بنفسه فانه

ينصرف بصورته الى ماوضع له كالاذكار والادعية والتلاوة لانهالاتتردد بين العبادة والعادة

(٢) مما يدل على الذكر بالاسم المفرد من السنة ماورد في الحديث الشريف عن ثابت عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله وعن علي كرم الله وجهه من حديث طويل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — ياعلي لاتقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله — وفي رواية حميد (؟) عن أنس — لاتقوم الساعة حتى لايقال في الارض الله الله وفي الانوار السنية انه عليه الصلاة والسلام قال — اذا قال العبد الله خلق الله من قوله ملكاً مقربا لايزال يصعد حتى يغيب في علم الله وهو يقول الله الله الى آخر الحديث

(٣) في ذيل الرسالة القشيرية كان رجل يكثر ان يقول الله الله فوقع يوما على رأسه جذع فانشج رأسه فقطر الدم فاكتتب على الارض الله الله ـ وذكر ابن العربي أن هذا الذكر ذكر الخاصة من عباده الذين عمر الله بانفاسهم العالم

وقال اليافعي ذكر الاقطاب الله الله الله بسكون الهاء وتحقيق الهمزة كما في شموس الآفاق . وكان العارف بالله تعالى سيدي أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه يقدمه في التلقين على لااله الا الله وقال في رسالة القصد يقول المريد الله الله وكما تلقنا لقنا وعمل بها واختارها هو وجمع من الصوفية لايحصون ـ واختار الغزالي في كتاب الميزان الاكثار من ذكر الله وذكر أنه تلقن عن بعض مشايخه الله الله ـ وقال أنها متضمنة لمعنى الشهادتين . وفصل أخو الامام الغزالي فقال للمبتدى لااله الا الله قال وهو ذكر ينفي الحظوظ ويبقي الحقوق ويسرع ذهاب الاغيار بالانوار والمنتهي هو هو وصنف في ذلك كتابه ـ وذكر العلامة العدوي على كفاية الطالب عند قول الرسالة وليقل الذابح عند الذبح بسم الله والله أكبر لا يشترط بسم الله الى ان قال لو قال الله مقتصرا على لفظ الجلالة أجزأ ولولم يلاحظ له خبرا لان الواجب ذكر الله وفي بعض حواشي الخرشي لولم يلاحظ له خبرا لكفى واما بالصفة كالخالق والرازق فانه لايكفي اهـ

هذا ما حضرني الآن على مشروعية الذكر بالاسم المفرد والعمل به ولو أردت أن أورد الشواهد من السنة وأقوال الائمة على اختلاف درجاتهم ومنازعهم لطال بنا المقام ، وفي هذا القدر كفاية

وعليه ترون أن القول بخلاف ذلك مردود بما ذكر والله ولي التوفيق ؟

خادم العلم الشريف

احمد محمد الالفي بطوخ

(ج) استدل السائل على مشروعية الذكر بالأسماء المفردة بقول العمري ان الذكر ماأتي قط في الكتاب ولا في السنة مقيدا بشيء ، وبقوله انه لايحتاج في صحة كونه ذكرا الى تقدير خبر ، وقول الحافظ ابن حجر فما تشترط فيه النية،ثم ببعض الاحاديث ثم باقوال وحكايات عن بعض المتصوفة ،

فأما كلمات المتصوفة وحكاياتهم فليست بحجة عند أحد من علماء المسلمين حتى نحتاج الى إثباتها والبحث في دلالتها ومن السهو أن يعبر السائل الفاضل عن ذلك باجماع الصوفية اذ لايمكنه إثبات هذا الاجماع وهو ليس بحجة لو ثبت ومثل ذلك قوله جمهور الفقهاء والمحدثين وإنما الفقهاء الذين يعتد بكلامهم فهم المجتهدون ولم يذكر كلام أحد منهم ولا من المحدثين في محل النزاع

واما قول العمري فهو لاحجة فيه من حيث هو قوله ولا صحة له في نفسه بل هو باطل فقد جاء الذكر في كل من الكتاب والسنة مطلقا ومقيدا بذكر آلاء الله ونعمته كقوله تعالى في سورتي المائدة والاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وقوله في سورة الملائكة (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لاإله الا هو فانى تؤفكون) وقوله في سورة الاعراف (فاذكروا آلاء الله) وكل ما ورد في الكتاب والسنة من أنواع الاذكار كالتهليل والتسبيح والتحميد فهو من الذكر المقيد . والأمر بذكر الله مطلقا من غير ذكر الاسم ينصرف غالبا الى الذكر النفسي كذكر الآلاء والنعم أي تذكرها والتفكر فيها وحيث يذكر لفظ « الاسم » يراد ذكر اللسان كقوله تعالى في سورة الانعام « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » وقد حققنا هذا المبحث فيما زدناه اخيرا في تفسير الفاتحة عند شروعنا بطبعها في الجزء الاول من التفسير . واما مانقله عن الحافظ في مبحث النية فليس مما نحن فيه

بقي ماذكره من الاحاديث وهي هي موضع البحث دون سواها لأن المسألة صارت من المسائل المختلف فيها بين المسلمين فمثل العز بن عبد السلام من أكبر علماء الشافعية وكان يلقب بسلطان العلماء وابن تيمية من أكبر علماء الحنابلة يقولان بعدم مشروعية الذكر بالاسماء المفردة وناهيك بسعة علمهما بالكتاب والسنة وقد شهد العلماء لكل منهما بالاجتهاد المطلق ويقول غير واحد كالذين ذكر السائل اسماءهم انه مشروع فيجب ان يرد هذا الخلاف الى الكتاب والسنة لا أن يقال إن كلام عز الدين مردود بكلام العمري مثلا

السنة النبوية هي البيان الاجلى لكتاب الله تعالى ولم نر في كتب الناقلين لها من الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم المعتبرة ان النبي (ص) وأصحابه كانوا يذكرون الله تعالى بالاسماء المفردة كما يفعل أهل الطريق الله الله الله أو هو هو هو (ان صح ان هذا اسم) أو حق حق حق فهل يعقل ان يترك النبي (ص) هذه العبادة اذا فهم انها مرادة لله تعالى من إطلاق الذكر في بعض الآيات وان يتركها أصحابه (رض) اذا فهموا ذلك أو رأوا النبي (ص) فعله ؟ أم يصح ان تكون هذه عبادة قد مضت بها سنتهم ولم ينقلها احد من الرواة ؟؟ ثم إننا روينا من أحاديث الأذكار الكثير الطيب كالتوحيد والتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار ولم نرو فيها أمرا بقول الله الله أو حي حي بالفظ المفرد.

أما حديث « اذا قال العبد الله » الخ الذي نقله عن كتاب الانوار فهو لا يصح ولا يحتج به بل هو موضوع وأما حديث « لا تقوم الساعة » الخ فقد رويناه عن مسلم في صحيحه من حديث أنس وكذا عن أحمد في مسنده والحاكم وابن حبان وغيرهم وكان ينبغي للسائل عزوه الى صحيح مسلم ، وعبد بن حميد من شيوخ مسلم وقد رواه من طريق حماد عن ثابت عن أنس بلفظ « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » ومن طريق معمر عن ثابت عنه بلفظ « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله » ورواه عبد بن حميد وابن حبان عنه بلفظ « على أحد يقول لا إله الا الله » وكذا ابن جرير والخطيب وزادا « ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » والظاهر أن المراد من الرواية الاولى ما هو بمعنى الثانية أي لا أحد يذكر الله وحده في إسناد الامور اليه بل يكون الناس كلهم ملحدين أو مشركين وهذا ما صح في الاحاديث عند البخاري ومسلم وغيرهما ، والرواية وردت برفع لفظ الجلالة لا بسكونه واللفظ في العربية لا يكون مرفوعا ولا منصوبا ولا مجرورا الا في الكلام المركب ، وقد ذكر علماء البلاغة نكت حذف المسند والمسند اليه من الكلام والعمدة فيها كلها القرينة المبينة للمراد وقد وقع الحذف في القرآن كثيرا كقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) أي خلقهن الله ، وقوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ، قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي قل الله أنزله أي كتاب موسى ان لم يقولوه ، ولو علمنا ما كان يحتف بالحديث من قرائن الاقوال والاحوال لجزمنا بالمحذوف كما نجزم به في الآيتين ، ولكننا نقدره ولم نطلع على تلك القرائن بما يتفق مع رواية « على أحد يقول لا إله الا الله » وروايات غلبة الشرك والكفر

على الناس الذين تقوم عليهم الساعة فنقول المعنى لا تقوم الساعة على أحد يقول الله فعل كذا الله قدّر كذا . ولا يظهر ارادة النطق بلفظ الجلالة مفردا فان المشركين والملاحدة يذكرون الاسم الشريف بمناسبات كثيرة

* * *

(أسئلة من الهند)

(س ٥ — ١١) من صاحب الامضاء

سيدي رأيت في حاشية كتاب العلو لابن قدامة المطبوع في مطبعة المنار الاغر على القصة المروية عن عبد الله بن رواحة مع امرأته رضي الله عنهما حيث رأته مع جارية له قد نال منها فلامته فجحدها فقالت له ان كنت صادقا فاقرأ القرآن فان الجنب لا يقرأ القرآن فقال : شهدت . الأبيات فقالت آمنت بالله وكذبت بصري ، وكانت لا تحفظ القرآن . كلاماً مانصه : لاشك عندي في ان الرواية في هذه المسألة موضوعة الخ مع ان الحافظ ابن عبد البر قال في الاستيعاب (كما ذكر ذلك ابن القيم في الجيوش الاسلامية واقره) رويناها (يعني القصة) من وجوه صحاح ، فالمسؤول ايضاح الصواب

قوله صلى الله عليه وسلم كل قرض جر نفعاً فهو ربا : ماهو تفصيل هذا النفع . ويفعل الغواصون عندنا امراً هو ان صاحب السفينة يقرض الذين يغوصون معه في سفينته بشرط ان لا يغوصوا مع غيره وأمرين آخرين (وهما وان لم يكونا من باب القرض لكن نحتاج الى بيان الحكم فيهما) الاول ان يبيع صاحب السفينة من أحد رفقائه سلعة بثمن الى أجل على ان يغوص معه في سفينته . والثاني هو ان يبيع رجل من آخر صاحب سفينة سلعة بثمن الى اجل على ان يأتي اليه بلؤلؤ ليشتريه فاذا جاء اليه به (بعد الغوص) فهو بالخيار ان تراضيا على ثمن حينئذ باعه منه وان لم يتراضيا باعه صاحبه حيث شاء وادى ذلك الطلب الذي عليه الى المذكور . فهل هذه الصورة من صور الرهن وهل يحرم شيء فى ذلك :

ماهي ضربة الغائص المحرمة شرعا هل هي كل غوصة . ويفعل الغواصون عندنا امراً هو ان صاحب السفينة يستأجر من يغوص له مدة معلومة (لامرات معلومة) باجرة معلومة فهل ذلك جائز أم لا ، وما العلة في تحريم ضربة الغائص هل هي جهالة اللؤلؤ الذي في الصدف أم ماهي: ارجوك الجواب بما يبين به الصواب وبيان الدليل بما يشفي

العليل اثابكم الله : داعيكم حرر هذه السطور بطريق الاستعجال فارجوكم السماح وغض الطرف وعلى كل حال فلسيدي اصلاح ماوقع من خطأ ان كان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

داعيكم

عبد الصمد الوهبي

﴿ قصة عبد الله ابن رواحة مع امرأته ﴾

(ج ٥) إن العبارة التي قلتها ظاهرة في انها إبداء رأي مني لا نقل عن المحدثين وقد بنيت هذا النقل على أصول الدراية، لا على نقد أسانيد تلك الرواية، فانني لم أطلع على اسناد ابن عبد البر لهذه القصة، وقد رأيت ما نقله ابن القيم عن الاستيعاب في الاستيعاب نفسه ولم يغير رأيي في القصة واني أعلم انه ليس كل ما صحح بعض المحدثين سنده يكون صحيحا في نفسه أو متفقا على تعديل رجاله فكأين من رواية صحح بعضهم سندها وقال بعضهم بوضعها لعلة في متنها أو في سندها والجرح مقدم على التعديل بشرطه وقد ذكروا من علامات الوضع ماردوا به بعض الروايات الصحيحة الاسناد كرواية مسلم في صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات وروايته في حديث « خلق الله التربة يوم السبت » لأن الاولى مخالفة للروايات الصحيحة التي جرى عليها العمل والثانية مخالفة للقرآن،

من العبرة في هذا الباب حديث علي كرم الله وجهه في كون النبي (ص) ما كان يقرأ القرآن جنباً، صححه الترمذي وابن حبان وابن السكن والبغوي وغيرهم وقال الشافعي أهل الحديث لا يثبتونه وقال الخطابي كان أحمد يوهن هذا الحديث، وقال النووي خالف الترمذي الاكثرون فضعفوا هذا الحديث، وعلته من عبد الله بن سلمة راويه حكى البخاري عن عمرو بن مرة الراوي له عنه أنه قال كان عبد الله بن سلمة يحدثنا فنعرف وتنكر، وقال البيهقي في قول الشافعي الذي ذكرناه آنفاً: انما قال ذلك لان عبد الله بن سلمة راويه كان قد تغير وانما روى هذا الحديث بعد ما كبر قاله شعبة

ومما يدلك على ان تصحيح ابن عبد البر لتلك القصة لم يعتد به جماهير العلماء عدم ذكرهم إياه في بحث تحريم القراءة على الجنب حتى صرح بعض المحدثين والفقهاء بأن أقوى ماروي في هذا الباب حديث علي الذي اشرنا اليه آنفا. والقصة تدل على ان هذا كان معروفا مستفيضا بين الصحابة يعرفه النساء والرجال وما كان كذلك تكثر الروايات الصحيحة فيه. والمعروف الذي تداولوه وبحثوا فيه حديث علي وقد علمت

مافيه وحديث ابن عمر مرفوعا « لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئا من القرآن » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وهو ضعيف، وفي المعنى حديث جابر مرفوعا « لا يقرأ الحائض ولا النفساء من القرآن شيئاً » رواه الدارقطني وهو واه أو موضوع . وأقوى ما في الباب من الآثار ما صح عن عمر بن الخطاب انه كان يكره ان يقرأ القرآن وهو جنب

لم يذكر الحافظ ابن حجر قصة عبد الله بن رواحة في ترجمته من كتابه (الاصابة) وهي في كنز العمال تختلف عما في الاستيعاب فقد عزاها الى ابن عساكر من رواية عكرمة مولى ابن عباس وفيه ان امرأة عبد الله لما رأته مع الجارية رجعت وأخذت الشفرة فلقيها فقالت لو وجدتك حيث كنت لوجأتك بها (أي بالشفرة) فأنكر انه كان مع الجارية وقال ان رسول الله (ص) نهى ان يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب فقالت اقرأه فقال:

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح مشهور من الصبح ساطع
اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ان ماقال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... اذا اشتغلت بالكافرين المضاجع

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري قال (عبد الله بن رواحة) فغدوت على النبي (ص) فأخبرته فضحك حتى بدت نواجذه. وكأن السيوطي رجح هذه الرواية على اعترافه بضعفها على رواية ابن عبد البر فاقتصر عليها. ويعلم السائل ان ابن قدامة أورد رواية أخرى في المسألة وفيها انه لما انكر على امرأته قالت له اقرأ القرآن فأنشد

شهدت باذن الله ان محمداً ... رسول الذي فوق السموات من عل
وان أبا يحيي ويحيي كلاهما ... له عمل من ربه متقبل

وقد روى هذه الرواية من طريق ابي بكر بن ابي شيبة عن أسامة عن نافع وسنده اليه ضعيف فقد طعنوا في عبد العزيز الكناني وشيخه عبد الرحمن بن عثمان وقالوا في شيخه عمه محمد بن القاسم انه قد اتهم فيا كتاره عن ابي بكر احمد بن علي. فهذه ثلاث روايات في الشعر الذي قيل ان عبد الله بن رواحة انشده الثالثة منها ما أورده ابن عبد البر وهي

شهدت بأن وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرينا

وان العرش فوق الماء طاف   وفوق العرش رب العالمينا

ولم يستدل الفقهاء بشيء منها على تحريم التلاوة على الجنب على أنها اصرح شيء فيه وما ذلك الا لعدم اعتمادها لضعفها أووضعها

أما وجه حكمي بوضعها فهو مافيها من نسبة تعمد الكذب من صحابي من الانصار الاولين الصادقين الصالحين وتسميته الشعر قرآناً أي نسبته الى الله عز وجل القائل فيه « وما هو بقول شاعر » و إقرار النبي (ص) له على ذلك بالضحك الدال على الاستحسان كما صرح به في بعض الروايات ، وقد صرح العلماء بأن من نسب الى القرآن ما ليس منه كان مرتداً

(حديث كل قرض جر نفعا)

(ج ٦) « حديث كل قرض جر نفعا فهو ربا » ضعيف بل قال الفيروزبادي انه موضوع ولا عبرة بأخذ كثير من الفقهاء به كما قال المحدثون وهم أهل هذا الشأن وقد بينا ذلك في ص ٣٦٢ وما بعدها من مجلد المنار العاشر في سياق الفتوى في أمانات المصارف (البنوك) والنفع عندهم عام يشمل العين والمنفعة ولا يحرم الا اذا اشترط في العقد وقد بينا هناك في المنار جواز أن يؤدي المدين أفضل مما أخذ

(القرض بالشرط الفاسد)

(ج ٧) من أقرض الغواصين بشرط أن لايغوصوا مع غيره كان هذا الشرط فاسدا فانهم اذا لم يغوصوا معه لايلزمهم الا وفاء الدين، بل الظاهر ان هذا وعد لاشرط والوعد يجب الوفاء به ديانة لاقضاء عند جماهير الفقهاء أي ان الحاكم لايجبر الواعد ان يفي بوعده ولا يحكم للموعود بأن الموعود به حق له

(البيع بشرط عمل اجنبي عن العقد)

(ج ٨) اذا باع صاحب السفينة للغواص سلعة بثمن مؤجل بشرط ان يغوص معه فجماهير الفقهاء لايعتدون بهذا الشرط والقول فيه كالقول في مثله في المسألة السابقة أي ان قبول المشتري له عبارة عن وعد منه وهو لايجب عليه للبائع غير الثمن المسمى غاص مع غيره أم لا نعم انه يجب عليه الوفاء بالوعد ولا سيما لمن تمتع بماله بهذا القصد.

(ج ٩) ومثل هذه المسألة مابعدها وهو أن يبيعه سلعة بثمن الى أجل على أن يأتيه بلؤلؤ ليشتريه منه بالتراضي فان لم يتراضيا باع لؤلؤه حيث شاء وادى الثمن وليس

هذا من الرهن في شيء فللمشتري أن يتصرف في السلعة ويستهلكها وليس عليه غير ثمنها الا الوفاء بوعده ديانة

(ضربة الغائص)

(ج ١٠) ضربة الغائص التي ورد النهي عنها هي ان يقول الغائص للتاجر مثلا أغوص لك في البحر غوصة فما أخرجته فهولك بكذا، قالوا وقد نهي عنه لما فيه من الغرر ولأنه من بيع المجهول وهو يشبه القمار وهو غير جائز ، ومثله ضربة القانص أي الصائد يرمي شبكته في البحر مرة بكذا درهما ، والحديث في النهي عن ضربة الغائص ضعيف رواه احمد وابن ماجه والبزار والدارقطني عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد قال « نهى النبي (ص) عن شراء مافي بطون الانعام حتى تضع وعن بيع مافي ضروعها الا بكيل وعن شراء العبد وهو آبق وعن شراء المغانم حتى تقسم وعن شراء الصدقات حتى تقبض وعن ضربة الغائص » وشهر بن حوشب مختلف فيه حسن البخاري حديثه وقال ابن عدي شهر ممن لايحتج به ولا يتدين بحديثه. وقد صرح الحافظ ابن حجر بضعف سند الحديث ، ولكنهم قووا متنه بالاحاديث الصحيحة في النهي عن بيع الغرر

(استئجار الغواصين)

(ج ١١) استئجار الغواص للغوص مدة معلومة أو مرات معدودة جائز لان كلا منهما استئجار لعمل معين بأجرة معلومة والفرق بين ضربة الغائص والاستئجار للغوص ان الغواص في الحالة الاولى يبيع شيئاً مجهولا لايملكه وفي الحالة الثانية يعمل عملا باجرة ، وليست الاجارة للغوص عدة مرات جائزة لأجل تعدد المرات ولا ضربة الغائص ممنوعة لأنها مرة واحدة بل لما ذكرنا من الفرق فالضربة والضربات سواء في ذلك البيع وفي هذه الاجارة والاجير يستحق الاجرة بمجرد العقد كما صرح به الحنابلة ويجوز تأخيره بالتراضي . ولاصحاب الاموال وأصحاب السفن الذين يقرضون الغواصين بتلك الشروط التي لاعلاقة لها بالقرض ولا تقيم الحاكم لها وزنا أن يستأجروهم للغوص قبل وقته ويعطوهم الأجرة كلها أو بعضها عند العقد أو بعده وقبل زمن الغوص بحسب الحاجة فهذه أمثل الطرق ان كانوا يخافون غدرهم وعدم وفائهم. واما الذين يقرضون المال لأجل ان يشتروا اللؤلؤ في موسمه فخير لهم ان يطبقوا معاملتهم على قواعد السلم ان أمكن

هذا ماظهر لنا في أجوبة هذه المسائل بناء على قواعد الفقه المشهورة المبنية على المعاملات القضائية وأشرنا الى ان المتدينين يتعاملون فيما بينهم بالصدق والوفاء بالوعود فهم لايختلفون اذا كان ماتعاقدوا أو تعاهدوا عليه صريحا مرضيا بينهم وقد ثبت في الكتاب والسنة وجوب الوفاء بالعقود التي يتعاقد الناس عليها برضاهم وعمل المسلمين بشروطهم الا شرطا أحل حراماً أو حرم حلالا والمحرم في العقود هو الغش والخداع والغرر وكل حيلة يأكل بها الانسان مال الآخر بالباطل . وقد شدد بعض الفقهاء كالحنفية في العقود والشروط ووسع فيها بعض الحنابلة وفقهاء الحديث والذي حققه ابن تيمية بالدلائل القوية هو ان كل عقد وكل شرط لايخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) فهو جائز والوفاء به واجب سواء اقتضاه العقد أم لا . وهذا مانراه ولا نحب ان نطيل في المنار في مسائل المعاملات الفقهية لأن غرضنا مما ننشره من الاحكام العلمية في باب الفتاوى وغيره هو بيان عدل شريعتنا وموافقتها لمصالح الناس في كل زمان ومكان للرد على الطاعنين فيها وتمكين عقائد الجاهلين من أهلها ، وبيان المسائل الدينية المحضة وحكمها للعلة المذكورة آنفا

المسلمون والقبط

(١)

إنما بقاء الامم والملل بمقوماتها التي تمتاز بها عن غيرها فاذا قصر افرادها في التماسك والاعتصام بالمحافظة على تلك المقومات وما يتبعها من المشخصات زالت الأمة أو الملة بانقراض أهلها أو اندغامهم في أمة أخرى

مضت سنة الله في البشر بمحافظة كل قوم على مقوماتهم ومشخصاتهم وحرصهم عليها بقدر ارتقائهم في حياتهم الاجتماعية فالامة الحية المستقلة لاتتبع أمة اخرى ولا تقلدها في دينها ولا عاداتها ولا تقاليدها ، ومثلها في ذلك كمثل الافراد فالعالم المستقل لايتقلد رأي غيره وان كان مثله أو أعلم منه وانما يعمل بما يظهر له انه الصواب لا بما يظهر لغيره

يتعصب بعض الشعوب لما هم عليه وان ثبت لهم ان المخالف لهم فيه أولى بالصواب

واجدر بالاتباع كما يتعصب الانكليز لمقاييسهم ويأبون اتباع الفرنسيين وغيرهم في المقاييس العشرية التي هي خير منها . فاذا ثبت لهم ان ماهم عليه ضار بهم أو مقدم لغيرهم عليهم تبدلوا به غيره بالتدريج البطيء لكيلا تتزلزل مقومات الأمة أو مشخصاتها فيضعف تماسكها وتشعر بعلو غيرها عليها

كان المكونون للأمم يراعون هذه السنن فيها حتى ان رؤساء النصارى لما ارادوا فصل اتباع المصلح العظيم لليهودية (عيسى عليه السلام) من قومه اليهود تركوا من تعاليم الناموس (التوراة) ماأقره المسيح ولم ينقضه كالراحة في يوم السبت والامتناع عن عمل الدنيا فيه واستبدلوا به يوم الأحد بغير أمر من المسيح ولا من حواريه ، ووضعوا لهم غير ذلك من العبادات والاعياد حتى صارت ملتهم من أبعد الملل عن اليهودية . كذلك فعل المصلح الاعظم خاتم النبيين (صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين) بما كان يأمر به من مخالفة أهل الكتاب وغيرهم في عاداتهم وتقاليدهم زائدا ذلك عما جاء به الوحي من الاصلاح في اصول دين الله وفروعه ، والحكمة في ذلك تكوّن الأمة وامتيازها بما تكون به قدوة لغيرها لاتابعة مقلدة

كذلك مضت سنة الله في البشر بتقليد الضعيف للقوي وتشبهه به فيما يسهل التقليد والتشبه فيه سواء ذلك في الافراد والأمم ، وانما السنة فيه أن يكون بالتدريج والانتقال من محقرات الامور كالأزياء والعادات الى مافوقها حتى ينتهي بأعظم المقومات التي بها التمايز كاللغات والمذاهب والأديان ، ولولا التعارض بين داعيتي التقليد والاستقلال لكان أمر البشر على غير مانعهد الآن ، فاما ان يكون كل منهم مقلدا لمن قبله فيكونون كالأنعام ، واما ان يكون كل منهم مستقلا في كل شيء فلا يكادون يشتركون في شيء يجمع بينهم ، ويرى بعض الحكماء انه يجب التأليف بين جميع البشر واتحادهم وما هذا بالذي يتم وغاية مايرجى من الكمال أن يتعارفوا ولايتناكروا في اختلافهم كما أرشد القرآن

كان أمر الناس في الزمان الماضي متروكا الى طبيعة الاجتماع تعمل عملها بسنن الله تعالى فيهم وهم لايشعرون بسيرها فيساعدوها عليه أو يقاوموها فيه بالطرق العلمية الا ما كان من الحروب التي توقد نيرانها مطامع الاقوياء ، وقد اتسع نطاق علم الاجتماع في هذا العصر فصارت الأمم العالمة المتحدة تفضل قوة العلم على قوة السلاح في محاربة الأمم الجاهلة المتخاذلة ، فتسطو على مقوماتها ومشخصاتها من الدين واللغة والتقاليد والعادات فتزلزلها وتزيل ثقتها بها بالتدريج وتزين لها أن تتبدل بها ماتخيل اليها أنه خير

منه فتزيدها بذلك ضعفا ومرضا حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين إما بالاستعباد وذهاب الاستقلال ، وإما بالاندغام والاضمحلال

هذا هو السبب في بث الافرنج دعاة دينهم وفي بنائهم المدارس في البلاد الاسلامية وغيرها وفي اتخاذهم الوسائل الى بث لغاتهم وآرائهم وعاداتهم في مدارسنا حتى صارت نفوس نابتتنا في البلاد المقلدة لمدنيتهم في تصرف الاساتذة من الافرنج والمتفرنجين ينقشون فيها من الافكار ويطبعون فيها من الملكات مايغير نظام الاجتماع في بلادنا ويجذب أموالها وميولها اليهم حتى يكون أهلها عالة عليهم أو خدما لهم في كل شيء الى ان تصير ملكا خالصا لهم في الحقيقة دون الاسم أو في الامرين معا ، وقد صرح لورد كرومر في بعض تقاريره عن مصر بأن الغرض من مدارس الحكومة فيها فرنجة المصريين ، فهل اعتبر بهذا القول أحد من القارئين ، أو نبه عليه أحد من السياسيين؟ وهو الذي ترتب عليه تقليد حكوماتنا لأوربا بغير اجتهاد ولا استقلال

لاأقول ماقلته ذما في الافرنج بل مدحا لهم فان هذه الطريقة هي أرقى ماوصل اليه البشر في الفتح والاستعمار ، واستيلاء الاقوياء على الضعفاء الذي هو من سنن الاجتماع ، فلهم في شرع العمران والفلسفة ان يجدوا ويجتهدوا في جذب جميع الامم الى دينهم ولغاتهم وعاداتهم ، وفي تسخيرها لخدمتهم ومنافعهم ، وانما يمكن أن تلومهم الفلسفة انهم لايرضون أن يساووا هؤلاء المجذوبين بأنفسهم ولا أن يرقوهم الى درجتهم ، فالشرقي عندهم لا يمكن ان يساوي الغربي وان اتبعه هذا في دينه ولغته وعاداته : والاسلام يفضلهم في هذه المسألة فهو قد سبقهم الى تلك الطريقة السلمية في جذب الناس اليه مع تقرير المساواة التامة بين المنجذبين اليه الداخلين فيه . لافرق بين الملك العظيم (كجبلة بن الايهم) والصعلوك الفقير . ولا بين السيد الشريف الفاتح (كخالد بن الوليد) وبين العتيق الاسود (كبلال الحبشي) بل الاسلام يساوي بين المسلم وغير المسلم في الحقوق كما ساوى أعدل امرائه (عمر بن الخطاب) بين أكبر سيد فيه (علي بن أبي طالب) وبين رجل من آحاد اليهود . والانكليزي لا يساوي الهندي بنفسه ولا الفرنسي يساوي الجزائري بنفسه بل ميزوا أنفسهم علينا في عقر ديارنا وأرقى حكوماتنا

الافرنج أرقى منا في العلم والمدنية فنحن في حاجة الى أخذ الفنون والصناعات منهم بالاجتهاد والاستقلال مع المحافظة على مقوماتنا الملية والقومية التي تحول دون فنائنا فيهم ولكننا لم نأخذ منهم شيئا مما نحتاج اليه بالشرط الذي بيناه وانما سرى الينا ماسرى منهم بالتقليد لا بالاستقلال لذلك كان سببا لضعف استقلالنا أو ذهابه ،

لا لرسوخه وثباته ، اللهم الا مااقتبسته دولتنا العثمانية من فنون الحرب فلها استقلال واجتهاد مافيه ، لعلمها بتوقف حياتها عليه ، ولم يكن استقلالها فيه تاماً لانها لا تزال عالة عليهم حتى في تعليم الجند فما بالك بصنع الاسلحة والآلات ، والبوارج المدرعات ، ولو تواطأت دول أوربا على منع بيع السلاح وآلات الحرب للدولة لقضين على قوتها بغير مقارعة ولا مكافحة

من آية استقلال الامة فيما تأخذه عن غيرها ، وماتدعه من عاداته التي هي عرضة لها ، أن يكون ذلك رأي زعمائها وعمل جمعياتها ، باسم الامة ولمصلحتها العامة ، ولسنا معاشر المسلمين على شيء من هذا الاستقلال بل نحن مقلدون للافرنج حتى فيما نحسب اننا نهرب به من سيطرتهم كدعوة الوطنية التي كان الخسار فيها علينا والربح لغيرنا ، ومن الشواهد المحسوسة على ماذكرنا من المقدمات مايسمونه اليوم بالمسألة القبطية في مصر

* * *

سكان القطر المصري اثنا عشر مليونا منهم احد عشر مليونا ونيف من المسلمين ويزيد عدد القبط فيه عن نصف مليون والباقي من سائر الشعوب والملل ودخل بعض القبط في حماية الدول الاجنبية فلم يعد لهم من الحقوق ولا عليهم من التكاليف مثل ما للوطنيين وعليهم ، والمشهور أن نسبة القبط الى المسلمين في هذا القطر هي نسبة ستة الى مئة

في هذه الفئة القليلة من الحياة الملية ماليس في تلك الفئة الكثير العدد ، صاحبة الحق في الملك والسؤدد ، لان الحاكم العام منهم ، وهو صاحب التصرف المطلق في ادارة بلادهم ، التابعة في السياسة والسلطة لخليفتهم ، ولغة الحكومة والامة هي لغة دينهم ، ولم تغن عنهم كثرتهم ، ولا سلطتهم ولا شكل حكومتهم ولا تبعيتهم لخليفتهم من شيء ، لما قامت القبط تنازعهم مافي أيديهم فتنزعه شيئاً بعد شيء بالسير على سنة الكون ونظام الاجتماع . فما أجدر القبط في سيرتهم هذه بالفخر والاعجاب

ليس لمسلمي مصر جمعيات دينية محضة ولا مجلس ملي اسلامي للقبط كما وغيرهم ، ليس لهم أندية اسلامية خاصة بهم من حيث هم مسلمون ، ليس لهم جرائد ولا مجلات دينية محضة كجرائد غيرهم ومجلاتهم ، لايوجد فيهم أفراد ولا جماعات ينظرون في أمورهم الاجتماعية ونسبتهم فيها الى غيرهم ويعملون عملا ما لمسابقة غيرهم أو مزاحمته في أعمال الحكومة أو الاعمال المالية أو الادبية ، الجرائد السياسية لغير المسلمين تروج عند المسلمين وجرائد المسلمين لاتروج عند القبط ، والمسلمون يعلمون ذلك ولا تحركهم نعرة عصبية ، ولا غيرة ملية ، وما ذلك الا من بقايا ماورثوا من أخلاق دينهم من صفاء القلب والتساهل

أما القبط فانهم يعملون كل شيء للقبط باسم القبط ويعبرن عن أنفسهم بالامة القبطية ويسمون البلاد المصرية بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم ولهم مجلس ملي وجمعيات وأندية وجرائد ومجلات قبطية محضة ويطلبون مايطلبون من المناصب والاعمال في الحكومة للقبط باسم القبط على أنها حق للقبط من حيث انهم قبط ، ويتعاونون في جميع مصالح الحكومة فيفضل القبطي أخاه القبطي على غيره لا تأخذه في ذلك لومة لائم، ولاشيء عند المسلمين من هذا التعاون والتكافل ، على ان البلاد بلادهم وليس للقبط فيها مزية على غيرهم من النصارى واليهود الا بتمييز المسلمين لهم ثم انهم يتهمون المسلمين بالتعصب الذميم والتحامل وهضم حقوقهم فرحى للقبط المتعاونين ، وياحسرة على المسلمين المتخاذلين

ان معظم أعمال الحكومة المصرية ومصالحها في أيدي القبط ولا يمتاز المسلمون عليهم الا بقليل من المناصب الرئيسية التي لاحظ لهم منها غير الفخفخة والتحلي بكساوى التشريف والاوسمة ، فالمديرون على قلتهم من المسلمين وكثيرا مايكونون من غير الاكفاء المختبرين ، وينقلون من مديرية الى أخرى، ورؤساء الكتاب وأكثر العمال الذين تحت أيديهم من القبط ثابتون في أعمالهم عارفون بقوادمها وخوافيها متكافلون في الاستئثار بها ولذلك يكون أكثر المديرين آلات فى أيديهم لايقدر أعلاهم كفاءة أن يخالف رئيس الكتاب القبطي في شيء يريده لان العمال في المديرية وأكثرهم من القبط يتعصبون حينئذ على المدير ويعرقلون أعماله ويوقعونه في المشكلات مع نظارة الداخلية أو نظارة المالية وينصرهم اخوانهم في النظارة عليه لانهم كلهم يد على من عداهم وعلى هذا القياس تناصرهم في القضاء وسائر المصالح . ثم انهم يزعمون مع هذا كله انهم مظلومون مهضومون ، وان المسلمين هم المتعصبون الظالمون. فرحى للقبط المتحدين ، ويا حسرة على المسلمين المتفرقين

هذا ما كانت عليه الفئة الكثيرة بالعدد القليلة بالتخاذل والغفلة ، والفئة القليلة الكثيرة بالتعاون والوحدة ، وهذا هو الذي أطمع القبط في جعل حكومة مصر قبطية محضة في يوم من الايام ، وكان من حسن حظهم أن فتن الباحثون في الامور العامة من المسلمين بالسياسة ، وجعلوا هجيراهم فيها دعوة الوطنية وصاروا يلهجون بهذه الكلمات : اخواننا القبط ، اخواننا القبط ، نحن مصريون قبل كل شيء ، لادين في الوطنية ، انما الدين في المساجد والكنائس ، وبلغ من لهجهم بالوطنية واخلاصهم فيها أن صار بعضهم يقول لافرق عندي بين أن يكون الخديوي مسلماً

أو قبطيا ، وانما المهم عندي أن يكون مصريا ، وقد سمعت مثل هذه الكلمة من بعض المدرسين في مدارس الحكومة العالية ، فقلت له وهل تظن فيمن سمحت لهم عاطفتك الوطنية بعرش الامارة أن يسمحوا لك بوظيفة (قومسير) في مصلحة سكة الحديد ؟؟ أما وسر العقل والبصيرة انهم لايسمحون بذلك مختارين ، وما هم على ذلك عندي بملومين ، فرحى للقبط المتعصبين ، ويا حسرة على المسلمين المتساهلين .

* * *

سبق لي مدح القبط في المنار غير مرة وتفضيلهم على المسلمين بالتعاون والتناصر والرابطة الملية وان كانوا دون المسلمين في الكفاءة الشخصية الا التملق الذي يستميلون به الرؤساء واتباعهم في ذلك طريقة العقل والحزم وسنن الاجتماع التي أشرنا اليها في فاتحة القول بترك المسلمين بين عامل خامل ، وزكي يائس ، ونشيط مغرور شغله الكلام في مقاومة الاحتلال عن كل عمل تقوى به الامة في وجه الاحتلال (وهو عندي محصور في التربية الملية والاعمال الاقتصادية كما بينت ذلك مرارا) وتوجيه همتهم في هذه الفرصة الى التربية القبطية والتعليم ، وتنمية الثروة ، والتغلغل في أعمال الحكومة ، ولكنني أنكرت عليهم في هاتين السنتين سيرتهم فرأيتهم قد تركوا ماعهدت فيهم من الهدوء والسكينة ، واللين والتملق ، وطفقوا يطعنون في جرائدهم طعناصريحا في سلف المسلمين وخلفهم ، ودينهم وآدابهم ولغتهم ، فعجبت من هذه الطريقة الجديدة، التي يخشى أن تعلم المسلمين التعصب والمقاومة ، فتكون كرة القبط هي الخاسرة ، وصرت أقول في نفسي ماعدا مما بدا ، وأقدح زناد الفكر لعلي أجد على النار هدى

لو صبروا على جدهم وتعاونهم ، وتركوا المسلمين في غفلتهم وتخاذلهم ، لنالوا كل ماأملوا ، ولساعدوهم باسم الوطنية على ما أرادوا . يريدون أن يثبوا على الوظائف الادارية العالية كما وثبوا في القضاء ، يريدون أن تترك الحكومة العمل في يوم الاحد . يريدون أن تدرس الديانة المسيحية في الكتاتيب والمدارس كلها . يريدون أن لا يكون للمسلمين في هذه الحكومة مزية ما . كل هذا كان سهلا اذا رضوا بسنة التدريج والمسلمون أنفسهم يساعدونهم على كل ذلك حتى اذا نالوه سهل عليهم أن يجعلوا الحكومة وقفا عليهم ويمنعوا المسلمين منها ألبتة

أليس بعض كتاب المسلمين يهينون في جرائد الاحزاب القوية ، كل من يرتقي من المسلمين الى منصب عال في الحكومة ، ويعدونه خائنا لوطنه ، مشايعا للانكليز فيه ، بقدر ما يعظم القبط كبار الموظفين منهم ، ويستعينون بهم على سعة نفوذهم في الحكومة ؟

أليس هذا تمهيداً لنيل القبط هذه البقية القليلة من الوظائف ؟ أم يساعدهم الوزراء المسلمون على ماطلبوا من تعليم دينهم في مدارس الحكومة (وهو مالانظير له في حكومات الارض) ؟ بلى وكذلك يساعدهم المسلمون في فرصة أخرى على كل مايطلبون. واذا هم نالوا بقية الوظائف الرئيسة وتمكنوا بها من جعل تسعة أعشار الموظفين منهم يكون لهم الوجه الوجيه في طلب ابطال الاعمال يوم الاحد دون يوم الجمعة ولا يجرأ مسلم يومئذ أن يفتح فما ، أو يحرك قلما ، خوفا من تهمة التعصب الديني من جهة ، ومن تحامل الحكومة القبطية عليه من جهة أخرى

هذا ماأقوله معتقدا له ولاشك فيه عندي ، ولذلك عجبت كيف خانهم الصبر ، وفاتهم ادراك هذا الامر ، وحرت في تعليل هذا المسلك الجديد ، حتى كان مما خطر في بالي انهم ربما كانوا يريدون إحراج المسلمين لاحداث فتنة في البلاد تكون وسيلة لاعلان انكلترا الحماية عليها أو ضمها الى مستعمراتها . ولم أصدق مايقوله بعض الناس من انهم أحسوا من المسلمين ضعفا ووجدوا فرصة لاخراج أضغانهم ، وشفاء غليل حقدهم ، ففعلوا ذلك لمجرد اللذة بايذاء من كانوا يستثقلون اسم سيادتهم عليهم ، لاأرى هذا القول ولا ذلك الخاطر بالمعقول ، وانما هناك سبب آخر نشرحه في النبذة التالية. ثم نبين شكل هذه الحكومة الرسمي وهل للقبط حق فيها أم لا ثم مسألة يوم الراحة الاسبوعية في الاديان الثلاثة وما ينبغي أن يكون الحال عليه في مصر (للمقال بقية)

جماعة الدعوة والارشاد

يد الله على الجماعة (حديث شريف)

النظام الاساسي للجماعة

اخترنا ان نوقع هذا النظام المبارك في ليلة المولد النبوي الشريف (وهي في الحقيقة ٩ ربيع الأول) تيمنا وتفاؤلا وان نذيعه في صبيحة اليوم الذي يحتفل في ليله بتذكار تلك السعادة أي ١٢ ربيع الاول وقد تأخر هذا الجزء من المنار

وهو جزء صفر الى منتصف ربيع فرأينا ان ننشر هذا النظام فيه

* * *

أما أعضاء مجلس الادارة المؤسسون الذين وقعوه فهم عشرة

(١) محمود بك سالم المحامي المشهور الذي كان يصدر مجلة عرفات باللغة الفرنسية وهو يعرف عدة لغات غربية وقد انتخب رئيسا للجمعية

(٢) السيد محمد رشيد رضا صاحب هذه المجلة وقد انتخب وكيلا للجمعية وناظرا لمدرستها الكلية (دار العلم والارشاد)

(٣) الشيخ حسين والي) المدرس في الجامع الازهر ومدرسة القضاء الشرعي وهو من المؤلفين وقد انتخب كاتبا لسر الجمعية

(٤) محمود بك أنيس من وجهاء مصر وكبار مزارعيها وأرباب القلم فيها وقد كان يصدر مجلة زراعية وانتخب أمينا للصندوق

(٥) الشيخ احمد زناتي معاون الديوان الخديوي وهو من المؤلفين وكان ناظر مدرسة العزبة المتمدنه

(٦) الشيخ عبد الوهاب النجار المحامي الشرعي والمدرس بمدرسة البوليس

(٧) محمد افندي سعودي من موظفي المحكمة الشرعية العليا

(٨) محمد لبيب بك البتانوني من أدباء مصر ووجهائها وأرباب القلم فيها

(٩) الدكتور محمد توفيق صدقي صاحب كتاب الدين في نظر العقل الصحيح

(١٠) الشيخ محمد المهدي الشهير الاستاذ في مدرسة القضاء الشرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

الفصل الاول

﴿ في الجمعية ومقصدها ﴾

(الاصل الأول) تألفت في مصر القاهرة جمعية باسم « جماعة الدعوة والارشاد »

(الاصل الثاني) مقصدهذه الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم « دار الدعوة والارشاد » في مصر القاهرة لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الاهم على المهم

(الاصل الثالث) يرسل الدعاة الى البلاد الوثنية والكتابية التي فيها حرية دينية ولا يرسلون الى بلاد الاسلام الا حيث يدعى المسلمون جهرا الى ترك دينهم والدخول في غيره مع عدم وجود علماء مرشدين يدفعون الشبهات عن الاسلام ويبينون حقيقته لأهله

(الاصل الرابع) لاتشتغل هذه الجماعة بالسياسة مطلقا لا بالسياسة المصرية ولا بسياسة الدولة العثمانية ولا بسياسة غيرها من الدول

الفصل الثاني

﴿ في أعضاء الجمعية ومجلس ادارتها وشعبها ﴾

(الاصل الخامس) كل مسلم يبذل للجمعية مقدارا من المال في كل سنة أو كل شهر يكون عضواً فيها وأعضاؤها أربعة أقسام أعضاء مؤسسون وأعضاء عاملون وأعضاء معاونون وأعضاء شرف فالمؤسسون هم الموقعون

على هذا النظام وكل من يدفع للجمعية عشرين جنيهاً مصرياًفا كثر الى مدة شهرين من تاريخ نشر هذا النظام في القطر المصري ومدة ستة أشهر منها لسائر الاقطار ، والعاملون هم الذين يقومون بالاعمال لجمع المال في اللجان التابعة للمركز العام وفي الشعب الخارجية وغير ذلك والمعاونون هم الذين يشتركون بالمال فقط وأعضاء الشرف هم الذين ينفعون الجمعية بعالمهم أومكانتهم نفعا عظيما

(الاصل السادس) يتألف مجلس الادارة في المركز العام من عشرة أعضاء تنتخبهم الهيئة العامة فيماعدا المرة الأولى وهم ينتخبون من أنفسهم الرئيس والوكيل وكاتب السر وأمين الصندوق

(الاصل السابع) ناظر مدرسة (دار الدعوة والارشاد) يكون من أعضاء مجلس الإدارة وهو الذي يعينه

(الاصل الثامن) مدة مجلس الادارة سنتان وفي المرة الاولى فقط تكون مدته أربع سنين ليتمكن أعضاؤه المؤسسون من إحكام العمل . وفي نهاية الأربع الاولى وكل سنتين بعدها تقترع الهيئة العامة للجماعة على إبقاء خمسة من الأعضاء مع ناظر المدرسة وتنتخب بدل الستة الآخرين أو تعيد انتخابهم

(الاصل التاسع) يجوز ان يكون للجمعية رئيس شرف ويختاره أعضاء مجلس الإدارة باتفاق الآراء

(الاصل العاشر) المركز العام لجماعة الدعوة والارشادمدينة القاهرة عاصمة القطر المصري ويكون لهاشعب في سائر الاقطار الاسلامية لكل شعبة منها مجلس ادارة ولكل من مجلس الادارة في المركز العام ومجالس الادارة في مراكز الشعب أن يؤسس لجانا في قطره لجمع الإعانات

(الاصل الحادى عشر) من أعمال مجلس الادارة في المركز العام

اختيار المؤسسين للشعب في الخارج والادارة العامة واستغلال أموال الجمعية بالطرق المشروعة والانفاق منها في مصارفها وادارة مدرستها الكلية ووضع الميزانية السنوية وتعيين العمال وتنفيذ قرارات الهيئة العامة

(الاصل الثاني عشر) على الشعب جمع الاعانات والاشتراكات المالية للجمعية والنظر في شؤون الدعاة والمرشدين الذين يرسلون الى بلادهم واختيار المندوبين لحضور الهيئة العامة السنوية

(الاصل الثالث عشر) يتألف من الاعضاء المقيمين بالقطر المصري لجنة من اثنين فأكثر لمراقبة الاعمال المالية

(الاصل الرابع عشر) تشرف لجنة المراقبة المالية على الدخل والخرج وتقدم في كل سنة تقريراً للهيئة العامة بما تراه ولها حق حضور جلسة مجلس الادارة اذا أرادت، لمذاكرته فيما يتعلق بعملها وليس لها حق الرأي والتصويت فيه. وعليها ان تقدم نسخة من تقريرها الى رئيس مجلس الادارة قبل اجتماع الهيئة العامة بشهر على الأقل وعليه عرضه على المجلس حالا

(الاصل الخامس عشر) أعضاء مجلس الادارة في المركز العام يشترط أن يكونوا من المقيمين في مدينة القاهرة أو ضواحيها

(الاصل السادس عشر) اذا استقال أحد أعضاء مجلس الادارة أو خلا مكانه بسبب ما فالباقون ينتخبون بدله بالاشتراك مع أعضاء لجنة المراقبة للمدة الباقية لسلفه

الفصل الثالث

﴿ في الهيئة العامة للجمعية ﴾

(الاصل السابع عشر) تتألف الهيئة العامة من كل عضو يدفع

ثلاثة جنيهات فأكثر كل سنة ومن مندوبي الشعب وتنعقد بمن يحضر منهم. ورئيسها هو رئيس مجلس الادارة ولمجلس الإدارة أن يدعو رئيس الشرف الى رياسة الجلسة العامة، ولأعضاء الشرف الحق في حضورها مع حق الرأي والتصويت كغيرهم

(الاصل الثامن عشر) تجتمع الهيئة العامة كل سنة مرة بالقاهرة في النصف الاول من شهر ذي القعدة الحرام وعلى مجلس الادارة دعوة الاعضاء اليها بتذاكر بريدية والاعلان في الجرائد

(الاصل التاسع عشر) الهيئة العامة رقيبة على مجلس الادارة تبحث في جميع أعماله السنوية وتحاسبه على تطبيقها على النظام الاساسي والنظام الداخلي وتنظر في الميزانية وتقرها وتنتخب أعضاء مجلس الادارة ولجنة المراقبة المالية ولها أن تقرر تعيين أعضاء شرف

الفصل الرابع

﴿ في أموال الجمعية ﴾

(الاصل العشرون) تتكون أموال الجمعية من الاشتراكات الموقوتة والاعانات والتبرعات والهدايا والوصايا والاوقاف التي توقف عليها أوما تناله من ريع أوقاف أخرى ومن ريع رأس مالها

(الاصل الحادي والعشرون) تودع أموال الجمعية موقتا في مصرف من المصارف الموثوق بها ماعدا مقدارا يقرره مجلس الادارة ينفق منه على الادارة والمدرسة يكون بيد أمين الصندوق وطريقة ايداع المال في المصرف والأخذ منه يبين في النظام الداخلي

(الاصل الثاني والعشرون) يجب أن يضاف ربع دخل الجمعية السنوي الى رأس المال لاجل الاستغلال وهذا ماعدا المبلغ الاحتياطي الذي يبين في النظام الداخلي

(الاصل الثالث والعشرون) ليس لمجلس الادارة أن يقرض من مال الجمعية ولا أن يقترض لها

(احكام عامة)

(الاصل الرابع والعشرون) تنفذ قرارات مجلس الادارة والهيئة العامة بالاكثرية المطلقة فان تساوت الآراء رجح من كان معهم الرئيس ولا رأي لأحد فيما يخالف نص الشارع

(الاصل الخامس والعشرون) مجلس الادارة في المركز العام هو الذي يضع النظام الداخلي الذي يبين فيه كل مايحتاج اليه في تنفيذ النظام الاساسي

(الاصل السادس والعشرون) أعضاء مجلس الادارة متبرعون بأعمالهم ماعدا ناظر المدرسة

(الاصل السابع والعشرون) تنشر الجماعة كل سنة كراسة في بيان ميزانيتها ومهمات أعمالها وأسماء الباذلين ومقدار مابذلوه لها ومن لا يحب اظهار اسمه يذكر بلقب « محسن »

(الاصل الثامن والعشرون) يجوز تعديل ماعدا الفصل الاول من أصول هذا النظام اذا اتفق على ذلك ثلاثة أرباع أعضاء مجلس الادارة ولجنة المراقبة واكثر من نصف من يحضر الهيئة العامة من غيرهم

صدر بمصر في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٩

اقوال الجرائد

في الجمعية ومدرستها

(مدرسة التبشير الاسلامي)

كتب الشيخ عبد العزيز شاويش في هدايته تحت هذا العنوان مانصه :

عز على نفر لم يتح لهم التربع في دسوت المناصب في الحكومة العثمانية أن لا تكون هذه المناصب وقفاً عليهم يلونها دون أولئك الذين أهلهم لها ماعهد فيهم من اختبار تام ونزاهة وافية فضلا عن خلوص نفوسهم من شائبة الاغراض وتمسكهم باهداب الدستور الذي ركبوا في طلبه الاهوال ولم يضنوا عليه بانفاق الآجال . عز عليهم أن لاتكون مناصب الدولة وقفاً عليهم يلونه أو تراثاً لهم يتقاسمونه فنقموا على الدستور يين انهم أخفقوا سعيا واسروا ذلك في نفوسهم ثم طفقوا يعالجون طلب الوظائف تارة بالدهان والملق وطوراً بالتهديد والوعيد وقد فطن رجال الدولة وأرباب الحل والعقد ثمت الى مايضمر أولئك النفر فما أجابوا لهم مطالباً ولا أنالوهم مأربا

عز على أولئك النفر أن يحال بينهم وبين شهواتهم وهالهم أن يفطن اليهم رجال الدولة فجعلوا يبيتون لها الشر ويضمرون لها الكيد ناسين أو متجاهلين أن منارها هو منار الاسلام القائم وذمارها ذماره المهيب وحرمها حرمه الممنوع وعلمها علمه المرفوع

زين لهم أمثالهم من الرجعيين الذين لا وازع لهم من وجدان أو دين ان يسعوا في تمزيق شمل الجامعة العثمانية كل ممزق ويترامو في أحضان أولئك الذين لايريدون بدولة الخلافة الاسلامية خيراً انتقاما لانفسهم مما نالهم من الفشل ولو علموا أنهم بذلك يحاربون الله ورسوله لما نقلوا لتحقيق مأربهم قدما ولا أجروا فيه قلما

أراد أولئك النفر وهم خارجي ورجعي ودعي أن يكيدوا للدولة خلف ستار من مشروع قبح باطنه بقدر ماحسن ظاهره وهو مشروع (مدرسة التبشير الاسلامى)

مرحبا بالغيورين على الدين وهم أضر عليه من أعدائه؟؟ مرحباً بأنصار الدولة وهم ألدّ خصومها ؟؟ مرحباً بالذين أدنفهم الهوى بالخلافة الاسلامية وهم أعداؤها المستترون ؟؟

لبس أولئك الجماعة لمشروعهم لبوسه وظهروا في مظهر من يغارون على الاسلام ويعنيهم ألا تقوم للفتنة قائمة والله يعلم ونفوسهم عليهم تشهد انهم دعاة فرقة وفتنة وضلال

والى اولئك النفر اجتماعهم خفية غير مبالين ماتجلب مقاصدهم السافلة من الخطر على الاسلام والويل على الدولة المؤيدة بعناية الله وقلوب المسلمين في جميع بقاع الارض ثم أخذوا يهمسون بمشروعهم همساً ويعمون على الناس تعمية موهمين انه لايراد منه الا أن يخرج للناس مبشرين يبشرون بالدين الحنيف والذي نعرفه وان أنكروه وقد قلناه قبل اليوم وان جحدوه انهم أرادوا ان يثيروا ثائرة القلوب الضعيفة ايمانها على دولة الخلافة المعتزة بآل عثمان ويعينوا الانجليز على تفسير ذلك الحلم الذي طالما حلموه وهو اقامة خلافة عربية يختارون لها من يبغون ؟؟

ذلك مايبغونه وان تظاهروا بانكاره . وقد أراد الله تعالى أن يقرن سعيهم الخبيث بالفشل الخبيث ويقتله فكرة في الرؤوس فما ظهر الا فى نطاق من الشبه والريب التي لاتدفع. قد راب المسلمين أن يتسارّ من عرفوهم قبل اليوم خارجاً على الدولة الدستورية يقلب حسناتها سيئات ، ورجعيا يتحسب على فوات عهد الاستبداد ، وطامعاً لم ينل غرضاً فجعل الدولة غرضاً يصوب اليه السهام فترتد الى نحره سراعا. نعم راب المسلمين أن يتسار أولئك النفر الذين يعرفون بسيماهم وقد أهاب بالامة داعي الحق منذراً بما يسعى اليه هؤلاء المفتونون محذراً مما يضمرون ويبيتون وقد جعلوا بعد أن كشفنا الستار عن مخبآتهم يكتبون في (صحيفة النفاق) مايظنونه رداً علينا وماهو الا الخذلان على انفسهم يجلبونه والخزي على ذواتهم بأيديهم يسجلونه وقد حاولوا أن يستنفروا العرب المسلمين ويستعدوهم علينا بدعوى اننا نتهمهم جميعاً بالخروج على الدولة وما اتهمنا منهم الا نفراً في مصر يعرفون انفسهم كما يعرفهم الناس

يريدون أن يلقوا في النفوس بذراً من الكراهية لدولة أعزت الاسلام وجمعت أمر المسلمين ليشب المفتونون بهم على البغض لدولة الخلافة المعتزة بآل عثمان خلدها الله فيهم ويتسنى لهم اذ ذاك فيما يزعمون أن يقيموا خليفة عربياً يقلبه الانكليز في

أيديهم فيتقلب ويتخذونه آلة لتنفيذ أغراضهم وما تخفى على أحد تلك الاغراض

توبوا أيها المضلون الى رشدكم واقبلوا على أنفسكم فحاسبوها أشراً تدبرون للدولة أم خيراً بهــا تريدون وفتنة تلك التي تحاولون أن تثيروها أم هي خدمة للدولة أنتم مزلفوها وقربة تتقربون بها الى خليفة رسول رب العالمين

فكروا طويلا أيها المقدمون على ماتجهلون خطره ولا تعرفون ضرره لقد قلنا لكم من قبل مايحيط مشروعكم من الريب والظنون وقلنا لكم لاينبغي أن يكون مثل هذا العمل الذي قدر له اثنا عشر ألفاً من الجنيهات بلا كلفة والذي تزعمون أنه أعظم خدمة خدم بها الاسلام مما يدبر خلف ستار ولا أن يكون القائمون به من خصوم الملة والدولة ولا أن يسبق الشروع فيه طوافكم ببعض القصور ولا أن تأبوا إشراف شيخ الاسلام عليه ولا أن تنشأ مثل هذه المدرسة لما نعلم من سيء الاغراض وسافلها.

فقلنا لكم ذلك كله فما خشيتم لله حسابا وما زدتم على أن جعلتم السباب جوابا

أتكيدون لدولة الخلافة أيها المضلون هذا الكيد على أعين المسلمين؟ وهل ضعف إيمانكم ورشدكم الى حد أن تعملوا على ايقاظ فتنة وشق وحدة وتمزيق كلمة وتفريق شمل مجموع ؟ أليست هي دولة الخلافة تلك التي تحاربونهـا والرابطة العثمانية التي بالتمزيق تريدونها ؟

ثم ألا تتقون الله أن تجمعوا على المسلمين كلمة دول الصليب اذ توهمونهـا أنكم متعصبون بالمعنى الذي تفهمه الدول لا بالمعنى الصحيح ؟

اللهم ارشد بصائر عن سبيل الحق عميت وألهم السداد قلوبا الى ماهو شر نزغت وزد المسلمين يقيناً بأن تلك النزغات محاربة لك ولنبيك ودينك وخلافتك وأمتك وأفض على الدولة العلية من عنايتك ورعايتك مايمنعها من كيد المفرقين وشر المضلين

* * *

(وهنا نقل الشيخ شاويش عبارة في المشروع من جريدة الحقيقة البيروتية كتبها محرر مصري اغترارا بما كتبه الشيخ شاويش في جريدة العلم ولما علم أصحاب الجريدة بأن جريدة العلم تعني مشروعنا رجعوا عما كتبوا واثنوا على المشروع وعلموا ان ما كتب في العلم افك وبهتان وسيأتي نص ماتنصلت به في ص ١٢٩ . ثم قال)

فعلى مايظهر من هذا المشروع الجديد المستور بسجوف التعمية والدهاء ان صاحب المؤيد يريد اليوم ان يعمل على تأييد هذه الفكرة واعلانها في ثوب (التبشير الاسلامي) ليتمكن هو وانصاره من تنفيذ مابيتوه في ضمائرهم السيئة وذلك باعلان رغائبهم الممقوتة

في طول البلاد العربية وعرضها تحت هذا الستار المموه بطلاء الخبث والحيلة فينقلب كيان الدولة العلية من آثار التفريق الذي هو بيت قصيد الخوارج المعروفين في مصر لكثير من الناس

من في مصر من الاعيان وأصحاب الاموال يقدم على هذا المشروع ويرضى بالاكتتاب فيه مع كثرة الشكوك والظنون حوله واجماع الناس على انه ماوضع الا لتمزيق الرابطة العثمانية وتبديل وفاقها شقاقا وليجر عليها مالايرضاه لها من المغبة كل عثماني يجري في عروقه قطرة من الدم وكل مسلم في قلبه ذرة من الايمان ؟؟

اللهم انه لايدفع مبلغ الاثنى عشر ألف ليرة الذي قدر لهذا المشروع المجهول برنامجه المجهول رئيسه وأعضاؤه ورجاله العاملون غير (العابد) وفائق المابينجي وو الخ من رجال الدور السابق الذين توطنوا مصر في هذه الايام الاخيرة ممن لايهدأ بالهم ولا يستقر حالهم الا بالتفكير فيما يكدر سلام الدولة ويوقعها في هوة المصائب والفتن فيصطادوا بعد ذلك في الماء العكر ويحققون وعدهم لطالب الزعامة المنتظرة !!!

نحن لانقول غير ذلك مادام هؤلاء القوم ينكرون مبادئ مشروعهم ويسترون عن الناس اغراضهم وحقيقة مقاصدهم من وضعه والا فما معنى هذا الكتمان اذا كان حقيقة نافعا للعالم الاسلامي ولماذا نجهل مقدماته وتغمض أسماء القائمين به كما يقولون والاعمال النافعة التي يراد تأييدها ونفع العالم بها لا يجوز ان تدغم تفاصيلها وتطمس عن عيون الناس فوائدها ؟؟ هذا مانقوله الان ممسكين عن بقية مالدينا من المعلومات حتى يتبين غث المشروع من سمينه » الخ

* *

(المنار) تبين بهذه المقالة ان ماكتب في جريدة العلم عن هذا المشروع الجليل قد كان كله بقلم الشيخ عبد العزيز شاويش ولا ندري أكتب هذه المقالة بعد أن بينا له حقيقة المشروع حتى اضطر الى النكوص على عقبيه وتكذيب نفسه في جريدة العلم أم كتبه قبل ذلك البيان، فان كان كتبها بعد البيان، فهو مصر على الارجاف حسدا وتملقا لمن لايغني عنه من الله شيئاً ، ولا يفسر حينئذ رجوعه في العلم ثم سكوته الا باكراه أهل الغيرة الدينية من رجال الحزب الوطني إياه على ذلك وقد بلغنا أن هؤلاء قد ضاقوا ذرعا بقلم شاويش الذي أهان الحزب بسبابه وشتائمه وفتح في وجهه ابواب السجون وهم يحبون إخراجه من حزبهم ولذلك لم ينتخبوه في هذه السنة لعضوية مجلس ادارة الحزب على طمعه في الرياسة أو ما يقرب منها

وان كان كتبها قبل ذلك البيان ، كما نحب ان نرجح تحسيناً للظن فالواجب عليه الآن ان يتوب ويتبرأ مما سجله على نفسه في صحيفته وليتذكر يوم الحساب ان كان يخاف الله تعالى أن يقول له فيه (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) بل عليه ان يحاسبها قبل يوم الحساب على الجزم بهذه الأباطيل التي ظهر بها مبلغ صدقه وورويته ويكفر عنها بالرجوع الى الحق ومساعدته كما نصحناله في الجزء الماضي ولا يكونن من المستكبرين

عني الشيخ عبد العزيز بمقاومة هذا المشروع الاسلامي الاكبر ، وفكر في طرق ذلك وقدر ، فكان منتهى شوط ذهنه الوقاد، وفكره النقاد ، أن يقضي على المشروع بمقالة ومقالتين يجمع فيهما من التهم والشتائم ما ينفر كل احد من الاقدام على الشروع فيه وحينئذ يصدق الناس جميع ماقال ، ويكفي الكافرين والمنافقين أمر المقاومة والجدال

لو وصل عقل الشيخ عبد العزيز الى معنى المثل العامي « الذي يكبر الحجر لايضرب » واعتبر به لما كتب الذي كتب فقد بنى كل ماقدره وزوره على شفا جرف هار ، فانهار به في مهواة الخزي والعار ، بنى كلامه على اتهام الذين اجتمعوا للتشاور في تنفيذ المشروع بأنهم كانوا يريدون الاستئثار بمناصب الدولة وجعلها وقفا عليهم وحرمان رجال جمعية الاتحاد والترقي منها فلما عجزوا عن ذلك أرادوا الانتقام من الدولة باسقاطها وأخذ الخلافة الاسلامية منها واعطائها للانكليز (بخ بخ) وقد نبهنا الى ما في هذا على ظهوره في الجزء الماضي ، على ان الشيخ شاويش قد رجع عن هذه التهمة في جريدة العلم

لو تركنا المشروع خوفا من سعاية الشيخ شاويش وإرجافه لصدق الجمهور الغافل كلامه وان كان غير معقول ولكننا لانترك مافرض الله علينا من خدمة ديننا لمثل ذلك البهتان البديهي البطلان ، وان اظهار أسمائنا كاف لنسف بنيانه ، وهدم أركانه، فانه لايوجد فينا أحد يجرأ الشيخ شاويش ان يقول إنه خطر في باله ان يطلب منصبا من الحكومة العثمانية أو يقبله اذا عرض عليه

كتب الشيخ عبد العزيز ما كتب وكانت الجماعة التي تبحث في تنفيذ المشروع مؤلفة من عشرة رجال من المصريين الاصليين وأكثرهم من الموظفين في الحكومة المصرية ليس فيهم عثماني بحت الا كاتب هذه السطور وليس فينا أحد يعرف اللغة التركية التي هي شرط لنيل أقل خدمة في الحكومة العثمانية دع المناصب العالية التي اتهمنا الشيخ شاويش بأننا نريد ان نسلبها من أهلها ونجعلها وقفا علينا !!!

أراد الشيخ شاويش ان يتزلف الى جمعية الاتحاد والترقي بما كان يتزلف به أمثاله الى عبد الحميد من السعاية ظانا انهم يقبلون في هذا الموضوع كل تهمة كما كان يقبل عبد الحميد وما كان عبد الحميد يصدق كل مايقبله من تقارير أولئك الجواسيس وانما كان يبني على الاحتياط فيقبل أقوال الكاذبين على ظهور كذبها رجاء ان يصدقوا في بعض الاحيان، وما عظم الاتحاديين من يضعهم موضعه ، ويتجسس ويسعى لهم بمثل ما كان يتجسس ويسعى له ، وكيف حاله ومقامه عندهم وعند سائر العقلاء وقد ظهر رجال المشروع وعلم ان عزت العابد وفائق المانيجي ليسوا منهم ، بل كيف حاله بعد هذه الفضيحة في خاصة نفسه ، وبينه وبين ربه ،

تذكر الشيخ شاويش بالله لأنه نسب الى علم الله ماليس له به علم فقال في جماعة المشروع « والله يعلم ونفوسهم عليهم تشهد أنهم دعاة فرقة وفتنة وضلال » وقال بعد ان زعم ان المشروع قدر له اثنى عشر ألف جنيه « اللهم انه لا يدفع مبلغ الاثني عشر ألف ليرة الذي قدر لهذا المشروع المجهول رئيسه واعضاؤه ورجاله العاملون غير (العابد) وفائق المانيجي وو الخ » وهكذا يذكر اسم الله ويفتات على علمه فهل راقبه في ذلك مراقبة المؤمنين الصادقين ؟ قال الفقهاء أن اسناد الشيء الى علم الله تعالى ابلغ من الحلف به وصرح بعضهم بأن الكاذب في ذلك يكون مرتدا عن الاسلام لانه نسب الجهل الى الله تعالى فهل علم ذلك الشيخ شاويش وفكر فيه

يتكلم الشيخ شاويش ويجزم ويدعي ان ماقاله في هؤلاء العاملين هو مايعلم الله تعالى ثم يعترف بأنه لا يعرف احداً منهم لا الرئيس ولا الاعضاء وانه استنبط انهم العابد وفائق استنباطاً لأن عقله لم يستطع ان يتصور أكثر من ذلك . فيا حسرة على قراء كلام هذا الكاتب الذين يثقون به كيف يحشوا أذهانهم بالاباطيل والأكاذيب ، ويا لله العجب كيف صبر عليه الحزب الوطني الى هذا اليوم

* * *

﴿ ما كتب في مجلة بيان الحق عن المشروع ﴾

« والرد على جريدة العلم »

لما كتب الشيخ شاويش في جريدة العلم ما كتب من الارجاف بالمشروع وقرأه طلاب العلم في رواق الترك في الازهر كبر على غيرتهم الاسلامية ذلك فكتب أحد فضلائهم برأي إخوانه مقالة باللغة التركية وأرسلها الى مجلة بيان الحق الغراء التي

تصدرها في الاستانة العلية الجمعية العلمية المؤلفة من خيار علماء الترك الاعلام في العاصمة وغيرها فنشرتها المجلة وهذه ترجمتها :

﴿ مشروع مهم ﴾

« قام في هذه الامة الاسلامية رجال مصلحون كثيرون أرادوا أن ينقذوها من الادواء المادية والادبية التي اصابتها منذ سنين كثيرة فكادت تذهب بها الى حضيض التدني والانقراض . وقد باشر هؤلاء المصلحون انفاذ مشروعاتهم بأنفسهم ولكنهم أخفقوا في ذلك ولم يثمر غرسهم

وممن بذل جهده في هذا السبيل المقدس الاستاذ المحترم السيد رشيد رضا افندي صاحب (المنار) فنجح بمؤازرة كثيرين من رجال الفضل والعقل والدين في تأسيس جمعية دعوها (جمعية الدعوة والارشاد) وغايتها - كما يظهر من اسمها أيضا - انشاء مدرسة كبرى يتخرج فيها العلماء والواعظون ممن درسوا علوم الدين خاصة وغيرها من الفنون التي تتطلبها حاجة العصر .

أما قانون الجمعية الاساسي وبرنامج المدرسة فانهما لم ينشرا بعد ولكنا علمنا من مقالات نشرها السيد رشيد انهم سيقبلون في المدرسة كل مسلم من أقطار العالم معروف بالصلاح والتقوى ويرجح من أهل الاقطار مسلمو الصين وجاوة وأمثالهم من سكان البلاد النائية لانهم أكثر حاجة للتنور بنور العلم والجمعية تضمن لطلاب مدرستها كل مايحتاجون اليه من مأكل ومشرب ومبيت وكتب وما أشبه ذلك كما أنها تعنى بتربيتهم وتهذيب اخلاقهم بما ينطبق على الاداب الاسلامية وتقوم بمراقبتهم للمواظبة على العبادات والطاعات بكمال الدقة

وعلى هذا فان المتخرجين في هذه المدرسة سيكون منهم الواعظون والمربون في البلاد الاسلامية التي عمها الجهل كالصين وجاوة ودعاة في البلاد التي عمتها الوثنية فيدعون أهلها للتدين بدين الاسلام كما يدعون أهل الكتاب في أوربا وأميركا اليه عملا بقوله تعالى « ولتكن منكم أمة ..... الخ » وقوله جل وعز « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وقد وقعت فكرة السيد رشيد رضا افندي وزملائه المحترمين أحسن وقع في نفوس المسلمين فارتاحوا لها وشكروا القائمين بتنفيذها . وقد بدأت الاعانات والهدايا والاشتراكات ترد عليهم من كل طرف

ومن الغريب أن هذا المشروع بقدر ماسر المسلمين عامة قد ساء جريدة (العلم)

فجاءت بما يهيج أعصابهم في التنفير عنه ... يقول أصحاب التجارب «ان مصر أم العجائب ومصدر الغرائب» وقد علمنا الآن أن هذا القول لم يقل عبثاً ... فان (العلم) وهي جريدة اسلامية في الظاهر قد خيبت ما كان يظن فيها من الترحيب بهذا المشروع الخيري الذي يراد به ترقية العالم الاسلامي مادة وأدباً وأخذت تشيع عنه الاشاعات الكاذبة والمفتريات المتنوعة لتضل عيون الأمة في أمور لا تحتملها عقل ولا يقبلها عاقل. من ذلك ما تزعمه من أن القائمين بهذا المشروع يريدون أن يتذرعوا به لاستقلال العرب وإعادة الخلافة ... الى غير ذلك مما عزته اليهم ... ولو قام رجل منصف لاغرض له وسأل (جريدة العلم) فيما لو قيل عن الحزب الوطني أنه يسعى الى استقلال العرب بماذا تبرهن على أن حزبك لا يسعى الى ذلك ؟ لا ندري بماذا يجيب

ليقل أصحاب الأهواء الباطلة ما يقولون فان الامة الاسلامية ستختص السيد رشيد رضا افندي وزملاءه الغيورين بمكان خاص من قلبها ما داموا باذلين لجهدهم في سبيل السعادة والسلام لا تأخذهم في ذلك لومة لائم وستزدان صحف التاريخ بأسمائهم وسيظل العالم الاسلامي مديناً بالشكر لهم الى الابد والله ولي التوفيق » اه

***

﴿ مدرسة الدعوة والارشاد ﴾

وجاء في جريدة الحضارة المعروفة بلسان الصدق والاعتدال التي تصدر في الاستانة أيضاً تحت هذا العنوان ما نصه :

يعلم القراء ان العلامة الكبير الاستاذ السيد محمد رشيد رضا كان قد وفد على الاستانة ليدل الحكومة الجديدة على أمر كانت قد نسيته الادارة السابقة، هو تأسيس مدرسة لتخريج رجال جامعين بين العلوم الدينية والعلوم المسماة بالعصرية وقد وافقته الحكومة ولكن بعد اقامته عاما تحولت في اثنائه الوزارة واضطربت النية رأى أن مصر خير مجالاً لهذا العمل من الاستانة فغادرها وقفل الى مصر التي هي مطلع مناره الزاهر وهناك وجد المساعدين الطيبين على هذا العمل والآن جاءنا منه هذا البيان العام للنشر ونرجو أن ييسر الله له الاتمام عما قريب .

(المنار : ثم ذكرت الجريدة ما بينا به مقاصد الجمعية ومدرستها في المقالة الثانية من مقالتي الجزء الماضي)

***

﴿ قول جريدة الحقيقة البيروتية ﴾

نقل الشيخ شاويش ما كتب أولاً في جريدة الحقيقة من الارجاف الذي تابعت به جريدة العلم تحسيناً للظن بها ، ولم ينقل ما كتب فيها بعد أن علمت من صحف مصر الحقيقة فرجعت اليها وهو ما كتبته في آخر نبذة ثانية لها في العدد الذي صدر منها في ٢٥ المحرم ، وانما لم ننشر نحن طعنها الباطل لانها كانت مخدوعة فيه بقول (العلم) فلم نحب ان نسجله عليها مع رجوعها عنه وهذا نص ما قالته :

« بعد كتابة ما تقدم وصلنا بريد مصر فعلمنا عند مطالعة صحفه ان صاحب مشروع مدرسة التبشير الاسلامي هو حضرة السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار وان ذلك المشروع هو الذي كان يريد حضرته مزاولة عمله في الاستانة عند سفره اليها في الصيف الماضي وكنا في مقدمة الذين رحبوا به واستبشروا منه خيراً لعلمنا ان الرجل يغار على دينه وأمته فلا مندوحة لنا من مقابلته بالتهليل والتكبير راجين ان يكون بالصبغة التي عهدناه عليها بعيدا عن ظنون جريدة العلم التي تفاءلت به شرا عند زيارة صاحب المشروع للوكالة البريطانية في مصر لعرض الموضوع على السير غورست كما تقول فلا نجاريها في هذا التشاؤم اذ ربما يكون غرض السيد رشيد من زيارة الوكالة البريطانية لمجاريات يضطره اليها نظام الحكومة هناك. وعلى كل حال نسأل الله ان يحقق أمل الامة في هذا العمل ويبعد عنا دسائس الاشرار الفجار »

(المنار) لابد ان يكون أصحاب الحقيقة قد علموا بعد هذه الكتابة أيضاً ان جريدة العلم لم تتشاءم بالمشروع لما زعمته من ذهابي الى الوكالة لعرضه على السير غورست وإنما كان بهتاناً افتجرته إفتجاراً ، على ان الحقيقة قالت في هذه المسألة نحواً مما يقوله بل ما قاله العقلاء هنا وهو ان إعلام العميد بمثل هذا المشروع من مؤسسه أحسن عاقبة من علمه به من قبل غيره لاحتمال ان يصبغه أولئك الاغيار بصبغة سياسية تحمل العميد على مقاومته وليست مقاومته بالأمر الذي لا يؤبه له

***

(مدرسة العلم والارشاد)

وجاء في جريدة (وكيل) الهندية الشهيرة التي تصدر في (امرتسر) في العدد الذي صدر منها في ٨ صفر تحت هذا العنوان ما ترجمته

العلامة السيد محمد رشيد رضا الذي هو التلميذ الشهير للمفتي الاعظم المرحوم الشيخ محمد عبده والمصلح العظيم لشتات المسلمين يريد ان يؤسس مدرسة عظيمة تكون حاوية لتعليم العلم وحقيقة الاسلام وبعد التحصيل يرسل طلابها لاشاعة فرائض الاسلام في أقطار الارض لهذا أقام حضرته في القسطنطينية مدة سنة شاور وباحث في هذا الموضوع كبار أهل الحكومة حتى أجابت الحكومة التركية مطالبه ووعدت باعطاء خمسة آلاف جنيه في العام بشروط (أولها) أن يكون اسم الجمعية « انجمن علم وارشاد » (ثانيها) أن تكون المدرسة تحت ادارة شيخ الاسلام (ثالثها) أن يكون التعليم فيها بالتركية . ولكن فخامته رد هذه الشروط وما قبلها لانه يريد ان تكون الجمعية خالية من سلطة الحكومة حتى لاتكون مريبة عند أهل أوروبا —

وما دامت تكون الجمعية والمدرسة مشتركة بين جميع المسلمين في الدنيا فاحرى ان يكون لسانها التعليمي العربي وان تسمي باسم عربي وسعادته يسعى الآن في مصر لهذا الموضوع ويجمع نفقاته واسم المدرسة دعوة العلم والارشاد (الصواب دار الدعوة والارشاد)

* * *

﴿ في سبيل الإصلاح ﴾

نشرت جريدة المؤيد تحت هذا العنوان أربع مقالات بامضاء (محمد شكري) بالاسكندرية ولعله كاتب مشيخة المعاهد العلمية هناك . وقد أفرغ الكاتب مقالاته الاصلاحية الاسلامية في قالب محاورة في جمعية إسلامية وجعل الرابعة منها في مشروع الدعوة والارشاد وهذا نصها

﴿ مشروع الدعوة والارشاد ﴾

كان آخر المقال السابق نهاية الخطبة التي كلفني حضرة مولانا الشيخ الرئيس بالقائها على مسامع السادة الاخوان الموجودين بالجلسة المباركة التي انعقدت بهم للنظر في شؤون المسلمين واحوالهم وكنت أرى علائم الفرح والارتياح لما ألقيه على مسامع حضراتهم بادية على وجوههم ظاهرة على محياهم خصوصاً لما كان دائرا حول النقط الاتية التي لو نفذت لامكن انتشال المسلمين من وهدة سقوطهم وهوة خمودهم وجمودهم الى أوج العز والسؤدد والسعادة والفخر الأثيل وتلك النقط هي

١ رفع غياهب الجهل عن أذهان المسلمين وتثقيف عقولهم بالعلوم والمعارف

٢ ترك الخمول والكسل والجمود وضعف العزيمة جانبا

٣ وجوب تصدر العلماء لقيادة الامة الاسلامية بآرائهم وارشاداتهم

٤ محاربة البدع بالسلاح الماضي المناسب للوقت الحاضر

٥ معاقبة من يخالف أوامر الدين مهما كان مركزه معاقبة شديدة تجعله عبرة لغيره حتى لايتجارى الغير على اتيان فعله أو على الاقتداء به

٦ الدفاع عن الشريعة الغراء ودحض قول كل معتد أثيم يتقول عليها بالباطل ويرميها بالبهتان

٧ القيام بالدعوة الى اعادة عرى الالفة حتى يكون المسلم لاخيه كالبنيان يشد بعضه بعضا هذا وما انتهيت من خطابي ونزلت من على منبر الخطابة حتى صعد عليه خطيب مصقع من حضرات الاعضاء فابتدأ وقال

(بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين — وبعد فلقد أجاد السيد وأفاد في خطبته وأطرب بأفكاره مسامعنا وأعجب . وإنا لنشكره على غيرته الدينية وجمعيته الاسلامية التي من أجلها نكبد شأن السفر فجاءنا وما جاء الا واعظا مرشدا وبشيرا مذكرا

على اننا مع موافقتنا على ماجاء في خطبته من ذكر أسباب تأخر المسلمين وأدواء انحلال عصبيتهم ووصف الدواء المعافي لهم من مرضهم والبلسم الشافي لجسمهم من سقام تأخرهم وتفرقهم وانحطاطهم الامر الذي سنعمل به ونأخذه نموذجا نسير على دربه وننسج على منواله

الا أننا مع هذا كله لانوافقه على الطريقة التي يذهب اليها ويحضنا على اتباعها لتأليف جامعتنا وتركيب وحدتنا — فانه أثابه الله ذهب الى أنه لبلوغ هذا الغرض يلزمنا ان نقوم في مشارق الارض ومغاربها لدعوة الناس لها . واني لاعجب كيف يفوته ماذكره في سياق كلامه في خطبته الفيحاء من أن الاكثرية في الامة الاسلامية على ضلال عن الدين مبين غير واقفة على أسرار الشريعة السمحة وما تحويه من الفضائل التي يقف دون احصائها العد والحصر . فيذكر حضرته طلب تعميم هذه الدعوة بين عموم المسلمين مع أنه لايصح القيام بالدعوة اليها وتعميمها بينهم الا اذا كانوا على درجة من الرقي والتمدن والتقدم يمكنهم معها فهم معناها ومبناها وادراك مغزاها ومرماها أما وهم في الدرجة التي وصفها من تمكن الجهل فيهم وضرب أطنابه بين جموعهم فانني أرى والحالة هذه أنهم الان في أحوج مايكون الى قيام الخطباء والوعاظ والمبشرين

والمرشدين لوعظهم وارشادهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم واصلاح مرافق معاشهم ومعادهم حتى تتنور أذهانهم وتتثقف عقولهم فيصبحون في استعداد تام لمعاونته ومساعدة نهضته عند المناداة بها والعمل لابرازها لاول مرة

فالواجب علينا أيها السادة اعداد العدد الكافي من الوعاظ والمرشدين والخطباء والمبشرين على طريقة عصرية تؤثر في القلوب وتملك عليها حواسها فتوجهها الى مايرمي اليه الخطيب وينادي به المبشر أو الواعظ ثم بث هؤلاء في بقاع الارض حيث يقومون بارشاد المسلمين ووعظهم وغرس محبة اخوانهم في قلوبهم — فانه متى تمت هذه المهمة الاولية كان من ورائها ابراز المهمة الثانوية ألا وهي النهضة المدنية بأسهل ممايتصوره المرء وتخيله الاذهان

أمامكم أيها السادة النجباء والاخوان الفضلاء مشروع يريد القيام به بعض ذوي الغيرة الدينية والحمية الاسلامية بالديار المصرية قياما منهم بما يفرضه عليهم الواجب ويحضهم على تحقيقه وابرازه الغرض الديني وهو ينطبق على ماندعو اليه ونرمي الى السعي وراء ايجاده واظهاره ألا وهو مشروع الدعوة والارشاد على نحو مايفعل المسيحيون وغرضهم أيها السادة تخريج مبشرين دينيين يقومون بمهمة التبشير بالاسلام ودعوة المسلمين الى العمل بأوامر دينهم والتمكن من أصوله والوقوف على اسراره وخفاياه الكافلة باصلاح أحوالهم وفتح أبواب الرزق والرحمة أمامهم

أمامكم تلك المدرسة فقوموا عن بكرة أبيكم وعضدوها وأيدوها وارفعوا شأنها وثبتوا قدمها وانصروا الله بنصرها «ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» إنني أناديكم أيها السادة وأنادي كافة المسلمين الغيورين على دينهم بما ينادي به لسان حال الاسلام أبناءه الامناء المخلصين من الاخذ بيده ورفع شأنه واعلاء كلمته لارجاعه الى ما كان عليه من علو الشأن ورفعة المقام في العصر السالف عصر فتوته وشوكته بالاخذ بيد تلك المدرسة التي هي طريق الوصول به الى مبتغاه والعامل الوحيد الذي بواسطته يبلغ مايتمناه

ان الاسلام ياقوم يناديكم جميعا أن كدوا وجدوا واعملوا وا كدحوا بكل مافي طاقتكم ومكنتكم لابراز تلك المدرسة وامدادها بالمال الوفير والعقار الكثير حتى تستمر في طريقها وتسير في الدرجة المرسومة لها وتفي بالغرض المقصود منها. فشمروا عن ساعد الجد وأجيبوا نداءه بأن تتبرعوا بالتبرعات المالية اللائقة بتلك المدرسة الجليلة. وقفوا الاراضي والعقار لها وتنافسوا في ذلك مااستطعتم فان ذلك خير مايتنافس فيه

العاملون . واصرفوا عن أفكاركم وأذهانكم تشويش المشوشين وهتر الهاترين ومكابرة المكابرين ولاتقيموا لاقوالهم وزنا فانهم لايبغون سوى عرقلة المسعى في ايجاد تلك المدرسة التي اتفقت الآراء على تحبيذها وأجمع الكل على ضرورة ايجادها — حتى لايكون الغير قد سبقهم بها وهم الذين يودون أن يكونوا مصدر كل خير وأصل كل منفعة ولو بغير حق وبدون جدارة وكفاءة وحتى لاينسب اليهم أحد التمشدق بالكلام المزخرف الذي لافائدة منه للمسلمين ولا عائدة تعود عليهم من ورائه فيعيرهم بالمثل السائر (أسمع جعجعة ولا أرى طحنا)

ليت هؤلاء المعارضين يثوبون الى رشدهم بعد ماتبين لهم الحق فيسيرون مع هذا المشروع جنبا لجنب خصوصا وانهم من المسلمين الذين يهمهم شأن الاسلام فاننا معشر الاخوان والحق يقال لنحب ونود من صميم الفؤاد أن تكون كلمة المسلمين في أي شأن من الشؤون التي تعود عليهم بالفائدة متحدة متفقة فان ذلك أولى لهم ثم أولى وأنفع لمصلحتهم ثم أنفع وفي الختام أدعو الله أن يكلل هذه المدرسة بالنجاح والفلاح وأرجو منه تعالى أن يحول حال المسلمين الى أحسن حال آمين)

وبعد أن نزل الخطيب قام الرئيس وقال مارأيكم أيها الاعضاء الكرام في المدرسة التي أشار اليها حضرة الخطيب المتقدم. فقالوا جميعا ان ابراز تلك المدرسة من الضروري اللازم الذي لايمكن للمسلمين الاستغناء عنه واننا لنرى أن يصدر من جمعيتنا قرار موجه اليهم لحثهم على معاونة ومساعدة تلك المدرسة والعمل نحو ابرازها وايجادها . ثم اتفق الجميع على نص القرار المشار اليه وكلفوني بارساله الى المؤيد الاغر لسان حال المسلمين في كافة أنحاء المعمورة وهاك هو القرار بنصه وفصه :

من (جمعية لا إله الا الله) الى كافة المسلمين الموحدين بالله أهل النخوة والنجدة

ان من الواجب على كل مسلم أن يعمل كل مافيه انتشار الاسلام واعلاء كلمة الايمان والتفاني في ذلك على قدر الامكان كما كان يعمل آباؤنا الذاهبون الاولون في الصدر الاول من عهد نشأة الاسلام وبزوغ شمسه المشرقة — ولذلك اجتمعت جمعيتنا وقررت وجوب تعضيدكم لمدرسة الدعوة والارشاد التي يراد انشاؤها بعاصمة الديار المصرية بما يكفل لها الاستمرار والنمو ويضمن لها تنفيذ الغرض الذي يراد انشاؤها من أجله وهو تخريج مبشرين دينيين ينتشرون في جهات الارض للتبشير بالدين الاسلامي وحض الناس على اعتناق الاسلام لتخليصهم من عذاب الآخرة الذي يشيب من هوله

الولدان ، ووعاظ يعظون المسلمين ويحثونهم على اتباع أوامر الشرع الشريف ولا يخفى مافي ذلك من صلاح الحال وحسن المآل

فالبدار البدار أيها المسلمون لمساعدة تلك المدرسة بالاموال الطائلة لان المال هو حياة المشاريع والاساس الذي تقوم عليه وتظهر والعمل العمل لابرازها في القريب العاجل . واعلموا انكم ان تقدموا في الدنيا من حسنة فستجزون عليها في الاخرة اضعافا مضاعفة وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال آمين)

عن رئيس الجمعية
محمد شكري
باسكندرية

مختارات

حال المسلمين والمصلحون

﴿ أو هل الى الرقيّ من سبيل (*) ﴾

لقد أسفر حديث مضى لنا وكان لهذا الحديث صدراً عن حقيقتين لامراء فيهما بل مقدمتين لأقضية سنفيض الكلام فيها هما شعور عموم المسلمين بما حاق بهم من سيئات ما كسبوا واختلافهم في الرأي أي سبيل للنجاة يسلكون ؟ ولقد حدا بنا الحديث الى الافاضة في ولع المسلمين بالخلاف حتى في احرج المواقف واضيق الاوقات وكذلك حقت عليهم الكلمة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك فهم يعلمون ان الرقي على ضربين مادي وادبي وان الرقي المادي نتيجة السعي والاخذ بما اخذ به الاقوام ولا يعصم من شروره الا التحرز بحرز الآداب الدينية التي ارشد لها الكتاب المبين . فهل بعد هذا لاحد هذين النوعين توقف على الآخر أو بالحري هل يكون

(*) قرأنا في جريدة مرشد الامة التي تصدر في تونس هذا القسم الثاني من مقال بامضاء سليمان الجادوي عنوانه « هل الى الرقي من سبيل » فرأينا فيه من نور البصيرة مابعثنا الى نشره في المنار

نصيب كل منهما من الاهتمام في الوقت الحاضر على السواء أو ان احدهما الاحرى بالتقديم

الا لايجادل احد في ان الافعال مهما كانت قيمتها لاتصدر الا عن وجدان نفسي تابع للتربية العامة والتلقين بالتعليم وان التعليم ليجمع بين المختلفين في أساليب التربية فيجعلهم أشبه بعضهم من كل شبيه . ولما كان المسلمون قد أصابهم من سيئات الشقاق والتدابر ما أصابهم وهم اليوم أحوج ما يكونون الى باعث يبعثهم على سلوك سبل الارتقاء الحق متحدين ، فهل لذلك من واسطة غير توحيد التعليم . وبذلك يتضح جليا توقف احد النوعين على الآخر وان سلوك طرق الرقي المادي قبل الوصول الى غاية في الرقي الادبي عسير ان كان ممكنا وبعكس النتيجة ان لم يكن عقيما .

بقي النظر في هذه القضية وهي توحيد التعليم بين المسلمين هل للنفس في تحقيقها من طمع وهل اسبابها مهيأة وهل يقوم دون الوصول اليها من عائق عتيد .

لا اتوقف في الجواب عن جميع تلك الاسئلة بالايجاب وشرحها بيت القصيد . ذلك بان الله ورسوله يأمران جميع المسلمين بالائتلاف والاتفاق ويحذرانهم مزالق الفرقة وقد جمع الله المسلمين في اليوم وما قبله على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهم وهم بضع وسبعون فرقة تدين بما ذكر وتطأطئ الرءوس اذعانا وهذان هما جماع الخير ومنبع الرشد واذا وصل الفكر الى هذا الحد يرقص طربا إذ يرى فواق الناقة ابعد من رقي المسلمين ولكن تجاوزه هذا الحد يحدث له رد فعل يخور معه عزمه فيسقط في اليأس واهيا حيث يقف امامه عائق عتيد وذلك هو كثرة الاعداء وقوتهم الفائقة الحد وتيقظهم لكل بادرة ينتج عنها صلاح المسلمين

ان المسلمين في سائر الاقطار قد تقاسمهم غيرهم فهم بين استقلال مستبد أو استيلاء غريب وكل من هذين ضنين بما غنم منهم فلا يغفل عن اقل شيء يضعف ضغطه عليهم حتى يستأصل شأفته ولا يدع سببا اوقعهم في يده حتى يحرص على استدامته حرصه على سيادته . وما المستبد الا حافظ أمين على تلك الغنيمة التي وقعت بين يديه حتى يستلمها من يده الغريب وهي على تربية العبيد

وهذه الحكومات بين مستبدة وغريبة قد اتخذت لها اعوانا قلدتهم أوسمة العلم ونياشين (المعارف) وابرزتهم للعامة حتى يكونوا مقام التقليد فكان هؤلاء حربا للمسلمين ومانعا من ائتلافهم ومشنعا على كل من جاهر بهذا القصد بأنه ملحد عدو للمسلمين . فلا تلبث الحكومات أن تؤيدهم لانهم يؤدون لها أجل خدمة ولا تلبث

العامة أن تزدري بما ألقي اليها لانه ضد ارادة ساداتهم من أولي الامر وأهل الدين وهكذا تذهب صيحات المرشدين ونصائح المصلحين دون صدى ويذهب جهدهم سدى وما خصمهم الا من عرفت . وربما بحث الناظر عن سبب وقوف هؤلاء سدا في وجه كل اصلاح وهم احق من قام بدعوى الاصلاح لمكانهم من الدين . فأقول ان لذلك سببين أولهما الاعتقاد بأن شكر المنم واجب وان الذي أجلسهم على الوثير وألبسهم من الحرير ورفع منزلتهم وجعلهم يعيشون عيش المترفين لخليق بأن يكونوا حراس عرشه وحفاظ عيشه الذي هو أصل عيشهم ولعلهم برجوعهم الى الحق يرجعون الى العيش الضيق والشظف الذي كان يكابده السلف وذلك مايرجفون لذكراه وربما خرج بعضهم عن منصبه لسبب فرأيت منه من الافكار ماسرك وتمنيت ان يكون ذا منصب حتى يكون للاصلاح خير ظهير . هذا أضعف السببين ، واقواهما شعور أكثر هؤلاء بالقصور عن درجة العلم الحقيقي وصعوبة اعترافهم بالحقيقة ماداموا علماء رسميين فغالطوا أنفسهم كما غالطهم أولو الامر واتقوا من ظهور ذي حجة مبين لقصورهم

أقول ماأقول غير قاصد فردا أو جمعا خاصا ولكن هو وصف لمن اتصفوا بالعلم قديما وحديثا الا أهل العلم من خير القرون فلقد كان العلم على عهدهم غير رتبة يمنحها الولاة للذوات ولكنه حكمة يختص بها الله فريقا ممن جاهدوا في سبيل تحصيلها وكانوا يطلقونه على أهل الرواية وأسرار التنزيل وكذلك كان العلماء أحرارا في الاستنباط والفهوم وكان العوام أحرارا في الاتباع والتقليد ولكن ملوك الاستبداد لما رأوا ان الدعاوي السياسية لم ترتكز الا على أصل ديني اضطروا الى ايجاد قوة تؤيد ماهم عليه من جليل الاشياء وحقيرها فتجعله للدين أصلا وتوفق بينها وبينه ولو بالتمحل في التأويل ولن يرضى بهاته المنزلة الدنية الاذو البضاعة المزجاة في العلوم فان العالم الذي أشربت نفسه عزة العلم لايرضى ان يخدم غرض جاهل تلقاء قليل أو كثير من الحطام وانه ليلقى أشد صعوبة اذا رام ان يخالف ضميره ويأتي أمرا نهاه عنه ماتلقاه. ولم يخل قرن من الايام الخالية من عالم يقوم بانكار مايرى ويجهر لتلك الفئة انهم على ضلال وما هو الا ان يرن صدى مقاله في آذان الملوك الذين يضرهم قوله فيجردون عليه جيشا من أولئك الذين ألبسوهم (حلية) العلم وقلدوهم تاج (المعارف) اذ كانوا يوقنون انه لايغني عنهم في تلك الغارة سيف ولا سنان ولا ينفك أولئك عن مطاردة الحق حتى يخفت صوته ويستقر في اذهان العامة ان أولئك العلماء يجاهدون في سبيل الدين

وهم يجاهدون في سبيل شهوة الحاكمين ويقوم لديهم في بعض الاحايين الباعث الآخر على مطاردة أولئك المحقين ، وهو خوف رجوع أولي الامر والعامة الى أولئك النابغين، فيفقدون منزلتهم التي تبوأوها عن غير حق ، ويظهر جليا عليهم القصور، فارهفوا الحدا استعدادا لتلك الطوارئ ، ونصبوا الاسلام على اسنة أقلامهم وقالوا اما التقليد لكل ماترون، أولا فليس الا إلحاد وزيغ وضلال، دون ان يكلفوا انفسهم مشقة الاستدلال، ولئن سألتهم عما يقصدون من اشهار تلك الحرب العوان ليقولن انا حماة الدين وانه ليوجب علينا تغيير كل منكر رأيناه .مالهم لايغيرون مابين ايديهم من المنكرات ، بل بالعكس تراهم قائمين عليها وبها يأمرون

الم تر انهم يبصرون الشموس كالاساطين والمصابيح الالوف تسرج ونور السراج الوهاج يضيء مابين اللابتين . الم تر انهم يبصرون المباخر الفضية توضع في مجالس احاديث الرسول (صلوات الله عليه) وهو ينهى عنها وهم بها راضون. ولكن هذه المنكرات الصريحة لاتسوءهم مثلما يسوءهم من ينادي بان الخلاف بين فرق المسلمين يمكن تسويته وانهم لو احسنوا المناظرة لما اختلفوا وان تديد بعض هذه الفرق ببعض في غير محله ولا ينبغي الاقرار عليه . من قام بهاته الدعوة وقرع بها اسماعهم وهي كما رأيت اقصى مايتمنى المسلمون لايكون جزاءه منهم (أي من هؤلاء العلماء) سوى رميه بالاعتزال بل بالمروق والزيغ والالحاد . والاستدلال على ذلك لديهم هين اذ لا يتجاوز حكاية منامية رآه فيها مسود الوجه متغير الحال كما بلي جمال الدين الافغاني (بسميه) وكما بلي به الشيخ محمد عبده ومجنون بيروت ، وكما بلي من قبله الغزالي بمن لايصلح ان يكون شراكا لنعله،فرموا بالزندقة والالحاد والكفر والاعتزال (لان في عرفهم ان الاعتزال منقصة) ويطلقون كل هاته الالفاظ على شخص واحد مع علمهم باختلاف معانيها ولكن حيث كان الباعث على قذفها الغيظ والعداء لايرون حرجا في جمعها في كنانة واحدة اذ جعبة الغضب أوسع من جعبة الحق، ويجرئهم على ذلك مركزهم الذي يجعل كلامهم مقبولا ويأمنون به مناقشة الحساب

الا لقد سار القلم شوطاً بعيدا في هذا الميدان حتى اشفق الفكر على القارئ السآمة والتشتيت وما كان القصد سوى التعريف بان السبب الذي يقف في وجه رقي المسلمين هو قوة اعداء ذلك الرقي وبيان ان أهل الامر هم أصحاب الفائدة من تقهقر الامة وهم الذين أوقفوا لسعيهم حدودا ولافكارهم جنودا ممن ذكرنا ، فهم

المؤاخذون الاصليون ، وان جندهم من أولئك ليعملون على قدر عقولهم. لم يصلوا الى مرتبة تعرفهم بالحق حتى يكونوا اذا لم ياخذوا به مؤاخذين . بل ذلك مبلغهم من العلم والحياة الدنيا جل مايطلبون ، وان منهم لفريقا يكتمون الحق وهم يعلمون ؛ وما اولئك الا القليل

ذلك العائق الذي شرحناه هو الذي حجز بين المسلمين وبين مايبتغون فهل من مطمع في زواله وهل الى الرقي من سبيل

سليمان الجادوي

(المنار) قلما رأيت فى الجرائد كتابة في حال المسلمين أو في المسائل الاجتماعية موزونة بميزان العقل، وصادرة عن روية واستقلال في الفكر، كهذا المقال. واني اجيب الكاتب الفاضل بأن السبيل الى رقي المسلمين واحدة وهي أن يكثر فيهم المصلحون من أهل العلم والبصيرة والتقوى فيقوى حزبهم على حزب الدجالين الجامدين، الذين حالوا بين المسلمين وبين الترقي في دينهم ودنياهم معا، ولا بد لهذا من سعي خاص حتى لا يطول أمد الوصول اليه وهو كائن باذن الله طالت المدة أم قصرت . ولا يهولنك كثرة أتباع الدجالين فما ذلك تأثير دجلهم الحادث، وانما هي بقايا الداء الموروث، وقد يموت اكبر طاغوت منهم فلا يشعر الذين على رأيه بأنهم فقدوا شيئاً فكثرتهم الى قلة وقلة المصلحين واتباعهم الى كثرة والعاقبة للمتقين

الباطنية (*)

(وآخر فرقهم البابية البهائية)

جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني تحت عنوان (الاسماعيلية) مانصه :

قد ذكرنا ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثناعشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الامر قالوا ولم يتزوج الصادق على امه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله في حق خديجة وكسنة عليّ في حق فاطمة. وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه فمنهم من قال

(*) تابع لما نشر في (ج ١٢ م ١٣)

انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال الامامة منه الى أولاده خاصة كما نص موسى الى هارون عليهما السلام ثم مات هارون في حال حياة أخيه وانما فائدة النص انتقال الامامة منه الى أولاده فان النص لا يرجع قهقرى والقول بالبداء محال ولا ينص الامام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه والتعيين لا يجوز على الابهام والجهالة ، ومنهم من قال انه لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل. ولهذا القول دلالات منها ان محمدا كان صغيرا وهو اخوه لأمه مضى الى السرير الذي كان اسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فابصره وهو قد فتح عينه ومضى الى أبيه مفزعا وقال : عاش أخي عاش أخي. قال أبوه ان أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة. قالوا وما السبب في الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ولم يعهد ميتا سجل على موته؟ و(أجيب) عن هذا بأنه لما رفع الى المنصور ان اسماعيل بن جعفر رؤي بالبصرة مر على مقعد فدعا له فبرئ باذن الله، بعث المنصور الى الصادق ان اسماعيل في الاحياء وانه رؤي في البصرة انفذ السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينة .

قالوا وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام وانما تم دور السبعة به ثم ابتدأ منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد ويظهرون الدعاة جهرا. قالوا ولم تخل الارض قط من امام حي قاهر إما ظاهر مكشوف، واما باطن مستور، فاذا كان الامام ظاهراً يجوز ان تكون حجته مستورة واذا كان الامام مستوراً فلا بد ان يكون حجته ودعاته ظاهرين. وقالوا انما الائمة تدور احكامهم على سبعة كأيام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبع ، والنقباء تدور أحكامهم على اثناعشر قالوا وعن هذا وقعت الشبهة للامامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للائمة. ثم بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدي والقائم بأمر الله وأولادهم نصاً بعد نص على امام بعد امام ومذهبهم ان من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية، وكانت لهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة واشهر ألقابهم الباطنية

وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلاً ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية الملحدة وهم يقولون نحن اسماعيلية لانا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص

ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنعوا كتبهم على ذلك المنهاج فقالوا في الباري تعالى انا لانقول هو موجود ولا لاموجود ولا عالم ولاجاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات فان الاثبات الحقيقي يقتضي الشركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي اطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بالاثبات المطلق والنفي المطلق بل هواله المتقابلين وخالق الخصمين والحاكم بين المتضادين. ويقولون في هذا أيضا عن محمد بن علي الباقر انه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم، قادر بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى انه قام به العلم، القدرة أو وصف بالعلم والقدرة . فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات. قالوا وكذلك نقول في القدم انه ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته ، والمحدث خلقه وفطرته ، ابدع بالامر العقل الاول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه ابدع النفس الثاني الذي هو غير تام ، ونسبة النفس الى العقل اما نسبة النطفة الى تمام الخلقة والبيض الى الطير ، واما نسبة الولد الى الوالد والنتيجة الى المنتج ، واما نسبة الانثى الى الذكر والزوج الى الزوج . قالوا ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص الى الكمال واحتاجت الحركة الى آلة الحركة فحدثت الافلاك السماوية ، وتحركت حركة دورية بتدبير النفس ، وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامت بتدبير النفس أيضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزئية بالابدان ، وكان نوع الانسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الانوار ، وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي وجب ان يكون في هذا العالم عقل شخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس مشخصة هو كل أيضا وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه الى الكمال أو حكم النطفة المتوجهة الى التمام أو حكم الانثى المزدوج بالذكر ويسمونه الاساس وهو الوصي

قالوا وكما تحركت الافلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع كذلك تحركت النفوس والاشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائر على سبعة سبعة حتى ينتهي الى الدور الاخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع وانما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس الى حال كمالها وكمالها وصولها الى درجة العقل واتحادها به ووصولها الى مرتبته فعلا وذلك هو القيامة الكبرى فتنحل تراكيب الافلاك والعناصر والمركبات وينشق السماء وتتناثر

الكواكب وتبدو الارض غير الارض وتطوى السماء كطي السجل للكتاب المرقوم فيه ويحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل فمن وقت الحركة الى وقت السكون هو المبدأ ومن وقت السكون الى مالا نهاية له هو الكمال

ثم قالوا ما من فريضة وسنة وحكم من أحكام الشرع من بيع واجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية الا وله وزان من العالم عددا في مقابلة عدد وحكما في مقابلة حكم فان الشرائع عوالم روحانية امرية والعوالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والاجسام . والحروف المفردة نسبتها الى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة الى المركبات من الاجسام ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فمن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الاغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان .

وقد قدر الله ان يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه فعلى هذه الوزان صاروا الى ذكر اعداد الكلمات والآيات ، وان التسمية مركبة من سبعة واثني عشر وان التهليل مركب من أربع كلمات في احدى الشهادتين وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الاولى وست في الثانية واثنى عشر حرفا في الثانية . وكذلك في كل آية امكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه الا ويعجز عن ذلك خوفا عن مقابلته بضده وهذه المقابلات كانت طريقة اسلافهم وقد صنفوا فيها كتبا ودعوا الناس الى امام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ، ويهتدي الى مدارج هذه الاوضاع والرسوم

ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته ، وقصر عن الالزامات كلمته ، واستظهر بالرجال ، وتحصن بالقلاع ، وكان بدء صعوده الى قلعة ألموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين واربع مئة وذلك بعد ان هاجر الى بلاد امامه ، وتلقى منه كيفية الدعوة لابناء زمانه ، فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتميز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة ، وهو ان لهم اماما وليس لغيرهم امام . وانما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عودا على بدء بالعربية والعجمية الى هذا الحرف . ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية الى العربية ولا معاب على الناقل والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل والله الموفق والمعين . فنبدأ بالفصول الاربعة التي ابتدأ الدعوة بها وكتبها عجمية فعربتها .

قال للمفتي في معرفة الباري تعالى احد قولين اما ان يقول اعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج الى تعليم معلم واما ان يقول لاطريق الى المعرفة مع العقل والنظر الا بتعليم معلم صادق. قال ومن افتى بالاول فليس له الانكار على عقل غيره ونظره فانه متى انكر فقد علم والانكار تعليم ودليل على ان المنكر عليه يحتاج الى غيره. قال والقسمان ضروريان فان الانسان اذا افتى بفتوى أو قال قولا فاما ان يقول من نفسه أو من غيره وكذلك اذا اعتقد عقداً فاما ان يعتقده من نفسه أو من غيره هذا هو الفصل الاول وهو كسر على اصحاب الرأي والعقل

وذكر في الفصل الثاني انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم أفيصلح كل معلم على الاطلاق أم لابد من معلم صادق؟؟ قال ومن قال انه يصلح كل معلم ماساغ له الانكار على معلم خصمه واذا انكر فقد سلم انه لابد من معلم معتمد صادق قيل وهذا كسر على أصحاب الحديث

وذكر في الفصل الثالث انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم صادق فلا بد من معرفة المعلم أولا والظفر به ثم التعليم منه أم جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه؟؟ والثاني رجوع الى الاول ومن لم يمكنه سلوك الطريق الا بمقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق وهو كسر على الشيعة

وذكر في الفصل الرابع ان الناس فرقتان فرقة قالت يحتاج في معرفة الباري تعالى الى معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه اولا ثم التعلم منه وفرقة اخذت في كل علم من معلم وغير معلم وقد تبين بالمقدمات السابقة ان الحق مع الفرقة الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحققين واذا تبين ان الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم يجب ان يكونوا رؤساء المبطلين قال وهذه الطريقة التي عرفتنا الحق بالحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك الحق بالحق معرفة مفصلة حتى لايلزم دوران المسائل وانما عنى بالحق هاهنا الاحتياج وبالمحق المحتاج اليه وقال بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب الى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات قال والطريق الى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة ثم ذكر فصولا في تقرير مذهبه اما تمهيداً واما كسراً على المذاهب وأكثرها كسر او إلزام واستدلال بالاختلاف على البطلان وبالاتفاق على الحق . منها فصل الحق والباطل والصغير والكبير يذكر ان في العالم حقاً وباطلا ثم يذكر ان علامة الحق هي الوحدة ، وعلامة الباطل هي الكثرة، وان الوحدة مع التعليم، والكثرة مع الرأي، والتعليم مع الجماعة،

والجماعة مع الامام، والرأي مع الفرق المختلفة، وهي مع رؤسائهم. وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه والتمايز بينهما من وجه التضاد في الطرفين. والترتب في أحد الطرفين ميزانا يزن به جميع مايتكلم فيه . قال وانما انشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفي والاثبات أو النفي والاستثناء قال فما هو مستحق النفي باطل وما هو مستحق الاثبات حق ، ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر المتضادات ، ونكتته أن يرجع في كل مقالة وكلمة الى اثبات المعلم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً وان النبوة هي النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة ، وهذا هو منتهى كلامه

وقد منع العوام عن الخوض في العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ، ودرجة الرجال في كل علم ، ولم يتعد بأصحابه في الالهيات عن قوله ان الهنا اله محمد . قال أنا وأنتم تقولون الهنا اله العقول اي ماهدي اليه عقل كل عاقل فان قيل لواحد منهم ماتقول في الباري تعالى وانه هل هو (كذا) وانه واحد أم كثير عالم قادر أم لا؟؟ لم يجب الا بهذا القدر ان الهي اله محمد وهو الذي أرسل رسوله بالهدى والرسول هو الهادي اليه ، وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم أفنحتاج اليك أو نسمع هذا منك ، أو نتعلم عنك ، وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت أين المحتاج اليه وأيش يقدر لي في الالهيات وماذا يرسم في المعقولات ، اذ المعلم لايعنى لعينه وانما يعنى ليعلم ، وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد ، وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهباً على غير بصيرة ، وان يسلك طريقا من غير بينة ، فكانت مبادي الكلام تحكيمات، وعواقبها تسليمات ، « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »

{ للكلام بقية }

(المنار) هـذا ماأورده الشهرستاني من دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس فيه زاعمين انه مذهب إسلامي وان أهله هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة المموهة ويستنزلونهم بما يخيلون اليهم من حجج العقل فيستنزلونهم به عن العقل ، ويسترضونهم بالخضوع الاعمى لـكل ماينقلونه عن إمامهم وقد هدم سفسطتهم العلماء الاعلام كالغزالي في كتابه القسطاس المستقيم وغيره

تقرير

(مرفوع الى جناب صاحب الدولة الامير أحمد باشا فؤاد حضرتلري)
رئيس مجلس ادارة الجامعة المصرية (*)

مولاي

ان جامعة مصرية تدرس فيها آداب اللغتين الفرنسية والانجليزية لجديرة بأن تكون فيها حلقة لتعليم تاريخ الاديات العربية . فان هذا التاريخ يامولاي على تعدد موارده وغزارة مناهله لايزال الى وقتنا هذا شتيتاً لم يقم بعد من يؤلف بين أجزائه في رسالة يعول عليها سواء بالعربية أو بأية لغة أجنبية

ما كان(١) لاحد من رجال الادب في العالم الاسلامي على سعته ان يفكر في جمع مثل هذا المؤلف فبقيت هذه الثغرة مفتوحة من وقت ان كانت سوق الادب نافقة الى وقتنا هذا

نحن لاننكر ان بين أيدينا كثيراً من أمهات الكتب الادبية ولكن ليس فيها يامولاي ماينقع الغلة ويبرئ العلة . فان كتاب الاغاني مثلا ومعجم الادباء لياقوت ووفيات الاعيان لابن خلكان على جلالة قدرها ليست الا كتب تراجم كما ان كتاب الفهرست لابن النديم وكشف الظنون لملا كاتب جلبي وكتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للاستاذ ادوارد فان ديك E. Van Dyck أولى لها ان تسمى فهارس من ان تعد في طبقة الكتب التي تبحث في تاريخ الاديات العربية

أخذ المستشرقون في أوربا منذ صدر القرن التاسع عشر الميلادي يكتبون عن آداب العرب كتباً بعضها يكاد يفي بالحاجة وبعضها ناقص من كل وجه . فكتب من يدعى يوسف برلنجتن Joseph Berlington رسالة صغيرة بالانجليزية ترجمت فيما بعد الى الفرنسية (سنة ١٨٢٣) ثم جاء من بعده نويل ديفرجير الفرنسي Noel Desvergers صاحب كتاب (بلاد العرب L'Arabie) فاختص بعض صحائف

---

*) التقرير لصاحب الامضاء في آخره وقد نشرناه تعزيزا لاصل اقتراحه ولما فيه من أسماء كتب الافرنج عنا وفي لغتنا (١) هذا التعبير خطأ فان معناه ماصح لاحد وليس من شأن أحد ان يفكر في ذلك

من كتابه بهذا الموضوع (سنة ١٨٤٧) وحذا حذوه في ذلك سديو Sédillot صاحب كتاب (تاريخ العرب L'Histoire des Arabes) سنة ١٨٥٤ . وفي سنة ١٨٩٠ قام اربثنوت Arbuthnot المستشرق الانجليزي فألف رسالة عنوانها (المؤلفات العربية Arabic Authors) غير انها لاتفي بالغرض لما فيها من النقص . أما روسية وايطاليا فقام فيهما عالمان هما فلاديمير جرجاس V. Guirgass والكافاليري فيلبو دي باردي Cav. Filippo de Bardi كتب أولهما رسالته المسماة (خلاصة الاداب العربية L'Esquisse de la Littérature Arabe) وألف الثاني رسالته المسماة تاريخ الآداب العربية في عهد الخلفاء (Storia della Litteratura Arabe sotto il Califfato سنة ١٨٤٦ وكلتا هما على نفاستها لاتفي بالغرض

أما اللغة اللمانية (الالمانية) فقد كتبت فيها بعض رسائل في الاديات العربية فقام المستشرق المجري همر برجستال Hammer-Purgstall بتأليف رسالة عنوانها (تاريخ آداب العرب Litteratur Geschichte der Araber) ظهرت في مدينة ويانه بين سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٥٦ في ستة أجزاء ولكن هذا العالم مع كثرة بحثه في الكتب العربية لم يخرج كتابه للناس تاما فاستحق قول الشاعر

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

ولكن جاء بعده العلامة بروكلمان Brockelmann الاستاذ بجامعة برسلاو Breslau فأصدر احدث كتاب في الموضوع سماه (تاريخ الاداب العربية Geschichte der Arabischen Litteratur) وهو يقع في جزئين اثنين ظهر أولهما في مدينة ويمار Weimar سنة ١٨٩٧ و١٨٩٨ وطبع الثاني في برلين Berlin سنة ١٩٠٢ . ومما يؤسف عليه ان هذا الكتاب النفيس قد شوهت محاسنه اغلاط كثيرة في الطبع من حيث التواريخ وفوق ذلك فان تبويبه ليس كما يجب ان يكون وعبارته جافية ليس عليها مسحة من العذوبة التي يرغب فيها الاديب فهو من هذا القبيل اشبه شيء بالفهارس منه بكتب التاريخ غير انه كتاب لابأس به في هذا الباب جزى الله مؤلفه عنا خير الجزاء . هذا ولا يفوتني يامولاي ان أذكر انه قد ظهر بعد كتاب الاستاذ بروكلمان بقليل مؤلف آخر لمستشرق فرنسي هو مسيو هيوار Huart الاستاذ بجامعة اللغات الشرقية الحية Ecole Spéciale des Langues Orientales Vivantes

عنوانه (الاديات العربية La Littérature Arabe) وهو على صغر حجمه يكاد يكون أوفى ماألف في هذا الفن الى اليوم

اذا تقرر ذلك بان لنا اننا لانزال مدينين لعلماء أوربا في تدوين تاريخ الآداب العربية وان كان هذا التدوين لم يصل بعد الى طور الكمال

ظهر يامولاي في مصر من عهد قريب كتاب صغير الحجم عنوانه (أديات اللغة العربية) ولكنه لم يتعرض لتاريخ الاديات بل اقتصر على ذكر مقتطفات يسيرة من الشعر والنثر العربي مرتبة على العصور ليتيسر حفظها لطلبة المدارس الثانوية المصرية فهو من هذا القبيل كتاب مطالعة أدبي أو صورة مصغرة من كتاب مجاني الادب المشهور لاعلاقة له بتاريخ الاديات العربية ذاك التاريخ الجليل

هذا ومما لانزاع فيه يامولاي أنه بالرغم عن ضياع جزء عظيم من أمهات الكتب العربية لاتزال البقية الباقية على قلتها (سواء كانت من الآداب المحفوظة أو المطبوعة في الشرق أو الغرب) كافية جدا لانشاء تاريخ كامل لاديات اللغة العربية

ان قيام العلماء المستشرقين بأوربا منذ القرن السادس عشر الميلادي بنشر المتون العربية وترجمة بعضها الى اللاتينية أولا ثم الى كثير من اللغات الاوربية ثانياً وعنايتهم بجمع فهارس مضبوطة للمخطوطات العربية المحفوظة بخزائن الكتب في أوربا (ذاك العمل الشريف الذي تم منه جزء عظيم للآن) وكذا نشر فهارس الكتب المحفوظة في مساجد الاستانة وفي دار الكتب الخديوية بالقاهرة كل هذا يامولاي قد ساعد علماء الافرنج مساعدة عظيمة في درس الآداب العربية ومن السهل ان يساعدنا نحن أيضاً على بناء هيكل بديع لتاريخ آدابنا اذا بعث الله فينا من بين آدابنا من يقوم بهذا العمل المجيد

ان درس الآداب العربية منذ نشأتها والبحث في اطوار نمائها ونهضتها ثم سقوطها وعثرتها ثم بعثتها من رقدتها انما هو يامولاي درس مفيد كله عبر وكيف لايكون كذلك ونحن نعرف بالبداهة ان تلكم المحاضرات النفيسة التي يلقيها الشيخ الجليل العلامة جويدي في الجامعة المصرية لاتخرج عن كونها باباً واحداً أو فصلا من باب من أبواب تاريخ الاديات العربية مقصوراً هذا الباب أو الفصل على علمي التاريخ والجغرافيا

اذا تقرر ذلك علمنا ان درس هذه الاديات يجب ان يحل المحل الاول في جامعة مصرية اذ ان مما يؤسف عليه يامولاي ان عدد من يعنى بهذه الاديات بيننا معاشر المشارقة (سواء في مصر أوفي سائر بلاد المشرق) لايكاد يعدو أصابع اليدين . واذا تصفحنا أسباب هذا الجمود رأيناها ترجع الى أمرين ندرة المؤلفات الكافية في

هذا الفن من جهة وانعدام المدارس الجامعة في بلادنا من أخرى

وبهذه المناسبة أورد هنا مسألة واحدة على سبيل الاستشهاد . ذلك أني لاحظت عند سماع المحاضرات الجليلة التي يلقيها الاستاذ جويدي ان معظم الطلبة (ان لم يكونوا كلهم) كانوا يجهلون أسماء مشاهير المؤلفين كالمقدسي وابن واضح وابن خرداذبه وابن حوقل وغيرهم . وهي حقيقة تثبت ان ناشئتنا في حاجة كبرى الى تعلم تاريخ الآداب العربية على طريقة منتظمة . أليس مما يؤلم يامولاي ان يكون المصري المتعلم ملما بآداب الانجليزية والفرنسية قبل ان يعرف شيئاً من آداب أسلافه ؟

هذا واني أتشرف يامولاي ان أقدم في طي تقريري هذا ملحقاً يشتمل على برنامج مختصر عن سلسلة محاضرات في تاريخ الاديات العربية . وهو برنامج لابأس من ادخاله في الجامعة هذا العام من غير ان يحدث ضرراً أو ينشأ عنه تهويش ما في النظام الحالي .

فبدلا من أن يكون عدد المحاضرات واحدة فقط في أيام الآحاد يحسن ابلاغه الى اثنتين تختص أولاهما بالحضارة القديمة وتكون الثانية للآداب العربية . ثم لابأس من تخفيض عدد المحاضرات النفيسة التي يلقيها العلامة جويدى الى ثنتين في الاسبوع حتى يحصل هنالك فراغ يتسنى شغله بمحاضرة ثانية على تاريخ الاديات العربية

(هذا ومما تجب الاشارة اليه في هذا المقام ان تلكم المحاضرات الجليلة التي يلقيها الاستاذ جويدي لاتستغرق (على نفاستها) في الدفعة الواحدة ازيد من ثلاثين الى اربعين دقيقة أعني ان هناك ثلاث محاضرات مقدار كل منها أربعون دقيقة وهو مايساوي مائة وعشرين دقيقة أو ساعتين في الاسبوع

فلو جعلت محاضرات هذا العلامة ثنتين مقدار كل منهما ستون دقيقة لما اختل النظام في شيء ولكان عدد المحاضرات مضروباً في عدد الدقائق معادلا لمائة وعشرين دقيقة أي ساعتين في الاسبوع وهو المطلوب)

مولاي — اذا أتيح للجامعة ان تعثر على مدرس لتاريخ الآداب العربية اصبح عدد المدرسين ستا يصيب كلاً محاضرتين في الاسبوع أعني بذلك أيام العمل الستة بعد استثناء أيام الجمع

أنا يامولاي لاأعلم علم اليقين اذا كان ميزان دخل الجامعة وخرجها في استطاعته ان يحتمل مرتب هذا المدرس الجديد غير أني أكاد أجزم ان هناك بعضاً من الادباء الضليعين بهذا الفن (على قلتهم في بلادنا) مستعد للتطوع في هذا السبيل الوطني الشريف عند أول نداء ثم هو لايريد بعد ذلك جزاء ولا شكوراً

مولاي .انه ليس من الضروري أصلا أن يكون انتقاء مثل هذا المدرس من بين المتعممين فان مجرد حذق فني النحو والصرف والالمام بكتابين أو ثلاثة من كتب الادب أو التاريخ ليس كل مايلزم توفره في هذا الباب. انما يجب ان يكون مدرس هذا الفن أديباً بكل معاني الـكلمة وفوق ذلك فانه ينبغي عليه ان يكون على علم بالنهضة الادبية القائمة سوقها الآن في انحاء المشرق والمغرب ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون عارفاً على الاقل بلغتين أجنبيتين الانجليزية والفرنسية كيا يتمكن من تتبع خطى الحركة الادبية في أوربا ويطالع بامعان أمهات الـكتب التي تكتب من آن الى آخر بأقلام كبار العلماء المستشرقين أولئك الذين وقفوا حياتهم على احياء آدابنا بعد ان كاد يدركها العدم

مولاي . لو كان هذا العاجز من أصحاب الالقاب الضخمة أو ممن يتربعون في دست الوظائف الـكبرى في خدمة الحكومة لقدم نفسه طائعا مختاراً جذلا مرتاحاً لخدمة الجامعة لاكاستاذ (فمعاذ الله ان أكون مغروراً بنفسي أومغروراً بها الى حد ان تتطلع الى مالاتستحق) ولـكن كخادم مخلص أو بعبارة أخرى كوطني يقدم نفسه وما ملكت يمينه فداء للوطن المحبوب

القاهرة في ٣٠ يناير سنة ١٩٠٩

صالح علي

بمصلحة الري بنظارة الاشغال العمومية بمصر

(المنار) احسن الكاتب في اقتراحه وبيانه لوجه الحاجة اليه وترشيح نفسه له ولعله لم يكن يعلم ان هنا لجنة تؤلف كتابا حافلا في تاريخ الآداب العربيـة وسيظهر الـكتاب بعد زمن قريب ان شاء الله تعالى

تقريظ المطبوعات الجديدة

نهج البلاغة

هذا الـكتاب أشهر من نار على علم فهو غني عن التعريف به والتنويه، بفائدته، في تقويم النفس بالحكمة والتقوى ، وتقويم اللسان بالبلاغة والفصاحة ، وقد كان كنزا مخفيا في بلادنا السورية والمصرية، بل كان أهل السنة محرومين من فائدته، وكادت الشيعة تفضلهم في البلاغة بمدارسته، حتى شرحه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فانتشر بذلك

واشتهر حتى طبع بشرحه عدة مرات في سورية ومصر وكانت الطبعة الأولى اصح تلك الطبعات ويتفاوت ما بعدها في كثرة الغلط وقلته

وقد طبع في العام الماضي في مطبعة الحلبي الشهيرة مع شرح وجيز للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس البيان بمدرسة (الفرير) الكلية ، فأما الشارح فأديب، ولكل مجتهد نصيب ، وأما الأصل فيمتاز في هذه الطبعة بالشكل الكامل وهي مزية ، يعرف قيمتها من علم أنه يقل في أكثر قراء العربية من يحسن قراءة مثل هذا الـكتاب قراءة صحيحة اذا لم يكن مضبوطا وناهيك بشدة حاجة طلاب العلوم الذين يستعينون به على ملـكة البلاغة الى مثل هذا الضبط ولهذا يرجى ان ينتفع بهذه الطبعة مالاينتفع به في غيرها

* * *

نهج البردة — و — وضح النهج

نظم أحمد شوقي بك « شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية » قصيدة عارض بها بردة (البوصيري) الشهيرة وجعلها تذكارا لحج الامير (الحاج عباس حلمي الثاني) الى بيت الله الحرام في عام ١٣٢٧ وقد عني شيخ الجامع الازهر (الشيخ سليم البشري) بشرح القصيدة عناية بنشر مديح الممدوح الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وعناية بما جعلت تذكارا له من حج الأمير المعظم ، على حين ترك ملوك المسلمين وامراؤهم هذا الركن الديني المحتم ، ثم عناية بالناظم نابغة الشعراء في مصر ، ولك أن تقول نابغتهم في هذا العصر ، وقد طبعت القصيدة مع شرحها في كتاب وضع له فاتحة في الشعر وضروبه محمد بك المويلحي نابغة الـكتاب في هذا القطر ، فتم بذلك التناسب ومراعاة النظير بالجمع بين كلام أشهر العلماء ، والشعراء ، والـكتاب ،وإنها مزية قلما تجتمع في كتاب ، وهاك نموذجا من دراري القصيدة

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له ... وانت أحييت اجيالا من الرمم
والجهل موت فان اوتيت معجزة ... فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم
قالوا غزوت ورسل الله مابعثوا ... لقتل نفس ولا جاؤا لسفك دم
جهل وتضليل احلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما اتى لك عفوا كل ذي حسب ... تكفل السيف بالجهال والعمم (١)
والشر ان تلقه بالخير ضقت به ... ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم (٢)

(١) العمم بالتحريك العامة (٢) سمي الجزاء شرا باعتبار صورته وحده وفسره الشارح بالبأس والقوة وجعله من المشاكلة

سل المسيحية السمحاء كم شربت ‏ ‏ ‏ ‏ بالصاب من شهوات الظالم الغلم (١)
طريدة الشرك يؤذيها ويوسعها ‏ ‏ ‏ ‏ في كل حين قتالا ساطع الحدم (٢)
لولا حماة لها هبوا لنصرتها ‏ ‏ ‏ ‏ بالسيف ماانتفعت بالرفق والرحم (٣)

الى ان قال

علمتهم كل شيء يجهلون به ‏ ‏ ‏ ‏ حتى القتال وما فيه من الذمم
دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم ‏ ‏ ‏ ‏ والحرب أسّ نظام الكون والأمم
لولاه لم نر للدولات في زمن ‏ ‏ ‏ ‏ ماطال من عَمَدٍ أو قرّ من دعَم
تلك الشواهد تترى كل آونة ‏ ‏ ‏ ‏ في الأعصر الغر لافي الأعصر الدهم
بالامس مالت عروش واعتلت سرور ‏ ‏ ‏ ‏ لولا القنابل لم تسلم ولم تصم
أشياع عيسى أعدوا كل قاصمة ‏ ‏ ‏ ‏ ولم نعدّ سوى حالات منقصم

هذا ماقاله في مسألة عصرية أي من المسائل التي يكثر البحث فيها في هذا العصر وكنت أود لو كانت القصيدة كلها على هذا النسق ولكن أكثرها على الطريقة القديمة في المدح . وقال في وصف الشريعة الغرآء ما أجاد فيه وأفاد

شريعة لك فجرت العقول بها ‏ ‏ ‏ ‏ عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها ‏ ‏ ‏ ‏ كالحلىّ للسيف أو كالوشي للعلم
سمحاء حامت عليها أنفس ونهى ‏ ‏ ‏ ‏ ومن يجد سلسلاً من حكمة يحم
نور السبيل يساس العالمون بها ‏ ‏ ‏ ‏ تكفلت بشباب الدهر والهرم
يجري الزمان وأحكام الزمان على ‏ ‏ ‏ ‏ حكم لها نافذ في الخلق مرتسم
لما اعتلت دولة الاسلام واتسعت ‏ ‏ ‏ ‏ مشت ممالكه في نورها التمم
وعلمت أمة بالقفر نازلة ‏ ‏ ‏ ‏ رعي القياصر بين الشاء والنعم
كم شيد المصلحون العاملون بها ‏ ‏ ‏ ‏ في الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
للعلم والعدل والتمدين ما عزموا ‏ ‏ ‏ ‏ من الأمور وما شدوا من الحزم
سرعان ما فتحوا الدنيا لملتهم ‏ ‏ ‏ ‏ وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم (٤)
ساروا عليها هداة الناس فهي بهم ‏ ‏ ‏ ‏ الى الفلاح طريق واضح العظم
لايهدم الدهر ركناً شاد عدلهم ‏ ‏ ‏ ‏ وحائط البغي ان تلمسه ينهدم

(١) يريد بالسمحاء مؤنث الاسمح واما الوصف فسمح وسمحة كضخم وضخمة . والغلم كـكتف الهائج (٢) بالتحريك شدة احتراق النار وحميها (٣) الرحم بضمتين الرقة والمغفرة والتعطف قاله الشارح (٤) السلسال بالفتح كالسلسل في بيت سابق الماء العذب والشبم البارد

نالوا السعادة في الدارين واجتمعوا ‏ ‏ ‏ ‏ على عميم من الرضوان مقتسم
دع عنك روما وآثينا وما حوتا ‏ ‏ ‏ ‏ كل اليواقيت في بغداد والتوم (١)
وخل كسرى وإيوانا يدلّ به ‏ ‏ ‏ ‏ هوى على أثر النيران والأيم (٢)
واترك رعمسيس ان الملك مظهره ‏ ‏ ‏ ‏ في نهضة العدل لافي نهضة الهرم
دار الشرائع روما كلما ذكرت ‏ ‏ ‏ ‏ دار السلام لها ألقت يد السلم
ما ضارعتها بياناً عند ملتأم ‏ ‏ ‏ ‏ ولا حكتها قضاء عند مختصم
ولا احتوت في طراز من قياصرها ‏ ‏ ‏ ‏ على رشيد ومأمون ومعتصم
من الذين إذا سارت كتائبهم ‏ ‏ ‏ ‏ تصرفوا بحدود الارض والتخم
ويجلسون إلى علم ومعرفة ‏ ‏ ‏ ‏ فلا يدانون في عقل ولا فهم
يطأطئ العلماء الهام أن نسبوا ‏ ‏ ‏ ‏ من هيبة العلم لا من هيبة الحكم
ويمطرون فما بالأرض من محل ‏ ‏ ‏ ‏ ولا بمن بات فوق الارض من عدم
خلائف الله جلوا عن موازنة ‏ ‏ ‏ ‏ فلا تقيسنّ أملاك الورى بهم
من في البرية كالفاروق معدلة ‏ ‏ ‏ ‏ وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم
وكالامام إذا ما فض مزدحماً ‏ ‏ ‏ ‏ بمدمع في مآقي القوم مزدحم (٣)
الزاخر العذب في علم وفي أدب ‏ ‏ ‏ ‏ والناصر الندب في حرب وفي سلم

هذا نموذج من أكرم درر القصيدة واضوإ دراريها ، وأما الشرح فأسلوبه أدبي لا علمي أزهري ولكل مقام مقال ، وهاك نموذجاً من أفضل ما فيه وأنفعه ، قال الاستاذ في شرح بيت «اشياع عيسى أعدوا كل قاصمة» مانصه : عمد الشاعر في هذا البيت الى المقارنة بين أهل الديانة المسيحية وأهل الديانة الاسلامية فذكر ان المتشيعين اليوم الى الدين المسيحي « دين الهدو والسلام » هم أهل القوة الحربية الدائبون على إعداد المهلكات الصاعقات في الحروب حتى كأنهم ولم يبق لهم من شغل يشغلهم إلا استخراج الذهب من بطون الارض وانفاقه على مصانع الحديد والفولاذ لطبع آلات الحرب في طول الارض وعرض البحر وقد افتنوا في أسباب الهلاك والتدمير ولم يكفهم ان يدمدموا على الناس ويأخذوهم بالبلاء عن ايمانهم وعن شمائلهم ومن خلفهم ومن تحت أرجلهم حتى قاموا على تسخير الرياح ليرموهم من فوق رؤوسهم بكل دهياء صيلم على حين ان أهل الديانة الاسلامية الذين يتهمهم الظالمون

(١) التوم جمع تومة وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة (٢) الايم جمع ايام الدخان (ككتاب وكتب) (٣) الامام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

بحب الفتح والجهاد، ويشنئون سمعتهم بحب الطعن والجلاد، والولوغ في دماء العباد ، هم اليوم أهل السكينة والسلام ، وهيهات ان يدانوا المسيحية في المباراة بحب الفتوح والحروب ، أو يشاكلوهم في ادخار آلات الحرب واستنباط معدات الكفاح

وقال في شرح بيت « وأترك رعمسيس ان الملك مظهره » : يقول : ما كان لقدماء المصريين ان يفاخروا بمدنيتهم التي أسمى مظاهرها هو هذا البنيان السامق على حين أمسى أكبر الادلة على ظلمهم وجبروتهم . وأي مدنية هذه التي تزين لرجل واحد ان يسوق من رعيته مئة الف رجل أو يزيدون فيحملهم الاثقال، ويسخرهم في مشاق الاعمال، حتى اذا ما دقت أعناقهم، واختلفت أضلاعهم، ونتت سواعدهم، التقط غيرهم من أمته التي أوشكت ان تفنيها ثلاثون سنة على هذه الحال بلا أجر ولا جزاء كل ذلك ليبني قبراً لنفسه يطاول كيوان ، وتبلى دونه الازمان

ليس هذا بمظهر التمدن انما مظهره العدل الذي تصلح به أحوال الرعية وتستقيم به أمورهم فتنهض بهم الدولة ويعلو شأن الأمة والعدل أساس الملك

* * *

﴿ لباب الخيار في سيرة المختار ﴾

مختصر وجيز في السيرة النبوية للشيخ مصطفى الغلاييني صاحب مجلة النبراس ومعلم المكتب السلطاني ببيروت سبق لنا تقريظ الطبعة الاولى منه ، وقد أعيد طبعه في العام الماضي بعد أن زيد في فوائده . وقد ختمه بطائفة من حكم الاحاديث النبوية مرتبة على حروف المعجم لتحفظ وشرحها في ذيول الصفحات وكنا وددنا لو أشار الى مخرجيها أيضاً . وصفحات الكتاب ١٣٦ وثمنه قرشان صحيحان . فنحث الجمهور على قراءته ولا سيما للنساء في البيوت والاولاد في المدارس الابتدائية

* * *

﴿ الدروس العربية ﴾

«وهي سلسلة كتب في الصرف والنحو وفنون البلاغة والانشاء وقرض الشعر والادبيات واللغة ، تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني » أيضاً . وقد رتبه على الطريقة الحديثة السهلة في التعليم . فقسمه الى دروس صغيرة لكل درس منها أمثلة وتمرين وأسئلة . وطبع جزء منه طبعاً جميلا . وقد قرأنا في جرائد بيروت ان نظارة المعارف في الآستانة قررت تدريس هذا الكتاب في مدارسها رسمياً . فنهنئ صديقنا المؤلف بذلك

﴿ الجاذبية وتعليلها ﴾

خلق الشيخ جميل صدقي افندي الزهاوي الاديب البغدادي المشهور مستعداً للفلسفة والعلوم الكونية ميالا اليها فقرأ من كتبها المترجمة بالعربية والتركية ماشاء الله ان يقرأ واستفاد من مجلة المقتطف ماشاء الله ان يستفيد ، ولو تلقى هذه العلوم في أوربة وعاش مع أهلها العاملين، لكان من المكتشفين والمخترعين، وقد أهدانا كتابا له سماه (الجاذبية وتعليلها) يؤيد رأينا هذا في استعداده فقد خالف فيه إجماع علماء العصر في الجاذبية العامة وبحث فيه في المادة وقواها بحث المستقل الفهم ، فذهب الى ان علة وقوع الاجسام على الارض (مثلا) هو قوة الدفع من جوانب السماء لاقوة الجذب من مركز الارض كما يثبتون . وقد طبع الكتاب ببغداد ويباع بمطبعة الآداب فيها وثمنه ثلاثة قروش

***

(ديوان السيد حسن القاياتي)

صدر الجزء الاول من هذا الديوان وقد ذكر ناظمه في مقدمته انه ليس معجبا بنفسه وشعره كما يعجب الشبان ولكنه سمع الناس «يستحبون ان يعرض المرء بنات فكره ، وهواجس صدره، ثم يتسمع فينظر أيسمع استحساناً وشكراً ، أو استهجاناً ونكراً ، فان كانت الاولى أقدم ثم أقدم ، وان كانت الثانية احجم ثم احجم ،» ونحن نقول ان من كان هذا غرضه لاينبغي له ان يحجم عن شيء يستهجن منه لانه وهو يقدر الانتقاد قدره، ويرى ان يكمل نفسه به ، لايلبث ان يتقي ماينتقد ، حتى يبلغ الغاية من استحسان الناس لما يجيء منه بعد ، ولاسيما اذا لم يغره الاستحسان ، ولو كان ممن يزنون القول بميزان ، دع حملة ميزان المصانعة لبعض الناس وان أساء ، وجعل المحسن والمسيء ممن لا يصانعون سواء — بعد هذا قرأت أبياتاً متفرقة من الديوان فصادفت رشاقة في الاسلوب، وروحا مؤثرة في الكلام ، فعسى أن تكون سائر أجزاء الديوان أرقى في معراج الكمال

***

(شعراء العصر)

شرع أحد محبي الادب والادباء (محمد صبري افندي) من نابتة مصر المهذبة في جمع مختارات شعراء هذا العصر في ديوان واحد يصدره جزءاً بعد جزء ويجمع الى مختار كل شاعر منهم ترجمة وجيزة له ويطبع معها صورته ليجمع للقارىء بين صورة النفس وصورة الجسم . وقد صدر الجزء الاول وفيه مختارات من شعر البارودي وشوقي وحافظ ونسيم وبطرس كرامه وحفني ناصف وخليل مطران وعائشة التيمورية والاخرس وعبدالله فكري والبكري ومصطفى نجيب ومصطفى صادق الرافعي والمنفلوطي وعبد الحليم المصري وفؤاد الخطيب وولي الدين يكن . وفيه صور أكثر هؤلاء الشعراء المشهورين فعسى ان يروج هذا الجزء فيبعث همة جامعه الى إتمام الكتاب. وثمن النسخة منه ستة قروش صحيحة

* * *

(ديوان نفحات الربيع)

صدر الجزء الاول من هذا الديوان لناظمه مرسي افندي شاكر الطنطاوي وقد اهداه الى محمد امين بك واصف مدير القليوبية ووضع صورة المهدى اليه في أوله ويليها مقدمة طويلة في الشعر والشعراء ، وهو يفضل غيره من الدواوين بكونه ديوان معان أدبية اجتماعية ، لاديوان مدائح ومراثي شخصية، ولوكثر الشعراء المجيدون عندنا في هذه المعاني لكان الشعراء أفعل في تربية الامة من أصحاب الجرائد أو مثلهم في تأثيرهم

* * *

(الاحصاء السنوي العام للقطر المصري سنة ١٩١٠)

أهدتنا ادارة عموم الاحصاء في نظارة المالية كتابها الثاني في الاحصاء العام عن السنة الشمسية الماضية وهو مفصل الى ١٧ فصلا في المسائل الآتية :

١ تربة مصر ومناخها ٢ الارصاد الجوية ٣ تعداد السكان ٤ الصحة العمومية ٥ المدارس ٦ القضاء ٧ السجون ٨ سكك حديد الحكومة ٩ تلغرافات الحكومة ١٠ البوسطة ١١ الملاحة والتجارة ١٢ نتيجة استثمار قنال السويس ١٣ التجارة مع البلدان الاجنبية ١٤ الزراعة ١٥ مالية الحكومة ١٦ الدين العمومي ١٧ العملة والموازين والمكاييل والمقاييس . فنشكر لهذه الادارة عنايتها ونحث الامة على الاستفادة من هذا الكتاب فان الاحصاء الرسمي أصدق أصول التاريخ وينبوع علمي الاجتماع والعمران . وصفحات الكتاب ٣٤٨ من القطع الكبير العريض وثمن النسخة غير المجلدة منه ٢٠ والمجلدة ٢٥ قرشاً

باب الأخبار والآراء

(البعث والحياة الأخرى)

تأييد القرآن بالعلم

كان الذين ألفوا كتب الكلام على طريق فلسفة اليونان النظرية يرون ان الدليل على البعث لايكون الا سمعيا اذ لايمكن عندهم أن يستدل عليه العقل بأدلة علمية ، ولم يفهم هؤلاء قوله تعالى « كما بدأكم تعودون » وقوله « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » وغيرها من الآيات وقد قرأنا في المقتطف الاخير تحت عنوان (يعيدكم مرة أخرى) مانصه :

« الف المستر كندي كتابا عن الفيلسوف نتشه الالماني قال فيه ان نتشه ذهب الى ماذهب اليه غوستاف لوبون وهين وفلاسفة اليونان من قبلهم ، وهو ان القوى الطبيعية تتوالى وتعود الى ما كانت عليه ، فالعالم الذي يتم عمله تنحل عناصره ثم تعود تتركب وتتولد فيه مخلوقات مثل المخلوقات التي كانت فيه قبلا ولذلك لايبعد ان يكون الانسان قد وجد على هذه البسيطة قبل الآن وانقرض منها ، وان النوع الموجود الآن سوف ينقرض ثم يعود مرة أخرى ، وعناصر الشخص الواحد تعود فتتجمع بعد قرون كثيرة كما اجتمعت قبلا ويتكرر ذلك الى ماشاء الله » اه

أما قوله بوجود الانسان قبل هذا الدور فقد قال به بعض المسلمين في تفسير « اني جاعل في الارض خليفة » أي ناسا يخلفون من قبلهم ، واما كون النشأة الأخرى تجيء بعد اتمام دورها الطويل ثم تعود وتتكرر ذلك ابدا فيقول به بعض الصوفية

الحريق في الاستانة

(والادارة فيها)

ما أدهشني شيء في مدة إقامتي بدار السلطنة الاكثرة الحريق وتقصير الحكومة

في تنظيم مصلحة المطافئ ، فلا تكاد تمضي ليلة لا يروّع الناس فيها بنعاب الصائحين « يانغين وار ، يانغين وار » أي يوجد حريق ، ويذكرون مكانه ليعلم من كان له فيه دار أو لاحد أقاربه فيبادر اليها لاخراج من فيها بما يقدرون على حمله من نفائسهم وكرائم أموالهم ، فانه قلما وقع الحريق في مكان وسلم بل تأكله النار وتأكل كثيراً مما يجاوره قبل أن يأتي الهادمون لهدم ماحوله فالطريقة المثلى هنالك لمقاومة الحريق هي هدم البيوت المجاورة للمكان الذي شبت فيه النار وقد صار لهم ضرب من المهارة في الهدم لطول المزاولة والإدمان، وأما إطفاء النيران، فما لهم فيه يدان ، وانما ترى عند حدوث الحريق زعنفة من الاحداث يعدون سراعا حاسرين عن سوقهم يحملون على أكتافهم أدوات، فيغيرون وينجدون ، ولا يسعفون ولا يجدون ، ولا أدري كنه ما يعملون

يدعي أهل الاستانة أن العرب وغيرهم من العناصر العثمانية لايقدرون على الادارة كما يقدرون عليه هم ومن يتعلم عندهم من أهل عنصرهم وانهم هم القادرون على ذلك دون غيرهم من العثمانيين ويا ليت هذا كان صحيحاً ، اذاً لعمرت ديارنا لانهم هم الذين يديرون حكومتها ولم تخرب ديارهم بل تكون أرقى عمرانا، ولكن ليس في المملكة عمران يمكن أن ينسب الى حسن إدارتهم ، وهم يقولون اليوم ان كل ماحل بالمملكة من الخراب أو التقصير في العمران فسببه شكل الحكومة السابق وهو الاستبداد وقد استبدلنا به شكلا آخر وهو مايعبر عنه بالدستور

آمنا بتغيير شكل الحكومة بأخذه من الفرد واعطائه للجماعة، ولكننا ماغيرنا الاشخاص بتربية ولا تعليم ، ولذلك لم تظهر ثمرة تغيير الشكل بالعمل ولا في الضروريات التي لاتتوقف على تخريج نشء جديد في التربية الدستورية والتعليم الدستوري كاطفاء الحريق

احترق قصر (چراغان) في العام الماضي وهو اجمل قصور السلاطين وأبدعها شكلا ونقشاً وزخرفاً بلغت نفقاته على السلطان عبد العزيز ملايين من الليرات ، احترق بعد أن سعى احمد رضا بك ففاز بجعل مجلس الامة فيه ، وخصصت الحكومة عشرات الالوف من الليرات لاثاثه ورياشه وجعله صالحاً لاجتماع المبعوثين والاعيان فيه ، ومع هذا كله لم يستعدوا لاطفاء الحريق اذا وقع فيه فلما وقع التهمته النار كله ولم يهتد أحد من خدمه ولا من عسكر الاطفاء لاطفائها

كان العقلاء يظنون ان حريق هذا القصر (السراي) البديع الذي أحرق القلوب سيكون هو المربي الأكبر لحكومة العاصمة في هذا الأمر وسيحملها على

العناية بمصلحة الاطفاء عناية تقي جميع بيوت المدينة من تدمير الحريق وامتداده عند وقوعه لامعاهد الحكومة فقط ، وقد رأينا الحكومة عقب هذه الحادثة تشتري آلات الاطفاء الحديثة وادواتها وتجربها ، وحضرت تجربة منها في الرحبة الشمالية من الباب العالي بمشهد الوزراء وغيرهم ، بنوا هنالك بيتاً صغيرا من الخشب وأعدوا المطافئ وأوقدوا فيه النار وأمطروا عليه الماء فلم تغن التجربة بل أكلت النار البيت كله

ثم صرنا اينما جلنا في الباب العالي وغيره من معاهد الحكومة نرى مطافئ موضوعة لتستعمل في أي موضع وقع فيه الحريق قبل ان تمتد الى غيره ولكنهم لم يعلموا أحدا كيفية استعمالها فيما يظهر فان العام لم يكد يمر على حريق قصر چراغان حتى وقع الحريق في قلب الباب العالي حيث مجلس الشورى ونظارة الداخلية وظلت النار تأكل فيه أياما لم يبق من الباب العالي الا قليل من طرفيه وفي أحدهما مكان الصدر الأعظم وفي الآخر نظارة الخارجية ، فكانت العبرة في ظهور عجز الحكومة عن الاصلاح وضعفها في الادارة أقوى في هذا الحريق منها في الحريق الذي سبقه ، وكنا نظن ان اتقاء أسباب الحريق سيمنع وقوعه في معاهد الحكومة بعد هذه العبرة ، ولكننا قرأنا في الجرائد قبل صدور هذا الجزء ان الحريق قد وقع في نظارة النافعة وأكلت النار بعض الغرف فيها ،

أول مايخطر في بال كل معتبر بهذه الحوادث ان هؤلاء الحكام لايرجى منهم إحسان الادارة في شيء ماداموا عاجزين عن منع الحريق ان يدمر كل يوم في عاصمتهم ، لأن من عجز عن منع استمرار الخراب في داره كان عن تعمير الدور البعيدة أعجز

وأما أهل العبرة والبصيرة من علماء الاخلاق وطبائع العمران فان افكارهم تذهب الى ماهو أبعد من ذلك كاستبانة سبب العجز عن أمر سهل كهذا ، يقول بعض الناس ان الشعب التركي شعب حربي ليس له ملكة في الادارة والعمران وانما ملكته الموروثة هي الحرب فقط ، وقد يقال ان إطفاء الحريق قد صار في هذا العصر من فنون العسكرية فما بال القوم لايتقنون هذا الفن منها !!

ومما تذهب اليه أفكار هؤلاء المستبصرين أن رجال حكومتنا ليسوا مستقلين أو مجتهدين فيما يأخذونه عن أوربة من نظام الادارة والقضاء وغير ذلك وانما هم مقلدون للأوربيين تقليداً ، وإنما يأتي الاصلاح من المستقل دون المقلد الذي يخطئ في الفهم أكثر مما يصيب ، ويخطئ في التطبيق أكثر مما يخطئ في الفهم ، وقد أشرنا الى هذا

المعنى في مقدمة مقال (المسلمون والقبط) في هـذا الجزء فليرجع اليه من أحب التوسع في هذه العبرة ، وهي الغرض الذي نرمي اليه في هذه النبذة ،

وجملة القول اننا لانبشر أنفسنا بصلاح حال حكومتنا بالفعل الا بعد أن تنقى هـذه المصلحة اليسيرة المضطرة هي اليها في عاصمتها وهي مصلحة المطافئ فتكون في الاستانة متقنة كما نراها في مصر وعسى ان يكون ذلك قريباً

(الفتنة في اليمن)

اشتدت الفتنة في اليمن وطال عليها العهد وقد أرسلت الدولة الى اليمن بالخميس العرمرم وجعلت عزت باشا رئيس اركان الحرب في نظارة الحربية هو القائد العام للجيش هنالك لانه قد سبق له الحرب في اليمن وكان الامام قد أسره ثم أنقذه فيضي باشا ، وقد اجتمع هذا القائد في جدة بأمير مكة المكرمة الشريف حسين بأمر من الاستانة واشتهر انه اتفق معه على طريقة التعاون على إخضاع اليمانيين للدولة وذلك بأن يزحف الامير بجيش من العرب وكذا العسكر المنظم الذي في الحجاز كما قيل على عسير لمحاربة الادريسي وإخضاعه ليتمكن القائد من توجيه جيشه الزاحف كله الى محاربة الامام يحيي وعسى أن ينتهي أمر الفتنة في وقت قريب، وهذا هو الرأي بعد أن صارت الحرب ضربة لازب في نظر الدولة

كان قد أشيع أن بين الامير والادريسي عداء ، وان الامير سيحاربه بعد عودته من نجد في العام الماضي ، ويظن بعض الناس ان هذا هو السبب في استعانة الدولة بالشريف على الادريسي لانها ترى انه لايدخر وسعا في التنكيل به متى قدر ، كما يظنون ان سبب إرسالها عزت باشا الى محاربة الامام هو انه اشد من غيره كراهة له . ويرد على هؤلاء الظانين ظن السوء بأن سبب اختيار عزت باشا هو معرفته بأرض اليمن واختباره البلاد بالفعل ، وسبب الاستعانة بالشريف هو ان يكفيها إرسال العسكر الكثير وانفاق المال الكثير وهي تعلم كما علم كل الناس الذين علموا ماكان منه في نجد أنه يفضل السلم على الحرب ، والحلم والعفو على الانتقام ، والخير للدولة إنما هو في حل هذه العقدة حلا مرضياً لادخن فيه ، ولا تحـذر عقباه ومغبته ، ونحن نرى ان هذا أمر ممكن لمن أراده بصدق وإخلاص كما أنه كان ممكناً بغير دماء تسفك، ولا قناطير من المال تبذل ، ولكن هكذا كان ، والواقع ينسخ الامكان ، ويتمنى كل مسلم لو تنتهي

هذه المسألة عاجلاً بسلام ، ويكفي الله المؤمنين القتال ، والرجاء في حكمة الأمير كبير ، والله أكبر، وله الأمر من قبل ومن بعد

(اليهود في المملكة العثمانية)

خبرنا الآستانة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقي عظيم ، وان ناظر المالية إسرائيلي النسب ، وأنه جعل كاتب سره وكثيراً من موظفي نظارته من اليهود ، فعلمنا ان سيكون لليهود شأن أيّ شأن في هذه المملكة، وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة ، ومطامعهم المالية في المكان يعظم نفوذهم فيه غير مجهولة ، وقد أشرنا الى مايخشى من مغبة ذلك في اجزاء من السنة الماضية ، ثم جاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية في هذه الأيام مصدقة لما قلناه ، ومثبتة ماتوقعناه ، فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطباً بينوا فيها خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية ، وخطباً انكروا فيها على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكري في الاستانة لشركة أجنبية بثمن دون ثمن المثل بسمسرة بعض اليهود ، وهم يرون انه يمكن بيع ذلك المكان بأضعاف ذلك الثمن ، وقد دافع الصدر الاعظم في المسألة الاولى عن الحكومة وعن اليهود ودافع جاويد بك عن نفسه في الثانية ونحن لا نتعرض للمحاكمة والترجيح بين المجلس والحكومة وحزبها وانما ننبه الناس للتأمل والاعتبار

(المؤتمران المصريان القبطي والاسلامي)

يرى القراء مقالة في هذا الجزء عنوانها (المسلمون والقبط) سيتلوها مقالات أخرى في موضوعها ، وقد كان من تأثير المؤتمر القبطي الذي اجتمع في أسيوط أن أيقظ مسلمي مصر من نومهم الاجتماعي ونبههم الى ما كانوا غافلين عنه وفتح لهم باباً لحفظ مصالحهم ودرء الضرر عنهم كان مغلقاً في وجوههم من قبل لأن القبط كانوا أوسع حرية منهم وأكثر انتفاعا بالحرية مطلقاً باجماعهم على تأييد الاحتلال وكونهم نصارى وقليلي العدد لايخشى المحتلون جانبهم ، ولذلك لم تمنعهم الحكومة من مؤتمرهم ولم يكن يخطر لها ولا لهم ببال ان يقوم المسلمون بعقد مؤتمر آخر على أنه نتيجة طبيعية

لذلك المؤتمر فلما ارادوا ذلك لم يكن من الممكن ان تمنعهم الحكومة وقد اختاروا رياض باشا رئيساً له وهو الثقة الامين المعروف عند الوطنيين والافرنج بالاعتدال والاخلاص

من العقل والحكمة ان يغتنم القائمون بأمر هذا المؤتمر الفرصة لخدمة المسلمين فيما يعبر عنه في عرف هذا العصر بالشؤون الاقتصادية والادبية وان يكون كالمجلس الملي للقبط وان يبدأ عمله ببيان حال القبط في البلاد مع المسلمين باحصاء المستخدمين منهم في الحكومة وفي مصالح المسلمين ومزارعهم وسائر أعمالهم ويظهر للمصريين والاوربيين ان القبط راجحون على المسلمين وانهم اذا نالوا مايطلبون لايبقى للمسلمين حظ في حكومة مصر وان ذلك يكون سيئ العاقبة ، ولا سيما بعد جهرهم بايذاء المسلمين.
وبعد هذا البيان يدعون القبط الى الوفاق المعقول المبني على سنن الاجتماع فان رضوا فبها ونعمت والا اعرضوا عنهم وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير

ينبغي أن لايشتغل هذا المؤتمر بالسياسة لاظاهرا ولاباطنا، لا قولا ولاعملا، ينبغي ان تكون اللجان التي تنتخب المندوبين له دائمة ، وان يكون أهم أعمالها الدائمة احصاء ديون المسلمين وأطيانهم المرهونة ، وبيان تصرفاتهم المالية لينظر المؤتمر آنا بعد آن في طرق إنقاذهم من ضرر الربا وسوء التصرف والاسراف الذي يكاد يذهب بثروتهم ويجعلهم عالة على عدد قليل من الاغنياء واصحاب المصارف والشركات المالية : وفي ذلك من الخطر على البلاد مافيه ، يجب ان يكون من عمله الدائم مساعدة الجمعيات الخيرية على عملها في التعليم واعانة المعوزين ، وتعميم النقابات الزراعية في البلاد ،

ان الاحزاب السياسية قد شغلت المسلمين عن الترقي الحقيقي بالعلم والتربية الملية والمال ، فاغتنمت القبط فرصة اشتغالهم بنطح صخرة الاحتلال ، وجدوا في التربية القبطية ، وتوفير الثروة القبطية ، الى أن طمعوا بما اجمعوه في مؤتمرهم هذا، فليشتغل هذا المؤتمر بهذين الأمرين ولا يعارضه أهل السياسة فان عمله ينفعهم ولا يضرهم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر — الخميس ٢٩ ربيع الاول ١٣٢٩ — ٣٠ مارس (آذار) سنة ١٢٨٩ هـ ١٩١١ م)



باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٦٣ : ٦٧) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً (٦٤ : ٦٨) فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً

الكلام متصل بما قبله متمم لسياق وجوب طاعة الله ورسوله والتشنيع على من يرغب عن التحاكم الى الرسول ، ويؤثر عليه التحاكم الى الطاغوت ، وقال الاستاذ

الامام بعد مابين تعالى ما ينبغي للرسول مع أولئك المنافقين قال ﴿ وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ﴾ فهذا كالدليل على استحقاق اولئك المنافقين لمقت لأنهم لم يرضوا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول انا أرسلنا هذا الرسول على حكمنا وسنتنا في الرسل قبله انا لانرسلهم الا ليطاعوا باذن الله تعالى ، فمن صد عنهم وخرج عن طاعتهم أو رغب عن حكمهم كان خارجا عن حكمنا وسنتنا فيهم مرتكبا أكبر الآثام في ذلك . وقوله « باذن الله » للاحتراس لأن الطاعة في الحقيقة لله تعالى فهذا القيد من قيود القرآن المحكمة الذاهبة يظنون من يظنون ان الرسول يطاع لذاته بلا شرط ولا قيد فهو عز وجل يقول إن الطاعة الذاتية ليست الا لله تعالى رب الناس وخالقهم وقد أمر ان تطاع رسله فطاعتهم واجبة باذنه وايجابه

أقول قوله تعالى « من رسول » أبلغ في استغراق النفي من ان يقال « وما أرسلنا رسولا » فكل رسول تجب طاعته ، وايجاب طاعة الرسل تشعر بان الرسول أخص من النبي فالرسول لابد أن يكون مقيما لشريعة

وفسر بعضهم الاذن بالارادة و بعضهم بالامر و بعضهم بالتوفيق والاعانة ، وهو مما تجادل فيه الاشعرية والمعتزلة ولا مجال فيه للجدال ، قال الراغب الإذن في الشيء إعلام باجازته والرخصة فيه نحو « وما أرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله » أي بارادته وأمره اهـ وقوله بارادته وأمره تفسير باللازم والا فالاذن في اللغة كالأذان والايذان لما يعلم بادراك حاسة الأذنين أي بالسمع فقوله ليطاع باذن الله معناه باعلامه الذي نطق به وحيه وطرق آذانكم ، كقوله في الآية السابقة التي هي ام هذا السياق « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » وما صرف الرازي عن هذا المعنى البديهي الا انصراف ذكائه للرد على الجبائي دون فهم الآية في نفسها بما تعطيه اللغة الفصحى

واستدل بالآية على عصمة الانبياء ووجهه اننا مأمورون بطاعتهم مطلقا فهي واجبة ، ولو أتوا بمعصية لكنا مأمورين بطاعتهم فيها فتكون بذلك واجبة وقد فرضنا أنها معصية محرمة فيلزم توارد الايجاب والتحريم على الشيء الواحد وهو جمع بين

الضدين بمعنى النقيضين . وفي هذا الاستدلال نظر فان الآية تدل على وجوب طاعتهم فيما يأمرون أو يحكمون به فالممتنع أن يحكموا أو يأمروا بخلاف ما أنزله الله تعالى عليهم . وأما أفعالهم التي لم يأمروا ولم يحكموا بها فلا تدل الآية على وجوب اتباعهم فيها وان كانت من أكبر الطاعات في نفسها كالتهجد الذي كان مفروضا على نبينا (ص) دون المؤمنين ، وكتعدد الزوجات الذي أبيح له منه مالم يبح لغيره. ومن أوامره وأحكامه مايكون بالاجتهاد اذا لم يكن في الواقعة أو الدعوى وحي منزل ، ولم يقولوا بعصمة الأنبياء من الخطإ في الاجتهاد وانما قالوا ان الله تعالى لايقرهم على الخطإ فيه بل يبين لهم الحق فيه وقد يعاتبهم عليه كما وقع لنبينا (ص) في مسألة اسرى بدر ومسألة الاذن لبعض المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ، ولكن الخطأ في الاجتهاد ليس من المعصية في شيء فهو لاينافي العصمة لأن المعصية هي مخالفة ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه

﴿ ولو انهم اذ ظلموا انفسهم ﴾ أي ولو ان أولئك الذين رغبوا عن حكمك الى حكم الطاغوت عند ظلمهم لانفسهم بذلك ﴿ جاءوك فاستغفروا الله ﴾ من ذنبهم وندموا أن اقترفوه وحسنت توبتهم ﴿ واستغفر لهم الرسول ﴾ أي دعا الله ان يغفره لهم ﴿ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ أي لتقبل الله توبتهم على هذا الوجه اتم القبول وأكمله وتغمدهم برحمته وغمرهم بإحسانه لأنه تعالى يقبل التوبة النصوح كثيرا مهما عاد صاحبها ورحمته وسعت كل شيء ،

هذا هو معنى صيغة المبالغة في تواب رحيم . وإنما قرن استغفارهم الذي هو عنوان توبتهم باستغفار الرسول (ص) لأن ذنبهم هذا لم يكن ظلما لانفسهم فقط لم يتعد شيء منه الى الرسول فيكفي فيه توبتهم بل تعدى إلى إيذاء الرسول من حيث انه رسول له وحده الحق في الحكم بين المؤمنين به فكان لابد في توبتهم وندمهم على ماصدر منهم ان يظهروا ذلك للرسول ليصفح عنهم فيما اعتدوا به على حقه، ويدعو الله تعالى ان يغفر لهم اعراضهم عن حكمه ، ومن هذا البيان تعرف نكتة وضع الاسم الظاهر موضع الضمير إذ قال « واستغفر لهم الرسول » ولم يقل

« واستغفرت لهم » فان حقه عليهم ان يتحاكموا اليه إنما كان له بأنه رسول الله وأنه مأمور بأن يحكم بين الناس بما اراه الله في وحيه وما هداه اليه في اجتهاده . ولو أنهم اعتدوا في معصيتهم على حقوقه الشخصية كأكل شيء من ماله بغير حق لقال « واستغفرت لهم » فان التوبة عن المعاصي المتعلقة بحقوق الناس لا تكون مقبولة ولا صحيحة الا بعد استرضاء صاحب الحق . وجعل بعض المفسرين نكتة وضع الظاهر موضع الضمير إجلال منصب الرسالة والايذان بقبول استغفار صاحب هذا المنصب الشريف وعدم رد شفاعته والظاهر ما قلناه والمنصب هو هو في شرفه وعلوه، ولكن الله لا يغفر للمنافقين اذا لم يتوبوا وان استغفر لهم الرسول لان الله تعالى قال له فيهم « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » والآية ناطقة بأن التوبة الصحيحة تكون مقبولة حتما اذا كملت شرائطها ، وظاهر الآية ان منها ان تكون عقب الذنب كما يدل الشرط والعطف بالفاء وهو بمعنى « ثم يتوبون من قريب » وتقدم تفسيره . وذكر الاستاذ الامام انه تعالى سمى ترك طاعة الرسول ظلما للانفس أي افسادا لمصلحتها لأن الرسول هاد الى مصالح الناس في دنياهم وآخرتهم ، وهذا الظلم يشمل الاعتداء والبغي والتحاكم الى الطاغوت وغير ذلك . والاستغفار هو الاقبال على الله وعزم التائب على اجتناب الذنب وعدم العود اليه مع الصدق والاخلاص لله في ذلك . واما الاستغفار باللسان عقب الذنب من دون هذا التوجه القلبي فليس استغفارا حقيقيا .

أقول يعني ان ما اعتاده الناس من تحريك اللسان بلفظ «استغفر الله» لا يعد طلبا للمغفرة لأن الطلب الحقيقي ينشأ عن الشعور بالحاجة الى المطلوب فلا بد ان يشعر القلب أولا بألم المعصية وسوء مغبتها ، وبالحاجة الى التزكي من دنسها ، ولا يكون هذا الا بما ذكر الاستاذ من التوجه القلبي الى الله بالصدق والاخلاص والعزم القوي على اجتناب سبب هذا الدنس وهو المعصية ، وكيف يكون متألما من القذر الحسي من ألفه وعرض بدنه له اذا طلب غسله باللسان ، وهو لا يترك الالتياث به ولا يدنو من الماء

وقال في استغفار الرسول انكم تعلمون ان مشاركة الناس بعضهم لبعض في

الدعاء مسنونة وان من سنته تعالى ان يتقبل من الجماعة بأسرع مما يتقبل من الواحد فدعاء الجماعة ارجى للاجابة وان كان كل داع موعودا بالاستجابة . وحقيقة الدعاء إظهار العبودية والخضوع له تعالى ، والاجابة التي وعد بها هي الاثابة وحسن الجزاء فمتى اخلص الداعي أجاب الله دعاءه سواء كان باعطائه ما طلب أو بغير ذلك من الاجر والثواب ، وانما كانت المشاركة في الدعاء أرجى للقبول لأن الداعين الكثيرين لشخص يؤدون هذه العبادة بسببه أي ان ذنبه يكون هو السبب في شعورهم واحساسهم كلهم بالحاجة الى الله تعالى والخضوع له والاتحاد المرضي عنده فكأن حاجته حاجتهم كلهم . فاذا كان الرسول (ص) هو الداعي والمستغفر لأولئك التائبين من ظلمهم لانفسهم مع استغفارهم هم فذلك من اشتراك قلبه الشريف مع قلوبهم بالحاجة الى تطهير الله لهم من دنس الذنب وطلب النجاة من عقوبته وناهيك بقرب الرسول (ص) من ربه والرجاء في استجابة دعائه .

وأما اشتراط استغفار الرسول الى استغفارهم فمعناه ان توبتهم لا تتحقق الا اذا رضي عن توبتهم رضا كاملا بحيث يشعر قلبه الرحيم بالمؤمنين بحاجتهم الى المغفرة لصحة توبتهم وإخلاصهم فذنبهم ذلك لا يغفر الا بضم استغفاره (ص) الى استغفارهم وليس كل ذنب كذلك بل يكتفى في سائر الذنوب بتوبة العبد المذنب حيث كان والاخلاص لله تعالى اه

أقول وقد بينا الفرق بين هذا الذنب وغيره من الذنوب ومنه يعلم بعد من قاس كل ذنب على ذنب الرغبة عن التحاكم الى الرسول (ص) وايثار التحاكم الى الطاغوت ، وقاس كل مذنب بعد وفاة الرسول (ص) على من أعرض عن حكمه في حياته ، فجعل مجيء كل مذنب الى قبره الشريف واستغفاره عنده كمجيء من أعرضوا عن حكمه في حياته تائبين مستغفرين ليعفو عن حقه عليهم ويستغفر لهم

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ هذه الآية متصلة بما قبلها أشد الاتصال والسياق محكم متسق وان ذكروا أسبابا خاصة لنزولها ، أقسم الله تعالى بربوبيته لرسوله (ص) مخاطبا له في ذلك خطاب التكريم ، ومن المعهود في اللغة ان مثل هذا القسم يعد تكريما وقد كانت عائشة تقسم برب محمد (ص)

فلما غضبت مرة اقسمت برب ابراهيم (ص) فكلمها النبي (ص) في ذلك بعد رضاها فقالت : انما اهجر اسمك . اقسم تعالى بأن أولئك الذين رغبوا عن التحاكم اليه (ص) وأمثالهم وهم من المنافقين الذين يزعمون الايمان زعما كما تقدم لايؤمنون إيمانا صحيحا حقيقيا وهو إيمان الإذعان النفسي الابثلاث

(الاولى) ان يحكموا الرسول (ص) فيما شجر بينهم أي في القضايا التي يختصمون فيها و يشتجرون فلم يتبين الحق فيها لهم، أولم يعترف به كل منهم، بل يذهب كل مذهبا فيه ، فمعنى شجر اختلف واختلط الامر فيه. قيل ان الشجر (مصدر شجر) والتشاجر والاشتجار مأخوذ من الشجر الملتف المتداخل بعضه في بعض، ـ وقال بعضهم بل سمي الشجر شجرا لاشتجار أغصانه وتداخلها ـ وقيل من الشجار (ككتاب) وهو خشب الهودج لاشتباك بعضه في بعض ، وقيل من الشجر (بالفتح) وهو مفتح الفم لكثرة الكلام في الامور التي يقع النزاع فيها ، وكل هذه المعاني مناسبة ، وتحكيمه تفويض أمر الحكم اليه

(الثانية) قوله ﴿ ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ﴾ الحرج الضيق والقضاء الحكم وزعم بعض المستشرقين من الافرنج ان لفظ القضاء لم يكن مستعملا في صدر الاسلام الاول بمعنى الحكم وهذا من دعاويهم التي يتجرءون عليها من غير استقصاء ولا علم. والمعنى ثم تذعن نفوسهم لقضائك وحكمك فيما شجر بينهم بحيث لايكون فيها ضيق ولا امتعاض من قبوله والعمل به. ولما كان الانسان لايملك نفسه ان يسبق اليها الالم والحرج اذا خسرت ما كانت ترجو من الفوز ، والحكم لها بالحق المختصم فيه، عفا الله تعالى عن الحرج يفاجيء النفس عند الصدمة الاولى وجعل هذا الشرط على التراخي فعطفه بثم، والمؤمن الكامل الايمان ينشرح صدره لحكم الرسول من أول وهلة لعلمه انه الحق وأن الخير له فيه والسعادة في الاذعان له ، فاذا كان في إيمانه ضعف مّا ضاق صدره عند الصدمة الاولى ، ثم يعود على نفسه بالذكرى وينحي عليها باللوم حتى تخشع وتنشرح بنور الايمان وايثار الحق الذي حكم به الرسول (ص) على الهوى ، وقيل المراد بنفي وجدان الحرج عدم الشك في

حقية الحكم بأن يكون موقنا بأنه قضاء بمر الحق الذي لاشبهة فيه، قال هذا من قاله وهو خلاف المتبادر لان وجدان القلب لايتعلق به التكليف وقد علمت ماهو الصواب

(الثالثة) قوله تعالى ﴿ و يسلموا تسليما ﴾ التسليم هنا الانقياد بالفعل وما كل من يعتقد حقية الحكم ولا يجد في نفسه ضيقا منه ينقاد له بالفعل وينفذه طوعا وان لم يخش في ترك العمل به مؤاخذة في الدنيا

واستدلوا بالآية على عصمة النبي (ص) من الخطإ في الحكم وغيره وذهب الرازي الى عدم معارضة هذا بفتواه في اسرى بدر وما في معناه مما عاتبه الله تعالى عليه بقوله « عفا الله عنك لم أذنت لهم » وقوله « عبس وتولى » الخ وقوله « لم تحرم ما أحلّ الله لك » وأحال على تأويله لهذه الآيات في مواضعها . ولاشك في عصمته (ص) في الحكم بمعنى انه لا يحكم الا بالحق بحسب صورة الدعوى وظاهرها لابحسب الواقع في نفسه لأن الحكم في شريعته على الظاهر والله يتولى السرائر. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنما أنا بشر وانكم تختصمون اليّ فلعلّ بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها » رواه الجماعة كلهم مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة من حديث أم سلمة . وقال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » رواه مسلم والنسائي عن رافع بن خديج . وفي معناه « إنما أنا بشر وإن الظن يخطيء ويصيب ولكن ماقلت لكم قال الله فلن أكذب على الله » رواه أحمد وابن ماجه عن طلحة وصححوه . ولأجل هذه الاحاديث كانوا يسألونه إذا أمر بأمر لم يظهر لهم انه الرأي هل هو عن وحي أو رأي فان كان عن وحي أطاعوا وسلموا تسليما ، وان كان رأيا ذكروا ماعندهم وربما رجع الى رأيهم كما فعل يوم بدر. فبالله ما أكمل هديه وما أجمل تواضعه صلى الله عليه وعلى آله وأولئك الصحب الكاملين

واستدلوا بالآية أيضا على ان النص لا يعارض ولا يخصص بالقياس فمن بلغه حديث الرسول(ص) ورده بمخالفة قياسه له فهو غير مطيع للرسول ولا ممن

تصدق عليه الخصال الثلاث المشروطة في صحة الايمان بنص الآية ، ومخالفة نص القرآن بالقياس أعظم جرما واضل سبيلا

وتدل الآية بالأولى على بطلان التقليد فمن ظهر له حكم الله أو حكم رسوله في شيء وتركه الى قول الفقهاء الذين يتقلد مذهبهم كان غير مطيع لله ولرسوله كما أمر الله عز وجل ، واذا قلنا إن للعامي ان يتبع العلماء فليس المعنى انه يتخذهم شارعين ويقدم أقوالهم على أحكام الله ورسوله المنصوصة وإنما يتبعهم بتلقي هذه النصوص عنهم والاستعانة بهم على فهمها لافي آرائهم وأقيستهم المعارضة للنص . مثال ذلك ان بعض الفقهاء يقول ان حكم الحاكم على الظاهر والباطن فاذا حكم لك بما تعلم انه ليس لك صار حلالاً لك أن تأكله ، ونص الحديث المتفق عليه الذي أوردناه آنفا أن من قضي له بحق أحد بناء على ظاهر الدعوى وهو يعلم انه ليس بصاحب هذا الحق فانما هي قطعة من النار اذا أخذها . فمن بلغه الحديث واعتقد صحته ولم يعارضه عنده نص يرجح عليه، و بقي مقلدًا لقول ذلك الفقيه يستحل مايحكم له به من حق غيره كان غير مطيع لله ولرسوله ولا متصفا بالخصال التي تتوقف عليها صحة الإيمان

قال الاستاذ الامام : قوله تعالى فلا وربك الخ تفريع على ما سبقه وهو نفي وإبطال لظن الظانين انهم بمجرد محافظتهم على أحكام الدين الظاهرة يكونون صحيحي الإيمان مستحقين للنجاة من عذاب الاخرة وللفوز بثوابها ، لاوربك لا يكونون مؤمنين حتى يكونوا موقنين في قلوبهم مذعنين فى بواطنهم ، ولا يكونون كذلك حتى يحكموك فيما شجر واختلط بينهم من الحقوق، ثم بعد ان تحكم بينهم لايجدوا في أنفسهم الضيق الذي يحصل للمحكوم عليه اذا لم يكن خاضعا للحكم في قلبه ، فان الحرج إنما يلازم قلب من لم يخضع . ذلك بأن المؤمن لاينازع أحدا لا بما عنده من شبهة الحق فاذا كان كل من الخصمين يرضى بالحق متى عرفه وزالت الشبهة عنه كما هو شأن المؤمن فحكم الرسول يرضيهما ظاهرا و باطنا لأنه أعدل من يحكم بالحق

أقول أما ماذكروه في أسباب نزول الآية فقد أورد السيوطي منه في لباب النقول

ماروواه الأئمة الستة (أي البخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة) عن عبد الله ابن الزبير قال خاصم الزبير رجلا من الانصار في شراج الحرة (١) فقال النبي (ص) «اسق يازبير ثم ارسل الماء الى جارك » فقال الانصاري يارسول الله أن كان ابن عمتك؟ (٢) فتلوّن وجهه ثم قال«اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك » ، واستوعب للزبير حقه وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة ، قال الزبير فما أحسب هذه الآيات الا نزلت في ذلك « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن المسيب انها نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن ابي بلتعة اختصما في ماء فقضى النبي (ص) أن يسقي الاعلى ثم الاسفل . وهذه عين الرواية الاولى مختصرة وفيها جزم بان الآية نزلت في هذه الواقعة والصواب ان هذا اجتهاد من الرواة لانطباق الآية على الرواية

(٦٥ : ٦٩) وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦ : ٧٠) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا
(٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

الكلام متصل بما سبق والسياق لم ينته والمروي عن ابن عباس ومجاهد ان قوله تعالى ﴿ ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ﴾ عائد للمنافقين الذين سبق القول فيهم ومن كان مثلهم فله حكمهم ، اذ الاحكام ليست منوطة بذوات المكلفين وشخوصهم بل بصفاتهم وأعمالهم ، أي لو أمرناهم بقتل أنفسهم أى بتعريضها للقتل المحقق اوالمظنون ظنا راجحا، وقيل قتلها هو الانتحار كما

(١) الشراج جمع شرجة وهي مسيل الماء من الحرة الى السهل والحرة أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سود (٢) أي أقضيت له بسبب أن كان ابن عمتك

قيل مثل هذا في أمر بني اسرائيل بقتل أنفسهم توبة الى ربهم من عبادة العجل . أوقلنا لهم اخرجوا من دياركم أي أوطانكم وهاجروا الى بلاد أخرى ﴿ مافعلوه ﴾ أي المأمور به من القتل والهجرة من الوطن ﴿ الا قليل منهم ﴾ هذه قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر « قليلا » بالنصب قالوا وكذا هو في مصاحف أهل الشام ومصحف أنس بن مالك. وهما لغتان للعرب واعرابهما ظاهر . بين الله تعالى لنا ان المؤمن الصادق هو من يطيع الله تعالى ورسوله (ص) في المنشط والمكره والسهل والشاق ، ولو قتل النفس والخروج من الدار ، وهما متقاربان لأن الجسم دار الروح والوطن دار الجسم ، وأن المنافق هو من يعبد الله على حرف واحد وهو مايوافق هواه وغرضه فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، وأنه قلما يوجد في أولئك المنافقين من يصبر على نار الفتنة رياء وتقية فيطيع فيما يكتب عليه ولو كان التعرض للقتل ، والجلاء عن الوطن والأهل

وقيل ان الكلام في جملة المكلفين من الناس والمعنى ان الانسان خلق ضعيفا كما تقدم في آية (٢٧) من هذه السورة فلو كتبنا عليهم مايشق احتماله كقتل الانفس والخروج من الوطن لعصى الكثير منهم ولم يطع الا القليل وهم أصحاب العزائم القوية الذين يؤثرون رضوان الله على حظوظهم وشهواتهم، ولكننا لم نكتب عليهم ذلك كما كتبناه على بني اسرائيل من قبلهم بل أرسلنا خاتم رسلنا بالحنيفية السمحة ، التي تجمع لهم بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة ، فلا عذر لهم بالضعف البشري أن عصوا الرسول ، واتبعوا الطاغوت ، وانما ظلموا بذلك أنفسهم

﴿ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به ﴾ من الأوامر والنواهي المقرونة بحكمها و بيان فائدتها ، والوعد والوعيد لمن عمل بها ومن صد عنها ، ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ في حفظ مصالحهم ، واعتزاز انفسهم بارتقاء أمتهم، وفي عاقبة أمرهم وآخرتهم ، ﴿ وأشد تثبيتا ﴾ لهم في أمر دينهم . التثبيت التقوية بجعل الشيء ثابتا راسخا، وانما كان العمل واتيان الأمور الموعوظ بها في الدين يزيد العامل قوة وثباتا لأن الاعمال هي التي يكون بها العلم الاجمالي المبهم تفصيليا جليا ، وهي التي تطبع الاخلاق والملكات

في نفس العامل ، وتبدد المخاوف والاوهام من نفسه ، مثال ذلك ان بذل المال في سبيل الله تعالى بأعمال البر آية من أقوى آيات الايمان ، وقربة من أكبر اسباب السعادة والرضوان ، فمن آمن بذلك ولم يعمل به لايكون علمه بمنافعه وفوائده له وللامة والملة الا ناقصا ، وكلما اعتن له سبب من اسباب البذل ، تحداه في نفسه طائفة من اسباب الامساك والبخل ، كالخوف من الفقر والاملاق ، أونقصان ماله عن مال بعض الأقران ، أو تعليل النفس بادخار مااحتيج الى بذله الآن ، ليوضع فيما هو خير وأنفع في مستقبل الزمان ، فاذا هو اعتاد البذل صار السخاء خلقا له ، لايثنيه عنه وسواس ولاخوف، واتسعت معرفته بطرق منافعه ، ووضع المال في خير مواضعه ،

وقال الاستاذ الامام لكان خيرا لهم في مصالحهم، واشد تثبيتا لهم في إيمانهم، فان الامتثال إيمانا واحتسابا يتضمن الذكرى وتصور احترام امر الله والشعور بسلطانه ، وإمرار هذه الذكرى على القلب عند كل عمل مشروع يقوى الايمان ويثبته ، وكلما عمل المرء بالشريعة عملا صحيحا انفتح له باب المعرفة فيها، بل ذلك مطرد في كل علم ،

اقول وذكر الرازي في التثبيت ثلاثة أوجه (١) ان ذلك أقرب الى ثباتهم واستمرارهم لان الطاعة تدعو الى مثلها (٢) ان ذلك يكون اثبت في نفسه لانه حق ، والحق ثابت باق والباطل زائل (٣) ان الانسان يطلب الخير أولا فاذا حصله طلب ان يكون الحاصل ثابتا باقيا ، فقوله تعالى « لكان خيرا لهم » اشارة الى الحالة الأولى ، وقوله « واشد تثبيتا » إشارة الى الحالة الثانية

ومن مباحث اللفظ في كيفية الأداء اختلاف القراء في « أن » و « أو »من قوله تعالى « ان اقتلوا أنفسكم أواخرجوا »قرأ ابوعمرو ويعقوب بكسر نون «أن» وضم واو « أو » وعاصم وحمزة بكسرهما والباقون بضمهما وهما لغتان . فأما الكسر فهو الاصل في التخلص من التقاء الساكنين عند النحاة وأما الضم فاجراؤهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل لنقل حركة مابعدها اليها ، وأما قراءة أبي عمرو فجمع بين طريقتي العرب في ذلك من قبيل التلفيق . ومنها ان قوله تعالى « مافعلوه » يعود

ضميره الى القتل والخروج وأفرد الضمير لان الفعل جنس واحد أو بتأويل ماذ كر ﴿ واذاً لاتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ « اذاً » حرف جواب وجزاء ولذلك ذ كر في الكشاف انها هنا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير العظيم والتثبيت فأجيب هوأن نؤتيهم أي نعطيهم أجرا عظيما الخ ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ قيل ان هذا الصراط عبارة عن دين الحق وقيل هو موطن من مواطن القيامة، وقال الاستاذ الامام الصراط المستقيم هنا هو طريق العمل الصالح على الوجه الصحيح. وأقول ان هذه الهداية هي الهداية الرابعة التي شرحها الاستاذ في تفسير سورة الفاتحة والصراط هنا هو الصراط هناك صراط الذين أنعم الله عليهم المذكورين في الآية التالية . غير المغضوب عليهم ولا الضالين . وصرح بذلك في تفسير الآية

(٦٨ : ٧١) وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً
(٦٩ : ٧١) ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً

الصراط المستقيم في الآية السابقة هو الصراط الذي سار عليه عباد الله المصطفون الاخيار الذين أنعم الله عليهم بمعرفة الحق واتباعه وعمل الخيرات واجتناب الفواحش والمنكرات وهم الأصناف الاربعة في قوله تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾ الخ وكان الظاهر بادي الرأي ان يقال: ولهديناهم صراطا مستقيما، صراط أولئك الذين أنعم الله عليهم . أو فكانوا مع الذين انعم الله عليهم ، أو ماهو بهذا المعنى . ولكن أعيد ذكر طاعة الله ورسوله لأنه هو الاصل المراد في السياق الذي تكون سعادة صحبة من أنعم الله عليهم جزاء له . أي ان كل من يطيع الله تعالى ورسوله (ص) على الوجه المبين في الآيات من قوله « يا أيها الذين آمنوا طيعوا الله وأطيعوا الرسول ـ الى قوله ولهديناهم صراطا مستقيما » ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ وما قيل من ان الطاعة

تصدق بامتثال أمر واحد مرة واحدة وما يبنى عليه من الجواب هو مما اعتادوه من اختراع الايرادات والأجوبة عنها وان كان السياق يأباها فهذه الطاعة هي التي يدخل فيها ايثار حكم الله ورسوله على حكم الطاغوت من أهل الاهواء، وهي التي علمنا بها ان العمل من أركان الايمان الصحيح أو شرط له لتوقفه على الاذعان في الظاهر والباطن لحكم الله ورسوله بحيث لا يكون في نفس المؤمن حرج منه ويسلم له تسليما ، ويدخل في ذلك امتثال أمر الله ورسوله ولو في تعريض النفس للقتل والخروج من الديار والاوطان

ذهب بعض المفسرين الى ان الصديقين والشهداء والصالحين اوصاف متداخلة لموصوف واحد فالمؤمنون الكاملون فريقان الانبياء والمتصفون بالصفات الثلاثة وهذا وجه ضعيف . والصواب المغايرة بينهم كما هو ظاهر العطف على ما في صفاتهم من العموم والخصوص . وقد اختلفوا في تعريفهم وهاك مالا كلفة فيه ولا جناية على اللغة

(الصديقون) جمع صدّيق وهو من غلب عليه الصدق وعرف به كالسكير لمن غلب عليه السكر . قال الراغب الصديق من كثر منه الصدق وقيل بل يقال لمن لايكذب قط وقيل لمن لايتأتى منه الكذب لتعوده الصدق ، وقيل بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بقوله . قال « واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا » وقال ـ أي في المسيح ـ « وامه صدّيقة » وقال «من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فالصديقون هم قوم دون الانبياء في الفضيلة على ما بينت ذلك في الذريعة الى مكارم الشريعة

الاستاذ الامام: الصديقون هم الذين زكت فطرتهم ، واعتدلت أمزجتهم ، وصفت سرائرهم ، حتى انهم يميزون بين الحق والباطل والخير والشر بمجرد عروضه لهم ، فهم يصدقون بالحق على أكمل وجه ، ويبالغون في صدق اللسان والعمل ، كما نقل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه بمجرد ما بلغته دعوة النبي (ص) عرف انها الحق وقبلها وصدق بها فصدق النبي في قوله وعمله أكمل الصدق، ويليه في ذلك جميع السابقين الاولين فانهم انقادوا الى الاسلام بسهولة قبل أن تظهر الآيات وثمرات الايمان تمام الظهور كعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ـ

وعد آخرين من السابقين ـ ودرجة هؤلاء قريبه من مرتبة النبوة بل الانبياء صديقون وزيادة

وأقول مانقلناه عن الراغب والاستاذ من كون الصديقية هي المرتبة التي تلي مرتبة النبوة في الكمال البشري قد صرح به كثير من العلماء وللغزالي كلام كثير فيه ولا غرو فالصدق في القول والعمل اس الفضائل ، كما ان الكذب والنفاق اس الرذائل ، واختار الاستاذ الامام أخذ الصديق من التصديق وهو المبالغة في تصديق الانبياء وكمال الايمان بهم ، ولهذا كان أبو بكر (رض) صديقا . وقد وردت الاحاديث الصحاح والتي دون الصحاح في تصديقه للنبي(ص)حين كذبه الناس . وفي حديث ابن مسعود عند الديلمي انه (ص) قال « ماعرضت الاسلام على أحد الا كانت له نظرة غير أبي بكر فانه لم يتلعثم » وعن ابن عباس عند أبي نعيم انه (ص) قال « ما كلمت في الاسلام أحداً الا ابى عليّ وراجعني الكلام الا ابن أبي قحافه فاني لم اكلمه في شيء الاقبله وسارع اليه » وسندهماضعيف .

وقد عدّ بعض المستشرقين على أبي بكر (رض) المسارعة الى تصديق النبي (ص) وعدم التلبث به ، وحسب أنذلك من السذاجة وضعف الروية ، وينقض حسبانه كل ما عرف من سيرة أبي بكر في الجاهلية والاسلام فانه كان من أجود الناس رأيا ، وأنفذهم بصيرة ، واصحهم حكما ، وأقلهم خطأ ، وانما يعرف قيمة الصدق الصادقون، وقدر الشجاعة الشجعان، وحقائق الحكمة الحكماء ، فلما كانت مرتبة أبي بكر قريبة من مرتبةالنبي (ص) في الصدق وتحري الحق وإيثاره على الباطل، وان ركب في سبيله الصعاب وتقحم في الاخطار ، كان السابق الى تصديقه، وبذل ماله ونفسه في نصره ، وقد سمى الله الذين صدقا في قوله (٣٩: ٣٢ والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون) نعم ان الصادق يكون أسرع الى تصديق غيره عادة، فان كان بليدا أو ساذجا غرّاصدق غيره في كل شيء، وان كان ذكيا مجربا كأبي بكر لم يصدق الاماهو معقول . ومن كان كبير العقل قوي الحدس يدرك لأول وهلة مالا يصل اليه غيره الا بعد السنين الطوال، وكان أبو بكر من أعلم العرب بتاريخ العرب وأنسابها وأخلاقها وظهر صحة هذا في سياسته أيام خلافته ولا سيما في المرتدين ومانعي الزكاة،

فلولاه لانتكث فتل الاسلام وغلبته عصبية الجاهلية، أفهكذا تكون السذاجة وضعف الرأي والروية ؟ أم ذلك ماأملاه على ذلك المستشرق كره المخالف ووسوس به شيطان العصبية ؟ ؟

(الشهداء) جمع شهيد وبين الرازي انه لا يجوز ان يراد بالشهيد هنا من قتله الكفار في الحرب لان الشهادة مرتبة عالية عظيمة في الدين « وكون الانسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل في الفساق ومن لامنزلة له عند الله تعالى » ولان المؤمنين يدعون الله تعالى ان يرزقهم الشهادة ولا يجوز ان يطلبوا منه ان يسلط عليهم الكفار يقتلونهم ، ولانه ورد اطلاق لفظ الشهيد على المبطون والمطعون والغريق . قال « فعلمنا ان الشهادة ليست عبارة عن القتل بل نقول الشهيد فعيل بمعنى الفاعل وهوالذي يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان ، وأخرى بالسيف والسنان ، فالشهداء هم القائمون بالقسط وهم الذين ذكرهم الله في قوله (٣ : ١٨ شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) ويقال للمقتول في سبيل الله شهيد من حيث انه بذل نفسه في نصرة دين الله وشهادته له بأنه هو الحق وما سواه هو الباطل، واذا كان من شهداء الله بهذا المعنى كان من شهداء الله في الآخرة كما قال(٢ : ١٤٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس)

وقال الاستاذ الامام الشهداء هم الذين أمرنا الله تعالى ان نكون منهم في قوله (لتكونوا شهداء على الناس) وهم أهل العدل والانصاف الذين يؤيدون الحق بالشهادة لاهله بأنهم محقون ، ويشهدون على أهل الباطل انهم مبطلون ، ودرجتهم تلي درجة الصديقين . والصديقون شهداء وزيادة

وأقول ان الشهادة التي تقوم بمحاجة أهل الحق على أهل الباطل تكون بالقول والعمل والاخلاق والاحوال فالشهداء هم حجة الله تعالى على المبطلين في الدنيا والآخرة بحسن سيرتهم . وتقدم القول في ذلك في تفسير (٢: ١٤٣ لتكونوا شهداء على الناس) من الجزء الثاني ، وتفسير (٢: ١٤٠) من الجزء الرابع . ويروى عن سيدنا علي انه قال ان الارض لاتخلو من قائم لله بالحجة ، و يتوهم اسرى الاصطلاحات، ورهائن

القيود المستحدثات ، ان حجج الله تعالى في الارض هم علماء الرسوم حملة الشهادات، الذين حذقوا النقاش في العبارات ، والجدل في مصارعة الشبهات ، وجمع النقول في تلفيق المصنفات ، كلا إن حجج الله تعالى من الناس هم اعلام الحق والفضيلة ، ومُثل العدل والخير ، فمنهم العالم المستقل بالدليل وان سخط المقلدون ، والحاكم المقيم للعدل وان كثر حوله الجائرون ، والمصلح لما فسد من الاخلاق والآداب وان غلب المفسدون، والباذل لروحه حتى يقتل في سبيل الحق وإن احجم الجبناء والمراءون،

(الصالحون)هم الذين صلحت نفوسهم وأعمالهم ولم يبلغوا ان يكونوا حججا ظاهرين كالذين قبلهم لانه ليس لهم من العلم والعمل المتعدي نفعه الى غيرهم مايحتج به على المبطلين، والجائرين عن الصراط المستقيم ، وقال الاستاذ الامام هم الذين صلحت أعمالهم في الغالب ويكفي ان تغلب حسناتهم على سيئاتهم وان لايصروا على الذنب وهم يعلمون

هؤلاء الاصناف الاربعة هم صفوة الله من عباده وقد كانوا موجودين في كل أمة ، ومن اطاع الله والرسول من هذه الامة كان منهم ، وحشر يوم القيامة معهم ، لانه وقد ختم الله النبوة والرسالة لابد ان يرتقي في الاتباع الى درجة أحد الاصناف الثلاثة : الصديقين والشهداء والصالحين ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ أي ان مرافقة أولئك الاصناف هي في الدرجة التي يرغب العاقل فيها لحسنها . وفي الكشاف ان في هذه الجملة معنى التعجب كأنه قيل ما أحسن أولئك رفيقا، والرفيق كالصديق والخليط الصاحب ، والاصحاب يرتفق بعضهم ببعض . واستعملت العرب الرفيق والرسول والبريد مفردا استعمال الجمع أو الجنس ولهذا حسن الإفراد هنا ، وقيل تقدير الكلام وحسن كل فريق من أولئك رفيقا .

وهل يرافق كل فريق فريقه ، اذ كان مشاكله وضريبه ، أم يتصل كل منهم بمن فوقه ولو بعض الاتصال ، الذي يكون في حال دون حال ؟ الظاهر الثاني وهو مايشير إليه التعبير بالفضل في الآية التالية .

روى الطبراني وابن مردويه بسند قال السيوطي لا بأس به عن عائشة قالت : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنك لأحب اليّ من

نفسي ، وإنك لأحب اليّ من ولدي ، واني لأكون في البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر اليك ، واني اذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لاأراك . فلم يرد النبي (ص) شيئا حتى نزل جبريل بهذه الاية « ومن يطع الله والرسول » واخرج ابن ابي حاتم عن مسروق ان سبب نزولها قول الصحابة : يارسول الله ماينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك . واخرج عن عكرمة قال اتى فتى النبي (ص) فقال يانبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لانراك فانك في الجنة في الدرجات العلى ، فأنزل الله هذه الآية فقال له رسول الله (ص) «انت معي في الجنة انشاء الله تعالى » اهـ وهذه الروايات ضعيفة السند فان كان لها أصل فالمراد أن الآية نزلت في سياقها المتصلة به بعد شيء من هذه الاسئلة

واما معنى هذه الروايات فيؤيده حديث أبي قرصافة مرفوعا « من احب قوما حشره الله معهم » رواه الطبراني والضياء وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة، وفي معناه حديث انس عن أحمد والشيخين وغيرهم « المرء من أحب »وقد يغر كثير من المنافقين والفاسقين انفسهم بدعوى محبة الله ورسوله ، وانما آية المحبة الطاعة والآية قد جعلت هذه المعية جزاء للطاعة . وفي آية اخرى (٣ : ٣٠ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فراجع تفسيرها في الجزء الثاني

﴿ ذلك الفضل من الله ﴾ في هذه العبارة وجهان احدهما ان المعنى : ذلك الذي ذكر من جزاء من يطيع الله ورسوله هو الفضل الكامل الذي لا يعلوه فضل فان الصعود الى احدى تلك المراتب في الدنيا وما يتبعه من مرافقة أهلها واهل من فوقها في الآخرة هو منتهى السعادة فيه يتفاضل الناس فيفضل بعضهم بعضا ، وهو من الله تفضل به على عباده . وثانيهما ان المعنى : ذلك الفضل الذي ذكر من جزاء المطيعين هو من الله تعالى . ويرى بعض الناس ان التعبير بلفظ الفضل ينافي ان يكون ذلك جزاء ويقتضي ان يكون زيادة على الجزاء . لا اقتضاء ، سمه جزاء أو لا تسمه هو من فضل الله تعالى على كل حال

﴿ وكفى بالله عليما ﴾ وكيف لا تقع الكفاية به من حيث علمه بالاعمال وبدرجة الاخلاص فيها وبما يستحق العامل من الجزاء، وارادته تعالى للجزاء الوفاق ولجزاء الفضل ولزيادة الفضل هي بحسب ذلك العلم المحيط، فهو يعطي بارادته ومشيئته، ويشاء بحسب علمه، فالتذكير بالعلم الإلهي في آخر السياق يشعرنا بان شيئا من أعمالنا ونياتنا لايعزب من علمه، ليحذر المنافقون المراءون، لعلهم يتذكرون فيتوبون، وليطمئن المؤمنون الصادقون، لعلهم ينشطون ويزدادون

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من المحلة الكبرى ﴾

(س ١٢ - ١٥) من صاحب الامضاء

حضرة العالم العلامة المفضال السيد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فأرجو من فضيلتكم الاجابة عما يأتي ولكم منا الشكر ومن الله أعظم الاجر

(س ١) ماحقيقة الماسونية ولم انصارها يخفونها عن الناس ومعلوم ان الحق لايخفى - فإن كان للم شعث أفراد متباينة عقائدهم الدينية والجنسية والوطنية فهذا من المستحيل طبعا كما لايخفى ويدل على ذلك قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وان كان الغرض (التساوي) كما يزعمون بين أفراد البشر في جميع ارجاء المعمورة فهو أشد استحالة من الاول

اذ ان الدين هو الذي يؤلف بين الافراد فقط فإن كان هذا دينا فلن يتحمل القلب دينين الماسونية والنصرانية وهي والاسلام مثلا أو هي مع اليهودية الخ فيتعين أن يكون الداخل فيها مجردا من غيرها وعلى ذلك فكل دين غير الاسلام باطل قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الخ) وان كانت جارية على أحكام الاسلام فلا معنى اذا للتفريع والتسمية بهذا الاسم

(س ٢) على من اللوم - أعلى الحكومة التي بيدها الحل والربط أم على الامة التي لاتملك لنفسها نفعا ولاضرا ؟ وما هي التربية الصحيحة التي تعيد للدين مجده وللوطن عزه ؟ التربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية والارساليات التي تذهب الى أوربا وتعود من غير دين بالمرة ؟ أم التربية على مبادىء الدين وكيف يكون ذلك ومتى يستطيع المصلحون وهل يمكن

(س ٣) ماهي البلاد التي يعظم فيها دين الاسلام ويقام فيها بالعمل وأهلها أشد الناس شكيمة على اعدائه

(س ٤) ماذا يصنع رجل أضناه حب العلم وما بلغ عمره الخامسة والعشرين - وما ترك بابا الا طرقه ولا سبيلا الا سلكه اليه ولم يجد من يساعده وكلما ظن في أحد عونا تقاصرت همة المطلوب ورجع الطالب بخفي حنين

أفيدوني اثابكم الله ؟

عبد الظاهر محمد
مدرس بمدارس الجمعية
الخيرية الاسلامية

﴿ الماسونية ﴾

(ج ١) الماسونية جمعية سياسية وجدت في أوربة لازالة سلطة المستبدين من رؤساء الدين والدنيا (كالبابوات والملوك) ولذلك كانت سرية فان أهلها العاملين الساعين الى مقاصدها كانوا على خطر من سلطة الاقوياء الذين تقاوم الجمعية

استبدادهم وتعمل لسلب السلطة منهم وجعلها في يد الشعب بحيث يكون في يده التشريع ، والمراقبة على من ينصبه من الحكام للتنفيذ، فلهذه الجمعية الأثر العظيم في الانقلابات السياسية التي حصلت في أوربة ومنها الثورة الفرنسية الكبرى من قبل والانقلاب العثماني والبرتغالي الأخيرين من بعد . وقد كان المؤسسون لها والعاملون فيها في أوربة من النصارى واليهود ، واليهود هم زعماؤها وأصحاب القدح المعلى فيها لأن الظلم الذي كانوا يسامونه والاضطهاد الذي يذوقونه كانا اشد مما ابتلي به ضعفاء النصارى من أقويائهم ، وكذلك كان اليهود أكثر الناس انتفاعا من الانقلابات التي سعت اليها الماسونية في أوربة وسيكونون كذلك في البلاد العثمانية اذا بقيت سلطة الماسونية على حالها فى جمعية الاتحاد والترقي و بقيت أزمة الدولة في يد هذه الجمعية، وهم يسعون مثل هذا السعي في الروسية ولكن الحكومة الروسية واقفة لليهود بالمرصاد، ولا يزالون يتجرعون في بلادها زقوم الاضطهاد ،

واما الماسونية في بلاد الشرق كمصر وسورية وغيرهما من البلاد فقد يصح مايقوله الكثيرون من أهلها انها لاتعمل للسياسة ولا للدين وانها أدبية اجتماعية وقد يصح من وجه آخر ان لعملها علاقة بالسياسة والدين ، لكل قول وجه يصححه فلا تناقض بينهما . هي لاتطعن في دين من الاديان ولا تبحث في ترجيح دين على دين ولا تدعو الداخلين فيها الى ترك دينهم ولا الى الإلحاد . ولا تعمل الآن في مصر لتغيير الحكومة الخديوية ولا في سورية لتغيير الحكومة العثمانية أومقاومتها. فهذا معنى كونها ليست مناصبة للدين ولا لسياسة البلاد

واما علاقة عملها بالدين والسياسة فمعروفة مماذكرناه من مقصدها الذي أنشئت لأجله فاذا لم تشتغل بالمقصد مباشرة فهي تشتغل بالتمهيد له كجمع كلمة أهل النفوذ في كل بلد وتكثير سوادهم وتقوية عصبيتهم واضعاف روابطهم الدينية السياسية، والانتقال بهم في الاقناع من درجة الى درجة حتى يتم الاستعداد بهم الى تغيير شكل الحكومة وازالة السلطة الدينية والشخصية ، الذي هو المقصد الاخير ولو بالثورة وقوة السلاح

فالماسونية سياسية في الاصل وتبقى سياسية في كل مملكة فيها سلطة شخصية أو سلطة دينية الى ان تزول صبغة الدين من الحكومة واستبداد الملوك والامراء

فحينئذ تكون الجمعية أدبية اجتماعية يجتمع اعضاؤها في المحافل لالقاء الخطب والمحاضرات والتعارف بالكبراء من الغرباء

اما اتفاق المختلفين في الدين على هذا المقصد فهو لايكون عادة الا بالتدريج والاقناع بأن المصلحة محصورة فيه ومن طرقه الجرائد التي ينشر فيها المرة بعد المرة بالاساليب المختلفة ان محل الدين المساجد والكنائس دون الحكومات والمصالح الدنيوية، ومنها رابطة الوطنية وهي ان يكون أهل الوطن سواء في الحكومة ومصالحها وفي جميع المصالح والمرافق ، ولأجل هذا ترى رجال الدين المسيحي كالجزويت يحاربون هذه الجمعية وأما رجال الدين الاسلامي من الفقهاء والمتصوفة فقلما يعرفون شيئا من أمور العالم . فاذا علم السائل هذا وعرف الواقع تبين له ان ما أورده من الآيات في غير محله

﴿ الحكومة والامة ﴾

(ج ٢) الحكومة ملومة على ماتقصر فيه مما يمكنها ان تعمله من الاصلاح ، والأمة ملومة كذلك، وقد يعذر كل منهما بالجهل اذا عد الجهل عذرا . وانما كانت الأمة لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا لجهلها بقوتها وكيفية الانتفاع بها ، وقد تجهل حكومتها ذلك مثلها ، أو تعرفه وتراه مخالفا لمصلحتها ، فتحب ان تبقى الامة على جهلها ، وانما ترتقي الحكومات والامم بالزعماء الذين يؤثرون العمل للمصلحة العامة على كل شيء و باستعداد الامة للاستفادة منهم والعمل بما يرشدونها اليه، والاستعداد انما يكون بمجموع حوادث الزمان ووقائعه . وقد يتصدى للزعامة غير أهلها فيزيد الأمة وهنا على وهن ، اذا آثرته بجهلها على الأهل ، واصحاب النفوذ الباطل يناهضون كل من يرونه اهلا للزعامة الحقيقية والنهوض بالأمة لئلا يضعف نفوذهم أو يشاركهم فيه . وقد وجد في مسلمي مصر زعيم مستوف لشروط الزعامة التي ترتقي بمثلها الامم فلم يؤهلهم استعدادهم لاتباعه لينهض بهم ، و وجد في القبط زعيم فاجتمعت عليه كلمتهم واستفادوا منه فازدادوا ارتقاء

﴿ التربية الصحيحة والتعليم والاصلاح ﴾

(ج ٣) سألتم عن التربية التي تجمع بين مجد الدين وعز الوطن اهي التربية

التي في المدارس المصرية وتربية من يرسلون الى أوربة؟ أم التربية الدينية؟ ولاشك انكم تريدون ان التربية الدينية هي التي تفيد تلك الفائدة وانكم تعلمون ان المدارس المصرية من أميرية وأهلية ليس فيها تربية دينية ألبتة

وسألتم كيف السبيل الى التربية الدينية ومتى تكون وهل هي ممكنة؟ والجواب انها ممكنة لامستحيلة وينبغي ان تكون بسعي الجمعيات الخيرية الدينية ولا ندري متى يكون ذلك. وها نحن اولاء قد اسسنا جمعية دينية خيرية لاجل التربية الدينية وتخريج المعلمين والمرشدين الذين يقومون بذلك على وجهه ان امدنا أغنياؤنا بالمال ولكننا نريد ان نجعل اصلاحا خاصا هذا بالدين وعمران الدنيا من طريق الامة لامن طريق الحكومة. أعني أننا لانريد بعملنا اصلاح حكومة من الحكومات ولا تربية الموظفين لها وحسبنا أن نربي مرشدين يعلمون العامة عقيدتهم وعبادتهم وآدابهم الدينية وينفرونهم من المعاصي التي تذهب بثروتهم وصحتهم فتغتال دينهم ودنياهم كالسكر والزنا والقمار والحسد والتباغض بين أهل وطنهم وما أشبه ذلك من المعاصي الضارة ، ودعاة يقيمون الحجة على حقية الاسلام ويدفعون شبهات الطاعنين فيه ، ويزيدون عدد المهتدين به. وأما الحكومة باشكالها ومذاهبها وسياستها فانا عنها مبعدون ، ولها احزاب من دوننا هم لها عاملون ،

﴿ اي البلاد تقيم الاسلام وتشتد على اعدائه ﴾

(ج ٤) جميع البلاد التي يغلب فيها الاسلام تعظم فيها شعائره وما يعد فيها من شعائره وان لم يكن منها كالموالد والاحتفالات المبتدعة والقبور المشرفة، ويعمل جمهور أهل الحاضرة منها باكثر مايعرفون انه لابد منه من أعماله ويتركون أكثر الكبائر من محرماته وقد ترك كثيرمنهم بعض أركانه وأقامها آخرون كالزكاة فان الذين يؤدونها في جزيرة العرب وبلاد الفرس والتتار وبخارى وتركستان هم الاكثرون ، والذين يؤدونها في مصر هم الاقلون ، أعني من الذين تجب عليهم ،

وربما كان أهل اليمن ونجد أشد المسلمين استمساكا بالدين وشدة على من يعاديهم ، ولكن عمال الدولة الفاسقين قد نشروا الفسق في المدن الكبيرة التي

يقيمون فيها كصنعاء والحديدة . واما الاشداء من المسلمين على من يعاديهم في دينهم فهم الذين تغلب عليهم شدة البداوة ولم يسر اليهم ترف الحضارة الغربية وأفكارها كأهل المغرب وجزيرة العرب والفرس والافغان، ولكن أكثرهم لايلتزم في شدته احكام الدين لأنهم لايعرفونها، ولا يعرفون كيف يحفظون شرف دينهم ولادنياهم بها على النهج الذي سار عليه الافرنج من العقل والحزم والحكمة والنظام ، حتى ان الاجانب يسلطون بعضهم على بعض وهم لايشعرون ، فتراهم يوقدون نار الحرب فيفتك بعضهم ببعض باسم الدين لمخالفة عادة أو خرافة تنسب الى الدين زورا وبهتانا ، وربما كانوا مدفوعين الى ذلك من اعدائهم واعداء دينهم ليمكنوا له بذلك من أرضهم وديارهم وأموالهم ورقابهم

وجملة القول انني لاأعرف قطرا ولا بلدا في الارض يقام فيه الاسلام كما امر الله تعالى في كتابه وعلى الوجه الذي مضت به سنة رسوله (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين ، ولا على ما كان عليه المسلمون في عصر الأمويين والعباسيين والايوبيين فان الفتن التي حصلت في القرون الاولى لم تفسد دين الامة ولا بأسها بل كانت تدور حول السلطة العليا أي حفظها في أهل بيت معين، لاتتعدى ذلك الا قليلا .

﴿ مايصنع عاشق العلم لايجد المساعد ﴾

(ج ٥) لاندري أي علم يعشق هذا المتيم المضنى فترشده الى ماينبغي له ، فان من العلوم مايمكن تحصيله في كل مكان ومنها مالا يمكن تحصيله الا في معاهده الخاصة كالعلوم والفنون التي يتوقف تحصيلها على الاعمال والتجارب بالآلات . وقلما يصدق أحد في عشق العلم وتقوى عزيمته في طلبه ولايهتدي السبيل اليه، ومن الناس من يسمي التمني والتشهي عشقا وعزما وهو غالط في ذلك . قال الشيخ محي الدين بن العربي في أول فصل من فتوحاته عقده لبيان ماعلى المريد الذي لايجد المرشد

اذا لم تلق استاذا فكن في نعت من لاذا
وقطع نفسه والليل افلاذا فأفلاذا
فتأتيه معارفه زرافات وأفذاذا

يريد انه ينبغي له ان يطلب الحق بالجد والاجتهاد وسهر الليالي

وقل من جد في أمر يحاوله   واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

ولو راجع المرء تاريخ النابغين من الاولين والآخرين لوجد أكثرهم من الفقراء والمساكين الذين لم يعتمدوا الا على جدهم واجتهادهم دون المدارس والاساتذة . ويظهر أن العاشق في السؤال ليس كذلك بدليل طروقه أبواب من كان يرجو مساعدتهم ويعتمد على أموالهم

نعم ان علوم المدارس الرسمية التي غايتها نيل شهادة تجيز لحاملها ان يجلس على كراسي الحكومة لاتكاد تنال في هذا العصر الا بالمال وطالب هذه العلوم هو المضنى بحب الوظائف لا حب العلم ، فان المضنى بحب العلم أحد رجلين : رجل يطلب العلم ارضاء لشهوة عقله، ومحاولة إشباع نهمة نفسه، ورجل يحب أن يستعين به على اصلاح حال الناس ، وكلا الرجلين يسهل عليه ان يجد مايطلبه بجده واجتهاده حيث كان ، سواء وجد أم لم يجد المال ، ومن يطلب العلم بهذا القصد يحصل في الزمن القصير مالا يحصله غيره في الزمن الطويل ، ويكون مايحصله انفع مما يحصله غيره لانه لايعنى الا بما ينفع ، ومن ليس له مثل هذا القصد يضيع زمنه بكل مايلقى اليه لايفرق بين نافع وضار ، ولا حق و باطل

* * *

﴿ أسئلة من (لنجه) في خليج فارس ﴾

(س ١٦ — ١٩) من « أحد طلاب العلم بلنجه محمد بن عبد الرحمن بن يوسف سلطان العلماء »

جاءتنا الاسئلة الآتية في كتاب مطول وكان لنا ان لانجيب عنها لانها جاءت على غير شرطنا في قبول الاسئلة وهي أن تكتب في ورقة على حدتها حتى لاتتكلف استخراجها من تضاعيف كلام آخر ونسخها . ولكننا نلخصها ونجيب عنها عناية بمرسلها وبها . وقال السائل زاده الله علما وفهما ان هذه الاسئلة رفعت الى والده وسيجيب عنها (ولعله فعل) وهي

« الى حضرة من سما سماء المعارف، واحاط بمقاصد الدين ومطالب العوارف،

قد أبديتم في المحفل الشريف (يريد موضع درس الاستاذ المستفتى أو مجلسه) حسن سيرة المنار وانه يحيي السنة ويقمع البدعة ، فلا يخفى على حضرتكم انه يأمر بعدم توقيف الذهن على ماذكره المفسرون

« وعليه فلو ادعى مدع ان العدل بين الزوجتين غير واجب لوجوه (الاول) إخبار الله تعالى بأن العدل غير مستطاع وأكد ذلك بالنفي بلن وهي وان لم تفد التأبيد ، فلا تنكر إفادتها التأكيد . (الثاني) تقييد المنهي عنه بجعلها كالمعلقة أي فلا بأس بما دون هذه الحالة (الثالث) جعله تعالى الازواج قوامين ولا يليق بالقوام ان يكون مذللا مقادا بعنان من هو قوام عليها والاحاديث مافيها « من مال الى احدى امرأتيه » فالمراد الميل المصير لها كالمعلقة . وما فيها « من لم يعدل » فهو بمعنى مال . فهل اذا ادعى ذلك أحد يؤجر على ذلك أم ينكر ؟ فان قلتم يؤجر فهو وان قلتم ينكر عليه فما وجه ذلك مع ان المنار قد فسر آية التيمم بوجه لايوافقه أحد وأول أحاديث في ذلك أوضح وأظهر من الاحاديث الدالة على وجوب العدل

(سؤال آخر) كيف يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مع قولكم ان كل كائن بالتقدير ولا تقولون كما تقول المعتزلة بالخلق ولا كما تقول المجبرة ، فهل هذا الا تناقض

« فياسيدي إمام العصر ومقتدى المسلمين مولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المرجو من الطافكم ان لا تحقروا هذه الديار ولا تنظروا اليها الا نظر الوالد الى ولده ، فان أهل هذه الديار الى الآن كانوا على قدم الجد في إقامة شعائر الدين لكن منذ سنين قد حدث فيهم بعض المتفرنجين فاذا هم على شفا جرف هار لولا عناية الله ثم ارشاد العلماء الجامعين بين المعقول والمنقول . اجيبوا جعلكم الله مجدد الملة » اه مايتعلق بالاستفتاء من الكتاب

(المنار) هنا مسائل (١) العدل بين الزوجتين (٢) تفسير المنار لآية التيمم (٣) مسألة التزام أقوال المفسرين الميتين في فهم القرآن أو عدمه (٤) الامر بالمعروف والقدر

العدل بين النساء

الذي يؤخذ من مجموع الروايات في تفسير السلف لهذه الآية ان اللام في العدل ليست للجنس بل للعهد فالمراد بها عدل خاص لامطلق العدل فان بعضهم فسره بالعدل في الحب وهو الذي يدل عليه التفريع بقوله « فلا تميلوا كل الميل » وحديث « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » رواه ابن أبي شيبة واحمد وأصحاب السنن الاربعة وابن المنذر من حديث عائشة واسناده صحيح . وفيه وردت الاحاديث التي اشار اليها السائل . وفسره بعضهم بالوقاع وهو وان كان فيه من الاختيار ماليس في الميل الذي هو سببه فالعدل فيه محال . واذا كانت الآية دالة على اننا لا نكلف هذا العدل الخاص لأنه غير مستطاع ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فلا ينفي ذلك ان نكلف العدل المستطاع في المبيت والنفقة وحسن المعاملة في الحديث والاقبال ولو تكلفا . ولا وجه لحمل الآية على إثبات كون مطلق العدل غير مستطاع لأن الآية لايمكن ان تكون مخالفة للواقع المعروف بالضرورة

فالوجه الأول من الوجوه التي ذكرها السائل مسلم ولكنه يفيد أن العدل في الميل غير واجب لأنه غير مستطاع لامطلق العدل ولولا التفريع لكان الاظهر ان يقال إن العدل الذي لا يستطاع هو العدل التام الكامل الذي يشمل الحب وما يترتب عليه مما يعلم بالضرورة انه لايدخل في الاختيار مهما حرص المرء عليه، ولاينفي هذا ولا ذاك ان يكون العدل المستطاع واجبا . وقد تقدم معنى العدل في التفسير من عهد قريب وكونه من جعل الغرارتين على ظهر البعير متساويتين في الوزن ، وهذا غير ممكن على حقيقته في الاخلاق والامور المعنوية ولذلك قيل ان العدل التام الكامل هو صراط الحق الذي وصف بانه ادق من الشعرة وأحد من السيف . وهذا ما كان يحرص عليه المؤمنون طلاب الكمال كما تدل الآية

وأما الوجه الثاني فهو لايدل على كون مطلق العدل غير واجب كما هو فرض السائل وانما يدل على ان بعض العدل في الميل مستطاع وواجب لأن الميل قسمان

ميل القلب وما يترتب عليه من ميل الجوارح بالالتفات والاقبال والمؤانسة فمن مال الى احدى زوجيه كل الميل فجعل الأخرى بذلك محرومة من مقاصد الزوجية كلها وهي السكون والمودة والرحمة كان آثما لأنه جعلها كالمعلقة التي ليست متزوجة ولا أيما . ومن مال بعض الميل وهو ميل القلب فقط الذي لاسلطان لاختياره عليه فهو غير آثم

وأما الوجه الثالث فليس بشيء فان العدل فيمن يقوم المرء بأمر الرياسة عليهم ليس ذلا بل هو العز الحقيقي كالحاكم العادل يكون عزيزا بعدله ظاهرا و باطنا هذا وان العدل الذي يدخل في اختيار الانسان واجب حتى في معاملة الاعداء كما هو منصوص في آيات كثيرة فكيف يتعلق الاجتهاد بتفسير الآية فيما يخالف النصوص القاطعة المعلومة من الدين بالضرورة ؟

فظهر بهذا أن من يستدل بالآية على عدم وجوب العدل بين الزوجتين مطلقا ينكر عليه لأنه فسرها بما لاتدل عليه و بما يخالف النصوص القطعية الكثيرة المعلومة من الدين بالضرورة . وسيأتي تفسير الآية مفصلا في موضعه

تفسير المنار لآية التيمم

التنظير بين هذه المسألة وبين مانقله المنار من تفسير الاستاذ الامام لآية التيمم وايضاحه له بالدلائل غير وجيه فان ذلك التفسير ليس مخالفا لنص آيات أخرى وانما هو موافق لما ورد في رخصة الفطر في رمضان ، ولا مخالفا لنص حديث قطعي ولم يضطر فيه الى تأويل أحاديث تدل على خلاف مااختاره في فهم الآية كما قيل بل خرجها على الاصول المعروفة على انه اذا تعارض القرآن والحديث ولم يظهر وجه للجمع فالواجب ترجيح القرآن ورد الحديث اليه ولو بالتأويل ولا يرجح على القرآن شيء قط ولا يعدل به عن ظاهره لأجل اتباع احد من المفسرين أو غير المفسرين

التزام أقوال المفسرين الميتين والاستقلال دونهم

المفسرون طبقات منهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم ولم نر أحدا منهم التزم فهم

أحد معين منهم فمجاهد يروي التفسير عن ابن عباس وينفرد هو بأقوال يخالف فيها ابن عباس . وابن جرير يروي عن الصحابة والتابعين باسانيده وينفرد هو بأقوال لم يقل بها أحد ممن صحت عنده الرواية عنهم . ويجزم اهل السنة بأنه لاعصمة لأحد من أولئك المفسرين في فهمه ولا حجة في قوله ولا عصمة للجمع منهم أيضا . ومسألة إجماع المجتهدين مسألة أخرى وفيها من المباحث مافيها وحسب السائل منها ماتقدم في تفسير آية (ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول) الخ

وجملة القول انه لايوجد مفسر الا وقد انفرد بأقوال لم يقل بها غيره ولولا ذلك لم يكن مفسرا ولا ممن يفهم التفسير بالاستقلال والقرآن بحر لم يحط أحد بما فيه من الدرر والجوهر ولكل غائص نصيب « الا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن » ومن كان مقلدا لايعنيه مايقوله المستقلون سواء وافقوا غيرهم أو خالفوه ومن كان مستقلا يستفيد من بحثهم بصيرة ولا يقلدهم فيه وانما يعمل بما يظهر له انه الحق . فوجود المستقلين في فهم القرآن والسنة لايضر أحدا قط ولكن فقدهم ضار لأنهم حملة الحجة والبرهان والمقلد لاحجة له وقصارى علمه ان ينقل حجة غيره فاذا طرأت شبهة على الدين لايجد لها جوابا منقولا عمن يقلدهم بقي حائرا ويكون الدين حينئذ عرضة للزوال أو الزلزال اذا حاربه أهل الشبهات الجديدة

﴿ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن آمن بالقدر ﴾

بينا في المنار غير مرة مسألة القدر بما تدل عليه جملة آيات القرآن الواردة فيها وانها ليست كما يقوله الفلاسفة والمتفلسفون من المتكلمين بل هي عبارة عن اثبات النظام والحكمة في خلق الله تعالى بجعل كل شيء بمقدار معين لايعدوه فالمسببات تكون دائما بقدر أسبابها ولا يكون شيء من الاشياء أُنُفا كما تزعم القدرية المبني مذهبهم على قاعدة « الامر أُنُف » أي ان الله تعالى يستأنف خلق كل شيء يخلقه استئنافا كما يفعل الحاكم المستبد كل شيء عند مايسنح له ويخطر في باله استحسانه من غير بناء على نظام معين ولا التزام لمقادير مقررة من قبل . وقد حدثت بدعتهم في العصر الأول واتفق سلف الامة ثم خلفها على ضلالهم في هذه العقيدة

وأجمعوا على أن كل شيء بقدر كما هو نص القرآن الحكيم . ومن شاء التفصيل في بيان هذه المسألة فليرجع إلى الفتوى الثانية عشرة من فتاوى المجلد الحادي عشر من المنار (ص ١٨٩ ـ ٢٠٠)

اما فائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع جريان الامور بمقاديرها بحسب سنن الكون في ربط الاسباب بالمسببات فهي لاتتجلى كال التجلي الا لمن يعرف سنن الله تعالى في ارتباط الأعمال بأسبابها وقد بينا ذلك في التفسير وغير التفسير من أبواب المنار مرارا كثيرة . ونشير الى ذلك هنا بكلمة وجيزة

جرت سنة الله تعالى بان العمل الاختياري يصدر من الانسان عند جزم ارادته به وان جزم إرادته به لايكون الا بالعلم بأن فيه منفعة له أو دفع مضرة عنه في العاجل أو الآجل سواء كان العلم بذلك وجدانيا ضروريا أو كسبيا بالنظر في الأدلة . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يفيد المأمور والمنهي علما يبعث إرادته الى العمل به فيكون نافعا مفيدا ولهذا كان واجبا وقد ثبتت فائدته بالتجربة فالمراء فيه مراء باطل ، ولا يعارضه الايمان بالقدر بل يؤيده ويعد دليلا عليه

***

﴿ البطالة يوم الجمعة ﴾

(س ٢٠) من احمد حمدي افندي النجار الدمشقي بأم درمان (السودان)

سيدي الاستاذ العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا دام فضله

اجتمع منذ شهرين فريق من تجار هذه البلدة مؤلف من اليهود والنصارى والمسلمين وقرروا فيما بينهم بان يكون لكل ملة يوم راحة من العمل بالثلاثة الايام المعروفة وهي الجمعة للاسلام والسبت لليهود والاحد للنصارى لمجاراة اخوانهم النصارى بالخرطوم جارتهم وجعلوا غرامة على من يخالف ذلك بواسطة الحكومة ومن ذلك الوقت اصبح عموم اليهود والنصارى يبطلون الاشغال باليومين المذكورين ونفر قليل من المسلمين باليوم الثالث ورفض باقي المسلمين البطالة بحجة انه محرم

أومكروه لقوله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا » الخ وانه وردت بذلك احاديث كثيرة بالبخاري وغيره من كتب السنة تحرم تفضيل أو تعظيم هذا اليوم على غيره وحصلت بذلك مجادلات بينهم كثيرة وراجع بعضهم بعض العلماء هنا فأفتوهم بكراهة عدم الشغل بذلك اليوم وتفضيله وما زال بعضهم يعتقد وجوب تعظيم هذا اليوم والبطالة به واخيرا أجمع الكثيرون باستفتاء فضيلتكم بهذا الامر فأفتونا بمعنى الآية الكريمة و بما ورد بكتب السنة و بخلاصة ما ينبغي العمل به فلازلتم ملجأ لحل المعضلات وضياء لهذه الأمة وأطال الله بقاكم

(ج) بلي المسلمون بالخلاف والجهل بآداب دينهم و بمنافعهم الدنيوية ومصالحهم الاجتماعية . وقد رأيتم ما كتبناه في الموضوع في مقالات (المسلمون والقبط) وفيه الاشارة الى الأحاديث الصحيحة في فضيلة يوم الجمعة وكونه عيدا للمسلمين كالسبت والاحد عند أهل الكتاب ودعوى بعضهم وجود أحاديث تحرم تفضيل يوم الجمعة على غيره باطلة وغريبة جدا . والأمر بالانتشار في الآية للاباحة لا للوجوب فهي كقوله تعالى « فاذا حللتم فاصطادوا » ولم يقل أحد من العلماء بوجوب الصيد بعد انتهاء الاحرام بل المراد اباحته بعد ان كان محرما في الحرم ، وكذلك الانتشار بعد صلاة الجمعة فان الأمر بعد النهي يراد به رفع النهي السابق . والذي ينبغي للمسلمين ان يجعلوا هذا اليوم عيد الاسبوع كما سماه النبي (ص) وفضله على غيره وان يجعلوه للاستحمام والصلاة والعبادة وصلة الرحم وزيارة الاصدقاء وان كان البيع فيه لا يحرم الا في الوقت المخصوص . على ان البيع لا يحرم في يوم العيدين السنويين عيد الفطر وعيد النحر مطلقا ، فمن احتاج أو اضطر الى عقد بيع أو غيره في أيام العيد أو الجمعة غير وقت صلاتها وعقده يكون صحيحا ولا يأثم المتعاقدان ، وهذا لا يمنع ان يجعل الجمهور هذه الأيام اعيادا سنوية واسبوعية فالاسلام شرع لنا كل مافيه الخير لنا من غير تضييق علينا

جماعة الدعوة والارشاد

(رئيس الشرف للجماعة صاحب الدولة الامير محمد على باشا)

« شقيق الجناب العالي الخديوي »

لما علم صاحب الدولة الامير محمد على باشا شقيق سمو الامير المعظم بتأسيس هذه الجماعة سر سرورا عظيما لما حلاه الله تعالى به من الغيرة على الدين ، والعلم بشدة حاجة الاسلام اليه لخبرته الواسعة بأحوال المسلمين ، واشتغاله بالمشروعات الاسلامية كالاكتتاب لتجديد بناء جامع عمرو بن العاص الذي هو أول مسجد للاسلام في هذا القطر صلى فيه كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وما اطلع عليه من ذلك في سياحاته في الشرق الادنى والاقصى ولذلك تفضل بكتاب يظهر فيه ارتياحه للعمل وتبرعه له بمئة جنيه مصري .

وقد قرر أعضاء مجلس ادارة الجماعة باجماع الآراء اختيار دولته رئيس شرف للجماعة والتشرف بزيارته في قصره لعرض هذا القرار عليه وشكره على عنايته وفضله وأنفذوا ذلك في ضحوة يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر فقابلهم الامير حياه الله تعالى بما عهد فيه من الطلاقة والحفاوة ، وقبل رياسة الشرف للجماعة بالشكر والعناية ، ونثر عليهم من درر الفوائد التي اقتبسها من رحلته في اليابان والصين ، مازادهم بصيرة في عملهم العظيم ، فخرجوا مودعين من دولته اجمل وداع ، وهم مابين مثن وداع ،

انه ليسر كل عاقل مخلص في هذه البلاد وكل محب لها ولخير أهلها أن يشارك

الامراء فيها سائر طبقات الامة في الاعمال النافعة والمشروعات العامة كالجمعيات الخيرية والعلمية والدينية وانشاء المدارس لان هذا التعاون أرجى للنجاح وأقرب الى الحكم الذاتي طريقا ، وقد سرنا ان كان صاحب الدولة الامير حسين كامل باشا عم الجناب الخديوي رئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية ، والامير احمد فؤاد باشا رئيسا للجامعة المصرية ، فلا بدع أن نزداد سرورا ان صار الامير محمد علي باشا رئيسا لجماعة الدعوة والارشاد ، وندعو الله أن يوفقه دائما الى خدمة العلم والدين ، وترقية شؤون المسلمين ،

* * *

عضو الشرف الاول للجماعة

﴿ الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم ﴾

زار مصر في هذا الربيع الوجيه السري ، الغني السخي ، الكريم ابن الكريم ، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم ، وآل ابراهيم هؤلاء أكبر تجار العرب وأجودهم ومحل تجارتهم في بمباي ثغر الهند العظيم

كان الشيخ قاسم علم بمشروع الدعوة والارشاد وهو في الهند فلما جاء القاهرة كان همه الأول فيها لقاء كاتب هذه السطور لأجل مساعدة المشروع فزرته في فندق (شبرد) فكان جل حديثنا في ذلك وكاشفني برغبته في المساعدة وقال لي أن آمالنا في خدمة الاسلام معلقة بكم فعليكم العمل وعلينا المساعدة بالمال . وسألني الى أين انتهيتم في المشروع ؟ قلت لايزال في طور التكوين وقد وضعنا له النظام الاساسي فكان كالنظام الذي وضعناه لجمعية العلم والارشاد في الآستانة ، وزدنا فيه مايتعلق بالدعوة الى الاسلام ، وألفنا له مجلس ادارة من خيار المصريين وقد أقروا هذا النظام بعد مراجعة ومناقشة وتحوير كما هي العادة ولا يمكن ان تقبل التبرعات الا بعد اصدار النظام الاساسي وسيكون ذلك في يوم المولد النبوي الشريف

ولما رد لي الشيخ الزيارة في ادارة المنار راجعني في مسألة تبرعه واشتراكه

فيه فسألته عن مقدار مايحب أن يجود به فاقترح ان يقول ذلك لي سرا حتى انه لم يصرح به أمام كاتب سره المرافق له في سياحته وهو عبد الله أفندي البسام وبيت البسام يلي بيت إبراهيم في تجار العرب الكرام

بحثت معه في سبب إخفاء ما يجود به وعدم الاذن في ذكر اسمه فعلمت أنه الاخلاص وابتغاء المزيد من الثواب فأقنعته بالدلائل بان إظهار اسمه لاينافي الاخلاص وانه قد يكون نافعا من حيث يكون قدوة في الخير ، وفرقت له بين الصدقة على الفقير والصدقة في المصالح العامة ، فسكت ولم يظهر ارتياحا . ثم حضر الاجتماع الذي عقد للدعوة الى التبرع لانشاء مسجد للمسلمين في لندره عاصمة انكلتره وهنالك دعت الحال لخطبة وجيزة في اظهار الصدقات وإخفائها ألقيتها هنالك وسيأتي ذكرها في باب الاخبار من هذا الجزء . فازداد الشيخ قاسم اقتناعا ، وبعد ذلك كاشفت اخواني اعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد باشتراكه وبتبرعه

***

﴿ مقدار ماتبرع واشترك به الشيخ قاسم ﴾

٢٠٠٠ جنيه انكليزي تبرع ناجز

١٠٠ جنيه انكليزي اشتراك سنوي

بلغت اخواني اعضاء مجلس ادارة جماعة الدعوة والارشاد ماتبرع واشترك به هذا المحسن العظيم وكان له به فضيلة السبق والمسارعة الى هذا الخير فأجمعنا على عقد جلسة خاصة للمذاكرة في الشكر له وأجمعنا في تلك الجلسة على تسميته (عضو الشرف الأول لجماعة الدعوة والارشاد) وعلى ان يكون باسمه مكافأة سنوية توزع على تلاميذ (دار الدعوة والارشاد) وعلى ان نبلغه ذلك في كتاب شكر نحمله اليه بأنفسنا ، واننا نذكر ذلك الكتاب بنصه

﴿ كتاب جماعة الدعوة والارشاد الى الشيخ قاسم ابراهيم ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي قدر فهدى ، وأمر بالتعاون على البر والتقوى ، وجعل انفاق المال في سبيله ، أول آيات صدق الايمان به ، فقال عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) والصلاة والسلام على امام المصلحين ، وخاتم النبين والمرسلين ، سيدنا محمد النبي العربي الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وأتم به النعمة وأكمل الدين ، وعلى آله وأصحابه الذين نشروا دعوته ، وأقاموا سنته ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين .

من جماعة الدعوة والارشاد بمصر، الى السابق الى الخيرات باذن الله، المسارع الى مغفرة ورضوان من الله ، المساعد على احياء الدعوة الى الله ، السخي الكريم ، المحسن العظيم ، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم ، التاجر العربي في بمباي من الهند ونزيل مصر الآن زاده الله نعمة وتوفيقا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد بلغ الجماعة وكيلها السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار ماوفقكم الله تعالى له من التبرع لها بالفي جنيه ناجزة ، والاشتراك فيها بمئة جنيه مسانهة ، فاجتمع مجلس ادارتها اجتماعا خاصا للمذاكرة في كيفية الشكر لكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

وقرر باتفاق الآراء تسميتكم (عضو الشرف الاول) في هذه الجماعة وان يجعل باسمكم مكافأة سنوية لطلاب مدرستها الكلية (دار الدعوة والارشاد) لتكون ذكرى دائمة لسبقكم الى المشاركة في تأسيس هذا العمل الذي يراد به خدمة العالم الانساني ، بنشر الدين الاسلامي ، دين الفطرة والمدنية ، الجامع بين اسباب السعادتين الدنيوية والاخروية ، وقرر تبليغكم ذلك في كتاب شكر يوقع عليه أعضاء

المجلس ويحملونه اليكم بانفسهم ، وها هو ذا فتقبلوه محمودين مشكورين ، ولا زلتم موفقين لما ينفع الناس ويرضي الله ، وآخر دعوانا ان الحمد لله ،

وكتب في القاهرة لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثلاثمئة والف من هجرة الداعي الى طريق الحق

* * *

عناية مولانا الامير ايده الله تعالى

(بالشيخ قاسم آل ابراهيم)

بلغ مولانا العزيز أيده الله تعالى ان هذا السري العربي الكريم الغيور على الملة والدولة قد زار مصر في هذه الايام سائحا ، وانه هو الذي أعطى وجمع المال الكثير لسكة الحجاز الحديدية وللاسطول العثماني ، وانه قد تبرع الان لجماعة الدعوة والارشاد بمبلغ كبير واشترك فيها ، فارتاح سموه لذلك وسر به ، وأجدر بسموه ان يرتاح لخدمة دينه القويم ، ونجاح المشروعات العلمية الخيرية في البلاد العثمانية وفي قطره السعيد ، ومن أجدر من سموه بمعرفة قيمة كبار الرجال العاملين ، وكرام الاجواد المحسنين ؟ ، وقد اظهر الارتياح للقاء ضيف مصر الكريم وعين الوقت لذلك فتشرف الشيخ قاسم بمقابلة سموه مقابلة خاصة في قصر القبة وكان بصحبته كاتب هذه السطور فمكثنا زهاء ثلثي ساعة في حضرته لقي فيها ضيف مصر الكريم ، من حفاوة عزيزها العظيم واقباله وعطفه ماملأ قلبه غبطة وسرورا ، وقد كرر له الامير عبارات الشكر البليغة المؤثرة ، ورغب اليه أن يبلغ سموه كل مايريد من مساعدة ، حتى قرأت في وجه الشيخ آيات تأثير كلام الامير وتواضعه ، وسأله عما رآه من آثار مصر فعلم انه لم ير القناطر الخيرية فقال اني سآمر باعداد باخرة من بواخر النيل الخديوية لكم تركبونها الى القناطر للنزهة ورؤية هذا العمل المصري العظيم الذي هو ركن من أركان ترقي الزراعة والثروة في هذه البلاد (وسموه حقيق بان يفخر بهذه القناطر التي هي من أفضل ماعمل جده الاعلى من أسباب عمران هذا القطر) ثم انصرف الشيخ من حضرة الامير وهو يردد الدعاء والثناء

* * *

﴿ الحفاوة بالشيخ قاسم آل ابراهيم ﴾

كان يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر موعد زيارة أعضاء مجلس (جماعة الدعوة والارشاد) للشيخ قاسم وموعد النزهة النيلية ،في الباخرة الخديوية ، اجتمع اخواننا الاعضاء في ادارة المنار بعد الظهر ، وكان كتاب الشكر الذي نشرنا نصه آنفا قد كتب بخط جميل فوقعوه بأيديهم ، وتخلف منهم محمد لبيب بك البتنوني فقط لانه كان منحرف الصحة . ثم قصدنا فندق شبرد فلقينا الشيخ ينتظرنا في بهو الحجرات التي يقيم فيها من الفندق ، فقدمت له أخانا الرئيس محمود بك سالم وهو عرفه بسائر الاعضاء وتلا أحدنا كتاب الشكر وأعطاه للرئيس وقدمه الرئيس للشيخ . ثم ذكرنا للشيخ قاسم ان هذا الوقت هو موعد النزهة النيلية التي أكرمه بها الامير، وأنه أذن للشيخ احمد زناتي ان يبلغ إخوانه أعضاء جماعة الدعوة والارشاد ان يكونوا معه في هذه النزهة . فأجاب شاكرا

ركبنا السيارات الكهربائية (الأتموبيلات) من امام الفندق الى ساحل روض الفرج حيث كانت السفينة الخديوية راسية فركبنا فيها باسم الله مجراها ومرساها . ولما توسطت المسافة بين روض الفرج والقناطر نصبت مائدة الشاي وما يتبعه من اللبن وأنواع الحلوى والفطير والمثلوجات فاصاب كل من الضيف الكريم والجماعة ماشاء منها

وأرست السفينة أصيل ذلك النهار الجميل عند حديقة منتزه القناطر فخرجنا وطفنا بالضيف الكريم القناطر كلها ودخلنا الدار التي فيها مثل ونماذج أعمال الري في القطر المصري . ثم عدنا الى السفينة عند الغروب فعادت بنا الى ساحل البلد

وقد رغب الشيخ قاسم الى الشيخ احمد زناتي عند وداعه أن يبلغ الأمير شكره ودعاءه على هذه العناية به ، ونحن أولى بالشكر والدعاء ، فنسأل الله تعالى ان يديم التوفيق لاميرنا ، وان يحسن جزاء هذا المحسن الى جماعتنا ،

الرابطتان الاسلامية والوطنية

﴿ وجماعة الدعوة والارشاد ﴾

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم أعلى أهل الارض حياة وأشدهم قوة ومنعة وأكثرهم خيرًا ونائلا ، وأوسعهم كرما وفضلا ، ثم قضت سنن الكون ان يكون من بعد تلك القوة ضعف كاد يكون موتا زؤاما ، وقد دبت فيهم الآن حياة جديدة تتنازع رابطة الاسلام فيها روابط أخرى كالجنسية الوطنية واللغوية

من آيات هذه الحياة الجديدة تبرع الشيخ قاسم ابراهيم بألفي جنيه لجماعة الدعوة والارشاد . استكبر هذا السخاء كبراء المسلمين بمصر وغير مصر واستكثروه ، استكبروا ان يعطي مسلم مالا كثيرا لخدمة دينه في بلد غير بلده ، ووطن غير وطنه ، لايرجو به رتبة ولا وساما ، ولا الزلفى من الملوك والامراء ، ولا الجاه والشهرة عند الدهماء ، وقد طال عليهم العهد ولم يسمعوا بمثل هذا العطاء

لو تأمل مسلمو هذه البلاد فيما بين أيديهم لرأوا من مدارس جمعيات الافرنج الدينية ومستشفياتهم وجرائدهم ماينفق عليه مئات الالوف من الجنيهات في كل عام من تبرع الاسخياء الغيورين على دينهم المجتهدين في نشره وتحويل الناس كلهم اليه وادخالهم فيه ، وهم يقرءون في الصحف تبرعهم بالملايين ، لاحياء العلم والدين ، فكيف يستكبرون ان يكون في المسلمين من له غيرة على دينه كغيرتهم، وحرص على نشره كحرصهم ، أو مايقرب منه ؟

ولو نظر المسلمون الى ماوراءهم لرأوا من آثار سلفهم وأوقافهم في أيام حياتهم الأولى مايستصغر دونه كل كبير ، ويعد مايستكثرونه اليوم غير كثير ، فان معظم بلاد المسلمين وأرضهم قد وقفت على الخير ولكن ضاعت وقفيات أكثرها فعادت ملكا ، وما حفظ منها ليس بقليل ولكن ماسلم من تلك الأوقاف من اغتصاب الأهالي ضبطته الحكومات . ولو ان مجلس الأمة العثمانية أحصى الاوقاف وأعاد اليها ما أكلته الحكومة منها وما تصرف به عبد الحميد وأعوانه وفصلها من الحكومة

وجعلها بأيدي الامة بنظام يكفل وضع ريعها في مواضعه وصرفه على المنافع العامة كالتعليم والتربية واصلاح شؤون الأمة لأغنى مسلمي المملكة العثمانية عن تبرعات المعاصرين الذين غلب على أكثرهم البخل الا على شهواتهم

الشيخ قاسم ابراهيم رجل مسلم امته هي الأمة الاسلامية أينما وجدت وحيثما حلت، ولم يترب على بدعة الوطنية المفرقة التي يعد بها المسلم من أهل بلد دخيلا بين المسلمين في بلد أخرى ليس له عليهم حق الاخاء ولا المساواة ، لم يترب على هذه البدعة التي فتن بها بعض المسلمين في هذه البلاد، ولهذا جاد لجماعة الدعوة والارشاد بما جاد به، ووعد بأن يجمع لها أكثر من ذلك . فاين منه ذلك الرجل المفتون بنزعة الوطنية التي رجحت بها كفة القبط في مصر على كفة المسلمين اذ قال كيف نبذل المال لجمعية تربي الدعاة والمرشدين لأجل إحياء الاسلام ونشره في غير مصر !!

إن سرى هذا الشعور الوطني الى جمهور المسلمين فأنذرهم بطشة الله تعالى بالانحلال والزوال، ونسأل الله تعالى ان يقي المسلمين شر هذا الشعور ، المتدفق على أمثال هذا المغرور ، وشر دعاة هذه الوطنية الخاطئة الكاذبة التي كانت من أكبر المصائب على المسلمين على انها لم ترض غيرهم من الوطنيين .

ان سم هذه الوطنية لم يدخل بنية مسلمي جزيرة العرب ولا مسلمي الهند لذلك نرجو أن يتبرع كثير من أغنياء تلك البلاد، لجماعة الدعوة والارشاد ، كما يتبرع الانكليز والامريكان والفرنسيس لجمعياتهم الدينية في الشرق الادنى والشرق الاقصى، ولا يضر هذا العمل بخل المفتونين بالوطنية عليه ، ولا تنفيرهم عنه ،

هذا واننا نرجو من سخاء مسلمي مصر مالا نرجو مثله من غيرهم ، فهذا العمل عملهم ولهم من شرفه وثوابه ماليس لغيرهم، وهم من أوسع المسلمين ثروة وابسطهم يداء، والرابطة الاسلامية عند السواد الاعظم منهم أقوى من الرابطة الوطنية، ولا قيمة لأولئك الافذاذ الشذاذ الذين يرون الوطنية والدين ضدان ، ويرون انه يجب ان تنسخ الوطنية آية الدين وتحل محله في ارتباط أفراد الأمة بعضهم ببعض حتى لا يبقى له تأثير الا في المعابد .

هؤلاء الغلاة في الوطنية لا يزالون قليلي العدد عندنا وأكثرهم لا يتجرأ على ابداء رأيه كله بل يدهن للناس حتى يوهمهم احيانا انه يغار على الدين ويؤيده وان

وطنيته نافعة للمسلمين او خاصة بهم ، وانه لا يريد بها الا خدمتهم ، وانه يخادع الافرنج وغيرهم بذلك حتى لا ينسبوه الى التعصب الديني

الاسلام والنفاق هما الضدان اللذان لا يجتمعان فنحن لا نخادع ولا ندهن ولا نقول بهذه الوطنية الخاطئة الكاذبة التي تحل عرى الاسلام وتقطع أخوته العامة وتحل محلها اخوة وطنية بين المسلمين وغيرهم ولكنها اخوة نفاق وخداع يمقتها الدين ، ويكون الغبن والخسار فيها على المسلمين ، كما نشاهد في هذه البلاد من ارتباط المسلمين بالقبط وقد شرحنا القول فيه بمقالات خاصة

حاربت القبط الحزب الوطني مالم تحارب غيره من الاحزاب، واتهمته بالتعصب الديني بما لم تتهم بمثله سائر المسلمين ، فعلم من ذلك ان دعوة الوطنية بمصر قد أضعفت الاخوة الاسلامية ، ولم تستبدل بها أخوة وطنية حقيقية ،

وقد جنت هذه الوطنية الخاطئة الكاذبة على الدين نفسه فلم تقف جنايتها عند حد رابطته الجنسية واخوته العامة . ذلك بأن الفضيلة والكمال والمزايا التي يتفاضل بها أهلها ويكونون من الزعماء والرؤساء ليست من فضائل الدين ولا مما يعده الدين كمالا . فيجوز في عرفها ان يكون الزعيم الذي يقود الامة وتبذل له أموالها وتطلب منه حياتها فاسقا عن أمر ربه يخاصر في حله وترحاله الأخدان من المومسات الافرنجيات ، ويألف في كل مكان ينزل فيه المواخير ويهجر المساجد ،

حدثني بعض المصريين الذين التقوا ببعض زعماء الوطنية في الآستانة منذ سنتين ان هذا الزعيم المليم كان يقول انه مل النساء الافرنجيات وانه يريد ان يتمتع بالتركيات ولا يدري كيف يصل الى الفاسقات منهن . نعم ليس كل الذين يلهجون بالوطنية ويرفعون كلمتها مثل هذا الزعيم، ولكن الامة التي يشرف فيها مثله تكون اخلاقها وآدابها وعقائدها على شفا جرف هار، فاذا انهار بها وقعت في الخزي والعار، ولها في الآخرة عذاب النار ،

غلاة الوطنية يمقتون الاصلاح الاسلامي وأهله لأنهم يرون أن المسلمين اذا صلح شأنهم بدينهم لا يمكن ان يسود فيهم عباد الشهوات ، ولذلك كانوا للاستاذ الامام رحمه الله بالمرصاد، حتى أنهم حرضوا اليهود عليه عند تفسيره للآيات التي

وبخهم الله تعالى بها في كتابه ، فلا عجب اذا وجد فيهم من يقاوم مشروع الدعوة والارشاد وينفر الناس عنه بضروب من الكذب والافك والزور والبهتان والعضيهة والغيبة والنميمة والمحل والسعاية، وأن يجعلوه — وهو أجل مايخدم به الاسلام — آفة على الاسلام ، فانهم يعبرون بالاسلام عن وطنيتهم وشهواتهم وحظوظهم وأهوائهم

يا أهل الوطنية لاتغلو في وطنيتكم ولا تقولوا على دعاة الدين غير الحق، اتركوا لنا خدمة ديننا نترك لكم ماانتم عليه، ان إسلامنا الصحيح يعطي غير المسلمين في بلاد الاسلام من الحقوق مالا تعطيه وطنيتكم التي جنت على الاسلام وعلى الوطن. ألم تروا ان غير المسلمين لم يعارضوا المشروعات الاسلامية ولا أهلها ولكنكم كنتم انتم المعارضين فان أبيتم الا الطعن والمعارضة فاعلموا ان وطنيتكم الباطلة لا بقاء لها اذا عارضها اسلامنا الحق ، فانما بقاء الباطل في نوم الحق عنه، والعاقبة للمتقين، ولاعدوان الا على الظالمين

لا أقول هذا بلسان جماعة الدعوة والارشاد ولا بالوكالة عنهم، وانما أقول قولي هذا باسم الاسلام فكل من يقاوم الاسلام يقاومه أهل الاستمساك به والغيرة عليه

جماعة الدعوة والارشاد بمعزل عن السياسة وأحزابها تطلب التعاون من كل حزب وتقبل المساعدة من كل أحد وأبوابها مفتوحة لكل مسلم وأبغض الاعمال اليها وشر السيئات في نظرها الخصام والتعادي والتخاذل والتخاصم ، لانها جماعة توحيد واعتصام، لاحزب تفريق وخصام، وقد وسعتها الحرية التي وسعت الجمعيات المسيحية والاسرائيلية ووسعت كثيرا من الخيرات والشرور في هذه البلاد ، فلماذا ثقلت على قلوب أولئك المرجفين، وطفقوا ينفرون عنها حتى باسم الدين ، ؟

لماذا لاينفر ذلك المرجف المسلمين عن الصحف الدينية التي تطعن في دينهم وتشككهم فيه وكثير منهم مشتركون فيها، ولماذا لايرد عليها ولا يرجف بالجمعيات التي تنشرها؟؟

وجملة القول ان المسلمين يتنازعهم في البلاد التي دب اليها التفرنج عاملان من عوامل الارتقاء عامل الاسلام الجامع لكل أسباب الارتقاء وعامل الجنسيات الجديدة التي أحدثها التفرنج ، ورأينا ان المسلمين لا يرتقون ولا يرتقي سائر أهل وطنهم الا باتباعهم هم هدى الاسلام نفسه وكم أقمنا على ذلك من البراهين ، ونحن مستعدون لاثبات ذلك في كل حين

المسلمون والقبط

﴿ النبذة الثانية ﴾

عجبنا من الحركة القبطية الاخيرة وحق لنا العجب ، وأن نبحث عن العلة والسبب، شرذمة قليلة في أمة كبيرة تأكل من ثمراتها زهاء ثلاثين من المئة وهي زهاء خمسة أو ستة في المئة ثم تتصاعد زفراتها ، وتتعالى نأنّاتها وهيعاتها : قد ظلمنا المسلمون في وطننا ، وهضموا حقوقنا لاجل ديننا ، وتستنجد جرائد أوربة وقسوسها ليلزموا الدولة الانكليزية أن تنصر الفئة القليلة لانها مسيحية ، على الفئة الكثيرة الاسلامية، أليس خطبها من أهم مايبحث عنه، ويبين وجه الصواب فيه ؟ ليعلم لماذا لم ترض بما كانت تأكله من حقوق غيرها بالهدو والسلام ، حتى اختارت هذا اللدد في الخصام.

بطرس باشا غالي

بلى كان لهذه الفئة زعيم عظيم يأخذ بحجزها ، ويمسكها اذا هبت رياح الطيش فهمت أن تطير بها ، ويحل جميع مشاكلها ، ويقودها بالحكمة الى امانيها ومقاصدها، مراعيا سنن الاجتماع التي اشرنا اليها في صدر النبذة الاولى من هذا المقال ، فلما اخترم ذلك الزعيم العظيم لم يكن له خلف في عقله وحكمته ، ورويته وحنكته ، فتصدى للزعامة مثل جندي ابراهيم وشنودة واخنوخ فانوس ممن لابضاعة لهم الا شقشقة اللسان ، والقدرة على اثارة الاضغان ، وكانت العاصفة بفقد الزعيم شديدة فطارت بالقوم، ولم تقع بهم على مايستقرون عليه الى اليوم .

ذلك الزعيم هو بطرس باشا غالي الذي كان صخرة القبط التي ترتد عنها قرون الوعول واهية ، وتبنى عليها كنيسة مصالحهم فتكون ثابتة راسخة ، وكان أكبر ماأعده من آيات ترقيتهم ، معرفتهم قيمة زعيمهم ، وخضوعهم لزعامته ، واعلاؤهم لكلمته .

بلغ من دهاء هذا الزعيم القبطي أن جمع بين الضدين، ووضع نفسه موضع الثقة من السلطتين ، فكان — والامير والعميد راضيان عنه — يقدم على ماشاء غير هياب ولا وكل ، فاذا أراد أمضى واذا قال فعل .

كانت سهام متحمسي الوطنية من المسلمين تسدد الى المسلمين من نظار الحكومة وكبار رجالها دونه على علمهم بعصبيته لطائفته وتقديمه اياهم على المسلمين منذ كان وكيلا لنظارة الحقانية الى أن صار رئيساً للنظار

وهو الذي أمضى وفاق السودان بعد ان امتنع عنه مصطفى باشا فهمي وقال انه حق الدولة العلية دوننا وهو الذي رأس محكمة دنشواي لانه كان نائباً عن ناظر الحقانية . ولم يحدث في مصر منذ كان الاحتلال الى اليوم ما آلم المسلمين وهيج قلوبهم مثل هذين الامرين ولم تكتب أقلامهم أشد مما كتبته فيهما

وكان من عجائب سيرة بطرس باشا أنه سلم من أسنة أقلامهم ، وأسلات ألسنتهم، فبقي عرضه وافرا لم يكلم ، وشرفه مصونا لم يثلم، على حين وزراء المسلمين وكبراؤهم يفرى أديمهم ، وتؤكل بالغيبة والغميزة لحومهم

يحفظ المسلمون على بطرس باشا أموراً كثيرة في الاهتمام بطائفته وتقديمها وقد سألت مرة صديقاً لي من كبراء الانكليز الذين كانوا موظفين في الحكومة المصرية أيتعصب بطرس باشا للقبط ويؤثرهم على المسلمين كما يقال ؟ قال نعم قلت أيفعل ذلك غيره من النظار المسلمين والرؤساء فيقدمون المسلم على غيره قال لا ولكن أيهم أحسن ؟؟

لما كانت واقعة المحاكم الشرعية وأرادت الحكومة أن تجعل في المحكمة الشرعية العليا عضوين من مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية هاج المسلمون في مصر وحملوا على الحكومة حملة منكرة في الجرائد واجتمع علماء الازهر أول مرة للانكار على الحكومة وكان من المتحمسين المشهرين بالحكومة من يتهم الاستاذ الامام بالرضى بالمشروع وتأييد الحكومة فيه فسألته عن ذلك فعلمت منه انه سعى في مقاومته سراً جهد طاقته لانه يضر ولا يفيد المطلوب وقال ان الواضع الحقيقي له هو بطرس باشا لا ناظر الحقانية الذي يلعنه الناس ومن مقاصد بطرس باشا فيه التمهيد لالغاء المحاكم الشرعية وجعل الحكم في الامور الشخصية من خصائص المحاكم الاهلية لان طلبة الحقوق يتعلمون الفقه الاسلامي فهو يريد ان يتعود المسلمون بالتدريج حكم لابسي الطرابيش في القضايا الشرعية، حتى لا يبقى للمسلمين في الحكومة المصرية شيء من المشخصات الملية . قاوم الشيخ الباشا في ذلك بمثل سعيه اليه وكان كل منهما صاحبا للآخر عارفا لقيمته

على ذلك كله كان بطرس باشا آمنا في سربه ، عزيزا في قومه، محترما من المسلمين،

يزوره حتى كبار علمائهم ورجال الدين فيهم ، ولم يعلم أحد ماخبأه له القدر ، حتى حمّ الامر وقضي الأجل ،

بينا فيما سبق أن الافرنج يعنون بفرنجة غيرهم ليجذبوهم اليهم ، وان الضعيف يقلد القوي فيما يسهل التقليد فيه أولا ثم في غيره، وان نغمة الوطنية في مصر هي من هذا الباب ، وان المتحمسين فيها صاروا لا يفرقون بين الوطنيين لاجل الدين ، حتى كان منهم من يرضى أن يكون أمير البلاد قبطيا ، وكان من هؤلاء الوطنيين المتفرنجين شاب عصبي المزاج اسمه ابراهيم الورداني تعلم في أوربة فكان من حظه في التفرنج قراءة أخبار الفوضويين الذين يجعلون أنفسهم فدية لوطنهم ، ولما صار بطرس باشا رئيساً للنظار وكان اهم ماحدث في وزارته مشروع تجديد امتياز قنال السويس وقامت الجرائد الوطنية تشرح ضرر المشروع وغبن مصر فيه ، وفائدة الشركة منه ، اندفع ابراهيم الورداني بما اقتبسه من تعاليم أوربة وتربيتها — لا الازهر الذي ربما كان لم يدخله قط — ورصد خروج بطرس باشا من نظارته وأطلق عليه الرصاص جهرا فأصابه ولم يلبث أن قضى نحبه، ولم يفر الجاني ولا أنكر بل صرح بانه تعمد قتله لانه اعتقد أنه جان على وطنه بوفاق السودان ومحكمة دنشواي المخصوصة من قبل ، وأنه يريد أن يجني عليه الآن بمشروع قنال السويس .

فعل الورداني فعلته فحكم عليه بالاعدام فاعدم شنقاً ، كبر الخطب على القبط وحق لهم ذلك، ولكن المسلمين لم يقصروا في مشاركتهم في كل شيء من تشنيع الجناية، وتشييع الجنازة، وتأبين الفقيد ورثائه، بما لم يرثوا ولم يؤبنوا بمثله وزيرا مسلماً من قبله ، اشترك في ذلك أمراؤهم وعلماؤهم، وكتابهم وشعراؤهم، دع رجال الحكومة من جميع الطبقات فقد كان الفقيد رئيساً لهم

كل ذلك لم يرض القبط بل أرادوا أن يأخذوا مسلمي القطر كافة بذنب الورداني فطفقوا يكتبون ويستكتبون بعض المتعصبين من المشاركين لهم في الدين باتهام المسلمين بالتعصب الديني وجعل الجناية اعتداء من الدين الاسلامي على الدين المسيحي وأهله لاعتقادهم ان هذا هو محل الضعف من المسلمين، وموضع التأثير في تهييج الانكليز وسائر الاوربيين عليهم، لاتفاق الجميع على أن لا يتركوا للمسلمين شيئاً من المقومات ولا من المشخصات الملية لما بيناه في فاتحة النبذة الاولى من الاسباب الاجتماعية

قابل المسلمون كل هذا العدوان بالحلم فاستضعفهم القبط وأسرفوا في الطعن والقدح في جرائدهم وأوفدوا الى انكلترة من ينوب عنهم في اقناع الجرائد الانكليزية والنواب

الانكليز ورجال الدين والحكومة في لوندرة بأن القبط مظلومون مغبونون في مصر لاجل دينهم ووالوا ذلك وأدمنوه سنة كاملة احتفلوا في خاتمها بذكرى فقيدهم العظيم وكان يظن ان المسلمين لا يشاركونهم في هذا الاحتفال بعد تلك الغارة الشعواء في جريدتي الوطن ومصر على الكتب العربية والآداب العربية والديانة العربية (الاسلامية) ولكن المسلمين كذبوا الظن فهرع علماؤهم وكبراؤهم الى مدفن الفقيد وكنيسة طائفته وابنوه بالنثر والنظم وأطروه أشد الاطراء، فكان من اللائق المعقول أن تقف القبط عند هذا الحد من الظفر، وتوالي طلاب الصلح من المسلمين الذين اعتذروا عما كتبه القبط من سوء القول بأنه رأي أفراد منهم لا يؤاخذونهم بشذوذهم فيه

المؤتمر القبطي وتأثيره

لو كان للقبط زعيم عاقل كذلك الزعيم الذي فقدوه، لما سمح لهم بذلك التقحم الذي تقحموه، ولو كان لهم زعيم له نصف عقله وحكمته، لاوقفهم عند الحد الذي انتهى به الحول بعد مصرعه، عملا بتحديد ليبدلمدة الحزن والرثاء - ولكنهم بعد انتهاء الحول وبعد تلك المجاملة من المسلمين في الاحتفال التي عدها المتزاحمون على الزعامة فيهم ضعفا ومهانة، انبروا الى تصديق أقوال جرائدهم بالعمل فألفوا مؤتمرا قبطيا عاما في أسيوط التي سماها بعضهم (عاصمة القبط) لاثبات الغبن الذي أصابهم وبيان المطالب القبطية التي يريدون بها مساواة المسلمين ! وأولها ان تسمح الحكومة للموظفين منهم بترك العمل يوم الاحد وتسمح للتلاميذ منهم في مدارسها بترك الدراسة فيه أيضاً لان دينهم يحرم عليهم العمل فيه . وقد تقدمت الاشارة الى غير ذلك من مطالبهم التي يسمونها حقوقاً لهم وليس من غرضنا شرح ذلك وبيان حقه من باطله بالتفصيل، وانما مرادنا بيان هذه المسألة الاجتماعية بالاجمال

توالى الوخز والطعن على جسم الشعب الاسلامي مدة سنة كاملة فلم يكد يشعر به ولا استيقظ من منامه، فلما سمع صيحة المؤتمر القبطي الشديدة المؤلفة من أصوات الالوف من الشاكين، هب من نومه مذعورا، فرأى أن الجسم الصغير الذي كان يعده عضواً منه، قد انفصل وصار حياً بنفسه، ممتازاً بمقومات ومشخصات خاصة به، سماها « قبطية » وسمى ما بقي للجسم الكبير من المقومات والمشخصات « اسلامية » وهو يريد أن ينتزعها كلها منه ويجعله تابعاً له عملا بقاعدة « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » فعز عليه ذلك واستعد للدفاع عن نفسه.

نعم رأى المسلمون أن البلاد بلادهم، والحكومة حكومتهم، والشريعة شريعتهم، وان غيرهم لم يكن له في مصر وجود حتى يكون له حقوق يؤبه لها، لان هؤلاء الاغيار كالنقطة السوداء في الثور الابيض أو النقطة البيضاء في الثور الاسود ولكنهم بتساهلهم واهمالهم قد شاركوا هؤلاء الاغيار في حكومتهم وفي جميع مصالحهم العامة والخاصة حتى صارت ادارة أملاكهم وعقاراتهم وأوقافهم الاهلية كلها بايدي أولئك الاغيار

ثم أرادهم أولئك الاغيار على أن لا يذكروا اسم الاسلام والاسلامية في أمور الحكومة ولاغيرها من المصالح العامة لان ذلك ينافي المدنية العصرية فرضوا، وصاروا يترنمون باسم الوطنية والمصرية ويقولون نحن مصريون قبل كل شيء ويعدون المسلم غير المصري دخيلا بينهم

بل رأوا أنهم قد انجذبوا الى القبطية وصاروا يفخرون في جرائدهم وخطبهم وأشعارهم بفرعون الذي لعنه الله تعالى على لسان موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين وأخبر تعالى انه استخف قومه فأطاعوه واستعبدهم واستذلهم وكان من أغرب ماوقع في هذا الباب ان شاعراً مسلماً نظم قصيدة في عيد السنة الهجرية وأنشدها في احتفال عظيم فافتخر فيها بانه هو وقومه من آل فرعون ولم يفتخر بالنسبة الى صاحب الهجرة الشريفة ولا بآله وأصحابه الذين يفتخر بهم الوجود صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين . فكيف تجمعون أيها المفتخرون بآل فرعون بين هذا الفخر وبين قول ربكم فيهم « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » ??

بل رأى هؤلاء الذين استيقظوا من المسلمين ان مقومات حياتهم المعنوية التي هم بها أمة قد تزلزل بعضها وزال بعض، فصارت السلطة التشريعية في بلادهم بأيدي الاغيار والنفوذ الادبي في أيديهم، حتى ان مجموع جرائدهم أكبر تأثيراً في الامور العامة من جرائد المسلمين، وكذلك النفوذ السياسي والمالي، فثروة المسلمين كل يوم في نقصان كما يعلم كل يوم من اعلانات الحجز وبيع الاملاك المرهونة، رأوا هذا وأمثاله مما لامحل لاحصائه هنا فعلموا أن الذي أطمع هذه الشرذمة من القبط فيهم ليس بالشيء اليسير وانما هو انحلال جميع روابطهم، وزلزال أو زوال جميع مقوماتهم ومشخصاتهم، حتى انه لم يعد أحد منهم يجسر على أن يقول حكومة اسلامية أو مصلحة اسلامية. وتذكر العالمون بسنن الاجتماع ماذكرناه من القواعد في فاتحة النبذة الماضية فعلموا أنهم

صاروا عرضة للعدم والانقراض: أو الاندغام في القبط، كما اندغم القبط فيهم من قبل. بل رأوا ان القبط قد غلوا وأسرفوا في الطمع فيهم حتى لم يرضوا بما كانوا سائرين اليه من الفناء فيهم باسم مصريين ، وأبو إلا أن يكون لهم كل شيء بلقب قبط. والامم تهتم في طور الضعف بالالقاب والاسماء مالا تهتم بالمعاني، فقد يمرق المسلم أو النصراني من دينه بالفعل ويبقى محافظاً على الاسم . لذلك حكمنا بأن القبط قد غلوا وأسرفوا في حركتهم الاخيرة، وانهم لو صبروا لنالوا في غفلة المسلمين وتخاذلهم كل ما يؤملون، وان سبب ذلك هو فقد الزعيم واعواز خائف له . فهذه الحركة لا يعقل أن تكون مؤدية الى المطلوب الا اذا كانت مبنية على وعد قاطع من السلطة الانكليزية الفعالة وهو ما يظنه بعض الناس وان قال فيهم العميد وقالوا فيه ما يدل على خلاف ذلك . وأما مساعدة قسوس الانكليز والامريكان ، فليست كافية اذا استيقظ المسلمون وعارضوا بالحكمة والعقل

مطالب القبط كلها دينية

يقول بعض المموهين ان هذه الحركة القبطية ليست دينية بل هي طائفية جنسية، يختلبون المسلمين بهذا ، والمسلمون يردون عليهم من كلامهم « من فمك أدينك » فانهم يقولون ان السواد الاعظم من المصريين قبط فما الذي تمتاز به هذه الخمسة أو الستة من المئة على الباقي وأكثره من القبط كما يقولون؟ هل هنالك غير الدين ، ألم يصرحوا بأنه هو علة حرمانهم مما يطلبون ، ألم يحرضوا قسوس انكلترة وجرائدها ويطلبوا نجدتها باسم الدين ؟ ألم يكن أول مطالبهم ترك أعمال الحكومة في يوم الاحد عملا بالدين ؟؟؟ الا انه من سوء الحظ أو حسنه ان كان القبط ليس لهم لغة واذاً لحاربوا المسلمين بلغتهم وكانوا بحزمهم ومساعدة الافرنج وغيرهم هم الغالبين، ولم يكن لأحد عذر في كلمة اسلام أو مسلمين ،

اذا كانت القبطية جنسية للقبط المسيحيين خاصة، فأجدر بالاسلام ان يكون جنسية للمسلمين عامة ، فان المسيحية قد فصلت الحكومة من الدين كما يقولون وأمرت أن يعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله والاسلام ذو شريعة وسياسة فما بال الذين يأمرهم دينهم بالخضوع لكل حاكم وان كان وثنياً كقيصر الروم في زمن المسيح عليه السلام قد أصيبوا بهذا الشره في السياسة فلا يتبعون حاكم مصر المسلم في بطالة يوم الجمعة دون يوم الأحد؟ وما بال المسلمين قد أجابوا دعوة غيرهم فرضي حاكمهم ومحكومهم بأمور كثيرة مخالفة للشريعة في حكومتهم ؟

اذا كان القبط لا يشتغلون يوم الاحد في حكومة الحاج عباس حلمي المسلم فليتركوها ويستغنوا عنها تنسكا وتعبداً ، والا فالمسلمون أجدر منهم بطلب جعل كل شيء في هذه الحكومة موافقاً لدينهم، لان الحاكم العام منهم، ولان أكثر الاحكام تقع عليهم، لانهم أكثر من تسعين في المئة من الامة، فلهم أن يقولوا إننا لا نخضع لحكم يحرم علينا وجداننا الخضوع له، ولماذا ينكر الاغيار عليهم ذلك ويسمونه تعصباً ، وانما أولئك الاغيار هم المتعصبون الذين يفتاتون على أمة مسلمة حاكمها العام مسلم ولا يسمحون لها أن توفق بين دينها وحكومتها

يقول بعضهم ان هذه حكومتنا وحكومة آبائنا واجدادنا ، ويقول بعض آخر ان لنا حق مساواة المسلمين فيها . والصواب ان الحكومة ليست حكومتهم وانه لا حق لهم فيها ألبتة ولا لغيرهم، ولماذا ؟ ان هذه البلاد عثمانية سيدها الحقيقي سلطان المسلمين وخليفتهم وقد فوض أمر ادارتها الى محمد علي باشا وذريته على قاعدة مخصوصة اعترفت بها دول أوربا الكبري وهي كما قال اللورد كروم لم تكن محل خلاف ولا نزاع قط وقد كان يكتب على أوراق الحكومة « الحكومة المصرية » وأخيراً صار يطبع عليها بالعربية « الحكومة الخديوية » نسبة الى شخص الخديوي وبالانكليزية حروف معناها « في خدمة سموه » فهذه الحكومة اذاً شخصية تابعة لشخص الخديو ليس لاحد من رعيته عليه حق فيها ، والمسلمون هم الذين قاموا يطلبون منه أن يمنح البلاد الدستور الذي يجعل للامة حق الشركة معه في حكم البلاد والقبط لم تطلب ذلك فكل ما ناله القبط من الوظائف الكثيرة هي فضل واحسان من أمير مصر المسلم المتساهل ولم يكن مؤديا لحقوق واجبة عليه فيه

وأما المسلمون فاذا لم يكن لهم حقوق عليه بحسب شكل الحكومة الشخصي الذي أقرته الدولة الكبرى فيمكن أن يقال ان لهم أن يطالبوه بحقوق يوجبها عليه دينه فيكون الرجاء في اجابتها منوطاً باعتقاده ووجدانه

هذا هو الحق الذي يزهق به كل باطل وسنبين في النبذة الثالثة ما ينبغي أن يكون عليه الامر في مصر من السلام والتساهل والاتفاق بين جميع المقيمين فيها

***

﴿ النبذة الثالثة ﴾

الاسلام دين وجنسية

الاسلام دين وجنسية اجتماعية وسياسية للمسلمين ، هذا هو الواقع وان كرهه

أقوام يودون أن يكون ديناً فقط لارابطة بين أهله في الامور السياسية ولا الاجتماعية لما لاولئك الاقوام من المصلحة في ذلك — وجنسيته واسعة تشمل المنافقين الذين يظهرون الاسلام، ويسرون الكفر والالحاد، وتتسع لكل من يرضى بحكمه الذي هو رابطته السياسية فيجيز استخدامهم في أكثر مصالح حكومته، وقد ارتقى فيها غير المسلمين الى منصب الوزارة في دوله العزيزة القوية التي لم يكن في الارض من يقف في وجه قوتها كأبي أسحق الصابئ في الدولة العباسية . فمثل شريعته في ذلك كمثل قوانين دولة النمسة مثلا كل منهما جنسية سياسة يخضع لها شعوب مختلفون في اللغات والمذاهب والاديان . ولكن بينهما فروقاً أهمها ان الفئة الغالبة في الجنسية الاسلامية السياسية وهي التي تدين بالاسلام تعتقد ان أصول شريعتها وبعض فروعها منزلة من عند الله وبعضها الآخر من اجتهاد الناس .

لايضر من يشارك المسلمين في الخضوع لشريعتهم أن كانوا يدينون الله بهذا الخضوع وهو لايدين الله به ، فان حقوقه على المسلمين المكفولة بها تكون حينئذ مضمونة بقوة الحكومة في الظاهر وقوة الاعتقاد في النفس . وحقوقهم عليه لاتكون مضمونة الا في الظاهر فقط . فالمسلم المتدين لايأكل حق غيره وان أمن عقاب الحكومة وغير المسلم قد يأكل حق المسلم المحكوم به اذا أمن العقاب ، لان وجدانه لايعارضه في ذلك اذا اعتقد ان الحكم لايجب الخضوع له

وتمتاز هذه الشريعة على جميع الشرائع والقوانين بأنها تخير من لايدينون بها بين التحاكم الى أهلها ان رضوا بذلك وبين التحاكم الى أهل دينهم ، فهي باحترامها الحرية لاتكره أحدا على عقيدتها وأعمالها الدينية ولا على أحكامها الشخصية ولا المدنية

حال المسلمين مع أوربة

غلب على المسلمين الجهل بحقيقة الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو جنسية حتى رضوا بحكم الجاهلين والمارقين منهم فارتخت روابطهم كلها فسهل على ساسة أوربة الافتيات عليهم والنفث اللطيف في بقايا العقد التي تربط بعضهم ببعض وتنكيث قوى حبلهم من غير جلبة ولا ضوضاء كجلبة المؤتمر القبطي ، والجرائد القبطية .

ذلك بأنها فتحت اقفال قلوبهم وأفكارهم ، وزينت لهم آدابا غير آدابهم وشرائع غير شرائعهم ، وجنسيات غير جنسيتهم ، وسلطت بعضهم على بعض ليجذبه الى ذلك من حيث لايشعر المسلط ولا المسلط عليه . فهذه التعاليم التي تبثها فيهم تستل من نفوسهم

كل شيء اسلامي برفق ولذة كما تستل الراح عقل شاربها . ولو سلكت مسلك جرائد القبط وخطباء القبط في التوسل الى ذلك لما زادت المسلمين الا استمساكا واعتصاما بكل ماتريد ان يتركوه

اللوم اغراء ، والمنازعة مدعاة المشاحة ، والتعصب مثار التعصب ، فكيف تصورت القبط أن تنال بهذه الجلبة على ضعفها ، ماتعلم أوربة أنها تعجز أن تناله بمثل ذلك على قوتها ؟؟

أما علموا ان من استعجل الشيء قبل أوانه ، عوقب بحرمانه ، ألا أنني أعتقد انهم كانوا على مقربة من كل مايطلبون ، وان هذه الجلبة مازادتهم الا بعداً عنه ، ولهذا قلت انهم لو صبروا واتبعوا منهاج الحكمة وسنن الاجتماع (كما كان يفعل زعيمهم ونابغتهم) لنالوا من المسلمين بالمسلمين كل ماأرادوا . ولكن أبوا الا أن يذكروا المسلمين بغبنهم ، ويدعوهم الى الاجتماع والتشاور في أمرهم ، بتأليف مؤتمر يتبينون فيه من هم ، وما هي نسبتهم الى غيرهم ، وما كانوا لولا هذه الحركة القبطية ليقدموا على ذلك

قال بعض كتاب فرنسة ان قطراً إسلامياً قد انفصل برمته من مكة وهو تونس . يعني أن جنسيته الاسلامية قد زالت ، لا أن أكثر مسلمي تونس قد خرجوا من الاسلام ، وتركوا الحج الى البيت الحرام ، وأنا أقول أن الجنسية الاسلامية بمصر أضعف منها في تونس . وقد بث دعاة الوطنية رأي الجنسية المصرية في طلاب جميع المدارس المصرية من أميرية وأهلية وأجنبية . وهم الذين سيتولون جميع الاعمال العامة والوظائف . فكان المنتظر أن تمحو نابتة المسلمين بأيديها مابقي في ذلك من صبغة الاسلام حتى لايبقى الا اسم مصري ومصرية : الشارع المصري ، القانون المصري ، الحكومة المصرية ، المصلحة المصرية الخ ولكن القبط أبوا الا أن يقولوا « قبطي وقبطية » ولم يحسبوا حسابا لمقابلة المسلمين لهم على ذلك بقول اسلامي واسلامية

أليس من المعقول أن يقول المسلم المصري انا قد تركنا جنسيتنا الاسلامية ونحن أكثر من أحد عشر مليوناً لاجل الاتحاد بنصف مليون من القبط لم تستفد ولن نستفيد بالاتحاد بهم شيئاً لم يكن لنا ، بل خسرنا وسنخسر كثيراً مما كان لنا وحدنا ، فكيف رضي المغبون الخاسر ، ولم يرض الرابح الظافر ؟ . أليس من الذل والهوان أن نرضى بالانتقال من اسلامية الى « مصرية » ليكون ذلك مدرجة الى الانتقال من « مصرية » الى « قبطية » ؟ واذا كانت هذه الجنسية المصرية التي انتحلناها تبعدنا عن

سائر اخواننا المسلمين ، وهم يعدون بمئات الملايين ، ولا تقربنا من جيراننا القبط وهم نصف مليون ، فكيف تكون جنسية جديدة لنا ولم يتجدد لنا بها شيء ؟ صرنا نعد المسلم الشامي والحجازي دخيلا فينا ، لانسمح أن يدخل حكومتنا ، أو يشاركنا في مصالحنا ، لاجل أن يكون القبطي أخا لنا ، له مالنا وعليه ماعلينا ، فأبعدنا ذاك ولم نستطع أن نقرب هذا فمن نحن اذا وما هي جنسيتنا ؟

كان الامير محمد ابراهيم قد عني باللغة العربية من دون سائر هذه الاسرة الخديوية فدخل عليه بعض أقاربه الامراء فرآه ينظر في بعض الكتب العربية فلامه على ذلك وسأله عن سبب هذه العناية فأجابه هل نحن افرنج وهل يعدنا الافرنج منهم ؟ قال اللائم لا . قال هل يعدنا الترك منهم ؟ قال لا . قال فهل الافضل لنا أن لايكون لنا جنس ؟ كلا اننا قد صرنا عربا مصريين فالواجب علينا أن نعرف لغة أبناء جنسنا

هذه هي الحكمة التي نطق بها الامير محمد ابراهيم فحج بها لائمه . أفلايسع القبط ماوسع الاسرة المالكة فيكونوا عربا مصريين؟ ويتركوا كلمة قبط في كل مايتعلق بالحكومة والمصالح الدنيوية ويجعلوها خاصة بمجلسهم الملي وشؤونهم الدينية فيكونوا هم المفلحين. فان القبطية تصلح أن تكون جنسية دينية لهم ان أحبوا أن لا يمتزجوا بغيرهم من النصارى المتمصرين . ولكنها لاتصلح جنسية سياسية دينية معا ولا سياسية فقط اذ لايمكن أن يرضى المسلمون ان يعودوا في مصر قبطا ولا في بلاد الاعاجم وثنيين ومجوساً وبوذيين . فاذا كانوا يطلبون المساواة حقيقة لاتموها فليتركوا العصبية القبطية والجنسية القبطية والمطالب القبطية فان كل شيء ينالونه بهذه النسبة وهذا اللقب يدفع المسلمين الى الرجوع الى الجنسية الاسلامية ويخشى حينئذ أن يخسروا بحق بعض ماربحوه بغير حق

لايغرنكم ان المتعلمين منكم عددهم النسبي أكثر من عدد المسلمين كما تزعمون فالعبرة في المقاومة للكثرة الحقيقية لا للكثرة النسبية ، والمتعلمون من المسلمين أكثر من المتعلمين منكم على كل حال . لايغرنكم ان ثروتكم النسبية أوسع من ثروة المسلمين كما تقولون ، لا لاجل ماقلته في عدد المتعلمين بل لان المسلمين اذا تعصبوا عليكم لا تستطيعون ان تزرعوا أرضكم الا اذا جعلتم أكثر غلتها لهم لانكم لاتجدون الزارعين والعاملين فيها الا منهم ، فاذا علمتوهم التعصب والتكافل فانهم يستطيعون ان يفقروكم بالاعتصاب الذي بدأ التفرنج ينفخ روحه في مصر

اذا كنتم لاتدركون مغبة هذه الحركة التي قمتم بها — فكيف خفي هذا الامر

الطبيعي عن أصحاب الجرائد السورية والافرنجية وهم أعلم منكم بطبيعة الاجتماع وأخلاق الامم فلم ينهوكم عن هذه الثورة القبطية التي تهدم مابنوه في السنين الطوال من محاربة التعصب والانقسام الديني والطائفي في هذه البلاد فبفضل جهادهم وطبيعة التفرنج الذي ينصرونه قد صار كل ماللمسلمين في هذه البلاد متحركا بحركة الاستمرار لا بالحركة الطبيعية الحقيقية التي لايفضلون بها القبط بل القبط تفضلهم فيها .

ثم كان المسلمون يتحركون بحركة الاستمرار في كل ماهو اسلامي ، أحدثت القبط لهم حركة طبيعية جديدة ولكن الباعث عليها من الخارج لا من النفس لذلك ينتظر أن تكون قوة الدفع فيها ضعيفة وان لايطول عليها الامد حتى تعود الى حركة استمرارية لاقوة فيها ولاتأثير لها الا اذا تجدد المحرك الدافع فمن مصلحة غير المسلمين أن يمنعوا تجدده لينالوا كل مايؤملون بهدوء وسلام ، وان كلمة واحدة من لجنة مؤتمر القبط التنفيذية تحل الاشكال ، وهي « قررنا أن لا نطالب من الحكومة شيئاً للقبط بل ندعها تختار الاكفاء لاعمالها برأيها واجتهادها وأن لاتذكر لفظ قبط ولامسيحيين في المصالح الدنيوية »

انني أعتقد أن هذا الحل خير للقبط ولجميع المسيحيين في هذا القطر لانهم يكونون هم الرابحين فيه ، وان الاربح للمسلمين أن يحافظوا على جنسيتهم الاسلامية ، ولكنهم يرضون بايثار غيرهم عليهم بمساواته بهم في بعض المصالح ، ورجحانه عليهم في بعض المرافق ، اذا هو ترك لهم بعض الخصائص التي صارت أعضاء أثرية أو كادت ، ولايضره تركها لهم وهو يعلم انها ستزول بالتدريج

يظن كثير من القبط وغيرهم أن المسلمين لايستطيعون أن يحركوا حركة اسلامية خوفاً من أوربة المسيحية أن تسمح حينئذ للانكليز بضم مصر الى مستعمراتهم والتعجيل بمحو هذه الصبغة الاسلامية الحائلة التي أوشكت تزول من نفسها ، وان يتركوا سنة التدريج في ازالتها ، وقد يصدق هذا الظن اذا هاج المسلمون على المسيحيين فاعتدوا على أموالهم أو أنفسهم ، وهذا مالا يكون من مسلمي مصر . فان كانت القبط تحرك النعرة الاسلامية لظنها أن المسلمين بين أمرين لاثالث لهما : إما السكوت فتنال القبط بجبنهم العلو عليهم ، واما الثورة فتقضي انكلترة القضاء الاخير على حكمهم ، فلتعلم القبط أن هنالك أمراً ثالثاً أعدل وأقرب ، وهو ان يتعصب المسلمون لجنسيتهم الاسلامية كما يتعصب القبط سواء ، بلا ثورة ولا اعتداء ، وكيف يكون ذلك ؟

يحصون المستخدمين من القبط في دوائرهم ومزارعهم فيخرجونهم منها ويستبدلون

بهم أبناء جنسهم ودينهم ، يقدم رجال الحكومة منهم المسلم على القبطي بمثل الطريقة التي امتلأت بها مصلحة سكة الحديد ومصلحة البريد وغيرهما بالقبط، يؤلفون الجمعيات الاقتصادية والاجتماعية لمباراة القبط ومسابقتهم في الزراعة وغيرها من طرق الكسب وحمل الفعلة والعمال من المسلمين على الاعتصاب عند الحاجة ، يفعلون هذا وأمثاله من غير ذكر للقبط ولا لغيرهم من المسيحيين الا بخير . فماذا تفعل انكلترة المسيحية وأوربة المسيحية بهم في مثل هذه الحال ، وما هي من المحال ، ألا يكون هذا ربحا للمسلمين وخسارا على القبط من غير خطر ولا سوء عاقبة ؟ بلى فالخير للقبط وغيرهم أن يعلموا بما ارتأيته ، ولو خرج زعيمهم النابغة من قبره الآن لما أشار عليهم بغيره، اللهم الا ان يكونوا مدفوعين من الانكليز الى ماعملوا، آخذين منهم ميثاقاً غليظاً على اجابتهم الى ماطلبوا ، وهذا لايعقل أن يصدر من الحكومة الانجليزية وانما يقال أن بعض القسيسين والسياسيين وعدوهم لينفذن لهم ذلك ، فان ظهر له أثر عملي اضطر المسلمون أن يعتصموا برابطتهم الاسلامية لئلا يصيروا بعد سنين قليلة اجراء وفعلة ، ليس لهم في البلاد التي كانت لهم وحدهم شأن ، لا في الحكم ولا في غير الحكم .

ها أنا ذا قد حللت المسألة تحليلا ، وفصلتها بسنن الاجتماع البشري تفصيلا ، واضطررت أن أكرر بعض المعاني ، لاجل أن تستقر في الاذهان ، والنتيجة الطبيعية محصورة في أحد أمرين كما علم من كلامنا آنفا : اما استمرار القبط على مطالبهم القبطية ورجوع المسلمين الى جنسيتهم الاسلامية ، ومقاومة القبط بالوسائل الاجتماعية والادبية ، واما رجوع القبط عن هذه النزعة الدينية ، وسكوتهم مذاليوم عن مطالبهم وحينئذ يبقى المسلمون على ما كانوا عليه من التساهل والدعوة الى الوطنية، والجنسية المصرية ، التي يفضلون بها القبطي على المسلم غير المصري وان تمصر ، والامر الثاني هو الذي يفضله الافرنج وجميع المسيحيين واليهود في هذه البلاد لانه غرس أيديهم ، وغرضهم من جهادهم ، ومثلهم في ذلك جميع المتفرنجين من المسلمين ، وسنبين في النبذة الرابعة مسألة يوم العطلة بالدلائل والبراهين

﴿ النبذة الرابعة ﴾

العيد الاسبوعي في الملل الثلاث :

لكل أمة من الامم الثلاث ـ الاسلامية واليهودية والنصرانية ـ يوم في الاسبوع تجتمع فيه للعبادة وصلة الرحم وزيارة الاصدقاء مالاتجتمع في غيره فهو عيد ملي لهافي

كل اسبوع وشعار من شعائرها الدينية والاجتماعية التي يمتاز به بعضها عن بعض. فلا تترك أمة منها شيئاً من خصائص يومها للاخرى الا اذا رضيت أن تكون منها مكان التابع من المتبوع ، والمقتدي من الامام ، وينقص بما تتركه من مقوماتها ومشخصاتها الملية بقدر ماتتركه فيضعف ارتباطها واعتصامها الذي به كانت أمة واحدة . ومتى سهل على الامة ترك مابه كانت أمة فاحكم عليها بالفناء والزوال ، ولا سيما اذا كانت بجوار أمة قوية تتعمد سلب استقلالها ، وتتوخى تسخيرها لمنافعها أو جعلها غذاء لها .

للمسلمين يوم الجمعة ثبتت خصوصيته بنص كتابهم القرآن وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام وعمل سلفهم الصالح . ولليهود يوم السبت بنص كتابهم التوراة وعمل سلفهم من عهد موسى صلى الله عليه وسلم . وللنصارى يوم الاحد برأي بعض رؤساء الكنيسة لا بنص من المسيح عليه الصلاة والسلام ولا من حواريه في الانجيل ولا في الرسائل التي يطلق على مجموعها العهد الجديد. وان العهد الجديد مبني على أساس العهد العتيق الذي هو مجموع كتب اليهود من الاسفار المنسوبة الى سيدنا موسى ، والكتب المنسوبة الى أشهر أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام، وفي الانجيل أن المسيح عليه السلام قال : ماجئت لأنقض الناموس وانما جئت لأتمم. والناموس هو شريعة موسى ولكن النصارى نقضوه بالتأويل لجمل قالها بولس في رسالته لاهل غلاطية ورسالته لاهل رومية

قال بعض علماء البروتستانت ان الناموس يطلق على شريعة موسى الادبية والطقسية والسياسية. أما الشريعة الادبية فمختصرها الوصايا التي أنزلها الله على موسى في لوحين من حجر ، وأما الناموس الطقسي أو ناموس الشعائر الدينية فكان دستورا لعبادة العامة والخاصة وبه تعرف كيفية الذبائح والصيام والتطهير والصلاة والاعياد ويتدرج الى الناموس السياسي الذي أفرز شعب الاسرائيليين من جميع الشعوب المجاورة. ولما كان ناموس الشعائر هذا يشير الى المسيح فلذلك ألغي عند اتيانه اه المراد بحروفه. والعبرة فيه أن الوصية في التوراة بحفظ يوم السبت من الشريعة الادبية المقارنة لتوحيد الله تعالى وعدم الشرك به والنهي عن القتل والزنا والسرقة فهي لم تنسخ بمجيء المسيح . وكيف تنسخ به هذه الوصية وهي ركن من أركان الدين وقواعده الاساسية ونطق العهد العتيق بتقديس يوم السبت في الكلام عن مبدإ الخلق والتكوين

جاء في الفصل الثاني من سفر التكوين « ٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » ثم أكد على لسان موسى

تأكيدا ، وشدد في حفظه وتقديسه وترك العمل فيه تشديدا

جاء في سفر الخروج (١٦ : ٢٣ فقال لهم (موسى) هذا ما قال الرب: غداً عطلة سبت مقدس للرب . اخبزوا ما تخبزون واطبخوا ما تطبخون وكل ما فضل ضعوه عندكم ليحفظ الى الغد ـ الى أن قال ـ لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع ٣٠ فاستراح الشعب في اليوم السابع)

(وفيه من الوصايا) ٢٠ : ٨ اذكر يوم السبت لتقدسه ٩ ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي دخل أبوابك ١١ لان في ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه) ونحوه في ٢٣ : ١٢ و٣٤ : ٢١ منه

وفي تثنية الاشتراع من الوصايا أيضاً (٥ ـ ١٢ احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك ١٣ ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك ١٤ وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وبنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك

وفي الفصل الرابع من أرميا تأكيد عظيم الوصية بيوم السبت ووعد لهم بالجزاء على ذلك في الدنيا بدخول ملوك ورؤساء مدينة أورشليم وتسكن الى الابد ويجاب اليها الذبائح والمحرقات واللبان ثم قال في آخر الفصل « ٢٧ ولكن إذا لم تسمعوا لي لتقدسوا يوم السبت لكيلا تحملوا حملا ولا تدخلوه في أبواب أورشليم يوم السبت فاني أشعل نارا في أبوابها فتأكل قصور أورشليم ولا تطفىء » اه وأرميا يقوله حكاية عن الرب

وأما الوعيد في الاسفار المنسوبة الى موسى على مخالفة هذه الوصية فشديدة جداً ففي الفصل الحادي والثلاثين من سفر الخروج ما نصه : « ١٢ وكلم الرب موسى قائلا وانت تكلم بني اسرائيل قائلا ١٣ سبوتي تحفظونها لانه علامة بيني وبينكم في اجيالكم لتعلموا اني انا الرب الذي يقدسكم ١٤ فتحفظون السبت لانه مقدس لكم من دنسه يقتل قتلا ، ان كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها ١٥ ستة أيام يصنع عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ، كل من صنع عملا في يوم السبت يقتل قتلا ١٦ فيحفظ بنو اسرائيل السبت ليصنعوا السبت في اجيالهم عهدا ابديا ١٧ هو بيني وبين بني اسرائيل علامة الى الابد ، لانه في ستة أيام صنع الرب السماء والارض وفي اليوم السابع استراح وتنفس » اه

وفي أول الفصل الخامس والثلاثين منه (١ وجمع موسى كل جماعة بني اسرائيل وقال لهم هذه الكلمات التي أمر الرب أن تصنع ٢ ستة أيام يعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب ، كل من يعمل فيه عملا يقتل ٣ لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت)

وفي الفصل الخامس عشر من سفر العدد أنه وجد رجل في البرية يحتطب « ٣٥ فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة » فرجموه

هذه هي النصوص التي عليها مدار تقديس يوم السبت في العهد القديم وكان عليها المسيح والمؤمنون به كما يؤخذ من العهد الجديد ففي قصة الصلب ان المؤمنين والمؤمنات لم يخرجوا لاجل سيدهم الذي تركوه مساء الجمعة مصلوبا حسب رواية الاناجيل الاربعة ولكن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة ذهبن صباح الاحد للبحث عنه

ان المسيح عليه السلام جاء مصلحاً في اليهود ، مزحزحا لهم عما كانوا عليه من الجمود ، ولذلك أباح الاعمال الضرورية والخيرية في يوم السبت فقط ولم يأمر بتقديس يوم الاحد ولا غيره . ففي أول الفصل الثاني عشر من انجيل متى ان التلاميذ لما جاعوا وأكلوا السنبل يوم السبت قال الفريسيون للمسيح ان تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت ٣ فقال أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ٤ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط » الخ ما ذكره . وفيه ذكر مثل يفهم منه ان الضروريات كانت تحل عندهم وهو (أي انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا في السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه ...) ثم قال (اذاً يحل فعل الخير في السبوت)

والقصة مذكورة في آخر الفصل الثاني من انجيل مرقس أيضاً وفيها ان داود أكل وأطعم الذين كانوا معه وان المسيح قال « السبت انما جعل لاجل الانسان لا الانسان جعل لاجل السبت » وتتمتها في أول الفصل الثالث منه وفي أول الفصل السادس من انجيل لوقا بنحو ما تقدم ، وفي الفصل الثالث عشر منه انه أبرأ في السبت امرأة كان فيها روح ضعف فأنكر ذلك عليه رئيس المجمع فأجابه المسيح « ١٥ وقال يا مرائي ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه ١٦ وهذه وهي ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت »

وفي الفصل الخامس من انجيل يوحنا انه شفى مريضاً وأمره بالذهاب فحمل

سريره وذهب فأنكرت اليهود عليه ولما علموا انه هو الذي أبرأه عزموا على قتله عملا بحكم التوراة . قال يوحنا « ١٨ فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لانه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً ان الله أبوه معادلا نفسه بالله »

فقد صرح يوحنا بأنه نقض يوم السبت ولكن في عمل الخير فالذي يتبع المسيح حقيقة يترك عمل الدنيا يوم السبت الا ما كان ضروريا ويجعل كل عمله برا وخيراً وأما استحلال كل عمل يوم السبت وتحريم العمل يوم الاحد فهو من تقاليد الكنيسة لاجل مخالفة اليهود في شعائرهم وتقاليدهم ويعللون ذلك بأن يوم الاحد قد صارت له مزية ليست ليوم السبت بقيام المسيح فيه ، وسماه بولس وغيره يوم الرب ، ويمكن أن يجابوا بأن هذه المزية لاتقتضي تحريم العمل فيه ، ولم لاتقولون ان ليوم الجمعة مزية بوقوع الصلب فيه على حسب اعتقادكم وبه كان فداء البشر وخلاصهم واحتمال اللعنة عنهم فهو أجدر بأن يترك العمل فيه

روت الجرائد ان القس أختوخ فانوس خطيب الحركة القبطية أثبت في المؤتمر القبطي أن من يعمل يوم الاحد عملا يقتل وكأنه ذكر مانقلناه آنفا عن العهد العتيق في تقديس يوم السبت وحوله إلى يوم الاحد والنصوص لاتقبل التحول فان لفظ السبت قد تكرر مراراً وتكرر ذكر علته ، وهي علة لاتوجد في غير السبت ، وقد جعلها العهد العتيق عهداً أبديا بين الرب وبين عباده المخاطبين بها والابدي لاينسخ ولا ينقض ، ولنا في هذا المقام مسائل :

(١) ان العقوبة المرتبة على ترك تقديس يوم السبت وهي القتل والرجم هي من الناموس الطقسي أو السياسي وقد قلتم ان هذا قد نسخ بظهور المسيح

(٢) اذا كان هذا العقاب لم ينسخ وانما نسخ يوم السبت بيوم الاحد فصار له حكمه فلماذا لانرى حكومة من الحكومات المسيحية تقتل من يعمل يوم الاحد رجماً بالحجارة كما فعل موسى ، فهل تركت جميع الحكومات المسيحية هذا الحكم وتريد أن تقيمه أنت يا أختوخ في مصر

(٣) ان القتل جزاء دنيوي فاذا تركه الحكام في الدنيا فهل يكونون تاركين لنصوص دينهم فاسقين منه أم لا

(٤) اذا ترك هذا العقاب في الدنيا فهل له بدل في الآخرة أو يوم الدين (أو الدينونة كما تعبرون) أم لا فاذا لم يكن له بدل فلماذا يهول به أختوخ أفندي في خطبته

(٥) اذا كان العمل في يوم الاحد جريمة يستحق صاحبها القتل بالرجم كالزاني

عند اليهود وقد نسخت النصرانية رجم الزاني ولم تنسخ رجم العمل في يوم الاحد لانه أقبح عندها فهل جهل ذلك بطارقة القبط وغيرهم من رؤساء الديانة النصرانية أم علموه ، واذا كانوا علموه فلماذا تركوا النهي عن هذه المعصية الكبرى وسمحوا لابناء دينهم بالعمل في الحكومة المصرية وبغير ذلك من الاعمال

(٦) اذا كان جميع حكام النصارى في ممالكهم وجميع رؤساء الدين المسيحي في مصر وما يشابهها من البلاد قد تركوا هذه النصيحة الدينية عن علم أو غير علم كما يفهم من كلام الخطيب المفوه أختوخ أفندي فلماذا ترك هو ذلك أيضاً وقد خصه الله بهذا العلم وهذه الغيرة على الدين فلم يظهر علمه ونصحه الا في هذه الايام ؟؟

ان مجال القول في هذا الباب واسع ولا فائدة في التطويل فيه والامر الذي لامراء فيه هو الواقع وهو ان لكل ملة من الملل الثلاث يوما وان للمسلمين واليهود من النصوص الدينية على يومهم في كتبهما ماليس للنصارى مثله ولا يحول أحد عن يومه الا في بعض الامور التي يضطر فيها الى اتباع من هو أقوى منه ، وقد اتبع النصارى المسلمين في الحكومات الاسلامية كحكومة مصر في ترك العمل يوم الجمعة كما اتبع المسلمون حكومات النصارى في ترك عمل الحكومة يوم الاحد في مثل روسية . وقد أحست القبط بأن الاحتلال أخرج حكومة مصر عن كونها حكومة اسلامية بل جعلها مسيحية أو كاد ولذلك طلبوا أن يترك فيها العمل يوم الاحد

ليس سعي هذه الطائفة الحية المعتصمة بمقوماتها الملية الى هذا من مبتكرات مؤتمرها الجديد ، بل هو سعي قد صار قديما وكادوا بالحاحهم فيه على المحتلين يذهبون بحلمهم ويرفعون درجة الحرارة في دمهم البارد الى درجة الغليان

استأذن بعض وجهائهم مرة على مستر دنلوب وكان كاتب السر لنظارة المعارف فظن دنلوب ان له شغلا يتعلق بالمعارف فلما أذن له طفق يتكلم عن وجوب ترك الحكومة العمل في يوم الاحد دون يوم الجمعة ويحثه على السعي لذلك حتى غضب وقال له بأي حق أم بأية صفة أغير نظام الحكومة الاساسي قم فاخرج من هنا

ان ماعجز عنه هذا الوجيه الغيور، كاد يظفر به ذلك النابغة المشهور ، فقد كان أقنع مستر سكوت المستشار القضائي ولورد كرومر بالابتداء بذلك في نظارة الحقانية وأمر المستشار بترك العمل في المحاكم يوم الاحد فترك أياما ثم عاد الامر كما كان بسعي

الاستاذ الامام واقناعه الاورد ومستر سكوت بسوء مغبة هذا التغيير كما كان دأبه في أمثال هذه الامور

وفي العام الماضي كثر خوض الجرائد الاوربية المصرية وبعض جرائد المسيحيين العربية في هذه المسألة وتحدثت بوجوب تقرير الحكومة المصرية للعيد الاسبوعي وجعله اجباريا للحكومة والامة . وكانت تحوم حول يوم الاحد لترجحه على غيره فتدندن وتجمجم تارة وتبين تارة أخرى ، وكانت جريدة الاخبار الغراء تختار صفوة أقوال تلك الجرائد في ذلك وهي هي الجريدة التي تنصر براعتها دينا على دين وحزبا على حزب وطائفة على طائفة وأمة أو دولة على أخرى من غير أن يكتب صاحبها كلمة واحدة بامضائه ، أو يصرح بأن ذلك من مذهبه ورائه ، وانما ينال ما يريد بعناوينه ومختاراته . « كالسيل يقذف جلوداً بجلمود »

اني أرفع صوتي مشيدا بالثناء على جريدة الاخبار وجرائد القبط والافرنج وسائر جرائد النصارى التي تؤيد ترجيح يوم الاحد على يوم الجمعة وترجيح كل ماينسب الى ملتهم على غيره ، أثني على أصحاب هذه الجرائد وكتابها بالارتقاء الملي ، والجهاد الادبي ، الذي يجعلون به ملتهم قدوة الملل ، وقومهم سادة الاقوام ، وأي ارتقاء أعلى من ارتقاء العدد القليل ، يطلب فينال مالم يكن له من العدد الكثير ، واذا شعر خصمه بانه قد هوجم لازالة مقوماته ومشخصاته القومية ، ونسخ شعائره وتقاليده الملية ، واراد الدفاع عن نفسه ، والمحافظة على دينه وجنسه ، جعل متعصبا مذموما بمدافعته ، ومهاجمه متساهلا محمودا في مهاجمته

كان الغالب على المسلمين أن لا يشعروا بما يناله غيرهم منهم لان ذلك يجري بالهدوء ولطافة النسمات ، وهينمة العاشقين في الخلوات ، والنائم المستغرق لا توقظه الا الصيحات والصاخات . ألم تر أن المسيحيين الغيورين قد أقنعوا كثيراً من تجار المسلمين بترك العمل في يوم الاحد والاشتغال في يوم الجمعة . وهل يستطيع جميع المسلمين ان يقنعوا مسيحياً واحداً بترك العمل في يوم الجمعة والاشتغال في يوم الاحد ؟ لا لا ولماذا ؟ أليس لان المسيحيين أعرف من المسلمين بقيمة المحافظة على الشعائر والمقومات الملية ، وأقدر في ميدان المجاهدة الاجتماعية والادبية ؟ بلى وليكونن الظفر لهم في كل مايريدون ، الا ان يقتدي بهم في ذلك المسلمون ، فحينئذ تكون العزة في كل مكان للكثار .

يظن بعض الجاهلين منا أن أمر عمل الحكومة في يوم الجمعة سهل ، وأنه لا ينافي

الدين في شيء ، اذا أمكن للمسلم ان يؤدي فرض الجمعة ، لذلك اختم هذه النبذة ببعض ماورد في الجمعة

(١) قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع . ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) فأوجب الله تعالى السعي الى صلاة الجمعة وترك البيع في وقتها . ومثل البيع غيره من الكسب والاعمال التي تحول دون هذه الفريضة وان كانت من أعمال البر . وورد في الاحاديث من التغليظ على تارك الجمعة مالم يرد في عبادة أخرى ومنه أن من تركها ثلاث مرات طبع الله على قلبه . وفي رواية فقد نبذ الاسلام وراء ظهره

(٢) ورد في غسل الجمعة أحاديث متعددة صحيحة وحسنة من أشدها تأكيداً حديث « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » رواه مالك واحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه . وحديث (غسل يوم الجمعة واجب كوجوب غسل الجنابة) رواه الرافعي عن أبي سعيد الخدري بسند صحيح .

(٣) التبكير الى المسجد قال صلى الله عليه وسلم « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (أي غسلا تاما مثل غسل الجنابة لاجل الجمعة) ثم راح (أي الى المسجد) في الساعة الاولى فكأنما قرّب بدنة (أي كأنما تصدق عليه بجمل أو ناقة) ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وفي فضيلة البكور أحاديث وآثار كثيرة

ولا يتيسر الغسل والتبكير الى المسجد مع الاشتغال في دواوين الحكومة فلاشك انه عائق عن هذه الاعمال الدينية المؤكدة

(٤) يوم الجمعة عيد ملي لنا في مقابلة يومي السبت والاحد لاهل الكتاب ففي حديث الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون السابقون بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد » وفي معناه أحاديث أخرى وفي بعضها التصريح بتسميته عيداً . وفي مسند الشافعي وغيره ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم « هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى » وفي رواية لابن أبي شيبة ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم

تكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعا لك » فهل يرضى مسلم جعله الله ورسوله متبوعا في الجمعة أن يتركها ويكون تابعاً لغيره في يوم عيده الديني؟ وهذا أمر مشهور عند المسلمين حتى قال الشاعر :

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعه   وجه الحبيب ويوم العيد والجمعه

ولولا خشية السآمة على القارئين لاطلت في هذه المسألة وقد ظهر بهذه الاشارات الوجيزة أن يوم الجمعة عيدنا الملي فلا نعدل به غيره ولا نستبدل به سواه والا كنا تاركين لشعائرنا ، جانين على ديننا وجامعتنا . وأما علة تمييزه فقد ورد من بيانها في الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى خلق فيه آدم وفيه تقوم الساعة ، أي ينبغي لنا ان نشكر الله في هذا اليوم على خلقه إيانا ، ونستعد فيه ليوم لقائه

ان أهل كل ملة من الملل الثلاث يحافظون على يوم عيدهم الاسبوعي جهدهم ، يقول بعض الناس ان من مصلحة الامة أو البلاد أن يتفق أهلها على يوم يتركون فيه الكسب والعمل في الحكومة والمصالح لاجل اتحاد الامة وتقوية الروابط الاجتماعية بينها ، نقول نعم وان البلاد المصرية مؤلفة من المسلمين وهم الاكثر ومن النصارى واليهود وفيها بعض الوثنيين والبابية والجميع لا يزيدون على ثمانية في المئة فهل من العدل ترجيح يوم الاحد عشر مليونا أم ترجيح يوم من أيام الملل التي يتألف منها بقية المصريين وهم لا يكادون يعدون مليوناً واحداً

الامر ظاهر ، والصواب واضح ، ولكن بعض الفئات القليلة حسب ان الفئة الكبيرة قد مات شعورها الملي وتقطعت روابطها الاجتماعية فصار يسهل أن تكون تابعة لا متبوعة . وقد يقوم الدليل على صحة هذا القول من أفعال الكثيرين الذين قطعوا الروابط القديمة ليستبدلوا بها الرابطة الوطنية فهدموا بناءهم القديم ولم يقدروا على اقامة هذا البناء الجديد (الوطنية) الا في مخيلات بعض الشبان . السواد الاعظم من الامة المصرية لم يفهموا حقيقة هذه الوطنية الى اليوم فالتعجيل بالقضاء على شعائرها الملية ، بمثل هذه الصيحة القبطية، مما يزيد استمساكا بها كما تقدم

هذا ما أحببت بيانه في هذه المسألة وسأبحث في النبذة الخامسة من هذا المقال في مسألة التعليم الديني ان شاء الله تعالى

﴿ النبذة الخامسة ﴾

التعليم الديني في مدارس الحكومة

لجميع الحكومات المدنية مدارس ولا نعرف حكومة منها تعلم في مدارسها دينين فأكثر من أديان رعيتها ، ولا مذهبين فأكثر من مذاهب الدين الواحد فيها ، في البلاد الروسية أكثر من عشرين مليوناً من المسلمين وفيها كثير من اليهود، ولا يلقن في مدارس حكومتها الا المذهب الارثوذكسي من مذاهب النصرانية لانه مذهب الحاكم العام وأكثر الاهالي ، بل الحكومة الروسية تضيق على المسلمين في مدارسهم الدينية فلا تسمح لهم أن يعلموا فيها كما يحبون ويعتقدون، وقد رأينا بعض العلماء الذين نفتهم من بلادهم وأخرجتهم من ديارهم وأقوامهم ولا ذنب لهم الا التعليم الذي يرقي التلاميذ المسلمين .

وفي الجزائر البريطانية كثير من الكاثوليك ولا تسمح الحكومة لهم بأن يلقنوا مذهبهم في مدارسها بل المذهب الذي يدرس فيها هو مذهب البرتستانت الذي عليه ملك الانكليز وأكثر الشعب الانكليزي ، فهل تسمح هذه الحكومة الحرة بأن يدرس في مدارسها دين اليهود من رعاياها وهي لا تسمح بتدريس مذهب الكاثوليك من مذاهب دينها ؟؟ ولا نشرح مايشترط على ملك الانكليز أن يقوله عند تدويجه من الطعن في الكاثوليكية والبراءة منها ، ولا منع الحكومة الانكليزية الكاثوليك من اظهار بعض شعائر مذهبهم في عيد الفصح أو غيره، وقس على ذلك سائر دول أوربة

وفي البلاد العثمانية من الاديان والمذاهب مالا يوجد في غيرها ولكن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ومذهبها هو المذهب الحنفي فهي لا تسمح ان يدرس في مدارسها غير المذهب الحنفي من المذاهب الاسلامية دع الاديان الاخرى . ولم يكن الحنفية هم أكثر مسلمي البلاد العثمانية وانما كثرتهم في البلاد العربية الدولة نفسها

كانت البلاد المصرية ولا تزال بلاداً عثمانية لم تنازع انكلترة ولا غيرها من الدول في ذلك. وانما فوضت الدولة أمر ادارتها الى محمد علي الكبير وذريته بشروط منصوصة في الفرمانات التي يولي بها السلطان العثماني كل خديوي من هذه الذرية .وكان مذهب محمد علي وذريته هو المذهب الحنفي فلما صار للحكومة المصرية مدارس رسمية كسائر الحكومات المنظمة جعلت تعليم الدين فيها خاصاً بالمذهب الحنفي على قلة الحنفية في هذا القطر ،

فان أكثر أهله شافعية ويليهم في العدد المالكية . والحنفية العدد الاقل ولولا الحكومة وحصرها الوظائف الدينية في الحنفية لكان وجود الحنفي في هذا القطر أندر من وجود الشافعي أو المالكي أو الحنبلي في بلاد الترك ، إلا من يرحلون الى الازهر لتلقي العلوم الاسلامية فيه ثم يعودون الى بلادهم

من المعقول ان يرجح دين الحاكم العام ومذهبه على غيره فيكون هو الذي يدرس في مدارس حكومته دون سواه . ومن المعقول أيضاً أن يرجح مذهب السواد الاعظم من الامة على مذهب الحاكم العام وأن يترك هو مذهبه الى مذهب الجمهور، واذا اتفق أن استولى حاكم على شعب يخالف له في الدين فمن المعقول أن يترك للشعب حريته الدينية ولا يصادره فيها ، ولا يعقل أن يرضى الشعب باتباع دين الحاكم المتغلب باختياره كما يرضى باتباع مذهبه اذا كان موافقا له في أصل الدين الا اذا كان الخلاف في المذهب قوياً يتناول مايعد من الاصول كمذاهب النصرانية وبعض المذاهب الاسلامية

وأما الذي لايوزن بميزان العقل ، ولا يقاس بمقياس المصلحة ، ولم ينص في شرع ولا قانون ، ولم يقل به فيلسوف ولا مجنون ، ولم تفعله حكومة من حكومات الارض، فهو مايطالب به مؤتمر القبط الحكومة المصرية . حكومة شكلها اسلامي ، حاكمها العام مسلم، تعترف الدول كلها أنها تحت سيادة خليفة المسلمين، رعيتها أكثر من تسعة أعشارهم من المسلمين ، والباقون لهم عدة أديان ومذاهب . تطالب هذه الحكومة بأن يدرس في مدارسها دين غير دين الحاكم العام، والسواد الاعظم من أهل البلاد !!

اذا كان هذا من الحق والعدل والمساواة كما تدعي القبط فالواجب على الحكومة الخديوية أن تدرس في مدارسها كل دين ومذهب يتبعه فريق من أهل بلادها كاليهودية بمذهبيها الكبيرين. والنصرانية بمذاهبها الثلاث. والاسلامية بمذاهبها في الاصول والفروع : مذهب السنة ومذهب الشيعة ومذهب الاباضية . والمذاهب الاربعة في الفروع. والا فما هي مزية القبط على اليهود ؟ وأي مذهب من مذاهبهم يرجح على الآخر اذا لم تدرس المذاهب كلها ؟

تقول القبط إن لنا من الحقوق في هذه الحكومة ماليس لغيرنا لاننا سكان البلاد الاصلين ، ويجيبهم المسلمون على هذا بأربعة أجوبة

(١) اننا لانسلم انكم سكان البلاد الاصلين . وسلالة الفراعنة المستكبرين، وقد صرح المسلمون بهذا وأيدوه بأقوال مؤرخي الافرنج .

(٢) اذا سلمنا انكم من سلالة قدماء المصريين فان لنا أن نتبع فيكم سنة أرقى

الحكومات المسيحية علما وعدلا وحرية في سكان بلادها الاصلين وهي حكومة الولايات المتحدة فهل ترضون ان تكون حقوقكم في هذه البلاد كحقوق هنود أمريكة في حكومتها الآن ، وهم أهلها الاصلاء بغير خلاف ؟

(٣) انكم تقولون ان أكثر مسلمي هذه البلاد منكم وأقلهم من العرب والترك والشركس فلا مزية لكم في هذا النسب الشريف على جمهور المصريين المسلمين ولهم المزية عليكم بكثرتهم ، وكون الحاكم العام من أهل دينهم ، وذلك سبب للترجيح متبع في الحكومات المسيحية الراقية

(٤) ان طول زمن الاقامة في بلد لا يقتضي التفضيل في الحقوق . وقصره لايقتضي الحرمان من شيء منها متى كان القوم الذين طالت مدتهم أو قصرت من أهل البلاد المقيمين فيها الخاضعين لشريعتها وقوانينها . نعم ان الحكومات قد حددت في هذا العصر الزمن الذي يكون فيه الغريب عنها وطنياً داخلا في جنسيتها السياسية . وقد بالغت مصر في ذلك مالم تبالغ الحكومات الراقية فجعلت المدة التي يصير فيها الغريب مصريا خمس عشرة سنة. فهذه الحكومة الاسلامية تجعل لأدنى أجير قبطي من الحقوق في بلادها مالا تجعله لاعظم أمير من شرفاء المسلمين يقيم فيها خاضعاً لحكومتها ، قبل أن تتم له تلك المدة (١٥ سنة) فيها . ومن نال هذه الجنسية بشرطها كان له من الحقوق مثل مالغيره من المصريين سواء كانوا من آل فرعون الذي لعنه الله أم كانوا من قوم موسى الذي كلمه الله

كان بنو اسرائيل دخلاء في مصر وفضلهم الله تعالى في كتبه على آل فرعون . ثم فضل الله تعالى العرب واصطفاهم بارسال رسوله منهم مثلما اصطفى اخوتهم بني اسرائيل من قبلهم بارسال رسوله منهم كما أشار الى ذلك في سفر تثنية الاشتراع. فكيف تطالب حكومة مصر التي تدين الله تعالى بتفضيل الشعب الاسرائيلي والشعب العربي في النسب على الشعب الفرعوني أن تميز الشعب المفضول في كتب الله على الشعب الفاضل بل الشعبين الفاضلين . على ان الانساب في دين هذه الحكومة وشرعها لاتقتضي التفضيل في الحقوق على قدر الفضل في النسب

فعلم مما بيناه ان النسب الفرعوني الذي تُدلّ به القبط غير مسلم لهم، واذا سلم جدلا فهو لايقتضي تفضيلهم على اليهود، بل اليهود أشرف منهم نسباً لانهم ينتسبون الى أنبياء الله تعالى . والقبط تنتسب الى الفراعنة الوثنيين أعداء الله تعالى . واذا لم يكن لهم صفة تقتضي تمييزهم على غيرهم من المصريين فقد هدم الاساس الذي بنوا عليه طلب تعليم

دينهم في مدارس الحكومة . نعم ان القبط لايدينون دين الفراعنة بل دينا يرجحه الاسلام على ذلك الدين، ولكن دينهم ودين اليهود سواء في نظر الاسلام . ولما كان تعليم كل الاديان والمذاهب المعروفة في مصر متعذرا في مدارس حكومتها ، كان من العدل والمصلحة المتبعين في الحكومات الراقية أن لايدرس في مدارس هذه الحكومة الا دين الحاكم العام الذي هو دين أكثر الشعب . ولا بأس بما جرت عليه من ترجيح مذهب الحاكم على مذهبي جمهور الشعب . واذا فتح باب التعدد فان أصحاب المذاهب الاسلامية كلها يطلبون تدريس مذاهبهم لاولادهم في مدارس الحكومة

حدثني الثقة ان ناظرة من ناظرات المدرسة السنية الانكليزيات كتبت تقريراً لنظارة المعارف على عهد فخري باشا قالت فيه ماحاصله : ان الغرض من تعليم البنات وتربيتهن على الفضيلة والتقوى لاينال الا بالدين فيجب أن يكون الدين هو الاساس الذي يقوم عليه بناء تعليم البنات وتربيتهن في هذه المدرسة والفائدة تتم بأي دين من الاديان الثلاثة الموجودة في هذه البلاد . ولا يجوز أن يكون في مدرسة واحدة أكثر من دين واحد لان ذلك مفسد للتربية فيجب اذا أن يكون الدين الاسلامي اجباريا عاماً في هذه المدرسة – ومثلها غيرها أو غيرها مثلها – لانه دين الحكومة وأكثر الاهالي

أهمل هذا التقرير في النظارة وكان جزاء الناظرة الفيلسوفة التي كتبته اخراجها من المدرسة واعادتها الى بلاد الانكليز التي تسع فلسفتها العالية وأفكارها السامية، بخل مستر دنلوب بها على هذه البلاد واستبدل بها ناظرة أخرى لاتصل الى حل سيور حذائها ، ثم بدلت الاخرى ولكن لم تر المدرسة بعد تلك ولا قبلها مثلها لانها كانت من أرقى نساء الانكليز أخلاقا وآدابا وأفكارا

لو أجبرت الحكومة الخديوية اولاد القبط الذين يدخلون مدارسها على تلقي دروس الدين الاسلامي والعمل بها لكان لها قدوة في الافرنج الذين تقلدهم في أكثر أعمالها ، ولا أعني بالاجبار اكراه التلاميذ بالقوة على ذلك وانما أعني أن يكون ذلك شرطا لايقبل في المدارس الا من يلتزمه . ولكن هذه الحكومة لم تفعل ذلك لا في عهد الاحتلال ولا قبله لا لأن أمها الدولة العثمانية لم تفعله بل لانه لم يعهد في الاسلام الذي يرمى أهله بالتعصب ، وانما عهد عند المسيحيين الذين يفخرون علينا بالتساهل والتساهل

في هذه البلاد معاهد للتعليم تديرها الحكومة وينفق عليها من أوقاف المسلمين

المحبوسة على تعليم أولادهم خاصة والحكومة تقبل في هذه المعاهد أولاد القبط فتعلمهم على نفقة المسلمين مخالفة في ذلك شرط الواقف لاجلهم . فهل تسمح القبط بانفاق قرش واحد من أوقافها على تعليم مسلم ؟

ان أمر المسلمين في تسامحهم مع القبط وترجيحهم لهم على أنفسهم لغريب لم يعهد له نظير في الارض : وقف الخديوي الاسبق اسماعيل باشا واحدا وعشرين ألف فدان على تعليم أولاد المسلمين وهي الارض التي تسمى « تفتيش الوادي » ووقف جده من قبله ثلاثة آلاف فدان على تعليم أولاد القبط فكان عطاؤه للقبط أكثر لانهم لايبلغون ثمن المسلمين فاستأثرت القبط بما وقف عليها وشاركت المسلمين فيما وقف عليهم . ثم ترفع جرائدها عقيرتها مستغيثة بأوربة المسيحية من ظلم المسلمين لهم في التعليم ويصدقها مؤتمرها على ذلك

من هذا القبيل مساعدة أوقاف المسلمين للجامعة المصرية بخمسة آلاف جنية في كل سنة وهي مفتحة الابواب للقبط وغيرهم وطلبتها من غير المسلمين لايقل عددهم عن المسلمين

بلغ من طمع القبط في المسلمين أن طلبوا تعليم أولادهم في بعض مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية على نفقة الجمعية فلم يقبل ناظر المدرسة فشكوه الى رئيس الجمعية قائلين ان لهم الحق في التعلم في هذه المدارس لانهم مصريون قبل كل شيء ! ! وقد جعل أعضاء مجلس ادارة الجمعية هذه الشكوى محل النظر ، ومال بعضهم الى اجابة الطلب ، لولا ان قامت الحجة عليهم بأن قانون الجمعية الاساسي قد صرح بأن الغرض من هذه الجمعية اعانة فقراء المسلمين وتربية أولادهم لا فقراء المصريين

اشتهرت مصر أنها بلاد العجائب وحق لها أن تشتهر بذلك، فسلموها يقفون أرضهم حق على أديار القبط ، وينفقون من ريع أوقافهم الخاصة بهم على تعليم القبط، وحكومتهم تسمح للقبط بأن يعلموا دينهم في مدارسها وهو مالانظير له في الحكومات الاوربية التي تقتدي بها ، والقبط تشكو من ظلمهم ، وتستغيث بأوربة منهم، وتُدل عليهم بنسبها، وتدعى انها صاحبة البلاد وانها أجدر بحكمها ، وتسخر من المسلمين وتدعي انها أكبر منهم كفاءة . وان ماأخذته من الوظائف في الحكومة وفي المصالح والمزارع حتى أوقاف المسلمين الخاصة بهم فقد أخذته بحق، وهي أولى به وأحق، وما بقي في أيدي المسلمين وهو أقل هذه الوظائف والاعمال فليس لهم فيه حق بل هم هاضمون

به حقوق سلائل الفراعنة وأصحاب البلاد الاصلاء فيجب أن يرد اليهم أو أن يأخذوا الآن نصيبا منه ،

قد علمنا بالقياس المطرد المتعكس أن القبط لا يأخذون شيئا الا ويطلبون ما بعده فلا يجاب طلب الا ويعقبه طلب ، ولا ينتهي أرب الا الى أرب ، ولا يقنع هذه الفئة القليلة العدد ، الكثيرة النشاط الكبيرة الطمع ، الا أن يكون الحكم والنفوذ في هذه البلاد خالصا لها من دون المسلمين . وهذا شأن الشعوب التي تحيا وتنمو مع الشعوب التي تموت وتفنى : الحي يتغذى دائما بما يتصل به من الاغذية ، والمشرف على الموت تنحل عناصره وتتفرق فتكون غذاء للاحياء الاخرى ، والحياة قسمان حياة مادية وحياة معنوية وسنة الله تعالى في نظامهما واحدة ،

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ الرحلة الحجازية ﴾

« لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر »

في سنة ١٣٢٧ حج الى بيت الله الحرام عزيز مصر عباس حلمي الثاني . وقد أخذ في صحبته طائفة من العلماء والأدباء والكتاب منهم صديقنا محمد لبيب بك البتنوني الشهير صاحب « الرحلات » المشهورة فكتب في ذلك « الرحلة الحجازية » وأودعها من الفوائد ، ووصف الآثار والمشاهد ، وتاريخ الأماكن والمعاهد ، ونظام القوافل والمسالك ، وأحكام وحكم المناسك ، ما لا تجده مجموعا في كتاب ، ورتب ذلك في الرحلة أجمل ترتيب ، وفصل الكلام فيه أحسن تفصيل ، وجعل فيها من رسوم المعاهد المقدسة ما زادها حسنا وجمالا ، وزاد ما فيها من الوصف والبيان ايضاحا ، ففيها بعد رسم الأمير الذي وضع قبل الديباجة رسم ميناء جدة فرسم صلاة الجمعة في الحرم المكي ترى الالوف فيه مستديرين حول الكعبة المشرفة ، ثم رسم جبانة المعلى ، وباب الصفا من أبواب الحرم ، ورسم آخر للكعبة والحرم في وقت الصلاة وغير وقت الصلاة ، ورسم قافلة الحجاج بين منى وعرفة ، والحجاج بخيامهم في عرفة ،

ورسم جبل عرفات ومنظر رمي الجمار ، ومسجد الخيف بمنى ، وموكب الخديوي ذاهبا لزيارة الشريف ، ورسمه بين حاشيته من رجال الملكية والعسكرية ، ومنظر المدينة المنورة ، وباب السلام بالحرم النبوي من داخل الصحن ، والقبلة النبوية وباب الرحمة فيه ، وغير ذلك من الرسوم الشمسية ، وفيها رسوم غير شمسية وعدة خرائط للبلاد المقدسة وغيرها كخريطة العالم الاسلامي ، وخريطة مكة ، والحرم المكي ، وعرفات ومنى ، والطرق الى الحرمين ، ومساكن المدينة ، ومنظر المدينة المنورة نفسها

ومن مباحث الكتاب المهمة بحث كسوة الكعبة ، والمحمل ، واحترام الاحجار وتقديسها في الامم ، والحج عند الأمم المختلفة ، ومنع الاجانب من دخول الحرمين ، ومشاعر الحج قبل الاسلام ، واصل لباس الاحرام ، وماضي المدينة وحاضرها ، والكلام على المحاجر الصحية ، وسكة الحديد الحجازية ، والآثار القديمة بالشام ، ومدينة بطره . وجملة القول ان هذه الرحلة جديرة بأن تكون ذكرى وتاريخاً لحج أمير مدني كعزيز مصر التي هي في مقدمة البلاد الاسلامية مدنية وارتقاء ، وقد طبعت طبعا نظيفاً يليق بها

ويجدر بنا ههنا ان نقول كلمة في حج الامير فقد سبق لنا ان انكرنا في المنار على ملوك المسلمين وامرائهم ترك فريضة الحج الى بيت الله الحرام . والظاهر من حالهم انهم قد تركوا هذا الركن من أركان الاسلام عمداً وانهم وطنوا انفسهم على تركه لا انهم ينوون اداءه ويتساهلون فيه بالتراخي حتى يدركهم الموت والا لاتفق لبعضهم أداؤه . وأكثرهم يعرفون ان ترك الحج عمدا فسق واستحلاله كفر . وان للسياسة السوءى تأثيرا في ذلك . وقد كان من مزايا أمير مصر عباس حلمي الثاني تشوقه الى الحج وكان استأذن عبد الحميد في أيام سلطته بذلك فلم يأذن له ولم يكن من المستطاع ان يحج بدون اذنه ، فلما زالت دولة عبد الحميد وصارت الدولة دستورية لا يمكنها منعه من الحج بادر الى اداء هذه الفريضة

كان نبأ حج أمير مصر في عاصمة الدولة عظيماً حتى انه كان مما يخطر على بال المطلع على ما هنالك ان الحكومة لو وجدت سبيلا لمنعه منه لسلكتها ، والظاهر انه لم يحفل بالامارات ولا بالاشارات التي علم منها كراهتها لذلك ، وكان حجه حديث الاستانة وموضع بحث وتعريض في جرائدها حتى الهزلية المصورة منها ، وقد سمعت هنالك حديث الوزراء وغيرهم في ذلك وسألني الكثيرون عن رأيي فيه بعضهم صرح بالسؤال واكتفى بعضهم بالتلويح والتعريض ، وقال لي الصدر حسين حلمي

باشا يقولون لي كلاما كثيرا عن حج الخديو وأنا لا أصدق ان له مقصدا سياسيا . فذكرت له وكذا لناظر الداخلية وغيرهما أنني أعتقد انه ليس له غرض سياسي واعلم انه كان ينوي الحج منذ سنين وانه استأذن السلطان عبد الحميد فى ذلك فلم يأذن له وانني قد ذكرت هذا فى المنار وفى تفسير القرآن قبل الدستور. وسألني غير واحد هنالك هل الخديو متدين حقيقة بحج تديناً ؟ فاجبت بان المعروف المشهور انه يصلي ويصوم ولا يشرب الخمر قط وهل الحج الا فريضة كالصلاة والصيام ؟

صفحات الرحلة ٢٦٦ وثمن النسخة منها خمسة وعشرون قرشاً ماعدا أجرة البريد

***

﴿ كتاب التوحيد ﴾

يشتغل صديقنا الشيخ حسين والي المدرس في الازهر ومدرسة القضاء الشرعي بتأليف كتاب في علم الكلام سماه (كتاب التوحيد) وقد تم الجزء الأول منه وطبع على ورق جيد . افتتح مقدمة الكتاب ببضع آيات من أول سورة التغابن جامعة لأصول العقائد وهي الايمان بالله والوحي الى الرسل واليوم الآخر ثم قال :

أما بعد فهذا (كتاب التوحيد) الذي رأيت ان أكتبه لتلاميذي الكبار في مدرسة القضاء الشرعي . أخذت في تأليفه درساً درساً، فكان كتاباً منجماً، وسلكت فيه سبيل المؤمنين ، وهي سبيل الجمهور من أهل السنة ولكني نظرت الى خصيمهم من ستر رقيق ، واطلعت على حجج الفريقين ، ووزنتها بميزان النصفة والعدل ، فثقلت موازين قوم وخفت موازين آخرين ، وكنت على أريكة الحكم مع اليقظة والاستقلال ، وذلك اشرف المناصب . وما كنت بدعا في هذا الامر فقد سبقني اليه مثل القاضي البيضاوي . فنزعت منزعه . ولكن على قدر حاجة التوحيد ومساغه . وذلك رأي مدرسة القضاء الشرعي . لانها لم تجد خيرا من ذلك في الحالة الراهنة . بيد انه شعب الطرق كثيرا وما شعبتها . ولما سار فيها اخذته الحيرة احيانا وما اخذتني . وهاب من يصدون عن السبيل وما هبت . لاني أعددت لذلك عدتي . والعدة في هذا الزمان أكمل منها في الزمان الماضي وتلك سنة الله في الاشياء فان الاشياء تتقدم الى الصلاح والكمال . بتقادم الزمان . والحازم من ركب لكل حال سيساءها ، ولبس لكل حرب لبوسها .

ان كل طائفة من (كتاب التوحيد) تشرح صدرك وتترك في نفسك أثراً

صالحا ، لا يعقبه مرض في القلب ، ولا غشاوة على البصر ، وتؤذنك بان الذي خلق الأول خلق الآخر ، وان العقول جنس واحد ، وان الهالك فيما مضى لم يشهد الزمن الذي بعده ، وان الحي الآن قد شهد الزمنين ، فهو أوسع علما ، وأسد رأيا

قد خلت من قبلنا أمم ، وأصبحنا في جيل غير جيل ، وعدو غير العدو ، فاتركونا ايها الجهلاء نقاتل عدونا بمثل سلاحه ، والا فادعوا آباءكم الاولين

« ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير »

هذا كتاب الله يقيم الشهادة الى يوم القيامة فينصفني في قوله ، ويؤيد حجتي ، وعما قليل يفاجئ نوره الأبصار ، ويقرع وعظه الاسماع ، ويسكن يقينه الافئدة ، ثم تكون له السيطرة التامة ، فيرجع الناس اليه في العلم وغيره

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » اه

هذا ما بين به المصنف غرضه من الكتاب وطريقته التي يسلكها وحبذا الطريقة وحبذا البيان، وخير منه الوفاء به ، ولما نقرأ الكتاب ولكننا نشير الى ملخص فهرسه جاء بعد تلك الفاتحة بفصول وجيزة في (اطوار التوحيد) يعني تاريخ العقائد ثم بفصول في (مبادي التوحيد) يعني مبادي هذا العلم كموضوعه ومسائله واستمداده. ثم بفصول في (النظر) والمسائل العامة عند المتكلمين فتكلم عن الممكن والوجود والعدم والحال والوجوب والامتناع والامكان والقدم والحدوث والوحدة والكثرة والعلة والمعلول والدور والتسلسل والماهية . هذه امهات مسائل الجزء الاول الذي صدر من هذا الكتاب . وهو مرتب ترتيبا حسنا ومطبوع على ورق جيد . وصفحاته ٣٦٥ من قطع رسالة التوحيد وثمن النسخة منه خمسة عشر قرشاً

﴿ كلمة التوحيد ﴾

عقيدة للشيخ حسين والي صاحب كتاب التوحيد ألفها لتلاميذ السنة الأولى من القسم الأول من طلاب مدرسة القضاء الشرعي، كما ألف ذلك الكتاب المطول لتلاميذ القسم الثاني . وقد بدأ هذه العقيدة بكلام وجيز في تاريخ التوحيد وامهات العقائد ، وكتبها، وعقائد العوام، والحديث المتواتر فيها، واحكام العقل الثلاثة، وأهل السنة والمعتزلة والدور والتسلسل ، ثم تكلم في الصفات وتعلقها والنبوة والامامة، وذكر الاسراء

والمعراج والرؤيا، ثم السمعيات. والكلام في هذه العقيدة على الطريقة المعروفة في كتب المتأخرين من السنوسي ومن بعده ولكن الترتيب احسن والعبارة اجلى

﴿ تمرين الاملاء، في الخلق والادب واللغة والانشاء ﴾

للشيخ حسين والي كتاب اسمه الاملاء في علم الرسم سبق لنا تقريظه. وقد قرر تدريس ذلك الكتاب في الازهر وفي مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم وكلية غردون . ولكن ينقص ذلك الكتاب كثرة الشواهد والامثلة التي يتمرن بها الطلاب جريا على الطريقة الحديثة في التعليم ، لهذا وضع مؤلفه كتابا خاصاً لذلك انجازاً للوعد في آخر كتاب الاملاء . ولم يجعل تمرينه كلمات مفردة ولا جملا منثورة مختصرة ، بل جاء بنبذ في الاخلاق والآداب ومقاطيع من مختار الشعر ، فجمع فيه بين الفائدتين وقد طبع على ورق جيد وصفحاته ٣٠٤

***

﴿ مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن ﴾

توجهت همة صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي عالم الشام المشهور الى جمع ما تفرق في الاسفار العربية الكثيرة من الأقوال في الجن فجمعها من عشرات من المصنفات ورتبها ترتيباً حسنا فذكر آراء علماء اللغة ونقولهم في مواضع الجن ومراتبها والغول والهاتف والاستهواء والعزيف والصرع والطاعون وما نسب الى الجن من الاعمال ثم ذكر اقوال المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين في الجن، وختم الكلام في تمثل الارواح وكون الجن من الأرواح وما جاء عن علماء الافرنج في ذلك مترجماً من معجم لاروس الفرنسي ودائرة المعارف البريطانية ، وفي مسألة التعزيم ودعوى سكنى الجن في الخرائب وغير ذلك . وقد نشر ذلك كله في مجلة المقتبس ثم طبعه على حدته وهو مفيد في بابه لا يستغني عنه من يريد تمحيص هذا المبحث وفي هذه الرسالة من الفكاهة والادب وغرائب الروايات عن الجن ما يلذ لكل قارئ ، فهي رسالة قد جمعت بين اللذة والفائدة

باب الأخبار والآراء

﴿ مسجد في لوندره ﴾

لوندره عاصمة دولة انكلتره أكبر مدينة في الارض وأ كثرها سا كنا . وهي لاتخلو من عدد كبير من المسلمين مابين مقيم وزائر ومتعلم ومتظلم ومتجر ، فان زهاء نصف مسلمي الارض تحت سلطان هذه الدولة ونفوذها، منهم في الهند وحدها تسعون مليونا من النفوس بحسب إحصاء هذه السنة .

اجتماع المسلمين وتعارفهم في تلك العاصمة له فوائد كبيرة ولا يتيسر لهم ذلك في مدينة سكانها ستة ملايين أو يزيدون الا اذا كان لهم معهد معروف يؤمونه من كل جهة ولهذا رأى بعض المفكرين انه ينبغي للمسلمين ان يبنوا لهم مسجداً هنالك ويبنوا بجانبه نادياً للاجتماع والخطابة ويجعلوا فيه مكتبة للمطالعة

سبق أذكياء المسلمين الى هذا الرأي من ليس منهم وأنفذه لمنفعته لا لمنفعتهم ، وأراد غيره أن يعمل مثل عمله في باريس فقد ذكرنا في ص ٤٧٩ من مجلد المنار الثامن (سنة ١٣٢٣) ان الخواجه (ليون لامبير) كان رغب الينا ان نقنع الاستاذ الامام رحمه الله تعالى بأن يجعل (مشروع بناء مسجد بباريس) تحت رياسته وكان الاستاذ مريضاً فلم نحدثه بذلك. وبعد وفاته بلغنا انه التمس من شيخ الازهر ان يجعل هذا المشروع تحت رياسته فقبل ولم نعلم ماذا كان بعد ذلك

ذكرنا هذا الخبر في ذلك المكان أي منذ ست سنين وعقبنا عليه بأننا نرجو ان لايكون مسجد باريس كمسجد لوندره الذي حدثنا الاستاذ الامام عنه بما يأتي ، قال رحمه الله تعالى

خطر لرجل يهودي كان مستخدما في الهند ان يجمع من المسلمين مالا يبني به مسجداً في لوندره فجمع خمسين ألف جنيه ثم جاء لوندره فبنى مسجداً في خارجها على مسافة ساعة في السكة الحديدية وهو مكان لايصل اليه أحد من المسلمين في

لوندره فهو مغلق دائما لايصلي فيه أحد وقد اشترى الرجل أرضاً لنفسه عند الجامع وبنى فيها بيتاً لنزهته فاذا علم ان بعض أمراء المسلمين أو أغنيائهم زار لوندره يبحث عنه ويدعوه الى داره والى رؤية المسجد . ولما زار نجل أمير الأفغان (عبدالرحمن خان) لندره في عهد والده أجاب دعوة هذا اليهودي الى داره ومسجده وبعد الطعام أعطاه خمس مئة جنيه . ولا يخالن أحد ان الامير كان مبسوط الكف لكل أحد يتصل به أويخدمه فقد كان خالد افندي استاذ اللغة التركية في مدرسة كمبردج (مهمندارا) للامير في لوندره لزم خدمته وأعد له كل وسائل الراحة وهو لم ينعم عليه الا بجنيه واحد لم يقبله . اه مانقلناه عن الاستاذ الامام وقد عقبنا عليه في المنار بالتنبيه الى افتتان المسلمين بالاجانب حتى في امور دينهم فهم يبذلون لهم من اموالهم حتى باسم الدين مالا يبذلونه لمن يخدم الدين منهم

خليل خالد بك الذي ذكره الاستاذ في هذا السياق هو الذي بذل وقته مع جماعة من المسلمين رئيسها القاضي مير علي الهندي العالم المشهور للسعي في إنشاء مسجد في لوندره نفسها يكون مثابة للمسلمين فيها ، وقد بدأ الدعوة الى التبرع له في العام الماضي بالاستانة فلم يتبرع له فيها الى الآن الا نحو أربعمئة ليره وقد جاء مصر في هذه الأيام لاجل جمع الاعانات منها فعني به بعض أهل النجدة وألفوا له لجنة تحت رياسة رياض باشا الذي هو عدة مصر وعتادها في أعمال الخير والمصالح العامة . وقد أعد خليل بك خالد خطبة تركية للدعوة الى المشروع ترجمت بالعربية ودعت اللجنة جمهور الوجهاء والفضلاء الى الاجتماع في قبة الغوري ضحوة الجمعة لسماع الخطبة باللغتين فاجتمعوا . وبعد أن قرأ بعض الحفاظ آيات من القرآن الكريم فيها ذكر عمارة المساجد ألقى خليل خالد بك خطبته وتلاه الشيخ عبدالوهاب النجار فتلا ترجمتها ، ثم رفيق بك أحد أعضاء اللجنة بخطاب وجيز تكلم فيه عن أول مسجد أسس في الاسلام وهو مسجد قباء ، وعن مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ، ثم دعي أحمد زكي بك الكاتب الأول لاسرار مجلس النظار فالقى خطابا ذكر فيه ماكان من عناية المسلمين في العصور الأولى ببناء المساجد اينما وجدوا حتى في بلاد الاجانب، وذكر من الشواهد على هذا المسجد الذي بناه بعض الصحابة في غلطه من الاستانة . وحث الناس على التبرع للمشروع وقال انه هو يتبرع بعشر جنيهات على قدر حاله واعتذر عن إظهار ذلك مع نهي الدين عن اظهار الصدقات

إظهار الصدقات واخفاؤها

بعد ان اتم أحمد زكي بك خطابه المفيد قام كاتب هذه السطور فألقى خطاباً وجيزا في الاستدراك على ماقاله الخطيب في مسألة إظهار الصدقات وبيان الحق في ذلك ، لا لاجل الحث على التبرع للمسجد . قلت بعد الثناء على الخطيب مامثاله

لم يكن يخطر في بالي ان أقوم خطيبا في هذا الجمع ولكن ماقاله الخطيب في الصدقات يحتاج الى استدراك وايضاح لابد منهما لئلا يظن بعض الناس ان الدين الاسلامي يحرم الصدقات الجهرية أو يكرهها فيقبضون أيديهم أن تجود في مثل هذه المحافل على ماتدعى اليه من البر

قال الله تعالى « ان تبدوا الصدقات فنعمّا هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » فمدح إبداء الصدقات واظهارها مطلقا وفضل إخفاءها فيما يعطى للفقراء منها بما يدل على ان مقابله جائز بل محمود أيضاً

إخفاء الصدقة على الفقراء خير من إظهارها لما في الاظهار من كسر قلوب الفقراء المتجملين وما في الاخفاء من الستر عليهم والتكريم لهم . واما وضع الصدقة في المصالح العامة فليس فيه هذا المعنى وإبداؤها قد يكون حينئذ خيرا من اخفائها لما فيه من حسن القدوة والترغيب في التعاون على الخير وما زالت القدوة الصالحة مصدر البركات ، وسببا في كثرة الاعمال الصالحات ، وقد أمرنا الله تعالى ان ندعوه بأن يجعلنا أئمة في الخيرات ، بمثل قوله « واجعلنا للمتقين إماما »

ان من يطلب المال ليضعه في مصلحة عامة يسره ان يجاب جهرا ، كما يسر كريم النفس ان يجاب الى مايطلبه لنفسه سرا ، والاخلاص موضعه القلب ، ولا ينافيه ان يحب المؤمن ظهور فضله بالحق ، وانما المذموم في كتاب الله ان يحب المرء ان يحمد بغير حق ، قال تعالى « لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » والاسلام دين الفطرة فليس فيه مايمنع المسلم ان يظهر كل مايميل اليه استعداده من الحق والخير ولا سيما اذا تعدى نفعه ، وكان فيه قدوة لغيره ، الخ

بعد هذا افتتح رياض باشا الاكتتاب بمئة جنيه وتبرع الشيخ قاسم آل ابراهيم

نزيل مصر بمئة جنيه وتبرع غيرهما من الاغنياء بما دون ذلك من الآحاد والعشرات الى الخمسين وكان مجموع التبرعات في تلك الجلسة زهاء ست مئة جنيه وستبلغ الالوف في وقت قريب ان شاء الله تعالى

﴿ قانون الازهر في مجلس الشورى ﴾

« والاحتفال بالمناقشين فيه »

سبق لنا ذكر قانون الأزهر الجديد ، وقد نظر فيه مجلس الشورى ونقح بعض مواده وأقر اكثرها . وقد كان من رأي محمود باشا سليمان رئيس حزب الامة وعلي شعراوي باشا وفتح الله بك بركات واحمد بك حبيب ان لا يكون حق تعيين شيخ الازهر للخديو واقترحوا ان يكون بالانتخاب والا يعزل ، وكذلك انكروا ان ينعقد مجلس الازهر الأعلى برياسة الخديو عند الاقتضاء ، وكانت المناقشة في المادتين الناطقتين بهذين الحكمين شديدة في المجلس وكان أشد المعارضين لهؤلاء في رأيهم محمد باشا الشواربي وكيل مجلس الشورى

رأى حزب الامة هذه المناقشة فرصة لتأسيس حزب شعبي في المجلس يسميه الحزب الديمقراطي أو الحزب الحر يكون ابطاله هم الذين اقترحوا ان ينتخب كبار علماء الازهر الشيخ له فلا يكون للامير تعيين من شاء ولا عزل الشيخ الذي يختاره العلماء وان يكون شيخ الازهر هو رئيس المجلس الاعلى دائما . فأطلقوا على الاعضاء الخمسة اسم الحزب الديمقراطي الحر ودعوا كثيراً من الوجهاء الى حفلة شاي في فندق « كونتيننتال » إكراماً لهم حضرها زهاء مئتي نسمة وألقيت فيها الخطب في المعنى المقصود

عبرت الجرائد عن هؤلاء بحزب الاقلية وقد قابلهم حزب الاكثرية باحتفال آخر كان الداعي اليه حسن باشا زايد باسمه ونيابته عن جمهور من سراة القطر المصري . أقيم هذا الاحتفال في فندق (سفواي) وأجاب الدعوة اليه قاضي مصر وشيخ الازهر وكبار علمائه وزهاء مئة وخمسين رجلا من وجهاء القطر ورجال الصحافة الوطنيين والاجانب وكنت ممن دعي من الصحافيين وان لم أبد رأياً ولم أكتب كلة في موضوع الخلاف . ونصبت للمدعوين موائد الطعام وبعد الفراغ من العشاء قام في القوم الشيخ حسن السرهويتي من علماء المنوفية فشكر الحاضرين بالنيابة عن حسن باشا زايد . ثم خطب في المعنى المقصود سيف النصر باشا وحسين بك هلال وموسيو كولرا محرر

القسم الفرنسي من جريدة الأجبت ومستر منسفيلد محرر القسم الانكليزي فيها . ثم الشيخ علي يوسف مدير المؤيد وموسى باشا غالب

هؤلاء هم الخطباء الذين كانوا مدعوين للخطابة ثم اقترح الشيخ علي يوسف على فارس افندي نمر أحد أصحاب المقطم ان يقول شيئا فتكلم بعد الشكر لحسن باشا زايد كلاما وجيزاً في الاتفاق بين أهل القطر وقال انه لا يحق له ان يتعرض لمسائل الاحزاب وانه يوافق موسيو كولرا على رأيه الذي أبداه وهو استحسان ما جاهر به الفريقان من المختلفين في الرأي في قانون الازهر وهو جعل مقام الجناب الخديوي فوق الاحزاب

ثم اقترح عليّ الشيخ علي يوسف ان أتكلم بعد ان سألني هل يوجد عندي مانع من الكلام فقلت لا . وهذا ما وعيته من خطابي

أيها العلماء الاعلام . أيها السراة والفضلاء الكرام

انني بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله أقول كلة في حالتنا العامة الآن تعلمون اننا الآن في دور انقلاب ودور انتقال من حال الى حال . وفي هذا الطور تكون الامم على خطر اذا هي طفرت الى التقدم طفوراً ولم تسر على سنن الكون بالتدريج فان ضرر التحول السريع ولو من حال الى أعلى منها ضرره أكبر من نفعه والخوف منه أقوى من الرجاء فيه

في هذا الطور يكثر المقلدون الذين يميلون الى اقتباس ما عند الشعوب القوية من خير وشر وحسن وقبيح . وفيه تكثر الاقتراحات التي تمكن تنفيذها والتي لا تمكن تنفيذها فكل ما نسمعه بمصر من طلب تغيير القديم طبيعي لابد منه . يطلبون الدستور ولهم ان يطلبوه ولكن الوصول الى المطلوب انما يكون بالسير على سنن الكون التدريجية كذلك ميل الكثيرين الى المحافظة على القديم طبيعي ولا بد منه في هذا الطور سواء كان ذلك لتفضيل القديم على الجديد أو للعلم بعدم امكان الجديد أو بعدم مجيء وقته لعدم استعداد الامة له

لا ترتقي الامم الا بطلب استبدال ما هو أدنى من قديمها بالذي هو خير منه ولو مقتبساً من غيرها . ولا تبقى الامم الا بالمحافظة على قديمها والتريث في التحول عن الضار منه حتى لا يكون طفرة تخشى عاقبتها . وان هذه البلاد سائرة على طريق التحول بالتدريج والخطر عليها عظيم من العجلة والطفور ولكنه لا يقع ان شاء الله تعالى

أمامنا مثال ظاهر على هذا وهو الجامع الازهر . كان هذا المعهد العلمي العظيم الى عهد قريب كأنه بمعزل عن سائر طبقات الامة يجري أهله فيه على ما تعودوا من

طرق التعليم بغير نظام مدون ولا قانون متبع ولم يكن أحد يعرف طريقتهم وحالهم الامن جاورفيه معهم . وقد وضع له في هذا العصر عدة قوانين كان كل منها مناسباً للوقت الذي وضع فيه كما تقتضي سنة التدريج في التحول . حتى وصلنا الى الحالة التي نحن فيها اليوم

ها انتم اولاء ترون امامكم في هذا الفندق المدني العصري أكابر علماء الازهر الاعلام يحضرون احتفالا جمع بين الكثيرين من طبقات الامة المختلفين في الدين والجنس وبعض الافراد من الاجانب ، وقد عقد هذا الاحتفال لاجل الازهر فانه احتفال بالذين اقروا قانون الازهر الجديد الذي هو أوسع وأعلى من قوانينه السابقة

أليست هذه خطوة واسعة في التحول عن القديم الى الجديد تكاد تكون وثبة غير تدريجية ؟، أليس وجود هؤلاء العلماء الاعلام بينكم وهم الذين يعد امثالهم في كل الامم اقوى المحافظين على القديم آية من آيات الاستعداد لما يسمونه الديموقراطية في لغة أهل السياسة ؟

لاأقول ان قانون الازهر الجديد الذى تحتفلون بتقرير مجلس الشورى له هو منتهى الكمال المطلوب لهذا الجامع ولكنه اذا تيسر تنفيذه يكون من الارتقاء التدريجي المطلوب بل أخشى أن يكون فوق التدريجي

قلت انه يخشى على الامة في طور الانتقال من التحول السريع ولكنها اذا تركت الى سنن الكون ونواميسه في الترجيح بين طلاب الجديد والمحافظين على القديم فانها تسلك طريق التدريج الذي لاخطر فيه وانما يكون التحول الفجائي بالقوة القاهرة التي يلجأ اليها طلاب الجديد في بعض الامم وهذه القوة غير موجودة في مصر فلا خطر على هذه البلاد من طلب مالا حاجة اليه ولا من طلب الشيء قبل اوانه فعلينا اذاً ان نحترم حرية رأي غيرنا كما نحب ان يحترم رأينا ولكننا نجتهد في تنفيذ ماتراه نحن هو الاصلح

هذه كلمتي الاولى في هذا المقام ولي كلمة اخرى في هذا الاحتفال والاحتفال الذي قبله قال الاستاذ الشيخ علي يوسف في خطبته انه بدأ بالشكر للذين احتفلوا بالعدد القليل من أعضاء مجلس الشورى لانه كان سبب الاحتفال بالجمهور الكثير من أعضائه وقال ان المجلس حصل فيه وكذا في الجمعية العمومية خلافات كثيرة في مسائل أهم من المواد التي اختلفوا فيها اخيراً من قانون الازهر وأدل على الشجاعة الادبية ولم يكن أحد يحتفل بالمخالفين لرغبة الحكومة ولا بالموافقين

وانا اشاركه في الشكر لهؤلاء واولئك المحتفلين واعده من آيات ارتقاء هذه

البلاد وأعمالها النافعة ، انا لم نكن نبالي من قبل بالامور العامة والآن صرنا نبالي بها ، ان اجتماع العدد الكثير من طبقات الامة في محفل واحد لاجل المصلحة العامة يرى بعضهم وجوه بعض ويسمع بعضهم حديث بعض – هذا الاجتماع يقوي في نفوسهم حب المصلحة العامة والاهتمام بها والحديث فيها ويسري ذلك منهم الى غيرهم فيكون وسيلة الى انتشاره في الامة كلها وذلك من اسباب الارتقاء السريع الذي لاخطر فيه

حق لي بعد هذا البيان ان اشكر لحسن باشا زايد واخوانه العناية بهذا الاحتفال النافع . سمعت انه قيل ان حسن باشا زايد لم يتعلم في الازهر ولا في غيره من المدارس العالية أو غير العالية فيعرف صواب الرأي في قانون الازهر فيحتفل لاجله عن بصيرة . وأنا أقول ان الامم لاترتقي بالمتعلمين في المدارس وحدهم . ان عماد ارتقاء الامم هم أصحاب المواهب الفطرية والاستعداد العالي الذي يزجي هممهم للقيام بالمصالح العامة . حسن باشا زايد لم يتعلم في المدارس ولكنه باستعداده الطبيعي ومواهبه الفطرية يدبر ثروة واسعة وينفق منها على المصالح العامة كالجامعة المصرية ومؤتمر تحسين العميان وغير ذلك

لو تعلم حسن باشا زايد في المدارس العالية ونال شهادتها والقابها وهو عاطل من هذه الحلية الفطرية لكان لنا منه واحد من المتعلمين الكثيرين الذين لاحظ لامتهم منهم غير شقشقة اللسان وتنميق الكلام . ولكن حسن باشا زايد يعلم الان بماله كثيراً من النابتة فهو اذاً ليس فرداً متعلماً ولكنه أمة معلمة ؛

التعليم يحتاج الى المال وانما يكون ارتقاء الامة بالاغنياء الذين يبذلون أموالهم لترقية الامة ورفعة شأنها لا بالذين يدعون خدمتها بالقول فقط . أولئك الباذلون المحسنون هم زعماء الامة ومربوها ، فنسأل الله ان يكثر فينا من أمثالهم

﴿ عقد قران صاحب المنار ﴾

في يوم الجمعة سادس عشر ربيع الاول الانور احتفل في (ددّه) من اعمال الكورة الشمالية بجبل لبنان بالعقد لصاحب المنار على الاميرة (امينة) كريمة المرحوم الامير (هدى) درويش الايوبي والامراء الايوبية كانوا حكام هذا القسم الشمالي من كورة لبنان وهم ينتسبون الى السلطان صلاح الدين الايوبي . وكان وكيلي في العقد شقيقي السيد حسين ووكيل الفتاة شقيقها الامير احمد هدى . وتولى صيغة العقد الاستاذ السيد الشيخ عبد الفتاح الزعبي الجيلاني نقيب الاشراف في

طرابلس الشام وحضر الاحتفال كبار العلماء والوجهاء والسادة من طرابلس والقلمون والكورة . وكان الاحتفال ارقى ما عهد من نوعه . وقد نصبت فيه موائد الطعام للمئين من المدعوين ، وادبرت كؤوس المرطبات على جماهير الحاضرين ، وتوفرت فيه اسباب السرور فلم يشب صفوها كدر على كثرة الشبان الذين يحملون السلاح من أهل القريتين وغيرهما ، وقد طير البرق خبره الى مصر في حينه فنشر في الجرائد الكبرى كالمؤيد والمقطم والاهرام . فنسأل الله التوفيق في هذا الطور الجديد من الحياة

﴿ الوطنية والاسلام ﴾

نشرت جريدة (العلم) لسان حال الحزب الوطني بمصر في (ع ٢٧٩ الذي صدر في ١١ ربيع الآخر) ترجمة كلام لمجلة (العالم الاسلامي) الفرنسية التي تصدر بباريس ذكر صاحبه الحركة الوطنية المصرية وعزاها الى مصطفى كامل باشا وخطأها بمثل قوله « وانما كنا نعتقد فقط بأن ارتباط الاسلام بالنهضات الوطنية يكون سبباً لتشتيته وانقسامه على نفسه فيفقد القوة التي اكتسبتها اياه (؟) مدنيته العمرانية ونحن نهنىء مصر الاسلامية المولعة بالتقدم والرقي العقلي والاجتماعي وننتظر لها مستقبلا سياسياً باهراً بحيث تسترد مركزها الاسلامي وذلك بناء على انتشار الحركة الاسلامية لا الحركة الوطنية المقيدة في دائرة من الدوائر

« واننا مع عدم انكار الخدمات العظمى التي قام بها الحزب الوطني للامة المصرية نخاف ان يسير بها في مأزق ضيق لانه لم يتبع الطريق الذي نراه صالحا » اه المراد بنص ترجمة جريدة العلم الركيكة

وقد عقبت جريدة العلم على ذلك بهذه الجملة « يريد الكاتب ان يقول بأن الحزب الوطني اخطأ في عدم جعل الدين قاعدة لحركته والجامعة الاسلامية وسيلة لتحقيق مقاصده وهذا هو مبدأ المجلة (أي مجلة العالم الاسلامي) التي نعرب عنها مقال اليوم كما اشرنا الى ذلك سلفاً وهو ما لا نوافق عليه »

(المنار) ان صاحب مجلة العالم الاسلامي لم يذكر الجامعة الاسلامية وانما يعني ان مصر لا ترتقي الا بارتقاء المسلمين الذين هم السواد الاعظم بحركة إصلاح اسلامية لا بدعوة وطنية والحزب الوطني على خلاف ذلك فانه يفضل الحركة الوطنية على الاسلامية

ويقال ان بعض اصحاب النفوذ في الحزب الوطني سيظهرون الميل الى الاتحاد بالقبط وعدم مؤاخذتهم على ما كان منهم . ولا غرو فالوطنية الصحيحة التي لا شائبة للدين فيها تقتضي ان لا يمتاز وطني على وطني بسبب دينه فاذا قصرت القبط في حقوق الوطنية بتفضيل القبطي على غيره فذلك لا يقتضي ان يعاملهم زعماء الوطنية من المسلمين بعملهم لان الزعيم قدوة في الايثار . ويجب على القبط ان لا يعودوا بعد الى مثل ما كانوا عليه من التحامل على الحزب الوطني فانه كان في هذه الايام اقرب اليهم من سائر الاحزاب ولم يرفع صوته الجهوري المعروف في الدعوة الى المؤتمر الاسلامي بل جارى سائر الاحزاب بقدر الضرورة

﴿ رأي مجلة الشرق والغرب ﴾

(في جماعة الدعوة والارشاد)

لدعاة النصرانية عدة صحف في مصر منها مجلة الشرق والغرب لقسوس الانكليز، ويكنون بالشرق عن الاسلام وبالغرب عن النصرانية . وقد بلغني أن رأس مال هذه المجلة الصغيرة ستة آلاف جنيه وهي من تبرعات الانكليز الحريصين على نشر دينهم ومذهبهم في هذه البلاد فهل يعتبر بذلك المسلمون

هذه المجلة أقرب الى الادب من اخواتها وقد أرسلنا اليها النظام الاساسي لجماعة الدعوة والارشاد ، فكتب أصحابها عنه خيراً مما كتبه بعض المسلمين الذين يدعون السبق في خدمة دينهم ، كتبوا ما معناه ان الدين الحي لابد له من الدعوة وانه لا يسوءهم ان يدعو المسلمون الى دينهم ، وأنه أعجبهم من نظام الجماعة عدم الاشتغال بالسياسة ، وهنا أدخلت المجلة شيئا من التعريض الذي يغري الاوربيين بمقاومتنا فقالت انهم لا يستطيعون ان يفهموا ان شيئاً في الاسلام يخلو من السياسة لان الاسلام مزج بينهما

ونحن نجيب عن هذه التهمة التعريضية بجواب بديهي ونرجو من إنصاف أهل هذه المجلة نشره بالعربية والانكليزية كما نشروا الشبهة وهو

اننا نعترف بأن السياسة في الاسلام قرينة الدين بمعنى ان الاسلام جاء بأحكام دينية وأحكام دنيوية سياسية ومدنية، ولكنه فرق بين الاحكام الدينية المحضة وغيرها، ومن أحكامه ان المعاملات الدنيوية تكون عبادة دينية باخلاص صاحبها وتحريه الحق والعدل والمصلحة كما يكون عاصياً بضد ذلك . فحكام المسلمين مأمورون بمراعاة أحكام

الدين فيها فاذا فعلوا يكونون أقرب الى الحق والعدل ، ويجب عليهم حفظ الاسلام والدعوة اليه فالسياسة اذاً تستلزم الدين في الاسلام

واما القسم الديني المحض من الاسلام فلا يحتاج فيه الى الساسة بل لا يكون اتقانه والاخلاص فيه الا بتركها ، فالذي يشتغل بالعقائد الاسلامية واقامة الدلائل عليها ورفع الشبهات عنها ، وبآداب الاسلام واخلاقه وعباداته علماً وعملا وتعليما ودعوة اليها ودفاعا عنها ، لا ينبغي ان يشتغل بالسياسة ولا لاجل السياسة بل الواجب عليه شرعا ان يعمل ذلك لوجه الله وابتغاء مرضاته بالتقوى والهداية فاذا قصد مع ذلك التقرب من الحكام أو ارضاءهم كان مرائياً مذموماً واذا عمل لاجل السياسة فقط كان عمله معصية لا طاعة وكان مستحقاً للعقاب عليه دون الثواب ، وقد اطلق في الكتاب والسنة اسم الشرك على مثل هذا الرياء

فجماعة الدعوة والارشاد تريد ان تخدم الاسلام من حيث هو دين جاء لهداية الناس وارشادهم الى ما فيه سعادتهم في الدنيا بالتقوى والفضيلة والخير والبر وسعادتهم في الآخرة بالنجاة من عذاب الله والدخول في دار كرامته ورضوانه . ولا تريد مطلقاً ان تشتغل بالقسم السياسي ولا القضائي منه فلا تقصد ان تعد طلاب مدرستها للقضاء الشرعي ولا للأعمال السياسية وانما تريد ان تعدهم لارشاد عامة المسلمين الى حقيقة دينهم ودعوة غير المسلمين الى الاسلام من غير تعرض لحكوماتهم ألبتة . اليس هذا مما يسهل على كل أحد ان يفهمه ؟ كان الصالحون من سلف الامة والصوفية أبعد خلق الله عن السياسة وأهلها حتى انهم كانوا يفرون من الحكام ويكرهون لقاءهم الا لحاجة دينية كالحث على الخير والأمر بالمعروف والنهي المنكر ، فهل يضيق فكر الاوربيين الواسع عن التصديق باتباع جماعة من المسلمين لسلفهم الصالح في الدين الخالص من شوائب السياسة واهواء الحكام ، مع وجود ذلك في جميع الامم والاقوام ؟

﴿ المؤتمر المصري ﴾

اقترحنا على المؤتمر المصري أن يكون له خمس لجان دائمة في المركز العام بالقاهرة: لجنة للادارة ولجنة للتعليم والتربية ولجنة للوعظ والارشاد واصلاح حال العامة في دينها ودنياها ولجنة مالية اقتصادية لحفظ الثروة وتنميتها ، ولجنة خيرية لاعانة المنكوبين والمعوزين . وبينا كيفية تأليف هذه اللجان وعملها وسننشر ذلك في الجزء الآتي

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿مصر — السبت ٣٠ ربيع الآخر ١٣٢٩ — ٢٩ ابريل (نيسان) سنة ١٢٨٩ هـ ١٩١١م﴾

باب تفسير القران الحكيم

مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٧٠ : ٧٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا
جَمِيعًا (٧١ : ٧٣) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ
قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢ : ٧٤) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ
مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا

الاستاذ الامام : الكلام من اول السورة الى قوله تعالى (واعبدوا الله ولا

تشركوا به شيئاً) في موضوع خاص وهو ما يكون بين الاهل والاقارب والازواج واليتامى من المعاملات المالية والمصاهرة والإرث . والآيات من قوله (واعبدوا الله) الآية الى هنا في مطالبة المؤمنين بالاخلاص في العبادة وحسن المعاملة بين الاقربين واليتامى والمساكين والجيران والاصحاب والارقاء وسائر الناس، واحكام بعض العبادات و بيان ما فيها من تثبيت النفس على الصدق في المعاملة ،وضرب لهم فيها مثل اليهود الذين كان لهم كتاب يهتدون به ونهاهم ان يكونوا مثلهم وعلمهم كيف يعملون بأمرهم برد الامانات الى أهلها والحكم بالعدل وطاعة الله ورسوله واولي الامر منهم وردّ ما يتنازعون فيه الى الله ورسوله . وأكد امر طاعة الرسول وبين حال المنافقين الذين يريدون التحاكم الى الطاغوت . ولاشك ان المسلمين اذا عملوا بهذه الاحكام صلح حالهم فيما بينهم واستقامت أمورهم وصاروا متحدين متعاونين على الاعمال النافعة وحفظ الجامعة ووثق بعضهم ببعض فى التعاون على مصالحهم والدفاع عن حقيقتهم ، فالغرض من هذه الوصايا انتظام شمل المسلمين وصلاح أمورهم الخاصة والعامة

بعد بيان هذا أراد الله تعالى ان يوجه المسلمين الى امر آخر يلي اجتماعهم على عقيدة واحدة ومصلحة واحدة وانتظام شؤونهم وصلاح حالهم وهو ما يتم لهم به الأمن وحسن الحال بالنسبة الى غيرهم . وذلك انه كان للمسلمين عند التنزيل اعداء يناصبونهم ويفتنونهم في دينهم ، والانسان لا يتم له نظام في معيشته ولا هناء ولا راحة إلا بالأمنين كليهما الأمن الداخلي والأمن الخارجي: فلما ارشدنا الله الى ما به امننا الداخلي ارشدنا الى ما به امننا مع الخارجين عنا المخالفين لنا في ديننا، وذلك إما بمعاهدات تكون بيننا و بينهم نطمئن بها على ديننا وانفسنا ومصالحنا واما باتقاء شرهم بالقوة ، وهذه الآيات في بيان ذلك وهي كثيرة كما يأتي

أقول كان الاظهر عندي أن يقال ان الله تعالى لما بين لنا أصل الحكومة الاسلامية فى آية الامانات والعدل، وقوله (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) الخ بعد ما بين لنا في هذه السورة كثيرا من مهمات الاحكام الدينية والشخصية والمدنية (كما يقال في عرف هذا العصر) وشدد النكير

على من يرغب عن حكم الرسول الى حكم غيره من أهل الطغيان ، شرع يبين لنا بعض الاحكام الحربية والسياسية ويبين لنا الطريق الذي نسير عليه في حفظ ملتنا وحكومتنا من الاعداء الذين يعتدون علينا فقال

﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ قال الراغب الحذر (بالتحريك) احتراز عن مخيف وقال عز وجل خذوا حذركم أي ما فيه الحذَر من السلاح وغيره. اه وظاهره التفرقة بين الحذر بالتحريك والحذر بكسر فسكون وفي لسان العرب ان الحذر والحذر الخيفة. ومن خاف شيئاً اتقاه بالاحتراس من اسبابه قال في الاساس : رجل حذر متيقظ محترز وحاذر مستعد . وقال الرازي: الحذر والحذر بمعنى واحد كالإثر والأثر والمثل والمثل يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من الخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه والمعنى احذروا واحترزوا من العدوّ ولا تمكنوه من انفسكم هذا ما ذكره صاحب الكشاف . ثم نقل عن الواحدي فيه قولين أحدهما انه السلاح والثانية ان المعنى احذروا عدوكم والتحقيق ما قدمناه وهو ان الحذر الخيفة و يلزمه الاحتراز والاستعداد

الأستاذ الامام : الحذر والحذر الاحتراس والاستعداد لاتقاء شر العدوّ وذلك بأن نعرف حال العدوّ ومبلغ استعداده وقوته واذا كان الاعداء متعددين فلا بد في أخذ الحذر من معرفة ما بينهم من الوفاق والخلاف و بأن تعرف الوسائل لمقاومتهم اذا هجموا، وأن يعمل بتلك الوسائل . فهذه ثلاثة لا بد منها، وذلك ان العدو اذا أنس غرة منا هاجمنا واذا لم يهاجمنا بالفعل كنا دائما مهددين منه ، فان لم نهدد في نفس ديارنا كنا مهددين في أطرافها ، فاذا أقمنا ديننا أو دعونا اليه عند حدود العدوّ فانه لابد أن يعارضنا في ذلك واذا احتجنا الى السفر الى أرضه كنا على خطر . وكل هذا يدخل في قوله «خذوا حذركم » كما قال في آية أخرى «وأعدوا لهم ما استطعتم» الخ وعلى النفوس المستعدة للفهم ان تبحث في كل ما يتوقف عليه امتثال الامر من علم وعمل

ويدخل في معرفة العدو معرفة أرضه و بلاده طرقها ومضايقها وجبالها وأنهارها فاننا اذا اضطررنا في تأديبه الى دخول بلاده فدخلناها ونحن جاهلون لها كنا على خطر، وفي أمثال العرب « قتلت أرض جاهلها » وتجب معرفة مثل ذلك من أرضنا بالاولى حتى اذا هاجمنا فيها لا يكون أعلم بها منا

ويدخل في الاستعداد والحذر معرفة الاسلحة واتخاذها واستعمالها فاذا كان ذلك يتوقف على معرفة الهندسة والكيمياء والطبيعة وجر الاثقال فجب تحصيل كل ذلك كما هو الشأن في هذه الايام ، ذلك انه اطلق الحذر . أي ولا يتحقق الامتثال الا بما تتحقق به الوقاية والاحتراز في كل زمن بحسبه . يريد رحمه الله تعالى انه يجب على المسلمين في هذا الزمان اتخاذ أهبة الحرب المستعملة فيه من المدافع بأنواعها والبنادق والبوارج المدرعة وغير ذلك من أنواع السلاح وآلات الهدم والبناء وكذلك المناطيد الهوائية والطيارات . وانه يجب تحصيل العلم بصنع هذه الاسلحة والآلات وغيرها وما يلزم لها ، والعلم بسائر الفنون والاعمال الحربية وهي تتوقف على ما أشار اليه من العلوم الأخر

(قال) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم عارفين بأرض عدوهم ، وكان للنبي (ص) عيون وجواسيس في مكة يأتونه بالاخبار ولما أخبروه بنقض قريش العهد استعد لفتح مكة . ولما جاء أبو سفيان لتجديد العهد لظنه انهم لم يعلموا بنكثهم لم يفلح وكان جواب النبي (ص) والصحابة له واحدا. وقال أبو بكر لخالد يوم حرب اليمامة : حاربهم بمثل مايحاربونك به السيف بالسيف والرمح بالرمح . وهذه كلمة جليلة، فالقول وعمل النبي وأصحابه كل ذلك دال على أن الاستعداد يختلف باختلاف حال العدو وقوته

أقول تعرض الرازي هنا لمسألة القدر وما عسى أن يقال من عدم نفع الحذر وكونه عبثا (قال) : وعنه قال عليه الصلاة والسلام « المقدر كائن والهم فضل » وقيل أيضا « الحذر لا يغني من القدر » فنقول ان صح هذا الكلام بطل القول بالشرائع فانه يقال اذا كان الانسان من أهل السعادة في قضاء الله وقدره فلا حاجة الى الايمان وان كان من أهل الشقاوة لم ينفعه الايمان والطاعة. فهذا يفضي الى سقوط التكليف بالكلية . والتحقيق في الجواب انه لما كان الكل بقدر كان الامر بالحذر ايضا داخلا في القدر فكان قول القائل « أي فائدة في الحذر » كلاما متناقضا لانه لما كان الحذر مقدرا فأي فائدة في هذا السؤال الطاعن في الحذر اه كلام الرازي

أقول ان المسلمين قد ابتلوا بمسألة القدر كما ابتلي بها من قبلهم وقد شفي غيرهم من سم الجهل بحقيقتها فلم يعد مانعا لهم من استعمال مواهبهم في ترقية أنفسهم وأمتهم ولما يشف المسلمون . وقد كشفنا الغطاء عن وجه المسألة غير مرة ولم نر بدا مع ذلك من العود اليها في أمثال هذا الموضع لا لان مثل الرازي ذكرها بل لان المسلمين امسوا اقل الناس حذرا من الاعداء حتى ان أكثر بلادهم ذهبت من أيديهم وهم لا يتوبون ولا يذكرون ، ولا يتدبرون أمر الله في هذه الآية وما في معناها ولا يمتثلون ، ثم إنك اذا ذكرتهم يسلون في وجهك كلمة القدر ومثل الحديثين اللذين ذكرهما الرازي

أما حديث المقدور كائن فلا أذكر انني رأيته في كتب المحدثين بهذا اللفظ ولكن روى البيهقي في الشعب والقدر مرفوعا « لا تكثر همك ماقدر يكن وماترزق يأتك » وهو ضعيف . وأما الحديث الثاني الذي عبر عنه بقوله « وقيل ايضا » فقد رواه الحاكم عن عائشة وصححه وما أراه يصح وتساهل الحاكم في تصحيح بعض الضعاف بل الموضوعات معروف ، والرازي ليس من رجال الحديث ولكنه رأى بالعقل انه يخالف الآية او مضعف من تأثير الامر فيها ، وكيف يقول الله « خذوا حذركم » ويقول رسوله ان الحذر لا ينفع لان العبرة بالقدر الذي لا يتغير

واني على استبعادي لصحة الحديث وميلي الى انه من وضع المفسدين الذين أفسدوا بأس الامة بأمثال هذه الاحاديث أقول انه لا يناقض الآية فان الله أمرنا بالحذر لتدفع عنا شر الاعداء وتحفظ حقيقتنا لا لندفع القدر ونبطله ، والقدر عبارة عن جريان الامور بنظام تأتي فيه الاسباب على قدر المسببات ، والحذر من جملة الاسباب فهو عمل بمقتضى القدر لا بما يضاده

ثم فرع على أخذ الحذر ماهو الغاية له والمقصد منه او المتمم له فقال

﴿ فانفروا ثبات او انفروا جميعا ﴾ (النفر) الانزعاج عن الشيء والى الشيء كالفزع عن الشيء والى الشيء كما قال الراغب ومن الاول (١٧ : ٤١ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا) وهم انما ينفرون عن القرآن لا اليه ومن

الثاني النفر الى الحرب وفيه آيات . وكانوا اذا استنفروا الناس للحرب يقولون النفير النفير . (والثبات) جمع ثبة بضم ففتح وهي الجماعة المنفردة ، والمعنى فانفروا جماعة في اثر جماعة بأن تكونوا فصائل وفرقا وهو الذي يتعين اذا كان الجيش كثيرا أو كان موقع العدوّ يقتضي ذلك وهو الغالب ، أو انفروا كلكم مجتمعين اذا قضت الحال بذلك ، أو المعنى فانفروا سرايا وطوائف على قدر الحاجة اونفيرا عاما ، ويجب هذا اذا دخل العدوّ ارضنا كما قال الفقهاء

الاستاذ الامام : النفر مستعمل في الخروج الى الحرب وثبات جماعات ولا تتقيد الجماعة بعدد معين . وجميعا يراد به جميع المؤمنين على الاطلاق وهذا على حسب حال العدو . وان اخذ الحذر ليشمل مع ما تقدم كيفية سوق الجيش وقيادته وهو النفر. ولما كان هذا مما قد يتساهل فيه خصه بالذكر فأمر به بهذا التفصيل ولو لم يصرح به لكان الاجتهاد في أخذ الحذر مما قد يقف دونه فلا يصل اليه ، وهو ان النفر على حسب الحاجة الى مقاومة العدوّ وهو ان يرسل الجيش جماعات وفرقا كما عليه العمل حتى الآن ، فاذا احتيج في المقاومة الى نفر جميع افراد الامة وخروجهم للجهاد وجب وهو قوله « أو انفروا جميعا » وليس المراد ان يكون النفر على كيفيتين الاولى ان يقسم الجيش الي فرق وسرايا والثانية ان يسير خميسا واحدا ، ليس هذا هو المراد وانما المراد الاول .

(قال) ويتوقف امتثال هذا الامر على ان تكون الامة كلها مستعدة دائما للجهاد بأن يتعلم كل فرد من افرادها فنون الحرب ويتمرنوا عليها بالعمل فيظهران المعافاة من الخدمة العسكرية ليست شرفا بل هي اباحة لترك ما اوجبه الله في كتابه. أقول ويدخل فيه اقتناء السلاح مع العلم بكيفية استعماله والتمرن على الرمي بالمدافع وبندق الرصاص في هذا الزمان ، كما كانوا يتمرنون على رمي السهام ، وقد قصر المسلمون في هذا وسبقهم اليه من يعيبونهم بأنهم أمة حربية ، فصارت امة السلام بدعواها قدوة لامة الحرب في الحرب وآلاته . فيجب على الحكومة الاسلامية ان تقيم هذا الواجب بنفسها لاان تبقى فيه عالة على غيرها ، ويجب على الامة ان تواتيها وتساعدها عليه ، وان تلزمها إياه اذا هي قصرت فيه

﴿ وان منكم لمن ليبطئن ﴾ الخطاب لجموع المؤمنين في الظاهر وفيهم المنافقون وضعاف الايمان والجبناء وهم الاقل فالمنافقون يرغبون عن الحرب لانهم لا يحبون بقاء الاسلام وأهله فيدافعوا عنه ويحموا بيضته ، فكان هؤلاء يبطئون عن القتال ويبطئون غيرهم عن النفر اليه ، والآخرون يبطئون بأنفسهم فقط . والتبطيء يطلق على الإبطاء وعلى الحمل على البطء معا ، والبطء التأخر عن الانبعاث في السير .

قال الاستاذ أي يبطيء هو عن السير إبطاء لضعف في إيمانه والإتيان بصيغة التشديد للمبالغة في الفعل وتكراره وليس معناه ان يحمل غيره على البطء فان الخطاب للمؤمنين وهذا لا يصدر عن مؤمن . ويقال في اللغة « بطأ » بالتشديد (لازم) بمعنى أبطأ

وقد شرح الله حال هذا القسم من الضعفاء توبيخا لهم وإزعاجا الى تطهير نفوسهم وتزكيتها فقال

﴿ فان أصابتكم مصيبة قال قد انعم الله عليّ اذ لم أكن معهم شهيدا ﴾ فشكره الله على عدم شهوده لتلك الحرب دليل على ايمانه ﴿ ولئن اصابكم فضل من الله ﴾ كالظفر والغنيمة ﴿ ليقولن ـ كان لم تكن بينكم وبينه مودة ـ ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ﴾ أي ليقولن قول من ليس منكم ، ولا جمعته مودة بكم ، ياليتني كنت معهم فافوز بذلك الفضل فوزهم ، فهو قد نسي أنه كان أخالكم ، وكان من شأنه ان يخرج معكم ، وما منعه أن يخرج الا ضعف إيمانه ، ثم ان تمنيه بعد الظفر أو الغنيمة لو كان معكم دليل على ضعف عقله وكونه ممن يشرون الحياة الدنيا بالآخرة وهم الذين تشير اليهم الآية التالية

هذا ما اختاره الاستاذ الامام في الآية وهو أحد قولين للمفسرين رجحوه بكون الخطاب للذين آمنوا ثم بقوله « وان منكم » ولم يقل فيكم و بما في معناه من قوله « يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض » والقول الثاني ان هؤلاء المبطئين هم المنافقون لان هذه الصفات لا تكون الا لهم فان المؤمن مهما كان ضعيف الايمان لا يقول هذا القول عند مصيبة المؤمنين ولا يعد

من نعم الله عليه انه لم يكن معهم شهيدا ، بل يستحي من الله عز وجل ويلوم نفسه أن أطاعت داعي الجبن ويستغفر ربه من ذلك ، ولا يكون شديد الشره والحرص على المشاركة في الفوز والغنيمة . فالآية في المنافقين سواء كان التبطيء فيها لازما بمعنى الابطاء أو متعديا بمعنى حمل الناس عليه ، وقد اسند الله تعالى كلا المعنيين الى المنافقين في عدة آيات ، والظاهر هنا معنى الإبطاء عن الخروج اذلو بطأ غيره وخرج هو لكان قد شهد الحرب فلا معنى لسروره اذا اصيبوا ، ولا لتمنيه لو كان معهم اذا ظفروا ، ويصح ان يقال ان من أبطأ يبطئ غيره بإبطائه اذيكون قدوة رديئة لمثله من منافق أو جبان، ويبطئه ايضا بقوله حتى لاينفردبهذا الذنب، فان الفضيحة والمؤاخذة على المنفرد اشد ، واذا كثر المذنبون يتعسر أو يتعذر عقابهم ولاجل هذا تتألف العصابات في هذا الزمان للاعمال التي يعاقب عليها الحكام ، ولفظ التبطيء يدل على كونه يبطئ غيره بسبب إبطائه ، فهو أبلغ من غيره

واجاب هؤلاء الذين اختاروا ان المبطئ هو المنافق عن جعله من المؤمنين بقوله تعالى « منكم » والخطاب للمؤمنين بأنه منهم بالزعم والدعوى أو في الظاهر دون الباطن لانه كان يعامل معاملة المؤمنين وتجري عليه أحكامهم،وزاد بعضهم وجها ثالثاوهو انه منهم في الجنس والنسب والاختلاط ، وليس بشيء .

يجزم هؤلاء بأن الايمان ينافي ما ذكرمن التبطيء عن القتال بكل من معنييه مع ذينك القولين عند المصيبة ، وعند الظفر والغنيمة ، فان من يبطئ ويقول ذلك لا يكون له هم ولا عناية بأمر دينه ، وإنما اكبر همه شهواته وربحه من الدين ، حتى انه يعد مصيبة المسلمين نعمة اذا لم يصبه سهم منها . فليحاسب المسلمون في هذا الزمان أنفسهم ، وليزنوا بهذه الآيات إيمانهم ،

ثم ان قوله تعالى « كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة » جملة معترضة بين القول ومقوله، وذكر المودة هنا نكرة منفية في سياق التشبيه في أوج البلاغة الاعلى فهي كلمة لاتدرك شأوها كلمة أخرى ولا تنتهي الى غورها في التأثير . ذلك بأن قائل ذلك القول الذي لايقوله من كان بينه و بين المؤمنين مودة ما معدود من المؤمنين الذين هم بنص كتاب الله أخوة بعضهم أولياء بعض ، و بنص حديث رسول الله تتكافأ دماؤهم ، ويجير

عليهم أدناهم ، وهم كأعضاء الجسم الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضا ، فاذا كان هذا مكان كل مؤمن من سائر المؤمنين ، فكيف يصدر عن أحد منهم مثل ذلك القول وذلك التمني الذي يشعر بأن صاحبه لايرى نعمة الله وفضله على المؤمنين نعمة وفضلا عليه ، وهو لا يعقل أن يصدر عمن كان بينه و بينهم مودة ما ولو قليلة في زمن ما ولو بعيدا . أعني أن قليلا من المودة كان في وقت ماينبغي أن يمنع عن مثل ذلك التمني . وفي هذا من التقريع والتوبيخ بألطف القول وأرق العبارة مالا يقدر على مثله بلغاء البشر ، ومن فوائده ان يؤثر في نفس من يذوقه التأثير الذي لايدنو من مثله النبز بالالقاب والطعن بهجر القول،التأثير الذي يحمل صاحبه على التأمل والتفكر في حقيقة حاله ، ومعاتبة نفسه ، فان كان فيه بقية من الرجاء تاب الى ربه ، ورجع كله الى حقيقة دينه ، هذه هي فائدة تلك الجملة المعترضة ويالله ما أعجب التشبيه فيها ونفي الكون وتنكير المودة، إنك ان تعط ذلك حقه من التأمل ، ويؤتك ذوق الكلام قسطه من البلاغة ، فقد أوتيت آية من آيات الفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوقين ، وكشف لك عن سر من أسرار عجز البشر عن الاتيان بمثل هذا الكتاب المبين

قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم « كأن لم تكن » بالتاء ، والباقون « يكن » بالياء . ومثل ذلك معروف في التنزيل وكلام العرب فتأنيث الفعل هو الاصل لان المسند اليه مؤنث ، ولكن التأنيث فيه لفظي لاحقيقي ولهذا جاز تذكيرالفعل وحسن ، ويكثر مثله ولاسيما في حال الفصل أي اذا فصل بين الفعل وفاعله أواسمه فاصل . ومن الاول قوله « قد جاءتكم موعظة من ربكم » ومن الثاني « فمن جاءه موعظة من ربه » ذكر الفعل وقد فصل بينه و بين فاعله بالضمير الذي هو المفعول

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ سؤال عن فتوى ﴾

(س ٢١) من السيد عبدالله بن عبد الرحمن العطاس بسنغافوره

أرسل السائل الينا السؤال الآتي مع جواب السيد عثمان بن عقيل عليه وكتب عليه ما يأتي

هذا جواب عن ذلك السؤال هل المجيب مصيب في تأصيله ما ذكر في السؤال بما ذكر في الجواب أم مخطيء وعن الاحاديث المذكورة فيه هل هي صحيحة مروية عن سيد السادة أم لا . وعما هو الحق في هذه المسألة . أفيدونا به على صفحات المنار إحقاقاً للحق وازهاقاً للباطل فالله يديمكم ويرعاكم ويحفظكم

وهذا نص السؤال والجواب المسئول عنه

﴿ هذا السؤال صدر من جماعة من المسلمين ﴾

« من بندر سنغافوره »

ماقولكم فيما يعمله الناس في ليلة النصف من شعبان من قراءة سورة يس المعظمة ثلاث مرات بنية مخصوصة والدعاء المعروف بعد كل مرة هل هو سنة وله أصل من الكتاب أو السنة أم لا فان بعض الناس يقولانه بدعة ليس له أصل لا من الكتاب ولا من السنة بينوا لنا حكم هذا العمل وماهي البدعة وأقسامها بياناً شافياً اثابكم الله آمين

﴿ الجواب ﴾

نسأل الله تعالى التوفيق للصواب اعلموا وفقني الله واياكم لمرضاته ان هذا العمل الذي ذكرتم له أصل من السنة وقد عمل به الخاص والعام من العلماء والصلحاء وعامة المسلمين في الامصار والاعصار من غير انكار ممن يعتبر قوله . أما أصله فقد قال العلامة الشيخ علي بن محمد الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل في قوله تعالى « في ليلة مباركة » الى قوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « تقطع الآجال من شعبان الى شعبان » وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر انتهى وقال العلامة السيد علي بن عبد البر الونائي في رسالته المتعلقة بفضائل ليلة النصف من شعبان وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يكتب الآجال من شعبان الى شعبان » اه وقال العلامة الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر اه

وأما قول أكثر المفسرين ان قوله تعالى « في ليلة مباركة » هي ليلة القدر قال الشيخ الجمل في حاشيته ما معناه ان المراد منه ظهور تلك الامور التي قدرها المولى عز وجل في قوله « فيها يفرق كل أمر حكيم » أي ظهورها للملائكة في ليلة القدر وليس المراد ان تلك الامور لا تحدث الا في تلك الليلة فقد جاءت الاخبار الصحيحة بأن الله تعالى قدر تلك الامور في ليلة النصف من شعبان وسلمها للملائكة في ليلة القدر انتهى ثم قال وهذا يصلح ان يكون جمعا بين القولين وقال أيضا واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بأن احدى الليلتين هي الاخرى انتهى وقال السيد علي الونائي في رسالته المذكورة وعن عثمان ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد هل من مستغفر فاغفر له هل من سائل فأعطيه فلا يسأل أحد الا أعطاه الا زانية أو مشركة وفي رواية مالم يكن عشارا أو ساحراً أو صاحب كوبة أو عطربة وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها ان الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويؤخر أهل الحقد بحقدهم ثم أورد أحاديث كثيرة في فضل ليلة نصف شعبان الى أن قال ومما ينبغي ليلة النصف من شعبان ان

يقرأ الانسان بين صلاتي المغرب والعشاء سورة يس بتمامها ثلاث مرات الاولى بنية طول العمر له ولمن يحبه الثانية بنية التوسعة في الرزق مع البركة في العام الثالثة بنية ان يكتبه الله من السعداء ويأتي بالدعاء المشهور وهو اللهم ياذا المن الى آخره انتهى وأما تعريف البدعة وأقسامها فهي تعتريها الاحكام الخمسة منها واجبة وهي كل مايتوقف فعل شيء من الواجبات الشرعية به فهو واجب أيضاً للقاعدة المقررة ومنها مندوبة كبناء الرباطات والمدارس ونحوها ومنهامباحة كالتوسع في لذيذ المآكل ومنها مكروهة كزخرفة المساجد ومنها محرمة ومكفرة كبدعة الرافضة والوهابية وعليها قول الامام الشافعي رضي الله عنه ما أحدث وخالف كتابا أوسنة أو اجماعا أو أثراً فهو البدعة الضالة انتهى فيما ذكر من الاحاديث ونصوص هؤلاء الائمة يعلم ان قراءة يس في هذا السؤال له أصل وأي أصل وان القائل بأنها بدعة لعله متمسك بالعلم الجديد أو انه من قسم الخامس من المبتدعة لانهم يضعفون الحديث الصحيح اذا خالف هواهم ويصححون الحديث الموضوع اذا وافق هواهم فمن أراد الاطلاع على هذا فعليه برسالتنا الآتية ان شاء الله تعالى المسماة باعانة المرشدين على اجتناب البدع في الدين والى هنا انتهى الجواب

(المنار) اعلم يا أخي قبل الجواب عن هذه الفتوى ان مصيبة الدين بالتقليد الذي ذمه علماء السلف كافة وأهل البصيرة من الخلف ليست هي عبارة عما اجازه بعض المؤلفين من رجوع الجاهل الى الامام المجتهد فيما لا يعلم حكمه من أمر دينه واخذه بفتواه وان لم يذكر له دليلها من الكتاب والسنة وانما مصيبة التقليد السوءى هي انها صرفت المسلمين عن الكتاب والسنة وعن كتب الائمة المجتهدين في الفقه وغيره وعن الثقات الأثبات السابقين الى تحقيق كل علم، صرفتهم عن هؤلاء الى اناس من الجاهلين المقلدين لامثالهم المتهجمين على الفتوى والتأليف والاجتهاد بغير علم. وانما يأخذ الناس بأقوالهم لثقتهم بهم وثقة العامي قريبة المنال، فاننا نرى في كل بلاد أناسا من أدعياء العلم تثق بهم العامة لانها تراهم امثل من تعرفهم في ظاهر الصلاح أو قراءة الكتب وهي لاتميز بين الكتب التي يعتمد عليها والتي لايعتمد عليها، ونعرف ان كثيراً من هؤلاء الموثوق بهم دجالون من أهل التلبيس ومنهم من قرأوا قليلا من مبادئ العلم وولعوا بكتب من لا ثقة بدينهم ولا بعلمهم ودرسوا وأفتوا بها وهم لا يميزون بين ما فيها من حق وباطل، وصحيح وسقيم، وانما تعجبهم هذه الكتب المحشوة بالاحاديث الموضوعة والخرافات والبدع لسهولتها وعدم توقف فهمها على معرفة الاصطلاحات العلمية،

كاصطلاحات علماء الحديث والاصول في نقد الحديث وما يحتج به منه وما لايحتج به

نعرف في بلادنا كثيراً من الشيوخ الذين وثقت بهم العامة حتى في المدن التي فيها كثير من العلماء الذين يعتد بعلمهم ونقلهم وانهم ليكونون اكثر في البلاد التي تقل فيها العلماء وفي القرى، ومما يؤكد هذه الثقة حسن السمت ومظهر الصلاح والانتساب الى بيوت العلم والشرف . فهؤلاء هم مثار الجهل والبدع في هذه الامة ولا سيما في هذه القرون الاخيرة وقد ذكر بعض اخبارهم ابن الجوزي وغيره من العلماء

يدعي هؤلاء انهم علماء مقلدون للائمة ولايعرفون من كلام الائمة شيئاً ولا يقفون عند حدود ما افتى به المشهورون من الفقهاء المنتسبين الى أولئك الائمة رضي الله عنهم، وهم مع هذا يحاربون متبعي الائمة بحق اذا دعوهم الى الحق بدلائل الكتاب والسنة، بل يحاربون الكتاب والسنة، باسم أولئك الائمة، قائلين إن فهمهم لهما اصح من فهم فلان الذي يدعوكم اليهما الآن . سلمنا ان فهمهم أصح فلماذا لم هؤلاء الجاهلون بنصوصهم في تفسيرها وليحاربونا بها، انهم انما يجيئون بكلام امثالهم من العوام الذين تجرؤا على التأليف ويلصقونها بالائمة والائمة برآء منها، وماذا تفعل بثقة الجاهلين بهم، وقد انسد في وجههم باب التميز بين الحق والباطل

من هؤلاء الشيوخ في بلاد جاوه الشيخ عثمان بن عبدالله بن عقيل، شيخ له سمت ونسب واطلاع على كثير من الكتب التي لا يعتد بها ولا تصلح للفتوى منها

يقول هذا الشيخ الوقور انه شافعي المذهب وان عمدته من كتب فقهاء الشافعية المتأخرين كتب ابن حجر الهيتمي . « أفلح الاعرابي إن صدق » ابن حجر يقول في فتاواه الحديثية ان الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث لا يحل ومن فعله عذر عليه التعذير الشديد، وذكر ان اكثر الخطباء كذلك وانه يجب على الحكام أن يمنعوهم من ذلك (راجع ص ٣٢ من هذه الفتاوى المطبوعة بمصر) فلماذا لم يأخذ الشيخ عثمان بهذه الفتوى، فهو يسئل عن مسألة هل لها أصل في الكتاب والسنة فيورد احاديث من رسالة الوناني ويقرها وهي لا تصح وليست نصا في المسألة، ثم ينقل رأي هذا الرجل ويقره ويجعل ذلك فتوى بأن للمسألة أصلا في الكتاب والسنة . وهذا الوناني ليس إماما مجتهدا ولا محدثا حافظاً يعتد بنقله وما نقله ليس نصا فيما ارتآه فكيف جاز للشيخ عثمان بن عقيل ان يفتي برأيه . لعل هذا الوناني مثل ابن عقيل هذا وستكون فتاوى السيد عثمان ورسائله مما يفتي به مثله من بعده وتعارض بها نصوص الكتاب والسنة بناء

على ادعائه الانتساب الى الامام الشافعي وان لم يعرف قوله ولم يفت به . هذه مقدمة لم نر بدا من بيانها

﴿ اقوال المحدثين والثقات في عبادات ليلة النصف من شعبان ﴾

روي في الموضوعات والواهيات والضعاف التي لا يحتج بها احاديث في كثير من العبادات منها صلاة ليلة الرغائب من رجب وليلة نصف شعبان ، ولكن هذا الشعار الاسلامي المبتدع المعروف الآن لم يرد فيه شيء من ذلك ولكنه عمل به في الجملة منذ القرون الاولى ، ولهذا اغتر بصلاة رجب وشعبان بعض الفقهاء والصوفية كأبي طالب المكي وابي حامد الغزالي على جلالة قدرهما وسبب ذلك قلة بضاعتهما في نقد الحديث . وقد بين خطأهما المحدثون والفقهاء كالامام النووي الذي هو عمدة الشافعية وأطال الحافظ العراقي في تخريج احاديث الاحياء في بيان ذلك وقد نقل كلامه شارحه السيد مرتضى الزبيدي ثم قال

« وقال التقي السبكي في تقييد التراجيح صلاة ليلة النصف من شعبان وصلاة الرغائب بدعة مذمومة اه وقال النووي هاتان الصلاتان بدعتان موضوعتان منكرتان قبيحتان ولا تغتر بذكرهما في القوت والاحياء وليس لاحد أن يستدل على شرعيتهما بقوله صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضوع » فان ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من الوجوه وقد صح النهي عن الصلاة في الاوقات المكروهة اه »

ثم قال الزبيدي « وقد توارث الخلف عن السلف في إحياء هذه الليلة بصلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب كل ركعتين بتسليمة يقرأ في ركعة منها بالفاتحة مرة والاخلاص ست مرات وبعد الفراغ من كل ركعتين يقرأ سورة يس مرة ثم يدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف ويسأل الله تعالى البركة في العمر ثم في الثانية البركة في الرزق ثم في الثالثة حسن الخاتمة . وذكروا أن من صلى بهذه الكيفية أعطي ما طلب ، وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية ولم أرها ولا لدعائها مستنداً صحيحاً في السنة إلا انه من عمل المشايخ . وقد قال اصحابنا أنه يكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي المذكورة في المساجد وغيرها . وقال النجم الغيطي في صفة إحياء ليلة النصف من شعبان بجماعة . أنه قد أنكر ذلك اكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء وابن ابي مليكة وفقهاء المدينة واصحاب مالك وقالوا ذلك كله بدعة ولم يثبت في قيامها جماعة شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه

وممن قال ذلك من أعيان التابعين خالد بن معدان وعثمان بن عامر ووافقهم اسحق ابن راهويه . والثاني كراهة الاجتماع لها في المساجد للصلاة واليه ذهب الاوزاعي فقيه الشام ومفتيهم اه

(المنار) الخلاف الذي ذكره في قيام ليلة النصف من شعبان بما ذكر قد صرح بكراهة اصحابهم له أي الحنفية والكراهة اذا اطلقت عندهم تنصرف الى التحريم، ونقل مثل ذلك عن الشافعية والمالكية ، فالنجم الغيطي من فقهاء الشافعية ، وقد رأيت قبله قول السبكي والنووي الشافعيين في صلاتها ، وأما الحنابلة فهم أشد من غيرهم نبذا لما لم يثبت في السنة ، ومن استحبها من علماء الشام كانوا مجتهدين وليس لهم أتباع الآن ومذاهبهم ليست مدونة ونص الفقهاء على انه لا يفتى بها

وقد بين المحدثون في كتب الموضوعات كل ما ورد في صلاة شعبان وقيامها وهو مما لا يعمل به ولو في الفضائل . قال في الفوائد المجموعة بعد أيراد شيء منها واغترار بعض الفقهاء كالغزالي وبعض المفسرين بها ما نصه « وقد رويت صلاة هذه الليلة اعني ليلة النصف من شعبان على انحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة . ولا ينافي هذا رواية الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها لذهابه صلى الله عليه وسلم الى البقيع ونزول الرب ليلة النصف الى سماء الدنيا وانه يغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب فان الكلام إنما هو في هذه الصلاة الموضوعة في هذه الليلة . على أن حديث عائشة (رض) هذا فيه ضعف وانقطاع ، كما ان حديث علي الذي تقدم ذكره في قيام ليلها لا ينافي كون هذه الصلاة موضوعة على ما فيه من الضعف حسبما ذكرناه » اه

أما (حديث) « تقطع الآجال من شعبان الى شعبان » فقد رواه ابن جرير والبيهقي عن عثمان بن محمد بن المغيرة وهو ابن الاخنس بن شريق الثقفي قال في الميزان حدث عن محمود القزاز مجهول ، وقال ابن المديني روى عن سعيد بن المسيب مناكير

واما قول ابن عباس المذكور فان صح عنه لا يفيد في الباب شيئاً وقد نقل عن الجمل ان هذا المعنى ثبت في الاحاديث الصحيحة وليس قوله بشيء، فهذه كتب الصحاح في أيدينا ليس فيها ذلك والجمل ليس بمحدث بل يغتر بما يرى في كتب التفسير التي لا تميز بين صحيح وسقيم وقد قال المحدثون ان بعض المفسرين والفقهاء اغتروا بما ورد في هذه الليلة على أنه إن صح لا يفيد في تأييد فتواه . وقد صرح ابن العربي بأنه لا يصح مما ورد في هذه الليلة شيء ، وهو ماقاله الزبيدي في شرح الاحياء

وأما حديث « اذا كانت ليلة النصف من شعبان » فقد ذكروه بألفاظ مختلفة وهو حديث علي الذي قال في الفوائد المجموعة بضعفه ، وقد رواه ابن ماجه من أصحاب السنن عن ابن أبي سبرة وهو ضعيف كما صرح محشي هذه السنن نقلا عن الزوائد بل نقل عن الامام احمد وابن معين انه كان يضع الحديث . وروى ابن ماجه حديث عائشة أيضاً وقد علمت انهم صرحوا بضعفه وانقطاع سنده عن الترمذي . وهو أمثل ما ورد في هذه المسألة . وروى ابن ماجه أيضاً حديث « ان الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن » وهو عن الوليد بن مسلم المدلس عن عبدالله بن لهيعة وهو ضعيف . ورواه غيره أيضاً

ويعارض هذه الروايات في خصوصية ليلة النصف من شعبان أحاديث الصحيحين في نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا وقوله : هل من مستغفر هل من تائب . وحديث مسلم في عرض الاعمال كل اثنين وخميس والمغفرة لغير المشركين والمتشاحنين ،

وجملة القول إن الشعائر التي تقام في ليلة النصف من شعبان ليس لها أصل صحيح في الكتاب ولا في السنة ، وان الروايات التي ذكرها ابن عقيل غير صحيحة وهو لجهله بالحديث لم يرجع فيها الى كتب المحدثين بل نقلها عمن لا يعتد بهم ، ثم انها لا تدل على مشروعية ما سئل عنه وهو قراءة يس والدعاء بالصفة التي ذكرها ، وان هذه العبادات في تلك الليلة وليلة الرغائب قد حدثت في القرون الاولى فقبلها كثير من العباد والمتصوفة وانكرها المحدثون والفقهاء لعدم ثبوت أصلها ولان الله تعالى قد أكمل الدين فمن زاد فيه كمن نقص منه كلاهما مبتدع . وقد انكر عثمان بن عقيل على الذين يصححون أو يضعفون الاحاديث بالهوى وهو منهم فانه يتكلم في الاحاديث بغير علم ولو كان من أهل العلم بها لما اعتمد في نقلها على الوناني والجمل وترك البخاري ومسلماً وأصحاب السنن الاربعة واضرابهم كما ينكر على الذين يفتون بالدلائل من الكتاب والسنة بعلم ويفتي بهما بغير علم ، ولو كان في بلادها حكومة اسلامية لمنع من الفتوى وعوقب عليها ولكن جاهه وقوته في الاستناد على حكومة غير إسلامية في بلاد ليس فيها علماء ومحققون

وأما ما ذكره في مسألة البدعة فلا يصح على إطلاقه وقد ثبت في الحديث الصحيح ان كل بدعة ضلالة ، ولذلك صرح بعضهم بأن البدعة الشرعية لا تكون الا ضلالة ، وأما البدعة اللغوية فهي التي تعتريها الاحكام الخمسة . فكل ما لا دليل عليه في الكتاب والسنة من أمر الدين كالعبادات والشعائر الدينية فهو بدعة سيئة وضلالة

محققة وعليها يحمل الكلية في الحديث وما في معناه من الاحاديث الكثيرة . وأما ماسوى الامور الدينية المحضة وان كانت نافعة في الدين كالعلوم والفنون المسهلة لفهمه والتفقه فيه فهي التي تعتريها الاحكام الخمسة فيحكم فيها بحسب ما فيها من النفع أو الضرر أو عدمها . مثال ذلك ان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . ولا يتم الجهاد في هذا الزمان الا بالعلوم والفنون العسكرية التي لم تكن في العصر الاول ولا دليل عليها بخصوصها فهي واجبة حتما وان كانت من العلم الجديد الذي يجهله فيعاديه الشيخ عثمان بن عقيل فقد قال في آخر فتواه « فيما ذكر من الاحاديث ونصوص هؤلاء الائمة يعلم ان قراءة يس في هذا السؤال له أصل وأي أصل وان القائل بأنها بدعة لعله متمسك بالعلم الجديد أو انه من قسم الخامس (كذا) من المبتدعة » الخ وانت ترى ان الاحاديث التي ذكرها ليس فيها ذكر لقراءة يس فهل يكتب مثل هذا من يعقل ما يكتب . واذا كان يفتي بالشيء ويعزوه الى احاديث الرسول صلى تعالى عليه وسلم ولا ذكر له ولا إشارة فيما أورده منها على كونه مما لا يحتج بمثله فهل يلتفت الى قوله لعل القائل بأنها بدعة متمسك بالعلم الجديد الخ ثم ما هو العلم الجديد الذي يعاديه ويعرض بأهله وماذا عرف هو من العلم القديم ، ومن قال ان الوناني من الائمة الذين يؤخذ بأقوالهم وتجعل آراؤهم احاديث نبوية ؟؟

(تتمة لا بد منها) ان الذين يقرءون سورة يس في ليلة النصف من شعبان يذكرون قبل قراءتها كل مرة حديث « يس لما قرئت له » وقد قال الحافظ السخاوي ان هذا الحديث لا أصل له كما في كتاب (تمييز الطيب من الخبيث) وكتاب (اللؤلؤ المرصوع) فهل يدلنا الشيخ عثمان على أحد من أصحاب العلم القديم قال ان هذا الحديث صحيح ، والا فلماذا لا ينكر على الجماهير كذبهم على النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد فيه من الوعيد ماورد

***

﴿ استقبال القبلة عينها أو جهتها ، والفتوى بالقول المرجوح ﴾

(س ٢٢ و ٢٣) من صاحب الامضاء في مكة المكرمة

افيدونا يامولانا وسيدنا بيانا شافياً :

في قول الامام الغزالي في احيائه وقول الاذرعي باعتماد الاكتفاء في استقبال القبلة

في الصلاة بجهتها في البعد مستدلاً بالكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس هل يجوز للشخص ان يعمل ويبنى المسجد عملا به اولا ؟ فان قلتم بالجواز فما قولكم في قولهم لا يجوز الافتاء الا بالقول الراجح ؟ وان قلتم لا يجوز لذلك ويفهم منه انه لايجوز الافتاء بالقول المرجوح كما لا يخفى على المشمرين في تحصيل العلم وعدم جواز الافتاء به هل هو على الاطلاق أو مقيد بما اذا لم يختره جماعة ممن يعتمد في كلامه ونقله وقد أخبرني من به ثقة بان هذا القول قد اختاره جماعة من الفقهاء . وما ذكره الفقهاء من انه يجوز العمل بالقول الضعيف مالم يشتد ضعفه وانه لا يجوز الاستدلال بالحديث الضعيف اذا لم يكن فيه مقوى من طرق متعددة يؤيد ذلك التقييد ، وفي فوائد المكية يجوز القضاء والافتاء بالقول المرجوح لحاجة أو مصلحة عامة ، وفيها أيضاً ان الاصح من كلام المتأخرين كالشيخ ابن حجر وغيره انه يجوز الانتقال من مذهب الى مذهب من المذاهب المدونة ولو بمجرد التشهي سواء انتقل دواما أو في بعض الحادثة وان افتى أو حكم أو عمل بخلافه مالم يلزم منه التلفيق اه

فعند الامام مالك واحمد واتباعهما رضي الله عنهم انهم لا يبطلون الصلاة عند استقبال الجهة وكذا هو قول عندنا معاشر الشافعية (فقد قال) الغزالي والاذرعي رحمهما الله تعالى بجواز ذلك كما يؤخذ من شرح البهجة بزيادة وصرح به في التنبيه اه ، وفي الاصول قاعدة معتبرة وهي ان المعلول يدور مع علته وعلته هنا وجود المشقة من حيث الابعد عن بيت الله العظيم مع ان القاعدة المشقة تجلب التيسير والامر اذا ضاق اتسع فان كان المصلي يشترط في استقبال عين القبلة وكذلك المسجد يشترط مبناه ان يسامتها بجميع مركوزه وهما في مسافة البعد كأرض الجاوي والهندي وغيرهما من سائر المملكة فما تقول فان قلتم يشترط على كل واحد منهما أن يحتاط مع بيت الابرة المعروف ليعلم عينها فماذا يستحق الذي افتى من الجم الغفير باعتماد الاكتفاء بالجهة لانه فهم منها انه صادق بمحاذاة عين القبلة أولا كما يؤخذ من الغاية التي ذكرها العلامة البيجرمي على فتح الوهاب اه فمنوا بالاعانة فلكم الفضل الظاهر والشكر الباهر ودام فضلكم وعلا قدركم ولازلتم مأجورين بجاه جدكم الأمين . سيدي السائل

احمد جاوى

(ج) قد اضطرب كلام اصحابنا الشافعية في مسألة القبلة وما كان ينبغي لهم ذلك فالحق واضح فيها وكلام الشافعي نفسه صريح جداً

من كان في الحرم يرى الكعبة يستقبلها قطعاً ولا تصح صلاته اذا خرج عن

محاذاتها ومن كان بعيداً عنها لا يراها فانه يستقبل الجهة التي هي فيها ويتعرفها بالاجتهاد فمن علم ان الكعبة في هذه الجهة لم يكن له ان يحول عنها فان كان عنده من وسائل الاجتهاد ما يعلم به ان البيت يحاذي خطاً معيناً لم يكن له ان يتعداه، والاجاز له التيامن والتياسر في الجهة كما يؤخذ من حديث الصحيحين « شرقوا أو غربوا » ومايؤيده . والعمدة ان يعتقد انه متوجه تلقاء البيت بما عنده من اسباب الاجتهاد ، لا يكلف غير هذا لان غير هذا لا يستطاع ولا يدخل في الوسع

فسر الشافعي في رسالته شطر المسجد الحرام بتلقائه ثم قال ما نصه « فالعلم يحيط ان من توجه تلقاء المسجد الحرام ممن نأت داره عنه على صواب بالاجتهاد للتوجه الى البيت بالدلائل عليه لان الذي كلف العباد التوجه اليه وهو لا يدري أصاب بتوجهه قصد المسجد الحرام أو أخطأ وقد يرى دلائل يعرفها فيتوجه بقدر ما يعرف ويعرف غيره دلائل فيتوجه بقدر ما يعرف وان اختلف توجههما » اه

وتلقاء الشيء تجاهه ونحوه كما ذكر في مادة (وجه) من لسان العرب. والتجاه الجهة التي تستقبلها بوجهك . ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام « ولما توجه تلقاء مدين) أي سار في الجهة الموصلة اليها ونحا نحوها

وقال كما رواه عنه المزني في مختصره مانصه « ولا يجوز لاحد صلاة فريضة ولا نافلة ولاسجود قرآن ولا جنازة الا متوجها الى البيت الحرام ما كان يقدر على رؤيته الا في حالتين ـ وذكر صلاة النافلة على الراحلة وصلاة شدة الخوف رجالا أو ركبانا ثم قال ـ فلا يصلي في غير الحالتين الا الى البيت ان كان معايناً فبالصواب وان كان مغيباً فبالاجتهاد بالدلائل على صواب جهة القبلة » اه وكلامه في كتاب الام على طوله لايخرج عن هذا المعنى الذي اختصره المزني عنه وقد صرح فيه بلفظ الجهة تصريحاً

وذكر الشيرازي في التنبيه قولين في البعيد لم يرجح واحداً منهما على الآخر فقال « والفرض في القبلة إصابة العين فمن قرب منها لزمه ذلك يقين ومن بعد منها لزمه الظن في أحد القولين وفي القول الآخر لمن بعد الجهة » اه

أقول لم أر في كلام الشافعي قولين في المسألة وعندي ان ماصرحوا فيه عنه بلفظ الجهة وما لم يصرحوا فيه به واحد والمراد ان يعرف سمت الكعبة بالاجتهاد فمتى عرفها واستقبلها كان معتقداً أنه متوجه تلقاء الكعبة في الجملة وانه مول وجهه شطرها لان الذي يعرف جمهور المكلفين بالاجتهاد في حالة البعد هو الجهة ، وكلما بعد الانسان عن الشيء الذي يستقبله تفرج المسافة التي بينه وبينه وتتسع

ولو كان في المسألة قولان مختلفان لكان الفرق بينهما في العمل ان من علم ان الكعبة في جهة الشمال كان له على القول الثاني ان يتوجه في صلاته الى القطب الشمالي وان ينحرف عنه يميناً أو يساراً وان علم بالدلائل انه لو خرج خط مستقيم منه الى الكعبة لاصابها في حال استقباله ولو خرج من حيث توجه منحرفا عنه لم يصبها. وهذا هو الذي يترتب على عبارة التنبيه دون عبارة مختصر المزني . ولذلك اضطربت أقوال المتأخرين من الشافعية والحكم واضح كما قلنا فان جماهير المكلفين لا يعرفون في حالة البعد بالاجتهاد الا الجهة التي فيها الكعبة وذلك كاف عند الشافعي ولا يفهم من كلامه غيره . وهو لا ينافي ان الواجب على من كان عنده علم خاص بتحديد نقطة معينة من الجهة ان يعمل بعلمه ولا يجوز له التيامن والتياسر اذا اعتقد أنه يخرج به عن محاذاة الكعبة ، وهذا التفصيل يؤخذ من تصريح الشافعي بأن على كل مجتهد في القبلة ان يتوجه بقدر مايعرف ، ولا حرج في هذا ولا مشقة على أحد

فعلم من هذا ان المعتمد ان للشافعي قولا واحداً في المسألة وهو ظاهر الكتاب والسنة ومقتضى القياس والذي عليه عمل الناس ، وتلك الفلسفة التي اضطرب فيها المتأخرون انما أخذها بعضهم من عبارة بعض ، ولا يحتاج من يقول بالجهة في موافقة الشافعي رحمه الله تعالى الى الافتاء بالقول المرجوح

فالعمل الذي يوافق مذهب الشافعي هو ان يجتهد المصلي في تعرف جهة الكعبة بالشمس والكواكب والرياح والجبال ويعمل باجتهاده ، ومن كان على علم بتقويم البلدان (الجغرافية) وكان معه بيت الابرة فان علمه بسمت القبلة يكون أقوى مما يصل اليه المجتهد بالعلامات التي ذكروها فيجب عليه بقدر مايعرف . ويعتمد في بناء المسجد علم أوسع أهل البلد علما بذلك

واما الفتوى بالقول المرجوح فقد قيل ما قيل مما عرفه السائل والحق ان العالم المجتهد لا يكون له في المسألة الواحدة قولان مختلفان أحدهما راجح والآخر مرجوح وهو يجيز العمل بهما ولكنه قد يقول القول فيظهر له خطؤه فيرجع عنه بقول آخر فلا يبقى الاول قولا له ، وقد يتردد في المسألة فلا يكون له فيها قول ، وان نقل عنه قولان مختلفان كان أحدهما مرجوعا عنه أو مكذوبا فان وجد المرجح والا تساقطا. فمن سئل عن قول عالم مجتهد في مسألة وجب عليه ان يرجع الى كتبه وينظر قوله فيها ويجيب به فان لم يجد كتبه بحث عن ذلك في كتب اقدم اصحابه وتحرى وميز بين ما يعزونه اليه تصريحا وما يطلقون القول فيه أو يذكرونه تخريجا أو استنباطاً ،

فاذا لم يظهر له نقل عنه يطمئن قلبه له فعليه ان يمسك عن الفتوى معزوة اليه ، وكتب الفقهاء المنتسبين الى المذاهب مملوءة بالاقوال التي لم ينقل عن ائمة تلك المذاهب فيها شيء .

قال ابن القيم : قد اختلطت اقوال الائمة وفتاويهم بأقوال المنتسبين اليهم واختياراتهم فليس كل ما في كتبهم (أي الفقهاء المنتسبين الى الائمة) منصوصا عن الائمة بل كثير منها يخالف نصوصهم وكثير منه لا نص لهم فيه وكثير منه تخرج على فتاويهم ، وكثير منه افتوا به بلفظه أو بمعناه فلا يحل لاحد أن يقول هذا قول فلان ومذهبه الا ان يعلم يقينا انه قوله ومذهبه . اه وبناء على هذا تضاربت أقوال أهل المذهب الواحد واختلفت واحتيج الى الترجيح بينها ، فالراجح والمرجوح إنما هما من كلام اولئك المنتسبين الذين لم يعرفوا قول الامام قطعاً . ومن كان من أهل الترجيح أفتى بالراجح عنده وليس لغيره ان يفتي . وقد بينا في الفتوى السابقة أن الناس صاروا يفتون بأقوال الجاهلين الذين يجرؤن على التأليف لما وقع فيه المسلمون من الفوضى في العلم والدين بترك الادلة ، ويجعلون أقوال هؤلاء من المذهب ويقدمونها على ما يعرف من نصوص الكتاب والسنة ، بالصاقها بالائمة ، لادعاء أولئك الجاهلين اتباعهم وما هم لهم بمتبعين

وما افتى به الغزالي وامثاله مخالفا للمعروف من مذهب الشافعي فانما أفتوا بما ظهر لهم بالدليل أنه الحق لا بمذهب الشافعي ، وقد كان بعضهم يلصق مثل هذه الفتاوى بالشافعي لا على معنى انها قوله وفتواه بل عملاً ببعض أصوله كقولهم قد صح الحديث بهذا وهو يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي ، وقولهم ان في هذا سعة وهو يقول اذا ضاق الامر اتسع . والحق ان الاتباع الحقيقي للشافعي وغيره من الائمة رضي الله عنهم انما هو تقديم الكتاب والسنة على أقوالهم واقوال جميع الناس وقد عمل بهذا كثير من المنتسبين الى الشافعي وغيره كما بيناه مراراً في مواضع من المنار ، وانما صار الناس يلتزمون تقليد الفقيه الواحد في كل ما يعزى اليه بعد القرون الثلاثة التي هي خير القرون بشهادة الصادق المصدوق (ص) وما نسب كبراء الفقهاء المتقدمين الى الائمة الا لجريهم على أصولهم وطريقتهم في استنباط الاحكام دون اتباع اقوالهم في الفروع . ذكر هذا المعنى ابن الصلاح واقره عليه النووي بقوله: هذا موافق لما امرهم به الشافعي ثم المزني في أول مختصره وغيره بقوله (أي المزني : « مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره » أي نهي الشافعي عن تقليده فيما ينقله من علمه في ذلك المختصر وجملة القول ان من سئل عن حكم الله ورسوله في مسألة بينها من كتاب الله

وسنة رسوله ان علم ، ومن سئل عن رأيه واعتقاده فيها بينه بدليله اذ استبان له ، ومن سئل عن قول امام بينه من كتبه أو نقل صريح عنه يعتد به ان علمه ، فان أفتى بالدليل على أصله صرح بذلك ، والا أمسك عن الفتوى وقال لا ادري والله أعلم

***

﴿ قول شيئاً لله والاستمداد من الاولياء ﴾

(س ٢٤ – ٢٦) من مكة المكرمة

من المعترف بالتقصير عبد القادر ملاقدر البخاري الى رفيع مقام استاذه الاجل العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامية حفظه رب البرية

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد كلفني بعض الاخوان المخلصين في صاحب المنار ان أرفع واقدم لرفيع مقامكم السؤال الآتي راجياً اجابة سؤاله على صفحات المنار وفي أقرب عدد يصدر منه اثابكم الله جزيل الثواب ورفع أعلامكم المنيره

هذا هو السؤال

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد فما قولكم أيها العلماء الكرام في هذه الايات

شيئاً لله ياعبد القادر   محيي الدين في القلب حاضر
جيلاني بالله بادر   المدد ياعبد القادر

أيكفر قارئها أم لا. وهل يلزمه تجديد النكاح أم لا وهل يجوز الاستمداد من الاولياء الكرام بعد الممات كما يجوز الاستمداد في الحياة وهل يسمع الاولياء نداء أم لا بينوا لنا الاحكام بالتفصيل ولكم عند الله أجر جزيل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قول شيئاً لله

(ج) صرح بعض الفقهاء بتكفير من يقول مثل هذا القول لانه دعاء لغير الله تعالى و « الدعاء هو العبادة » كما رواه احمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه مرفوعاً، ومن ذلك قول بعض فقهاء الحنفية في سرد المكفرات من منظومة له (ومن قال شيء لله بعض يكفر)

ومن الفقهاء من لا يطلق القول في تكفير صاحب هذا القول بل يفصل فيه باحثاً عن قصد القائل واعتقاده فاذا كان يعتقد أن عبد القادر الذي يدعوه (ومثله كل من

يدعى من دون الله ولو نبيا أو ملكا) قادر على اجابة دعائه لان له سلطة وراء الاسباب العادية والسنن الالهية التي تجري عليها أعمال الناس ، أو يعتقد ان له (أي للمدعو من دون الله) تأثيراً في الارادة الالهية بأن يريد الله تعالى بعد دعائه والتوسل به مالم يكن يريده قبل ذلك – اذا كان يعتقد أحد هذين الامرين يظهر القول بردته والحكم بشركه لانه بالاول جعل من دعاه شريكا لله تعالى في التصرف المطلق والامتياز على سائر المخلوقين بالخروج عن سنة الله تعالى في ارتباط الاسباب بالمسببات ، وبالثاني جعل الباري سبحانه وتعالى محلا لتأثير الحوادث

القول الاول شديد جداً ولكنه هو الاحوط للناس حتى لا يقولوا مثل هذه الاقوال التي صرح بعض العلماء بكفر صاحبها ، والثاني هو الاحوط للمفتي لئلا يخرج من الملة من هو من أهلها بقول تلقفه من غير أن يعلم أنه يعتقد ما ينافي التوحيد .

والذي أراه هو انه ينبغي العالم المستفتى في مثل هذا أو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يبين للمستفتى أو لمن يعلم انه يقول هذه الاقوال حقيقة التوحيد ومعنى العبادة وحقيقة الشرك الجلي والشرك الخفي ليحكم وجدانه واعتقاده في مثل هذا القول الذي يدل على ضرب من الشرك بنوع ما من أنواع الدلالة قد يكون هو الباعث على القول ، وقد يجري اللسان بالكلمة مع عدم تصور ما تدل عليه مطابقة أو التزاما

اذا فهم من ينطق بتلك الاسجاع حقيقة التوحيد والعبادة وحقيقة الشرك وكان يعلم من نفسه أنه لم يقصد بها معنى من معاني الشرك الجلي ولا ما ينافي التوحيد أو يدخل في معنى العبادة فيكفيه أن يتوب عن القول الذي اختلف فيه ولا يجدد عقد نكاحه ، وان ظهر له ان قوله من الدعاء الحقيقي الذي هو العبادة كما في الحديث الصحيح أو مخ العبادة كما في رواية أخرى ضعيفة السند ، وانه تسرب اليه الشرك فعليه أن يتوب ويجدد إسلامه ويجدد عقد نكاحه مطلقاً ان كان يدين الله تعالى بمذهب الحنفية ، وأما اذا كان على مذهب الشافعية القائلين بأن المرتد اذا تاب قبل انقضاء عدة امرأته عادت الى عصمته بغير عقد واذا تاب بعد انقضائها احتاج الى عقد جديد ، عمل بذلك

الاستمداد من الصالحين

مسألة الاستمداد من الصالحين في الحياة وبعد الممات مشتبهة لا يتجلى الحق فيها الا ببيان حقيقة الاستمداد وقد يأتي فيها التفصيل الذي ذكرناه في المسألة الاولى

الاستمداد طلب المدد وهو ما يمد الشيء أى يزيد في مادته الحسية أو المعنوية، فمن طلب من مخلوق مدداً جسماً كالزيادة في ماله ورزقه والنماء في زرعه بغير الاسباب

التي جعلها الله شرعاً بين خلقه فقد طلب منه مالا يطلب الا من الله تعالى وهذا ينافي التوحيد لانه عبادة لغير الله تعالى

ومن طلب من المخلوق مدداً معنوياً فهو على نوعين نوع يعد شركا كطلب الزيادة في العمر فان هذا مما لا يطلب الا من الله تعالى فمن طلبه من غيره فقداشركه معه ، ونوع لا يعد شركا لانه داخل في دائرة الاسباب وهوما يطلبه المتصوفون من أهل العلم بزيارة الصالحين وقربهم أو ذكر مناقبهم وسيرتهم وتصور احوالهم من الزيادة في حب الخير والصلاح والتقوى ويعبرون عن هذه الزيادة التي يجدونها في نفوسهم بالبركة والمدد . ولكنهم لايدعونهم من دون الله ولايفعلون مالم يفعله السلف

وانما كان هذا مما لا بأس فيه لاهله ولاحرج في طلبه بلسان الاستعداد وتوجه القلب ان شاء الله تعالى لانه منتظم في سلك الاسباب فان الانسان يتأثر بأحوال غيره اذا رآها أو تصورها أو سمعها فان كانت تلك الاحوال حسنة صالحة ازداد رغبة في الصلاح وان كانت بالضد زادميله الى مثلها، فالذين يعاشرون الظلمة المستبدين أو الفساق المستولغين تقوى في نفوسهم داعية الظلم أو الفسق والانغماس في الشهوات، وتصور وقائعهم وقراءة أخبارهم لا تخلو من مثل تأثير معاشرتهم، ولاسيما اذا كانت أخبارهم مكتوبة بمداد الثناء والتعظيم في قسم الظالمين، والاستحسان وتمثيل الغبطة ورغد العيش في قسم الفاسقين

كل هذا مجرب معروف وانك لتجلس الى الحزين الكئيب فيسرى الى نفسك شيء من امتعاضه وكآبته ، وتجلس الى المغبوط المسرور فتجد في نفسك أثراً من السرور وانشراح الصدر ، وتعاشر أهل الجد والنشاط فينالك نصيب من نشاطهم ، وتعاشر أهل الخمول والكسل فيصيبك سهم من خمولهم ،

وقد رأينا أثر الخير والصلاح في أنفسنا من بركة بعض مشايخنا كما رأيناه ولله الحمد في أنفس تلامذتنا ، كنا اذا نمنا عند شيخنا الناسك ابي المحاسن القاوقجي رحمه الله تعالى نزداد رغبة في العبادة من صيام وقيام اذ نرى ذلك الشيخ الكبير في السن والقدر يصوم الايام الفاضلة ويقوم طائفة من الليل لا يجيء الثلث الاخير منه الا ونستيقظ ونحن رقود في حجرة بجانب حجرته على صوت تكبيره وقراءته وبكائه، واما شيخنا الاستاذ الامام فكان اذا قام من الليل لا يسمع له صوت ولا يشعر له بحركة وكنا نرى أثر مجالسه الخاصة في زيادة الايمان بالله عز وجل والثقة به جل ثناؤه والغيرة على الدين وعلو الهمة في الخير ،

امير الألاي صادق بك

﴿ وجمعية الاتحاد والترقي ﴾

يتساءل الناس في هذه الايام من هوصادق بك وماهي مكانته وما شأنه في هذا الاصلاح الذى حصل في حزب الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثين

في هذه الايام عرف في مصر وفي كثير من البلاد اسم صادق بك والناس واقفون في الحكم له او عليه واصحاب الجرائد قد امسكوا عن التعريف به سواء منهم المتشيع للاتحاديين والمتتبع لعوراتهم والمعتدل في كلامه عنهم . وقد ذكرت على مسمع غير واحد من محرريها شيئاً من فضل الرجل الذي يعرفه كل الخواص في الآستانة فكتب بعضهم جملة صالحة ولكني أرى الناس لايزالون يتساءلون فأحببت أن أكتب في المنار كلمة أخرى في التعريف بهذا الرجل الذى يقل مثله في الرجال

اشتهر ان الانقلاب العثماني كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقي فى سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام ان الانقلاب كان من عمل الجيش ، بهذا علا مقام كل ضابط عثماني ورفع اسم نيازي بك وانور بك على كل اسم ولكن خفي اسم صادق بك وهو أجدر بالظهور ، وصار كل من ينسب الى جمعية الاتحاد والترقي يفخر ويسمو بأنه رب الدستور وحاميه فتزاحم على أبوابها طلاب الشهرة ورواد المنفعة وعباد القوة . وانفض من حولها الكثيرون من العاملين المخلصين ، وانبرى لمعارضة حزبها فى مجلس الامة حزبان كان خيار رجالهما من الاتحاديين، ومن بقي فى حزبها أزواج ثلاثة : — بعض الزعماء (كالبكوات رحمي وطلعت وجاويد) ومن استعذب مشربهم واذعن للسري والجهري من احكام جمعيتهم لانه يرى فيها رأيهم، وهم الاقلون، — و٢ طلاب المنافع، واتباع كل ناعق ، و٣ المستقلون المخلصون الذين يرون ان بقاءهم فى الجمعية خير من خروجهم منها وأرجى لتقويم عوجها

ورد في الحديث الشريف « ان لكل شيء شرة(١) ولكل شرة فترة فان صاحبها

(١) الشرة بكسر الشين وتشديد الراء الحدة والنشاط وهي ضد الفترة

سدد وقارب فارجوه ، وان اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه » (رواه الترمذي بسند صحيح) وقد جرت سنة الله ان الشيء اذا كان في شرة إقباله يقبل الجمهور كل مدح فيه وان كان ظاهر البطلان ، ويرد كل انتقاد عليه وان كان كالشمس في رابعة النهار ، وكان يظن ان شرة إقبال الاتحاديين يطول زمنها فكذب الظن بسوء تصرف الزعماء وقلة كفاءتهم ومجافاة بعض مقاصدهم لمصلحة المملكة وتقاليدها ولما تقتضيه طبيعة العصر في سياسة الشعوب المختلفة في الملل واللغات ، ولاستعجالهم في حب الظهور ، والاستئثار بجميع الامور ، فما سددوا وما قاربوا ، وقد اشير اليهم بالاصابع فلم يلبثوا ان سقطوا ، وصدقت عليهم الحكمة النبوية في هذا الحديث الشريف

رفعت الامم اسم « الاتحاد والترقي » بعمل صادق بك الخفي وإخلاصه العظيم ، فتدفق الثناء على الاتحاديين في أنهار صحف الشرق والغرب حتى صار بحرا زاخراً طفت فوقه اسماء كثيرة فرآها الناس سابحة في الثناء، منها ماله قيمة كالفلك ومنها ماهو كالغثاء، ورسب في قاعه اسم صادق بك كما يرسب الدر في أعماق البحار ، فلم تهتف باسمه الجرائد ، ولم ينوه به في تلك الخطب والاغاني والقصائد ، كما نوه باسم نيازي وانور اللذين كانا سيفين من سيوفه تحركهما يده العاملة وتصرفهما أوامره النافذة ،

ألا إن صادق بك هو « قومندان » الانقلاب العثماني وموجد الدستور

واسأل عن ذلك كتاب (خاطرات نيازي) فهو يخبرك اليقين ، « ولا ينبئك مثل خبير » فصادق بك اجدر رجال الدستور بالظهور واحقهم بالثناء وكلهم يعرف له هذا الفضل ولكنه هو الذي احب الخمول وترفع عن الثناء والمكافأة على عمله من الجمعية أو الحكومة ، فهو الزعيم الذي لم يأخذ مالا ولا وساما حتى ان شوكت باشا رغب اليه ان يقبل يوم عيد الدستور من السنة الماضية وساما مرصعاً تقرر إنعام السلطان به عليه فلم يقبل . زرت صاحبا لي من الاتحاديين قبل ذلك العيد بيوم واحد فقال لي لو جئت قبل ربع ساعة لوجدت صادقاً هنا وقد اخبرني بكذا وكذا وذكر مسألة الوسام ومسائل أخرى

انني لما جئت الآستانة في عام ١٣٢٧ كان صادق بك لايزال عميد الجمعية المسئول (أي رئيسها ويسمونه المرخص العام لان من نظامها أنه ليس لها رئيس ويشبه الخلاف ان يكون لفظيا) ولما عرضت مشروع الدعوة والارشاد (أو العلم والارشاد كما سينبئك هناك) على الصدر الاعظم قال لي هذا مشروع نافع لا بد منه ولا يتم هنا شيء الا

اذا رضيت به جمعية الاتحاد والترقي وسأكلم صادق بك في المشروع ثم اخبرك هل يمكن تنفيذه أم لا ، ودعا حاجبه وقال له اذهب غدا الى صادق بك وقل له انني احب ان أراه . ثم أخبرني الصدر ان صادقا اقترح تأليف لجنتين للبحث معي في المشروع إحداهما علمية دينية والاخرى سياسية إدارية ، وبرأيه تألفت اللجنتان وبعد البحث الطويل أقرتا المشروع فقال لي الصدر الاعظم ان المشروع قد تم نهائياً فألف الجمعية وتعال أخصص لك المال اللازم للتنفيذ . وقد علم قراء المنار من قبل ان وزارة هذا الصدر (وهو حسين حلمي باشا) قد استقالت قبل أن يتم لنا تأليف الجمعية وازيدهم الآن ماهو المقصود هنا وهو ان صادق بك ترك العمل في الجمعية ولماذا ؟

كان من رأي صادق بك بعد أن استقر أمر الدستور وتألف مجلس الامة ان تترك الجمعية للحكومة الحرية في عملها وتكتفي بالمراقبة عليها فلا تتعرض لشيء الا اذا رأت الدستور مهدداً بالزوال وقد اتفق مع محمود شوكت باشا على منع الضباط من الاشتغال بالسياسة ولما كان لامندوحة له عن الاستمرار في خدمة الجمعية عوّل على الاستقالة من الجيش ، وبعد هذا الاتفاق خطب محمود شوكت باشا خطبتيه الشهيرتين في الفيلق الاول بالآستانة والفيلق الثاني بادرنه ، وصرح في الخطبة الثانية بقوله ان أخانا صادق بك لما كان يريد البقاء في جمعية الاتحاد والترقي فسيقدم لي استقالته ،

كان الذين تواطؤا على الاستقلال بزعامة الجمعية والسيطرة على الحكومة قد استمالوا اليهم قبل هذا الاتفاق كثيراً من الضباط بضروب من الاستمالة فصار لهم عصبية منهم ولما صار طلعت بك ناظر الداخلية كان أقدر من غيره على هذه الاستمالة فأدخل في الوظائف الادارية كثيراً من الضباط وقد كنت مدعوا عنده في بعض الليالي فجاء اثنان منهم ونحن سامرون معه في الليل فكان الواحد منهم يجلس في مكانه ويعبث بمكتبه ويبحث في أوراقه ورأينا ان حديثه معنا قد تلجلج وان من حسن الذوق ان ننصرف ليخلو لهما وجهه ، وندع الحديث الى وقت آخر فاستأذنا وانصرفنا

كان ارتباط زعماء الجمعية بالضباط واشتغال الضباط بالسياسة من أعظم الاخطار التي تهدد الدولة وقد انتقدته الجرائد الاوربية باشد مما انتقدت غيره من أعمال الجمعية بعد ظهور الخلل فيها ، وانتقده الجم الغفير من الضباط كما سمعت باذني من بعض أركان الحرب منهم وغيرهم حتى كان يخشى ان يقع الشقاق في الجيش نفسه بالتنازع بين أنصارها والساخطين عليها من الضباط وقد وافق صادق بك محمود شوكت باشا على تلافي هذا الامر ولم يقدر على تنفيذه بالفعل

كتب صادق بك استقالته من الجيش وكتب مذكرة للجمعية المركزية اشترط فيها لبقائه عاملا في الجمعية باسم المرخص أو المدير المسئول شروطا منها أن يترك طلعت بك نظارة الداخلية وجاويد بك نظارة المالية واحمد رضا بك رئاسة المجلس لانه لاينبغي على رأيه ان يكون زعماء الجمعية من رؤساء الحكومة لما لهم من القوة التي تمكنهم من الاستبداد ، فكبر ذلك على هؤلاء الزعماء بعد أن مكنوا لانفسهم في الارض ورأوا انهم صاروا في هذه الدولة هم الائمة الوارثين ، وكان قد ظهر من رياستهم تنفير جميع العناصر العثمانية من اخوانهم الترك . وتقدم اليهود في نظارة المالية على غيرهم ، واعلاء كلمة الماسونية ، والاسراف في نشرها ، وتقديم المقدمين فيها على غيرهم في جميع المناصب والاعمال ، وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة وقوة

كبرت شروط صادق بك على أولئك الزعماء فكانوا منها في أمر مريج لان ترك السلطة والدولة بعد التمكن منهما لاتسمح به النفس ، ومخالفة صادق بك ليست بالامر السهل ، فرأوا بعد الروية والتفكير أن يجتهد في اقناعه بالتنازل عن بعض تلك الشروط وأهمها عندهم ترك السلطة وحرية الحكومة بعدم سيطرة الجمعية عليها ، وقد بلغني يومئذ ممن أثق به من الاتحاديين ان طلعت بك قصد دار صادق بك غير مرة في الليل ولم يأذن له صادق بلقائه ، ولما رأى انه لايسهل عليهم اجابته الى ما طلب وأنهم خائفون منه ان يحاول تنفيذ مطالبه بالقوة وعلم — كما قيل لي يومئذ — انهم يراجعون من استمالوه من الضباط لتأييدهم ، أمنهم من اعتماده على السيف في ذلك لان هذا هو الذي ينكره ويخشاه فكيف يكون هو البادئ به ، وآذنهم بانه يترك لهم جمعيتهم ويسترد استقالته من الجيش وكذلك فعل ، وكان هذا من آيات اخلاصه الكثيرة

ترك لهم هذا الصادق كلا من الجمعية والحكومة فبعد ان قلبوا وزارة حسين حلمي باشا لانه لم يستطع الصبر على أن يكون آلة معدنية في يدي طلعت وجاويد جاؤا بحقي بك فجعلوه صدرا والناس مختلفون فيه فظهر بعد الاختبار أنه أصبر الناس على ما لم يطق قبوله كامل باشا ولا الاستمرار عليه حسين حلمي باشا ، وتفاقمت الخطوب من سياسة طلعت وجاويد حتى ضج مجلس الامة بالشكوى وبلغت أصوات المعارضين عنان السماء بعد ان ازعجت سكان الارض حتى اضطر طلعت بك الى الاستقالة من نظارة الداخلية فصوبت سهام المعارضة بعده الى جاويد بك خاصة والى رجال الوزارة عامة ، والى جاهد بك صاحب جريدة (طنين) الذي هو المحامي عن جمعية الاتحاد والترقي بقلمه المسموم الذي سماه بعض أدباء الاستانة من الترك « سفيه القوم »

اني أقمت في الاستانة سنة كاملة ، وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبآت صناديق أسرارها ، ووردت في ذلك موارد قلما تتيسر كلها لاحد ، فقد عاشرت كثيرين من العلماء والوجهاء والادباء والضباط والمبعوثين والاعيان ورجال الحكومة وغيرهم ومنهم من لهم صلة بالاسرة السلطانية ، ومنهم الاتحادي وغير الاتحادي ، وقد استفدت من مجموعهم الجزم بعدة مسائل أذكر منها مايفيد في هذا المقام :

(١) ان مولانا السلطان متبرم من القوم وغير راض من الحال العامة وينتظر ان تغيرها الحوادث الى أحسن مما هي عليه ، ولا أزيد على هذا في هذه المسألة

(٢) ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون ان تبقى الدولة في أيديهم يديرونها كما يقررون فيما بينهم بزعماء حزبهم في مجلس الامة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح ، ويؤيدهم في ذلك طائفة من ضباط الجيش

(٣) يجب على كل وزير أو رئيس عمل منهم أن ينفذ كل ما تقرره اللجنة العليا للجمعية في الحكومة

(٤) يديرون نظام حزبهم في المجلس بطريقة تجعله آلة في أيدي من فيه من زعماء الجمعية كطلعت بك ورحمي بك وجاويد بك وخليل بك ومن يليهم في النفوذ كجاهد بك واسماعيل حقي بك ، فاذا اتفق هؤلاء مع لجنة سلانيك على أمر جمعوا حزبهم للمذاكرة فيه وهو متفق عليه بين الزعماء ومن يقنعون به قبل الاجتماع ممن يسهل إقناعهم ، ومن نظام حزبهم أنه اذا أقر الثلثان من حاضري الجلسة فيه أمراً وجب على الباقين اتباعهم بغير مناقشة فكان اذا حضر الجلسة ستون وهم نصف أعضاء الحزب واتفق أربعون منهم على المسألة تبعهم الباقي هم ١٢٠ فينفذ في المجلس على انه رأي أكثر أعضائه وانما هو رأي الاقلين من حزب واحد من أحزابه

(٥) ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الاسلامية

(٦) ان من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول ، والى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد

(٧) من أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة والسلطة في المملكة العثمانية

للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة الى إضعاف اللغة العربية وإماتتها في المملكة وتتريك العرب مع إبقائهم ضعفاء بالجهل والضغط وذبذبة اللسان ، ومنع الالبانيين والاكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية . وهذا من المقاصد السرية التي لا يعترفون بها على استعجالهم بتنفيذه بالعمل وبكتابة جريدة طنين

من آثار هذه السياسة هذه الحرب الطحون في اليمن والبلاد الالبانية وقد كان من أسهل الامور تنفيذ الاصلاح المعقول في هذين القطرين في ظل السلام والامان

قد وقفنا في الآستانة على كل هذا ورأينا أهل الرأي والغيرة من سكان هذه العاصمة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب من سياسة هذا الرهط من زعماء الاتحاديين ولم أحب أن أشرح تلك الامور وأبين ما فيها من الخطر بل سعيت الى الاصلاح هنالك ما استطعت فلم يغن نصحي لهم شيئاً ، ولما عدت الى مصر أشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسونية في هذه المملكة الاسلامية ، وتركت الشرح والتفصيل ، والتشنيع والتقريع ، لانني لم أر ذلك من الحكمة

كان صادق بك كل هذه المدة بالمرصاد يراقب الحوادث من بعد لا يحرك فيها قلماً ولا لساناً ، ولا يجرد لها سيفاً ولا يشرع سناناً ، حتى اذا ما رأى قوة المعارضين للاتحاديين ووزارتهم من أحزاب المجلس قد عظمت ورأى ان أهل الاستقلال والانصاف من حزب الاتحاد نفسه متبرمون من الحكومة ومن تأييد أولئك الزعماء لها ومن سياستهم الماسونية ولوازمها — حتى إذا ما رأى ذلك خانه الصبر وعز عليه ان يدع الدستور الذي أخذه بقوة يمينه والجمعية التي شرفها بعمله واخلاصه آلة في يد هؤلاء الرهط الذين لم يحسنوا التصرف ولم يقيموا الميزان ، فمد يده الى المستقلين المنصفين من حزب الاتحاد ، وبذل لهم مظاهرته فيما يقيمون به عوج أولئك الافراد ، ويحولون بينهم وبين الاستبداد ، ويصلحون ما حدث في الامة والدولة من الفساد ، فاشتدت عزائمهم ، وصاحوا في وجوه أولئك الزعماء تلك الصيحة المزعجة ، واقترحوا عليهم تلك الاقتراحات المنصفة ، فارتفعت أصوات التأييد والتفنيد ، فكانت أصوات طلاب الاصلاح أجهر ، وعددهم أكثر ، فأظهر الزعماء الرضا واجمين ، وذلت أعناقهم لها خاضعين ، ثم ولوا الى أنصارهم مدبرين ، ووجهوا الى ضباطهم مستنصرين ، فاذا ليث الغاب ، قد انكشف عنه الحجاب ، ففزع حقي باشا الى مولانا السلطان ، وقال انه لا يكون في العاصمة صدران ، فاما قبول استقالتي ، وإما دفع صادق بك بالتي ،

وإخراجه من المدينة ، ريثما تعود اليها السكينة ، فأوحى الى محمود شوكت باشا أن يخرج صادقاً ففعل وما كاد ، ونبأنا البرق ان صادقاً أبى أولا ثم أجاب

كان أول ما طرق مسامعنا في هذه الحادثة قول البرقيات العامة ان الامير ألاي صادق بك (وذكرها بعضهم صديق) ابى ان يطيع الامر بالخروج فاستكبرت الامر ، واستعظمت الخطب ، ورأيت الناس حولي غير مبالين ، فقلت ان هذا هو البلاء المبين ، ولا بد ان ننتظر تفسيره الى حين ، فان الدولة لم يظهر فيها بعد الانقلاب الا رجلان عسكريان ، احدهما صادق بك موجد الدستور ، وثانيهما حامي بيضته وهو محمود شوكت باشا فاتح استانبول ، ولكل منهما مكانة في الجيش عظيمة فاذا تصادما وقع الخلل في الجيش وذهبت الثقة بالدولة ، ولا يعلم العاقبة الا الله تعالى ، واني لا أصدق ان صادقاً الضابط المخلص الكامل يعصي أمر رئيسه ، واحمد الله ان صدق ظني ، ولم تلبث البرقيات ان شهدت بصحة قولي ، ثم جاءت صحف الآستانة ورسائلها بالتفصيل ، وعلى الله قصد السبيل ،

مطالب المصلحين في حزب الاتحاد

جاءت مطالب المصلحين مصدقة لجميع ما كنا علمناه في الآستانة من حقيقة ما عليه زعماء الاتحاد ومن تأثير سياستهم ، وقد حدثنا به خواص أصحابنا ، واشرنا الى المهم منه في المنار ، وهاك مطالبهم العشرة التي قرروها وأعلنوها

«١» ان لا يسعى المبعوثون الى الامتيازات والمنافع لانفسهم ولا لغيرهم

«٢» ان لا يقبل المبعوثون وظائف الحكومة وأعمالها

«٣» ان يكون قبول أحد المبعوثين نظارة من النظارات بقرار الثلثين من فرقة الاكثرية ويكون اعطاء الرأي بالطريقة السرية

«٤» ان يعتنى بتنفيذ القوانين وبالمراقبة على النظار

«٥» أن يعتنى بمسئلة اتحاد العناصر (كما كان) وان يبذل الجهد في سبيل ترقي الزراعة والصناعة والتجارة والمعارف على نسبة الاحتياج

«٦» أن يحافظ على الآداب والاخلاق العمومية الدينية مع الاقتباس من المدنية الاوربية

«٧» ان يحافظ على عادات السلف ضمن دائرة القانون الاساسي

«٨» ان يعجل بقانون نصب وعزل عمال الحكومة الموظفين

«٩» ان يعدل في القانون الاساسي بعض المواد المتعلقة بحقوق الخلافة والسلطنة
«١٠» أن تقاوم مقاصد الجمعيات المؤسسة على السر.

كل مطلب من هذه المطالب حجة على الاتحاديين الذي كانوا يصفون جمعيتهم بالجمعية المقدسة وعلتهم سياسة اولئك الرهط من الزعماء، دع أخذ الامتيازات والسمسرة لطلابها، ودع التوسل بالمبعوثية الى المناصب وهو ما يعيبون به غيرهم بالتهمة، ودع عدم تنفيذهم القوانين والحكومة في أيديهم، وحمايتهم للنظار ونصرهم على كل حال ودع عدم وضعهم قانونا للعزل والنصب ليكون الامر كله تابعاً لمشيئة الافراد، ودع تنفيرهم عناصر الدولة كلها من الحكومة ومن العنصر التركي الذي لاذنب له سواهم، وتأمل مسألة المحافظة على الآداب والاخلاق الدينية وعادات السلف، فان اقتراحها يدل على انه يراد بها درء مفاسد هي أشد خطراً على الامة ولا سيما على العنصر التركي من جميع تلك المفاسد السياسية والادارية، فانما الامة بمقوماتها ومشخصاتها من العقائد والشعائر والآداب والاخلاق، وقد كانت كلها عرضة للفساد، بجعل الصلاة في مدارس الحكومة ولا سيما الحربية امراً اختياريا، ومن إباحة تهتك النساء، بل الامر أعظم من ذلك فقد سمعت بأذني بعض الزعماء يجادل معمما من رفاقه الاتحاديين فيما ترتقي به الامة، فالمعمم يقول اننا نرتقي بالمحافظة على آدابنا واخلاقنا وشعائرنا وسائر مقومات حضارتنا الاسلامية وباقتباس الفنون والصناعات من اوربة، والزعيم يقول بل يجب ان نمشي وراء فرنسة في كل خطوة ونتبع سننها شبراً بشبر وذراعا بذراع في الامور المادية والمعنوية جميعاً وان نعصر رجال الدين عصراً الخ

ثم تأمل مسألة الخلافة الاسلامية والجمعيات السرية وتذكر مقاصد الماسون في الحكومات ومقاصد الصهيونيين في فلسطين، وقل رب احكم بالحق وانت احكم الحاكمين

المسلمون والقبط

—

النبذة السادسة

انما نطلب حفظ حقوقنا لا إضاعة حق للقبط

اذا كنت اكتب لاجل ايذاء القبط أو التحريض على ايذائهم، أو لاجل محض مدافعتهم، ومنعهم مما لا أراه حقالهم، فلا حملت بناني قلما، ولا حفظت كما أمرني الرسول صلى الله عليه وسلم ذمة ورحما، بل أشهد الله انني لا أكتب الا لاجل الخير والمصلحة دون الايذاء والمفسدة. ولفوائد ايجابية. لا لاغراض سلبية. واذا كان المؤتمر المصري يجتمع ليأتمر بتخطئة القبط في مطالبها فقط فلا خير في هذا المؤتمر واجله ان يكون عمله سلبيا فقط

اني منذ خبرت حال مصر رأيت ان للقبط روابط ملية. دون الرابطة العامة المصرية. بها يتعاونون ويتناصرون. وعليها يجتمعون ويتحدون. ولها يتعلمون ويتربون، واليها يرجعون. فهم بها أمة كما يقولون. وليسوا عضوا من جسم الامة المصرية اذا اشتكى عضو من سائر الاعضاء تألموا له. بل هم جسم تام مستقل بمقوماته ومشخصاته القومية. وانما يتصل بما يجاوره ليتغذى منه ويمد حياته لا ليمده ويغذيه

هذا ما رأيت عليه القبط فأكبرته وحمدتهم عليه.

ورأيت المسلمين على غير ذلك. رأيتهم يتخاذلون ويتفرقون، ويمتص غيرهم مادة حياتهم ولا يشعرون. تتعادى أحزابهم ويصفون اكثر النابغين فيهم بخيانة الامة والوطن. وهو وصف لا ينطبق على أحد منهم وانما علتهم الضعف واقتل سببيه تخاذل أمتهم، ليس لهم تربية ملية تجمعهم، ولا وحدة في التعليم تضمهم، وثروتهم عرضة للزوال باسرافهم. لا يشعر بعضهم بمصاب بعض. وليس لمجموعهم شرايين ولا أوردة يكون به جسما واحداً يمد بعض أعضائه بعضاً بالغذاء ودفع الاذى

هذا ما رأيت عليه المسلمين وفيهم من النابغين ما ليس في القبط . ليس عندهم قضاة كقضاتنا . ولا محامون كمحامينا .ولا اداريون كادارينا . ولا أطباء كاطبائنا . ولا كتاب ككتابنا ولا شعراء كشعرائنا . أعني أن النابغين فينا أكثر وارقى من النابغين فيهم، ولكنهم أرقى منا في الحياة الملية، والمقومات القومية، التي يكون بها أفراد الشعب كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسم الواحد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر البدن بالحمى والسهر ، كما وردت الأحاديث في وصف المؤمنين ، وقد فقد المسلمون قوة هذه الصفات التي جعلها الله سر دينهم وآية ايمانهم فلم يغن عنهم النابغون شيأ

هذا التفاوت بين شعبين يشارك أحدهما الآخر في جميع مرافق الحياة تحذر عواقبه ، ولا تؤمن مغبته ، احدهما قوي بالاتحاد والتكافل، والآخر قوي بالكثرة ضعيف بالتخاذل ، دأب المتحدين الطمع في سلب مرافق المتخاذلين ، وبذلك ساد بعض الشعوب على بعض ،وكثيراً ما كانت الفئة القليلة،هي التي تسود الفئة الكثيرة ، والطامع قد يوغل في حقوق الغافل بغير رفق ، والعنف في الايغال قد يفضي الى العنف في الدفاع ، فيكون من ذلك مالا خير فيه للبلاد ، فاحببت منذ سنين أن انبه المسلمين الى ما تصان به حقوقهم ، مع حفظ المودة بينهم وبين من يعيش معهم ، فكتبت في ذلك كثيرا ، ولكن المسلمين كانوا في شغل عن ذلك ، فيقل فيهم من قرأ ما كتبت ويقل فيمن قرأ من فهم ، ويقل فيمن فهم من اعتبر ، ويقل فيمن اعتبر من حدث غيره بما أصاب من العبرة. وهكذا شأن الغافلين المغرورين ينتبهون بالحوادث لا بالاحاديث

انني مؤمن والمؤمن لا ييأس من روح الله ، ولا يقنط من رحمة ربه، ولو يئست من حياة المسلمين لما رأيت شيئاً من الخطر على البلاد في استمرار غفلتهم ، الى أن تصير وظائف الحكومة وثروة البلاد في غير أيديهم ، سواء أوغلت القبط في ذلك برفق أو بعنف ، فان الامراض التي تموت بها الامم تكون كداء السكتة يذهب بحياة المرء وهو لا يشعر بأنه يموت . ولكنني أعتقد ان في مسلمي مصر حياة ضعيفة لم تصل الى درجة التكافل والتضامن ، وان الخير في تقويتها بالدعوة الى حفظ المصالح ، لا بالدعوة الى دفاع المهاجم ، وان هذا لا يكون الا قبل أن يغلبوا على مصالحهم، ويروا أنفسهم مسخرين لمن كانوا دونهم ، يومئذ يخشى أن لا يروا في أيديهم الاسلاح الكثرة فيستعملونه للضرورة فيما يضر البلاد من الاعتصابات والفتن ، فتلافي ما يخشى في المستقبل منذ الآن ، هو الذي يحملنا على هذا البيان .

ما رأيت استحسانا عاما لشيء نشر في الجرائد بعد رد الاستاذ الامام على هانوتو

كاستحسان ما كتبته في هذه الايام من المقابلة بين المسلمين والقبط . يذكر لي ذلك كل من أراه . وكتب الي والى المؤيد غير واحد يشكرون لي ذلك ويطلبون المزيد منه ، أذكر هذا تمهيداً لقول بعض هؤلاء الحامدين الشاكرين : لماذا لم تنبهنا من غفلتنا بمثل هذه المقالات قبل اليوم؟ ولهؤلاء أقول انني قد فعلت وقلما قررت حقيقة في هذه الايام الا وقد بينتها من قبل في المنار أو في بعض الجرائد اليومية. ولكن المسلمين كانوا في غمرة ساهين ، لا يعنون بما يكتب ولا يحفلون به الا مايكون عند الحوادث المؤلمة ، والصيحات المزعجة ، ثم لا يلبثون أن ينسوا ويعودوا الى سابق لهوهم وسهوهم، حتى خشيت أن نكون كما قال شاعرنا من قبل في مثله الذي يشبهنا فيه بالغنم الراعية تظل غافلة متمادية في رعيها حتى اذا ما سمعت نبأة صائح ترتاع وترفع رؤوسها تاركة الارتعاء فاذا سكت الصائح عادت الى سابق شأنها أعني بهذا قول ابن دريد في مقصورته

نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارب أخلى فارتعى
اذا أحس نبأة ريع وان تطامنت عنه تمادى ولها

صاح القبط منذ ثلاث سنين مثل صيحتهم في هذه السنة فكتبت مقالة في المنار عنوانها (المسلمون والقبط) كان لها باعتدال الرأي والادب في العبارة أحسن الوقع فنقلها بعض أصحاب الجرائد اليومية ولخصها بعض آخر، فلم تلبث القبط أن سكتت صيحتها ، وسكنت في الظاهر دون الباطن ثورتها، فنسي المسلمون ما كان ،حتى تجددت الصيحة في هذا العام، بأقوى وادوم مما كان في سابق الاعوام

افتتحت تلك المقالة بهذه الجملة :

«سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصر بينا فيه أن المسلمين من حيث هم أفراد أرقى من القبط في كل علم ، وأن القبط من حيث الاجتماع والتعاضد الملي أرقى من المسلمين ، فلهم مجالس ملي وجمعيات وجرائد دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط ، وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ما حمدتهم وأحمدهم عليه وأتمنى لو يوفق المسلمون لمثله ، وان كنت أعلم أنه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيباً ويجعل عنوان خطابته « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم أوربة ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحيون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض »

ثم بينت نسبة القبط الى المسلمين في العدد وفي أعمال الحكومة وأنهم أكثر فيها من

المسلمين ، وهم يدعون على ذلك أنهم مظلومون مهضومون ، ويطلبون لانفسهم سائر أعمال الحكومة التي في أيدي المسلمين ، وأنهم يسمون أنفسهم أهل البلاد ، ويُدلون ويفخرون على المسلمين بالانتساب الى آل فرعون ذي الاوتاد ، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأتاوي معتد ، وينكرون أن يكون للمسلمين فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون ، على ادعائهم الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وبينت فيها مواثبتهم للمسلمين من أضعف جانب يرونه فيهم ، وهو تهييج الانكليز وسائر الاوربيين عليهم بتهمة التعصب الاسلامي ، وكون هذه المواثبة قد تفضي الى ندم المسلمين على ما قاموا به من دعوة الوطنية واعتقاد أنها كانت خساراً عليهم وربحاً وفوزاً للقبط ، وأنهم اذا خسروا مودة المسلمين فلا يمكن أن يجدوا عوضاً خيراً منها فانهم لا يقدرون على استقلال أرضهم بعد ذلك

وبينت هنالك أن القبط لا يمتازون على غيرهم من نصارى المصريين ويهودهم وانما ميزهم المسلمون عناية بهم ، وبحثت في دين الحكومة الرسمي وذكرت مساعدة بعض رجال الدين من الانكليز لهم ، وأن المساواة التي يطلبونها هي امتياز على المسلمين من وجه آخر

نصحت للقبط في تلك المقالة نصيحة لو عقلوها وعملوا بها ، لما وقعوا في السيئة التي ندموا الآن أن اجترحوها ، وقد سبني في هذه الايام كتابهم في جرائدهم ولو عقلوا قولي لاستبدلوا الثناء بالهجاء ، فقد بينت لهم الآن كما بينت لهم من قبل ان المسلمين يغلب عليهم النسيان والتواكل ، وانه لا شيء يحول دون سلب القبط منهم كل ما في أيديهم الا هذه الجعجعة بالقبطية والمسيحية ، التي تدفعهم بالرغم منهم لمقابلتها بالجنسية الاسلامية ، وهذا نص نصيحتي لهم منذ ثلاث سنين :

« فالرأي عندي للقبط ان لا يغتروا بترجيع بعض الجرائد الافرنجية لاصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به — ان كان ماقيل حقاً — فانهم مهما أصابوا من تعضيد في مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم ان يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم ، أو الى خير منه ان استطاعوا . والمسلمون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون ان يغفروا لهم ، وينسوا ما كان منهم ، ففي حديث أبي هريرة عند ابي داود والترمذي « المؤمن غر كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا أنني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فانني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين

الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظاً لحقوقهم التي اغار عليها ، ولكنني أفضل ان يكون تنبيهي لهم بغير هذا :

« احب ان يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ، وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووئام مع من يعيش معهم ، وانصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط ، ولو لم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيرا لهم واحسن اطفاء لتلك الفتنة وخذلاناً لموقظيها . ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية ، وذكر الوقائع في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم الملي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط أن يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التأنيب والتجريح ، فضلا عن الهجر والتقبيح »

لم تعمل القبط بهذه النصيحة لاعتقادها أن المسلمين قد قضي عليهم ، وأنهم أمسوا مشلولين لا حراك بهم ، وزادها غرورا ان رأت المسلمين نسوا تلك الغارة الشعواء ولم يأخذوا حذرهم من مثلها ، ولا سمعوا نصيحتي باحصاء الموظفين ، لبيان أن القبط غابنون غير مغبونين ، فها هم أولاء قد استدركوا في هذه المرة ما فاتهم في الغارة ، فكانت كرة القبط كرة خاسرة

انني على تنبيهي للمسلمين وحرصي على حفظ مصالحهم ومرافقهم ورغبتي في ترقيتهم ، أجري على ما تعودت من المحافظة على مودة كل من يعيش معهم ، ويشاركهم في أوطانهم ، ولهذا قلت انني أحب نصحهم بغير هذه الوسيلة ولذلك أشرت عند الحركة الاولى الى ما يسكنها ، وقد سكنت وأبت القبط الا أن تعود الى تحريكها ، وثبت لنا ان المسلمين لا ينتبهون الا بمثل هذه الصيحات المنكرة في وجوههم

نبهت قبل هذا على النسبة بين المسلمين والقبط في مصر وبينهم وبين غيرهم في الاقطار الاخرى بمقالات اجتماعية شخصت الحال تشخيصاً وذكرت بما يجب تذكيراً . واني للغافل الذكرى ؟ كتبت في الجزء الاول من مجلد المنار الثامن الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٣ (مارس سنة ١٩٠٥) مقالا عنوانه (حياة الامم وموتها) عرفت فيه حياة الامة بانها أثر روح يسري في أفرادها فيشعرهم بان مكان كل واحد منهم من مجموع الامة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعة نفسه ومنفعة امته معاً كما ان عمل كل عضو في البدن يكون سبب حفظ حياته من حيث هو سبب لحفظ حياة البدن كله » وقارنت بين حياة الافراد وحياة الامم وبين حياة الاجسام وحياة النفوس وضربت المثل لامة تموت بالوارث المسرف ، ولامة تحيا بالتاجر المقتصد ،

ذلك ينقص ماله الكثير كل يوم، وهذا يزداد ماله القليل كل يوم. وأول ما يخطر في بال المصري في هذا المقام ورثة شريف باشا واجراؤهم وخدمهم من القبط، أولئك أضاعوا ثروتهم الواسعة فصاروا فقراء، وهؤلاء امتصوا تلك الثروة فصاروا أغنياء

قلت في تلك المقالة « معرفة شؤون الامم والشعوب، أخفى على الاكثرين من معرفة حال الافراد والبيوت، فكم من جاهل يفضل أمة على أخرى لانها أصح ديناً وأعدل شريعة، أو لانها أشرف أرومة، وأعرق في المجد جرثومة، أو لان تراثها من سلفها أكثر، ومزاياها الجنسية اشهر، أو لانها أكثر عدداً ومدداً، وأعز عشيرة ونفراً، واذا صح ان يكون هذا كله أو بعضه للأمة التي تموت زمناً من الازمان، فانه لا يبقى الا ريثما تتصل بها أمة حية، فترى هذه تمتص جميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية، وتلك تحمل آفات هذه وعللها البشرية، حتى تكون احداهما في عليين، والاخرى في أسفل سافلين

« يسهل على القارئ في الشرق القريب أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسيه أو لغوية، وتفصل بينها روابط نسبية أو ملية، فانه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة العدد وكثرة المال، وقوة الحكم وقوة العلم، ثم يجد نفسه تفضل قليل المزايا منهما على كثيرها. لانه يرى الشعب الكثير المزايا يتمزق ويتفرق فتذهب مزاياه بذهاب الاعوام، والشعب القليل المزايا ينمو ويسمو ويجتمع ويتألف فيعتز ويشرف باقبال الايام، يرى الشعب الكبير يتخاذل فيتضاءل، والشعب الصغير يتلاءم ويتعاظم، وما ذلك الا أن في أحدهما نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب فيقوى ويزكو، وتغذيه كل يوم بغذاء جديد فينمو ويسمو؛ وليس في الآخر شيء من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل، ويحقر ويذل »

ثم بعد مقارنة أخرى بين شعبين يحيى الكبير منهما ويموت الصغير فندت رأي من يجعل للصغر والكبر دخلا في الحياة والاتحاد بما نصه:

« لا يغرنك ما ترى من آيات الحياة في أمة تقطعت روابطها، وانفصمت عروة الثقة بين أفرادها، وبغض اليها النظام، وفقدت التلاحم والالتئام، وان كان ما تراه أخلاقا كريمة، ومعارف صحيحة، وثروة واسعة، وسلطة نافذة، مع العلم بأن هذه الاشياء كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لذهابها، فقد يكون ذلك من بقايا ارث قديم، يعبث به الفساد الحديث، الا أن ترى العلم والاخلاق تقرب البعيد، وتجمع الشتيت، وتزيد في الثقة بين الناس، وتدعو الى التعاون على البر والاحسان، وترى الثروة

تجمع مع ملاحظة مصلحة الامة وينفق جزء منها على المنافع العامة » الخ

وقد كتبت في تلك السنة (١٣٢٣) مقالة أخرى عنوانها « المسلمون والقبط أو – آية الموت وآية الحياة » كان سببها ما كتبه المؤيد وكتبته جريدة الوطن في مسألة « التعليم الديني والحكومة » وما طلبه القبط من مساواتهم بالمسلمين فيما يشترط في اعفاء حفاظ القرآن من خدمة العسكرية. وذكرت في هامشها انني « طالما عزمت على كتابة مقالات في المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة ثم أرجأتها » وسبب الارجاء انتظار الفرص التي تنبه الاذهان الى ما يكتب والنفوس الى العبرة به

وجملة القول اننا نرى ان القبط يطلبون ما ليس بحق شرعي لهم وانما يطلبونه بقوة الاتحاد الملي وضعف المسلمين وتخاذلهم ونرى المسلمين تضيع حقوقهم الشرعية وهم غافلون. ونرى ان القبط قد أيقظوا المسلمين ونبهوهم قبل الوصول الى حد اليأس الذي تخشى عاقبته. ونرى ان بيان حق كل ذي حق ومكان كل من الآخر هو الذي يمكن أن يبنى عليه الصلح الثابت، والوفاق الدائم، وسنبين في النبذة التالية مكان كل من هذه الحكومة وهل هي حكومة اسلامية أم لا

***

النبذة السابعة

هل الحكومة المصرية اسلامية أم لا

انني بحثت وأبحث في مقالي هذا عن الحقيقة الكائنة لا عن الرغبة التي أحب أن تكون، والعاقل هو الذي يحب جلاء الحقائق، وبيان الواقع الكائن، ويستفيد منه عبرة، ويزداد بصيرة، فيسلك الى مقاصده في طريق النور لا طريق الظلمة. ولو تدبرت القبط هذا لكافأتني جرائدها بالحمد والشكر، لا بما جاءت به من السب والهجر.

من هذه الحقائق التي أبينها في هذه النبذة وقد أشرت اليها من قبل ان المسلمين يعدون أنفسهم أمة جنسيتها الاسلام وأنه يجب أن يكون لهم حكومة اسلامية. وان جنسيتهم هذه واسعة عادلة لا تفرق في العدل بين المسلم وغيره. وذات سماحة وحرية لا تمنع أهلها أن يشاركوا غيرهم فيها وفي جميع مرافق الحياة. كما ولوا القبط في القديم والحديث الى هذا اليوم أكثر أعمالهم في الحكومة وكذا في عقارهم وأرضهم وأوقافهم

بالغوا في التسامح وأسرفوا في الجود والسماحة في أيام قوتهم وقنعوا من السلطة باسم السيادة وكونهم هم المعطين وغيرهم هو المعطى حتى اذا ماحل بهم الضعف صار ماأعطوه للاجانب حقوقاً وامتيازات يستعلون بها عليهم ويزيدون فيها بقوتهم ماشاؤا، ويفسرونها كما أرادوا . وقد كان هذا بتكافل الدول القوية واتحادها بالتدريج فأذاقوا المسلمين مرارة تفريطهم لقمة بعد لقمة ، وجرعة في إثر جرعة ، فتجرعوه كارهين مكرهين ، كما بذلوه من قبل راضين مرضيين .

أرادت القبط أن تقيس نفسها على الدول الكبرى فتسمي ما سمح لها به المسلمون حقوقا واجبة وتزيد فيها ماتشاء ، فأنشأت تطلب لنفسها الزيادة فيما سمته حقوقا وازالة مابقي للمسلمين من امتياز اسلامي بمشاركتها لهم فيه . وقد كان هذا مما يسيغه المسلمون المساكين جرعة بعد جرعة كما أساغوا تلك الامتيازات مع الاعتراف لهم بأن الحكومة حكومتهم . ولكن أبت جرائد القبط ومؤتمر القبط الا أن تنازع المسلمين اسم السلطة كما نازعتهم معناها. وانها لاحدى الكبر التي لم يئن للمسلمين في مصر أن يسيغوها مختارين

مضت سنة الله في أهل السيادة الذين يضيعون سيادتهم بسوء تصرفهم أن يكون آخر مايهتمون به الأسماء والالقاب والرسوم والشارات الظاهرة كما هو معروف في تاريخ الشرق والغرب

دع ذكر ملوك الطوائف وأمراء المسلمين من الاندلس الى فارس والهند واعتبر بحال أمراء جبل لبنان من مسلمي الشيعة تجدهم في آخر عهدهم ، بعد أن ملكت النصارى حتى من خدمهم واجرائهم معظم ما كان لهم ، كانوا يقنعون من الامتياز باللقب ولبس الاحذية الحمر التي كانت خاصة بهم من دون الفلاحين حتى كان الشيخ منهم يكون له الحقل أو الكرم الواحد من الارض والعقار فيهدي اليه الفلاح النصراني حذاء أحمر (جزمة) ويظهر له انه جيء به فلم يرد أن يلبسه تأدباً معه، فيهبه الشيخ اياه وربما كان آخر مايملكه

أصابت القبط موضع التأثير من قلوب المسلمين بقولها ان حكومة مصر ليست اسلامية (أو حركت الوتر الحساس من نفوسهم كما تقول الافرنج) وقد حمل هذه الدعوى خطيبهم في مؤتمر أسيوط قضية مسلمة لحمد الله وحمد نية المصريين ان كان الذين يقولون منهم ان هذا البلد اسلامي لايتجاوزون عدد الاصابع وهذا ألطف ماقالوه في هذا الباب لانهم قالوه بعد العلم بأن المسلمين تألموا من مؤتمرهم وعزموا على انشاء مؤتمر اسلامي

نعم ان المسلمين مفتونون بالحكومة في كل مكان ، وهذا هو الواقع وان أضر بهم في هذا الزمان ، فانه صرفهم عن ترقية أنفسهم، والاعتماد على استعدادهم ومواهبهم، ألم تروا ان المسلمين بمصر قد اهملوا امر الامة وتركوها للمرابين والمقامرين والقوادين والخمارين يغتالون ثروتها ، ويجنون على دينها وعرضها وصحتها ، وجعل اصحاب الجرائد وغيرهم من المتصدين والمتصدرين للامور العامة يجاهدون الحكومة والاحتلال المسيطر عليها ، وقد ترك للامة حريتها تعمل ما تشاء فلم تعمل شيئاً يذكر ، ولماذا ؟ لان الزعماء شغلوها بفتنة السلطة عن نفسها حتى انهم كانوا يعدون من يجب ان يكون همّ الامة الاكبر في ترقية نفسها بالتعليم والتربية والثروة خائنا للامة خادما للاحتلال ، لان الواجب عندهم قبل كل شيء هو ازالة الاحتلال ثم اصلاح الامة بالحكومة المستقلة

مقاومة الاحتلال بالسهل الممكن وهو الكلام طبيعي لااعتراض عليه، والانتقاد على الحكومة ـ والحرية واسعة ـ طبيعي لابد منه ، وانما المنتقد هو جعل المسلمين همهم كله في ذلك ، واهمالهم أمر تربية الامة وتكوينها ، وقد سلم من هذا الانتقاد القبط فكوّنوا أنفسهم حتى صاروا على قلتهم يقولون « الامة القبطية » بحق ، وانما أخطؤا أخيرا بما نازعوا المسلمين في شكل الحكومة وتصريحهم بأنها غير اسلامية

الحق الواقع ان جمهور المسلمين يرون ان حكومة مصر اسلامية وشعورهم في هذا رقيق جدا يجرحه القول اللطيف ولهذا كان لورد كرومر وهو ذلك الشجاع الجبار يتحامى ان يلمس أي شيء له علاقة بالدين ، وهذه هي سنة السياسة عند الفحول المقرمين من أهلها ، وعليها جرى الكثيرون في ابقاء بعض امراء المسلمين في البلاد التي ملك الافرنج أمرها كله كسلاطين جزائر جاوه وباي تونس وبعض النواب في الهند لتتوهم العامة أن حكامها من أبناء دينها

هذا هو شعور الجماهير واني لأعرف من المسلمين من يرى أن الخير للمسلمين أن تعلن هذه الحكومة رسميا انها غير اسلامية وان تترك للمسلمين جميع شؤونهم الملية يديرونها بأنفسهم كما تركت مثل ذلك للقبط وغيرهم كالمحاكم الشرعية والاوقاف والمعاهد الدينية كلها

يري هؤلاء ان هذا الاعلان اذا حصل يذهب بغرور المسلمين بهذه الحكومة التي لاحظ لهم من عنايتها ، ويبدلهم من بعد اتكالهم استقلالا واعتمادا على عملهم ، ومن بعد كسلهم نشاطا واقداما على ترقية أنفسهم ، حتى اذاما ارتقوا وتكونوا بتوحيد

التربية الملية والتعليم الحر فصاروا أمة واحدة تكون حكومتهم تابعة للرأي العام المستقل في الامة لان هذه هي عاقبة جميع الامم المرتقية

تقول القبط ان هذه الحكومة مصرية لااسلامية وحاكمها العام حاكم مدني لا حاكم ديني . وقد يحتج من يرى هذا بأنها تشرع مالم يشرعه الاسلام من القوانين وتبيح مالم يبحه من الفسق . وقد يرد عليهم الجمهور بأن خطأ الحكومة في هذه المسائل كخطأ الافراد فكما يخالف أفراد المسلمين هداية دينهم فيزنون ويسكرون، تخالف حكومتهم هذه الهداية فلا تمنع الزنا والسكر. وحكم الفقه أن المعصية لاتخرج صاحبها من الاسلام الا اذا جحد تحريمها وكان مجمعاً عليه معلوما من الدين بالضرورة . وكما تكون الامة يكون أولياء أمورها لانهم منها. وقد عرض لهذه الحكومة من سلطة الاجانب ماجعلها غير مختارة ولا مستقلة في كل شيء اسلامي لكن السلطة الاجنبية لم تمح منها كل ماهو اسلامي

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تستولى على مال من يموت من المسلمين عن غير وارث ، ولا تستولي على مال من لا وارث له من القبط وغيرهم من النصاري واليهود

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تتولى هي القضاء الشرعي الاسلامي في الاحكام الشخصية وتدع مثل ذلك لغير المسلمين يحكمون فيه بما يعتقدون، ان القاضي الاكبر الذي يتولى السلطة الشرعية العليا من قبل خليفة المسلمين يحكم بين الناس بمذهب الخليفة والامير وكذلك سائر القضاة . ولا يحكم أحد منهم بين المتخاصمين بأحكام المذهب الذي يتقلدونه بل جعلوا قضاء مصر حنفياً محضاً كالقضاء في بلاد الترك الحنفية ، واهل مصر شافعية ومالكية الا القليل

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا لاتترك للمسلمين أوقافهم كما تركت للقبط وغيرهم أوقافهم ، فاذا كان الخديو كما تقول القبط حاكما مدنيا فقط ونسبة المسلمين والقبط اليه من حيث هو حاكم واحدة فهل يرضون بكل مايتفرع على هذا الاصل ويجعلون له الحق أن يعطي من أوقاف القبط للمنافع المشتركة (كالجامعة المصرية) كما يعطي من أوقاف المسلمين

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تضع هي القوانين للمعاهد الدينية التعليمية كالازهر وغيره من جوامع العلم الديني وتولي هي المشايخ عليه ومشايخ المذاهب وترفع بعضهم في الرتب العلمية الدينية على بعض . ولماذا تولي ائمة الصلاة وخطباء

الجمعة ولا ترى لها مثل هذا الحق في معاهد الديانة النصرانية من الاديار والكنائس وقسوسها ورهبانها وسائر رجال دينها وانما تكتفي ببعض الرسوم الدالة على ان هذه الديانة من الديانات التي أقرتها الحكومة في بلادها ولها عليها حق الحماية وحفظ الحرية الدينية . وليس لكل أهل دين هذا الحق في كل حكومة فالبابية ليس لهم حقوق دينية في بلاد الدولة العثمانية كالنصارى مثلا

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تترك العمل في الاعياد الدينية الاسلامية وتحتفل بها احتفالا رسمياً كما تحتفل بالمولد النبوي الشريف دون أعياد القبط وغيرهم ودون مولد سيدنا عيسى عليه السلام ومثل ذلك الاحتفال بمحمل الحج وكسوة الكعبة المعظمة

لست أعني بهذه الامثلة والشواهد انها كلها من الفرائض أو السنن في أصل الاسلام ، أو من الاحكام التي فرضها الدين على الحكام ، فالصحابة والتابعون والائمة المجتهدون لم يحتفلوا بذكرى المولد ولا المعراج كما تحتفل الحكومات الاسلامية الآن وانما أعني أن هذه الخصائص من آثار كون الحكومة اسلامية

تريد القبط أن تمحو هذه الخصائص ومن وسائلها الى ذلك طلب ترك العمل في يوم الاحد وطلب جعل أموال الحكومة المصرية شرعاً بينهم وبين المسلمين لاينفق شيء منها في مصلحة اسلامية، الاوينفق مثله في مصلحة قبطية،وهذا أصل عام يتفرع منه اذا قبل محو جميع خصائص المسلمين في هذه الحكومة. وتحتج القبط على حقيقة هذا الطلب بأن هذه الحكومة مصرية لا اسلامية فهذا هو الاصل عندها فاذا قبلته الحكومة ترتب عليه ماطلبوا أو أكثر مما طلبوا من الفروع

واذا محصنا المسألة وبينا حقيقتها ترى ان المطلوب هو اخراج هذه الحكومة عن كونها اسلامية بازالة كل اختصاص للمسلمين فيها ولكن أبوا أن يعترفوا بهذا الاصل ويطلبوا هدمه ورجحوا أن يهدم بهدم مايبني عليه . وهذا من الدهاء والحكمة لأن طلب ابطال الفروع أخف على النفوس من طلب ابطال الاصول فانه من قبيل الدعوى بالدليل ، ولان من اعترف بالاصل لزمه الاعتراف بالفروع . فما جروا عليه هو الاقوى والانفع لهم وهو أشد على المسلمين في باطنه وحقيقته ، وأخف في ظاهره وصورته .

ان الدولة العثمانية أم الحكومة المصرية واقفة أمام مثل هذه المسألة في بلادها . فقد قام النصارى بعد الدستور يطالبون بنحو ما تطالب به القبط . ولكنهم لايزالون

يخفون أكثر مما يظهرون، وليس موضوع كلامي أبداء رأيي أو ميلي في تخطئة هذا أو ذاك ولا تصويبه وانما رأيت الامر غمة على المسلمين والنصارى كافة وما رأيت أحداً تجرأ على بيان الواقع فأحببت ان أبينه كما هو لا كما يجب أن يكون

الواقع ان الحكومة العثمانية حكومة اسلامية قبل الدستور وبعده وان الحكومة المصرية مثلها وتابعة لها في كونها اسلامية وانما تختلف في شيء واحد وهو انها مستقلة في ادارتها الداخلية بعهد (فرمان) من السلاطين. وان الاحتلال الاجنبي مسيطر عليها.

وقد صرح القانون الاساسي للدولة بأن دينها الرسمي هو الاسلام وأن سلطانها هو خليفة المسلمين . والدين في حكومتها أظهر منه في الحكومة المصرية التي هي تحت سيادتها . فان شيخ الاسلام هنالك هو العضو الاول في مجلس النظار وباب المشيخة الاسلامية من أكبر نظاراتها . واذا تناقش مجلس الامة من المبعوثين أو الاعيان في مسألة وقال أحد منهم انها مخالفة للدين لا يستطيع أحد أن يقول لاضرر في ذلك بل يدفعون ذلك بعدم التسليم له فلو كان جميع المبعوثين من المسلمين عاملين بالشرع الاسلامي وأرادوا أن يطبقوا جميع القوانين على أحكامه لفعلوا بلا معارض

هذا هو الواقع هنا وهناك وهو يثقل على القبط وسائر النصارى وان كان انجيلهم يأمرهم أن يخضعوا لكل حاكم، وان يعطوا ماللقيصر لقيصر، وما لله لله ، ويفخرون بأن دينهم فصل بذلك بين الدين والحكومة ، ولكنه لا يثقل على اليهود الجامع كتابهم بين الدين والحكومة ، بل يكتفي هؤلاء من الحكومة بأن تمنحهم الحرية في دينهم وكسبهم ، وقد وجدوا من هذه الحرية في بلاد المسلمين أيام قوتهم وأيام ضعفهم مالم يجدوه في بلاد أخرى في الحالتين

النصارى أحرص الناس على السلطة والحكم وللتربية الافرنجية في نفوسهم تأثير عظيم في ذلك فهم لا يرضون من الحكومتين العثمانية والمصرية تمام الرضى الا بالانسلاخ التام من الاسلامية ، ولكن هذا الانسلاخ مما لا يستطاع الا بالتدريج البطيء في الزمن الطويل، فان الاشخاص والاقوام والحكومات تتكون كطبقات الارض بفعل الزمن الطويل وما كان كذلك لا يمكن تغييره دفعة واحدة كما قلنا ولهذا بينت من قبل أن القبط قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ومنعهم بغضهم للعرب أن يهتدوا فيه بحكمة شاعرهم التي سيرها مثلا وهي .

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

قلت هذا لأن مايطلبونه هم واخوانهم من سلخ الحكومتين من الاسلامية لا يمكن

أن يحصل الا بالتدريج وبموافقة المسلمين لهم عليه . وقد وجد من المسلمين الجغرافيين (أي الذين يعدون من المسلمين في احصاء الجغرافية وان لم يعرفوا ماهو الاسلام) من يرون هذا الرأي ، ويسعون هذا السعي ، بالدعوة الى حل الرابطة الاسلامية ، والاستعاضة عنها بالرابطة الوطنية أو الجنسية. وقد صار لاصحاب هذا الرأي أحزاب وزعماء يقودون المسلمين الى حيث يجهلون ، وترك رجال الدين زعامة الامة وقيادتها لهم وهم يعلمون ان منهم الملحد ومنهم الفاسق الذي يشرب الخمر ويزني ويلوط، ومنهم الذي يحل الربا ، وأمثال هؤلاء الزعماء أحرص على سلخ الحكومة من الدين من النصارى لانه يتعذر عليهم أن يجمعوا بين شهواتهم وأهوائهم والزعامة في قومهم، وبين الحكومة الاسلامية

لو صبرت القبط والنصارى في البلاد العثمانية لكفاهم هؤلاء المسلمون الجغرافيون الامر ، كما بينته من قبل ، ألم يروا أنه لا يوجد مشروع اسلامي الا ويكونون هم المقاومين له لانهم يخشون قوة الدين على زعامتهم ووطنيتهم ، وان كان من قوم لا عناية لهم بالزعامة ، ولا يحبون أن يقربوا من نار السياسة ، ولكنهم اذ لم يصبروا ، يخشى أن يجيء الامر على ضد ما طلبوا .

يحسن ان يقنعوا الآن بما لهم في الحكومتين من الحرية الواسعة ، وجواز مشاركة المسلمين في أكثر أعمال الحكومة أو كل ما لا يختص بالدين منها ، والقبط أجدر بهذه القناعة من غيرهم لان أكثر أعمال الحكومة الخديوية في أيديهم وليتدبروا حال الحكومات الاوربية العريقة في الحكومة النيابية ، كيف لا تزال على ندرة المخالفين لمذهبها في دينها تفضل مذهب الجمهور والحكومة على غيره ، حتى أن فرنسا وهي الجمهورية التي صرحت بأنه لا دين لحكومتها لا يمكن ان تجعل من اليهود المالكين على أزمة القوة المالية فيها قوادا للجيش ولا للاساطيل ولا رؤساء للجمهورية ، دع معاملتها لمسلمي الجزائر وتونس

ان لتصريح القبط وغيرهم بهذه المسألة عواقب تتوقع ولاسيما اذا أجيبوا اليها (منها) تنبيه غيرة المسلمين الغافلين الى وجوب اقامة حكومتهم لشريعتهم ، ولا يمكن للحكومة العاقلة أن تخالف رغبة الجمهور الاعظم من رعيتها الى رغبة النزر اليسير ولو فيما ترغب هي فيه

(ومنها) تصدي الدولة العلية للمداخلة في الامر باسم الخلافة والسيادة اذا أجابت الحكومة بعض المطالب تفريطا على الاصل الذي تقرره القبط وهو انها غير اسلامية.

وقد سمعنا هذه الايام صوت مجلس المبعوثين في الاستانة يبحث عن القاضي الاكبر والقضاء في مصر ويطالب بالمحافظة على الشرع فيها وعهد الى شيخ الاسلام بالبحث عن ذلك وايضاح ما يقف عليه للمجلس وما نظن ان الحكومة الانكليزية تحب فتح هذا الباب في هذا الوقت

(ومنها) ان المسلمين في جميع الاقطار يعدون مصر باب الحرمين الشريفين ومعهد علوم الدين ، فاذا علموا ان حكومتها خرجت عن كونها اسلامية يألمون بالطبع وتنفرج مسافة الخلف بينهم وبين النصارى وذلك لا يرضي به محب للانسانية .

(ومنها) ان الانكليز يحسبون لسخط رعاياهم المسلمين في الهند وغيرها حسابا اذا هم وافقوا القبط على ذلك جهرا ، والمسلمون أشد أهل الهند اخلاصا لهم في هذا الوقت

(ومنها) ان هذا يذهب بكل أمل المسلمين في هذه الحكومة فيكون علة لرجوع المسلمين الى استعدادهم الذاتي واعتمادهم على انفسهم ، وحينئذ يخشى ان تخسر القبط منهم اكثر مما تربح من الحكومة ، وان يعود الامر الى نصابه بقوة الاتحاد التي فقدها المسلمون باتكالهم على حكومتهم

(ومنها) ان القبط ترجح على المسلمين رجحاناً ظاهراً يخشى ان يترتب عليه مع تعصب بعضهم لبعض فتن كثيرة ، وهذا مما لا ترضي به حكومة في الدنيا ولا يعقل ان يرضي به الانكليز

وصفوة القول ان فتح باب هذه المسألة كان من الخطأ الذي يضر القبط دون المسلمين فانه أيقظ هؤلاء فاذا استمروا على يقظتهم كان فيه الخير العظيم لهم ، واذا عادوا الى غفلتهم كان ضرره على القبط تأخير مطالبهم ، وبعد ما كان قريباً منها عنهم

نعم ان القبط يستفيدون من هذه الحركة اكتناه استعداد المسلمين ، فاذا فاز المؤتمر المصري اضطروا الى معاملة المسلمين معاملة جديدة ورضوا أن يكونوا منهم مكان الاخ الصغير من الاخ الكبير الذي يكون رئيس العشيرة أو بما دون ذلك ، واذا خاب المؤتمر بسعي المفرقين من المسلمين ، علموا ان السيادة في هذه البلاد ستكون لهم ولو بعد حين

وسيكون المؤتمر المصري موضع النبذة الثامنة من مقالنا هذا

* * *

النبذة الثامنة

المؤتمر المصري

ان بركات هذا المؤتمر قد سبقت وجوده فان القبط لما علموا بالعزم عليه اضطروا الى سلوك سبيل الادب في التعبير، وتنكب السبيل التي سار عليها كتابهم في الجرائد وهي سبيل الغميزة والتعيير ، ولكنهم لم يرجعوا عن مقصد من مقاصدهم ، وأهمها إنكار كون حكومة مصر إسلامية ، وادعاء انهم أعلى كفاءة من المسلمين وأنهم أخذوا معظم وظائف الحكومة بحق الكفاءة ويطلبون ما يطلبون من سائرها بحق الكفاءة ،

غرهم اتحادهم وتخاذل المسلمين وطعن بعض أفرادهم وأحزابهم ببعض ، ولاسيما بالنابغين منهم في الحكومة ، فادعوا ما هو بديهي البطلان في مسألة الكفاءة الشخصية ، وما يكاد يكون حقاً ظاهراً في كفاءة العصبية الملية ، لولا أن انبرى أولئك الاكفاء الفضلاء الى تأليف هذا المؤتمر الاسلامي المصري . وكل ما هو مصري فهو إسلامي اذا عرف المسلمون أنفسهم ،وتعاونوا على القيام بمصالح قطرهم ، لان غيرهم قليل فيكون بالضرورة مدغماً فيهم ، ليس له وجود مدني خاص بدونهم ، و لكن وجودهم المدني – وقد اجتمعوا وتعاونوا – لايتوقف على وجود غيرهم ،

لولا غرور القبط باتحادهم ، وتخاذل المسلمين وتفرقهم ، لما طلبوا الرياسة الادارية بدعوى الكفاءة . وكيف تعرف كفاءة المرء في أمر ليس له فيه عمل ، ولم تسبق له فيه تجربة ، ومن ذا الذي يشهد لهم بهذه الكفاءة وشهادة المرء لنفسه باطلة ، ولم يشهد بها المسلمون ولا المحتلون وهم أبناء دينهم ، فاذا كانوا يعتدون بشهادة أولياء الامور فليتركوا الامر اليهم ، والا فليأتوا بشهدائهم ان كانوا صادقين

أما أنا فأقول ان هذا المؤتمر هو الذي يشهد لهم أو عليهم. ولا أعني بشهادته ما يأتي به خطباؤه من البينات والحجج فقط وإنما أعني شهادة الحال ، دون شهادة المقال، فان لسان المقال قد يكذب وقد يختلب لب السامع بالشعريات المتخيلة ، فيبرزها في صور الحقائق المقررة ، كما فعل خطباء القبط في مؤتمرهم . وأما لسان الحال فهو الصدوق الذي لا يعرف الكذب ، والحق الذي لا يأتيه الباطل،فنجاح المؤتمر المصري بالثبات

والنظام والعدل والانصاف والاتحاد والتعاون هوالذي يشهد للمسلمين على القبط ، وشهادته لاتكون بذلك الاحقاً ، لان تلك الصفات هي روح الحق

أبطأ مسلمو مصر في هذا المؤتمر كما أبطأ اخوانهم مسلموالهند في مثله من قبل سبق وثنيو الهندمسلميها في عقد المؤتمر السنوي والجمعية الملية ،والمسلمون هنالك أقل من الوثنيين عدداً، وسبق قبط مصر مسلميها في انشاءالمجلس الملي وفي عقدمؤتمر قبطي،والمسلمون في مصر هم الاكثرون عددا ، فما هوسبب ذلك ، ههنا وهنالك ،

كان المسلمون هم أصحاب العزة والسلطان الغالب في الهند كمصر ،فعاش الفريقان الزمن الطويل بعد دخول الاجانب في بلادهم ، مغرورين بسابق عزهم وسلطانهم ، ولم يشعروا بحاجتهم الى حياة اجتماعية جديدة فيهذا العصر الجديد كما شعرالهندوس هناك والقبط هنا لعدم غرورهما ، وانما استيقظ مسلموالهند قبل مسلمي مصر لان الغرور بالحكومة الاسلامية قد زال من نفوسهم من قبل وانأبقت لهم انكلترة بعض النواب (الامراء) كالتماثيل الاثرية أو الموميا في متاحف العاديات ، وبقي مسلمو مصر مغرورين متكلين على حكومتهم ، مشغولين بسلطة الاحتلال المسيطرة عليها، حتى زلزلت القبط هذا الغرور باتحادها وتكافلها وفغرأفواهها لابتلاع الحكومة كلها ، كما أيقظ مسلمي الهند اتحاد الهندوس وتكافلهم وتقدمهم عليهم بعدان كانوا دونهم ، فليس لقلة المسلمين النسبية في الهند ولا لكثرتهم في مصر دخل في هذه المسألة الاجتماعية ، وانما هي فتنة السياسة ، والغرور بشكل الحكومة ، قد أذهلا الامة عن نفسها ، وصرفاها عن استعمال مواهبها ، حتى كادت تفقد نفسها ومواهبها

ان الامم الأوربية التي يجب ان نعتبر بحالها هي التي أصلحت حكوماتها ، ولم تكن حكوماتها هي التي اصلحتها ، فاذا ارتقت الامة ترتقي الحكومة بالضرورة ، وقد قال السيد الافغاني الحكيم : العاقل لا يُظلم ولا سيما اذا كان امة

يجب على زعماء الامم ان يوجهوها الى قواها الذاتية ،وثروتها الطبيعية ، وان ينموا هذه القوى والثروة ، حتى تكون مصدر سعادة الامة ، وان يحولوا دون افتتان العامة بالسياسة ،والاشتغال بامر الحكومة ، فان ذلك يشغلها عما تحسنه وتقدر عليه ، بما لا تحسنه ولا قبل لها به، وقدورد في الحديث الشريف « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه الشيخان في صحيحيهما

يعني انه ينبغي للانسان أن يعمل ويشتغل بما يميل اليه استعداده فانه هو الذي يرجى ان يتقنه ، ومن حكمة الله في اختلاف الاستعداد ، أن يتقن مجموع البشر جميع

الاعمال ، فمسألة الحكومة والسياسة فتنة عظيمة في كل الشعوب ولا سيما في دور الانقلاب الاجتماعي والانقلاب السياسي

ان للامة حقوقا على العلماء والكتاب والاغنياء الذين يهتمون بالامور العامة ويتصدون لها . منها خدمة مصلحتها الدينية والادبية، ومنها خدمة مصلحتها الاجتماعية، ومنها خدمة مصلحتها الاقتصادية ، فاذا حصروا عملهم في السياسة أو جعلوه كله باسم السياسة ، أضاعوا عليها هذه المصالح والمنافع التي لاقوام لها ولابقاء الا بها ، ولا سيما في مثل هذه البلاد التي ليس لها من أمر سياسة نفسها الا الكلام بقدر ماتسمح به حرية الحكومة . وإني اعتقد أن الامة لاترتقي اذا كان همها كلها موجها الى شيء واحد وناهيكم اذا كان ذلك الشيء هو السياسة التي لايشتغل بها في كل الامم الا القليلون ، ولا يحسنها ممن يشتغل بها الا الاقلون ،

أمرنا الكتاب العزيز أن نسير في الارض ونعتبر بأحوال الامم ، فاذا نحن بلونا أخبار الشعوب الغربية وسبرنا غور رقيهم نرى أنهم ماوصلوا الى ماوصلوا اليه من العزة والثروة ، الا باهتمام النابغين منهم بترقية الامة : والاستعانة على ذلك بالجمعيات والشركات ، وتوزيع الاعمال بحيث يشتغل بكل نوع منها طائفة لا تشتغل بغيرها حتى تحسنها

اذا اختبرنا حالهم في التربية وخدمة الدين نظن انه لا هم لهم من الحياة غير دينهم ، ذلك بأن لهم جمعيات دينية كثيرة قد تبرعوا لها بالاموال ووقفوا لها الاوقاف حتى صارت تملك الملايين من الجنيهات ، وقد عمت التربية الدينية عندهم ثم فاض طوفانها على جميع شعوب الارض فانشأوا فيها المدارس والملاجيء والمستشفيات ، وطفقوا يبثون فيها دينهم وينشرون كتبهم مترجمة بجميع اللغات ، وان الفقراء منهم ليساعدون هذه الجمعيات على قدر حالهم حتى ان منهم من يحرم نفسه من شرب الشاي أو من سكره أو من اللحم شهراً أوشهوراً أوسنة ويجعل ما كان ينفقه في ذلك للجمعيات الدينية كما يعلم ذلك من كتبهم وجرائدهم

اذكر مثالا صغيرا من ذلك وقع في هذه البلاد: كتب قسيس انكليزي يقيم في شبين الكوم في جريدة دينية انه يريد ان يطوف القرى في الارياف للتبشير بالانجيل وانه محتاج الى دراجة (بيسكلت) لذلك ولا يملكها . فما لبث ان امطرت عليه بلاده

الدراجات الجيدة حتى صار بيته مخزنا لها لا يكاد يسعها ، وتبع هـذا من الدراهم والهدايا ما لا حاجة بنا الى عده

واذا دققنا النظر في اعمالهم المالية نظن انه لا هم لهم من الدنيا الا المال والاحتيال على جمعه وتصريف أمور العالم كله به وناهيكم بمصنوعاتهم التي يعيش العالم كله بها ، ولا تكاد تقع عين أحدنا الا عليها

واذا بحثنا في العلوم والفنون كل منها على حدته فانه يسبق الى اذهاننا عند الوقوف على عنايتهم بكل علم وحده انهم لم يشتغلوا بغيره ولا يحفلون الا ببلوغ الغاية منه حتى انهم جعلوا لكل فرع من فروع العلم الواحد جمعيات خاصة لاجل اتقانه

فاذا أردنا الاعتبار بحالهم مع الاستضاءة بنور العقل فعلينا أن ننظر في حاجات أمتنا ومصالحها العامة ونخص بكل منها طائفة تشتغل بها دون غيرها لان اتقان العمل الذي هو سلم الترقي لا يكون الا بذلك

عدنا جمعيات خيرية وتعليمية ودينية ونقابات مالية وزراعية وشركات تجارية وصناعية وتألفت عندنا مجالس المديريات لاجل تعميم التعليم وهذه المصالح كلها لا تزال ضعيفة ونفعها محصوراً في دائرة ضيقة ، فهي الآن كالاعضاء المتفرقة فيجب اتصالها ليكون عمل كل منها متمما لعمل الآخر ، أو كالشرايين المنفصلة يجب اتصالها بالقلب لتستمد منه وتمده ، أو كالاسلاك البرقية التي يصل كل منها بين بلدين أو اكثر من المملكة ولا تتصل بالمركز العام الذي يصل بعضها ببعض ، وما دامت مصالحنا متفرقة على هذا النحو لا نكون أمة متحدة فيجب ان يكون لجميع مصالح الامة العامة سمط واحد تنتظم فيه حباتها ويزاد عليها حتى تكون عقداً كاملا ، يجب ان تتصل هذه الاعضاء العاملة فتكون جسما واحداً يعمل كل عضو منها عمله الخاص به لاجل منفعة سائر الاعضاء

فالسمط الذي نحتاج اليه لتكوين عقدنا الاجتماعي بل الدماغ او القلب الذي نحتاج اليه ليمد جميع اعضاء الامة بالحياة هو هذا المؤتمر

ما سرني شيء في مصر كما سرني تألف هذا المؤتمر وانما يتم السرور ان شاء الله تعالى بنجاحه ودوامه، واني اقترح عليه ما يغلب على ظني ان غيري يقترحه والحق يزيد قيمته ويعلو شرفه بكثرة طلابه ، ولكن لا ينقص شرفه بقلتهم، فان الحق كالجوهر الخالص ، شرفه ذاتي له وانما يعلو ويغلو بمعرفة الناس لهذا الشرف وتنافسهم فيه أي بأمر عارض غير ذاتي

كفاني قانون المؤتمر امر اقتراح سلبي لا بد منه ، ولا يرجى بقاء المؤتمر ونفعه الا به ، وهو عدم الاشتغال بالسياسة ، فالسياسة ما دخلت في شيء الا افسدته كما قال الاستاذ الامام ، فيجب ان تترك لنفسها ويفوض أمرها الى أحزابها ، وان يشتغل المؤتمر بما دونها من مصالح الامة فيجمع متفرقها ، ويكمل ناقصها ويوحد وجهتها ، ليكون عمل الكل موجها الى غاية واحدة

للمؤتمر عمل عارض موقت وأعمال دائمة مقصودة لذاتها ، فالعمل العارض الموقت هو تمحيص مطالب المؤتمر القبطي وبيان حقه من باطله

يقول الله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) الآية . ولا أحسن من بيان الوقائع وإثبات الحق بالاحصاء الصحيح ، وبذلك يثبت المؤتمر أنهم طلبوا من أعمال الحكومة ما لو أعطوه لاضحت الحكومة قبطية خالصة ، ويسهل على المؤتمر ان يثبت ما يعترف به بعض القبط من تعصب رؤسائهم لهم في جميع المصالح وتقديمهم على المسلمين ومن كان هذا شأنهم فاسناد الوظائف الرئيسية اليهم يخشى ان يفضي الى ما لا تحمد عقباه من التعصب والغلو في الخلاف حيث تكون الحكومة كلها في أيديهم

وليس فيما قاله القبط في مؤتمرهم وما يكررونه كثيراً في جرائدهم أمر ذو بال الا تصريحهم بأن هذه البلاد ليست إسلامية وحكومتها ليست حكومة إسلامية. ان القبط على احتراسهم في مؤتمرهم وتحاميهم الالفاظ التي تكبر المؤاخذة عليها صرحوا بأنه لا يقول ان هذه البلاد إسلامية للمسلمين فيها ما ليس لغيرهم الا افراد لا يجاوزون عدد الاصابع ، صرح بذلك خطيبهم توفيق بك دوس المحامي وجريدتهم كلام كثير في ذلك أوضح مما قاله خطيب مؤتمرهم . وعلى هذا بنوا وجوب تعليم الدين المسيحي في مدارس الحكومة وبطالة يوم الاحد

فيجب على المؤتمر ان يبين ما يترتب على هذه الدعوى وهو انه اذا كانت الحكومة الخديوية تعترف من نفسها بأنها غير إسلامية أو يكرهها المحتلون على ذلك فان المسلمين لا يرضون ان تكون محاكمهم الشرعية تابعة لها ، ولا أوقافهم ومدارسهم الدينية تحت ادارتها ، ولا وضع تركات من يموت منهم عن غير وارث في خزينتها ، بل يطلبون حينئذ ان يستقلوا بجميع امورهم الدينية كالقبط وغيرهم . فاما الحكومة فلا تعترف بهذا واما المحتلون فلا يتحملون تبعته

لا أحب أن أطيل في المسألة القبطية أصولها وفروعها وانما كتبت ما كتبته من

قبل لتنبيه المسلمين الى ماهم في أشد الحاجة اليه ، وهو ان يعرفوا أنفسهم ممن معهم ، ويعرفوا مالهم وما عليهم، وأنا واثق بأنه يسهل على المؤتمر المصري أن يبين للمنصفين من شعوب المدنية وغيرهم ان القبط غابنون لامغبونون، وأن المسلمين مغلوبون بتساهلهم لاغالبون ، وان الخير للقبط ان يقنعوا بما هم فيه من النعم ، وأن لايطلبوا شيئاً باسم القبط ، ولا ينازعوا في صبغة الحكومة الاسلامية ، وأن يعودوا عما تجرءوا عليه من تهمة المسلمين بالتعصب الديني عليهم لنصرانيتهم ، ومن تحريض أوربة عليهم ، وعن للهجة البذيئة التي سنتها لهم جرائدهم

كل هذا مما يسهل على المؤتمر بالبراهين ولكن القبط لاتذعن له الااذاراأت من المسلمين الحزم ومجاراتها في توثيق الرابطة الملية والتعاون الديني على الترقي . فاذا هم عرفوا حدهم ، واعترفوا بحق غيرهم ، فاني أحب للمسلمين أن يستوصوا بهم خيراً، ويعطوهم أكثر مما يستحقون ، كما كانوا من قبل يفعلون ، ولا أحب للمسلمين ان يرجعوا بصفقة المغبون ، الذي لاهو محمود ولا هو مأجور

**

أعمال المؤتمر الدائمة

أما أعمال المؤتمر الدائمة فكثيرة لايمكن شرحها في هذا المقال وانما نشير فيما نقترحه في خاتمته الى أصولها وقواعدها

وأما فائدته فأكبرها عندي ما أشرت اليه آنفاً من توحيد المصالح والاعمال العامة التي تقوم بها الامة دون الحكومة ومساعدتها عليها وتوجيهها الى المقصد الصحيح الذي ترتقي به الامة في معارج الكمال المادي والمعنوي ، ويدور ذلك كله على أربعة أقطاب (١) التربية الملية والتعليم (٢) إرشاد العوام الى تحسين معيشتهم في آدابهم وأعمالهم وصحتهم ومعاملتهم لمن يعيش معهم من موافق ومخالف (٣) حفظ ثروة الامة وتنميتها بالوسائل الحديثة ، والتوقي من الغوائل التي تغتالها (٤) مواساة العاجزين والبائسين وإعانة المنكوبين والغارمين

سيشرح خطباء المؤتمر هذه المقاصد كلها أو بعضها ويبينون وجه الحاجة إلى مايتكلمون فيه وما ينبغي ان يقرره المؤتمر ويقوم به ، وانما يقرر المؤتمر المطالب العامة بالاجمال، وأما التفصيل الذي يترتب عليه التنفيذ فيتوقف على تأليف لجان تختص

كل لجنة منها بعمل من الاعمال، ويكون روح الاعمال كلها تكوين الامة وتوحيد وجهتها في حياتها الاجتماعية

فاذا بحثنا في مقصد التربية والتعليم نرى ان تربية أبنائنا وبناتنا مفرقة لأجزاء أمتنا ممزقة لاعضائها حائلة دون ان نكون أمة متحدة، لامكونة للأمة . أي ان التربية والتعليم اللذين نتنافس فيهما ، ونبذل النفس لاجلهما ، ونظن ان فيهما عزتنا وارتقاءنا ، هما حائلان دون كل مانطلبه من وحدة الامة وارتقائها

﴿ المدارس والتربية والتعليم ﴾

ما هو المقصد العامّ من المدارس ، ومن يدير هذه المدارس ويحقق لنا مانقصد منها ، وهل الذين تخرجوا في هذه المدارس متحدون في أفكارهم ومقاصدهم ، متوجهون الى توحيد الامة وجعلها مثلهم ،

لابقاء للأمة الا بالمحافظة على عقائدها وآدابها وشعائرها الدينية وأخلاقها وعاداتها ولغتها وهي مقوماتها ومشخصاتها التي تكونت بها بالوراثة وفعل القرون كما تكون المعادن في الارض ، فاذا طرأ على هذه المقومات والمشخصات بفعل الزمن مايعيبها ويشوهها ويجعل الاستفادة منها قليلة كان الواجب على المربين والمعلمين ان يزيلوا تلك العيوب كما يزال الصدأ عن الحديد لاان يزيلوا الجوهر نفسه ويضعوا مكانه جوهراً آخر قال صلى الله عليه وسلم « تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه الشيخان. والامم معادن كالافراد وعمل المربين فيها كعمل الصناع في المعادن وبعملهم تظهر مزاياها ومنافعها فمهرة الصناع يصقلون الحديد الاسود حتى يكون أبيض لامعا كالمرآة حتى تفضله بلونه على الفضة المهملة في المكان الرطب يتغير لونها ويزول بهاؤها

كذلك الامم تظهر محاسنها ومنافعها في زمن دون زمن بالتربية والعلم، وجوهرها هو جوهرها لايتغير في نفسه الا بزواله وفنائه أو ادخاله في جوهر آخر كما يمزج قليل من المائع في غيره فيغيب عن العين ويزول ذلك الوجود الخاص به . فقد كان كل من الشعبين الانكليزي والفرنسي جاهلا لامزية له في عالم المدنية ثم تعلما وارتقيا وبقي كل منهما ممتازاً بمقوماته ومشخصاته فمنها في الاول الرصانة والثبات والبطء في التحول عن الشيء ولو قبيحا، وفي الثاني الذكاء والخفة وسرعة التحول ، ولكل من الخلقين المتضادين منافع ومضار ، ولكن المنافع هي التي تغلب في طور الحياة والارتقاء ، والمضار هي التي تغلب في طور الضعف والانحطاط

غرضنا من هذا المثل إننا محتاجون الى تربية تزيل الصدأ الذي طرأ على جوهر أمتنا حتى يظهر جوهرها نقيا ويسهل الانتفاع به ، والى تعليم نعرف به طرق استعمال مواهبنا الفطرية وخيرات بلادنا فيما يرقينا ويرفع شأننا . ولكن أمر تربيتنا وتعليمنا ليس في أيدينا فلا رأي لسراتنا ولا لأهل العلم والبصيرة منا في أكثره

تلقي بناتنا في مدارس الراهبات ومدارس الامريكان فهل يتعلمن فيها آداب ديننا وأحكامه ويتربين على عباداته وأخلاقه ؟ ألا إننا نعلم أنهن لا يتعلمنها ولكن يتعلمن ماينفر منها ، ويبعد عنها ، فيخرجن لانصرانيات على آداب النصرانية ، ولا مسلمات على الآداب والفضائل الاسلامية ، وهل يرجى صلاح بيوت هذا شأن رباتها ؟ أم يرجى ان تكون الامة المكونة من هذه البيوت أمة متحدة مرتقية ؟

عندنا مدارس أهلية ابتدائية للبنات فهل نجد فيها من الفضيلة وآداب الاسلام وعباداته ما نفقده في مدارس الافرنج ؟ لا لا

ان أمثل المدارس مدارس الحكومة ولا غناء فيها ، فجميع مدارس البنات في هذا القطر غير صالحة للتربية التي نحن في أشد الحاجة اليها ، ولا يرجى أن توجد المدارس الصالحة ونحن في هذه الفوضى بالمصادفة ، ولكننا اذا خرجنا بهذا المؤتمر من هذه الفوضى فانا نجد ما نرجو كما نحب لانه يكون برأي الامة وتدبيرها

ان جميع المدارس المصرية من افرنجية وأهلية وأميرية غير صالحة للتربية الملية التي ترتقي بها الامة بتزكية جوهرها الفطري وحفظ مقوماتها الملية ، كل هذه المدارس تجذب المتعلمين والمتعلمات فيها الى التفرنج فتفتنهم بلغة غير لغتهم ، وآداب غير آدابهم ، وعادات غير عاداتهم ، كما تخفض مقام ملتهم وقومهم في أنفسهم ، وتعلي فيها مقام أقوام آخرين ، كلها آلات محللة بل سيوف مقطعة لمقومات الامة ومشخصاتها ، لاهم للمتخرجين والمتخرجات فيها الا ان يجدوا مالا يبذلونه للاجانب ثمنا لما عندهم من اللذات والزينة ، بل يبذلون القناطير منه في القمار والمضاربات وما لا لذة فيه الا الهوس والخبل وفنون الجنون

فعلى المؤتمر ان يتدارك هذا الفساد قبل ان يعم ويتعذر تداركه بفشوه في كل الطبقات والاجماع على استحسانه

تلك إشارة الى وجه الحاجة الى المؤتمر في أحد تلك المقاصد العامة والاقطاب التي تدور عليها مقاصد الامة ، فقس عليه سائرها

وجملة القول ان المرجو من المؤتمر أن يكون سلك النظام للاعمال الحرة التي

تقوم بها الامة من الجمعيات والنقابات والشركات ، يوحد وجهتها ، ويساعد كلا منها بقدر الطاقة

ليس المراد من ذلك ان تكون الجمعيات جمعية واحدة ، ولا الشركات شركة واحدة ولا النقابات كذلك ، ولا ان تتغير قوانينها ونظاماتها ، ولا ان يكون المؤتمر مسيطرا عليها ، فان ذلك ينافي توزيع الاعمال ، ومباراة العاملين ، ولا ترتقي الامم الا بهذا التوزيع الذي هو وسيلة الاتقان

وانما المراد ان هذه المصالح كأعضاء البدن : العينان تبصران والاذنان تسمعان واليدان تعملان والرجلان تسعيان وكذلك الاعضاء الباطنة كالمعدة والكبد تعمل اعمالها كل هذه الاعمال الاختيارية وغير الاختيارية تجري على نظام واحد غايته حفظ البدن كله ، والقلب يمدها كلها بالدم الذي يعينها على اعمالها ، وبالنظام المقدر ، والقدر المعين ، والنظام قوام الوجود ، ومعيار الاعمال ، ووسيلة الكمال ،

اقتراح صاحب المنار

(على المؤتمر المصري)

بسم الله الرحمن الرحيم

« وائتمروا بينكم بمعروف »

أحيي رجال هذا المؤتمر الكرام الذين هم موضع الرجاء في ترقية أهل هذا القطر السعيد وإعلاء شأنه ، وأكاشفهم بما عندي من الرأي وان كنت أظن ان غيري سبقني اليه كله أو بعضه

ان هذا المؤتمر هو الذي يمثل حياة مسلمي مصر الاجتماعية ودرجة ارتقائهم وما يرجى لهم من المزيد وقد سبقهم الى مثله مسلمو الهند . وانما نجاحه بثباته ودوامه ، ولا يثبت ويدوم الا بما تقرر من جعله بمعزل عن السياسة ، وحصر اعماله في ترقية الامة بالتربية والتعليم والكسب والاقتصاد والتكافل والتضامن في المصالح والمرافق . واما تمحيص مطالب القبط وبيان ما هو الحق في هذه المسألة فهو أهون أعمال المؤتمر العارضة

فأقترح على المؤتمر أن يكون له خمس لجان دائمة تعمل وتسعى لتحقيق مقصده العالي

﴿ الاولى اللجنة الادارية ﴾

يناط بهذه اللجنة كل ما يتعلق بالنظام والادارة العامة ويكون أعضاؤها مختارين من جميع الاحزاب والطبقات

﴿ الثانية لجنة التربية والتعليم ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في التربية الدينية العملية والتعليم في جميع المدارس الاهلية التي للجمعيات والافراد وما كان وسيكون لمجالس المديريات لتوحيد نظامها وموادها وتوسيع دائرتها فانه لا شيء يضر البلاد ويفرق كلمة الامة كاختلاف التربية والتعليم . ويتألف اعضاء هذه اللجنة من اعضاء تلك الجمعيات والمجالس ومن نظار المدارس الشخصية. والجمعيات التعليمية عندنا هي الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقي وجمعية المساعي المشكورة

واقترح ان يكون من اعمال المؤتمر التي تنظر فيها هذه اللجنة أولا ثم تحوله الى اللجنة الادارية مساعدة الجمعية الخيرية الاسلامية على إنشاء مدرسة كلية إسلامية للبنات يتربى فيها البنات على عبادات الاسلام وآدابه واخلاقه ويعلم فيها تدبير المنزل وكل ما تحتاج اليه ربات البيوت بالعمل ، وما يعلي افكارهن ونفوسهن من العلوم ، فان البيوت لا تصلح الا بالتقوى والفضيلة والنظام والعلم والادب التي تحلى بها النساء ويفضن منها على أولادهن

﴿ الثالثة لجنة الوعظ والارشاد ﴾

تناط بهذه اللجنة العناية بأمر العامة في القطر كله بتعيين وعاظ في كل جهة يطوفون البلاد والقرى يعلمون الناس أمر دينهم وما لا بد منه من أمر دنياهم كالمحافظة على الصحة والالفة والمودة بينهم وبين من يعيشون معهم على اختلاف مللهم ونحلهم وكالحذر من المرابين والغاشين والمقامرين والدجالين الذين يأكلون أموالهم بالباطل، وينفرونهم من البدع والخرافات والعادات الضارة في الاحتفالات والافراح والاحزان وغيرها ، ومن المعاصي الفاشية في الارياف كالاعتداء على الاموال والاعراض والانفس والثمرات والزروع وغير ذلك كشرب المسكر والحشيش ويكون اعضاء هذه اللجنة من الازهريين ومتخرجي دار العلوم وجماعة الدعوة والارشاد

﴿ الرابعة اللجنة المالية الاقتصادية ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في ديون الاهالي وبيان طرق الارشاد والمساعدة على وفائها بقدر الامكان ، وفي حفظ الثروة مما يغتالها بجهل اربابها وسفاهتهم كالربا الفاحش الذي اهلك الفلاحين، وفي ترقية الزراعة والتجارة والصناعة في البلاد .ويكون اعضاء هذه اللجنة من رجال النقابات الزراعية والشركات المالية على اختلاف موضوعها ، ومن كبار المزارعين والتجار. واظن ان الكثيرين من اعضاء المؤتمر يبينون هذه المسألة بالايضاح الذي ليس وراءه غاية يصل اليها مثلي

﴿ الخامسة اللجنة الخيرية ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في أحوال العجزة والبائسين المستحقين للاعانة على ضروريات المعيشة أو على الكسب أو التربية والتعليم. وتتألف هذه اللجنة من بعض أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية الملاجيء العباسية وجمعية الاسعاف وجمعية رعاية الاطفال ومن غيرهم من أهل الفضلية والفطنة. ويكون من أهم أعمالها جمع ما يمكن من مال الزكاة وصدقات التطوع وجلود الاضاحي وغير ذلك وصرفها في مصارفها الشرعية بلا محاباة . وإني أعرف من الناس من يحار في البحث عن المستحقين للزكاة الشرعية فان اكثر المستجدين الذين يتكففون الناس في الطرق لايوثق باستحقاقهم لاتخاذهم الشحاذة حرفة وكسبا . فاذا وجدت في المؤتمر لجنة من أهل العدالة والتقوى والعلم يضعون الزكاة في مصارفها الشرعية فأهلها يسرون بدفع زكاتهم اليها وتوكيلهم بصرفها للمستحقين لها . وبقيام المؤتمر بهذا وظهور فائدته للناس بسعيه يقيم هذا الركن الاسلامي الذي هدم في هذه البلاد حتى لم يبق منه الا أثر دارس وهو ما امتاز به الاسلام على جميع الاديان

أقترح على المؤتمر تأليف هذه اللجان ووضع النظام لاعمالها، وان يكون هو الصلة بين الجمعيات والنقابات والشركات والمجالس التي تخدم البلاد فيمدها بالرأي والمال ويستمد منها ما يساعده على توحيد المصلحة وتوجيهها الى المقصد من ترقي الامة المادي والمعنوي مع محافظة كل منها على الاستقلال في العمل فتكون كاعضاء الجسم كل عضو يعمل عمله لمصلحة البدن كله

ويكون المؤتمر كالقلب الذي يمد كل عضو بالدم النقي الذي يقوى به على عمله

واقترح ان يكون للمؤتمر مركز عام في القاهرة تجتمع فيه اللجان في الاوقات التي يعينها النظام في اثناء السنة وتضع كل لجنة منها تقريراً ينظر فيه المؤتمر في وقت انعقاده كل سنة وينفذ ما يمكن تنفيذه ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ مقدمة مقالات المسلمون والقبط ﴾

اقترح علينا ان نطبع مقالات « المسلمون والقبط » في كتاب على حدتها ليسهل تعميم الذكرى بها ففعلنا وجعلنا لها هذه المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون

الاسلام دين الرحمة والعدل ، والعلم والعقل ، فأما حكومته الاسلامية المحضة كحكومة الخلفاء الراشدين ، ومن كان أقرب الى سيرتهم كعمر بن عبد العزيز وصلاح الدين ، فهي حكومة لم ير البشر لها مثالا بأعينهم ، ولا في تواريخ من قبلهم ، في الجمع بين الرحمة والعدل وحرية الدين والعلم والعمل لمن فتح المسلمون بلادهم ،

وأما حكومات من دون أولئك الكملة من المسلمين التي نشكو نحن من بعض ملوكها ونصفهم بالظلم فقد كان ظلمهم وشرهم فيها دون ما عرف من ظلم غيرهم من فاتحي الملل الاخرى ، ولهذا انقرضت جميع الملل والاديان من البلاد التي غلب النصارى أهلها كأوربة وبقيت الملل والمذاهب في الممالك التي فتحها المسلمون الى هذا الزمن الذي تغيرت فيه طبيعة العمران وصار من المتعذر على الاقوياء اكراه أهل

الدين على ترك دينهم بالقوة القاهرة أو إبادتهم كما عامل مسيحيو اوربة الوثنيين في عامة البلاد والمسلمين في الاندلس وفرنسة

كان المسلمون في كل ايام قوتهم وسلطانهم ينوطون الكثير من أعمال حكومتهم بغيرهم من أهل البلاد التي فتحوها مع السماح لهم بأن يتحاكموا الى رؤسائهم في جميع القضايا التي لا يحبون أن يتحاكموا فيها الى المسلمين فكان لهم حكومة خاصة بهم في البلاد الاسلامية وحكومة مشتركة بينهم وبين المسلمين . كل هذا من فضل الاسلام وتسامحه ولا يزال يعترف بذلك المخالفون لنا : بعضهم يعترف به عملا باستقلال فكره واحترام اعتقاده (١) وبعضهم لاقامة الحجة علينا في بعض الاوقات كما وقع من بعض القبط في هذه الايام

وكان المسلمون يبذلون المعاملة الحسنى لمن يدخل بلادهم من المخالفين، ويعبرون عنهم بالمعاهدين والمستأمنين ، ويعبرون عن الداخلين في حكمهم بأهل الذمة ، أي الذين حفظت حقوقهم بذمة الاسلام ، والوصايا النبوية بالجميع كثيرة مشهورة

لولا الدين الاسلامي لما عرفت العرب الفاتحة تلك الرحمة والعدل والتسامح التي هي زينة التاريخ فللدين الاسلامي الفضل في ذلك ،ولم تكن تلك القسوة من الاوربيين (ولا سيما في اسبانية التي جعلها المسلمون جنة أوربة) خالية من حجة دينية لرؤساء الدين فانهم كانوا يرجعون الى التوراة التي هي أصل المسيحية في مثل هذه الاحكام دون ظواهر بعض نصوص الانجيل في الرحمة

جاء في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع « ١٠ حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الذي فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ١٢ واذا لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب إلهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

ههنا تأمرهم التوراة بابادة جميع الاحياء المغلوبة حتى النساء والاطفال والبهائم ،

(١) راجع كتاب الاسلام والنصرانية ، وخطبة موسيو رينيه ميليه في مؤتمر افريقية الشمالية بباريس في (ص ٨١٨) من مجلد المنار الحادي عشر

وفي الفصل ٣٣ من سفر العدد الامر بطرد سكان الارض التي يقدرون عليها حتى لا يبقى منهم أحد . وكأن هؤلاء هم الذين يعجزون عن إبادتهم بالسيف .

كل ماسمح به المسلمون ومنحوه لغيرهم في أيام قوتهم فضلا وإحسانا صار في أيام ضعفهم حقوقاً وامتيازات للاقوياء من الاجانب يميزون به أنفسهم على المسلمين في ديارهم ويؤيدونه بالقوة ولا يعدونه فضلا للمسلمين ولا تسامحاً من الاسلام

هذا شأنهم فيما بقي للمسلمين من البلاد وأما ماأخذوه من المسلمين فصار ملكا لهم أو جعلوه تحت حمايتهم فلم يبقوا لهم شيئاً فيه من النفوذ ولا المشاركة في السلطة ولا الحرية . ولكنهم أبقوا في بعض البلاد أشباحا حفظوا لها لقبها الاول وجعلوها رقية لنفوس العامة الجاهلة حتى لايشعروا بأنهم فقدوا ملكهم كما تشعر الخاصة التي تسهل مراقبتها والسيطرة عليها ، وليس لأمير منهم ولا سلطان ولا نواب ان يستقل بالامر في شيء ما . ومنهم من لايسمح له ان ينظر في ورقة ترسل اليه ولو من أقاربه الابعد ان يقرأها الرقيب الاجنبي السائد على بلاده أو الحامي لها ، ولا ان يجتمع بأحد قريب ولا غريب ، الا بحضرة الرقيب ، وناهيك بتصرفهم في الاموال والاوقاف والمساجد في بعض تلك البلاد

ليس هذا بعجيب ولا غريب فان للقوة أن تحكم في الضعف كما تشاء . ولكن العجيب الغريب هو ماجرى عليه قبط مصر في هذه السنين الاخيرة وما وصلوا اليه في هذا العام من استضعاف المسلمين أشد من استضعاف الدول الكبرى لهم

أحسن المسلمون معاملة القبط من عهد الفتح الى هذا اليوم إحسانا لم يروا هم ولا غيرهم مثله من فاتح قط حتى إنهم على شكواهم من المسلمين في هذه الايام يقولون بألسنتهم ويكتبون بأيديهم ان عمال الخلفاء الراشدين ومن بعدهم قد جعلوا كل أعمال الحكومة في أيديهم ، وأنهم كانوا كذلك في عهد محمد علي باشا ومن بعده ، وان أكثرها لايزال في أيديهم ثم انهم الآن يدعون انهم مهضومو الحقوق لانهم محرومون من بعض الوظائف العالية التي هم أحق بها وأهلها ، وان المسلمين ممتازون عليهم بها وبأمور أخرى كتعليم الدين الاسلامي في المدارس وترك الحكومة العمل يوم الجمعة واتفاقها على المحاكم الشرعية . فيطلبون أن لايكون للمسلمين مزية ما في الحكومة الخديوية لانها في رأيهم ليست حكومة إسلامية وإنما هي حكومة مصرية فهم أحق بها لانهم أعرق في الجنسية المصرية من سائر المصريين فما هو في أيديهم منها يجب ان يبقى لهم لأنهم أخذوه بحق وما بقي في أيدي المسلمين يجب ان يشاركوهم فيه لانهم

احتكروه بغير حق . وهذا الذي بقي في أيدي المسلمين من الوظائف هو منصب المديرية ومأمورية المركز

سمحت لهم الحكومة بتعليم دينهم في مدارسها وهو مالم تعمله حكومة في أوربة ولا غيرها فاذا جعلت يوم عيدهم الاسبوعي الديني (الاحد) شعارا لها في ترك العمل وجعلت منهم مديرين ومأموري مراكز عملا بهذه الحجة التي يدلون بها وهي انها ليست اسلامية فانه يخشى ان يترتب على ذلك ماتخشى مغبته وتسوء عاقبته من تعرض السلطان للدخول في ذلك باسم الخلافة ومن مطالبة المسلمين للحكومة برفع سيطرتها عن محاكمهم الشرعية ، وأوقافهم ومعاهدهم الدينية . ومن تهييج مسلمي الهند على الحكومة الانكليزية اذا اعتقدوا انها هي التي أزالت الصبغة الدينية من حكومة مصر التي هي سياج البلاد المقدسة ومدخلها ، ولذلك استنكر رجال الاحتلال مطالب القبط مع عطفهم الديني عليهم كما استنكرتها الحكومة

أما مسلمو مصر وهم السواد الاعظم من أهلها فكانوا غافلين عن سعي القبط وتعصبهم غير مبالين به لانهم مغرورون بكثرتهم وان كانت كثرة تشبه القلة أو تضعف عنها لتخاذلهم وانحلال الرابطة التي توحد بينهم . وهذا هو الذي أطمع القبط فظنوا انهم ينالون كل مايطلبون من جعل السيادة في هذه الحكومة خالصة لهم من دون المسلمين . ولا أضرب لهم المثل الذي ضربه لهم بعض الناس « لاتطعم العبد الكراع ، فيطمع في الذراع » بل أقول هذا شأن الاقوياء بالاتحاد ، مع الضعفاء بالتفرق والانقسام

رأت القبط ان تهاجم المسلمين من أضعف جانب فيهم وهو رميهم بالتعصب الديني وبغض القبط وسائر المسيحيين وظلمهم وهضم حقوقهم واتباع خلفهم في ذلك إثر سلفهم جردوا هذا السلاح في وجوه المسلمين فذعروا وصبروا على مالم يتعودوا من اهانة القبط لهم جهراً بما ينشر في الجرائد فقالت القبط انهم قد ماتوا فلا خوف من مدافعتهم فلنظهر وحدتنا في مطالبنا ، وقد فعلوا

ألف المؤتمر القبطي يحضره ١١٥٠ مندوبا عن القبط يحملون ١٠٥٠٠ توكيلا عن اخوانهم في القطر المصري كله وافتتح المؤتمر مطران اسيوط التي سماها بعضهم عاصمة القبط ، فأحدث هذا المؤتمر دويا في مصر أيقظ المسلمين ودعاهم الى تأليف مؤتمر مصري حقيقي للنظر في الحال الاجتماعية العامة ، وتمحيص مطالب القبط وتحسين أمور المسلمين أو المصريين

ماكان يخطر في بال القبط ان المسلمين يتجرءون على عقد مؤتمر لهم ، ولا ان

الحكومة تسمح لهم به اذا شاؤه ، فصرحوا بأن الحكومة هي التي أوحت اليهم بعقده ، وأرادوا أن يخيفوا الحكومة بمثل ماأخافوا به الامة ، فانشأوا يطعنون في الوزارة ويرمونها بالتعصب الديني وتحريض المسلمين عليهم ، ويرجفون بأن «المسيحية تعذب » ليحرضوا كل من في مصر من النصارى على المسلمين ، وحاولوا ان يحملوا نصارى السوريين على عقد مؤتمر لهم فخابوا لان القبط يعجزون عن العبث بالسوريين واستخدامهم لاهوائهم ، وأما دسائسهم في انكلترة فقد ظهرت لكل أحد ولكن لم تغن عنهم شيئا لانها مبنية على التهم الباطلة ، التي كذبتها سيرة المسلمين الهادئة الساكنة

لقد سرتني هذه الحركة القبطية لانها وسيلة لاختبار حياة المسلمين وسيكون المؤتمر المصري هو الذي يظهر هذه الحياة ودرجتها فاذا نجح المؤتمر وانجلى عن حياة في المسلمين فلا يسؤني أن تنال القبط مايقول بعض المعتدلين انه هو الحق الوحيد من مطالبها وهو جواز ان يكونوا رؤساء ادارة كما صار رؤساء للمحاكم ولغيرها من المصالح . واذا خاب الامل (لاسمح الله) في هذا المؤتمر فلا أسف على شيء آخر يفوت

كتب الناس في المسألة لانها أهم مايكتب فيه بمصر الآن فألقيت دلوي بين الدلاء وكتبت مقالا طويلا في فصول متعددة نشرتها في المؤيد والمنار . قصدت بها مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن كما أمر الله عز وجل ولا أحسن من بيان سنة الاجتماع في هذه المسائل والتمييز بين حقها وباطلها ليزداد الباحثون بصيرة في بحثهم ، وتنبيه المسلمين الى الاجتماع والتعاون على ماينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يضر سواهم ، ولاجل ان تكون مقدمة لبيان رأيي فيما يجب ان يقوم به المؤتمر من الخدمة العامة لهذه البلاد

بلغ هذا المقال من التأثير في نفوس المسلمين فوق كنت أظن ، واقترح على كثير من الكبراء والدهماء ان أطبعه في رسالة على حدته فأجبت ، وهاهوذا

(محمد رشيد رضا)

باب المراسلة والمناظرة

كيف خلق الانسان (*)

بينا في بعض مقالات نشرت في الصحف اليومية أن مذهب دارون وإن كان من أحسن المذاهب العلمية الآن لتفسير المسائل الطبيعية إلا أنه لم يبلغ درجة اليقين فهو لايزال ظنيا لاقطعيا ويجب على أتباعه أن يعرفوا عنه هذه الحقيقة وقد أوردنا عليه فيما نشر بعض احتمالات تقوض أهم أركانه ، وتدك أكبر أسس بنيانه ، حتى أن كثيراً من اعظم أنصاره في الشرق لم يقدر على الرد علينا .وقد سألني بعض الاخوان قائلاً : إذا كنت تشك في صحة مذهب دارون فكيف تفسر لنا علميا خلق الانسان أولا من طين ؟ فأردت ان اجيبه في هذه المقالة على هذا السؤال . وقد رأيت أن ابدأ بسرد تلك الاحتمالات التي أوردتها على هذا المذهب ثم أتبعها بالجواب فأقول: —

أما الاحتمالات فهي :

(١) اذا قلنا ان بعض الاعضاء الأثرية في نوع ما من الانواع كان مستعملا في هذا النوع بعينه من قديم الازمان ولاختلاف الظروف والاحوال التي أدت الى اهمال هذا الاستعمال فيما مضى من الاجيال ضمرت هذه الاعضاء وصارت آثاراً للدلالة على أصولها في نفس هذا النوع لا على أنها كانت أعضاء في نوع غيره فبماذا يا أنصار هذا المذهب تثبتون تغير الانواع وانتقالها من نوع الى آخر ؟ ؟ مثال ذلك عضلات الاذن الظاهرة للانسان والجسم الصنوبري (Pineal Body) الذي في مخه وتقولون عنه انه كان عينا ثالثة في الحيوانات التي ارتقى عنها الانسان. فلماذا لا نقول ان هذه العضلات وتلك العين الثالثة كانت للانسان نفسه في أول الاول خلقت ابتداء معه لمنفعة لها اذ ذاك ولتغير الظروف والاحوال فيما بعد أهمل استعمالها لتلك الاسباب التي تزعمونها فضمرت حتى صارت آثارا دلت على ما كان له في قديم الزمان

(*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

لا على أنه انتقل من نوع الى نوع ؟ ومثل ذلك يقال في سائر الحيوانات التي توجد فيها مثل هذه الاعضاء الضامرة أي أن كثيرا من الحيوانات كانت لها هذه العين الثالثة ثم زالت أو ضمرت لعدم الاحتياج اليها واهمال استعمالها وكذلك نجدها في الحيوان المسمى بالافرنجية هاتريا (Hatteria) وهو نوع مخصوص من الاورال (جمع ورل) (Lizards) كانت له هذه العين فأهمل استعمالها فضمرت فيه وبقيت الى الآن مغطاة بالجلد وبمثل هذا التعليل يمكننا أن نعلل ضمور الحوض والطرفين السفليين في الحيات أي ان بعض هذه الاعضاء الأثرية المشاهدة الآن في انواع الحيوانات كانت في قديم الزمان أعضاء نامية في نفس هذه الانواع لا في انواع غيرها كانت موجودة قبلها أما باقي الاعضاء الأخرى الأثرية فيمكن تعليلها بعلل أخرى كما سيأتي

(٢) إذا سلمنا ان بعض الانواع ارتقى عن البعض الآخر واستدللنا على ذلك بمثل الاسنان التي تظهر في الفك الاعلى لأجنة الحيتان والحيوانات المجترة ثم تذهب وتزول قبل ان تولد وقلنا ان ذلك دليل على ارتقائها من نوع غير نوعها فبماذا تثبت ارتقاء جميع الانواع بعضها من بعض ؟ مع أن مثل هذا البرهان لايوجد إلا في بعض الانواع دون البعض الآخر أي أننا إذا سلمنا ان الانواع كانت أقل مما هي عليه الآن بقليل فلا يمكننا أن نسلم أنها جميعا كانت قليلة جدا (أي نحو أربعة أو خمسة مثلا) كما ذهب اليه دارون أو واحداً فقط كما ذهب اليه غيره ممن اتبعه فاذا سلمنا ان الحمار والحصان من أصل واحد فلا نسلم أن الكلب والانسان كذلك . ومثال ذلك في اللغات : أننا اذا قلنا إن بعض الكلمات في بعض اللغات مشتق من اللغات الاخرى لوجود تشابه في حروفها ومخارجها فلا يمكننا أن نقول ان كل كلمة في أي لغة مشتقة من كلمة أخرى في لغة أخرى قبلها بل ان كثيراً من الكلمات قد وضع في اللغات وضعاً وخلق خلقاً ولم يكن له سابق في لغة قبله فكيف اذاً تثبت أن الانسان أو غيره من بعض الانواع الاخرى لم يخلق نوعاً مستقلا عن غيره من الانواع وأي برهان صحيح نقيمه على ذلك سوى الظنون والاوهام مع ملاحظة أن مثل البرهان السابق (أي ظهور الاسنان في بعض أجنة الحيوانات ثم زوالها) ان صح في بعض الانواع فلا يصح في نوع الانسان ولا في أكثر الانواع الأخرى وإلا فما هي الاعضاء الاثرية التي تثبت ذلك فيه ؟؟

(٣) لنا أن نقول إن سنة الله في الخلق هي أن يخلق أجنة الحيوانات المتماثلة على طريقة واحدة ثم ينوعها بحسب أنواعها المختلفة أي ان اجنة بعض الحيوانات المختلفة في نوعها تكون في مبدأ

الامر متشابهة كل الشبه ثم تتنوع شيئاً فشيئاً حتى يختلف بعضها عن بعض فكما أن جنين الذكر والانثى هو في الاصل واحد ومنه يشتق الذكر والانثى فكذلك أجنة كثير من الحيوانات هي في الاصل واحدة لانها خلقت في مبدإ الخلق من شيء واحد كما سيأتي بيانه ثم اشتقت منها الحيوانات المختلفة وكما أنه لا يصح أن يقال إن الذكر كان أنثى وارتقى لوجود آثار الانثى فيه وبالعكس كذلك لا يصح أن يقال إن الانسان كان حيوانا آخر وارتقى لوجود آثار من الحيوانات الاخرى فيه كالزائدة الدودية التي هي عبارة عن أعور طويل في الحيوانات الاخرى ذوات الثدي وكالاقواس الخيشومية (Branchial arches) في جنين الانسان التي تقابل خياشيم الاسماك فان هذه الاشياء الأثرية وجدت في الانسان كما وجدت آثار الانثى في الذكر وبالعكس لان الجنين لكل من هذه الحيوانات المختلفة كان أصله واحدا في شكله ومادته وخواصه ثم تنوع فوجدت آثار بعض الحيوانات في البعض الآخر لتشابه أجنتها في مبدأ الامر ولكونها على طريقة واحدة ومن مادة واحدة . ومثل ذلك أيضاً الجلد والعضل والعصب والعظم فانها خلقت جميعها من خلايا (بروتوبلاسمية) واحدة في أصلها وشكلها ثم تنوعت أثناء نشوئها وحافظت خلاياها على خواص الخلايا (البروتوبلاسمية) الاولى وصفاتها بدرجات متفاوتة بحيث صار بعض هذه الخواص في بعض هذه الخلايا أصلياً وفي البعض الاخر أثريا مثل خاصية الانقباض التي توجد في الخلايا العضلية ظاهرة واضحة وفي غيرها طفيفة غير خافية وإن كانت في الخلايا الاصلية متساوية . ويلحق بهذا الوجه وجه رابع وهو أن نقول :

(٤) ان بعض هذه الآثار يمكن تعليله بأنه من بقايا التكون التدريجي أي مما يتخلف عنه وذلك أننا أثناء تكون الجنين نشاهد بعض اشياء توجد ثم تزول أو تبقى آثارها ولا فائدة منها بحسب علمنا ولا يمكن تعليلها بما يعللون به الاعضاء الأثرية الاخرى . مثال ذلك

(١) غشاء الحدقة (Pupillary membrane) فانه يظهر في الجنين طامسا العين ثم يزول قبل ان يولد ببعض شهور ولا يمكن أن يقال إنه كان مستعملا في حيوانات سابقة وإلا لكانت عمياء وضاعت فائدة أعينها بوجوده

(٢) غشاء البكارة فانه بقية من بقايا التكون التدريجي وهو منتهى ما يقولونه عنه . وكذلك

(٣) الحاجز المهبلي الذي يوجد في بعض النساء وهو ينشأ من اتحاد إحدى انبوبتي ملر (Mullerian Ducts) بالاخرى

(٤) جفون العينين فانها تتكون ثم تلتحم ثم تنفتح في الجنين ولا يعلم أحد حكمة هذه التقلبات فكذلك يمكن أن يقال إن ظهور الشعر في جميع جسم الجنين الانساني مثلا ثم ضموره من أغلبه بالتدريج هو من هذا القبيل أي إنه لا يدل على أن الانسان كان أولا حيوانا ذا شعر طويل كغيره من الحيوانات ولما ارتقى ضمر شعره .

وما يقوله أنصار داروين في تعليل هذه المسائل الاربعة المذكورة هنا نقوله نحن في تعليل وجود الاعضاء المتخلفة عن التكون التدريجي وهذا أيضاً وجه آخر في تعليل مثل الزائدة الدودية في الانسان . وإن اعترفوا بالعجز عن تعليل بعض هذه المسائل وأقروا بجهلهم حكم كثير من أعضاء الجسم كالثيموس (Thymus) والجسم السباتي (Carotid) والجسم العصعصي Coccygeal Body) وغيره اعترفنا نحن أيضاً بجهلنا حكمة بعض الاعضاء الأثرية وحينئذ فلا فرق بين مذهبنا ومذهبهم سوى أنهم أكثر جرأة منا على التهجم على دعوى معرفة أسرار الكون والاغترار بما عرفوه وإن كان كل يوم يظهر أنهم فيما يزعمون كاذبون عاجزون

وأما كيفية خلق الانسان فالجواب القطعي عنها لا يعلمه إلا الله . وأما الظني فيمكننا أن نقول : ــ لا يخفى أن أجنة الحيوانات بعضها يتكون في الرحم والبعض الآخر خارج الرحم كالتي تتكون في التجويف البطني في الانسان وغيره وفي بيض الطيور وفي مياه البحار كالقنافذ (Seaturchins or hedgehogs) وغير ذلك والذي يظهر فيها كلها أن اللازم للتكون هو حيوان منوي غالباً (١) وبويضة ووسط مغذ سواء كان ذلك الوسط جدر الرحم أو غشاء البريتون أو زلال البيض أو مياه البحار أو غير ذلك .

(١) حاشية للكاتب ــ تكون المسيح بدون أب أي بدون حيوان منوي له نظير في عالم الحيوانات الصغيرة ولا نعلمه الآن بالتحقيق في الحيوانات الكبيرة كما يزعم بعضهم ففي بعض الحيوانات الصغيرة يوجد ما يسمى بالتولد البكري (Parthenogenesis) أي إن الانثى بعد أن يلحقها الذكر مرة تلد عدة أجيال (generations) بدون احتياج للذكر فابنتها أو ابنة ابنتها تحبل وتلد بدون أن يمسها ذكر ومن ذلك قمل النبات . ومن المعلوم أن ما يحصل في بعض الحيوانات على سبيل القاعدة قد يحصل مثله على سبيل الشذوذ في الحيوانات الاخرى فالقاعدة في الارانب مثلا أن تلد كثيراً وقد وجد في النساء من ولدت ستة أولاد ولا ينافي ذلك كون مريم وابنها آية للعالمين فان في كل ما خلق الله لآيات للعالمين (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون)

وعليه فيحتمل أن الله تعالى خلق أولا حيوانات منوية وبويضات من مادة واحدة (١) وهما خلايا حيوانية كما خلق الاميبا ، Amœba) وغيرها من الحيوانات ذات الخلية الواحدة ولاختلاف الوسط والظروف صارت هذه الحيوانات المنوية والبويضات مختلفة متنوعة فمن بعضها خلق الانسان الاول (آدم وحواء) ومن البعض الآخر خلقت الحيوانات الاخرى

وذلك بان تلقحت البويضة بالحيوان المنوي ثم التصقت ببعض المواد البروتوبلاسمية الاولى التي كانت توجد في البحار وعلى شواطئها ومن هذه المادة البروتوبلاسمية صارت البويضة تمتص غذاءها كما تمتصه أحيانا من البريتون في الحمل خارج الرحم وصارت تنمو وتكبر كما تكبر الآن في بطون الامهات ولما تم نموها انفجرت وخرج منها الانسان كما يخرج من الكيس الامنيوسي . ولعل الله تعالى ساق له إذ ذاك بعض الحيوانات الاخرى كالدبية المشهورة بهذا الامر فأرضعته أو كان يوجد مواد زلالية مغذية في البحار فصار يشرب منها ، أو كان يمتص عصيراً يسيل من بعض أشجار قريبة كان عصيرها مغذيا . أو كان يشرب ماء فيه حيوانات دقيقة جداً فيتغذى بها وما يقال فيه يقال في الحيوانات الاخرى الشبيهة به التي يجوز أن يقال في كيفية تغذيتها الاولى أيضاً أنها وجدت بعض نباتات طرية هلامية مغذية فازدردتها في مبدإ نشأتها حتى كبرت وصار يمكنها أن تأكل غيرها من النباتات أو الحيوانات الاخرى

فان قيل وكيف يوجد ذكر واحد وأنثى واحدة مع أنه يحتمل أن الحيوانات المنوية والبويضات كانت كثيرة قلت ذلك هو عين ما يحصل الآن في الانسان وغيره فمع وجود حيوانات منوية تعد بالملايين وكذلك بويضات في كل جماع فلا يتكون منها غالبا إلا ولد واحد

وإن قيل لم لم يخلق الآن حيوانات بهذه الطريقة من جديد، قلت ولم لم يتولد الآن من الجمادات أحياء جديدة ؟ أليس ذلك لاختلاف حال الزمان وطبيعة الارض الآن عما كانت عليه في مبدإ الخليقة ؟ أما إذا وجدت تلك الاحوال الاولى فلا يبعد أن يتكون فيها حيوانات جديدة كما لا يبعد أن يتكون فيها أيضاً بطريق التولد الذاتي خلايا بروتوبلاسمية جديدة

أما مسألة التذكير والتأنيث فما يقال فيها الآن يقال نحوه أو ما يقرب منه في الخلايا البروتوبلاسمية الاولى التي صار بعضها حيوانات منوية ملقحة (بالكسر) والبعض الآخر بويضات ملحقة (بالفتح) . والله تعالى أعلم بأسراره في خلقه

١) المنار : اي خلق ذلك في الطين اللازب من الحمأ المسنون

النسائيات (*)

٣٠

﴿ حرية المرأة في الاسلام ﴾

يود بعض النساء المسلمات التشبه بالغربيات في زيهن وأنماط معيشتهن ظنا منهن ان الحرية انما ألقت مراسيها عند الغربيات وانهن أي المسلمات محرومات منها شرعا ولو تدبرن أمور دينهن وبحثن في القوانين التي يتبعها الغرب لرأين ان نصيبهن من الحرية الحقيقية أوفر من نصيب الغربيات . ولايخلبهن زي الغربية وكثرة تجوالها في الشوارع والبلاد فانما حريتها هذه كمن يعطيك درهما ويأخذ منك دينارا . لان ركن الحرية الاقوى ان يكون الانسان حراً في التصرف بماله . حراً في معاشرة غيره . والاسلام يعطي هذه الحقوق للمرأة فضلا عن انه يبيح لها السفور والسفر ، وان كان مع الاشتراط .

« كانت المرأة قبل ظهور الاسلام مزدراة الى الدرجة القصوى ففي بلاد العرب كانت تحسب كبعض امتعة البيت حتى انها كانت تورث كما يورث العقار والانعام وللوارث حق ابقائها لنفسه أو بيعها لمن يشاء وكانوا يئدون بناتهم خشية العار أو الفقر وكان تعدد الزوجات فاشياً فيهم بغير حد محدود وكذلك كانت الحال في بلاد الفرس وعند اليهود . هذا في الشرق وأما في الغرب فلم تكن المرأة بأسعد حظا اذا كانت كمية مهملة عاطلة من التربية والتعلم معدودة كالبهيمة حتى ان مجامعهم المقدسة كانت تبحث في هل للمرأة نفس كالرجل وقام بينهم خلاف شديد من أجل ذلك وحتى لعب بعض مقامري الانجليز بامرأته بعد ان خسر ماله » انتهى بتصرف من كتاب الاسلام دين الفطرة لمؤلفه الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش

ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة في

(١) كل التكاليف الشرعية الا النادر وذكر القرآن المرأة بجانب الرجل في كثير من آياته

(*) مقالة جديدة للاديبة المعروفة بلقب باحثة بالبادية

(٢) في الحقوق المدنية فللمرأة ان تبيع وتشتري وتهب وتقف وتعقد ماشاءت من العقود بغير اذن أو سيطرة مع ان قوانين الغرب لاتبيح للمرأة شيئاً من ذلك وتشترط ان يكون لرجل المرأة حق التصرف في أموالها بغير قيد ولاسؤال . وقدضايق هذا الامر النساء هنالك فهبن في بعض الممالك يطالبن بحقهن فأعطينه ولكن اللاتي لم يطالبن لم يعطين شيئا

(٣) يتضح من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يبيح للمرأة حرية الرأي فقد بايعه المؤمنات مع المؤمنين مراراً وإهمالنا هذا الامر ليس بدليل على ان الاسلام يحرمه كما تحرمه قوانين الغرب . ولا يزال برن في آذاننا صدى ضوضاء المطالبات بحق الانتخاب ووقوف النواب في وجوههن وارجاعهن بخفي حنين وقد لقين من السجن والضرب عذاباً أليما .

(٤) يبيح الاسلام للمرأة الراشدة ان تزوج نفسها بنفسها وان توكل من شاءت في العقد

(٥) يعطي المرأة حق الطلاق اذا اشترطته في العقد . أما اذا لم تشترطه هي أو وليها فكأنها تنازلت عنه لبعلها

(٦) ومن أعظم نعم الاسلام على الزوجين المتباغضين الطلاق . ولا حاجة لبيان الشقاء المقيم اذا تعاشر الزوجان على غير ألفة أو افترقا على غير اباحة الزواج ثانية أو أصيب أحدهما بما يكره الآخر معاشرته عليه كالجنون أو البرص أو غيره ورشد الدين الحنيف ان لايستعمل الطلاق الا في الضرورة الشديدة وقد حرمه بعض الائمة اذا كان بلاسبب قال ابن عابدين (وأما الطلاق فالاصل فيه الحظر أي الحرمة ، والاباحة للحاجة الى الخلاص فاذا كان بلا سبب أصلا لم يكن فيه حاجة الى الخلاص بل يكون حمقاً وسفاهة رأي و مجرد كفران النعمة واخلاص الايذاء بها وبأهلها وأولادها ولذا قالوا ان سببه الحاجة الى الخلاص عند تباين الاخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم اقامة حدود الله تعالى فحيث تجرد عن الحاجة المبيحة له شرعا يبقى على أصله من الحظر ولذا قال الله تعالى « فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » أي لاتطلبوا الفراق) . اهـ وقال الله تعالى « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » وقال أيضاً « وعاشروهن بالمعروف » وقال جل من قائل « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » ولم يقل إن يريدا طلاقا لان الاصل في الزواج دوام العشرة ولكن اذا لم يفلح الزوجان

أو أحدهما في إدامة العشرة فلا مناص من الطلاق . قال النبي صلى الله عليه وسلم «أبغض الحلال الى الله الطلاق»

(٧) يوجب الاسلام تعلم العلم على كل مسلم ومسلمة وقد كانت نساء النبي رضي الله عنهن يفتين الرجال والنساء ويلقين عليهن دروس الحكمة ومكارم الاخلاق ولم يهمل تعليم النساء قط الا بعد سقوط دولة العرب وترك الناس تعاليم الدين الحنيف ألم يشتهر النساء أيام العباسيين والامويين بالعلم والفضل حتى برعن في الفقه والادب والغناء بما لم يبق بعده زيادة لمستزيد . ولم يكن تعلم العلم مقصورا على النبيلات منهن وبنات الخلافة بل شمل الجواري والعامة .

(٨) لو اتبع المسلمون دينهم كما يجب لعلموا ان من فروض الكفاية ان يكون من نسائهم لنسائهم من يكفي من المعلمات والطبيبات حتى لا يحتجن لغير النساء في أمس الامور بهن كالتعلم والاستشفاء

(٩) يبيح الاسلام للمرأة السفور عند أمن الفتنة . والظاهر ان هذا السفور هو الغاية التي يسعى اليها أكثر النساء الشرقيات الآن ويتخذن تقليد الغربيات في اللبس والمأكل وشكل المعيشة وسيلة اليه ويزعمن ان ليس لهن من الحرية ما لاخواتهن الغربيات مع ان الاسلام لم يجعل علينا في الدين من حرج ، وقد كانت النساء يخرجن سافرات الى أن عم الجهل فمنع بعض الخاصة نساءهم من الخروج فصارت عادة قلدهم فيها غيرهم وقد تغالى فيه بعضهم حتى كانت المرأة لافرق بينها وبين السجين قال ابو الطيب المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة بعد قوله

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال
على المدفون قبل الترب صونا ... وقبل اللحد في كرم الخلال

وقال في اخت سيف الدولة الاخرى رثاء ايضاً

وهل رأيت عيون الانس تدركها ... حتى حسدت عليها أعين الشهب

وعادة الحجاب ليست قاصرة على النساء فقط فان في صحراء افريقية الكبرى قبيلة اسمها قبيلة الملثمين كل رجالها يضعون اللثام على وجوههم ولا تفعله نساؤهم

(١٠) لم يبق بعد ذلك عند الغربيات أمر يفضلن به نساءنا الا تحريم تعدد الزوجات عند المسيحيات منهن (لانه مباح عند اليهود) . ومن المسلمين من يحرم التزوج بأكثر من واحدة ولا يبيح الطلاق الااذا حكم به قاض يفصل في الدعوى. فسلام على الاسلام وسلام على حريته الحقة وسلام على متبعيه حق الاتباع . (باحثة البادية)

مذكرة

«عن اعمال المبشرين المسيحيين في السودان»

(ارسلها الينا صديق عارف خبير عندما أسسنا جمعية الدعوة والارشاد)

(١) ليس للمبشرين عمل في الجهة البحرية من فاشوده الا في الخرطوم . أما قبلي فاشوده فلهم فيه أربع نقط على النيل الابيض وهي : تنجه والكنيسة وبور والمنجلة ، كما ان لهم مركزاً في (واو) عاصمة مديرية بحر الغزال ولا يؤذن لهم الآن في التبشير في غير العاصمة من هذه المديرية

(٢) ان الطريقة الوحيدة التي يعتمد عليها المبشرون في تنصير الاهالي تنحصر في فتح المدارس التي يلقنون فيها اصول الدين المسيحي لاولاد الاهالي الذين يدخلون تلك المدارس

(٣) يعتمد المبشرون في حمل الاهالي على ارسال أولادهم الى مدارسهم على الاحسان الى الآباء والتودد اليهم ففي (واو) مثلا يعطون لآباء التلامذة ٣ ارطال دره يوميا كما يعطونهم أيضاً بعض الاقمشة أو بعض الحلي المستعملة عندهم ومن طرق الاحسان التي يستعملونها لهذه الغاية «التطبيب» فهم يداوون كثيرين من مرضى الاهالي الذين يكونون عن مقربة من مركزهم

(٤) يعلم المبشرون في مدارسهم أصول الدين المسيحي والقراءة والكتابة بلغة افرنجية ومبادي العلوم الضرورية كالحساب ، وعدا هذا فهم يقسمون التلاميذ الى جماعات يختص كل جماعة منهم بتعليم صنعة من الصناعات كالتجارة والحدادة والبناء

فيبدءون عملهم بتشييد مسكن لهم وبجواره كنيسة ومدرسة ثم يأخذون قطعة أرض ويجرون فيها تجارب زراعية والذين يعملون لهم فيها هم الاهالي المجاورون لهم في مقابلة مكافأة تعطى لهم والتلامذة انفسهم

وقد يوجهون همتهم الى تجارب في كل ما يظنونه يعود على الاهالي والحكومة بالربح والرفاهية فيربون النحل ويعملون له الخليات على الطرز الاوربي ويستخرجون منه الشمع الى غير ذلك من التجارب على مقدار ما تسمح به قوتهم المالية ومعارفهم العملية

(٥) ان اشد القبائل استعداداً للتدين بما تدعى اليه هي قبائل النيام نيام . هذه القبائل ليس لها تقاليد دينية تصدهم عن اعتناق أي دين يدعون اليه ويقابل هؤلاء في سهولة انقيادهم (الدنكا) في شدة تمسكهم بعوائدهم ، وهؤلاء الدنكا لهم بعض معتقدات دينية اذكر ان اللورد كرومر فصل بعضها في أحد تقاريره

مساعدة الحكومة للمبشرين

(٦) اذا صرفنا النظر عما يحصل من بعض افراد الموظفين الانكليز ونظرنا الى اعمال الحكومة العمومية والى أعمال الاكثرين من رجالها صح لنا أن نصف الحكومة السودانية بالنزاهة في هذا الباب . بل ان الحكومة قد تفعل احياناً ما لا يرضي المتعصبين من المسيحيين . ففي بحر الغزال وغيره من البلاد الوثنية تحتفل الحكومة بالاعياد الاسلامية احتفالا شائقاً تدعو اليه مشايخ القبائل ورجال قبائلهم كما انها تبطل يوم الجمعة أشغالها ، وفي رمضان لا تشتغل بعد الظهر ولعل هذا بعض ما دعا أحد زعماء المرسلين الاميركان الى لوم الانكليز في خطبة القاها في العام الماضي

على أني قد شعرت في آخر الامر بأن الحكومة تريد أن تظهر مجاملتها لهؤلاء المبشرين فقد ساعد أحد مديريها احدى الارساليات على إحضار أولاد الاهالي الى مدارسها بنفوذ الحكومة

عرفت ذلك من مصدر يوثق به ولكن لست ادري هل كان هذا العمل بناء على رغبة المدير خاصة أم رغبة الحكومة الرئيسية ؟ والحكومة تمنع الان المرسلين من التبشير في داخل بحر الغزال ولكن سبب هذا المنع اداري محض . فالحكومة تستعمل الاهالي في حمل بضائعها وفي حمل عفش ضباطها ومستخدميها فهي تخشى من اقلام المبشرين اذا اطلعوا على هذه الحقيقة خصوصا اذا شاهدوها بأعينهم

مقدار نجاح المبشرين في مهمتهم

(٧) للآن لم ينجح المبشرون في عملهم وعدم نجاحهم هذا قد يغر قصار النظر من المسلمين فيجزمون بعدم نجاحهم في المستقبل ولكن المرجح عندي انه اذا طال زمن اهمال المسلمين فالمبشرون ناجحون في المستقبل . أتاحت لي المصادفة مقابلة بعض أهالي (أوغندا) واستطلعت منهم حالة بلادهم ففهمت منهم ان البلاد صارت مسيحية أو كادت وذلك للمجهودات التي يبذلها المبشرون ، حتى لقد نشروا كتبهم المقدسة كلها هناك مترجمة بلغة الاوغنديين ومكتوبة بحروف انكليزية يعني ان القارىء يقرأ كتابة انكليزية ولكنه ينطق بكلمات أوغندية

لست أجهل ان هناك بعض عبارات تستوجب وجود الصعوبات في سبيل هؤلاء المبشرين في السودان المصري مثل وجود العساكر السودانية المسلمين بين هؤلاء الوثنيين وان هذه الاصقاع هي مجال واسع لتجار السودان وغيرهم من المسلمين ولكن المتأمل في طريقة هؤلاء المبشرين في تنصير الاهالي لا يسعه مع علمه بكل هذا الا الحكم بترجيح نجاحهم والا فما هي قوة هؤلاء الاطفال الذين يلقى بهم بين ايدي هؤلاء المبشرين الذين يلقنونهم أصول الدين المسيحي كأنها حقائق لانزاع فيها ؟ أليس الاجدر بالمتأمل ان يحكم بأن هؤلاء الاطفال يصيرون رجالا مسيحيين كالمسيحيين المولودين من ابوين مسيحيين لان ما يتلقاه هؤلاء الاطفال من أصول الدين المسيحي لا يجد له مزاحماً ولا معارضاً في نفوسهم فيزعزعه كما انه ليس هناك رجال دين آخر يثبتون أصول دينهم في نفوسهم كي تغالب ما ألقي اليهم ؟

تقريظ المطبوعات الجديدة

(سمير الليالي)

جمع أمين افندي صوفي السكري من أدباء طرابلس الشام مسائل وفوائد كثيرة من الكتب والصحف التى طالعها فكانت كتابا كبيراً يدخل في بضعة أجزاء . وقد طبع الجزء الاول منه فى ١٣٢٧ على نفقة الشيخ عبد الله الرفاعي الكتبي فى طرابلس وهي الطبعة الثانية له . وهذا الجزء زهاء مئتي صفحة أكثرها في جغرافية المملكة العثمانية وأقلها في جغرافية الممالك الاوربية فيجد قارئه كلاما مفصلا فى وصف الولايات العثمانية لا يجده في غيره من الكتب العربية المتداولة ، وليت المؤلف وقد أضاف الى هذه الطبعة فوائد كثيرة لو صحح مافيه من الاحصاء بمراجعة الاحصاءات الاخيرة فهو يذكر ان مسلمي مصر تسعة ملايين اخذا من احصاء سنة ١٨٩٧ م وهم في احصاء ١٩٠٧ زهاء ١١ مليونا . وذكر ان نفوس السودان المصرى ١١ مليوناً ولعله يعد من السودان المصرى جميع ما انفصل منه حتى زيلع ومصوع ، كما هو مقتضى سياسة الدولة العلية ثم انه لم يلتفت الى ماحل به من الاوبئة والحروب ، وانني

لم أراجع من الكتاب الا احصاء المسلمين فنبهت اليه والى سببه لئلا يكون منفرا عن الكتاب صاداً عن فوائده وأهمها وصف الولايات العثمانية . والكتاب يطلب من المكتبة الرفاعية بطرابلس الشام

﴿ كتاب النصائح الكافية والردود عليه والانتصار له ﴾

يتذكر القراء انه ذكر في المنار كتاب (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) للسيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره الذي أحدث عند طبعه وانتشاره ضجة عظيمة فأعجب به جماهير العلويين في الاقطار المختلفة وانكره آخرون وعدوه ميلا عن السنة الى التشيع ، ورد عليه بعض وانتصر له بعض

أما السيد محمد بن عقيل فهو رجل سني من حزب المصلحين حسن النية وقد كان كتب الي بعزمه على تأليف كتاب يجمع فيه ما ورد في كتب المحدثين والمؤرخين من جرح معاوية بن أبي سفيان وتخطئته في خروجه على امير المؤمنين علي كرم الله وجهه وما تبع ذلك من الفتن والسيئات ، وكان الذي وجه عزمه الى ذلك خلاف وقع في مسألة جواز لعن معاوية وعدم جوازه، واستفتيت يومئذ في الواقعة وأفتيت بعدم اللعن، فكتب الي هذا الصديق انه يخالفني في هذه الفتوى وانه سيبين حجته في هذا الكتاب الذي توجه الى تأليفه ، فكتبت اليه يومئذ بأنه لا ضير في مخالفته إياي ولكنني أرى أن يترك وضع هذا الكتاب لما يترتب عليه اذا وضع بهذا السبب وبعد هذا الخلاف من القيل والقال واتباع الهوى في التفرق والخلاف، فلم يقتنع بصحة رأيي ، وقد ظهر له صدقه بعد ذلك ولكنه لا يزال يرى ان نفع الكتاب ، أرجح من ضرر ما كان من الخلاف

الرقية الشافية

كان أول من غلا في التشنيع على كتاب (النصائح الكافية) رجل من العلويين اسمه السيد حسن بن شهاب يظهر لي انه كان يحسد السيد محمد بن عقيل على ما آتاه الله من المكانة العلمية الادبية في قومهم (الحضارمة) وغير قومهم في مهاجرهم (سنغافوره) وغيرها فاراد وقد سنحت له الفرصة ان يرفع من قدر نفسه ويضع من قدر محسوده ، فألف رسالة سماها «الرقية الشافية، من نفثات سموم النصائح الكافية » وصار يكتب الى من يعرف من علماء الاقطار يستنجدهم بحماسة وشدة للرد على هذا الكتاب وقد كتب الي بامضائه وغير إمضائه في ذلك

كان من رأيي وأنا شديد الحرص على التأليف بين المسلمين شديد النفور من الخلاف والتفرق أن لا أقرأ كتاب (النصائح الكافية) حتى لا أحكم له ولا عليه فلم انجد ابن شهاب وحزبه فيما استنجدوني فيه فاتخذوني عدواً لاجل ذلك وما زال أهل الاهواء يحدثون العداوة بين المسلمين بمعاداة من لا يتبع أهواءهم ولا يعدل آراءهم

وقد رد على كتاب الرقية الشيخ أبو بكر بن شهاب المدرس بمدرسة دار العلوم بحيدر اباد الدكن وهو أشهر علماء الحضارمة في هذا العصر بكتاب سماه (وجوب الحمية عن مضار الرقية) قرأت عدة مباحث منه فظهر لي تهافت حسن بن شهاب وضعفه ، وان الجهل وحده لا يهبط بصاحبه الى مثل تلك الشتائم والدعاوى والتمويهات لولا مساعدة الحسد واتباع الهوى ، وأين السيد حسن بن شهاب من السيد محمد بن عقيل

وأين الثريا وأين الثرى   وأين معاوية من علي

نقد النصائح الكافية

يظهر لك الفرق بين من يكتب ما يمليه عليه الهوى، ومن يكتب ما يمليه عليه العلم والهدى ، اذا قابلت بين ما كتبه السيد حسن بن شهاب وما كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ، فقد كتب رسالة سماها (نقد النصائح الكافية) انتقد بها النصائح معتصما بحبوة الادب متحلياً بحلية الثناء على المؤلف والاعتراف بفضله ، وكان الامام مالك رحمه الله تعالى يقول : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر . ويشير الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

قسم القاسمي نقده الى مقدمة و١٤ مبحثاً وخاتمة أكثرها في مسائل علمية في أصول الفقه وأصول الحديث والمناظرة والاحكام التي تتعلق بموضوع الكتاب ككون التفسيق والتضليل لا يكون الا بمجمع عليه، وكون اخوة الايمان لا ترتفع بالمعاصي، ومنها ما يتعلق بمعاوية خاصة ككون الوقيعة فيه تستلزم رفض مرويه ومروي من من أقام معه من الصحب (وهذا غير مسلم على اطلاقه) وكونه بلغ رتبة الاجتهاد (وما كل مجتهد يعمل دائماً بما أداه اجتهاده الى كونه هو الحق والا لزم أن يكون كل مجتهد معصوما من المعصية عامدا عالما)

ومن مباحثه ان من عدل المؤلف اذا ذكر لاحد ما عليه أن يشفعه بماله . أي والعكس، ولا نزاع في هذا اذا أريد بالمؤلف المؤرخ والمحدث الذي يحكم بالجرح والتعديل ويريد أن يبين حال من يترجمه لمن يقرأ كتابه . وقد يكون لبعض المؤلفين غرض من ذكر ما للمرء فقط أو ما عليه فقط كتحقيق مسألة معينة أو العبرة ببعض

الخطآت والخطيئات ، أو التأسي ببعض المناقب والحسنات ، وقد جمع صديقنا الناقد أحسن ماقيل في معاوية من الحقائق ومن الشعريات ولم يذكر في مقابلتها ماعليه ، ومانكب به الاسلام والمسلمون على يديه ، فان كان غرضه من هذا البحث ان ابن عقيل قد قصر اذ ترك أحد الشقين فهذا مشترك الالزام لانه هوقد قصر أيضا بترك الشق الآخر. والصواب ان كل واحد منهما قد ذكر مايرمي الى غرضه

وجملة القول ان كل واحد من الكاتبين في هذه المسألة وغيرها يؤخذ من كلامه ويترك ، ويقبل منه ويرفض ، وليس من غرضنا تحرير المسألة بما يصل اليه اجتهادنا وانما نود لو يكون كل ناقد كالقاسمي في أدبه واخلاصه وتحريه ما يرى انه الانفع للناس ، فما فرق كلمة المسلمين الا أهل الجدل والمراء بالهوى

باب الأخبار والآراء

﴿ جماعة الدعوة والارشاد ﴾

طلع الصباح وبرح الخفاء وعلم الخاص والعام أن جماعة الدعوة والارشاد ليس لها مقصد سياسي لان الجمعيات السياسية لا تكون جهرية عمومية يقبل فيها كل من أراد أن يدخل فيها بحسب قانونها . وهذه هي الحجة التي دحضت كل شبهة حتى من نفوس الاحداث وعوام الناس الذين هم اتباع كل ناعق لا يفرقون بين معقول وغير معقول . قد يصدق الواحد من هؤلاء انه يمكن إنشاء مدرسة لانشاء دولة وهو مالا يصدقه العاقل المفكر الذي يميز بين الممكن والمحال من الامور العادية، فاذ قيل له ان هذه المدرسة ليست لشخص معين ولا لافراد معينين وإنما هي لجماعة مكونة من كل من يدفع ثلاثة جنيهات في السنة لمقصد الجمعية العلمي المجرد من السياسة وهؤلاء هم أصحاب الرأي في هذه الجماعة فلهم ان يعزلوا جميع اعضاء مجلس الادارة ويولوا غيرهم فهل تصدق أو تعقل ان يسمح اصحاب المقصد السياسي الخطير بدخول كل من شاء في عملهم وجعله من أصحاب الرأي والنفوذ فيه وان يكون له اخراجهم من

مجلس إدارته وتوسيد امر الادارة الى من شاؤا ؟ لقال من يقال له هذا القول ان هذا لا يصدق ولا يعقل ، فمن يتوهم بعد ظهور نظام جماعة الدعوة والارشاد ان لمن اسسوه غرضاً سياسياً فهو منسلخ من العقل، قد استهواه شيطان الوهم ، ولا قيمة لتوهم مثله ولا لقوله ، ولا لرضاه ولا لسخطه، ومن اظهر آيات الجهل والانحطاط أن يوجد في المخلوقين بصورة البشر من يصدق الطعن في مثل هذا العمل حتى يحتاج الى الدفاع عنه

وليس يصح في الاذهان شيء ... اذا احتاج النهار الى دليل

﴿ الاشتراك في جماعة الدعوة والارشاد ﴾

علم كل من قرأ النظام الاساسي لهذه الجماعة ان من اشترك فيها بثلاثة جنيهات فاكثر في السنة ودفعها يكون من اعضاء الهيئة العامة فيها الذين لهم حق الانتخاب والمراقبة على اعضاء مجلس الادارة . ونزيدهم علماً بأن قيمة الاشتراك يجوز أن تدفع أقساطا كما يشاء المشترك . ومن يشترك بأقل من ثلاثة جنيهات في السنة يعد عضواً من اعضاء الجمعية المعاونين ولا يكون له حقوق اعضاء الهيئة العامة

وكل من دفع للجماعة شيئاً من المال على سبيل التبرع أو على سبيل الاشتراك يعطى وصلا مطبوعا مختوما بخاتم الجماعة وخاتم رئيسها أو وكيلها (وقسائم الوصول المستعملة الان مختومة بخاتم الوكيل) ويزاد على ذلك توقيع المتسلم الذي يقبض النقود وتوجد الآن دفاتر قسائم للتبرعات وللاشتراكات بيد الوكيل (صاحب هذه المجلة) وسائر الدفاتر بيد امين الصندوق (محمود بك أنيس) وقد اذن مجلس الادارة لكل منهما بالقبض . ومتى تألفت اللجان تعطى قسائم أخرى ويعلن ذلك في الجرائد

***

﴿ جمعية الرابطة الاسلامية ﴾

كانت شبهة الشيخ عبد العزيز جاويش اذ طعن في مشروع الدعوة والارشاد في بدء السعي لتكوينه انه عمل سري لا يعرف أعضاؤه ولا قانونه . وقد راجت هذه الشبهة في سوق من لا يميزون بين الشبهة والحجة ولا بين البرهان والسفسطة، الى أن ظهر قانون الجماعة وعرف أعضاؤها، ثم علمنا ان للشيخ عبد العزيز جاويش جمعية اسمها جمعية الرابطة الاسلامية ينشر دعوتها في تلاميذ المدارس المصرية ويجبي نقودها منهم في كل شهر ولا يعرف لها قانون ولا أعضاء ولا أمين صندوق، فما هو مقصدها وأين تذهب الاموال التي تجبى لها ؟ وكيف يكلف أولئك التلاميذ بذل أموالهم وهم لا يعلمون أين تذهب تلك الاموال ولا على أي

شيء تنفق؟ ومن أعطى منهم مافرض عليه في كل شهر لايعطى وصولا موقعاً باسم أحد ولا بختمه وانما يعطى ورقة صغيرة كبطاقة الثوب عليها خاتم الجمعية، فاذا كان هذا المال يجبى لغرض صحيح شرعي فلماذا يستخفي مؤسس الجمعية به (ان كان هنالك جمعية) ولماذا جعل موردها خاصاً بالولدان الذين يسهل أن يقادوا الى حيث لايعلمون، دون الرجال الذين يبحثون ويحاسبون، ولماذا يجعل نفسه غير مسئول عما يأخذه من المال بعدم إمضاء الاوراق والبطائق على الاقل؟؟ فعسى ان تكشف للجمهور هذه الغوامض

﴿ الماسون في جمعية الاتحاد ومجلة دين ومعيشت ﴾

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة ان زعماء جمعية الاتحاد والترقي المشهورين من الماسون وان الماسونية قد راجت بسعيهم وانهم أسسوا لها شرقا عثمانيا رئيسه طلعت بك الذي كان ناظر الداخلية وهو الآن رئيس فرقة الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثين وتمنينا لو يكون تصرف طلعت بك في الماسونية أحسن من تصرفه السيء في نظارة الداخلية وأشرنا عن بعد الى مافي رواج الماسونية في رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ولم نشأ ان نشرح ذلك لئلا يلصق الناس عمل طلعت بك وأوليائه من زعماء جمعيته بالدولة العلية بسوء فهم أوسوء نية لما لهم من النفوذ في الحكومة الحاضرة

وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشت) الروسية ما كتبناه وزادت عليه بسوء النية أو سوء الفهم (الله أعلم) ان أركان الدولة والقائمين بأعمالها «جميعاً من الخفير الى السلطان» ماسونيون وجعلت الماسونية في رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية، وأظهرت الريب في خبرنا وتكهنت في استنباط الباعث عليه وذكرت احتمال أن يكون غليان الدم العربي والعصبية الجاهلية ثم ذكرت مايرد هذه التهمة التي لاموجب لذكرها مع حسن النية بقولها «انها مخالفة لمسلكه وخطته وهو الجامعة الاسلامية»، ثم قالت ماترجمته

«فان كان في أعضاء الاتحاد والترقي وعلى الأخص طلعت بك حمية اسلامية فليردوا وليكذبوا أقوال المنار وان سكتوا يكون المنار صادقا بالطبع»

(المنار) إننا نبادل مجلة دين ومعيشت وان كنا لانقرأها ولا نعرف لغتها لما في المبادلة بين أرباب الصحف من الفوائد والصلة المعنوية باستمداد بعضهم من بعض كما نبادل الجرائد الهندية لاجل ذلك

وقد ذكر لنا بعض أصحابنا وتلاميذنا الروسيين بعض تهافت هذه المجلة في

المسائل الدينية والرد على المنار في بعضها وان غايتها تعويق اخواننا مسلمي التتار عن الترقي المدني والديني ولم نكن نرى ان هذه المجلة مما يعنى بالرد عليها لان وجود مثلها في هذا العصر مما تقتضيه طبيعة الاجتماع، وصدها المسلمين عن الترقي ومحاولتها ابقاءهم على الجمود وحبسهم في مضيق أوهام بعض المؤلفين في القرون المتوسطة والاخيرة المظلمة لايخلو من فائدة لان من طباع البشر أن ينقسموا في كل أمر عام يدخلون فيه الى ثلاثة أقسام قسم يغلو في طلب الانسلاخ من القديم والايغال في الجديد وهم أهل الافراط وقسم يغلو في مقاومة كل جديد والمحافظة على كل قديم وهم أهل التفريط، وقسم يسددون ويقاربون فيهدون الى ترك الضار من القديم واقتباس النافع من الجديد بالتدريج وهم الامة الوسط، ومجلة دين ومعيشت لسان حال أهل التفريط في مسلمي روسية وفائدتها مقاومة أهل الافراط ليكون كل منهما ممهداً لاهل العدل والاعتدال فيما يدعون اليه من الامر الوسط الذي هو خير الامور

كنا نظن ان أصحاب هذه المجلة يكتبون ما يكتبون من خطأ وصواب بحسن النية ولكن لم يظهر لنا شيء من حسن النية في خوضهم بذكر مسألة العصبية الجاهلية وهم يعلمون انهم لايقدرون أن يجمعوا من كل ماعرفوه من الكتب والصحف في إنكار هذه العصبية والتشنيع على أهلها مقدار ما يوجد في مجلد واحد من مجلدات المنار الاربعة عشر، ولا في إيهامهم قراء مجلتهم انا قلنا ان رجال الدولة كلهم من الماسون من السلطان الى الخفير (سبحانك هذا بهتان عظيم) وانما عزونا ذلك الى بعض زعماء الجمعية ونعني بهم طلعت بك ورحمي بك وناظم بك وجاويد بك وجاهد بك واضرابهم

ما أجهل أصحاب هذه المجلة باحوال الاستانة وتلك الجمعية اذ اقترحوا على طلعت بك تكذيب المنار، قد يسهل على طلعت بك ان يكذب الصحف فيما هي صادقة فيه من الامور التي لايعرفها كل أحد في العاصمة كما كذب وقوع الشقاق في حزب الاتحاد والترقي أخيراً ثم عرف عالم المدنية كله ان ذلك حق لاريب فيه، ولكن لا يسهل عليه أن يكذب خبر المنار في مسألة الماسونية لانه أشهر من نار على علم ولان طلعت لايرى رأي أصحاب تلك المجلة في وجوب البراءة من الماسونية

قالوا اذا لم يكذب طلعت بك أو جمعيته المنار في هذا الخبر تعين أن يكون صادقا فهاهم أولاء لم يكذبوه، بل قد صدقه طلاب الاصلاح منهم المقاومون لاولئك الزعماء فقرروا إبطال المحافل الماسونية من العاصمة فما يقول أصحاب (دين ومعيشت) بعد هذا؟ ألا فليعلم أصحاب هذه المجلة ان صاحب المنار مسلم قد ربى نفسه على الصدق حتى كان في

أيام طاب العلم يقول لاشد اخوانه صحبة له اذا حفظت على كذبة واحدة في جد أو هزل فلك حكمك في (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً) ولا يكونوا ممن قيل فيه

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

﴿ دار السلطنة ﴾

يحسب الناس للفتن الداخلية في دار السلطنة حساباً ويظنون ان زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذين غلبوا على زعامتهم بفوز المصلحين بمطالبهم العشرة لا بد ان يجمعوا كيدهم ويكروا على المخالفين لهم كرة شديدة بدعوة حماية الدستور مما يسمونه الارتجاع . أما نحن فنرجو ان تكون هذه العاصمة آمن ما كانت من الفتن الداخلية وابعد عن المخاوف الاستبدادية والارتجاعية ، ذلك بأن زعماء جمعية الاتحاد والترقي المغلوبين على زعامتهم ومقاصدهم أولو ذكاء وفهم واستفادوا بمصارعة الحوادث وتكرار التجارب خبرة وعبرة فلا بد ان يكونوا قد عرفوا خطأهم كله أو بعضه ، واقله ان يكونوا قد اعتقدوا ان دولة عريقة في الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية ، لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية ، وان العناصر العثمانية لا يمكن إدغامها في العنصر التركي ، وانما الممكن هو ائتلافها معه باقامة الدستور ، فان لم يكونوا قد علموا هذين الامرين فهم يعلمون ان اخوانهم الذين قاموا بأمر الاصلاح في حزب الجمعية وأنصارهم والموافقين لرأيهم من الضباط وغيرهم لا يمكن اتهامهم بمقاومة الدستور ، اذا وكل الامر الى جاهد بك فهو لا يخجل من اتهام صادق بك أبي الدستور ومثل طاهر بك المبعوث بالارتجاع وقد علم القراء ان صادق بك أبو الدستور وليعلموا أيضاً ان طاهر بك هذا هو صاحب العدد الاول (برنجي نومرو) في جمعية الاتحاد والترقي، ولكن رحمي بك ذا الروية والادب العالي والدكتور ناظم بك ذا الدهاء والتدبير الدقيق وطلعت بك وجاويد بك صاحبي الذكاء والفطنة — هؤلاء الرؤساء العاملون لا يقدمون على ما يقدم عليه مثل جاهد بك ولا نظن فيهم انهم يرضون بتعريض الدولة للخطر لاجل استعادة زعامتهم والاصرار على مقاصدهم ، فالعاصمة في أمان ، والدستور على أحسن ما كان إن شاء الله تعالى

(تصحيح غلط) في س ١٣ ص ١١٧ « خمسة » وهو خطأ صوابه « اربعة » وفي س ١٤ منها « الستة » وصوابه « الخمسة » فليصحح بالقلم

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — الاحد ٢٩ جمادي الاولى ١٣٢٩ — ٢٨ مايو (أيار) سنة ١٢٨٩هـ ١٩١١م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٧٣ : ٧٦) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً (٧٤ : ٧٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَٰنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥ : ٧٨) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ

كَفَرُوا يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّـٰغُوتِ، فَقَـٰتِلُوٓا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَـٰنِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا

امر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من أعداء الدعوة الاسلامية وأهلها بالاستعداد التام للحرب، وبالنفر وكيفية تعبئة الجيش وسوقه، وذكر حال المبطئين عن القتال، وكونها لا تتفق مع ما يجب ان يكون عليه أهل الايمان، ثم أمر بالقتال المشروع برغب فيه المؤمنين الذين يؤثرون ما عند الله تعالى في دار الجزاء على الكسب والغنيمة وعلى الفخر بالقوة والغلب فقال

﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ قال الاستاذ الامام: بين الله تعالى حال ضعفاء الايمان الذين يبطئون عن القتال في سبيله ثم دلهم بهذه الآية على طريق تطهير نفوسهم من ذلك الذنب العظيم ذنب القعود عن القتال ولو عملوا كل صالح وضعفت نفوسهم عن القتال لما كان ذلك مكفرا لخطيئتهم، وسبيل الله الدفاع عن الحق والانتصار له فمنه إعلاء كلمة الله ونشر دعوة الاسلام ومنه دفاع الاعداء اذا هددوا أمتنا، او أغاروا على أرضنا، أو نهبوا أموالنا، أو صادرونا في تجارتنا، وصدونا عن استعمال حقوقنا مع الناس فسبيل الله تأييد الحق الذي قرره ويدخل فيه كل ما ذكرناه. ويشرون بمعنى يبيعون قولا واحدا بلا احتمال، واستعمال القرآن فيه مطرد ففي سورة يوسف (وشروه بثمن بخس) أي باعوه وقال تعالى (ولبئسما شروا به أنفسهم) أي باعوها وقال (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) اي يبيعها، والباء في صيغة البيع تدخل على الثمن دائما، فالمعنى ان من أراد ان يبيع الحياة الدنيا ويبذلها ويجعل الآخرة ثمنا لها وبدلا عنها فليقاتل في سبيل الله

أقول ان المفسرين ذكروا في (يشرون) وجهين أحدهما انه بمعنى البيع كما اختار الاستاذ الامام والثاني أنه بمعنى الابتياع الذي يطلق عليه في عرفنا الان الشراء. وقد قال المفسرون ان شرى يشري يستعمل بمعنى باع وبمعنى ابتاع

وان اللفظ في الآية يحتمل المعنيين فان أريد به البيع فهو للمؤمنين الصادقين الكاملين وان اريد به الابتياع فهو لاولئك المبطئين ليتوبوا وذهب الراغب الى ان الشراء والبيع انما يكون بمعنى واحد اذا كان عبارة عن استبدال سلعة بسلعة واما اذا كان استبدال سلعة بدارهم فلا. والقرآن استعمل لفظ شرى يشري بمعنى باع يبيع، واشترى يشتري بمعنى ابتاع يبتاع، فهذا هو الصحيح أو الفصيح وان ورد عن أهل اللغة «شريت بردا» بمعنى اشتريته في الشعر بدون ذكر الثمن وقد يذكر الثمن أو البدل وقد يسكت عنه وهو ما تدخل عليه الباء دائما سواء استعمل الشراء والبيع في الحسيات أو المعنويات.

﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ أي ومتى كان القتال في سبيل الله لا لأجل الحمية والحظوظ الدنيوية فكل من قتل بظفر عدوه به ففاته الانتفاع بالقتال في الدنيا فان الله تعالى يعطيه في الآخرة أجرا عظيما بدلا مما فاته. وهو اذا ظفر وغلب عدوه لا يفوته ذلك الاجر لانه انما ناله بكون قتاله في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل والخير لا في سبيل الهوى والطمع

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ﴾ التفات الى الخطاب لزيادة الحث على القتال الذي لا بد منه لكونه في سبيل الحق أي وماذا ثبت لكم من الاعذار في حال ترك القتال حتى تتركوه؟ أي لا عذر لكم ولا مانع يمنعكم ان تقاتلوا في سبيل الله، لاقامه التوحيد مقام الشرك، وإحلال الخير محل الشر، ووضع العدل والرحمة، في موضع الظلم والقسوة ﴿ والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ أي وفي سبيل المستضعفين، أو وأخص من سبيل الله انقاذ المستضعفين، من ظلم الاقوياء الجبارين، وهم إخوانكم في الدين، وقد استذلهم أهل مكة ونالوا منهم بالعذاب والقهر، ومنعوهم من الهجرة، ليفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، قال الاستاذ الامام الخطاب لضعفاء الايمان من المسلمين، لا للمنافقين، والمستضعفون هم المؤمنون المحصورون في مكة يضطهدهم المشركون ويظلمونهم وقد جعل لهم سبيلا خاصا عطفه على سبيل الله مع أنه داخل فيه كما علم من تفسيرنا له، والنكتة فيه

إثارة النخوة ، وهز الاريحية الطبيعية ، وايقاظ شعور الأنفة والرحمة ، ولذلك مثل حالهم ، بما يدعو الى نصرتهم ، فقال ﴿ الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ أقول بين أنهم فقدوا من قومهم لأجل دينهم كل عون ونصير ، وحرموا كل مغيث وظهير ، فهم لتقطع اسباب الرجاء بهم، يستغيثون ربهم، ويدعونه ليفرج كربهم، ويخرجهم من تلك القرية وهي وطنهم ، لظلم أهلها لهم، ويسخر لهم بعنايته الخاصة من أمرهم، وينصرهم على من ظلمهم ، ليهاجروا اليكم ، ويتصلوا بكم ، فان رابطة الايمان ، أقوى من روابط الانساب والاوطان ، (وان جهل ذلك في هذا الزمان من لاحظ لهم من الاسلام) فليكن كل منكم وليالهم ونصيرا، وقدبينا بعض ما كان عليه مشركو مكة من ظلم المسلمين وتعذيبهم ، ليردوهم عن دينهم ، في تفسير (والفتنة أشد من القتل) من سورة البقرة حتى كان ذلك سبب الهجرة وما كل أحد قدر على الهجرة فالنبي (ص) وصاحبه (رض) هاجرا ليلا ولو ظفروا بهما لقتلوهما ان استطاعوا وكانوا يصدون سائر المسلمين عن الهجرة ، و يعذبون مريدها عذابا نكرا ، وما كان سبب شرع القتال الاعدم حرية الدين ، وظلم المشركين للمسلمين ، ومع هذا كله ، وما افاضت به الآيات من بيانه ، يقول الجاهلون والمتجاهلون ، ان الاسلام نشر بالسيف والقوة ، فاين كانت القوة من أولئك المستضعفين ؟

القتال في نفسه أمر قبيح ولا يجيز العقل السليم ارتكاب القبيح الا لإزالة شر أقبح منه ، والامور بمقاصدها وغاياتها ، ولذلك بين القرآن في عدة مواضع حكمة القتال وكونه للضرورة وازالة المفسدة، وادالة المصلحة ، ولم يكتف هنا ببيان مافي هذه الآية من كون القتال المأمور به مقيدا بكونه في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل ، وانقاذ المستضعفين المظلومين من الظلم ، حتى أكده باعادة ذكره ، مع مقابلته بضده ، وهو مايقاتل الكفار لاجله ، فقال

﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾
تقدم ان الطاغوت من المبالغة في الطغيان وهو مجاوزة حدود الحق والعدل والخير،

لى الباطل والظلم والشر ، فلو ترك المؤمنون القتال والكافرون لايتركونه لغلب الطاغوت وعم ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » فغلبت الوثنية المفسدة للعقول والاخلاق ، وعم الظلم بعموم الاستبداد ، ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ فأنتم أيها المؤمنون أولياء الرحمن ، ﴿ ان كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ لانه يزين لاصحابه الباطل والظلم والشر، واهلاك الحرث والنسل ، فيوهمهم بوسوسته أنها خير لهم، وفيهاعزهم وشرفهم، وهذا هو الكيد والخداع. ومن سنن الله في تعارض الحق والباطل ، ان الحق يعلو والباطل يسفل ، وفي مصارعة المصالح والمفاسد بقاء الاصلح ، ورجحان الامثل ، فالذين يقاتلون في سبيل الله يطلبون شيئا ثابتا صالحا تقتضيه طبيعة العمران فسنن الوجود مؤيدة لهم ، والذين يقاتلون في سبيل الشيطان يطلبون الانتقام ، والاستعلاء في الارض بغير حق، وتسخير الناس لشهواتهم ولذاتهم وهي أمور تأباها فطرة البشر السليمة ، وسنن العمران القويمة ، فلا قوة ولا بقاء لها ، الا بتركها وشأنها ، وإرخاء العنان لاهلها ، وانما بقاء الباطل في نومة الحق عنه ، وثم معنى آخر، قال الاستاذ الامام : هذه الآية جواب عما عساه يطوف بخواطر أولئك الضعفاء ، وهو اننا لانقاتل لاننا ضعفاء والاعداء أكثر منا عددا ، وأقوى منا عددا ، فدلهم الله تعالى على قوة المؤمنين التي لاتعادلها قوة ، وضعف الاعداء الذي لايفيد معه كيد ولا حيلة ، وهو ان المؤمنين يقاتلون في سبيل الله وهو تأييد الحق الذي يوقن به صاحبه وصاحب اليقين والمقاصد الصحيحة الفاضلة تتوجه نفسه بكل قواها الى اتمام الاستعداد، ويكون أجدر بالصبر والثبات ، وفي ذلك من القوة ماليس في كثرة العدد والعدد

أقول وفي هذه الآيات من العبرة ان القتال الديني أشرف من القتال المدني لان القتال الديني في حكم الاسلام يقصد به الحق والعدل وحرية الدين وهي المراد بقوله تعالى « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » أي حتى لا يفتن أحد عن دينه ويكره على تركه « لا إكراه في الدين » وقال في وصف من اذن لهم بالقتال بعد ما بين إلجاء الضرورة اليه « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا

بالمعروف ونهوا عن المنكر » وتقدم شرح ذلك مرارا . وأما القتال المدني فانما يقصد به الملك والعظمة ، وتحكم الغالب القوي في المغلوب الضعيف ، وانما يذم أهل المدنية الحرب الدينية لانهم أولو قوة وأولو بأس شديد في الحروب المدنية ، ولهم طمع في بلاد ليس لها مثلها تلك القوة ، وانما لها بقية من قوة العقيدة ، فهم يريدون القضاء على هذه البقية

ومنها ان آيات القتال في السور المتعددة تدل اذا عرضت عليها أعمال المسلمين على ان الحرب التي يوجبها الدين و يشترط لها الشروط ويحدد لها الحدود ، قد تركها المسلمون من قرون طويلة ولو وجدت في الارض حكومة إسلامية تقيم القرآن وتحوط الدين وأهله بما أوجبه من إعداد كل مايستطاع من قوة واستعداد للحرب حتى تكون أقوى دولة حربية ثم انها مع ذلك تتجنب الاعتداء فلا تبدأ غيرها بقتال بمحض الظلم والعدوان ، وتقف عند تلك الحدود العادلة في الهجوم والدفاع ، لو وجدت هذه الحكومة لاتخذها أهل المدنية الصحيحة قدوة صالحة لهم ، ولقد صار بعض الامم التي لاتدين بالقرآن أقرب الى أحكامه في ذلك ممن يدعون اتباعه ، وانما الغلبة والعزة لمن يكون أقرب الى القرآن بالفعل ، على من يكون ابعد عنه وان انتسب اليه بالقول ،

ومن مباحث اللفظ في الآية الثانية تذكير صفة اللفظ المؤنث في قوله «القرية الظالم أهلها » تذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا أجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ماعمل فيه ، فالظالم أهلها هنا كقولك التي يظلم أهلها

(٧٦ : ٧٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ، وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ، قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ،

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ . وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧ : ٨٠) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ، قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨ : ٨١) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ، وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا

أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي (ص) فقالوا يانبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة . فقال « أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم » فلما حوله الله الى المدينة أمرهم بالقتال فكفوا ، فانزل الله « ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم »الآية ذكره السيوطي في لباب النقول . ورواه ابن جرير في تفسيره وعنده روايات أخرى أنها في اناس من الصحابة على الابهام

قال الاستاذ الامام : إنني اجزم ببطلان هذه الرواية مهما كان سندها لانني ابرئ السابقين الاولين كسعد وعبد الرحمن مما رموا به ، وهذه الآية متصلة بما قبلها فان الله تعالى امر بأخذ الحذر والاستعداد للقتال والنفر له وذكر حال المبطئين لضعف قلوبهم وأمرهم بما أمرهم من القتال في سبيله وانقاذ المستضعفين ، ثم ذكر بعد ذلك شأنا آخر من شؤونهم وذلك ان المسلمين كانوا قبل الاسلام في تخاصم وتلاحم وحروب مستحرة مستمرة ولاسيما الاوس والخزرج فان الحروب بينهم لم تنقطع الا بالاسلام و بعد هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم .امرهم الاسلام بالسلم وتهذيب النفوس بالعبادة والكف عن الاعداء والقتال الى أن اشتدت الحاجة اليه ففرضه عليهم فكرهه الضعفاء منهم ، قال تعالى ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ الاستفهام للتعجب منهم اذ امرهم الله تعالى باحترام

الدماء ، وكف الايدي عن الاعتداء ، وباقامة الصلاة ، و بالخشوع والعبودية لله، وتمكين الايمان في قلوبهم ، وبإيتاء الزكاة التي تفيد مع تمكين الايمان شد أواخي التراحم بينهم، فأحبوا أن يكتب الله عليهم القتال ليجروا على ما تعودوا ، فلما كتبه عليهم للدفاع عن بيضتهم، وحماية حقيقتهم، كرهه الضعفاء منهم، وكان عليهم ن يفقهوا من الامر بكف الايدي أن الله تعالى لا يحب سفك الدماء ، وانه ما كتب القتال الا لضرورة دفاع المبطلين المغيرين على الحق وأهله لانهم خالفوا أباطيلهم ، واتبعوا الحق من ربهم، فيريدون ان ينكلوا بهم، أو يرجعوا عن حقهم ، فاين محل الاستنكار ، في مثل هذه الحال ؟ وهؤلاء هم ضعفاء المسلمين الذين ذكر انهم يبطئون عن القتال ولذلك قال ﴿ اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية ﴾ و« أو » هنا بمعنى « بل » أي إنهم يخشون الناس بالقعود عن قتالهم على ما فيه من مخالفة أمر الله تعالى ، ولما كان من شأن الذي يساوي بين اثنين في الخشية أن يميل الى هذا تارة والى الآخرة تارة ، وكان هؤلاء قد رجحوا بترك القتال خشية الناس مطلقا قال « أو اشد خشية » أي بل أشد خشية

أقول استنكر الاستاذ نزول الآية في كبار الصحابة المشهود لهم بالجنة وما استحقوها الا بقوة الايمان ، والعمل والاذعان ، وجعلها في المبطئين على الوجه الذي اختاره فيهم وهو أنهم ضعاف الايمان والوجه الآخر أنهم المنافقون كما تقدم ، فكيف تصدق رواية تجعل عبد الرحمن بن عوف منهم ؟؟

وقد روى ابن جرير عن ابي نجيح عن مجاهد انها نزلت هي وآيات بعدها في اليهود ، وروي عن ابن عباس في ذلك انه قال في قوله تعالى « وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال » : نهى الله تبارك وتعالى هذه الامة ان يصنعوا صنيعهم اه أي ان يكونوا مثل اليهود في ذلك واذا صح هذا فالمراد به ـ والله أعلم ـ الاعتبار بما جاء في سورة البقرة من قوله (٢:٢٤٦ ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل ـ الى قوله ـ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم)

والظاهر ان الآية في جماعة المسلمين وفيهم المنافقون والضعفاء ، ولاشك أن

الاسلام كلفهم مخالفة عادتهم في الغزو والقتال لاجل الثأر ، ولاجل الحمية والكسب ، وأمرهم بكف أيديهم عن الاعتداء ، وأمرهم بالصلاة والزكاة ، وناهيك بما فيهما من الرحمة والعطف ، حتى خمدت من نفوس أكثرهم تلك الحمية الجاهلية ، وحل محلها أشرف العواطف الانسانية ، وكان منهم من يتمنى لو يفرض عليهم القتال ، ولا يبعد أن يكون عبد الرحمن بن عوف و بعض السابقين رأوا تركه ذلا وطلبوا الاذن به ، ولا يلزم من ذلك ن يكونوا هم الذين أنكروه بعد ذلك خشية من الناس بل ذلك فريق آخر من غير الصادقين ، على أنه لما فرض عليهم القتال لما تقدم ذكره من الحكم والاسباب كان كرها لجمهور المسلمين كما سبق بيان ذلك في تفسير (٢:٢١٦ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) ولكن أهل العزم واليقين أطاعوا و باعوا أنفسهم لله عز وجل فكان الفرق بين قتالهم في الجاهلية وقتالهم في الاسلام عظيما ، وأما المنافقون ومرضى القلوب فكانوا قد أنسوا وسكنوا الى ما جاء به الاسلام من ترك القتال وكف الايدي فنال منهم الجبن وأحبوا الحياة الدنيا وكرهوا الموت لاجلها وليس هذا من شأن الايمان الراسخ ، فظهر عليهم أثر الخشية والخوف من الاعداء حتى رجحوه على الخشية من الله عز وجل وسهل عليهم مخالفته بالقعود عن القتال وهو يقول (٣:١٧٥ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) واستنكروا فرض القتال وأحبوا لو تأخر الى أجل ﴿ وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ﴾ أي هلا أخرتنا الى أن نموت حتف أنوفنا بأجلنا القريب ، هكذا فسره ابن جريج ، وقال غيره المراد بالاجل القريب الزمن الذي يقوون فيه و يستعدون للقتال بمثل ما عند أعدائهم ، ويحتمل أن لا يكونوا قصدوا اجلا معينا معلوما . وانما ذكروا ذلك لمحض الهرب والتفصي من القتال كما تقول لمن يرهقك عسرا في أمر : أمهلني قليلا ، أنظرني الى أجل قريب ، وقد أمر الله نبيه (ص) ان يرد عليهم بقوله

﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ أي ان علة استنكاركم للقتال وطلبكم الإنظار فيه انما هي خشية الموت والرغبة في متاع الدنيا ولذاتها وكل ما يتمتع به في الدنيا فهو قليل

بالنسبة الى متاع الآخرة لانه محدود وفان ﴿ والآخرة خير لمن اتقى ﴾ لان متاعها كثير وباق لانفاد له ولا زوال ، وانما يناله من اتقى الاسباب التي تدنس النفس بالشرك وبالاخلاق الذميمة كالجبن والقعود عن نصر الحق على الباطل ، والخير على الشر ، واذا كانت الآخرة خيرا للمتقين ، فهي شر ووبال على المجرمين ، فحاسبوا انفسكم ، واعلموا انكم مجزيون هنالك على أعمالكم ﴿ ولا تظلمون فتيلا ﴾ أي ولا تنقصون من الجزاء الذي تستحقونه بأثر أعمالكم في انفسكم مقدار فتيل ، وهو ما يكون في شق نواة التمرة مثل الخيط او ما يفتل بالاصابع من الوسخ على الجلد او من الخيوط، يضرب هذا مثلا في القلة والحقارة . وقيل لاتنقصون ادنى شيء من آجالكم ، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي « يظلمون » على الغيبة لتقدمها والباقون « تظلمون » بالخطاب . ثم جاء بما يذهب بأعذارهم ، وينفخ روح الشجاعة والاقدام في المستعدين منهم ، فقال

﴿ اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ أي ان الموت حتم لا مفر منه ولا مهرب فهو لا بد أن يدرككم في أي مكان كنتم ولو تحصنتم منه في البروج المشيدة ، وهي القصور العالية التي يسكنها الملوك والامراء فيعز الارتقاء اليها بدون إذنهم ، اوالحصون المنيعة التي تعتصم فيها حامية الجند . شيد البناء يشيده علاه وأحكم بناءه ، وأصله ان يبنيه بالشيد وهو بالكسر كل ما يطلى به الحائط كالجص والبلاط ، يقال شاد البناء اذا جصصه ، قال في اللسان : وكل ما أحكم من البناء فقد شيد وتشييد البناء إحكامه ورفعه . أي لان في التفعيل معنى من المبالغة والكثرة في الشيء ، واجاز الراغب ان يكون المراد بالبروج بروج النجم ويكون استعمال لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة وتكون الاشارة بالمعنى الى نحو ما قال زهير

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ... ولو نال اسباب السماء بسلم

واذا كان الموت لا مفر منه ولا عاصم ، وكان المرء يخوض المعامع فيصاب ولا يموت ، وغيره يخاطر بنفسه فيها مرارا فلا يصاب بجرح ولا يقتل ، ثم يموت المعتصم

في البروج والحصون ، واذا كان الاقدام على القتال هو أقوى اسباب النجاة من القتل لان الجبناء يغرون أعداءهم بأنفسهم لعدم دفاعهم عنها ، واذا كان الاستعداد للقتال والاقدام فيه لاجل الدفاع عن الحق وحماية الحقيقة ومنع الباطل أن يسود والشر أن يفشو موجبا لمرضاة الله ولسعادة الآخرة ، فما هو عذركم أيها القاعدون المبطئون؟

وطعم الموت في امر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

فلماذا تختارون لانفسكم الحقير على العظيم ، وهذا ليس من شأن العقلاء ولا من شأن المؤمنين ؟

كان من مرض قلوب هؤلاء ان كرهوا القتال وجبنوا عنه وخافوا الناس وتمنوا بذلك طول البقاء ، فكان هذا صدعا في دينهم وعقولهم قامت به عليهم الحجة . ثم ذكر شأنا آخر من شؤونهم يشبهه في الدلالة على مرض القلب والعقل فقال

﴿ وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ﴾ الحسنة ما يحسن عند صاحبه كالرخاء والخصب والظفر والغنيمة ، كانوا يضيفون الحسنة الى الله تعالى لا بشعور التوحيد الخالص بل غرورا بأنفسهم ، وزعما منهم ان الله أكرمهم بها عناية بهم ، وهروبا من الإقرار بأن شيئا من ذلك أثر ما جاءهم به الرسول من الهداية ، وما حاطهم به من التربية والرعاية ، ولذلك كانوا ينسبون اليه السيئة وهو صلى الله عليه وسلم بريء من اسبابها ، دع ايجادها وإيقاعها ، وذلك قولهم ﴿ وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ﴾ والسيئة ما يسوء صاحبه كالشدة والبأساء والضراء والهزيمة والجرح والقتل ، كان المنافقون والكفار من اليهود وغيرهم اذا اصاب الناس في المدينة سيئة بعد الهجرة يقولون هذا من شؤم محمد ﴿ قل كل من عند الله ﴾ قل أيها الرسول ان كلا من الحسنة والسيئة من عند الله لوقوعها في ملكه على حسب سنته في نظام الاسباب والمسببات ﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ أي فما بال هؤلاء القوم وماذا أصاب عقولهم حال كونها بمعزل عن الغوص في أعماق الحديث وفهم مقاصده واسراره فهم لا يعقلون حقيقة حديث يلقونه ولا حقيقة حديث يلقى اليهم قط وانما يأخذون بما يطفو من المعنى على ظاهر اللفظ بادي الرأي ،

والفقه معرفة مراد صاحب الحديث من قوله وحكمته فيه من العلة الباعثة عليه والغائية له . واذا كانوا قد فقدوا هذا الفقه وحرموه من كل حديث، فأجدر بهم ان يحرموه من حديث يبلغه الرسول عن وحي ربه في حقيقة التوحيد ونظام الاجتماع وسنن الله في الاسباب والمسببات ، فهذه المعارف العالية لا تنال الا بفضل الروية وذكاء العقل وطول التدبر ، ومن نالها لايقول بأن سيئة تقع بشؤم أحد ، وانما يسند كل شيء الى السبب ، أو الى واضع الاسباب والسنن ، ولكل مقام مقال .

وفيه أنه يجب على العاقل الرشيد ان يطلب فقه القول دون الظواهر الحرفية فمن اعتاد الاخذ بما يطفو من هذه الظواهر دون ما رسب في أعماق الكلام وما تغلغل في أنحائه وأحنائه يبقى جاهلا غبيا طول عمره

بعد أن بين حقيقة الامر في السيئات والحسنات بالنسبة الى موضوعها وسنن الاجتماع فيها وانها كلها تضاف بهذا الاعتبار الى الله عز وجل أراد ان يبين حقيقة الامر فيها من وجه آخر فقال

﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ قيل ان الخطاب هنا لكل من يتوجه اليه من المكلفين ، وقيل للنبي (ص) والمراد به كل من أرسل اليهم ، والمعنى مهما يصبك من حسنة فهي من محض فضل الله الذي سخر لك المنافع التي تحسن عندك لا باستحقاق سبق لك عنده والا فبماذا استحققت ان يسخر لك الهواء النقي الذي يطهر دمك ويحفظ حياتك ، والماء العذب الذي يمد حياتك وحياة كل الاحياء التي تنتفع بها ، وهذه الازواج الكثيرة من نبات الارض وحيواناتها ، وغير ذلك من مواد الغذاء ، وأسباب الراحة والهناء ، ومهما يصبك من سيئة فمن نفسك فانك أوتيت قدرة على العمل واختيارا في تقدير الباعث الفطري عليه من درء المضار وجلب المنافع فصرت تعمل باجتهادك في ترجيح بعض الاسباب والمقاصد على بعض فتخطئ فتقع فيما يسوءك ، فلا أنت تسير على سنن الفطرة وتتحرى جادتها ، ولا أنت تحيط علما بالسنن والاسباب وضبط الهوى والارادة في اختيار الحسن منها ، وانما ترجح بعضها على بعض في حين دون حين بالهوى

أو قبل المعرفة التامة بالنافع والضار منها فتقع فيما يسوءك ولولا ذلك لما عملت السيئات

وجملة القول ان هنا حقيقتين متفقتين (إحداهما) ان كل شيء من عند الله بمعنى انه خالق الاشياء التي هي مواد المنافع والمضار وانه واضع النظام والسنن لاسباب الوصول الى هذه الاشياء بسعي الانسان وكل شيء حسن بهذا الاعتبار، لأنه مظهر الإبداع والنظام ، (والثانية) ان الانسان لايقع في شيء يسوءه الا بتقصير منه في استبانة الاسباب وتعرف السنن ، فالسوء معنى يعرض للاشياء بتصرف الإنسان وباعتبار انها تسوءه وليس ذاتيا لها ولذلك يسند الى الانسان

مثال ذلك المرض فهو من الامور التي تسوء الانسان وهو انما يصيبه بتقصيره في السير على سنة الفطرة في الغذاء والعمل فيجيء من تخمة قادته اليها الشهوة ، أو من إفراط في التعب أو في الراحة ، أو من عدم اتقاء أسباب الضرر كتعريض نفسه للبرد القارس أو الحر الشديد ، وقس على ذلك غيره من أسباب الامراض التي ترجع كلها الى الجهل بالاسباب وسوء الاختيار في الترجيح . والامراض الموروثة من جناية الانسان على الانسان أيضا لا من أصل الفطرة والطبيعة التي هي من محض خلق الله دون اختيار الانسان لنفسه ، فوالداه يجنيان عليه بسوء اختيارهما لانفسهما كما يجنيان عليه بتعريضه للمرض في صغره بعدم وقايته من أسبابه ، في الوقت الذي يكون اختيارهما له قائما مقام اختياره لنفسه ،

واضرب لهم مثلا خاصا غزوة أحد أصابت المسلمين فيها سيئة كان سببها تقصيرهم في الوقوف عند أسباب الفوز والظفر بعصيان قائد عسكرهم ورسولهم (ص) وترك الرماة منهم موقعهم الذي أقامهم فيه للنضال وكان ذلك لخطإ في الاجتهاد سببه الطمع في الغنيمة كما تقدم في تفسير سورة آل عمران من الجزء الرابع

(فان قيل) ان جميع الاشياء حسنها وسيئها تسند الى الله عز وجل ويقال انها من عنده بمعنى انه هو الخالق لموادها والواضع لسنن الاسباب والمسببات فيها ، و يسند الى الانسان منها كل ما له فيه كسب وعمل اختياري سواء كان من الحسنات أو السيئات ، وقد مضى بهذا عرف الناس وأيدته نصوص الكتاب والسنة بمثل قوله تعالى (٦ : ١٦٠ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى

الامثلها وهم لا يظلمون) . فلماذا جعل هنا إصابة الحسنة من فضل الله تعالى مطلقا وإصابة السيئة من نفس الانسان مطلقا ؟

(فالجواب عن هذا) أن ما ذكر في السؤال حق وما في الآية حق ولكل مقام مقال، والمقام الذي سيقت الآية له هو بيان أمرين (أحدهما) نفي الشؤم والتطير وإبطالها ليعلم الناس ان ما يصيبهم من السيئات لا يصيبهم بشؤم أحد يكون فيهم ، وكانوا يتشاءمون ويتطيرون في الجاهلية ولا يزال التطير والتشاؤم فاشيا في الجاهلين من جميع الشعوب وهو من الخرافات التي يردها العقل وقد ابطلها دين الفطرة . قال تعالى في آل فرعون (٧ : ١٣٠ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ، ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون) فقد جعل التطير من الجهل وفقد العلم بالحقائق

(ثانيهما) انه ينبغي لمن أصابته سيئة ان يبحث عن سببها من نفسه ولا يكتفي بعدم اسنادها الى شؤم غيره ممن ليس له فيها عمل ولا كسب لان السيئة تصيب الانسان بما تقدم شرحه آنفا من تقصيره وخروجه بجهله أو هواه عن سنة الله في التماس المنفعة من ابوابها ، واتقاء المضار باتقاء اسبابها ، لان الاصل في نظام الفطرة البشرية هو ما يجده الانسان في نفسه من ترجيح الخير لها على الشر، والنفع على الضر ، وان كل قوة من قواه نافعة له اذا احسن استعمالها ، وليس في أصل الفطرة سيئة قط ، وانما يقع في الضرر بسوء الاستعمال وطلب لا ما تقتضيه الفطرة لولا جناية الانسان عليها باجتهاده ، كالافراط في اللذات والتعب تنفر منه الفطرة فيحتال الانسان عليها ويحملها ما لا تحمله بطبعها لو لا ظلمه لها كاستعماله الادوية لاثارة شهوة الطعام والوقاع وعدم وقوفه فيهما عند حد الداعية الطبيعية كأن لا يأكل الا اذا جاع من نفسه ولا يملأ بطنه من الطعام بما يحمله على ذلك من الادوية المقوية والتوابل المحرضة

لب هذه الحقيقة الثانية التي علمنا الله إياها وربانا بها هو ان سننه تعالى في فطرة الانسان ، كسننه في فطرة سائر الحيوان والنبات، « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » كلها مصادر للحسنات، ليس فيها شيء سيء بطبعه ، ولكن الانسان فضل

على غيره بما أوتي من الاستعداد للعلم، ومن الارادة والاختيار في العمل، فاذا أحكم العلم واحسن الاختيار مهتديا بسنن الفطرة وأحكام الشريعة وهي كلها من عند الله ومن محض فضله ورحمته كان غارقا في الحسنات والخيرات واذا قصر في العلم وأساء الاختيار في استعمال قواه واعضائه في غير ما يقتضيه نظام الفطرة وحاجة الطبيعة وقع في الامور التي تسوءه، فيجب عليه أن يرجع على نفسه بالمحاسبة والمعاتبة كلما أصابته سيئة ، ليعتبر بها ويزداد علما وكمالا ، فهذه الآية أصل من أصول علم الاجتماع وعلم النفس فيها شفاء للناس من أوهام الوثنية وتثبيت في مقام الانسانية

ثم قال تعالى ﴿ وارسلناك للناس رسولا ﴾ وما على الرسول الا البلاغ المبين وأما الحسنات والسيئات فهي من الله عز وجل خلقا لموادها واسبابها وتقديرا لتلك الاسباب بجعلها على قدر المسببات ، ومنها ان للانسان عملا في هذه الاسباب فان احسن واصاب كانت له الحسنة بفضل الله في ذلك وان أخطأ وأساء كانت له السيئة بخروجه عن تلك السنن وتقصيره تلك الاسباب ، وليس للرسول دخل فيما يصيب الناس من الحسنات والسيئات لانه أرسل للتبليغ والهداية لا للتصرف في نظام الكون وتحويل سنن الاجتماع أو تبديلها (ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا) فزعم أولئك الجاهلين ان السيئة تصيبهم من عنده او بسببه ، وما تخيلوا من شؤمه ، لا حجة عليه من العقل ، وهو مخالف لما بين من وظيفة الرسول في النقل ،

﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ على صحة رسالتك للناس كافة بتأييدك بآياته، وتصديقك فيما أنذرت به المعرضين ، وبشرت به المؤمنين ، أو شهيدا بأنك لم ترسل الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، لا مسيطرا عليهم ولا جبارا لهم، ولا مغيرا لنظام الاجتماع فيهم، وقيل ان المراد بالشهادة هنا الشهادة على أولئك الذين قالوا تلك الاقوال المنكرة تقدم القول بأن هذه الآيات كلها من قوله « ألم تر » الى هنا نزلت في اليهود ، والقول بأن الذي نزل فيهم هو قوله « وان تصبهم حسنة » وما بعده الى هنا . كان يقول هذا يهود المدينة بعد أن هاجر النبي (ص) اليها . وقيل انها نزلت

في المنافقين وهو يؤيد كون السياق فيهم ، وفي مرضى القلوب الذين على مقربة منهم ، لا في ضعفاء الايمان خاصة كما اختار الاستاذ الامام ، وله رحمه الله تعالى مقال في تفسير هاتين الآيتين وكان قدسئل عنهما فأجاب ونشرنا جوابه في المجلد الثالث من المنار (ص ١٥٧) ، ويحسن أن نضمه هنا فهو موضعه وهو :

« كان بعض القوم بطرا جاهلا اذا أصابه خير ونعمة يقول ان الله تعالى قد أكرمه بما أعطاه من ذلك وأصدره من لدنه وساقه اليه من خزائن فضله عناية منه به لعلوّ منزلته واذا وصل اليه شر وهو المراد من السيئة بزعم أن منبع هذا الشر هو النبي صلى الله عليه وسلم وأن شؤم وجوده هو ينبوع هذه السيئات والشرور . فهؤلاء الجاهلون الذين كانوا يرون الخير والشر والحسنة والسيئة يتناوبانهم قبل ظهور النبي وبعده كانوا يفرقون بينهما في السبب الاول لكل منهما فينسبون الخير أو الحسنة الى الله تعالى على أنه مصدرها الاول ومعطيها الحقيقي يشيرون بذلك الى أنه لايد للنبي فيه وينسبون الشر أو السيئة الى النبي على أنه مصدرها الاول ومنبعها الحقيقي كذلك وأن شؤمه هو الذى رماهم بها وهذا هو معنى « من عند الله » أو « من عندك » أي من لدنه ومن خزائن عطائه ومن لدنك ومن رزاياك التي ترمي بها الناس . فرد الله عليهم هذه المزاعم بقوله « قل كل من عند الله » أي أن السبب الاول وواضع أسباب الخير والشر المنعم بالنعم والرامي بالنقم انما هو الله وحده وليس ليمن ولا لشؤم مدخل في ذلك فهو بيان للفاعل الاول الذي يرد اليه الفعل فيما لاتتناوله قدرة البشر ولا يقع عليه كسبهم وهو الذي كان يعنيه أولئك المشاقون عند مايقولون الحسنة من الله والسيئة من محمد أي أنه لادخل لاختيارهم في الاولى ولا في الثانية وأن الاولى من عناية الله بهم والثانية من شؤم محمد عليهم فجاءت الآية ترميهم بالجهل فيما زعموا ولو عقلوا لعلموا ان ليس لاحد فيما وراء الاسباب المعروفة فعل ، الخيرُ والشرُّ في ذلك سواء

« هذا فيما يتعلق بمن بيده الامر الاعلى في الخير والشر والنعم والنقم أما مايتعلق بسنة الله في طريق كسب الخير والتوقي من الشر والتمسك بأسباب ذلك فالامر على خلاف مايزعمون كذلك فان الله سبحانه وتعالى قد وهبنا من العقل والقوى

مايكفينا في توفير أسباب سعادتنا والبعد عن مساقط الشقاء فاذا نحن استعملنا تلك المواهب فيما وهبت لاجله وصرفنا حواسنا وعقولنا في الوجوه التي ننال منها الخير وذلك انما يكون بتصحيح الفكر واخضاع جميع قوانا لاحكامه وفهم شرائع الله حق الفهم والتزام ماحدده فيها فلا ريب في أننا ننال الخير والسعادة، ونبعد عن الشقاء والتعاسة، وهذه النعم انما يكون مصدرها تلك المواهب الإلهية فهي من الله تعالى فما أصابك من حسنة فمن الله لان قواك التي كسبت بها الخير واستغزرت بها الحسنات بل واستعمالك لتلك القوى انما هو من الله لانك لم تأت بشيء سوى استعمال ماوهب الله فاتصال الحسنة بالله ظاهر ، ولا يفصلها عنه فاصل لاظاهر ولا باطن . وأما اذا أسأنا التصرف في أعمالنا وفرطنا في النظر في شؤوننا وأهملنا العقل وانصرفنا عن سر ما أودع الله في شرائعه وغفلنا عن فهمه فاتبعنا الهوى في أفعالنا وجلبنا بذلك الشر على أنفسنا كان ماأصابنا من ذلك صادرا عن سوء اختيارنا وان كان الله تعالى هو الذي يسوقه الينا جزاء على مافرطنا ، ولايجوز لنا أن ننسب ذلك الى شؤم أحد أو تصرفه . ونسبة الشر والسيئات الينا في هذه الحالة ظاهرة الصحة فأما المواهب الإلهية بطبيعتها فهي متصلة بالخير والحسنات وانما يبطل أثرها اهمالها أو سوء استعمالها ، وعن كلا الامرين يساق الشر الى أهله وهما من كسب المهملين وسيئ الاستعمال فحق أن ينسب اليهم ماأصيبوا به وهم الكاسبون لسببه فقد حالوا بكسبهم بين القوى التي غرزها الله فيهم لتؤدي الى الخير والسعادة وبين ماحقها أن تؤدي اليه من ذلك وبعدوا بها عن حكمة الله فيها وصاروا بها الى ضد ماخلقت لاجله فكل مايحدث بسبب هذا الكسب الجديد فأجدر به أن لاينسب الا الى كاسبه

« وحاصل الكلام في المقامين أنه اذا نظر الى السبب الاول الذي يعطي ويمنع ويمنح ويسلب وينعم وينتقم فذلك هو الله وحده ولايجوز أن يقال ان سواه يقدر على ذلك ومن زعم غير هذا فهو لا يكاد يفقه كلاما لان نسبة الخير الى الله ونسبة

الشر الى شخص من الاشخاص بهذا المعنى مما لا يكاد يعقل فان الذي يأتي بالخير ويقدر على سوقه هو الذي يأتي بالشر ويقدر عليه فالتفريق ضرب من الخبل في العقل

«واذا نظرنا الى الاسباب المسنونة التي دعا الله الخلق الى استعمالها ليكونوا سعداء ولا يكونوا أشقياء فمن أصابته نعمة بحسن استعماله لما وهب الله فذلك من فضل الله لانه أحسن استعماله الآلات التي منّ الله عليه بها فعليه أن يحمد الله ويشكره على ما آتاه ومن فرط أو أفرط في استعمال شيء من ذلك فلا يلومن الا نفسه فهو الذي أساء اليها بسوء استعماله ما لديه من المواهب وليس بسائغ له أن ينسب شيئا من ذلك الى النبي ولا الى غيره فان النبي أو سواه لم يغلبه على اختياره ولم يقهره على إتيان ما كان سببا في الانتقام منه

«فلو عقل هؤلاء القوم لحمدوا الله وحمدوك (يا محمد) على ما ينالون من خير فان الله هو مانحهم ما وصلوا به الى الخير وانت داعيهم لالتزام شرائع الله وفي التزامها سعادتهم . ثم اذا أصابهم شر كان عليهم أن يرجعوا باللائمة على أنفسهم لتقصيرهم في أعمالهم أو خروجهم عن حدود الله فعند ذلك يعلمون أن الله قد انتقم منهم للتقصير أو العصيان فيؤدبون أنفسهم ليخرجوا من نقمته الى نعمته لان الكل من عنده وانما ينعم على من أحسن الاختيار ويسلب نعمته عمن أساء

« وقد تضافرت الآثار على أن طاعة الله من أسباب النعم، وان عصيانه من مجالب النقم، وطاعة الله انما تكون باتباع سننه، وصرف ما وهب من الوسائل فيما وهب لأجله

«ولهذا النوع من التعبير نظائر في عرف التخاطب فانك لو كنت فقيرا واعطاك والدك مثلا رأس مال فاشتغلت بتنميته والاستفادة منه مع حسن في التصرف وقصد في الانفاق وصرت بذلك غنيا فانه يحق لك أن تقول ان غناك انما كان من ذلك الذي أعطاك رأس المال وأعدك به للغنى . أما لو أسأت التصرف فيه وأخذت تنفق منه فيما لا يرضاه واطلع على ذلك منك فاسترد ما بقي منه وحرمك نعمة التمتع به فلا ريب أن يقال ان سبب ذلك انما هو نفسك وسوء اختيارها مع أن المعطي

والمسترد في الحالين واحد وهو والدك غير أن الامر ينسب الى مصدره الاول اذا انتهى على حسب ما يريد وينسب الى السبب القريب اذا جاء على غير ما يحب لان تحويل الوسائل عن الطريق التي كان ينبغي أن تجري فيها الى مقاصدها انما ينسب الى من حولها وعدل بها عما كان يجب ان تسير اليه

«وهناك للآية معنى أدق، يشعر به ذو وجدان أرق، مما يجده الغافلون من سائر الخلق ، وهو أن ما وجدت من فرح ومسرة وما تمتعت به من لذة حسية أو عقلية فهو الخير الذي ساقه الله اليك واختاره لك وماخلقت الا لتكون سعيدا بما وهبك . أما ما تجده من حزن وكدر فهو من نفسك ، ولو نفذت ببصيرتك الى سر الحكمة فيما سيق اليك لفرحت بالمحزن فرحك بالسار وانما أنت بقصر نظرك تحب أن تختار ما لم يختره لك العليم بك المدبر لشأنك ولو نظرت الى العالم نظرة من يعرفه حق المعرفة واخذته كما هو وعلى ما هو عليه لكانت المصائب لديك بمنزلة التوابل الحرّيفة (١) يضيفها طاهيك (٢) على ما يهيء لك من طعام لتزيده حسن طعم وتشحذ منك الاشتهاء لاستيفاء اللذة واستحسنت بذلك كل ما اختاره الله لك ولا يمنعك ذلك من التزام حدوده والتعرض لنعمه والتحول عن مصاب نقمه فان اللذة التي تجدها في النقمة انما هي لذة التأديب ، ومتاع التعليم والتهذيب ، وهو متاع تجتنى فائدته ، ولا تلتزم طريقته ، فكما يسر طالب الادب أن يتحمل المشقة في تحصيله وأن يلتذ بما يلاقيه من تعب فيه ، يسره كذلك أن يرتقي فوق ذلك المقام الى مستوى يجد نفسه فيه متمتعا بما حصل ، بالغا ما أمل ، وفي هذا كفاية لمن يريد ان يكتفي » اه

(١) هي ما يطيب به الطعام كالفلفل واحدها تابل بفتح الباء وكسرها (٢) الطاهي الطباخ

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

« السموات السبع . وكون الاختلاف رحمة »

(س ٢٧ و٢٨) من م . ب . ع . في الازهر

حضرة العلامة الناصر للكتاب والسنة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر نفعني الله والمسلمين بوجوده

بعد اهداء واجبات التحية والاحترام أرجو منكم الجواب عن الاسئلة الآتية في المنار تعميما للنفع ولكم الفضل والشكر وهي .

(١) ما معنى سبع سموات طباقا في قوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) وما قولكم في قول أهل الجغرافيا : ان السموات ليست بأجرام وانما هي أهوية وفسروا السماء بمعناها اللغوي وهو « كل ما علاك فهو سماء » فهل هذا القول ينافي تلك الآية وآية (أولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) أم لا ؟ وقولهم : ان الامطار تتكون من ماء البحار . وهل يجوز لهم ولمن تبعهم اعتقاد ذلك كله اعتماداً على علمهم وخبرتهم ؟ افيدوني بما هو الحق وان سبق لكم البحث عن هذه المسألة في المنار لانها منشأ لتكفير من يجرأ به معتقد ذلك .

(٢) ما مراد قوله صلى الله عليه وسلم (اختلاف امتي رحمة) عن ابن عباس مرفوعا بلفظ (اختلاف أصحابي لكم رحمة) فهل لي أن أقول ان في أختلاف امته (ص) رحمة انما هو اختلافها قبل مجيء البينة أو لعدم وجودها أصلا وان وجدت

كان اختلافها ضررا لا رحمة وكذا يجوز الاختلاف بين المسلمين قبل مجيء البينة وان اختلفوا بعد مجيئها وتبينها كانوا آثمين تاركين لهداية القرآن لقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاء هم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) هذا واقبلوا فائق سلامي واحترامي .

(المنار) أما الجواب عن السؤال الاول فقد سبق بيانه في المنار ، ونقول فيه ما يفتح به الآن : السماء في اللغة ما كان في جهة العلو وأطلق في القرآن على السقف وعلى السحاب والمطر وعلى مجموع ما نرى فوقنا من الكواكب في فلكها وبروجها ، وسماها بناء وقال بناها ، وبنيناها ، والمعنى ترتيب أجزائها وتسويتها كما يبنى الجيش والكلام ، قال في الاساس وكل شيء صنعته فقد بنيته . وأشار أن منها القربى التي تمتع أبصارنا بزينتها ومنها البعدى التي لا نراها . وهو يذكر السماء بلفظ المفرد غالباً بالمعنى الذي ذكرناه آنفا وهو مجموع ماتراه في الافق فوقنا . وذكرها بلفظ الجمع وخصه بسبع في عدة آيات ، فالمراد بالجمع ، هذه السبع ، وعبر عنها بالطباق كما في آية سورة الملك المذكورة في السؤال ، وبالطرائق فقال في أوائل سورة المؤمنين (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) وسمى هذه الطرائق حبكا على التشبيه فقال في اوائل سورة الذاريات (والسماء ذات الحبك) وهي الطرائق المعهودة في الرمل ، فالسبع الشداد والطباق والطرائق والحبك تنبئ عن شيء واحد معروف عند العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، وقد سمى هذه السبع سموات لان كل واحدة منها تعلو المخاطبين ويصعدون اليها نظرهم من فوق ، ووصف بها السماء المفردة في آية سورة المؤمنين لان جهة العلو أو الخليقة التي في جهة العلو تشتمل عليها ، كما قال (والسماء ذات البروج) وقال (والسماء ذات الرجع) والبروج منازل الكواكب وهي بهذا المعنى أمور اعتبارية كالحبك والطرائق، والرجع المطر وهو جسم مادي . يختلف التعبير باختلاف الاعتبار ،

ذهب بعض الغافلين الذين يظنون ان الله تعالى خاطب الناس بما لا يفهمون، وأقام عليهم الحجة العقلية بما لا يعقلون ، إلى ان السماء والسموات من عالم الغيب كالجنة والنار فلا تعرف حقيقتها وانما يجب الايمان بها إذعانا لخبر الوحي ، ولو كان الامر كذلك لما ذكرت في الآيات التي يقيم الله بها حجته على عباده ليعلموا انه الخالق المتفرد بالخلق والابداع، والعلم المحيط، والحكمة البالغة، والقدرة والمشيئة، كما استدل على ذلك بالارض وما فيها، فقرن السماء بالارض وبالابل والجبال وغير ذلك من عوالم الارض

السماء اسم جنس يطلق على جهة العلو وعلى كل مافيها والقرائن هي التي تعين

المراد فاذا سمع العربي قوله تعالى في سورة الحج (من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ) فهم ان السماء هو سقف البيت لانه هو الذي يمد السبب أي الحبل اليه ويعلق ويربط به من يراد شنقه ثم يقطع .

واذا سمع قوله تعالى في سورة نوح (يرسل السماء عليكم مدرارا) فهم ان المراد بالسماء المطر ، وهذا الاستعمال كثير في كلامهم * اذا نزل السماء بارض قوم * واذا سمع قوله في سورة ابرهيم يصف الشجرة (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فهم ان السماء جهة العلو . واذا سمع قوله (أنزل من السماء ماء) فهم ان السماء هي السحاب ، لا لأن الله تعالى وضح ذلك بقوله في وصف تكون السحاب (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أي فترى المطر يخرج من اثناء هذا السحاب بتحلله منه ، بل لأن ذلك هو الذي يفهمه أهل اللغة من علم منهم بهذه الآية ومن لم يعلم .

ومن قال من الجاحدين كما حكى الله عنهم « فأمطر علينا حجارة من السماء » « فأسقط علينا كسفا من السماء » لم يكونوا يعنون بالسماء عالما غيبيا لا يعرف الا بالوحي وانما كانوا يعنون بالسماء الجوّ الذي فوقهم

ذكرت السماء في أكثر من مئة موضع في القرآن بهذه المعاني ولم يشتبه أحد من العرب في فهم شيء منها لامؤمنهم ولا كافرهم . ولم يفهموا من السموات السبع والطرائق والحبك والطباق الا الكواكب السبع السيارة ومداراتها في أفلاكها التي تشبه طرق الرمل يسلكها السفر في الموامي والبوادي ، وخصها بالذكر لكثرة رصدهم لها واهتدائهم بمشارقها ومغاربها في أسفارهم ، هذا ما كانوا يعرفونه ومايتبادر الى أفهامهم من إطلاق القول ، ولو أريد به عالم غيبي لايرى ولا يعرف الا من الوحي لما ذكر في سياق الاستدلال كما تقدم ولما قال في سورة الرعد (خلق السموات بغير عمد ترونها) وما في معناها كقوله في سورة ق (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) بل كان يذكر ذلك في سياق الايمان بالغيب والكلام عن الآخرة .

وكانوا يسمون السبعة السيارة الدراريء بالهمز وقالوا كوكب دُرّيء بالهمز فيقال بغير همز . وقيل غير المهموز نسبة الى الدر يشبهونه باللؤلؤ في حسنه وصفائه وفيه نزاع . والدريء بالهمز هو الذي يدرأ من المشرق الى المغرب وهو مضيه ومده . ويسمونها الشهب . وأما الخنس الكنس فالمشهور أنها ما عدا الشمس والقمر من

الدراري لانها هي تخنس أي تنقبض وتكنس وتختفي كاختفاء الظبي في الكناس عند طلوع الشمس . وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد . وقد اكتشف علماء الفلك في هذا العصر سيارات أخرى بما استحدثوا من مرايا المراصد المقربة للبعيد . وقال بعض الغافلين لماذا ذكر الله تعالى تلك السيارات السبع فقط وهو يعلم أنه خلق غيرها ؟ وقد علمت حكمة ذلك مما تقدم وهي إقامة الحجة على الناس بما يعرفون دون ما كانوا يجهلون ، فان المجهول لاتقوم به الحجة ، وقد يكون لأقوام فتنة وفي الحديث « ما انت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » ذكره مسلم في مقدمة صحيحه

﴿ حديث اختلاف امتي رحمة ﴾

قال الحافظ السخاوي زعم كثير من الائمة انه لا أصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً واشعر بان له أصلا عنده . ونقل تلميذه الديبع عن السيوطي أن نصر المقدسي ذكره في الحجة والبيهقي في الرسالة الاشعرية بغير سند وان الحليمي والقاضي حسينا وامام الحرمين ذكروه في كتبهم .

وقال ابن حجر الهيتمي في الدرر المنتثرة : حديث « اختلاف أمتي رحمة » الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة مرفوعا والبيهقي في المدخل عن القاسم بن محمد (من) قوله وعن عمر بن عبد العزيز قال : ما سرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة (قلت) هذا يدل على ان المراد اختلافهم في الاحكام وقيل المراد اختلافهم في الحرف والصنائع (كذا) ذكره جماعة. وفي مسند الفردوس من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « اختلاف أصحابي رحمة لكم » قال ابن سعد في طبقاته حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا أفلح بن حميد عن القاسم بن محمد قال كان اختلاف اصحاب محمد رحمة للناس انتهى

(المنار) ما عزاه السخاوي الى كثير من الائمة هو الصواب وكثيراً ما نرى المتأخرين يضعفون ويجبنون أمام ما يجدونه في كتب بعض المتقدمين مما لا يعرف له أصل فيهابون أن يردوه عملا بالاصول والقواعد المتفق عليها في رد كل حديث لا يعرف له سند يوثق به . وهذا البيهقي يقول ان القاسم بن محمد ذكره من قوله فما يدرينا ان بعض الناس سمعه منه فظن أنه يرويه حديثا فرواه عنه فكان هذا سبب ذكره في الكتب التي ذكروا أصحابها ؟

وأما رواية الديلمي في مسند الفردوس عن جويبر عن الضحاك فلا تصح قال ابن معين في جويبر هذا ليس بشيء، وقال الجوزجاني لا يشتغل به، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك الحديث. وشيخه الضحاك هو ابن مزاحم البلخي المفسر فقد اختلفوا في حديثه ولكنهم صرحوا بأنه لم يلق ابن عباس ولا أخذ عنه فيكون الحديث منقطعا

وأما ماعزي الى عمر بن عبد العزيز فهو لا حجة فيه صح عنه أولم يصح، على ان الظاهر انه يريد اختلافهم فيما لابد من الخلاف فيه لكونه طبيعيا وهو الخلاف في المشارب والعمل بالدين من الاخذ بالعزائم والرخص فلو كانوا كلهم متشددين مبالغين في الزهد والنسك كأبي ذر وفي العبادة وكبح الحظوظ والشهوات كعثمان بن مظعون وعبد الله ابن عمرو لوقعت هذه الامة في الغلو والحرج الذي وقع فيه بعض الاحبار والرهبان من أهل الكتاب من قبل، ولو كانوا كلهم كمعاوية وعمرو بن العاص في حب النعيم والزينة والرياسة لكان ذلك فتنة لمن بعدهم في الدنيا يسرعون بها الى ترك الدين أو يجعلونه ماديا محضا لان القدوة أشد تأثيراً في نفوس البشر من التعاليم القولية

استكبر بعض العلماء ان يجعل الاختلاف في الدين أو في الامارة والسلطان رحمة، وقد ثبت بالشرع والعقل والتجربة انه نقمة لا تزيد عليها نقمة، ولذلك قالوا ان المراد بالحديث - أي على فرض صحته - الاختلاف في الحرف والصناعات، ولهم ان يستكبروا ذلك فان القرآن ماشدد في شيء كما شدد في الشرك وفي الاختلاف والتفرق، والآيات في هذا كثيرة تقدم تفسير بعضها وسرد الكثير منها في التفسير وغير التفسير من المنار فليراجعه السائل في تفسير آية « تلك الرسل » من أول الجزء الثالث، وتفسير « ولا تكونوا كالذين تفرقوا » من الجزء الرابع، ومظانه من المنار

كان أهون الاختلاف اختلاف الصحابة وغيرهم من السلف في فهم الاحكام، مع عذر كل منهم لمخالفه بحيث لم يكونوا شيعا تتفرق في الدين، وتتعصب كل شيعة منها لبعض المختلفين، فان مثل هذا الاختلاف طبيعي في البشر لا يمكن اتقاؤه كما بيناه في التفسير وهو من أولئك الاخيار لم يكن نقمة ولا ضارا، ولا يظهر ايضا كونه رحمة يمن الشارع بها على الناس، ولكن لما جاء دور التقليد والتشيع والتعصب للمذاهب حلت النقمة، وتفرقت الكلمة، وذهبت الريح والشوكة، الى أن وصلنا الى هذه الدرجة من الضعف. ذهب ملكنا وصارت الممالك الكبيرة من ممالكنا تقع في قبضة الاجانب فلا يبالي بهم سائر المسلمين، فأين الوحدة والاخوة والتواد والتراحم وتمثيل مجموعهم بالجسد الواحد ؟؟ كل ذلك قد زال وكان مبدأ زواله ذلك الاختلاف

﴿ أسئلة من أعرابي بالشرقية ﴾

(س ٢٩ - ٣١) من صاحب الامضاء في مركز أبو كبير بالشرقية

حضرة الاستاذ الكبير السيد رشيد رضا المحترم

نرجو من حضرتكم الاجابة على المسائل الآتية بواسطة منار الاسلام المنير ولكم الفضل وهي

(١) اذا أصيب رجل بالجنون وكان متزوجاً فبأي عدة تعتد زوجته

(٢) الصحيح ما يقال من ان لكل ولي متوفى ملك (كذا) ينوب عنه لقضاء الحاجات التي يطلبونها الناس من الله بواسطة الولي كما يقولون علماء الارياف بذلك

(٣) من ابتدع الصاري الذي يذكرون الله حوله أهل الطرق وهل يجوز لهم الذكر برقص وتثن وتواجد وزعيق وترجة يسمونها بلسان الحال. ودمتم محفوظين

انور محمد قريط
من قبيلة أولاد علي بناحية فراشه

الجواب

﴿ زوجة المجنون ﴾

اذا جن الرجل تبقى امرأته على عصمته ولكن يثبت لكل من الزوجين حق الفسخ اذا جن الآخر. والعدة تتعلق بمعنى في المرأة لا في الزواج الا انها في الوفاة يجب عليها ان تحد على زوجها فجعل أجل العدة والحداد واحداً إكباراً لحقوق الزوج والوفاء له. فاذا فسخ نكاح المجنون اعتدت امرأته عدة المطلقة

﴿ دعوى ان لكل ولي ميت ملكا يقضي الحاجات عنه ﴾

من أصول التوحيد ان يدعى الله تعالى وحده في قضاء الحاجات وان يعتقد انه هو الذي يقضيها وحده بلا واسطة معين ولا مساعد، وان له تعالى سننا في ربط الاسباب بالمسببات، وقد هدى الله الناس الى ان يعرفوا هذه الاسباب بحواسهم وعقولهم

فأعرفهم بها اكثرهم انتفاعاً بنعم الله تعالى في هذا العالم، ومن أصول العقائد ان الملائكة من عالم الغيب وان الله تعالى لا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضاه من رسله فيخبرهم بما شاء من نبأ الغيب لهداية عباده كالملائكة والجنة والنار ، ولا يجوز لمؤمن ان يفتات على الله ورسوله في الخبر عن عالم الغيب فيقول إنه يوجد ملك يعمل كذا وملك يعمل كذا لان هذا من أقبح الكذب على الله عز وجل . ونحن لم نجد في كتاب الله ولا في الاحاديث الصحيحة عن رسوله (ص) ما يثبت وجود ذلك الملك الذي يقولون انه يقضي حاجات الناس التي يسألونها بواسطة الولي على أن هذا السؤال غير مشروع كما اشرنا الى ذلك (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون)

﴿ ابتداع الصاري الذي يذكرون عنده ﴾

لا نعرف من ابتدع نصب هـذا العمود أو السارية ليجتمع الناس عندها في احتفالات هذه الموالد ولا أعرف مثل هذا الا في هذه البلاد ولا أدري أيوجد فيما لا أعرفه من بلاد المسلمين الاخرى أم لا

﴿ الذكر بالرقص والتثني والتواجد والصياح ﴾

الذكر بهذه الكيفية مبتدع في الملة وفيه عدة منكرات بينها كثير من العلماء وقد عذر بعضهم من يغلبه حاله من الافراد فيصدر منه بعض هذه المنكرات بغير اختيار ولكنهم لم يعذروا من يتعمدون الاجتماع لذلك ويأتونه مختارين تعبداً به كما هو المعهود لهؤلاء المقلدة المعروفين في هذا الزمان وقد فصلت هذه المسألة تفصيلا في كتابي «الحكمة الشرعية» وذكرت فيها أقوال المؤلفين المنتسبين الى المذاهب المختلفة ، ولم يقل أحد من العلماء بأن ذلك من الدين ، ولا أنه قربة يتقرب بها الى رب العالمين ، وإنما اباحه بعض المتساهلين ، ومن الفتاوى التي ذكرتها هنالك ما في تنقيح الحامدية لابن عابدين المشهور ، قال بعد نقول عن عدة من العلماء في تلك الامور كلها (منها قول مصلح الدين اللاري بإباحة الرقص بشرط عدم التكسر والتثني) ما نصه : والحق الذي هو أحق ان يتبع ، وأحرى أن يدان له ويستمع ، ان ذلك كله من سيئات البدع، حيث لم ينقل فعله عن السلف الصالحين ، ولم يقل بحله أحد من الائمة المجتهدين، رضي الله عنهم اجمعين ، قال الاستاذ السهروردي في عوارف المعارف وناهيك به من

كتاب ، وقد تكلم على السماع في خمسة ابواب منه بما هو حق التحقيق ولب اللباب: وإن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان ، وقعود المغني بدفه ، والمتشبب بشبابته ، وتصور في نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهل استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه ، لا شك بأن ينكر ذلك من حال رسول الله (ص) وأصحابه (رض) ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما اهملوها ، فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة احوال رسول الله (ص) واصحابه والتابعين ، ويستروح الى استحسان بعض المتأخرين ، وكثير يغلط الناس بهذا كلما احتج عليهم بالسلف الماضين، يحتج بالمتأخرين، فكان السلف أقرب الى عهد رسول الله (ص) وهديهم اشبه بهدي النبي (ص) اه وهو الصواب الذي نقول به (راجع ص ٩٢٦ من المجلد الاول طبعة ثانية)

﴿ العالم الاسلامي والاستعمار الاوربي ﴾

(١)

الدول الاوربية التي ورثت ملك المسلمين الواسع في المشرق والمغرب أربع : انكلترا وهولندة وروسية وفرنسة . كل دولة منهن سائدة على أكثر مما تسود عليه الدولة العثمانية من المسلمين . فمسلمو الهند من رعية الانكليز قد بلغوا في الاحصاء الاخير تسعين مليونا وهم زهاء ثلث أهل الهند وكان لهم السيادة على جماهير الوثنيين، وهؤلاء الانكليز يسودون الملايين الكثيرة من المسلمين وغيرهم بأسماء مختلفة فلهم مستعمرة الكاب وبلاد الترنسفال وفيهما كثير من المسلمين وقد جعلوا لهذه مجلسا نيابيا، ومثلها استرالية وزيلاندة فسيادتهم عليها ليست كسيادتهم على مملكة زنجبار الاسلامية، وناهيك بحكمهم للسودان بعنوان الشركة مع الحكومة المصرية، وتصرفهم في مصر نفسها بسيطرة الاحتلال، وتصريحهم بأن القول الفصل في كل شيء فيها انما هو لحكومة ملك الانكليز ، وقد تجلى الحقيقة الواحدة في مظاهر مختلفة ، وتتشكل في صور متعددة، فيكون لكل مظهر في صورة أحكام خاصة به عند الحكماء ، وان اشتركت كلها في مقومات الحقيقة الجنسية أو النوعية دون مشخصاتها ، فالانكليز أقدر أمم الارض على الاستعمار وأبرعهم في السيادة على الامم ، لانهم يراعون الحقائق في أجناسها وفصولها المقومة ، وفي مشخصاتها

المختلفة ، ويسايرون الطبيعة في سننها ، ويحكمون العقل أكثر مما يحكمون القوة فيها ، ولذلك سادوا على أمم وشعوب وقبائل كثيرة تعد بمئات الملايين، واستفادوا من ثروتها وخيراتها مالم يستفده غيرهم من المستعمرين ، ولم يمنعوا بالقوة أحدا ممن سادوا عليهم أن يرتقوا في العلوم والاعمال، ولاهم يتعمدون ترقيتهم فيها الا بمقدار مايفيدهم هم من توسيع دائرة الثروة، وقد يحولون بينهم وبين مافوق ذلك من الترقي من حيث لا يشعرون

يليهم في هذه البراعة الهولانديون فدولتهم على صغرها تتصرف في أكثر من ثلاثين مليونا من المسلمين تسخرهم لمنافعها وتستعملهم في تلك الجزائر الخصبة (جزائر جاوه) كما تستعمل الانعام ، وهم أجهل من رعايا الانكليز وأضعف عقولا ونفوسا وليس لهم من الاستعداد الموروث ولا من سابقة العلم والمدنية والسلطان مثل ماللهنود والمصريين ، ولذلك لاتحس منهم بحركة ولا تسمع لهم ركزا ، ومن عجائب خمولهم وضعف استعدادهم أن الذين يرحلون منهم لطلب العلم يقيمون السنين الطوال بمكة أو مصر ثم يعود من يعود منهم الى بلاده وهو لا يعرف من أمر العالم الاسلامي ولا من أحوال هذا العصر شيئاً قط ، لانهم يحبسون انفسهم على أفراد من متفقهة الشافعية يتعبدون بعض كتب متأخري الشافعية كابن حجر الهيتمي والرملي ، فان تجاوزوها فالى كتب الشيخ زكريا الانصاري والنووي .

لو جردت من هذه الكتب مايعمل به الذين يتعلمون أحكام المذهب من الجاويين وغيرهم من مسائل العبادات وما يقرب منها من الاحكام الشخصية لامكنك جمعه في مئة ورقة يمكن تعلمها في شهر أو شهرين أو ثلاثة ، ولتكن مئتي ورقة ، وليكن تعلمها في سنة ، فما بالهم يقضون السنين الطوال في مدارسة أحكام المعاملات كالبيوع والشركات واحكام الجنايات والجهاد والرقيق وغير ذلك مما لا يعمل ولا يحكم به أحد في بلادهم ويمر العمر ولا يحتاجون الى معرفة شيء منه ؟؟ ولا يعرفون شيئا في هذا الزمن من علم القرآن وسنن الله تعالى في الامم كأسباب قوتها وضعفها وعزها وذلها وسيادتها على غيرها وسيادة غيرها عليها؟؟ (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) (١) بلى قد ساروا ولكن لم ينظروا ولم يتفكروا ولم يعتبروا كما أمروا فهم لا يعلمون من أمر عاقبة الذين من قبلهم شيئا ، لايستقرون ولا يختبرون شيئا من أحوال الامم بأنفسهم ، ولا يقرءون التاريخ وعلم تقويم البلدان (الجغرافية) ولا علم الاجتماع وحقوق الدول والامم ، بل تراهم يقيمون السنين في مصر ولا يقرءون جرائدها ،

(١) في سورة يوسف والمؤمن ومحمد

ولا يعرفون طرق الادارة وشؤون العمران فيها ، والقرآن يحثهم على السير في الارض لينظروا ويتفكروا ويعتبروا لا ليتدارسوا كتب ابن حجر والرملي فقط (٢٢: ٤٦ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

كانت هولندة قانعة وهي دولة صغيرة في أقاصي الشمال باستعمار هؤلاء الملايين في الجزائر الاستوائية من الجنوب وتسخيرهم في استغلال أرضهم لهاوتركهم في شؤونهم الروحية والاجتماعية ، لاتوقظهم من نومهم ولاتدع أحدا يوقظهم، ثم انها تصدت في هذه السنين الاخيرة الى تسخير أرواحهم وقلوبهم لها ، لتأمن في المستقبل استيقاظهم على يدغيرها، فوجهت عنايتها الى تنصيرهم وتعليمهم لغتها، أي الى استبدال مقوماتهم الملية بغيرها

كان يروعها ماتجده من شدة تمسكهم في دينهم وتعريضهم أنفسهم للهلاك في سبيل الحج الى بيت الله الحرام فظنت كما يظن بعض المغرورين من المسلمين ان تنصير المقلدين عسير لان المقلد لايصغي للبرهان ولكن الهولنديين يعلمون مايجهله هؤلاء المغرورون من طباع البشر وأخلاقهم ومنها ان الميل الى الاستدلال طبيعي فيهم فاذا منعوا باسم الدين من البحث في البرهان والدليل على أصول دينهم وفروعه فانهم لايمتنعون من التفكر فيما يلقى اليهم من الدلائل على بطلان هذا الدين الذي لايعرفون حقيقته ، وان هذه الدلائل تروج عند الجاهلين وان كانت مقدماتها تؤلف تارة من الجدل والسفسطة ، وتارة من المقدمات اليقينية على بطلان بعض التقاليد التي يسمونها اسلاما وما هي من الاسلام في شيء

سلك الهولنديون لتنصير المسلمين طريقا لم يسبقهم اليه أحد فيما نعلم وقد نجحت التجربة التي جربوها في { ديفو } وهي بلدة بين بتاوي وبوكر نفوسها زهاء أربعة آلاف ، بثوا فيها الدعاة (المبشرين) ومنعوا مسلمي العرب وغيرهم من المستنيرين أن يدخلوها ألبتة . وقد جمع أولئك المبشرون جميع مايعرفون من سيئات مسلمي تلك البلاد وخرافاتهم وضلالاتهم التي راجت بينهم باسم الدين ، وسيئ شيوخ الطريق الدجالين ، وبينوا لاهلها فسادها وكون الدين الذي جاء بها لا بد أن يكون باطلا مثلها ، ومسخوا لهم بعض أحكام الاسلام ومسائله بتأويلها وصرفها عن حقيقتها ، وأيدوا ذلك كله بسوء حال المسلمين وكونهم أحط من النصارى علما وعملا وآدابا وثروة وسيادة وأوهموهم أنه لا علة لذلك غير الدين . فتنصر جميع أهل تلك البلدة وبغض اليهم المبشرون المسلمين حتى ان المسلم اذا دخلها لايجد له فيها مأوى ولا يسقيه أحد فنجان قهوة

ولا جرعة ماء بل لا يجد من يقابله ولا من يكلمه ، فهل بعث المسيح ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس الى هذا الحد ، أم دين السياسة الاوربية عليها الملام شيء ودين المسيح عليه السلام شيء آخر ؟

سر هولندة نجاح هذه التجربة فبثت دعاة النصرانية في تلك الجزائر ، يدعون الاعرق منها في الجهل فالاعرق ، والابعد عن حقيقة الاسلام فالابعد ، واذا دامت الحال على هذا المنوال، فستكون جاوه كما قال ذلك السائح العاقل اندلسا ثانية، ولا عجب فسلمو جاوه أجهل المسلمين بالاسلام وأشدهم خمولا وقد استيقظ أناس من المسلمين في كل قطر اسلامي كبير وانشأوا يوقظون غيرهم ولا يزال مسلمو جاوه نائمين يغطون ، وقد ابتلوا بأناس من العرب يدعون العلم وما هم من أهله يبغضون اليهم العلم الصحيح الذي يعرفهم أنفسهم ومكانتهم من حكومتهم ومن سائر الناس ، ويحرمون عليهم إنشاء المدارس العلمية على الطرق العصرية المعروفة في مصر، وان يتعلموا غير تلاوة ألفاظ القرآن للتبرك وبعض أحكام الفقه ، وما يتعلم ذلك الا قليل منهم

اذا حرم هؤلاء الدجالون على المسلمين أن يعلموا أنفسهم مايقوم به أمر دنياهم ويحفظ به أمر دينهم في مدارس نظامية ، فهل يحرمون على حكومة هولندة ان تنشئ لهم مدارس تعلمهم فيها لغتها وما ترى فيه مصلحتها من علوم الدنيا ، وعلى دعاة النصرانية ان ينشئوا لهم مدارس أخرى ينصرونهم فيها؟ كلا ان قد شرعت الحكومة الهولندية في ضبط ما كان لرؤساء تلك الجزائر الذين يلقبون بالسلاطين (!!) من الارض والغابات والمرافق لتتولى هي استغلال ما كانوا يستغلونه ، وجباية ما كانوا يجبونه ، وتجعل رزقهم محصورا فيما تجود به عليهم من خزينتها كل شهر أو سنة وتقول إنها ستنفق ربع ذلك على المدارس التي تنشئها لتعليم الاهالي ، وقد وضعت قانونا جديدا لهذه المعاملة وهي تحمل أولئك السلاطين المساكين على اقراره وامضائه فمن لم يرض منهم بترك ما كان له من امتياز وسلطة صورية(وأن يكون كعمال الحكومات الذين يعطون عند عجزهم راتب التقاعد (المعاش) عزلوه من سلطته ونصبوا مكانه شبحا آدميا آخر وسموه سلطانا ، وهي خير للرعية من أولئك السلاطين الذين لا يمنعهم عن الظلم الا العجز

(روسية) مسلمو روسية أكثر من مسلمي البلاد العثمانية ويناهزون عدد مسلمي جاوه وأكثرهم من التتار والترك والجركس والقرغيز والفرس، وبعضهم يعد في القانون روسيا محضا والبعض الآخر من المستعمرات، ومنهم الجاهلون الغافلون الذين لا يعرفون من أمر العالم شيئا قط بل يعيشون كالاوابد والسوائم الا انهم أشداء شجعان لاضعفاء

كالجاويين ، ومنهم المغرورون بما عندهم من بقايا العلوم الاسلامية كالفقه الذي يرون انهم أغنياء به عن كل مافي العالم من العلوم الدينية والدنيوية ، ومنهم الذين دبت فيهم روح الحياة الملية وتوجهت نفوسهم الى الارتقاء الاجتماعي وأكثر هؤلاء من التتار ، وحكومتهم واقفة لهم بالمرصاد ، فلا يرضيها أن يرتقوا بدينهم ولغتهم، ولا هي تستطيع ان تنصرهم ولا ان تبدل لغتهم ، بل عجز دعاة النصرانية في روسية عن تنصير أعرق مسلمي بلادها في الجهل ، وأبعدهم عن العلم ، لان حظ عامة مسلمي تلك البلاد من عقائد الاسلام واخلاقه وآدابه اكبر من حظ اكثر المسلمين في اكثر الاقطار فهم أرقى من الروسيين روحا وازكى نفسا وأعلى أدبا واكثر في الجملة كسباً، وجذب الاعلى إلى الادنى عسير ،

اذا دبت في الامة روح الحياة فلا يزيدها الضغط والاضطهاد الا حياة وقوة لانه يلم شعثها ويجمع متفرقها ويزيل ما بينها من الاضغان والاحقاد ،والتنازع والخلاف ، ويجعلها إلبا واحداً على من ينازعها اسباب رقيها ومادة حياتها ، فالمصلحة لروسية أن تدعهم يعملون لانفسهم ما شاؤا وان تظهر لهم الرغبة في رقيهم بشرط اجتناب السياسة والتحيز الى دولة أخرى ، ومن مصلحتهم مواتاتها على ذلك واتقاء فتن السياسة ظاهراً وباطناً وحصر سعيهم في دائرة العلوم النافعة من دينية ودنيوية والاعمال التي ترقي الثروة مع التربية الاسلامية (راجع مقالة ألمانية والعالم الاسلامي في هذا الجزء)

(فرنسة) سكان المستعمرات الفرنسية أربعون مليونا أو يزيدون أكثرهم من المسلمين ، وقد أخطأت فرنسة في طريقة ادارتها وسياستها في الجزائر وظهر لها أنها قد أخطأت ولما يظهر لها الصواب ، وقد كتب ساستها وعلماؤها مما لا نحصي له عددا من المصنفات والمقالات في الاسلام والمسلمين ، والجزائر والجزائريين ، وذكروا آراء كثيرة فيما يراه كل كاتب أمثل الطرق لحكم المسلمين وما افاد ذلك شيئا

بذل الفرنسيون جهدهم في تنصير الجزائريين فلم يفلحوا ، وحاولوا أن يبدلوهم بلغة العرب لغة فرنسة فلم ينجحوا، أخذت الحكومة أوقافهم ومكنت اليهود من املاكهم فصبروا ، جربت أخذهم بالسيئات لتفسد بأسهم وتأمن عاقبة استعدادهم ، ولم تجرب أخذهم بالحسنات ليبلغوا رشدهم ، وتربح شكرهم وودهم ، ولعلها لولا طمع يهود الجزائر في مسلميها ، ومساعدة يهود باريس لهم وناهيك بنفوذهم فيها ، لوجد هناك من الأحرار من ألجأ حكومتها الى جعل الجزائر زينة بلاد المغرب في العمران ،

ومثابتها في العلم والعرفان ، واذاً لكان ما تبغيه الآن ، من استعمار ما بقي في أيدي المسلمين فى تلك الاوطان ، أقرب منالا ، واحسن حالا ،

كان أكبر خطأها الاستعماري في الجزائر إزالة صورة الحكم الاسلامي منها بازالة معناه وجعل الحكومة فرنسية محضة مع العلم بأن صفة الحاكمية هي أشد الصفات تمكنا في نفوس المسلمين فنزعها منهم يحدث في نفوسهم جرحا لايندمل ، ثم اقتدت بانكلترة بعض الاقتداء في استعمار تونس فسمت نفسها حامية لها لاحاكمة فيها، وأبقت لها أميرها (الباي) ولكنها لم تجعل له ولا لرجال حكومته من الامر شيئا قط لاصورة ولاحقيقة ، وكان إبقاؤه أحد الاسباب التي جعلت نصيبها من النجاح في تونس أوفر، وميزان السكون الى حكمها أرجح، حتى زعم بعض رجالها أنهم قطعوا رابطتها الاسلامية التي تربطها بمكة ، على أن تونس ما زالت كما كانت أوسع من الجزائر علماً بالاسلام ، فالعلوم الاسلامية ليست هي التي تبعد المسلمين عن الاوربيين ولكن الاوربيين هم الذين يبعدون المسلمين عن أنفسهم، وليس الاتفاق بينهم بالمحال وإنما هو من الممكنات التي يعرف طريقها أهل الرأي والبصيرة من المسلمين

وتريد فرنسة أن تتبع خطوات انكلترة في استعمار مملكة مراكش فقد كادت لها كيدها، وعبثت كما تشاء بقبائلها وسلطانها، ففاض طوفان الفتن واندفع السيل الأتيّ يقذف جلمودا بجلمود ، حتى حاصرت القبائل مدينة فاس والسلطان عبد الحفيظ فيها ، وتسنى لفرنسة ان تسوق جيشها اليها لانقاذ الاوربيين ، وحماية السلطان من الثائرين، كما فعلت انكلترة بمصر، فدخلت عاصمة المملكة الحسنية (ولم تمنعها كرامات مولاي ادريس من دخولها كما كان يقول المغاربة كما أن كرامات شاه نقشبند لم تمنع روسية من دخول بخاري كما كان يقول أهلها) ووكل السلطان الفقيه النحوي الاصولي المحدث الى القائد الفرنسي حمايته وحماية عرشه من أهل بلاده الثائرين كما فعل قبله الخديو توفيق باشا ، وقضى الله أمرا كان مفعولا

حذرنا مملكة المغرب الاقصى من هذه العاقبة في السنة الاولى من سني المنار وجزمنا بأنها اذ دامت على تلك الحال من الجهل والفساد فانها لا بد أن تقع في يد أوربة ، وبينا لها طريق النجاة التي تحفظ استقلالها ، وأعدنا الذكرى وكررناها بعد ذلك، وكان المنار يرسل الى السلطان وكبار رجاله ولكنهم قوم لايعقلون، وقد أبسل السلطان الذي يسمونه جاهلا، ولم يعتبر السلطان الذي يسمونه عالماً ، بل ابسل المملكة بأسرها ، وتلك عاقبة الجهل والغرور ، ولله عاقبة الامور ،

تقرير اللجنة التحضيرية

(للمؤتمر المصري)

المنعقد في القاهرة فى ٢٩ ابريل سنة ١٩١١

أيها السادة

تحييكم لجنة المؤتمر المصري تحية الاخوان المتضامنين وتشكركم على أنكم لبيتم نداءها لعقد هذا المؤتمر واجتمعتم من اطراف البلاد المصرية لخدمة المصلحة العمومية والنظر في التوفيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية التي كاد يتصدع بناؤها من جراء مؤتمر الاقباط

ان الاقباط قد اشتغلوا فيما يشبه الخفاء بتحضير ماسموه جمعيتهم العمومية حتى لم يكن بين خبر انعقادها وبين انعقادها بالفعل الا أيام . ولاشك في ان العمل على هذه الطريقة مريب حتى اذا كان الغرض من جمع الجمعية العمومية النظر في المقاصد القبطية الصرفة التي تتعلق باحوالهم الشخصية فكيف به وقد ظهر في الجمعية العمومية . أن الاقباط يستقلون ما في ايديهم من السلطة التي مظهرها الوظائف ويستكثرون ما في ايدي المسلمين منها ، يستظهرون بما سموه كفاءتهم الذاتية ويشكون من عدم تقرير اولى الامر لهذه الكفاءة، يتناسون التقاليد القومية ويطلبون عطلة يوم الاحد بجانب عطلة يوم الجمعة ، يعتبرون ان بين مصلحة المسلم وبين مصلحة القبطي منافاة ويريدون أن يحصلوا على امتياز خاص يجعل لهم في الهيئات النيابية في بلدنا أعضاء من الاقباط يدافعون عن مصلحة الاقلية كأن الاكثرية والاقلية في الامم مترتبة على العقائد الدينية ، لاعلى المذاهب السياسية ، يرسلون مبعوثيهم الى الامة الانجليزية لبث شكاوى لا تشف الا عن تعصب المسلمين على المسيحيين في مصر

ذلك كان شكل حركتهم وتلك كانت مطالبهم ولاشك في أن الشكل الذي

أخذته هذه الحركة القبطية مريب في ذاته مفض الى الظن بأن الاقباط عولوا على أن يكونوا وحدهم أمة مستقلة وتذرعوا بهذه المطالب حتى يصلوا بمعونة انكلترا المسيحية الى أن يكون لهم في مصر وهم الاقلية الضعيفة حق السيادة على الاكثرية الاسلامية العظمى ، ومن البديهي أن عملا هكذا لا بد ان يؤثر في نفوس المسلمين أسوأ تأثير وينتج نتائجه الطبيعية وهي استحكام البغضاء بين الاقلية الصغيرة وبين الاكثرية الكبيرة ، وذلك ليس من مصلحة الاقلية نفسها ولا من مصلحة الجامعة القومية

لهذا الاعتبار واشفاقاً عن الوطن من أن يكون مرسحا لمظاهر العداوات الدينية قامت هذه اللجنة بدعوة المؤتمر المصري العام ليبحث في عمل الاقباط وتقديره وليزن مطالبهم بميزان العدل وليبين النافع منها والضار والممكن وغير الممكن ويقرر لهم مايراه حقاً من غير ان يحوجهم الى السعي باخوانهم وشكايتهم الى غيرهم فان المصريين أولى بانصاف المصريين

الى ذلك دعت اللجنة بانعقاد المؤتمر أولا وبالذات ، ولكنه لما أن مؤتمراً عظيماً كهذا يجب ان يأتي باكمل ما يمكن أن يأتي به من الفائدة رأت اللجنة أن يتناول المؤتمر البحث أيضاً في المسائل الاجتماعية والاقتصادية وكل ما له علاقة بسعادة الامة ما عدا المسائل السياسية داخلية كانت أو خارجية لان الظروف التي فيها مصر الآن من الجهة السياسية لاتسمح بدخول هذا المؤتمر في السياسة من غير أن يضحي تضحية تامة كل الاغراض التي اجتمع لاجلها ، وان اللجنة لا تشك في أن كل مؤتمر من المؤتمرين قد حضر الى هذا المؤتمر عالماً يقيناً بأن جميع التقارير التي لها علاقة بالسياسة عن قرب قد أهملت لخروجها عن برنامج المؤتمر كما أنها لا تسمح بأي وجه مالاي مقترح أن يبدي اقتراحاً خارجاً عن البرنامج المنشور

(الاكثرية والاقلية)

لا شيء أضر على البلاد من نتائج ذلك الخطأ الذي يتسرب الى عقول بعض المصريين على العموم وكثير من الاقباط على الخصوص. ذلك الخطأ الفاضح هو تقسيم الامة المصرية باعتبارها نظاماسياسياً الى عنصرين دينيين: أكثرية اسلامية وأقلية قبطية، لان مثل هذا التقسيم يستتبع تقسيم الوحدة السياسية الى أجزاء دينية أي تقسيم الشيء الى أقسام تخالفه في الجوهر . الامة باعتبارها كائنا سياسيا ونظاما سياسيا انما

تتألف من عناصر سياسية كذلك فأيما مذهب من المذاهب السياسية اعتنقه أفراد أكثر عدداً وأثراً كان أكثرية وكان الآخر أقلية وعلى هذا يمكن فهم الاكثرية والاقليات في كل أمة وليس للدين في ذلك دخل غير ان لكل أمة دينا رسمياوذلك ضروري بل مشخص من مشخصاتها ودين كل أمة هو دين حكومتها أودين الاكثرية فيها على ذلك يكون من السهل فهم انقسام الامة باعتبار المذاهب السياسية الى أكثرية وأقليات كلها غير ثابتة بل متغيرة بتغير المذاهب السياسية وانتشارها قلة أو كثرة ولكن من غير المفهوم بالمرة أن يكون في الامة أكثر من دين رسمي واحد وعليه فلا معنى للاعتراف بأقليات دينية تعمل في السياسة بهذه الصفة أو تكسب حقوقا عامة أكثر من أن يخلى بينها وبين القيام بواجباتها الدينية عملا بحرية الاعتقاد

دين الامة المصرية هو الاسلام وحده لانه دين الحكومة ودين الاكثرية في آن واحد . ذلك أمر بعيد بطبعه عن المناقشات في المصالح الدنيوية العامة التي تكون بين الاكثرية وبين الاقليات السياسية . ولا شك في ان العمل في السياسة بالنسبة للافراد وبالنسبة للمجاميع لايصح أن تكون قاعدته المنفعة . ويسرنا ان الاحزاب السياسية في مصر قد سارت على هذا النحو ولم تلحظ في هيئة تأليفها ولا في برنامج أعمالها اختلاف المعتقدات الدينية

بعد ذلك كيف يمكن الاعتراف بأن أقلية دينية تباشر بهذه الصفة الاعمال العمومية ويكون لها مطالب خاصة كانما هي أقلية سياسية . لايمكن الاعتراف بذلك الا اذا امكن أن يكون للامة دينان في آن واحد وان يكون أساس الاعمال في المصالح العامة هو الدين . ذلك غير ميسور التحقق ولا مسلم به في النظر . فمن الخطأ أن يكون من الاشياء المسلم بها اعتبار ان الامة السياسية تتألف من عناصر دينية

الحقوق والمرافق في مصر انما هي على الشيوع بين جميع المصريين على السواء لا امتياز لاحد منهم على أحد بسبب كونه مسلما أو مسيحياً أو يهوديا ومن الظلم الصارخ أن يقع هذا الامتياز لفرد من الافراد أولمجموع من المجاميع بسبب انه على دين المصريين (الاسلام) أو على دين غيرهم . حسب العالم ماكان من جراء الانقسامات الدينية فلا نأتي في القرن العشرين لنجعل الاعتقادات الدينية أساساً للامتيازات بين الافراد في الحقوق الوطنية

لا نغفل ان نصرح هنا بأن الاحوال في مصر كانت متمشية على هذه القاعدة من زمن غير قريب ولكن الحكومة وبعض الصحف قد تركت الناس تفهم ان

حفظ بعض المراكز للاقباط في مجلس الشوري انما هو للدفاع عن الاقلية فكان من نتائج ذلك أن اعتقد بعض الناس هنا أن الاقباط بصفتهم أقلية مسيحية يصح أن يكونوا بهذه الصفة أقلية سياسية لها مصالح قد تنافي مصالح الاكثرية . وكان هذا هو الاساس الذي بنى عليه كثير من الاقباط شكاواهم ومدعياتهم . تجسم هذا الفهم في العقول واختلط بشيء غير قليل من الطمع في أن يجعل الاقباط لانفسهم مركزا خاصاً وتضامنا خاصا وأندية خصوصية وجرائد سياسية خاصة للدفاع عن مصالحهم السياسية وسمتهم جرائدهم الاخيرة بالامة القبطية . وقد دل كل ذلك على أن الخطأ الذي وقعت فيه الحكومة بادئ الامر قد غذى اطماعهم وقوى شهوتهم في أن يؤلفوا بصفتهم مسيحيين جامعة قبطية تتدرج في أطماعها من سلم الى سلم حتى تحوز بين يديها السلطة في مصر اعتمادا على هذا الاحتلال المسيحي وعلى أن المصريين أخوف ما يكون من ان يرموا بالتعصب الديني . ولقد ظهرت هذه المقاصد بارزة في صحفهم بادئ الامر ثم في مؤتمرهم الاخير

ولكن علاقتهم بالمبشرين من الامريكان وبعض رجال الكنائس الانكليزية والجرائد الانكليزية قد خدعتهم كثيراً اذ جعلتهم يظنون ان في طاقة الاحتلال أن يجعل مصر مرسحاً للعداوات الدينية وأن يجعل للاقليات الدينية امتيازات خصوصية بوصف أنها أقليات دينية ، والا فان أولي الرأي من الاقباط كانوا يكرهون الى عهد قريب أن يطالبوا بحق من الحقوق السياسية بصفتهم أقباطا بل كانوا في مقدمة الذين يقولون أنهم مصريون قبل كل شيء ولا شك في أن المصري قبل كل شيء لا يطالب بحق الا بوصف كونه مصريا فقط والمجموع المصري لا يطالب بحق الا بوصف انه مجموع مصري فقط دون أن يصف نفسه بالمسيحية أو بالاسلامية .

على أن وصف الاقباط مجموعهم بالاقلية القبطية أو بالجمعية العمومية للاقباط ومطالبتهم بحقوق أو شكواهم من عدم تنفيذ القوانين بهذا الوصف واستنادهم على اخوانهم في الدين من الامريكان والانكليز وبثهم المبعوثين في انكلترا لبث شكواهم كل ذلك لا يدل الا على أنهم يرمون المسلمين بالتعصب الديني. ذلك صريح جداً على الرغم من تلطف خطبائهم في العبارات الى حد أكثر من التلطف بل تصريحهم في مؤتمرهم بأنهم عائشون مع المسلمين على غاية الوفاق ، وليس من البعيد أن التوفيق بين تصريحاتهم في المؤتمر من محاسنة المسلمين لهم (وهذا الواقع) وبين الاشكال التي اتخذوها لاعمالهم والوسائل التي اختاروها لانجاح مقاصدهم ينتج في عمومه أنهم

وضعوا المسلمين في جانب وأخذوا يساومون الادارة الانكليزية في مصر على الوظائف التي في يد المسلمين وهم يظنون أن المسلمين يكفيهم في كل هذه المساومة أن لا يرموا بالتعصب الديني أو ان يشهد لهم بأنهم حسنو السلوك مع أخوانهم الاقباط .

كل ذلك انما كان نتيجة اعتبار أن الاقلية الدينية يصح أعتبارها أقلية سياسية ويصح لها بذلك أن تقوى فتحوز السلطة ومظاهرها باسم الدين ، فيجب علينا أن نصرح بأننا لا نعرف أقلية دينية بين مصالحها وبين مصالح المصريين منافاة أو ان مصالحها في حاجة لرعاية خاصة واستثناء في القوانين العامة المطبقة في مصر على جميع المصريين على السواء . وليس لمجموع ديني أن يكون له من المطالب السياسية بهذا الوصف الا فيما يتعلق بالامور الدينية وما يتبعها كتنظيم البطر كخانات الملية . الخ . والا فكل مطلب سياسي من مجموع ديني لا تكون نتيجته الا التفريق بين المصريين في المعاملة

ومع اعتبار ان الشكل الذي تمت عليه مطالب الاقباط ليس مقبولا لما فيه من جعل الدين أساساً للتفريق في المعاملة فان اللجنة تقدم للمؤتمر نتيجة بحثها في تلك المطالب

(١)

﴿ مطالب الاقباط ﴾

١ ــ عطلة يوم الاحد

كما أن لكل حكومة دينا رسمياً واحداً كذلك لها يوم عطلة واحد في الاسبوع سواء كان الدين يوجب عطلة ذلك اليوم أولا يوجبها وليس لنا أن نبحث في نصوص الاصول الدينية في هذا الموضوع بل الذي نراه بين ظهرانينا أن الانكليز والفرنساويين والطليان وغيرهم من الموظفين في الحكومة المصرية يشتغلون يوم الاحد ويبطلون يوم الجمعة ولم نسمع الى اليوم انهم تركوا دينهم ولا انهم طلبوا الى الحكومة — وهم قادرون عليه — اعفاءهم من العمل يوم الاحد ، ولقد أعفت الحكومة الموظفين المسيحيين من التبكير الى مصالحهم يوم الاحد حتى تؤدى الصلاة ولا شك في أن المسيحيين الموظفين فيها من المذاهب المختلفة قد رأوا هذه الرخصة كافية للتوفيق بين قيامهم بأمر الدين وبين واجبهم الرسمي ولم يطلبوا عليه المزيد ، وكذلك كان

الاقباط الى هذا الشهر الفائت عند انعقاد جمعيتهم العمومية لا يرون عطلة يوم الاحد وأقرب الفروض الى فهم هذه النظرية هو تعطيل يومين في الاسبوع يوم الجمعة للمسلمين ويوم الاحد للمسيحيين ، ولقد ترك اليهود من غير يوم مع تحرجهم في السبت أشد من تحرج المسيحيين في العمل يوم الاحد،فاذا قسمت الايام بين العناصر الدينية وجبت عطلة الاعمال ثلاثة أيام في الاسبوع !!

اصطلحت الحكومات الاسلامية على جعل يوم الجمعة هو يوم البطالة الرسمي فأصبحت عطلة ذلك اليوم عادة للحكومات الاسلامية وواحداً من تقاليدها القديمة التي تمتاز بها عن غيرها ، فهي بذلك لا يجوز لها ان تعطل غير يوم الجمعة من أيام الاسبوع اذا أمكن أن يعطل النظر في مصالح الناس يومين اثنين غير أيام الاعياد القومية ، ذلك ولان عطلة يوم الجمعة جزء من السيادة جرت حكومة لبنان وهي حكومة مسيحية واليها مسيحي واكثرية الشعب فيها مسيحية على أن تعطل يوم الجمعة حفظاً لتقاليد الدولة العلية ذات السيادة عليها

على انه من الضروري البحث فيما اذا كان الاقباط غير الموظفين وغير تلامذة المدارس يشتغلون يوم الاحد أم هم يعتقدون أن من يشتغل فيه يقتل ؟ الواقع أن الاقباط في مزارعهم يشتغلون كل الايام من غير فرق كما ان المسلمين يشتغلون في مزارعهم كل ايام الاسبوع من غير تفريق بين الجمعة وغيرها الا وقت صلاة الجمعة فما هي الحاجة لهذه البدعة الجديدة وهي ابطال مصالح الحكومة ومدارسها يوم الاحد أيضاً ؟

الظاهر أن الدافع الى ذلك هو الطمع في انتهاز فرصة الاحتلال المسيحي لابطال التقاليد الاسلامية والاستهانة بالاكثرية وتقسيم الشعائر القومية نصفين متساويين بين أقلية صغيرة بعض أفرادها على دين الانكليز وبين الاكثرية الكبرى الاسلامية ، تعطل الحكومة أعمالها يومين ، كما يجب عليها جريا على هذا المبدإ الاحتفال رسمياً بأعياد الجماعتين على السواء مع عدم ملاحظة طابع الحكومة ووصفها الاسلامي ومع عدم اعتبار أن هناك اكثرية دينها يجب أن يكون الدين الرسمي لا غيره وتقاليدها هي التقاليد الرسمية لا غيرها ، أمر لم يكن له مثيل في حكومة من حكومات العالم ولا في انكلترا نفسها التي ليس لحكومتها الا دين رسمي واحد

لا يظهر أن لهذا الطلب دافعاً غير الطمع في اخضاع الاكثرية الى أحكام الاقلية الدينية لان الطلب مجرد عن المنفعة العملية ، اذ لو فرض أن الحكومة تعطل يوم

الاحد ــ وذلك لن يكون بالضرورة ــ فما الذي يكره الاقباط الفلاحين على عدم كسر الاحد وهم يكسرونه مختارين ، فأما أصحاب المحلات التجارية القليلون الذين يقفلون محلاتهم يوم الاحد فذلك لان ارتباطهم بالبنوك والحركة التجارية العامة تقضي بذلك كما يقفل المسلمون أنفسهم ، واذا كان الافراد الاقباط يشتغلون مختارين يوم الاحد فأي نتيجة عملية ينالها المؤتمرون في جمعيتهم العمومية من ذلك المطلب؟

وعهدنا في أولي الرأي من الاقباط أن يدركوا ادراكا صحيحاً مقدار الخطأ الذي ارتكبه جماعة المؤتمرين منهم بتقرير مثل هذا القرار الذي مع كونه غير ميسور الاجابة مطلقاً لا يخلو من الضرر لما فيه من دواعي التفريق بين أفراد الامة الواحدة ولما يستتبعه من سوء الظن بالاقباط ، بل يسرنا أن لا يفكر المسلمون كثيراً في العوامل الباعثة على مثل هذا الطلب وان يقابلوه بغاية التسامح ونطلب الى هذا المؤتمر أن يقرر بعدم إمكانه وعدم فائدته وبأنه مضر بالجامعة القومية فيجب اغفاله والتجاوز عنه

٢ ــ قاعدة التوظيف في الحكومة

ليس في قوانين التوظيف في الحكومة المصرية شرط يمنع المصري الكفء من الوصول الى أرقى المناصب مهما كان دينه ولكن الاستقراء يدلنا على أن بعض الوظائف الادارية كوظيفة مدير أقليم لم يشغلها الى الآن غير مسلم ، مع أن الوظائف الارقى منها كوظيفة قاضي الاستئناف أو وكيل نظارة من النظارات أو مركز ناظر أو رئيس نظار شغلها ويشغلها الاقباط ، ولا طريق لتفسير هذا التضاد الا أن تكون الحكومة في تطبيق قانون التوظيف تلحظ الكفاءة من جميع الوجوه الممكنة ومن تلك الوجوه الاعتبار الذاتي لحاكم الاقاليم لان هؤلاء الحكام الاداريين يلزمهم كثيراً في تصريف الامور نفوذهم الذاتي أكثر من قوة القانون ، فمن المسائل الكثيرة التي يجب عليهم القيام بها بمقتضى وظائفهم حمل الاهالي على المشروعات المفيدة كالمجالس البلدية المختلطة وكترقية التعليم بوسائل الاكتتاب والاصلاح بين العائلات وبين العربان ، وعلى العموم فان تنفيذ الاوامر الادارية تسهله كثيرا اعتبار الحاكم الذاتي متى أضيف اليها سلطة وظيفته

ومن المسلم أن الرجل لا يتم له هذا السلطان على محكوميه في حكومة كالحكومة المصرية الا اذا اعتقد الناس فيه عدم التحيز لطائفة دون طائفة وأقرب الناس الى ذلك من الحكام هم المسلمون لا لانهم مسلمون بل لان التعصب والتحيز لا يكون

من شعار أفراد الاكثرية الدينية ، ولكن الحوادث العامة تدل على ان من دأب الاقلية الدينية – اذا أحبت أن لا تفنى في الاكثرية – أن تجتهد في إثبات ذاتيتها بصفتها مجموعاً خاصاً مستقلا ولا تفتأ تعطي كل يوم مثلا جديداً على تضامنها ولقد يؤدي الافراط في التضامن الى الوقوع فيما لا يتفق مع نزاهة الحاكم ، ذلك أمر يكاد يكون عاماً في جميع الاقليات الدينية ، وان كان لدينا من الامثلة على نزاهة بعض كبار الموظفين من الاقباط وعدم تحيزهم وقيامهم بالواجب العام خير قيام الا أن تطبيق الحكومة في قانون التوظيف في الوظائف الادارية العالية يدل على أنها تخشى من جراء الافراط في التضامن بين أفراد الاقلية

ومن الاسف أن الاقباط بقرارتهم الاخيرة في الجمعية العمومية قد صدقوا نظر الحكومة فيهم وأعطوها برهاناً قاطعاً على أنهم يشتغلون بوصف أنهم اقباط قبل كل شيء ، مع ان حاكم الاقليم يجب أن يكون مصريا قبل كل شيء

أجل ان مما يستحق الاسف أن يظهر الاقباط في مصر بهذا المظهر الذي تأباه عليهم وطنيتهم ، فقد جمعوا جمعيتهم العمومية ليقصروا عملهم فيها على ما يتعلق بهم وحدهم من الشؤون العامة ، ثم صرح بعض خطبائهم بوجود فتور في العلاقات بين المسلمين وبين الاقباط . ثم طلبوا أن يكون لهم امتياز خاص في الهيئات النيابية المصرية بأن يجعل للمسلمين دائرة انتخاب خاصة وللاقباط دائرة انتخاب خاصة ثم يحاسبون على ما يدفعونه من ضريبة الخمسة في المائة المخصصة للتعليم . يقررون كل هذه الفروق في حين انهم يقررون فيما يتعلق بالوظائف بفناء طائفتهم القبطية في الامة المصرية اذ يقولون انهم لا يطلبون وظيفة مدير ولا وزير بل يطلبون أن لا يكون تنفيذ القانون مانعا لاي مصري من الدخول في أية وظيفة ثبتت كفاءته لها .

وبالتوفيق بين جميع نقط التفريق بين العنصرين التي ذكرها الاقباط في جمعيتهم العمومية وبين تقريرهم قاعدة الكفاءة بمعناها الاخص لوظائف الادارة . يبين أن تقرير الكفاءة ليس غرضاً من أغراضهم الجدية . ولكنهم يرمون الى غرض آخر هو التذرع الى الاختصاص بالسلطة في جميع فروع الحكومة

لم ليكون الاقباط منتخبين نتيجة منطقية في مطالبهم يجب أن يقولوا انهم أمة صغيرة مع الامة الكبيرة تقاسمها في أيام العطلة وتقاسمها في الخمسة في المئة من الضريبة وتقاسمها في النواب عن البلاد للدفاع عن الاقلية وتقاسمها في الوظائف أيضا . غير أنهم قد رأوا أن نصيبهم من الوظائف أظهر من أن يستر كالمقاصد الاخرى فرأوا

أن يتذرعوا في هذا الطلب بأنهم مصريون قبل كل شيء ولكن في بقية الاغراض الاخرى هم أقباط قبل كل شيء

ان لم يكن الامر كذلك وكان الاقباط حقيقة يريدون أن يكونوا مصريين قبل كل شيء يقررون الوظائف بالكفاءة والنيابة بالكفاءة ويعتبرون أن لا مسلم ولا قبطي كما اعتبر المسلمون ذلك فانتخبوا نوابا من الاقباط في مجالس المديريات وفي الجمعية العمومية كما سيجيء بيانه فلماذا يريدون اختصاص الاقباط – وليسوا أقلية سياسية – بدائرة انتخاب خاصة يجمعونهم من أطراف البلاد لينتخبوا كأنما لهم مذاهب سياسية تخالف مذاهب المسلمين ؟

لا جواب على ذلك الا انهم ظنوا خطأ ان الاحتلال الانكليزي يستطيع أن يرضي الاقلية فيذهب بتقاليد البلاد ويمحو مظاهر المساواة والعدل في ارجائها . أو أن هذا الاضطراب الذي قاموا به يروق في عين الانكليز وهو ظن أبلغ في الخطأ من سابقه.

ولئن كانوا بتقرير الكفاءة يستقلون ما في أيديهم من الوظائف فانه اذا كانت نسبة الموظفين منهم في المعارف الى المسلمين ٦ في المئة فان نسبتهم للمسلمين في نظارة الداخلية ٦١ ر ٥٩ في المئة وليست نسبة مرتباتهم لمرتبات المسلمين قليلة في هذه النظارة لان نسبتهم في المرتبات هي ٢٨ ر ٤٠ في المئة مع أن نسبتهم العددية للمسلمين لا تجاوز ٤٣ ر ٦ في المئة وبالنسبة للثروة لا تجاوز ١٠ في المئة كذلك نسبتهم في نظارة الحقانية ١٥ في المئة في عدد الوظائف و٥ ر ١٤ في المئة في المرتبات كذلك في نظارة المالية نسبتهم الى المسلمين ٤٦ في المئة غير الصيارف الذين عددهم ١٨٧٧ مع أن عدد المسلمين منهم لا يتجاوز الخمسين . كما يظهر من الاحصاء التفصيلي المرفق بهذا التقرير

كل من يقرأ هذه النسبة بين عدد الاقباط في مصر وبين الموظفين منهم لا يرى مناصا من الميل الى فكرة القائلين بأن الرئيس القبطي متى حل في مركز الرئاسة تطرف في تطبيق معنى التضامن بينه وبين أبناء دينه فكانت النتيجة أن المصالح التي يكثر فيها الرؤساء الاقباط كالباشكتاب والمراقبين في المالية ورؤساء الحركة والبضائع في السكة الحديد لا تكاد تقبل توظيف المسلمين بها . ولا شك في أن هذه الملاحظة يجب أن تكون درسا للحكومة تستفيد منه كلما همت بتعيين رئيس قبطي في المصالح

ولقد كانت هذه الحال غير مجهولة عند المسلمين ولكنهم كانوا يرون التصريح بها

داعيا الى التفريق بين عنصري الامة المصرية وموطئاً لاتهامهم بالتعصب بوجه ما . ولكن الاقباط قد رفعوا أصواتهم عالية بأنهم مظلومون فيما يتعلق بالتوظيف محرومون من بعض السلطة في الحكومة طالبين الوظائف الرئيسة في الادارة . فلم يبق بعد ذلك معنى لعدم اظهار الحالة السيئة التي سارت عليها المصالح الاميرية الى الآن

مهما كان من الاعتبارات التي تقف في طريق القبطي ليكون حاكما لاقليم سواء كان ذلك من حيث ان في أيدي الاقباط من الوظائف الرئيسية الاخرى مايزيد عن الكفاية أو من حيث أنه لاتوجد مديرية من المديريات ولا مركز من المراكز فيه للاقباط أكثرية أو أقلية كبرى كما يبين من الاحصاء المرفق بهذا التقرير. أو من حيث كون المدير أو المأمور عليه بمقتضى وظيفته واجبات يومية لها مساس عن قرب بالامور الدينية . فان ماسميناه بالافراط في التضامن بين الرئيس القبطي وأبناء دينه قد يكون هو أكبر الموانع في الرضى بجعل القبطي مديراً أو مأموراً . خصوصاً بعد اليوم الذي ظهر فيه أولو الرأي منهم بالعمل لاختصاص الاقباط الاقلين بالسلطة دون المسلمين الاكثرين . فان أول المطلوب في أمر الحاكم أن لايكره المحكومون سلطته عليهم . وقد كان الاهالي بعيدين بعض الشيء عن فكرة التمييز على طريقة ظاهرة معينة بين الموظف القبطي وبين الموظف المسلم . ولكنهم الآن قد شعروا تماماً بأن تسامحهم قلب عليهم تعصباً وانتخابهم للنواب الاقباط دون المسلمين في بعض المراكز لم ينل في نظر الاقباط أي اعتبار من الاعتبارات

وانه ليسر اللجنة أن يجيء اليوم الذي فيه يعم الاقتناع بأن الرئيس القبطي كالرئيس المسلم يسوي بين الناس في عدله وتصرفاته ليكون مصرياً قبل كل شيء .

على هذه الاعتبارات تطلب اللجنة الى المؤتمر أن يقرر بالرضى عن الطريقة المتبعة في تطبيق الكفاءة بالنسبة لحكام الاقاليم والفات نظر الحكومة الى ماهو واقع في بعض المصالح لتضع لذلك حداً يمنع من العبث بالمصالح العامة

٣

وضع نظام لمجالس المديريات يكفل للاقباط تمتعهم بالتعليم الاهلي

أباح القانون لمجالس المديريات ضرب الضرائب على الاطيان بحيث لاتتجاوز الخمسة في المائة من الضريبة الحالية وهذه الضريبة تصرف اما على المشروعات العمومية أو مدارس ابتدائية أو صناعية وزراعية. وهذا لايعارض الاقباط فيه وانما معارضتهم

واردة على ماينفق على الكتاتيب الاولية ومدارس معلمي الكتاتيب . ولا ندري وجه هذا الاعتراض وهم يعترفون أنه لامانع في قانون مجالس المديريات يمنع من قبول التلاميذ الاقباط في الكتاتيب الا ان يكون الاعتراض بأن هذه الكتاتيب لا تعلم الدين المسيحي

ان الجزء الاعظم من الكتاتيب التي تديرها مجالس المديريات الى الآن والكتاتيب التي تعينها نظارة المعارف انما هي كتاتيب بناها المسلمون وأجروا عليها الاوقاف تعبداً ليتعلم فيها صبيان القرى القراءة والكتابة والقرآن وطرفا من الحساب . وليس في البلاد قانون يمنع صبيان الاقباط من التعلم فيها . وأما مدارس معلمي الكتاتيب فانها تضم جماعة من الفقهاء يتعلمون شيئاً من أصول التربية وأطرافاً من مقدمات العلوم ليكونوا بعد ذلك معلمين للقرآن وغيره في تلك الكتاتيب . فالقبطي لا يجيد تعلم القرآن ليعلمه لابناء المسلمين لذلك صار من غير الموافق أن يكون في هذه المدارس أقباط ولا غبن في ذلك عليهم لان العرفاء الاقباط يتعلمون في الاديرة وما شاكلها ليعلموا الدين في الكتاتيب القبطية

فان كان الغرض جعل الدين المسيحي والدين الاسلامي يعلمان في مكاتب القرى فذلك غير مستطاع ولا مأمون النتيجة لان أصول التعليم في تلك الكتاتيب لا تزال الى الآن دينية بحتة . لذلك لايصح الاستشهاد بتخصيص حصة آخر النهار في المدارس الاميرية لتعليم الدين الاسلامي أو الدين المسيحي لان هذه المدارس ليس طابعها في التعليم كطابع الكتاتيب الدينية التي معظم مافيها من التعليم هو تعليم القرآن كما أن الاستشهاد بعمل مديرية القليوبية غير صحيح لانها لم تعلم الدين المسيحي في الكتاتيب الاسلامية بل في المدارس الابتدائية جريا على نظام نظارة المعارف . وأما الكتاتيب فانها اسلامية الا في ثلاث قرى وجد فيها عدد من الاقباط يسمح بانشاء كتاب مسيحي في كل منها . فانشئ في كل قرية منها كتاب مسيحي صرف . وتلك هي أفضل طريقة للتعليم الاولي

وعلى هذا فالشكوى من نظام مجالس المديريات فيما يتعلق بالتعليم أقرب الى أن تأخذ صورة التجني من أن تأخذ صورة الشكوى الجدية . والدليل على ذلك أعمال مجالس المديريات الى الآن :

وان اللجنة في هذا المقام لايسعها الا أن تظهر عدم الرضى عن الخطة التي اختطها بعض مجالس المديريات لتعليم الدين المسيحي في الكتاتيب الاسلامية لان ذلك خلط في الانماط التعليمية لا يكون من ورائها الا نتيجة سيئة . وهي ايجاد متسع للمناقشات

الدينية في هذه الاوساط التي لايزال يغلب عليها الجهل . ولكن يسرنا أن هذه الطريقة لم تكن عامة في المديريات جميعها وربما تظهر التجربة فساد الرأي ويرجع مجلس المديرية عنه الى المذهب العام الذي اتخذه معظم المديريات وهو جعل كتاتيب خاصة بالمسلمين وأخرى بالاقباط

(مديرية القليوبية) – عدد سكانها ٤٣٣٥٤٦ منهم ٨٧٠٣ أقباطاً ومجموع ضريبة الخمسة في المائة هو مبلغ ١٣٨٦٨ جنيها يدفع الاقباط منها ٦٨٩ جنيها وحظهم في التعليم أضعاف مايستحقون بنسبة مايدفعون من الضريبة فان مجلس المديرية عنده مدرستان ابتدائيتان في بنها احداهما للبنين وبها ١٨٢ تلميذاً منهم ٤٧ أقباطاً وميزانيتها السنوية ٩٠٠ جنيها والثانية للبنات وبها ١١٥ تلميذة منهن ٣٥ قبطية وميزانيتها السنوية ٥٠٠ جنيه – وتعليم الدين في هاتين المدرستين في الحصة الاخيرة من النهار متى جاءت تلقى كل فريق التعليم الديني في غرفة خاصة . وسيكون للاقباط ذلك الحظ أيضاً في الثلاث المدارس الابتدائية المقرر انشاؤها في مراكز المديرية فاذا كان متوسط مايصرف على المدرسة الواحدة ٨٠٠ جنيه في السنة وكان الاقباط على نسبة الثلث في كل مدرسة كما هو الان في المدرستين الموجودتين كان مقدار مايصرف على الاقباط في ميزانية مجلس مديرية القليوبية هو الف جنيه سنوياً

أما الكتاتيب فان المجلس قد قرر بشأنها أن تبقى كما كانت مفتوحة الابواب للمسلمين وغيرهم في جميع القرى . ومما يستحق الذكر أن المجلس ضم اليه كتابين قبطيين ليديرهما وقرر انشاء كتاب قبطي صرف في احدى القرى وتبلغ نفقات انشائه ٣٠٠ جنيه وتبلغ نفقات الثلاثة الكتاتيب ٢١٠ جنيهات سنوياً فهل يمكن أن يقول الاقباط انهم مظلومون في ضريبة الخمسة في المئة في هذه المديرية ؟

(مديرية الشرقية) – لم يبتدئ مجلس هذه المديرية فعلا في أمر التعليم بل كل أعماله تجهيزية ولم يظهر له طريقة اتبعها في ذلك يمكن لاحد أن يأخذ عليه أو يشكو منها.

(مديرية الدقهلية) – قرر مجلسها أن القرى التي يقل فيها عدد الاقباط يقبل أبناؤهم في الكتاتيب الموجودة بها وأما في التي يحتمل عددهم فيها انشاء كتاب قبطي فالمجلس مستعد لانشائه – وقد قرر هذا المجلس منح مدرسة قبطية للبنات اعانة سنوية وصرفها لها فعلا من سنة ١٩١٠ – وقرر المجلس أيضاً انشاء كتاب لتعليم أبناء الاقباط في صهرجت الكبرى وسينفذ القرار في هذا العام . أما في غير التعليم الاولي فالاقباط والمسلمون سواء

(مديرية الغربية) – لم يشرع المجلس حتى الآن في اتخاذ طريقة للتعليم ولكن المجلس عند مايقرر الاعانات في المعاهد الاهلية لابد أن يعامل كتاتيب الاقباط وكتاتيب المسلمين على السواء

(مديرية المنوفية) – لم تنته المدارس والكتاتيب التي قرر المجلس انشاءها وطلبات اعانة المدارس القبطية تحت نظر المجلس

(مديرية البحيرة) – كذلك في هذه المديرية تصرف الاعانات لجميع الكتاتيب على السواء ، وأما المدارس الابتدائيه فمفتوحة للاقباط والمسلمين بحسب بروجرام نظارة المعارف . ويوجد الآن في مدرسة شبراخيت ٢٦ تلميذاً قبطياً منهم ٥ مجانا. ومجموع تلامذة المدرسه ٢٠٨ وكذلك في مدرسة المحمودية ١٢ قبطياً منهم اثنان مجانا وعدد جميع التلاميذ ٢٠٥ – ويلاحظ هنا أن نسبة الاقباط للمسلمين في هذه المديرية هي ١ وثلاثة أعشار في المئة

(مديرية الجيزة) – قرر المجلس أن دروس القرآن بعد الظهر وأما قبل الظهر فالتعليم العام في الكتاتيب للمسلمين وغير المسلمين وقد قرر هذا المجلس في ٣٧ يوليو سنة ٩١٠ أنه اذا بلغ عدد الاقباط في الكتاتيب ٣٦ تلميذاً يعين لهم المجلس معلما يلقنهم الدين المسيحي في الوقت الذي يتلقى فيه المسلمون دروس القرآن .

(مديرية بني سويف) – المعاهد التابعة للمجلس هي مدرسة بني سويف الصناعية وتلامذتها من المسلمين والاقباط وتقرر انشاء مدرستين ابتدائيتين أخريين سيكون الحال فيهما كذلك وقد تقدمت طلبات اعانة من الجمعية الخيرية القبطية والمدرسة الانجليزية والمدرسة الطليانية والمجلس ينظر في تقديم الاعانة اليها جميعا

(مديرية الفيوم) – في مدرسة الصنائع وفي مدرسة البنات الامر سائر على ماهو عليه في غيرها ، وأما التعليم الاولي فقد قرر المجلس انشاء كتاتيب للاقباط يعلم فيها الديني المسيحي في القرى التي يسمح عددهم فيها بذلك ، وقرر أيضاً أنه متى كان عدد التلامذة الاقباط في الكتاتيب الاسلامية يسمح بوجود معلم للديانة المسيحية يعين المجلس لهم معلماً دينياً .

(مديرية المنيا) – في هذه المديرية وضعت اللجنة العلمية المبادىء التي تتبع في الكتاتيب وكان من أعضائها عضوان مسيحيان من قبل مطران المنيا وهذه القواعد هي :

(١) ان مواد التعليم في الكتاتيب واحدة وان يعلم في الكتاتيب المسيحية

الكتب الدينية التي اقترحها العضوان المسيحيان ويخصص لها الحصص المخصصة في الكتاتيب الاسلامية لتعليم الديانة والقرآن ، وللكتاتيب المسيحية الحق في تغيير تلك الكتب بشرط تصديق اللجنة العلمية وبلغ هذا القرار لسيادة مطران المنيا ومطران بني سويف

(٢) ان تكون الكتاتيب مفتوحة الابواب لجميع التلامذة بصرف النظر عن اختلاف دينهم

(مديرية أسيوط) — قرر مجلس هذه المديرية ادارة ٧٩ كتاباً منها ٩ كتاتيب للاقباط يتولى المجلس الصرف عليها جميعها بلا استثناء ويكون التعليم فيها جميعاً مجاناً وأما الثلاث مدارس الابتدائية فهي مفتوحة الابواب للجميع وفي هذه المدارس الثلاث ٢٠ في المئة من الاقباط والاقباط فيها يعلمون دينهم كالمسلمين على السواء

أما المعاهد العلمية فقد خصص لها المجلس إعانة ٢٠٠٠ جنيه في السنة تأخذ المعاهد القبطية منها حظها

(مديرية جرجا) — يدير المجلس اربع مدارس ابتدائية للصبيان وفيها ٤١٠ تلميذاً منهم ١٨٨ أقباطاً فيكون نسبتهم للمسلمين هما ٢٤ وثلاثة أرباع في المئة مع أن نسبة مايدفعه الاقباط من الضرائب في المديرية هي ٢٠ في المائة وهذه المدارس قد بنيت على نفقة المسلمين خاصة وقد انشأ المجلس مدرسة للبنات فيها ٧٠ تلميذة منهن ١٤ قبطية ، وقد تنازل المسلمون للمجلس عن ٢٩ كتاباً ولم يتنازل له الاقباط عن شيء وقد أدارها المجلس وفتح أبوابها للمسلمين والاقباط على السواء وفيها الآن عدد غير قليل من الاقباط ، وقد أوجد المجلس دروساً خصوصية في مراكز المديرية لارشاد معلمي الكتاتيب وتلقي هذه الدروس مباح للمعلمين المسلمين والمعلمين الاقباط على السواء أما فيما يتعلق بتعليم الدين فقد اتبع فيه المجلس طريقة نظارة المعارف في مدارسها ، وأما في الكتاتيب فما ينشئه المجلس منها للاقباط خاصة يعلم فيها الدين المسيحي

(مديرية قنا) — اتبع مجلس هذه المديرية في غير التعليم الاولي الطريقة المتبعة في المديريات الاخرى ، أما في التعليم الاولي فالكتاتيب مفتوحة لابناء الاقباط وفي القرى التي يكثر فيها عددهم قرر المجلس انشاء كتاتيب خاصة بهم وتقرر فعلا بناء أربعة كتاتيب مسيحية في جهات مختلفة : وبروجرامها هو بروجرام الكتاتيب الاسلامية مع ابدال دروس القرآن بدروس الديانة المسيحية حسبما يقرره رؤساء الديانة

(مديرية اسوان) — لم ينشئ المجلس كتاتيب الى الآن في هذه المديرية لا للمسلمين

ولا للاقباط ، وفي غير التعليم الاولي الامر على ما هو عليه في المديريات الاخرى

هذا هو بالاجمال طرف من الواقع في مجالس المديريات نعرضه على المؤتمر ليرى ما اذا كان هناك محل للشكوى من تصرف هذه المجالس وهل هناك حاجة لوضع نظام جديد يكفل تعليم ابناء الاقباط أكثر من النظام الذي اتخذته هذه المجالس وهي لم تكد تخطو خطوة صحيحة بعد في سبيل التعليم لجدتها

ومن الضروري أن نلفت النظر في هذا المقام الى حالة التعليم في نظارة المعارف بالنسبة للاقباط وان لم تكن موضعاً للشكوى ولكنها كان من شأنها أن تجعل اخواننا الاقباط راضين بحالهم من غير أن يتعرضوا الى الالحاح في قسمة ضريبة الخمسة في المئة بين المسلمين وبين الاقباط ، تلك الضريبة التي ظهر أن ليس لهم حق في الشكوى من طريقة توزيعها والتي إن لم يأخذوا أكثر من حقهم فيها فلن يغبنوا قياساً على حالهم في المرافق المصرية الاخرى ولو انتظروا الى أن تملك مجالس المديريات خطة سيرها النهائي لكانوا احسنوا صنعاً .

* *

يوجد في المدارس الابتدائية لنظارة المعارف ٦٦٣٩ تلميذاً من المسلمين يقابلهم ١٣٤٨ من الاقباط فتكون نسبة الاقباط للمسلمين في التعليم الابتدائي ١٧ في المئة وفي المدارس الابتدائية للبنات ٤٩٣ مسلمة معهن أربع قبطيات فقط فتكون النسبة ٩ر٢ في المئة وأما المدارس الثانوية فعدد تلامذتها ١٦٢٨ والاقباط ٥٤١ فيكون نسبة الاقباط الى المسلمين في هذا النوع ٦ر٢٤ في المئة — وأما في المدارس الخصوصية كمدرسة الزراعة ومدرسة الفنون والصنائع ومدرسة الصناعة بالمنصورة ... الخ فان نسبة عدد الاقباط للمسلمين هي ٦٢ر٢ في المئة . أما في المدارس العالية فان متوسط نسبة الاقباط الى المسلمين في هذا النوع من التعليم هو ٢ ر ٢٩ في المئة . وعلى ذلك يكون متوسط نسبة التلامذة الاقباط الى المسلمين في نظارة المعارف ٢٦ر١٧ في المئة فاين تلك الحقوق المهضومة للاقلية حتى يمكنها التصدي للدفاع عنها بالطرق المختلفة

نزيد على ذلك أن من ميزانية نظارة المعارف مبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه مسمى ايراد المكاتب الاهلية ، وهذا الايراد هو ربع أوقاف اسلامية أهمها اثنان أحدهما . وقفه المرحوم اسماعيل باشا الخديو الاسبق وقدره ٢١٩١٨ فداناً ليصرف ريعه على ما تحتاجه المكاتب الاهلية . والثاني وقفه المرحوم توفيق باشا الخديو السابق وهو أملاك في القاهرة نصف للمكاتب والنصف للمساجد وهذان الوقفان اسلاميان يجب صرفهما

كشرط الواقفين على المكاتب الاسلامية . ولكن هذا الريع يصرف الآن على عشرين مدرسة تابعة لنظارة المعارف سميت مدارس المكاتب الاهلية وعدد تلامذتها ٤٥٠٥ منهم ٣٥٥١ مسلماً و٨٦٧ قبطياً و٨٧ من ديانات أخرى فيكون التلامذة الاقباط ينتفعون من الوقف الاسلامي الصرف بربع ريعه تقريباً ، ولم يقل المسلمون في ذلك شيئا

زد على ذلك ان كتاتيب أوقاف المسلمين يصرف عليها من ديوان الاوقاف سنوياً ١٦٥٠٠ جنيه وفيها من الاقباط عدد غير قليل ، وكذلك الكتاتيب التي تعينها الحكومة يصرف عليها من ميزانية الحكومة ٢٣٠٠٠ جنيه في السنة وفيها ٣٢٣٩ تلميذا من الاقباط

يبين من هذا الاحصاء المختصر ان حال الاقباط في التعليم سواء كان أوليا أو غير أولي هي حالة يغبطون عليها . فلا يغلو الذي يقول ان هذا المطلب أشبه بالتجني منه بالشكوى الصحيحة

كان العدل أحق أن يتبع لانه خير واسطة للرضي بين العناصر المؤلفة للامة ولقد يكون التسامح من أنفع وسائط التوفيق بشرط أن يعترف بأنه تسامح وأن لا يشعر بأنه غفلة أو استكانة لانه في هذه الحالة يكون عظيم الضرر على المصلحة وعلى أخلاق العنصرين جميعا

العدل يقضي بأنه اذا حق للاقلية الدينية أن تطلب أن يصرف على أبنائها في الكتاتيب بنسبة ما تدفعه من ضريبة الخمسة في المئة مع أن مجالس المديريات لم تملك بعد ميزان خطتها التعليمية ، فقد حق للاكثرية أن تطلب تعليم أبنائها من نظارة المعارف العمومية على نسبة ما يخص الاكثرية من الميزانية العمومية

العدل يقضي بأن نسبة التلامذة الاقباط في المدارس الاميرية لا يجوز أن تزيد على نسبة ما يدفعه الاقباط من الاموال الاميرية

قد تلاقي هذه الفكرة بادئ بدء غضاضة على النفوس لانها تنتج حرمان شخص يريد التعلم من أن يتعلم بحجة أنه قبطي ، ولكن الذي يقدر الاشياء تقديراً صحيحاً لا يلبث أن يقتنع بأن هذه القاعدة بعيدة عن الانتقاد سليمة من الجور

نعم هي فكرة بعيدة عن الانتقاد لان أبناء المسلمين يريدون أن يتعلموا كما يريد أبناء الاقباط أن يتعلموا ولا يمكن ايجاد توفيق عادل بين الارادتين الا بقبول الطرفين كل على نسبة ما يدفعه لخزينة المعارف من النقود والا فان الأقباط يدفعون

من الاموال الاميرية على نسبة العشر مما تدفعه الاكثرية فيكون كل ما زاد عن ١٠ في المئة من التلاميذ الاقباط يتعلم مجانا على مصاريف الاكثرية في حين أن أبناءهم أنفسهم محرومون من التعليم الذي يسعون اليه

حقيقة كان ينبغي للاكثرية من باب اكثار عدد المتعلمين أيا كان أن يتعلم أبناء الاقلية في مدارس الحكومة مجانا على مصاريفها - كان ينبغي ذلك لو أن المدارس تقبل عدداً غير محدود فأما وتلامذة التعليم الابتدائي وتلامذة التعليم الثانوي بل تلامذة التعليم العالي كلهم يقفون على أبواب المدارس وفي أيديهم المصاريف المدرسية فترتج أمامهم أبوابها لان المدرسة قد استوفت العدد المقرر لها بل العدد الذي تسعه بالفعل ولا تسع غيره ، أما والحال كذلك فتكون الاكثرية محقة فيما اذا طلبت أن لا يزيد عدد التلامذة الاقباط في مدارس الحكومة عن العشر

ذلك هو العدل ومؤتمر أسيوط يقول ان العدل أحسن الطرائق لحسن التفاهم واستدامة المودة بين العنصرين

فاذا كان العدل داعياً للتوفيق فان التسامح أدعى اليه .وقد ثبت جليا أن الاقباط يأخذون بتسامح المسلمين من ضريبة الخمسة في المئة أكثر من حقوقهم لذلك يكون الطلب المتعلق بتلك الضريبة باطلا ولا محل له

٤ - وضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصري في المجالس النيابية

حتى هذا المطلب فانه على جماله قد كسي هو أيضاً ثوباً من التعرض شوه جماله وحوله عن مركزه العالي وطبعه بطابع بقية المطالب الاخرى. يتلخص هذا المطلب في أن الاقلية الدينية غير ممثلة تمثيلا كافياً في الهيئات النيابية لان أفرادها أشتات في المراكز والمديريات المختلفة فيراد تعديل قانون الانتخاب بكيفية تمكن الاقباط من أن يمثلوا في الهيئات النيابية في مصر

والواقع أن قانون الانتخاب على صورته الحالية لا يستطيع أن يمثل جميع أجزاء الامة في المجالس النيابية ، ونعني باجزاء الامة أجزاءها السياسية لا الدينية ، فان من الاقباط في كل حزب من الاحزاب المصرية التي يمثل كل منها خطة خاصة وان كانت تلك الخطة كثيرة التقارب بعضها من بعض الا أن بينها مع ذلك من الفوارق ما يجعلها متغايرة نوعاً ما فاذا كان المراد تقليد قانون الانتخاب البلجيكي وجب أن لا تكون

الاقليات المختلفة أقليات دينية بل أقليات سياسية كما هو الحاصل في تلك البلاد .

يقولون في ذلك قولا يدل بظاهره على التودد للمسلمين والتقرب منهم ولكنه يشف دائما عن شبه انذار بأنه ان لم توافق الاكثرية على منح الاقلية الدينية نظاما يكفل لها تمثيلها في المجالس النيابية كان الاخاء المصري لفظا لا معنى له والمساواة معنى معطلا من كل نتيجة عملية

على أن الذي يريد الاخاء الحقيقي والمساواة الكاملة بحسب الامكان لا ينبغي له أن يدعو الى بناء كيان سياسي للاقلية الدينية بل يجب عليه أن يمحو الفروق الدينية بالمرة من الاعتبارات السياسية ويدعو المسلمين لانتخاب الكفء ولو قبطياً والاقباط لانتخاب الكفء ولو مسلماً وان يمزج المصالح المشتركة بين المسلمين وبين الاقباط حتى لا يشعر أحدهم في الاعمال العامة بمخالفة جاره اياه في دينه ولا يحاول جمع الاقباط في صعيد واحد لتكون لهم دائرة انتخاب بعينها لان هذا يدل دلالة واضحة على أن الاقباط لا يستريحون ولا يصدقون بالاخاء والمساواة الا اذا مكنوا من انتخاب أقباط مثلهم وذلك بالضرورة قسمة والقسمة تنافي الوحدة . وذلك تفريق للعناصر الدينية المختلفة وتعليم لها على أن تجمد على اعتبار الاعتقاد الديني فارقا قوميا يرجح على المصلحة العامة ، ذلك تنبيه الى أن المسلم من شأنه ان لا يدافع عن مصلحة القبطي والقبطي من شأنه أن لا يدافع عن مصلحة المسلم، ان سلوك مثل هذا الطريق لا يتفق مطلقاً مع ما يقولون به من المساواة وماينادون به من أن الاقباط مصريون قبل كل شيء

لو أن طائفة المتعلمين في البلد أو بعض بطون هذه الطائفة المتعلمة كالمحامين أو المهندسين أو الاطباء أو المعلمين الخ . أو ان حزبا من الاحزاب السياسية ذا مبادئ معروفة وخطة مرسومة قام فأظهر ان مبادئه ليست ممثلة في الهيئات النيابية وطلب تعديل قانون الانتخاب لكان ذلك واضحا مفهوما. ولكن أقلية دينية تقول بالمساواة وتظهر بالسعي في محو الفروق بين أفراد الامة تجيء في الوقت عينه تصرح بأن لها حقوقا تنافي حقوق الامة وانها لا بد لها من أن تعتبر نفسها أقلية سياسية كالاقليات السياسية البلجيكية لتجعل انتخابها في معزل عن انتخابات المسلمين لانها لا تأمن المسلمين على مصالحها في الهيئات النيابية ، وما أجدر الذي يطلب هذا الطلب الا بأن يقول نحن الاقباط أقلية دينية كلنا على مذهب واحد في السياسة يخالف مذهب الامة المتعصبة علينا فحفظ وجودنا السياسي يقتضي أن تكون لنا دوائر انتخاب خاصة .

والذي يقول ذلك يجب عليه أن يعترف بأنه يرمي الى أن تصير أقليته يوما من الايام أكثرية تحوز في يدها السلطة على البلاد . وذلك هو الامل الذي تعيش به كل اقلية من الأقليات السياسية . ولكن لا يستطيع الاقباط بوصف أنهم أقلية دينية أن يصبحوا أكثرية سياسية ما داموا يمزجون الدين بالسياسة وما دام برنامجهم أنهم أقباط قبل كل شيء

اذن يجب علينا أن نصرح بأن هذا المطلب خطأ في أصله ولكن مسئولية الخطأ واقعة على الحكومة كما بينا سابقاً لانها تركت الناس يفهمون أنها تحفظ للاقلية الدينية مراكز سياسية للدفاع عن مصالحها فاما لو كانت تنتخب ما تراه هي كفؤا لاي كرسي يخلو في مجلس شورى القوانين من غير نظر الى أقلية دينية فمرة يصيب الانتخاب قبطياً ومرة يصيب مسلماً وحينا يكون في المجلس خمسة من الاقباط أو ستة وأحياناً لا يكون ولا واحد . لو كانت الحكومة جرت على هذا المبدإ في مجلس الشورى لما وقع الاقباط في هذا الخطأ العظيم ولما ظنوا ان أقليتهم الدينية يمكن أن تعتبر أقلية سياسية . ولكن ذلك كان

ومع هذا كله فهل يمكن للاقباط أن يشكوا من معاملة المسلمين اياهم في الانتخابات العمومية ؟

انتخب أحد الاقباط في مركز قليوب ونال الانتخاب ضداً كبر أعيانها المسلمين وهو الوكيل الدائم لمجلس شورى القوانين وما انتخبه الا المسلمون

انتخب كذلك بمركز السنطة أحد الاقباط وكل منتخبيه من المسلمين

انتخب أحد الاقباط نائباً عن مركز الصف وعدد مندوبي الانتخاب في هذا المركز أربعون مندوبا ليس منهم أقباط الا أربعة

انتخب أحد الاقباط نائبا عن مركز بني مزار وعدد مندوبيه ٥٠ وليس منهم أقباط الا خمسة

انتخب أحد الاقباط نائبا عن مركز الفشن وعدد مندوبيه ٣٦ وليس منهم أقباط الا أربعة

أنتخب أحد الاقباط نائباً عن مركز ديروط وعدد مندوبيه ٥٨ منهم خمسة أقباط فقط

أنتخب أحد الاقباط نائباً عن مركز أبوتيج وعدد مندوبيه ٣٧ منهم ستة أقباط فقط

كذلك انتخب قبطي نائباً في الجمعية العمومية عن مديرية الجيزة وليس لها الا نائبان فقط

أحدهما مسلم والآخر قبطي مع أن عدد مندوبي الانتخاب في المديرية ١٧٣ ليس فيهم الا قبطيان

كذلك انتخبت مديرية المنيا عنها نائبين للجمعية العمومية أحدهما مسلم والثاني قبطي مع ان مجموع مندوبي الانتخاب في المديرية هو ٢٧٣ منهم ٢٤ قبطياً فقط

أمام هذه الاحصائية يجب أن يدرك اخواننا الاقباط ونخص منهم الشبان أن علاقات المودة والثقة لا يمكن أن تجد مظهرا أوضح من هذا المظهر لاقناع كل منصف أن المسلمين لا يقيمون وزنا لاختلاف العقائد الدينية فيما يتعلق بالانتخاب فأية مصلحة من مصالحهم قد ضحيت أكثر مما تضحى مصالح المسلمين بالطريقة الحاضرة للانتخاب؟

على أن المسلمين في الهيئات النيابية الكبرى ليسوا ممثلين تمثيلا يفوق تمثيل الاقباط. فان الجمعية العمومية فيها ٧٦ عضوا منهم خمسة أقباط أي بنسبة سبعة في المائة وكذلك مجلس شورى القوانين عدد أعضائه ثلاثون منهم ثلاثة أقباط أي ان نسبتهم للمسلمين تساوي ١٠ في المئة على أن نسبتهم لمجموع عدد السكان لا تتجاوز ٦٫٤٣ في المئة

كذلك في المديريات التي يرشح الاقباط فيها أنفسهم للانتخاب فانهم ممثلون فيها تمثيلا فوق نسبتهم العددية فمديرية الجيزة يمثل أقباطها في الجمعية العمومية على نسبة ٥٠ في المئة وفي مجلس المديرية يمثل الاقباط على نسبة ١٠ في المئة مع أن نسبتهم في تلك المديرية ٢ وثلاثة اخماس في المئة من سكان المديرية . كذلك مديرية المنيا أقباطها ممثلون في الجمعية العمومية على نسبة ٥٠ في المئة لان أحد مندوبيها قبطي . وهم ممثلون في مجلس المديرية على نسبة ١٦ وستة أعشار في المئة ونسبتهم الى المسلمين في هذه المديرية هي كذلك ١٦ وتسعة أعشار كذلك في مديرية أسيوط في مجلس مديريتها عضوان من الاقباط أي نسبتهم في المجلس ناقصة نوعا عن نسبتهم العامة لعدد السكان لان المرشحين فيها من الاقباط على ما يظهر أقل حظا من اخوانهم في المديريات الاخرى ويلاحظ على كل حال أن منتخبي هؤلاء النواب هم من المسلمين

على أي جهة قلب هذا المطلب لا يمكن فهم معناه الاعلى انه مظهر للروح العامة المنتشرة في مطالب الاقباط وهي أن مؤتمريهم يرمون الى حيازة السلطة في أيديهم ليرجحوا كفة الاقلية الدينية على كفة الاكثرية في حكم البلاد

لذلك وجريا على قاعدة أن الاقلية الدينية لا يصح أن يكون لها بهذا الوصف امتيازات سياسية خاصة تطلب اللجنة الى المؤتمر أن يقرر بعدم صلاحية هذا المطلب على الحالة التي هو عليها اتقاء لنتائجه المضرة بالوحدة القومية وبأن الحالة الراهنة قاضيه بتعديل قانون الانتخاب بطريقه تتفق مع مقتضيات الحالة الاجتماعية الحاضرة (له بقية)

مختارات

﴿ آراء أديسون في مستقبل البشر السعيد بالصناعة ﴾

لكبراء الرجال نظر بعيد في قياس الآتي على ماقبله وفي سير الاجتماع البشري والعلوم والفنون والاعمال ، وقد يصور أحدهم المستقبل في صور خيالية ، يقول إن حصولها من المحالات العادية ، ثم يقع ماتصوره في زمن بعد زمنه . نقول هذا تمهيدا لنشر مانقلته احدى الجرائد الامريكية من آراء (اديسون) صاحب الاختراعات الكهربائية الشهيرة في مستقبل البشر نقلناه عن جريدة مرآة الغرب العربية التي تصدر في نيويورك قالت ما نصه :

نشرت مجلة كوسمو بوليتان افكاراً منسوبة الى اديسون أمير رجال الاختراع والاجدر بان ندعوها نبوات تتقدم خبرات العلم والصناعة : قال مامعربه

ان الاختراع لايزال حتى اليوم في دور الطفولية وسينمو مع الايام فيبلغ درجة الرجولية فالكمال ورجوليته غير بعيدة فسيرى بنو القرن الآتي الآلات المعدنية مثل الدماغ الصحيح دقة وسرعة وتباريه ادراكاً

ولسوف ينظر الناس ان كل الاصناف المراد نسجها وصنعها توضع أصولها في احد جانبي الآلة فتخرج من الجانب الآخر تامة النسج والصنع وذلك كاصناف الاقمشة والازرار والخيوط والورق فانها تصبح بدلات تامة خارجة في صناديق من ورق معدة للاستعمال

وهكذا قل عن الكتب فانها ستغادر الآلة مجلدة تجليداً متقناً . والقطع الخشبية توضع في الطرف الواحد قطعاً متفرقة فتظهر من الطرف الآخر رياشاً ومفروشات كالكراسي والمقاعد والمناضد وهلم جرا

ومن نبوات اديسون ان الاكثار من معدات القتال سينتهي اما الى ثورة عمومية او الى سلام شامل وقد يحدث قبل صحة هذه النبوة حرب واحدة أو أكثر

ان كل حكومة لاتبالي بمراعاة السنة الطبيعية القادمة تسقط بايدي شعبها الذي

تحكمه . ويعني اديسون بتلك المراعاة اعتبار مجلس الهاغ السلمي محكمة الكون العليا.

ونظر اديسون أيضاً الى المستقبل نظرة سياسية وصناعية فقال معتقداً ان نزاعاً صناعياً هائلا سيظهر للوجود فيهدد كثيرين من ملوك الارض وعظمائها ويقلق مراكزهم وهو الآن بارز النواجذ في أوربا وسيمر بعد عشر سنوات مقابل (صندي هوك) فمدخل ميناء نيويورك ليحل في هذه البلاد

وسوف لا يعود من أثر للفاقة بعد انقضاء مئة سنة منذ الآن حتى لا يعود من الممكن تحديد رخص المصنوعات بين ضرورية وكمالية لشعوب الارض

وان طوفاناً صناعياً غامراً لمحمول على قوادم الايام القادمة فلينتظره الناس وينعموا به وهو على فخامة جوهره رخيص القيمة زهيدها

أنى للانسان أن يتصور استمرار الفقر ودوام سلطانه ؟ ان الفاقة انما رافقت الشعوب التي كانت تستخدم أيديها في كل أعمالها وحينما يكن العمل قاصراً على الايدي تكن المشاق والمتاعب والاعواز موفورة اما وقد ابتدأ الانسان باستخدام دماغه فالفقر يتلاشى ويبيد . ان الشيء الذي عرفنا كيفية التمسك باطرافه اليوم هو ما يجب ان نعرف كل دقائقه غداً وان نحن الآن الا موالون للدرس تعلماً وتمكناً من استخدام قوى الطبيعة . وعند ما تمكن من معرفة كل تلك الدقائق يصبح لنا المقدرة على تغيير شكل الوجود . والانقلابات العظيمة والفخمة عن قريب تقرع الابواب . وهي التي لا نستطيع الآن تخيلها الا في الاحلام . سيفجر المخترعون على العالمين ينابيع الثروة والاسعاد ولكن على الشعوب يتوقف حفظ الحكومات ومقامها ضناً بالاثراء والهناء العموميين

ومن معتقدات اديسون ان سيصبح للرجل العامل في المستقبل القريب ارادة غير اعتيادية بحيث يشير الى حكومة انكلترا آمراً بالهدوء فتصدع باشارته ويطالبها ان تقوم بخدمته فلا تتردد بالامر. وقد بنى اديسون هذه الاعتقادات تصوراً بان قد يطرأ على قوانين الدول وجدران كيانها بعض التشقق والتغيير فلا تعود تقوى على النشاط لدى رجل العمل بل يصبح للاخير سلطة على تقويض أركان أية حكومة يأنس منها امتناعاً عن خدمته العملية

ويعتقد اديسون ان المدنية الحالية يجب تحويرها أيضاً وتصليح قواعدها لانها ليست أهلا لتواجه بها الامم أيام الاثراء المقبلة وينتظر أيضاً ان سيبدأ بتمثيل هذه الرواية مع حكومات الشعوب في اثناء الخمسين سنة الآتية اه بحروفه

بيان أمير الألاي صادق بك

(في الدستور والجيش والسياسة العثمانية)

(والماسونية والاتحاد والترقي)

نشرنا في الجزء الماضي مقالا ذكرنا فيه بعض ما علمناه في الاستانة عن هذا الرجل العظيم فنقله المقطم الا قليلا منه والمؤيد برمته وعدته بعض الجرائد الافرنجية من احسن ما كتب في بابه . ثم جاءتنا جرائد الاستانة بمقال لصادق بك نفسه يدل على صدق قولنا ورأينا فيه وفي أحوال الدولة ، ونشرت ترجمته في بعض الجرائد المصرية فرأينا أن ننقله عن المؤيد بتنقيح لفظي قليل وهو هذا :

ألجأني الضرورات الى ترك السكوت الذي حاولت ان ألتزمه حتى الآن

أنا جندي . ولذلك أربأ بقلمي عن زخرف القول والتفنن في ابداء الرأي والذي دفعني الى كتابة هذا البيان الصادق رغبتي بقطع الاقاويل المبنية على اشاعات مؤسفة تتعلق بشخصي مباشرة وليس بينها وبين الحقيقة صلة أو شبه صلة .

لا أبحث هنا في مكانتي من انقلاب ١٠ تموز (٢٣ يوليو) وحسبي أن أقول ان العثمانية لا تحيا الا بالدستور ولا ترتقي ارتقاء صحيحاً الا بالاتحاد ، وإن اليوم الذي يعلن فيه افلاس الدستور هو الذي تقبر فيه العثمانية ، وإن العامل الادبي الذي دفعني قبل الدستور الى الدستور هو العامل الذي يدفعني اليوم الى حبه لغير ما غرض ولا فائدة ، وإن قوام العثمانية الناهضة منوط بفكرة الاتحاد والترقي السامية وبالجمعية التي تمثل هذه الفكرة تمثيلا أدبيا . ومن الواجب على العناصر التي اضعف الاستبداد حياتها أن تتمسك أكثر من غيرها بهذا النظام وتنزله منها بمنزلة الروح . ومن الواجب على الجمعية أن ترتقي في دائرة النواميس الطبيعية بأن تكون جمعية العثمانيين من غير تفريق بين أجناسهم وأديانهم ، ومادام في أندية الجمعية وفي لجانها المركزية رجال رسميون فالجمعية تكون بمنزلة حكومة ثانية وفي ذلك ما فيه من الضرر وقطع الامل من المستقبل .

يجب على الجيش العثماني أن يكون في معزل عن المناقشات الشخصية ومنافساتها وما يتولد عن ذلك من المذاهب السياسية . وأن يكون للجيش مكان فوق الاحزاب يمثل الصلة

الجامعة بين العثمانيين ليكون محترما من الجميع، وبتعبير آخر يجب أن لا يكون الجيش مرتبطا بحياة وسياسة أشخاص معينين بل بحياة الدستور الاساسية وهكذا يجب دائما أن يكون

ان فكرة الاتحاد والترقي هي روح الجيش كما هي روح السلطنة والضامن لتحقيق هذه الفكرة السامية هو الجيش العثماني الذي هو أشد جيوش الارض ميلا الى الديمقراطية (او قال تمثيلا للديمقراطية أي حكم الامة لنفسها)

الجيش مُظاهر لجميع العوامل الفكرية التي لها مساس بفكرة الاتحاد والترقي مظاهرة مطلقة لا شرط لها ولا قيد . كذلك أنا أعتقد بصفتي واحداً من هذا الجيش وبصفتي فردا تهمه عثمانيته

لم يكن الانقلاب العثماني نتيجة لجهاد دهاة كبار يمثلون الحياة الفكرية في السلطنة كما هي الحال في غاريباري وكافور وأمثالهما . وانما كان انقلابنا ثمرة قوة كبيرة تجمعت من قوى رجال صغار اجتهدوا في احداث هذا الانقلاب . وكان عهدنا بهؤلاء المجددين الصغار أن يبلغوا أمانيهم بسرعة وسهولة اذا هم لم ينقصوا من قوتهم .

يزعم نفر منا أنهم يمثلون قوة الانقلاب بأشخاصهم . ولكن ما أشبه هذا بحال بولونيا في وقت احتضارها . ومتى ظهرت قوة الاشخاص في مجموع الحكومة ظهرت معها عوارض الفوضى في السلطنة . وما التبدلات الاخيرة (١ التي كانت نتيجة فعلية لأقوال طلعت بك في مأدبة (بكقوز) الا أساس الاصلاح المطلوب . ولما كان كاتب هذه السطور من الضباط الذين شغلتهم واجبات الدستور بشؤون السياسة كنت أنظر بعين الاهتمام الى الجيش وضرر هذه الصلة التي يمت بها الى الجمعية منذ زمن طويل . ظهرت العثمانية اليوم بمظهر أمة عسكرية قبل كل شيء . ولذلك كانت مسألة الجيش في العثمانية المؤلفة من عناصر مختلفة هي المسألة الحيوية . وسيكون اتحاد العناصر أول ثمرة لفكرة الاتحاد والترقي . على ان هذه الثمرة لا يمكن أن تلائمها جامعة الشخصيات في وقت من الاوقات لان الاشخاص معرضون للانتقاد والمؤاخذة بحسب نتائج أعمالهم مهما كانوا من ذوي النية الصالحة وهم أيضاً مهددون بالسقوط السياسي جزاء خطأهم في التدبير وفي الادارة . ونتيجة ذلك أن الجيش اذا كان آلة في يد رجال السياسة أو اعتقد الناس أنه تلك الآلة لا يلبث أن تنفصم عروته

١) يعني الاصلاح الذي اشرنا اليه في مقالة الجزء الماضي

الجامعة ويصبح في جهة الاغراض والتحزبات . « وأقول أيضاً من قبيل الاستطراد ان دور التحزب الذي يمثله ضابط واحد لا يقل ضرره عن دور التحزب الذي يمثله الجيش كله »

وان قيام بعض الضباط بوظيفة مندوب عن الجمعية أو بأي وظيفة أخرى بدون أن يستقيل من الجندية مخل بأخلاق الجيش ومفسد لنظامه

حب الوطن والغيرة القومية هما مصدر شجاعة الجيش المرابط على الحدود للدفاع عن البلاد والمقيم في البلاد للمحافظة على الدستور . ومن هذه الوجهة لا يجوز أبدا أن يكون للجيش العثماني صلة باللجان الماسونية أو غيرها . قد تكون الماسونية نافعة للانسانية ، ولكن ذلك لا يمنع وجوب بقائها في دائرتها الخاصة . وليست مقاومتي للماسونية أكثر من الاجتهاد في منعها من الانتشار في صفوف الجند وأنا احترم كل عامل من العوامل النافعة للانسانية ولكن يجب ان لا يكون لهذه العوامل علاقة بالسياسة . وقد علمتنا التجارب أن أجمل محافل الانسانية عنوانا كانت تجيء نتائج أعمالها معكوسة متى لعبت بها أصبع السياسة ، وان الغرباء ملوني الايدى الذين يتربصون بنا الفرص لا يتأخرون ساعة عن الاستفادة من مواضع الضعف فينا . وخلاصة القول اننا ادركنا الآن كيف يصعب على أناس مثلنا يؤلفون جامعتهم من جديد أن يحلوا مشاكلهم المنزلية ويعيدوا مياه الصفاء الى مجاريها ...

على انه ليس من الصواب في شيء ان نجاري العامة في افكارها من أجل خطة فلسفية ننتصر لها . وإن الذي يفسح المجال للتعصب ويجعل للعامة سلطة الحكم هو الذي يحتفر لهذه السلطنة قبرها ، ومن الواجب على كل ذي رأي سليم أن يجتنب طرق الأبواب التي تروج فيها سلطة العامة ، فبينا يكون المختلفون منهمكين في في اختلافاتهم يتقدم المترقبون للفرص ليستفيدوا من تلك الحال المساعدة لهم بطبيعتها وعندئذ تضيع الغاية وينقلب القصد

إن في مسألتنا الاخيرة وما حام حولها من الاراجيف والسيآت عبرة للمعتبر . وما كان أسهل حل المسألة بالسكون لولا وجود تلك الاراجيف . ومن دواعي السرور أن جماعات الحزب ائتلفت بسرعة وأصبح ائتلافها خطوة في سبيل الارتقاء . وان كل تفرد وسلطة يظهران في بلادنا عن علم أو غير علم لا يأتيان بنتيجة غير القوة الشخصية .

واذا رأى الجيش أن رجال الانقلاب قد ضحوا أنانيتهم واتقوا التفرد والسلطة وكانوا حول مبدأهم اخوانا فهو لا يتردد في القيام بواجباته المادية والادبية نحو وطنه وما ذلك بالأمر العزيز

أنا كتبت (مذكرات) في أسباب استقالتي من وظيفة (مرخص مسؤل) لجمعية الاتحاد والترقي وعن حالة الجمعية الآن وقبل الآن وسأنشر ذلك متى حان حين نشره . والذي أحاوله الآن الاحتجاج على الذين اتهموني - بدون انصاف - باني رجعي ورموني بغير ذلك من التهم ، وبينما أنا أكتب هذه النشرة راجيا فيها منهم باسم سلامة الوطن ان يكفوا عن هذه السفاسف - كنت أحمل بين جنبي نفس جندي صمم على طلب التقاعد من وظيفته (الاحالة على المعاش) وأملي بكل اخواني الضباط الذين لهم صلة فعلية بانقلاب ١٠ تموز (٢٣ يوليو) وامتزجت حياتهم العسكرية بحياتهم السياسية والذين يشتركون باعمال غير أعمالهم العسكرية أن يستقيلوا من الجندية وينصرفوا بعد ذلك للسياسة بالشروط المشروعة أو أن يتركوا كل علاقة بالاعمال السياسية ويتفرغوا لواجباتهم الجندية تمام التفرغ . وفي رأيي أنه قد حل وقت انتباه أصحاب المقامات العالية لتنفيذ هذا القسم من مواد القانون

الاميرالاي

صادق

(المنار) حاصل ما كتبه صادق بك (١) ان الانقلاب الذي نقل الدولة الى الحكم النيابي الدستوري قد كان من عمله وعمل من كان معه من صغار الضباط وأثر فكرة سارية في جماعة من دهماء الناس ولم يكن بتدبير بعض الزعماء والكبراء كغاريبالدي الايطالي

(٢) أن إيهام الناس أن الانقلاب قد أحدثه بعض الزعماء المعينين فيجب أن يكونوا هم كفلاء الدستور واصحاب السلطة هو خطأ وخطر على الدولة

(٣) ان فكرة الاتحاد والترقي (أي المعنى الذى يفهم من هاتين الكلمتين) يجب ان تبث في جميع الامة لانها عنوان لكل ما نحتاج اليه في حياتنا الجديدة وهو ان تتفق الشعوب والاقوام في المملكة العثمانية وتتحد على القيام بما ترتقي كلها به من العلوم والاعمال . ومن الخطأ الضار ان يجعل عنوان الاتحاد والترقي اسما لحزب أو جماعة من الامة يكون منهم كبار الحكام ويكون لهم أندية خاصة يعرفون بها ويمتازون على غيرهم

(٤) يجب ان لا يكون للماسونية عمل في سياسة الدولة العمومية وان لا يدخل فيها ضباط الجيش ولا تنتشر فيه

(٥) يجب ان يكون الجيش بمعزل عن السياسة والتحيز الى فئة معينة من رجال الامة لان كل فئة يجوز أن تخطىء وان يسقطها خطؤها ويخفض مكانتها وحينئذ يتطرق هذا السقوط الى الجيش الذي يمثل شرف جميع الامة ، وان وظيفة الجيش هي حفظ الحدود من العدو الخارج، وحفظ الدستور في الداخل وهي اشرف الوظائف فيجب ان لا يتعداها الى غيرها ، وان يكون دائما هو اكمل المظاهر لفكرة الاتحاد والترقي . وان يكون مظهرا للحقيقة التي تجمع كلمة عناصر الامة وترقيها بعدم تفرقه او تحيزه الى فريق من المتفرقين ، بل يكون فوق الاحزاب والفرق كلها ليكون محترما منها كلها ، وقد وضح هذا المعنى وأصاب في قوله ان تحيز واحد من الضباط الى فئة سياسية ضار كتحزب الجيش كله

(٦) انه يجب على الضباط الذين كان لهم عمل في الانقلاب وعلى غيرهم من الذين يشتركون بأعمال غير أعمالهم العسكرية أن يستقيلوا من الجندية أو يتركوا السياسة ويطلقوها ألبتة كما فعل هو بعزمه على طلب التقاعد حين اضطر الى الاشتغال بالسياسة وكتب هذا البيان

(٧) انه قد حان الوقت في رأيه لتنفيذ مواد القانون المتعلقة بهذه المسألة فعلى اصحاب المقامات العالية في السلطة أن ينفذوه. يعني ان تنفيذه في أول العهد بالانقلاب وهو عسكري محض كان متعذرا أما وقد ثبت مجلس الامة وتكونت الحكومة الجديدة فلم يبق لترك تنفيذه عذر

وروح المقال أن بعض الافراد جعلوا أنفسهم زعماء لجمعية الاتحاد والترقي واحتكروا لانفسهم حماية الدستور وتنفيذه زاعمين انهم هم الذين أحدثوا الانقلاب، وجعلوا الجمعية عصبية لبعض الامة على سائرها ومزجوها بالماسونية وبنوها على قواعدها، وان بعض ضباط الجيش يؤيدونهم وينصرونهم في سياستهم الماسونية وان في هذا خطرا على السلطنة

هذا وإن أغرب اعمال احتكارهم ان يتهم من لم يكن له عمل ولا رأي في الانقلاب مثل صادق بك قطب رحى الانقلاب بأنه رجعي لانه غار على الدستور وعلى السلطنة واراد ان يعارض مثل ذلك المتهم في بيع المصلحة العامة بمنفعته الخاصة ويمنع رهطه من الاستبداد والتفرد بالسلطة ، وهذا عين ما كنا بيناه من قبل (فاعتبروا يا أولي الابصار)

﴿ شيء من مناقب صادق بك منقول من خواطر نيازي ﴾

نشرت جريدة (إقدام) التركية في الآستانة بعد مقالة صادق بك نبذة من كتاب (خواطر نيازي) في صفة صادق بك وعمله في الانقلاب . نذكر ملخصها وهي من حديث كان بينه وبين أحد الاعضاء وكان نيازي قبل ذلك ينفذ الاوامر التي ترد اليه من صادق بك ولا يعرف مصدرها حتى عرفه في ذلك اليوم وتشرف بتقبيل يده ولحيته ، قال

« ان (صادق بك) وحيد بين الوحيدين ، هو صاحب السيف والقلم ، وهو الكاتب لأهم البيانات والاوامر والمصور لأهم التدابير (في أمر الانقلاب) . ان الاعضاء المبجلين في هيئة الادارة الذين عاشرتهم مدة طويلة يجتهدون بالآراء الصائبة الصادرة من آثار كرامات البك المومإ اليه . ان هذا الرجل المحترم شخصه جدا عند الهيئة المركزية في مناستر قد سخر الافكار العامة بكمال درايته وبأخلاقه . وكان يجذب الميول وانواع الشعور العمومية دائما الى نقطة واحدة ويسوقها الى اخلاص لا يطالب بمكافأة . أما حبيب بك ونجري بك وضيابك والمصور ابراهيم شاكرافندي فلم يتأخروا عن الامتثال (لصادق بك) المتواضع الذي كان في زمن الاضطراب تمثالا مجسما للشجاعة وكان كالاسد المتهيج . هؤلاء الاربعة كانوا يضعون تواقيعهم على مقررات مهمة هي جرأة بين الجرآت . واذا بدا لهم أقل احجام في سبيل الانفاذ بادروا الى المخاطرة في ذلك بأنفسهم

«يوم قدوم شمسي باشا استولى على جميعنا اضطراب خشية . لانا أمعنا النظر في مقدار جهل الباشا واستبداده وظلمه وتمرده ولا سيما كونه محاطا بجماعة من الالبانيين في زي الجنود لا يعرفون شيئاً ويفدون الباشا بأرواحهم . وبقينا في وجل من احتمال ظهور حرب داخلية فأعملنا الفكر في ألف تدبير لمحو وجوده ورأينا في انفاذه ألف عائق . فأصر (صادق بك) وضيا بك وحبيب بك على وجوب إزالة هذا الوجود السام في أثناء تأدية وظيفته. ولكي لا تضيع الفرصة بالمناقشة والمذاكرة عرضوا أنفسهم وفي دقيقة الاضطراب وضع كل منهم يداً على القرآن العظيم الشان ويداً على مسدسه وأحكموا الميثاق بهذه الدرجة من الجد »

(ثم ذكر كيفية تنفيذ ذلك بيد ملازم فدائي وقال)

«هؤلاء يا عزيزي هم الذين يقومون بوظائفهم في هيئة ادارتنا وهم مشغولون جداً . فلا يجدون وقتاً للاكل ولا للنوم . ولقد ظلوا كغرباء عن هذا السرور العام والفرح الملي ، لان الوظيفة أهم وأقدس ، ولهذا لا يراهم أحد ولا يمكنون أحداً من رؤيتهم ، ولكنكم ما دمتم ترغبون كثيرا، هلموا أذهب بكم الى الدائرة التي يشتغلون فيها اليوم بابقاء وظائفهم في منزل (صادق بك)

ـ أشكركم فلنبادر سريعا .

« وأخذنا نمشي ونتحادث ، فأطال البحث في تمكن (صادق بك) من العلوم الدينية والفلسفية والفنون العسكرية والادبيات والطب في وصف دهائه وعشقه للحق والحقيقة وهيامه بها وبمكارم أخلاقه وثبات طباعه واتساع قدرته وفرط توكله وشدة شجاعته وكمال تواضعه ،

« وقص علي كيف خدم اعضاء الجمعية في حال وهنها لما انتسب اليهم أهل بيته وما أظهرته من الاخلاص بنته العذراء وزوجته المحترمة ، وجعل يعد علي أمثالا كثيرة من هذا الاخلاص حتى وصلنا الى المكان المقصود قبل أن يتم كلامه، وطرقنا الباب فادخلونا الى حضرة الهيئة المحترمة في الغرفة المظلمة التي يجتمعون فيها ، فقبلت يد المشار اليه ولحيته » اه المراد منه

﴿ بيان هادي باشا الفاروقي ﴾

(في وظيفة الجيش ومسألة تداخله في السياسة)

جاء في جريدة الحضارة الشهيرة التي تصدر في الآستانة بالعربية مانصه

«على أثر الاختلاف الذي ظهر أخيراً في حزب الاتحاد والترقي لقي محرر جريدة روملي القائد الباسل هادي باشا الفاروقي مفتش الفيلق الثاني في الروملي وسأله عن مداخلة الضباط وعلى الخصوص ضباط الفيلق الاول في هذه الاختلافات فقال انه لم يكن له علم قطعي بذلك ثم صرح بما يأتي

«ان وظيفة الجيش والاشخاص الذين يتألف منهم هي أن يكونوا دوما متأهبين للمدافعة عن الوطن وان يواصلوا السعي بكل عزم وغيرة الى الكمال . ولاجل أن يصل الجيش الى هذه الغاية المقدسة لابد أن يكون كتلة واحدة مهيبة ولذا تكون مداخلة بعض الضباط بشؤون السياسة مضرة جداً اذ أنها تولد الحرص والاختلاف وتخل

برابطة الجيش وتضر بوحدته . وانا من جهتي اقبح هذه الافعال . واذا كان يوجد ثمة من يتداخلون هذه المداخلات فهم لاشك خونة جهلاء لانهم يكونون بذلك حطوا من مقام الجيش الذي هو أرفع وأعلا من اختلافات الاحزاب ومبارزات السياسة . ان وظيفة الجيش العليا هي الذود عن الوطن والمحافظة على الدستور (المشروطية) عند الاقتضاء لاغير . واذا ظهر خلل في احدى شعبات الادارة فأمرها يكون موكولا الى غيره . واني أقول مكررا إن ادخال فكر السياسة في الجيش أمر لايعبر عنه الابالجهل والخيانة والجناية ورغماً من الواقع فاني موقن بان الجيش العثماني عار عن هذه الشائبة وانه اذا كان يوجد ثمة شيء من هذا القبيل فالمرجع الايجابي يتوسل لازالتها

«وقال المحرر ان هذا الشهم المقدام العالم العامل بوظيفته العسكرية كان يتكلم هذا الكلام والشرر يتطاير من عينيه كانه واقف أمام عدو هائل .»

﴿ آلمانيا والعالم الاسلامي ﴾

(مترجم عن جريدة الوقت التي تصدر في أرنبورغ من روسيا)

إن العلاقة الودية التي وطدت بين آلمانيا والعالم الاسلامي قد أقامت الجرائد الروسية وأقعدتها واوقعتها في الشبهات الكثيرة حتى ان سوء الظن جعل جريدة « نوفيه فريميه » تحسب له ألف حساب واضطرت أن تبث ما في ضميرها . وهو الخوف من أن آلمانيا الآن قد أوشكت أن تضع قدميها على تركستان الشرقية المحدودة بحكومات الصين وروسيا وانكلترا ، واذا حصل هذا فكأنها قد وضعت قدميها في وسط حبل ممتد من مسلمي الصين الى الحكومة التركية الاسلامية الحرة . وتقول إن مذهب كونفوشيوس المشهور في الصين سينقرض ويقوم مقامه الاسلام فتصير حكومة الصين حكومة إسلامية ثم لا تلبث إلا قليلا حتى تعلن حرباً عواناً مسلحة بالتعصب الاسلامي فتترك العالم المتمدن في حيرة كبيرة ودهشة شديدة . وهي تستنبط هذه الاحكام الغيبية من أقوال مكاتب جريدة « التيمس » في « بكين » عاصمة الصين الدكتور « موريسون » الذي ساح في آسيا الوسطى كلها . وله اطلاع تام على أحوال مملكة الصين . يقول هذا الدكتور إن دين الاسلام آخذ ينتشر في الصين بسرعة غريبة وان اتفاق المسلمين واتحادهم فيها قوي جداً .

ويورد على ذلك أدلة واضحة عنده، فهو يقول إن القاطنين في الصين من تركستان في ولايات غانسو ، وصي ، وچو ، ووان ، ويون ، وإلانان، كلهم مسلمون . ويقول في كلامه المؤكد عن شجاعتهم وبسالتهم : إننا لا ننسى أبداً « يعقوب خان » الذي كان في تركستان ، وجعلها في سنة ١٨٨٦ حكومة مستقلة تماماً ، فأقامت بذلك حكومة الصين واقعدتها، ثم جعلتها في حالة لم ترض بها حكومة الصين ولم ينشرح لها صدرها ، ثم إن حادثة قبيلة « بانتاي » المشهورة بالشجاعة التي استولت في ذلك الوقت على القسم الغربي من ولاية (يون ـ ونان) وجعلت مدينة (إلافسو) مقرا للملك ليست مما ينسى بل مما يبقى ذكره مركوزا في الاذهان على ممر الدهور والاعوام .

ثم يقول : نعم ، نحن إذا نظرنا الى حالة المسلمين الحاضرة في تلك البقعة نجدها الآن في هدوء وسكون تام . ولكن اذا لاحظنا العلاقات والارتباطات التي حصلت الآن بينهم وبين مسلمي تركية نجدها تزيد وتقوى يوماً فيوماً . وهم الآن قد تنبهوا كثيراً عن ذي قبل ، فكثير منهم يقصد بلاد المدينة لاجل التعلم فيها ، أو للسياحة فقط فيأتي منها لابناء جنسه بمعلومات جمة ويبث فيهم روح المدنية والترقي، وهو يؤيد قوله هذا بأقوال العلماء الكبار من الروسيين «فافاسييليف» و«آ. ابواتف» الذين لهم إطلاع كثير على مملكة الصين : وانهم أيضاً يتشاءمون كما يتشاءم

فبناء على رأي ذلك الدكتور (موريسون) ان آلمانيا قد علمت بتلك الاحوال ولم يشعر بها أحد قبلها ، وعزمت على أن تضع قدميها على « كاشغر » أي على تركستان الصيني ، ومن يضع قدميه هناك يمد الحبل منه إلى الطرفين طرف تركية من جهة وطرف الصين من الجهة الاخرى

ومما يوقع تلك الجرائد الروسية في أشد الشبهات ويضطرها الى اختلاق ما يسعهم أن يختلقوه هو ما كان قبل الآن من جعل تبعة الدولة العلية في الصين تحت حماية سفير فرنسا ، وإقامة سفير آلمانيا مقامه في هذا الحين ، ويدل على ذلك أن قونصل آلمانيا نشر من مدة قريبة جداً إعلاناً قال فيه : بناء على القرار الذي حصل بين تركية وآلمانيا يجب على كل من يقيم في الصين وهو من تبعة الدولة العلية أن يكون تحت حماية سفير آلمانيا ، وفي ولاية « كاشغر » أصدر أمراً باحصاء عدد تبعة الدولة العلية التي كانت تقيم في ولاية كاشغر وتسجيل أسمائهم ومحل إقامتهم فيها

فجريدة (نوفيه فريميه) تستنتج من ذلك النتائج الآتية : تقول ان ثقة الاتراك بالنمساويين أقوى من ثقتهم بالفرنساويين واعتبارهم لهم أيضاً أشد من اعتبارهم

للفرنساويين ، فالنمساويون هنا احرزوا قصب السبق في أستامبول ولهم القدح المعلى في الشرق الادنى والاقصى أيضاً . ثم تشرع في تعداد الفوائد التي تحصل للنمسويين من جراء دخول تبعة الدولة العلية في الصين تحت حماية سفير آلمانيا . وفي ظنها أن النمسويين يستفيدون أولا لانهم يطلعون على أحوال المسلمين هناك في الصين والهند ومسلمي روسية في اسيا الوسطى . وثانياً أن حكومة آلمانيا تنتهز فرصة حصول المشاجرات والمنازعات التي تصدر أحياناً بين حكام وعمال الصين و بين تبعة الدولة العلية لتتداخل في أعمال حكومة الصين . وثالثاً انها تجذب قلوب مسلمي الصين الى نفسها . ورابعاً أنها توسع تجارتها في الصين الغربي وفي تركستان بواسطة أغنياء المسلمين الذين يتجرون فيهما . وخامساً أن نفوذ آلمانيا يقوى بذلك في استامبول أكثر من ذي قبل

**

ثم ان هذه الجريدة تنتقم في عدد آخر من آلمانيا وعالم الاسلام جميعاً فقد رسم فيها الرسم الذي اصفه بما يأتي : صورة الارض فيها كتاب مكتوب عليه « الاسلام » وعلى ذلك الكتاب رجل محدودب في زيّ المسلم ، له اربع قوائم كالدواب وعلى ظهره صورة رجل نمسوي الشكل راكب عليه ، إحدى قدميه في طرف الكتاب والاخرى في طرفه الآخر ، وفي فمه « مشتوك » يدخن به . وتحت ذلك الرسم مكتوب كذا: « ليس الآن في الدنيا شرقان يسميان الاقصى والادنى ، فالآن قرب الشرق الاقصى والادنى واتصلا فصارا واحدا ـ أي شرقا أدنى فقط »

فهذه الجريدة تمثل بذلك آلمانيا قد سخرت عالم الاسلام أجمع وجعلته مطية لها الى مقاصدها والمسلمون قد اغتروا بمخادعتها لهم

ثم ان اجتماع جمهور عظيم في الآستانة منذ زمن غير بعيد واحتجاجهم على روسية في شأن إيران، وعلى اظهار محبتهم لعاهل آلمانيا وعلى الرجاء في حمايته لعالم الاسلام قد هيج خواطر جرائد روسية وانكلترا تهيجاً شديدا حتى أقامها وأقعدها . وقد تورمت منه جريدة « روسكي اصلوفا » وقالت «ان المسلمين الآن يريدون أن يعرفوا عاهل آلمانيا خليفة لهم » واستهزأت بالمسلمين بعباراتها السخيفة الممزوجة بالمغالطات الدينية كقولها« هل يجوز للمسلمين أن يجعلوا لهم سلطانا بروتستاني المذهب ؟ وهل يسمح لهم دينهم بذلك ؟»

كأن أصحاب هذه الجرائد يظنون أن عالم الاسلام الذي يبلغ عدده ثلاث مئة مليون نسمة ليس لهم عقل كعقولهم يميز به صديقه من عدوه الألد ، ولا لهم فكر

يتفكرون به فيما يستفيدون منه ، ليسوا كما تظنون يا أصحاب هذه الجرائد ! بل من بينهم من يعرفون مايضرهم وما ينفعهم ، وليسوا محرومين من قوة الادراك التي يميزون بها الجيد من الرديء والخبيث من الطيب ، فاذا نظر عالم الاسلام الى روسية بصورة غير صديق له فهذا ليس من المسلمين بل من الجرائد المشوقات والمحاولات لتضليل الحكومة الروسية ولاثارة خواطر المسلمين وغيرهم من الملل غير ملة الروس، مثل جريدة روسكي أصلوفا ، ونوفي فريميه ، اللتين من شأنهما أن تدوسا النعم التي أمامهما تحت أقدامها وأن تحاولا صيد ماهو في الهواء . اه

(المنار) بعد ان جاءتنا جريدة « وقت » بهذه المقالة انقطعت عنا وبلغنا ان الحكومة الروسية قد أقفلتها هي ومجلة (شورا) وهما خير صحف مسلمي التتار في روسية وقد علمنا انماذكر في الجرائد من شدة ضغط الحكومة الروسية على مسلمي التتار في بلادهم من إقفال جرائد ومدارس فسببه سياسة الآستانة فان بعض المفتونين فيها بالاماني الجنسية يلغطون باظهار الطمع في اتحاد الترك العثمانيين بتتار روسية وأهل تركستان عامة وجعلهم دولة واحدة قوية ، وقد نصحنا لهم في مقالات (العرب والترك) التي نشرناها في جرائد الآستانة أيام كنا فيها ان ينزعوا هذه الامنية من مخيلاتهم ، ويحرموا ذكرها على ألسنتهم وأقلامهم ، لان اظهارها يضر بالدولة وبأولئك المسلمين بما يحمل روسية على العود الى سياسة الخشونة مع الدولة ، وعلى الحذر من مسلمي بلادها والضغط عليهم ، وأين قوة الدولة من قوة روسية والصين الحاكمتين على أكثر من ثلث البشر

لروسية العذر في الحذر والاهتمام بتلافي هذا الامر وكيف ترضى ان يطمع الترك في بلادها وهي هي التي لم يمنعها من اخذ القسطنطينية الا أوربة . وقد زاد حذرها ماهدرت به شقاشق المتهور عبيدالله مبعوث آيدن في الانتصار لدولة فارس عليها بالاستغاثة بعاهل الالمان ، وماكان يخشى من مساعدة ألمانية والنمسة للترك على نفوذهم المعنوي الى تركستان ليتخذوه وسيلة لترويج تجارتهم وسياستهم فأمثال هؤلاء الجاهلين بالسياسة من رجال الآستانة يجنون بغرورهم على دولتهم وبلادهم وعلى اخوانهم المسلمين من غير بلادهم، وما يدرينا أن تلك الشقاشق كانت من اسباب في اتفاق روسية والمانية في سياستهما المشرقية بما كان في اجتماع القيصرين في بوتسدام ، وهو اتفاق علينا وعلى اخواننا الفرس

وانني أنصح لمسلمي روسية أن يتقوا فتنة السياسة ولا يخدعوا لبعض الاغرار في الآستانة ويجتهدوا في ترقية أنفسهم مع تأمين حكومتهم في الظاهر والباطن من التحيز الى حكومة أخرى فان تحيزهم يضرهم ويضر من يحيزون اليه ودولتنا عاجزة عن حفظ بلادها وادارتها وعن إرسال قاض شرعي الى مسلمي جزيرة كريد التابعة لها باعتراف الدول (ولكن بالقول دون الفعل) فكيف تستطيع أن تمد نفوذها الى بلاد دولة أقوى منها ؟

ولو جعل مسلمو التتار وجهتهم العلمية مصر دون الاستانة لكان خيرا لهم فقد أخبرني غير واحد منهم في الآستانة أنهم هنالك في موضع الريبة عند سفارة حكومتهم وان جواسيس السفارة منهم منبثون بينهم ، فهذا هو سبب ضغط دولتهم عليهم، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ،

أما ألمانيا فلا نعرف لها الاحسنة عملية واحدة في مساعدة دولتنا وهي تعليم جيشها وتنظيمه ، وقد سأل بعض المفتونين من رجالنا فرنسة ان تسمح لضباطنا أن يتمرنوا في جيشها فأبت. ولو أخلصت دولة اوربية قوية لدولتنا وللاسلام وعرفت كيف تستفيد منا وتفيدنا بالاخلاص لبذت اوربة ودول الارض كلها

﴿ شعر أعراب الحجاز في هذا العصر ﴾

لما عزم الشريف أمير مكة المكرمة على تجهيز جيش من العرب الى اليمن لمساعدة الدولة على السيد الادريسي في (عسير) ارسل هذه الانشودة يستفزبها قومه ، وقيل ان بضعة أبيات من أولها من كلامه وباقيها من كلام الشريف زيد بن فواز امير الطائف

كيف البصر يا ال حسن[1] وآل بركات … نزالة المشرق ومن في تهامه

نسمع طواريكم[2] تسوّن خيرات[3] … ومن لا مشأ يغشاه منا ملامه

١) اي يا آل حسن ٢) اخباركم الطارئة ٣) استخارات في المشي مع الامير وكان يمكن أن يقال « تسوى استخارات » كما يقال « مشى » بدل « مشأ »

وان حامن المقدود كم جا وكم فات … والعمر له في اللوح خط العلامه

نتصا[1] معادينا على كيف ماجات … والموت دون العز ما به ندامه

من هو تمنى دارنا بالدبارات[2] … جينا وما هي له ولا للكرامه

ما دون من ينصا[3] بلدنا تعلات … ولا نستمع من قال شور الرخامه[4]

حِنّا[5] عمدناهم بخيل وسلات … والذل ما سر الظبي والنعامه

مرساكداده[6] دونه الموت حومات … ما يخرجه منا يكون القيامه

احيا لنا الله عزنا بعد ما مات … احياه ابو فيصل لنا بالقرامه[7]

ما عادا به مقعاد فيه وقيلات … وانتم لكم عادات يهل[8] الشهامه

قلته بعد ماشفت فيكم عدالات … واللي يحسب يدّرق فالجهامه[9]

ترى مقابلكم معادي وشمات … يبقى عليكم دووت النهزامه[10]

لاتكربون[11] من الحكايا والاصوات … مغزا تهامه كسب ولا سلامه

مع شيخكم فالمقديه والخطيات … حظه جلا عنكم وعنا الغمامه

حِنّا على الدين الحنيفي بالاثبات … مراقبين الشرع بالاستقامه

للخارجين عن الطريقه علامات … تنبيه شيطان الفتن من منامه

وعقول جهال العرب راحت آشتات … فرّق شرايط دينهم من كلامه

دخل عليهم بالزخارف وحيلات … يقول أجدّد دينكم عن عدامه

١) اي نقصد ٢) اي التدابير والحيل ٣) اي يقصد ٤) اي الدنية ٥) اي نحن ٦) اي قتاده جد الاشراف ولعل الكاتب هو الذي حرف فهم ينطقون بالقاف مرققة كالكاف المفخمة أو الجيم المصرية ٧) اي الشهامة والفتوة ٨) اي يا أهل ٩) أي الضباب والظلام ١٠) لعلها * دورة الانهزامه * ١١) اي تشدون .

حاشا وكلا ديننا بالحقيقات ... مازاعه اضغاث السكرا من حلامه
جانا من القرآن تفصيل آيات ... نعرف بها حله ونعرف حرامه
الدين منا منبعه بالرسالات ... نحن مقاديمه ونحن خطامه
من هو تمنا عندنا للامارات ... ياكم قصرنا رايم عن مرامه [1]

وهذه قصيدة عقيل لما قدموا مكة المكرمة وتلقاهم الامير ليغزوا معه الى اليمن فتقدم شاعرهم ليحمسهم ويحمس الامير ويجاوب الادريسي وقال :

يا آلله انك تعز الدين والصادقين ... والماري بدينه واننا ناصله
ربعنا للحرايب كلهم مشتهين ... مع الذي يحب العز والطايله
سيدي عزنا من عزكم كل حين ... نحمد الله بعز الدين ومواصله
سيدي ذكر راعي اليمن [2] لا يبين ... اشهر السيف وتأتيك العرب صايله
ناض برق من القبله وبه سعين ... هل وبله على صبيا وانا اخايله
العبادل أهل الطولات في كل حين ... يامزاعم لخول قريش ذي عايله
بمشيئة الله نزوره ان كان هم منكرين ... ناصل الذي بدع بدعه وهي مايله
كل ساحر نبطل سحره الذي يبين ... ناصل الذي يقول الملح ما ياكله
يا الله انك تعز أشرافنا الناصحين ... هم أهل الحكم والعليا أهل الطايله
جوك الاشراف في ظل سيدنا حسين ... والسعد مشتهر في بيرقه شايله
سار والنصر يتليه والله عوين ... نسألك يارفيع السماء تأصله

---

١) أي كم رددنا قاصد عن قصده ٢) راعي اليمن سائسها وصاحبها

باب الأخبار والآراء

المؤتمر المصري

في ٣٠ من ربيع الآخر – ٢٩ ابريل انعقد المؤتمر المصري تحت رياسة شيخ وزراء مصر وعظمائها مصطفى رياض باشا في المكان الافيح المعروف (بلونابارك) من مصر الجديدة ، وهو ملعب كبير يسع بضعة آلاف رجل ، وقد زين بالاعلام واقيم للرئيس وكبار أعضاء اللجنة التحضيرية فيه محراب واسع وجعلت المجالس فيه اقساما مرتبة منها مكان لوجهاء العاصمة ومكان لاصحاب الصحف وامكنة أخرى لاصناف الاعضاء ووفود المديريات يعرف كل قسم منها بلوح مكتوب عليه ما يدل الداخل على مكانه . وقد افتتح الرئيس المؤتمر بالخطاب الآتي

أيها السادة : دعوناكم وكلكم من أهل المكانة وأصحاب المنافع وذوى الآراء والكتاب والمفكرين وكلكم ممن تهمهم مصالح البلاد العليا وكلكم من يغار على رقيها وتوثيق روابط جامعتها لتتشاوروا في بعض المسائل العمومية الشاغلة للرأي العام في الحالة الحاضرة

من بين هذه المسائل مسئلة ما كنا نود لها وجودا وهي ما يسمونه بمطالب الاقباط لان حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعاً لانقساماتهم الدينية

ستعرض عليكم موضوعات أخرى أدبية واقتصادية لتقرروا فيها الوسائط التي تساعد على رقي حالة التعليم ونمو الثروة العمومية

أبنائي الاعزاء :

اني وان كنت لا أشك في أنكم ستحكمون في مداولتكم ورغباتكم روح العدل والميل إلى تأييد الروابط الوطنية بينكم وبين سائر اخواننا وابنائنا من أبناء الديانات الاخرى ولكن ذلك لا يمنعني من أن أوصيكم بان تراعوا في مباحثكم وطلباتكم فوق

روح العدل والانصاف روح التسامح والانعطاف الذي عرفت به ديانتنا السمحاء
والله أسأل أن يكلل أعمالنا بالنجاح والسلام

وقد صفق الحاضرون وهتفوا بالدعاء لدولة الرئيس عند حضوره وفي خاتمة خطابه

وبعد أن أتم الرئيس خطابه قام احمد لطفي بك السيد مدير { الجريدة } وشرع يتلو تقرير اللجنة التحضيرية { وهو الواضع الاول له } وساعده على تلاوته صديقاه احمد بك عبد اللطيف وعبد العزيز بك فهمي المحاميان · وهؤلاء الثلاثة كانوا مع بعض اخوانهم من حزب الامة هم الواضعين لنظام هذا المؤتمر والقائمين بأهم أعماله.
وقد أتم المؤتمر اجتماعاته بحسب برنامجه الذي تراه بعد وكان النظام حسنا والكلام معتدلا

نشرنا في هذا الجزء طائفة من تقرير اللجنة التحضيرية الذي صادف إعجاب الجماهير من الناس ، وسننشر باقيه في الجزء الاتي ، ويرى القراء أن معظم ما فيه من المسائل جاءت موافقة لمقالاتنا « المسلمون والقبط » وكذلك الخطب المعتدلة الاخرى التي كانت كالشرح لهذا التقرير . ولا حاجة الى نشرها كلها في المنار بل نكتفي بنشر برنامج المؤتمر المبين لها وما أقره من مطالبها ، وربما نختار شيئا منها بعد

﴿ بروجرام أعمال المؤتمر المصري الاول ﴾

يوم السبت ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ الموافق ٢٩ ابريل سنة ١٩١١

(الجلسة الاولى)

من الساعة ١٠ أفرنكي صباحاً الى الظهر

(١) افتتاح المؤتمر بخطبة دولة الرئيس (٢) تلاوة تقرير لجنة المؤتمر

(الجلسة الثانية)

من الساعة ٥ مساء الى الساعة ٨ ونصف

(٣) في أن عناصر الجنس المصري كلها من أصل واحد ـ سعادة الدكتور أباتا باشا (٤) عطلة يوم الاحد ـ الاستاذ محمود بك أبو النصر (٥) العوامل الاجتماعية للحركة القبطية ـ الاستاذ محمد حافظ رمضان (٦) تمحيص مطالب الاقباط وازالة موجبات الشقاق ـ صالح بك حمدي حماد (٧) نظرة عامة حول مؤتمر الاقباط ـ ابراهيم بك غزالي عضو مجلس مديرية أسيوط

(يوم الاحد أول جمادي الاولى الموافق ٣٠ ابريل)

(الجلسة الثالثة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

(٨) الاقلية الدينية والمجالس النيابية ـ الاستاذ احمد عبد اللطيف (٩) الكفاءة في التوظف ـ الاستاذ ابراهيم بك الهباوي (١٠) وسائل ترقية المرأة المسلمة المصرية ـ باحثة بالبادية (١١) التعليم العام ـ الاستاذ محمد بك ابو شادى

(يوم الاثنين ٢ جمادى الاولى الموافق ١ مايو)

(الجلسة الرابعة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

(١٢) التعليم العام وحظ المسلمين والاقباط فيما تنفقه الامة عليه ـ سعادة الشيخ على يوسف (١٣) التعليم العلمي النافع للصناعة والزراعة والتجارة ـ على بك الشمسي (١٤) الصناع في مصر ـ ابراهيم بك رمزي (١٥) حماية وترويج المصنوعات الوطنية ـ الاستاذ جبرائيل كحيل بك (١٦) ضرورة ترك بدع المآتم والمقابر ـ الاستاذ محمد بك يوسف (١٧) اصلاح القضاء ـ عبد الستار افندي الباسل (١٨) الوسائل المؤدية للتوفيق بين العناصر المختلفة في مصر ـ احمد بك لطفي المحامي

(يوم الثلاثاء ٣ جمادى الاولى الموافق ٣ مايو)

(الجلسة الخامسة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

(١٩) ضرورة مراعاة أحوال الزمان والمكان في تطبيق الاحكام الشرعية ـ الشيخ عبد العزيز جاويش (٢٠) حالة مصر الاقتصادية والمالية ـ يوسف بك نحاس (٢١) التعاون المالي والنقابات الزراعية ـ الاستاذ عمر بك لطفي (٢٢) مستودعات التأمين ـ الاستاذ محمود بك ابو النصر (٢٣) الربا الفاحش وضرورة العقاب عليه ـ الاستاذ هاشم محمد مهنا (٢٤) اضرار الربا الفاحش ـ الاستاذ محمد بك على (٢٥) حالتنا الاقتصادية الزراعية ـ احمد افندي الالفي

(يوم الاربعاء ٤ جمادى الاولى الموافق ٣ مايو)

(الجلسة السادسة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

مناقشة الاقتراحات التي وردت في تقرير اللجنة وفي المواضيع التي تليت بالجلسات السابقة وغيرها مما ورد بالمواضيع والطلبات التي لم تصر تلاوتها اه

(المنار) هذا هو النظام والبرنامج الذي سار عليه المؤتمر كما وضعته اللجنة التحضيرية . ولقب الاستاذ قد أطلق على المحامين (وكلاء الدعاوي) وهو اصطلاح وضعه مدير (الجريدة) وقلده فيه كثير من الكتاب فصار معروفا في مصر وإنما نبهت عليه لئلا يظن قراء المنار في غير مصر ان هؤلاء الاساتذة من علماء الازهر وغير الازهر من المعاهد الدينية، وهؤلاء لم يخطب أحد منهم في هذا المؤتمر ولم يره أحد من شيوخهم الكبار

***

﴿ الجلسة الاخيرة ﴾

حضر دولة الرئيس الساعة الخامسة والدقيقة العشرين فقابله المؤتمرون بالهتاف . وبعد ان استراح قليلا في السرادق الخاص بدولته وكبار القوم أعلن افتتاح الجلسة ثم وقف الاستاذ عبد العزيز فهمي وتلا محاضر جلسات المؤتمر منذ افتتاحه الى اليوم وذكر أن جميع التقارير حفظت مع أوراق المؤتمر. وطلب أحد الحاضرين أن تحفظ هذه العبارة (وقد لوحظ أن الوقت يسمح بتلاوة خطبة الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش) فرد عليه الاستاذ احمد عبداللطيف بان لجنة المؤتمر كانت قد عينت ميعادا لقبول الخطب فلم يأت خطاب من الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش في الميعاد المعين. ولذلك لم يذكر في بروجرام المؤتمر وهذا هو السبب في قولنا وقد لوحظ الخ

ثم وقف الاستاذ احمد عبداللطيف وأخذ يتلو اقتراحات المطروحة على المؤتمر المصري فيما يتعلق بمطالب الأقباط وهذه صورتها :

﴿ الاقتراحات المطروحة على المؤتمر المصري الاول ﴾

مطالب الاقباط

(١) هل يرى المؤتمر امكان قسمة الحقوق السياسية في مصر بين طوائفها الدينية

المختلفة ؟ أو أن المؤتمر يقرر ان الامة المصرية هي في مجموعها كل لا يقبل التجزئة في الحقوق السياسية وانه مع ما لكل طائفة دينية من الحرية التامة في عقيدتها فان للحكومة المصرية ديناً رسمياً واحداً هو الاسلام ؟

«ب» هل يرى المؤتمر من حقوق أية طائفة دينيـة في مصر ان تطلب عطلة يوم الاحد أو غيره من الايام ؟ ـ أو أن المؤتمر يرى الاقتصار على أن تكون العطلة الرسمية هي يوم الجمعة ؟

« ج » ألا يرى المؤتمر أن تكون قاعدة التعيين في وظائف الحكومة هي الكفاءة من جميع وجوهها : علمية وادارية واخلاقية معاً ؟

وألا يرى المؤتمر أن الاقباط تجاوزوا فيما نالوه من تلك الوظائف الحد المقبول وهل يرى وجوب إلفات نظر الحكومة الى تحقيق أسباب امتلاء الكثير من مصالحها بالموظفين الاقباط مع وجود الاكفاء من المسلمين وغيرهم من المصريين

وهل يجب السعي وراء الحكومة في اعادة اللجنة المستديمة بنظارة المعارف لامتحان طالبي التوظف حتى لا يقع مثل هذا الغبن في المستقبل ؟

« د » هل يرى المؤتمر تعديل قانون الانتخاب بما يجعل لكل طائفة دينية مصرية دائرة انتخاب خاصة أو ان حق الانتخاب يبقى كما هو شائعاً بين جميع المصريين على السواء ؟

وهل يوافق المؤتمر على السعي لدى الحكومة في أن تجعل للكفاءة العلمية حظاً أوفر مما هو الآن في المجالس النيابية ؟

« ه » هل يوافق المؤتمر على اعطاء كل طائفة من طوائف الامـة المصرية ما تجبيه منها مجالس المديريات من ضريبة الخمسة في المئة لتنفقه كما تشاء ؟ وهل يرى المؤتمر ان الاقباط متمتعون من التعليم بجميع أنواعه بأكثر مما يتفق مع نسبتهم العددية ونسبة ما يؤدونه من الضرائب ؟

« و » هل يرى المؤتمر أن للاقباط الحق في أن يطلبوا من الحكومة بصفتهم طائفة دينيه أن تنفق من خزينتها العمومية على مرافقهم الطائفية الخاصة !

فوافق المؤتمرون على جميع تلك الاقتراحات بعد أن حصل جدال في بعضها وخصوصا الاقتراح الثالث فان بعضهم طلب أن تراعى النسبة العددية في اسناد الوظائف

الى الاكفاء فرد عليه الاستاذ عبد العزيز فهمي قائلا ان تقسيم الوظائف بناء على النسبة العددية مخالف للاقتراح الاول الذي وافق عليه المؤتمرون وهو أن الامة واحدة لا تقبل التجزئة وان اعتبار النسبة العددية يؤدي الى المنازعات . ثم حض الحاضرين على التزام الهدوء والسكينة وقال إن العالم ينظر الينا الآن . ثم تكلم أيضاً الاستاذ احمد عبد اللطيف وقال انه لا يمكن في بلدنا ولا في أي بلد آخر أن تقسم الوظائف بناء على النسبة العددية . وقال سعادة الشيخ علي يوسف اننا قررنا فيما تقدم ان الحكومة اسلامية وان دين الاسلام هو دينها الرسمي فاذا قسمنا الوظائف على النسبة العددية نكون قد قسمنا الحكومة الى شطرين مبنيين على الدين وهذا مخالف لمصلحة الامة على أنه يرى أن المدير لا يمكنه ان يكون قبطيا لعدم مقدرته على ادارة شؤون المديرية التي يتولاها كما يجب من السلطة والنفوذ

فبقي بعضهم يعترض فقام الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش وقال ان الكفاءة الادارية تستوجب الثقة ولقد دلتنا التجارب على أن الاكثرية لا يمكنها ان تثق بالاقلية واستنتج من ذلك أن المدير يجب أن يكون مسلماً لتتم تلك الثقة المطلوبة . واقترح ان يضاف الى اقتراح المؤتمر هذه الكلمات (ان تكون الكفاءة الادارية كفيلة باستقامة الاحوال) وبعد مناقشة طويلة في هذا الشأن تقرر ابقاء الاقتراح على حاله ثم طلب الاستاذ احمد عبد اللطيف الى المؤتمرين أن يوافقوا على جعل اللجنة التحضيرية لجنة تنفيذية

ثم دارت المناقشة على الاقتراحات المعروضة على المؤتمر فقبل ما قبل ورفض ما رفض منها كما هو مبين فيما يلي

اقتراحات المؤتمرين وغيرهم

(١) اللجنة التنفيذية

لا بد لتنفيذ قرارات هذا المؤتمر من لجنة دائمة تباشر هذا التنفيذ . ويعلم حضرات المؤتمرين ان اللجنة التحضيرية قد انحلت حيث انتهى عملها ولا يمكن أن تصير لجنة تنفيذية دائمة الا اذا أقرها المؤتمر على ذلك فهل تقرونها لجنة تنفيذية يكون من جملة وظيفتها دعوة هذا المؤتمر للاجتماع عند الاقتضاء وأن تنتخب لها مجلس ادارة وأن تضم اليها من تؤمل فيه المساعدة في مهمتها ؟

اقتراح مقدم من حضرات محمد بك حافظ رمضان وحسن بك عبد الرزاق والشيخ محمد عمر الانجياوي المحامي الشرعي بمصر . ابراهيم بك غزالي عضو مجلس مديرية أسيوط . محمود بك انيس بمصر . سليمان افندي فهمي من موظفي المالية سابقاً والآن بالسنطه . محمود افندي حمدي المحامي بكفر الزيات . محمد افندي البدوي رئيس نقابة تشل الزراعية . ابراهيم افندي فوزي بشارع محطة مصر بالاسكندرية . محمد افندي راغب بطنطا محمد افندي كامل بدرب القمح بالسيدة بمصر . ابراهيم بك دويدار عمدة شبرامنت . حسين بك عابدين . لجنة المؤتمر بمديرية المنوفية . سليمان افندي فهمي سليمان المحامي . علي عبد السلام بالسويس (لها بقية)

﴿ اتفاق الدول والمانع لها من قبول دولتنا فيه ﴾

ذكر المقطم في عدده الذي صدر في ١٨ من هذا الشهر (٢٧ مايو) عظمة الامة الانكليزية والامة الامريكية وخبر اتفاقهما اتفاقاً يقرب من التحالف قال « وان فرنسا واليابان قد تشاركانهما في هذا الاتفاق ولا يبعد ان تشاركهما فيه روسية أيضاً حليفة فرنسا واذا نزعت أسباب الخلاف الجوهرية من بين انكلترة والمانيا سهل ضم التحالف الثلاثي الى هذا الاتفاق فيتفق نحو ست مئة مليون من الذين في يدهم الثروة والسلطة »

ثم بحث المقطم في حظ مصر والمملكة العثمانية من هذا الاتفاق واستدل بدخول اليابان فيه على أن اختلاف الدين لا يمنع الدولة العلية أن تحذو حذوها « في نقض كل حاجز يمنعها من الاستفادة من الاوربيين والامريكيين والنسج على منوالهم » ولكن لم يذكر لنا المقطم من مزايا اليابان في هذا المقام الا شيئاً واحداً . قال « الظاهر ان الصبغة الدينية في اليابان ضعيفة جداً لان كثيرين من رجالها تنصروا فلم يسمعوا كلمة لوم من أحد وبعض الذين تنصروا صاروا وزراء وقواداً ولم يطعن أحد في وطنيتهم بل زادهم تنصرهم رفعة في عيون أهل وطنهم ، فهل تقابل الدولة العثمانية بالترحيب لو شاءت الانضمام الى التحالف الاوربي أو الاتفاق الاوربي وهل يرضى بذلك حزب المعممين الذين لا يرضون من سلطان العثمانيين أن يتنازل عن شيء من حقوقه الدينية كخليفة للمسلمين . هذه مسألة من أهم المسائل ويظهر لنا ان كثيرين من رجال الدولة العلية الذين في يدهم الحل والعقد الآن يودون أن

تزال كل الموانع التي تمنع العثمانيين من الانضمام الى الاتحاد الاوربي مهما كانت (أي ولو كانت حقوق الخليفة الدينية ورفع شأن المتنصرين) وهم عاملون على إزالتها ولو ببطء » ثم ذكر ان ما يرضيهم لايرضي غيرهم وان هذا هو السبب الاكبر للخلاف بين زعماء جمعية الاتحاد والترقي

هذا هو رأي المقطم ويظهر لنا انه غالط فيه من وجوه ونبين ما عندنا في ذلك بالايجاز في المسائل الاتية

(١) ان السبب الصحيح لقبول دول اوربة واميركة التحالف والاتفاق مع اليابان هو قوة اليابان الحربية التي كسرت بها اكبر دولة أوربية ، لا ضعف الدين ولا تعظيم شأن المتنصرين ! فالصين اكثر تساهلا من اليابان في الدين ولا نرى تلك الدول راغبة في محالفتها والاتفاق معها بل هم طامعون في بلادها يتربصون بها الدوائر، والعثمانيون اشد تساهلا في الدين من اليونان ولكن أوربة ترجح كفة اليونان الذين يذبحون المسلمين في كريد بغير ذنب الا دينهم وميلهم الى دولتهم ولولا الدول الاوربية لما عجزت الدولة العلية عن تربية الكريديين بمثل ما كبحت به انكلترة ثورة الهند المشهورة

(٢) ان هذه المنقبة التي ذكرها المقطم لليابان في معرض حث العثمانيين على الاقتداء بهم ليست من المناقب التي تحلت بها الامم الاوربية ولا سيما الذين بدأ بذكرهم وذكر عظمتهم وهم الانكليز فهم من اشد الناس تمسكا بدينهم وقوة فيه ويبذلون للدعاة اليه في كل سنة قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، واذا اسلم الرجل منهم لا يرتفع قدره فيهم ولا يرقي الى المناصب العالية وكراسي الوزارة ، بل كانوا يرجمون مسلمي ليفربول بالحجارة ، وهو يعلم أنهم لا يساوون أهل الهند بأنفسهم لا في الحقوق ولا في مراتب الشرف . وغيرهم من الاوربيين أشد منهم في هذا الامر الاخير ، ولا سيا روسية . فلماذا يحثنا المقطم على الاقتداء في هذا الباب باليابانيين دون الاوربيين ، على ان تنصر المسلمين في المملكة العثمانية أندر من الكبريت الاحمر فليس له وقائع يحتج بها

(٣) نحن نوافق المقطم على القول بأن الاوربيين يرضيهم ان يضعف دين المسلمين ولاسيا العثمانيين وان يعظموا شأن من يتنصر ويرفعوا قدره ويولوه الوزارة وقيادة الجيش ، وسبب هذا شدة عناية الاوربيين ومثلهم الامريكيون بنشر دينهم وإضعاف الاسلام الذين يرونه أقوى الاديان التي تقدر على الثبات أمام هجماته التي يريدون بها تدمير

البشر كلهم، بدليل مايبذلونه من الملايين في هذه السبيل، ولان لهم في بلاد المسلمين مطامع معروفة ، ولكننا لانوافق المقطم على أن ضعف ديننا يكفي لادخال دولتنا في الاتحاد الاوربي، وانما يؤهلنا لذلك شيء آخر وهو القوة، فالمصريون أشد تساهلا في الدين من الافغانيين لان المسلم اذا تنصر في مصر لايضطهد ولا يهان ، واذا تنصر في الأفغان يمزق ويكون جزرا للنسور والعقبان، وقد تركت انكلترة للافغان بلادهم لقوتهم ، واحتلت بلاد المصريين لضعفهم ،

(٤) ماذا يعرف المقطم من أمر أصحاب العمائم في البلاد العثمانية عامة وفي الآستانة حيث النفوذ السياسي خاصة فيعرض بذكرهم في هذا المقام ؟ هل يضمن لنا الكاتب الفاضل قبول دول أوربة دخول دولتنا في اتحادهم اذا ضمنا له قبول أصحاب العمائم لذلك ؟ أؤكد للرصيف الكريم انهم يرضون ذلك ويتمنونه ويرون ان من حقوق الخليفة عقد مثل هذا الاتفاق اذا كانت المصلحة العامة تقتضيه وهم لايجهلون أنه من المصلحة العامة ولعلهم أقرب الى كل وفاق بين الدولة وغيرها وبين عناصر الامة من أولئك الذين يظن المقطم فيهم انهم دعاة الوفاق لانهم يتبجحون بذلك قولا ويقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم

(٥) اشار المقطم الى ان سبب الخلاف بين زعماء جمعية الاتحاد والترقي هو الدين وما يقتضيه من حقوق الخليفة وان أصحاب العمائم هم الذين عارضوا أولئك الزعماء الذين يريدون ان يزيلوا كل مايحول دون اتحاد الدولة باوربة مهما كان وليس الامر كذلك ، فان شيخ الاسلام وحزبه من أصحاب العمائم في المشيخة الاسلامية وغيرها كلهم من أنصار الذين يظن المقطم انهم هم الذين يزيلون تلك الموانع، وأما الحزب الاخر فزعماؤه من حملة الطرابيش لامن حملة العمائم ، وليس لهؤلاء في الدولة سياسة خاصة يتولون زعامتها وليسوا كبعض الرهبنات النصرانية إلباً على المخالف، لان الاسلام ليس فيه امتياز لبعض الاصناف على بعض . وهذا الزي الذي عليه أكثر صنف العلماء قد ابتدعه الحكام ولم يكن في الصدر الاول ولم يكن عاما في زمن من الازمان

(٦) ان المتدينين من أصحاب العمائم وغيرها يعتقدون وجوب العمل بالشريعة في حقوق الخليفة وغيرها. وليس في الشريعة نصوص تمنع من عقد العهود بين المسلمين وغيرهم فقد عاهد النبي (ص) المشركين في الحديبية بشروط كان لهم فيها الرجحان حتى كره ذلك الصحابة ولم يقبلوه بعد المراجعة فيه الا بمحض الاذعان الذي هو شرط الايمان، وليس في الشريعة أيضاً نصوص تمنع من استعمال غير المسلمين في أعمال الحكومة وقد استعمل

الصحابة الروم والقبط في دواوينهم وكذا من بعدهم الى يومنا هذا ولم نر مثل هذا التساهل من أوربة في منتهى مدنيتها ، نعم لا يتساهلون هذا التساهل مع المرتد جهراً .
وهؤلاء المتدينون ظاهرهم كباطنهم فالاتفاق معهم أسهل وأثبت . على انه ليس لهم في المملكة جمعيات سياسية لتنفيذ مايعتقدون انه الحق والصواب، وقد خالفت الحكومة اعتقادهم في مسائل كثيرة ولم يقاوموها بقول ولا فعل

وأما غير المتدينين منا فهم منافقون يحبون إضعاف الدين من حيث هو دين لا من حيث هو سياسة لتستقر زعامتهم وزعامة امثالهم لا لأجل مساواة أوربة والاتحاد بها ، وهم متفقون على إبقاء الدين آلة سياسية ، وقد ظهر من خطبهم وقوانينهم السرية ما يدل على ذلك . وهذا هو الذي ينفر أوربة منا ويبعدها عنا ، دون اتباع الدين من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ظاهرها كباطنها .

هذا ما احببنا بيانه للمقطم الاغر فلعله يترك التعريض بأصحاب العمائم في مثل هذه المباحث سواء في ذلك قلمه وأقلام أنصاره الذين عرض أحدهم بأصحاب العمائم في مقام الدفاع عن الماسونية ولم نعهد ان اصحاب العمائم قاوموا الماسونية ولا شهروا بها كما يفعل اليسوعيون وغيرهم من رجال النصرانية ، فان كانوا يقيسون أولئك على هؤلاء فهذا قياس مع الفارق ، يعرفه من محص المسائل ووقف على الحقائق ،

﴿ احتلال فرنسة لمملكة المغرب الاقصى ﴾

بينا غير مرة ما ارتقى اليه فتح الاقوياء بالعلم والنظام والآلات الحربية لبلاد الضعفاء بالجهل والخلل وفقد الالات الحديثة ، ذلك الفتح المبني على قواعد الاقتصاد في المال والرجال ، ومبادلة المنافع مع حفظ الموازنة بين الدول الكبرى . فقد صارت الدول تقتسم الممالك فيما بينها بالاتفاق القولي فتمكن كل منها الاخرى من اتخاذ الوسائل للاستيلاء على حصتها بما يسمونه الاحتلال أو الحماية أو حفظ النفوذ وما أشبه ذلك من الاسماء اللطيفة التي يخف وقعها على القلوب ، ويلوح من وراءها خيال الامل للمغلوب ، فلا تتوجه قواه كلها للدفاع

ما أبقى على كثير من الممالك الجاهلة المختلة الا تنازع الاقوياء عليها وهو عرض لا يدوم وهانحن نراها قد اتفقت بعد خلافها ، وكن من أثر هذا الاتفاق أن ظهرت الثورة في بلاد فارس فاحتلت الجنود الروسية في منطقة نفوذها منها وهي

الجنوبية وبدأت انكلترة في التمهيد لاحتلال حصتها وهي المنطقة الشمالية

وظهرت الثورة في المملكة المراكشية فاحتلتها الجنود الفرنسية في هذا الشهر كما أشرنا الى ذلك في مقالة (العالم الاسلامي والاستعمار الاوربي) وهذا هو أثر الاتفاق بين فرنسة وانكلترة على اقتسام مابقي من القسم الشمالي من افريقية سنة ١٩٠٤م وقد دخل في منطقة النفوذ الفرنسي في هذا الاتفاق مابين حدود طرابلس ومصر الى السنغال وبحيرة شاد ومنه مملكة برنو ومملكة ودّاي وأكثر من نصف الصحراء الكبرى بما فيها من الواحات وقد شرعت في احتلال تلك البلاد كلها . وأما مراكش فقد جعلوا لها معاهدة خاصة جعلوا لاسبانية نصيبا من النفوذ فيما يقرب من حدودها فيها ، وترى فرنسة قد احتلتها بجنودها

تسقط الممالك الاسلامية مملكة بعد مملكة فلا يروع ذلك أهل الممالك الاخرى من المسلمين لان السواد الاعظم من المسلمين جاهل بالسياسة واساليبها والنافع والضار منها ، وأما الذين يشتغلون بالسياسة منهم فأكثرهم قد انحلت رابطتهم الاسلامية بتأثير التعليم الاوربي واستبدلوا بها رابطة الجنس أو الوطن ومع هذا كله يتهمهم المتهمون بالجامعة الاسلامية إما للتحريض عليهم وإما لزيادة التنفير عن هذه الجامعة حتى لا يبقى مسلم تحدثه نفسه بامكانها أو استحسانها

كنا نعرف أخبار الثورة في البلاد المغربية من المقطم والاهرام وقلما نرى حديثاً عنها في جريدة من جرائد المسلمين وأما جرائد الاستانة والجرائد الفارسية فلا قيمة لمراكش عندهن ، وان سقوط ثمرة من شجرة أهون عليهم من سقوطها، واذا ثبت بهذا ان مايسمونه الجامعة الاسلامية لا مسمى له فليتق الله هؤلاء الفاتحون في هؤلاء الجاهلين المساكين الذين يستولون على بلادهم وليراعوا فيهم حقوق الانسانية .

قد سمعنا من فرنسة صوتاً جديداً ، سمعناها تعترف بخطأها في سياستها الاسلامية، وتقترح إنشاء قلم مخابرات للوقوف على حقيقة أحوال المسلمين الذين دخلوا والذين يراد إدخالهم في محيط سلطانها ، لاجل أن تتمكن من رفع الظلم عنهم ، وإقامة العدل والمدنية فيهم ، فان صح الخبر وسلكت مسلك انكلترة في السودان المصري فانها تجد كثيراً من عقلاء المسلمين عوناً لها ، ويخف على نفوسهم احتلالها لمراكش .

وسنبين مرادنا بهذا في المقالة الثانية التي تشفع بها مقالة (العالم الاسلامي) التي في هذا الجزء

تبرع محسن باشتراك عشر نسخ من المنار

جاءنا كتاب في البريد هذا نصه :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد خصصت مبلغ ستة جنيهات مصرية للخير ولما كان مناركم المجلة الدينية الوحيدة في العالم التي حاربت الباطل ثلاث عشرة سنة بقوة عزيمة وثبات جأش لم يعهدا الا في أوديد (كذا) امثال الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغاني رضي الله عنهما فكانت في هذا الباب ركن الحق الركين وعماد الدين المتين أردت تعميا لفائدتها وزيادة في نشرها ان أخصص بعض ذلك المبلغ أو كله لاشتراكات في هذه المجلة لمن لا يقدر على دفع القيمة من أفراد المسلمين الذين تفيدهم هذه المجلة أكثر من سواهم ولذا فسيردكم المبلغ على عدة دفع فاذا رأيتم جعله جميعه بدل اشتراكات في المجلة من أول محرم هذه السنة فعلتم والا جعلتم بعضه كذلك والبعض الآخر ثمنا لكتب تختارونها من مكتبة المنار ولما كنت ذا ايراد قليل فسأرسل لكم كل شهر ان شاء الله تعالى جانبا من ذلك المبلغ حتى ينتهي والآن أبادر بارسال ٢٠٠ قرش فيكون الباقي لكم ٤٠٠ قرش ولولا ان المدح يؤذيني كثيرا لاظهرت اسمي والسلام على من اتبع الهدى

مصري

لحضرتكم الخيار المطلق فيمن تهبونه اشتراك سنة في المجلة أو تهدونه كتابا أو أكثر مما تنتخبونه من كتب ادارة المنار بما يعادل مبلغ الستة جنيهات مصري

(المنار) نشرنا خبر هذا التبرع في المؤيد تعجيلا بشكر هذا المحسن ، وتنويها باخلاص هذا المخلص ، فجاءتنا الرسائل تترى من طلاب العلم وغيرهم بطلب النسخ المتبرع بها وقد رجحت الادارة السابقين من المستحقين

تبرع محسن بثلاثين نسخة من جريدة الحضارة

تبرع محسن غني بثلاثين نسخة من جريدة الحضارة الشهيرة التي تصدر في الآستانة باللغة العربية مدة سنة كاملة من ابتداء المحرم الماضي . وهذه النسخ توزع على من يشتركون في المنار من أول هذه السنة ويدفعون بدل الاشتراك سلفا

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر، الثلاثاء ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٢٩ – ٢٧ يونيو (حزيران) سنة ١٢٨٩ هـ ١٩١١م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٧٩ : ٨٢) مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (٨٠ : ٨٣) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ، وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً (٨١ : ٨٤) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً

هذه الآيات متصلة بما قبلها متممة لها فقد تقدم أن من أصول هذه الشريعة طاعة الله وطاعة الرسول وقد أمر بهما معا أمرا عاما و بين جزاء المطيع واحوال الناس في هذه الطاعة بحسب قوة الايمان وضعفه والصدق فيه والنفاق . ثم أمر بالقتال ، و بين مراتب الناس في الامتثال ، وذكر المؤمنين بأمر الطاعة وكونها لله تعالى بالذات ، ولغيره بالتبع ، و بين ضربا من ضروب مراوغة أولئك الضعفاء أو المنافقين فيها فقال

﴿ من يطع الرسول فقد اطاع الله ﴾ أي إن الرسول هو رسول الله فما يأمر به من حيث هو رسول فهو من الله وهو العبادات والفضائل والاعمال العامة والخاصة التي يحفظ بها الحقوق وتدرء المفاسد وتحفظ المصالح فمن أطاعه في ذلك لانه مبلغ له عن الله عز وجل فقد أطاع الله بذلك ، لان الله تعالى لا يأمر الناس وينهاهم الا بواسطة رسل منهم يفهمون عنهم ما يوحيه الله اليهم ليبلغوه عنه ، وأما ما يقوله الرسول من عند نفسه وما يأمر به مما يستحسنه باجتهاده ورأيه من الامور الدنيوية والعادات كمسألة تأبير النخل وما يسميه العلماء أمر الارشاد فطاعته فيه ليست من الفرائض التي فرضها الله تعالى لانه ليس دينا ولا شرعا عنه تعالى . وإنما تكون من كمال الادب وقدوة الحب ، مثاله امر نبينا (ص) بكيل الطعام كالقمح وغيره من الحبوب عند اتخاذه وعند ارادة طبخه وهو من التقدير والتدبير في البيوت وا كثر المسلمين يتركونه الا من يتبع طرق المدنية الحديثة في الاقتصاد وتدبير المنزل ، ومن هذا الباب ما لا يظهر له مثل هذه الفائدة وانما كان الرسول (ص) يذكره بطريق الاستحسان لمناسبة تتعلق بالمخاطبين كالامر بأكل الزيت والادهان به والامر بأكل البلح بالتمر ، فهو ما كان يقول مثل هذا باسم الرسالة والتبليغ عن الله عز وجل ، وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذا شكوا في الامر هل هو عن الله تعالى أو من رأي الرسول (ص) واجتهاده وكان لهم رأي آخر سألوه فان أجابهم بأنه من الله أطاعوا بغير تردد وان قال انه من رأيه ذكروا رأيهم وربما رجع (ص) عن رأيه الى رأيهم كما فعل في بدر وأحد ،

فالآية تدل على أن الله تعالى هو الذي يطاع لذاته لانه رب الناس وإلههم وملكهم وهم عبيده المغمورون بنعمه وان رسله إنما تجب طاعتهم فيما يبلغونه عنه من

حيث انهم رسله لا لذاتهم ، ومثال ذلك الحاكم تجب طاعته في تنفيذ شريعة المملكة وقوانينها وهو ما يعبرون عنه بالاوامر الرسمية ولا تجب فيما عدا ذلك

قال الرازي : قال مقاتل في هذه الآية ان النبي (ص) كان يقول من أحبني فقد احب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله ، فقال المنافقون قد قارب هذا الرجل الشرك وهو أن نهى أن نعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى . فأنزل الله هذه الآية . واعلم أنا بينا كيفية دلالة هذه الآية على أنه لا طاعة البتة للرسول وإنما الطاعة لله اه

ووجه قول مقاتل هو أن المؤمن الموحد لا يكون مستعبدا خاضعا الا لخالقه وحده دون جميع خلقه ، فالخروج عن ذلك شرك والشرك نوعان أحدهما أن ترى لبعض المخلوقات سلطة غيبية وراء الاسباب العادية العامة فترجو نفعه وتخاف ضره وتدعوه وتذل له سواء شعرت في توجه قلبك اليه بأنه ينفعك بذاته أو بتأثيره في إرادة الله تعالى بحيث يفعل لاجله مالم يكن يفعله لولاه بمحض فضله ورحمته، وهذا هو الشرك في الالوهية ، وثانيهما ان ترى لبعض المخلوقين حق التشريع والتحليل والتحريم لذاته، وهذا هو الشرك في الربوبية ، ولذلك قال المنافقون : يريد ان نتخذه ربا . وقد فسر النبي (ص) اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابا بطاعتهم فيما يحللون ويحرمون ، وقد رد الله تعالى شبهة المنافقين وأغلوطتهم وبين ان الرسول انما يطاع فيما هو مرسل فيه ومأمور بتبليغه عن ربه

ويؤخذ من هذا ان المؤمن الموحد يكون أعز الناس نفسا ، وأعظمهم كرامة ، وانه لا يقبل ان يستبد فيه حاكم ، ولا ان يستعبده سلطان ظالم ، وما قوي الاستبداد في المسلمين الا بضعف التوحيد فيهم ، فالتوحيد هو منتهى ما تصل اليه النفوس البشرية من الارتقاء والكمال ، فصاحب التوحيد الخالص يعلم علم اليقين أن كل شيء في هذه الارض وفي تلك السموات العلى هو خاضع ومقهور للنواميس والسنن العامة التي قام بها النظام العام وأن تفاوتها في الصفات والخواص لا يقتضي ان يرفع الاقوى في صفة ما على الاضعف رفع الإله على المألوه والرب على المربوب ، فحجر الصوان الصلب القوي ليس إلها ولا ربا لحجر الكذان الضعيف ، ولا حجر

المغناطيس إلها يعظم تعظيما دينيا لما فيه من المزية ، والشمس ذات النور والحرارة ليست إلهـا ولا ربا للسيارات التابعة لها ولا لغيرهن ، بل هي مسخرة مثلهن للسنن العامة في نظام الكون ، كذلك القوي في جسمه أو عقله ليس إلها للضعيف يدعوه هذا ويذل له ويستخذي امامه ، وواسع العلم ليس ربا لقليل العلم يشرع له ويحلل ويحرم وما على الآخر الا الطاعة، كذلك من ظهر منه أمر خارق للعادة المألوفة لايجب رفعه على غيره والخضوع له تعبدا سواء كان ذلك بعلم انفرد به او حيلة وهو السحر او باتفاق أو بقوة روحية ومنه مايسمونه كرامة، وغايته انه امتاز على بعض الناس كامتياز القوي على الضعيف والذكي على البليد وهو لايكون بذلك ربا ولا إلها، ولا خارجا عن سنن الكون ، بل كل عبيد مسخرون لسنن الله تعالى ويستفيدون منها بقدر علمهم وطاقتهم واجتهادهم، ويكلفون طاعة الله تعالى وحده بحسب ماتصل اليه افهامهم في شرعه لا يجب على أحد منهم ان يعمل باعتقاد غيره ولا برأيه ، نعم انهم يتعاونون في الاعمال وفي العلوم فقوي البدن يكون اكثر نفعا للآخرين بقوته البدنية وهو عبد مثلهم لا يقدسونه ولا يرفعون مرتبته عن البشرية التي يشاركهم فيها ، وقوي العقل يكون اكثر نفعا برأيه وتدبيره ولا يرتفع بذلك على غيره ارتفاعا قدسيا ، ومن كان اكثر تحصيلا للعلم يفيض من علمه على الطلاب وليس على أحد منهم أن يعمل برأيه ولا بفهمه الا اذا ظهر له انه الحق وصار علما له واعتقادا وعند ذلك يكون عاملا باعتقاد نفسه الذي حصله بمساعدة استاذه لا باعتقاد استاذه ولا برأيه . واذا كان الموحد لا يطيع أمر الرسول لذاته بل لانه مبلغ عمن أرسله فكيف يجوز له ان يطيع أمر من دونه لذاته ويعمل به من غير ان يثبت عنده أنه امر من الله تعالى؟

هذا هو مقام التوحيد الاعلى الذي جاء به الرسل وهو مناط السعادة في الدارين وليس لقبا من ألقاب الشرف أو لفظا من الالفاظ التي توضع للفصل بين جماعات الناس ، على سبيل العرف والاصطلاح ، فالتوحيد والايمان والاسلام لها في هذا الزمان إطلاق عرفي اصطلاحي فيطلق اللفظ منها على أناس لايفهمون شيئا من معانيها الشرعية ولا تصدق عليهم مدلولاتها ، ولا تنطبق عليهم آياتها ، ولم ينالوا ما بينه

الكتاب العزيز من ثمراتها ، ككون المؤمنين الموحدين ، هم المنصورين الغالبين ، والأئمة الوارثين ،

فان قلت انك أثبت في تفسير « أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » ان طاعة الرسول فيما يأمر به باجتهاده واجبة ، وذكرت في المسألة الثانية عشرة من المسائل التي جعلناها ذيلا لتفسير الآية موضحا لها ان مراتب الطاعة ثلاث الاولى مايبلغه الرسول عن ربه والثانية ما يأمر به ويحكم فيه باجتهاده والثالثة ما يستنبطه جماعة أولي الامر مما تحتاج اليه الامة ، وقد أثبت وجوب طاعة الرسول في اجتهاده في مواضع أخرى من أصرحها واوضحها ما ذكرته في تفسير (٤ : ١٣ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله) الخ (ص ٤٢٧ و٤٢٨ ج ٤ تفسير) أفلا ينافي ذلك كون الطاعة لله تعالى وحده وكون هذا مما يدخل في مفهوم التوحيد ؟

قلت لامنافاة بين الامرين فاجتهاد الرسول (ص) هو بيان للوحي الذي بلغه عن الله تعالى وقد اذن الله له بهذا البيان فقال (١٦ : ٤٤ وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وهذا الإذن ضروري لاغنى عنه ونظيره اجتهاد القضاة والحكام في تفسير القوانين فطاعتهم فيما يحكمون فيه باجتهادهم في هذه القوانين انما هو طاعة للقانون لا لشخص الحاكم بجعله شارعا يطاع لذاته . ومن العلماء من يرى ان كل ماأمر به الرسول وما حكم به فهو وحي وان الوحي ليس محصورا في القرآن بل القرآن هو الوحي الذي نزل على النبي (ص) بهذا النظم المعجز للتحدي به وثبت بالتواتر القطعي وأمرنا بالتعبد به ، وهناك وحي ليس له خصائص القرآن كلها وهو ماكان يلقيه الروح الامين في روعه (ص) ويعبر عنه بعبارة من عند نفسه ليست معجزة يتحدى بها ولا يتعبد بتلاوتها ولكن يطاع الرسول فيها لانه ماجاء بها من عند نفسه بل من عند مرسله ، ويستدلون على هذا بما جاء في أول سورة النجم (وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى) وغيرهم يجعل هذا النص في القرآن خاصة

وأما طاعة أولي الامر فهي لاتنافي التوحيد أيضا ولا تقتضي ذل المؤمن الموحد بخضوعه لمثله من البشر وجعله شارعا يطاع لذاته ، لان أولي الامر انما يطاعون فيما

تعهد اليهم الامة وضعه من الاحكام السياسية والمدنية التي مست حاجتها اليها لثقتها بهم لا تقديسا لذواتهم ، وما يضعونه بشروطه التي بيناها في تفسير تلك الآية ينسب الى الامة لانهم وضعوه بالنيابة عنها فلا يشعر أحد متبعيه بانه صار مستبدا مستذلا لاحد أولئك النواب عنه لما ذكرناه ولان رأي كل واحد منهم وقد وضعوا ما وضعوه بالمشاورة يكون مدغما في آراء الآخرين ، والسلطة في ذلك للامة في مجموعها لا لاولئك الافراد الذين وكلت اليهم ذلك . على ان الرجل يكل الى آخر أن ينوب عنه في الامر او يوكله فيه فيقوم بذلك ولا يرى العاهد أو الموكل انه صار مستذلا له ولا يرى الناس ذلك أيضا بل قد يرون عكسه . فالمؤمن لا يذل ويستخذي لاحد من خلق الله لذاته بل لله وحده . والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، كما أثبت الكتاب المبين

ومن هذا البيان نفهم قوله تعالى ﴿ ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ أي ومن تولى وأعرض عن طاعتك التي هي طاعة لله فليس من شؤون رسالتك ان تكرهه عليها لاننا أرسلناك مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، لا حفيظا عليهم أي لا مسيطرا ورقيبا تحفظ على الناس أعمالهم فتكرههم على فعل الخير ولا جبارا تجبرهم عليه بل الايمان والطاعة من الامور الاختيارية التي تتبع الاقتناع

ذكرت في هذا المقام ما حققه الفيلسوف العربي الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون في بعض فصول الفصل الثاني من الكتاب الاول من مقدمته في كون معاناة أهل الحضر للاحكام مفسدة لبأسهم ذاهبة بمنعتهم ، وكون الذين يؤخذون بأحكام القهر والسلطة و بأحكام التأديب والتعليم ينقص بأسهم و يغلب عليهم الجبن والضعف ، وكون الدين الاسلامي وازعا اختياريا لا يفسد البأس ، ولا يذل النفس ، قال بعد مقدمة في ذلك ما نصه

« ولهذا نجد المتوحشين من العرب أهل البدو أشد بأسا ممن تأخذهم الاحكام ، ونجد أيضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم عادية بوجه من الوجوه ، وهذا شأن طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ

عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم والتأديب في مجالس الوقار والهيبة فيهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والبأس

« ولا تستنكر ذلك بما وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا أشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من أنفسهم لما تلي عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تأديب تعليمي انما هي أحكام الدين وآدابه المتلقاة نقلا يأخذون أنفسهم بها بما رسخ فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تخدشها أظفار التأديب والحكم . قال عمر رضي الله عنه « من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله » حرصا على ان يكون الوازع لكل أحد من نفسه ، ويقينا بأن الشارع أعلم بمصالح العباد

« ولما تناقص الدين في الناس وأخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم ،

« فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن أحكام السلطان والتعليم والآداب . ولهذا قال محمد بن ابي زيد في كتابه في أحكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب أحدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة أسواط . نقله عن شريح القاضي » اه المراد

يظن من نشئ على التقليد وحيل بينه و بين الاستقلال ان ما قاله هذا الحكيم خطأ لانه مخالف لما عليه الجماهير في أمم العلم والمدنية ذات البأس والقوة من الاعتماد على تأديب المدارس وسيطرتها في تكوين نابتة الامة الذين تعتز بهم و يعلو شأنها

مهلا أيها المقلد الغر ان كثيرا من الناظرين تصور لهم أذهانهم بدلائلها النظرية أمرا ثم لا يظهر لهم خطؤهم فيه الا بعد التجارب الطويلة ، ومن الامور الاجتماعية التي تختلف فيها أهواء الرؤساء ما لا يظهر الصواب فيه بعد التجارب الا للافراد من الحكماء المستقلين ، ومنه المسألة التي نبحث فيها

وضع رؤساء النصرانية قوانين لتربية القسيسين والرهبان تربية شديدة يؤخذون فيها بالنظام والطاعة العمياء ليكونوا جندا روحيا لرؤسائهم يتحركون بارادتهم لا بارادة أنفسهم ويتوجهون حيثما يوجهونهم ، وينفذون كل مابه يأمرونهم، فاستولى أولئك الرؤساء بهذا النظام على أبناء دينهم من الملوك الى الصعاليك وسخروهم لارادتهم قرونا كثيرة، وفعل الملوك مثل ذلك في سلطتهم الجسدية فاستعبدوا الناس من جهة أخرى وكانوا سبب ضعف أممهم وانحطاطها الى ان حرروا أنفسهم

ثم زلزلت الانقلابات الاجتماعية السلطتين واضعفتهما بما استفاد الاوربيون من العلم واستقلال العقل والارادة من المسلمين بحروبهم الصليبية و بما بثه فيهم تلاميذ ابن رشد وغيره من حكماء المسلمين ، فضعفت السلطتان ونازعتهما قوة العلم فنزعت منهما مانزعت ، فلما رأى الفريقان انه لاقبل لهما بالعلم ولا قدرة لهما على إطفاء نوره توجهت همتهما الى الاستعانة به على تقرير سلطانهما بقدر الامكان فكانت المدارس عونا للاديار والثكنات في اضعاف ارادة افراد الامة وافساد بأسهم والتصرف في حريتهم ، وهذا كان في بعض الشعوب أقوى منه في بعض، كما بين ذلك الحكماء الذين فطنوا له بعد. ولذلك كانت قوة المدنية الافرنجية الحاضرة بالحرية والاستقلال الشخصي وهم متفاوتون فيه ، وينشدون مرتبة الكمال منه ، وضعفنا بفقد ذلك بعد ان كنا نحن السابقين اليه

الانكليز اعرق الشعوب الاوربية في الحرية الشخصية واستقلال الارادة على تثبتهم في تقاليدهم وبطئهم في التحول عن الامريكونون عليه ، ولحريتهم واستقلالهم كانوا أكثر استفادة من الاصلاح الديني الذي زلزل سلطة البابوية من بعض البلاد وثل عرشها من بعض ، وحكومة هذا الشعب هي الحكومة الفذة التي جعلت خدمة الجندية اختيارية وأقامت التربية في المدارس على قواعد من الحرية الشخصية والاستقلال وكرامة النفس لم يقمها أحد مثلها ، ولذلك استولت على زهاء خمس البشر الاذلاء بضعف الاستقلال وفقد الحرية على كون جندها أقل من جند غيرها من الدول الكبرى . وقد فطن لذلك بعض علماء جيرانها الفرنسيس واهابوا بقومهم لاجل اتباعها فيه وكتبوا في ذلك مصنفات كثيرة ترجم بعضها بالعربية واشتهر

ككتاب (سر تقدم الانكليز السكسونيين) وكتاب (التربية الاستقلالية) المسمى في الاصل (أميل القرن التاسع عشر)

بين صاحب الكتاب الاول في الفصل الاول من الباب الاول ان التعليم في المدارس الفرنسية لايربي رجالا وانما يصنع آلات تستعملها الحكومة في تنفيذ سياستها كما تشاء . قال في نظام مدارسهم

« ومما لاشك فيه ان هذا النظام ملائم لذلك الغرض كما ينبغي أي انه يهيء الطلبة الى الوظائف الملكية والعسكرية . وبيانه أن الموظف الحقيقي هو الذي يجب عليه أن يتنازل عن ارادته ولهذا وجب أن يتربى على الطاعة ليسهل عليه تنفيذ أمر رؤسائه من غير مناقشة ولا نظر فيها . لان المطلوب منه ان يكون آلة في يد غيره ، والمدارس الداخلية من أعظم البواعث على هذه التربية لان المدرسة نظمت على نسق ثكنة عسكرية يقوم الطلبة فيها من نومهم على صوت البوق أو رنة الجرس ، وينتقلون مصطفين بالنظام من عمل الى آخر ، ورياضتهم تشبه الاستعراض العسكري فهم لايخرجون من الدرس الا في رحبات داخل البناء عالية الاسوار ويتمشون فيها جماعات جماعات كأنهم لايلعبون – الى ان قال –

« ومن الواضح ان هذا النظام يضعف في الشاب قوة العمل الاختياري ويوهن الهمة والاقدام ، كما ان من شأنه ايضا ازالة ماقد يوجد بين الطلبة من تفاوت الانساب لان الدائرة التي تدور على الجميع واحدة فتجعلهم في الحقيقة آلات معدة للعمل الذي يقصد منها . ومما يزيد في سهولة انقيادهم وحسن طاعتهم كون النظام الذي تربوا عليه لا يؤدي الى تربية الفكر والتعقل بل الطالب يتناول مسرعا كثيرا من المواد سواء أحكم تعلمها أم لا ولا تشغل من ملكاته الا الذاكرة ، فكما أنه يتلقى التعليم من دون نظر فيه تراه ينحني من غير تردد امام الاوامر التي تصدر له من رؤسائه في المصالح التي يوظف فيها »

وذكر ان أول من التفت الى جعل المدارس الفرنسية هكذا هو نابليون الاول

ليتمكن بها من جعل السلطة كلها بيده يتصرف فيها كما يشاء ، وناهيكم بولوع ذلك الرجل بالانفراد بالسلطة

وذكر في الفصل الثاني ان المدارس الالمانية لا تربي رجالا لانها كالمدارس الفرنسية بل هم قلدوا ألمانيا في نظام مدارسها كما قلدوها في النظام العسكري ، وذكر شكوى عاهل هذه الدولة من المدارس وتصريحه في خطاب له بأنها لم تؤد الى الغاية المطلوبة منها ، وأطال في انتقاد نظام هذه المدارس

ثم بين في الفصل الثالث ان الانكليز يربون اولادهم تربية استقلالية فيشب الواحد منهم مستقلا بنفسه في أمور معيشته وعامة اموره لا متكلا على عشيرته وقومه ولا على حكومته . وحث قومه على هذه التربية واطال في وصفها

وقال صاحب كتاب (التربية الاستقلالية) « قهر الطفل على الامتثال والزامه إطاعة الاوامر يستلزم حتما إخماد وجدان التكليف في نفسه خصوصا اذا طال امد ذلك القهر فانه اذا كان غيره يتكلف الحلول محله فى الارادة والحكم المطلق على الخير والشر والانصاف والجور لم تبق له حاجة في الرجوع الى وجدانه واستفتاء قلبه » ثم قال

« الطاعة الصادرة عن حرية واختيار ترفع طبع الطفل والاذعان الناشئ عن القهر يحطه ، فللأم ومعلم المدرسة كلمة يقولانها عن الطفل العنيد القاسي وهي قولهما « سأذلله » والحقيقة ان الناشئين على طريقتنا الفرنسية في التربية مذللون دائما . نعم قد يقال ان في اتباعها مصلحة للاحداث وللمجتمع الانساني ولكن سائس الخيل له ايضا ان يقول للحصان الذي يروضه : لا تجزع فاني أعمل هذا بك لمصلحتك . على ان إطلاق الترويض على الحصان اصح من إطلاقه على الانسان لان هذا الحيوان لا يخسر بترويضه باللجام والمهماز الاحدته الوحشية ، وأما الانسان فانك اذا اخذته بالقهر وسسته بالارغام تذهب بحب الكرامة من نفسه ، وتبخس قيمته في نظره » وله كلام كثير في هذا انتقد التعليم الديني والسياسي وجعله بمنزلة القوالب التي تصب فيها المواد لتكون آلات بشكل مخصوص

فهذه إشارة من كلام علماء الافرنج المستقلين الى تصديق ما قاله عالمنا في

التربية والتعليم من بضع قرون . نعم ان الضعف الذي كان يصيب الامم المنغمسة في الحضارة قد عالجه المتأخرون بما أوتوا من العلم بخواص الاشياء كالبارود والديناميت والبخار والكهرباء وبعمل الآلات الحربية التي تدك المعاقل وتدمر الحصون وتقتل في الدقيقة الواحدة ألوفا من الناس ، و بالنظام العسكري الجديد فصار الغلب لأمم العلم والحضارة ، على أهل البدو الذين لا علم لهم ولا صناعة . ثم انهم طفقوا يعالجون ما تحدثه الحضارة من الضعف في الاجسام والارادات والعزائم بالتربية الاستقلالية والرياضات البدنية ولذلك استولوا على من حرموا هذه المزايا من أهل البدو والحضر ، وكادوا يسخرون لخدمتهم سائر البشر ، وما ذلك الا لأنهم صاروا باستقلال الفكر والارادة أقرب الى التوحيد وابعد عن الاستعباد للمخلوقات من الاحياء والاموات ، فليعتبر بذلك الذين يفخرون بالتوحيد وهم يستغيثون أهل القبور لدفع الاذى عنهم وجلب الخير لهم ، ويدعون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا ، ولم يجعل الرسول المبلغ عنه حفيظا عليهم ولا مسيطرا ولا وكيلا ولا جبارا ، وإنما أرسله معلما هاديا ، كما تقدم آنفا ، وجعل الوازع الديني من النفس لا من الخارج فما أرقى هذا الدين وما اسمى هديه ، وما أضل من التمسه من غير كتابه الحكيم ، وسنة نبيه عليه الصلاة والتسليم

﴿ ويقولون طاعة ﴾ أي يقول المسلمون كافة أو أولئك الذين ذكروا في الآيات الاخيرة ، قال ابن جرير يعني الفريق الذين أخبر الله عنهم أنهم لما كتب عليهم القتال خشوا الناس كخشية الله أو اشد خشية يقولون للنبي (ص) اذا أمرهم بأمر: أمرك طاعة ، لك منا طاعة فيما تأمرنا به وتنهانا عنه اه وقال غيره التقدير « أمرنا طاعة » أي شأننا معك الطاعة لك ، والاقرب ما قاله ابن جرير ، ومعنى امرك طاعة أنه مطاع فجعل المصدر في مكان اسم المفعول للمبالغة ، فهو يدل بايجازه على انهم كانوا في حضرة الرسول يدعون كمال الطاعة و يظهرون منتهى الانقياد

﴿ فاذا برزوا من عندك ﴾ أي فاذا خرجوا من عندك ، وكلمة برز من مادة البراز بفتح الباء وهو الفضاء من الارض أي خرجوا من المكان الى البراز ﴿ بيت طائفة منهم

غير الذي تقول » دبرت في أنفسها ليلا غير الذي تقول لها وتظهر الطاعة لك فيه نهارا، أو بيتت غير الذي تقوله هي لك وتؤكده من طاعتك . والتبييت ما يدبر في الليل من رأي ونية وعزم على عمل ، ومنه قصد العدو ليلا للايقاع به ، ومنه تبييت نية الصيام أي القصد اليه ليلا ، واشتقاقه من البيتوتة فان وقتها هو الوقت الذي يجتمع فيه الفكر ويصفو فيه الذهن ، وقيل انه مشتق من أبيات الشعر ، أي روزوا ورتبوا في سرائرهم غير ما تأمرهم به كما يروزون الابيات من الشعر . أي يعزمون على المخالفة مع التفكر في كيفيتها واتقاء غوائلها كما يرتبون أبيات الشعر ويزنونها ، قال الاستاذ الامام ليس هذا خاصا بالمنافقين بل يكون من ضعفاء الايمان ومرضى القلوب وهذا الرأي هو الموافق لما قاله في الآيات السابقة . وروى ابن جرير عن ابن عباس انه قال هم ناس يقولون عند رسول الله (ص) آمنا بالله ورسوله ليأمنوا على دمائهم وأموالهم واذا برزوا من عند رسول الله (ص) خالفوا الى غير ما قالوا عنده فعابهم الله .

« والله يكتب ما يبيتون » أي يبينه لك في كتابه ويفضحهم به بمثل هذه الآية أو يكتبه في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه « فأعرض عنهم » أيها الرسول ولا تبال بما يبيتون ولا تؤاخذهم بما أسروا ولم يظهروا ، أو المراد لا تقبل عليهم بالبشاشة كما تقبل على الصادقين « وتوكل على الله » في شأنهم أي اتخذه وكيلا تكل اليه جزاءهم وتفوض اليه أمرهم « وكفى بالله وكيلا » يحيط علمه بالاعمال ظاهرها وباطنها ، وبما يستحق العاملون من الجزاء عليها ، ويقدر على إيقاع هذا الجزاء لا يعجزه منه شيء ، وانما عليك البلاغ ، وعليه الحساب والجزاء . وهذا يؤيد ما تقدم بيانه في تفسيرنا للآية التي قبل هذه الآية

وقد زعم بعض المفسرين ان الامر بالاعراض عن المنافقين هنا منسوخ بقوله تعالى « جاهد الكفار والمنافقين » ورده الفخر الرازي ، وقالوا مثله في الآية السابقة ، وقال الاستاذ الإمام انهم لا يكادون يتركون آية من آيات العفو والصفح

والحلم ومكارم الاخلاق في معاملة المخالفين الا ويزعمون نسخه . وانكر ذلك اشد الانكار . وليس عندي شيء عنه في تفسير هذه الايات غير هذا وما تقدم قريبا من قوله بأن الآية ليست في المنافقين خاصة

قرأ ابو عمرو وحمزة « بيت طائفة » بادغام التاء في الطاء وهما حرفان متقاربان في المخرج يدغم بعض العرب احدهما في الآخر كما في هذه القراءة والباقون بغير إدغام

ومن مباحث اللفظ اتفاق القراء على تذكير « بيت » قالوا لم يقل « بيتت » بتاء التأنيث لان تأنيث « طائفة » غير حقيقي ولانها بمعنى الفريق والفوج . وهذا التعليل كاف في بيان الجواز لا في بيان الاختيار والاصل ان يؤنث ضمير المؤنث ولو كان تأنيثه لفظيا ووجه الاختيار الذي أراه هو أن تكرار التاء قبل الطاء القريبة منها في المخرج لا يخلو من ثقل على اللسان ولذلك تحذف إحدى التاءين من مضارع مثل « تصدى وتكلم »

« أفلا يتدبرون القرآن » التدبر هو النظر في أدبار الامر وعواقبها وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي اليها وعاقبة العامل به والمخالف له ، والمعنى جهل هؤلاء حقيقة الرسالة ، وكنه هذه الهداية ، أفلا يتدبرون القرآن الذي يدل على حقيقتها ، وعاقبة المؤمنين بها والجاحدين لها ، فيعرفوا انه الحق من ربهم ، وأن ما أنذر به الكافرين والمنافقين واقع بهم ، لانه كما صدق فيما أخبر به عما يبيتون في أنفسهم ، وما يثنون عليه صدورهم ، ويطوون عليه سرائرهم ، يصدق كذلك فيما يخبر به من سوء مصيرهم ، وكون العاقبة للمتقين الصادقين ، والخزي والسوء على الكافرين والمنافقين ، بل لو تدبروه حق التدبر لعلموا أنه يهدي الى الحق ، ويأمر بالخير والرشد ، وان عاقبة ذلك لا تكون الا الفوز والفلاح ، والصلاح والاصلاح ، فاذا كانوا لاستحواذ الباطل والغي عليهم لا يدركون كنه هداية هذا القرآن في ذاتها ، أفلم يئن لهم ان يدركوا من خصائصه ومزاياه ، أنه لا يمكن ان يكون الا من عند الله ؟

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » أي لو كان من عند محمد

ابن عبد الله القرشي لا من عند الله الذي أرسله به لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لعدم استطاعته واستطاعة أي مخلوق أن يأتي بمثل هذا القرآن في تصوير الحق بصورته كما هي لا يختلف ولا يتفاوت في شيء منها ، لا في حكايته عن الماضي الذي لم يشاهده محمد (ص) ولم يقف على تاريخه ، ولا في إخباره عن الآتي في مسائل كثيرة وقعت كما انبأ بها ، ولا في بيانه لخفايا الحاضر ، حتى حديث الانفس ومخبآت الضمائر ، كبيان ما تبيت هذه الطائفة مخالفا لما تقول للرسول (ص) أو ما يقوله لها فتقبله في حضرته ،

ولعدم استطاعته واستطاعة غيره ان يأتي بمثله في بيان أصول العقائد ، وقواعد الشرائع ، وفلسفة الآداب والاخلاق ، وسياسة الشعوب والاقوام مع اتفاق جميع الاصول ، وعدم الاختلاف والتفاوت في شيء من الفروع ،

ولعدم استطاعته واستطاعة غيره ان يأتي بمثله فيما جاء به من فنون القول وألوان العبر في انواع المخلوقات ، في الارض والسموات ، وفيها الكلام على الخلق والتكوين ووصف الكائنات بأنواعها ، كالكواكب وبروجها ونظامها ، والرياح والبحار والنبات والحيوان والجماد ، وما فيها من الحكم والآيات . وكلامه في ذلك كله يؤيد بعضه بعضا لاشية فيه ، ولا اختلاف بين معانيه

ولعدم استطاعته واستطاعة غيره أن يأتي بمثله في بيان سنن الاجتماع ، ونواميس العمران ، وطبائع الملل والاقوام ، وايراد الشواهد وضروب الامثال ، وتكرار القصة الواحدة ، بالعبارات البليغة المتشابهة ، تنويعا للعبرة ، وتلوينا للموعظة ، مع تجاوب ذلك كله على الحق ، وتواطئه على الصدق ، وبراءته من الاختلاف والتناقض ، وتعاليه عن التفاوت والتباين ،

وفوق ذلك كله مافيه من العلم الالهي والخبر عن عالم الغيب والدار الآخرة وما فيها من الحساب على الاعمال ، والجزاء الوفاق ، وكون ذلك موافقا لفطرة الانسان ، وجاريا على سنة الله تعالى في تأثير الاعمال الاختيارية في الارواح ، فالاتفاق والالتئام بين الآيات الكثيرة في هذا الباب ، هو غاية الغايات عند من أوتي الحكمة وفصل الخطاب

كان هذا القرآن ينزل منجما بحسب الوقائع والاحوال فيأمر النبي (ص) عند نزول الآية أو الطائفة من الآيات أن توضع في محلها من سورة كذا وهو لا يقرأ في الصحف ما كتب أولا ولا ما كتب آخرا ، وانما يحفظه حفظا ، ولم تجر العادة بأن الذي يأتي من عند نفسه بالكلام الكثير في المناسبات والوقائع المختلفة يتذكر عند كل في السنين الخالية قول جميع ماسبق له ويستحضره ليجعل الآخر موافقا للاول ، واذا تذكرت ان بعض الآيات كان ينزل في أيام الحرب وشدة الكرب ، وبعضها كان ينزل عند الخصام ، وتنازع الافراد أو الاقوام ، جزمت بأن من المحال عادة أن يتذكر الانسان في هذه الاحوال جميع ما كان قاله من قبل ليأتي بكلام يتفق معه ولا يختلف ، وكان اذا تلا عليهم الآيات يحفظونها عنه في صدورهم ويكتبونها في صحفهم ، فلم يكن ثم مجال للتنقيح والتحرير لو فرض ، وإن تعجب فعجب ان تمر السنون والاحقاب وتكر القرون والاجيال ، وتتسع دوائر العلوم والمعارف وتتغير أحوال العمران ، ولا تنقض كلمة من كلمات القرآن ، لا في أحكام الشرع ، ولا في أحوال الناس وشؤون الكون ، ولا في غير ذلك من فنون القول

كتب ابن خلدون مقدمته في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع والعمران فكانت أفضل الكتب وأحكمها في عصر مؤلفها وبعد عصره بعدة عصور ، ثم ارتقت العلوم وتغيرت أصول العمران فظهر الاختلاف والخطأ في كثير مما فيها ، بل نرى العالم النابغ في علم معين من علماء هذا العصر يؤلف الكتاب فيه ويستعين عليه بمعارف اقرانه من العلماء الباحثين ثم يطيل التأمل فيه وينقحه ويطبعه فلا تمر سنوات قليلة الا ويظهر له الخطأ والاختلاف فيه فلا يعيد طبعه الا بعد ان يغير منه ويصحح ماشاء ، فما بالك بما يظهر للانسان من الاختلاف والتفاوت في الكتب التي يؤلفها غيره من أول وهلة لا بعد مرور السنين ، واتساع دائرة العلوم . وقد ظهر هذا القرآن في أمة أمية لامدارس فيها ولا كتب على لسان أمي لم يتعلم قراءة ولا كتابة ، فكيف يمر عليه ثلاثة عشر قرنا يتغير فيها العمران البشري كما قلنا ولا يظهر فيه اختلاف ولا تفاوت حقيقي يعتد به ، ويصلح ان يكون مطعنا فيه ، أليس هذا برهانا ناصعا على كونه من عند الله أوحاه الى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هذا ماجرى به القلم جريا في تفسير هذه الآية بدون استعانة ولا اقتباس من كلام أحد من المفسرين لانه هو المتبادر عندي، وسلكت فيه طريق الاختصار الذي يدل على التفصيل ، وتركت مسألة الفصاحة والبلاغة واتفاق أسلوبه فيهما الى مراجعة كلامهم فيها ، ثم راجعت بعض التفاسير فاذا انا بابن جرير يختصر القول في الآية فيقول : أفلايتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يامحمد كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك وان الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضا بالتصديق ، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ، فان ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت احكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض . اه

وبين الرازي أن هذه الآية احتجاج بالقرآن على المنافقين تثبت لهم ما كانوا يمترون فيه من نبوة النبي (ص) وذكر ان العلماء قالوا ان دلالة القرآن على صدق محمد (ص) من ثلاثة أوجه : فصاحته واشتماله على اخبار الغيوب وسلامته عن الاختلاف (قال) وهذا هو المذكور في هذه الآية . وذكر فيه اي الاخير ثلاثة أوجه (الاول) قول ابي بكر الاصم وحاصله ان المنافقين كانوا يتواطئون سرا على أنواع من المكر والكيد فيبينها الله في القرآن ولما كان كل ماحكاه الله عنهم صدقا على خفائه علم انه لو كان من غيره لم يطرد فيه هذا الصدق (الثاني) قول أكثر المتكلمين ان المراد منه ان القرآن كتاب كبير مشتمل على كثير من العلوم فلو كان من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لاينفك عن ذلك (الثالث) قول ابي مسلم ان المراد الاختلاف في مرتبة الفصاحة حتى لا يكون في جملة مايعد في الكلام الركيك بل بقية الفصاحة فيه من أوله الى آخره على نهج واحد . ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد وان يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا و بعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه المعجز من عند الله تعالى

نقل الرازي ماتقدم في هذا المقام عن مفسري المعتزلة وهم الذين بينوا من

بلاغة القرآن ومزاياه العجب العجاب ، وقد سبق الى تحقيق القول في هذه المسألة وتفصيله القاضي أبو بكر الباقلاني امام الاشعرية ورافع لوائهم المتوفى ٤٠٣ فانه بين في كتابه «إعجاز القرآن» وجه إعجازه باخباره عن المغيبات و باشتماله على العلوم والاخبار التي لا تعرف الا بالتلقي والتعليم مع كون من جاء به أميا ثم قال .

« والوجه الثالث انه بديع النظم عجيب التأليف متناه في الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه والذي اطلقه العلماء هو على هذه الجملة ، ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها ، فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للاعجاز وجوه (منها) مايرجع الى الجملة وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله اسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد ، وذلك ان الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظوم تنقسم الى اعاريض الشعر على اختلاف انواعه ، ثم الى انواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم الى اصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم الى معدل موزون غير مسجع ، ثم الى مايرسل ارسالا فتطلب فيه الاصابة والافادة وافهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وان لم يكن معتدلا في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لايتعمل ولا يتصنع له ،وقد علمنا ان القرآن مخالف لهذه الوجوه ومباين لهذه الطرق ، ويبقى علينا ان نبين انه ليس من باب السجع ولا فيه شيء منه ، وكذلك ليس من قبيل الشعر لان من الناس من زعم انه كلام مسجع ، ومنهم من يدعي ان فيه شعرا كثيرا، والكلام يذكر بعد هذا الموضع، فهذا اذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن اصناف كلامهم ، واساليب خطابهم ، انه خارج عن العادة وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع الى جملة القرآن ، وتميز حاصل في جميعه

« (ومنها) انه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة ، على هذا الطول وعلى هذا القدر ، وانما تنسب الى حكيمهم كلمات معدودة،

وألفاظ قليلة ، والى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها مانبينه بعدهذا من الاختلال، ويعترضها مانكشفه من الاختلاف، ويقع فيها مانبديه من التعمل والتكلف، والتجوز والتعسف ، وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ماوصفه الله تعالى به فقال عز من قائل « الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » فأخبر ان كلام الآدمي اذا امتد وقع فيه التفاوت ، وبان عليه الاختلاف ، وهذا المعنى هو غير المعنى الاول الذي بدأنا بذكره ، فتأمله تعرف الفضل .

«وفي ذلك معنى ثالث هو ان عجيب نظمه وبديع تأليفه لايتفاوت ولايتباين على مايتصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ ،واحتجاج ، وحكم وأحكام ، واعذار وانذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم ، وأخلاق كريمة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ، ونجد كلام البليغ الكامل ، والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، يختلف على حسب اختلاف هذه الامور ، فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ دون التأبين ، ومنهم يجود في التأبين دون التقريظ، ومنهم من يقرب في وصف الابل أو الخيل ، أو سير الليل، أووصف الحرب ، أو وصف الروض ، أو وصف الخمر ، أو الغزل ، أوغير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ، ولذلك ضرب المثل بامرىء القيس اذا ركب، والنابغة اذا رهب، وبزهير اذا رغب، ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام ، ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الاحوال التي يتصرف فيها . فيأتي بالغاية في البراعة في معنى فاذا جاء الى غيره قصر عنه، ووقف دونه ، وبان الاختلاف على شعره، ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم لانه لاخلاف في تقدمهم في صنعة الشعر، ولاشك في تبريزهم في مذهب النظم ، فاذا كان الاختلال يتأتى في شعرهم لاختلاف مايتصرفون فيه استغنينا عن ذكر من هو دونهم ، وكذلك عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل ونحوها

« ثم نجد في الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد أصلا ، ومنهم من ينظم القصيد ولكن يقصر فيه مهما تكلفه وتعمله ، ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فاذا اتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ، ومنهم من يوجد بضد ذلك . وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع مايتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف — لاتفاوت ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا اسفال فيه الى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا مايتصرف اليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الاعجاز في جميعها على حد واحد لايختلف، وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة الواحدة ، فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا بذلك انه مما لايقدر عليه البشر ، لان الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الاسباب التي يتضمن .

« ومعنى رابع وهو ان كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بينا في الفصل والوصل والعلو والنزول والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم اليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع ، الا ترى ان كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره ، والخروج من باب الى سواه ، حتى ان أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحتري — مع جودة نظمه، وحسن وصفه — في الخروج من النسيب الى المديح ، وأطبقوا على انه لايحسنه ولايأتي فيه بشيء ، وإنما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى ، وتنقل يستحسن، وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء الى شيء ، والتحول من باب الى باب ،

« ونحن نفصل بعد هذا ونفسر هذه الجملة ونبين على ان القرآن على اختلاف مايتصرف فيه من الوجوه الكثيرة ، والطرق المختلفة ، يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الافراد ، الى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب تتبين فيه الفصاحة، وتظهر فيه البلاغة، ويخرج به الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف

(وذكر هنا معنى خامسا هو ان نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة الانس والجن فهم يعجزون عن مثله ، وذكر ههنا ان المراد بكلام الجن

ما كانت تعتقده العرب وتحكيه من سماع كلام الجن وزجلها وعزيفها ، وليس هذا مما نحن فيه من نفي الخلاف والتفاوت ثم قال)

« ومعنى سادس وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجود في القرآن . وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والابداع والبلاغة وقد ضمنا بيان ذلك بعد لأن الوجه هنا ذكر المقدمات دون البسط والتفصيل (يعني انه في كل ذلك على نسق واحد لا اختلاف فيه)

« ومعنى سابع وهو ان المعاني التي تتضمن في أصل وضع الشريعة والاحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين، على تلك الالفاظ البديعة وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ، ويمنع ذلك انه قد علم أن تخير الالفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، والاسباب الدائرة بين الناس اسهل وأقرب من تخير الالفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، فلو ابرع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من ان يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر ، والامر المتقرر المتصور ، ثم ان انضاف الى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه ، ويراد تحقيقه ، بان التفاضل في البراعة والفصاحة ، ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لا يفضل احدهما على الآخر ، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم

(حاصل هذا الوجه ان كلام الفصحاء في المعاني المألوفة المبتذلة لايخلو من الاختلاف والتفاوت ، فانتفاء الاختلاف من القرآن ألبتة على تصرفه في ضروب المعاني العلمية العالية التي لم يسبق للعرب التصرف فيها أبلغ في الاعجاز ، وأظهر في الدلالة على كونه من عند الله عز وجل . ثم ذكر معنى ثامنا بين فيه وقوع الكلمة من القرآن في كلام البلغاء من شعر أو نثر موضع اليتيمة من واسطة العقد فتأخذه لاجلها الاسماع، وتتشوف اليه النفوس، واجاد في هذا كل الاجادة وليس من موضوع نفي الاختلاف الذي نحن فيه ، وكذلك المعنى التاسع فقد بين فيه أسرار الحروف

المقطعة في أوائل بعض السور . واما المعنى العاشر فهو على ما يتضمنه من نفي الاختلاف والتباين يفيدنا إيضاح وجوب تدبر القرآن وكونه مما يسره الله لكل عارف بهذه اللغة قال)

« ومعنى عاشر وهو انه سهل سبيله، فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريبا الى الافهام، يبادر معناه لفظه الى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته الى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مطمع مع قربه في نفسه، ولا موهم مع دنوه في موقعه، أن يقدر عليه، أو يظفر به، فأما الانحطاط عن هذه الرتبة الى رتبة الكلام المبتذل، والقول المسفسف ، فليس يصح أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة فيطلب فيه التمنع، أو يوضع فيه الاعجاز، ولكن لو وضع في وحشي مستكره، أو غمر بوجوه الصنعة، واطبق بأبواب التعسف والتكلف، لكان لقائل أن يقول فيه، ويعتذر ويعيب ويقرع، ولكنه أوضح مناره، وقرب منهاجه، وسهل سبيله، وجعله في ذلك متشابها متماثلا، وبين مع ذلك اعجازهم فيه، وقد علمت ان كلام فصحائهم، وشعر بلغائهم، لا ينفك من تصرف في غريب مستنكر، أو وحشي مستكره ، ومعان مستبعدة ، ثم عدولهم الى كلام مبتذل وضيع لا يوجد دونه في الرتبة، ثم تحولهم الى كلام معتدل بين الامرين ، متصرف بين المنزلتين ، فمن شاء ان يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما يتصرف اليه هذه القصيدة ونظائرها ومنزلتها من البلاغة ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يؤخذ باليد ويتناول من كتب ويتصور في النفس كتصور الاشكال ليبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن» اهـ

﴿ تدبر القرآن وما يتوقف عليه ﴾

حاصل معنى الآية الكريمة ان تدبر القرآن وتأمل مايهدي اليه باسلوبه الذي امتاز به هو طريق الهداية القويم، وصراط الحق المستقيم، فانه يهدي صاحبه الى كونه من عند الله والى وجوب الاهتداء به لكونه من عند الله الرحيم بعباده، العليم بما يصلح به أمرهم، مع كون مايهدي اليه معقولا في نفسه لموافقته للفطرة ، وملاءمته للمصلحة ،

وفيه ان تدبر القرآن فرض على كل مكلف لاخاص بنفر يسمون المجتهدين يشترط فيهم شروط ما انزل الله بها من سلطان، وانما الشرط الذي لابد منه ولاغنى عنه هو معرفة لغة القرآن مفرداتها وأساليبها فهي التي يجب على من دخل في الاسلام ومن نشأ فيه ان يتقنها بقدر استطاعته بمزاولة كلام بلغاء أهلها ومحاكاتهم في القول والكتابة حتى تصير ملكة وذوقا لا بمجرد النظر في قوانين النحو والبيان التي وضعت لضبطها ، وليس تعلم هذه اللغة ولاغيرها من اللغات بالامر العسير فقد كان الاعاجم في القرون الاولى يحذقونها في زمن قريب حتى يزاحموا الخلص من أهلها في بلاغتها . وانما يراه أهل هذه الأعصار عسيرا لأنهم شغلوا عن اللغة نفسها بتلك القوانين وفلسفتها فمثلهم كمثل من يتعلم علم النبات من غير ان يعرف النبات نفسه بالمشاهدة فلا يكون حظه منه الا حفظ القواعد والمسائل فيعرف ان الفصيلة الفلانية تشتمل كذا وكذا واذا رأى ذلك لايعرفه

وفيه ايضا وجوب الاستقلال في فهم القرآن لان التدبر لايتم إلا بذلك . ويلزم من ذلك بطلان التقليد . قال الرازي دلت الآية على وجوب النظر والاستدلال وعلى القول بفساد التقليد لانه تعالى أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته واذا كان لابد في صحة نبوته من استدلال فبأن يحتاج في معرفته ذات الله وصفاته الى الاستدلال كان أولى » اه

الامر كما قال الرازي واكبر مما قال: التقليد منع من الاستدلال والاستدلال واجب، التقليد منع من تدبر القرآن للاهتداء به وتدبره واجب، ان الله تعالى هو الذي أمرنا بتدبر كتابه، وبالاستدلال به ، فلا يملك أحد من خلقه ان يحرم علينا ما أوجبه، الائمة المجتهدون اجمعوا على وجوب الاهتداء بالقرآن وعلى المنع من التقليد الذي يصد عنه ويقتضي هجره ، ولم يجعلوا أنفسهم شارعين يطاعون، وانما كانوا أدلاء للناس لعلهم يهتدون ، ما قال بوجوب التقليد وتحريم الاستقلال الا بعض المقلدين الذين يعترفون بانه ليس لهم قول يتبع ولا أمر يطاع ، وكان ذلك دسيسة من الملوك والامراء المستبدين، ليذلوا الناس ويستعبدوهم باسم الدين، وكذلك كان. وقد علمت ان قبول الاستبداد واتباع القرآن ، ضدان لايجتمعان ، وما نبغ عالم من

العلماء الذين نشئوا على التقليد الا وحار به بعد نبوغه كالامام الرازي الذي نقلنا قوله آنفا وله أقوال في ذلك أعم وأشمل نقلنا بعضها من قبل وغيره كثيرون

لسنا نعني ببطلان التقليد ان كل مسلم يمكن ان يكون كمالك والشافعي في استنباط الاحكام الاجتهادية في أبواب الفقه كلها فينبغي له ذلك وانما نعني انه يجب على كل مسلم ان يتدبر القرآن ويهتدي به بحسب طاقته وانه لايجوز لمسلم قط ان يهجره ويعرض عنه، ولاأن يؤثر على مايفهمه من هدايته كلام أحد من الناس لامجتهدين ولا مقلدين ، فانه لاحياة للمسلم في دينه الا بالقرآن، ولايوجد كتاب لإمام مجتهد ، ولا لمصنف مقلد ، يغني عن تدبر كتاب الله في إشعار القلوب عظمة الله تعالى وخشيته وحبه والرجاء في رحمته والخوف من عقابه ، ـ ولا في تهذيب الاخلاق وتزكية الانفس وتنزيهها عن الشرور والمفاسد ، وتشويقها الى الخيرات والمصالح ، ورفعها عن سفساف الامور الى معاليها ، ـ ولا في الاعتبار بآيات الله في الآفاق ، وسننه في سير الاجتماع البشري وطبائع المخلوقات ، ولا في غير ذلك من ضروب الهداية التي امتاز بها على سائر الكتب الالهية فكيف تغني عنه فيها المصنفات البشرية ،

اما وسر القرآن لو ان المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان ، لما فسدت اخلاقهم وآدابهم ، ولما ظلم واستبد حكامهم ، ولما زال ملكهم وسلطانهم ، ولما صاروا عالة في معايشهم واسبابها على سواهم ،

هذا هو التدبر والتذكر الذي نطالب به المسلمين آنا بعد آن، كما هي سنة القرآن، لايمنع ان يختص أولو الامر منهم باستنباط الاحكام العامة في السياسة والقضاء والادارة العامة فان الله سبحانه بعد أن أنكر على أولئك الفريق من الناس ترك تدبر القرآن ، انكر عليهم أيضا اذاعتهم بالامور العامة المتعلقة بالامن والخوف وهداهم الى ردها الى أولي الامر الذين هم أعلم بما ينبغي ان يعمل، وأقدر على استنباط ما يجب ان يتبع ، فقال (١

(١) ستأتي الآية مع تفسيرها والشاهد فيها « ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ القدر وحديث خلق الانسان شقيا وسعيدا ﴾

(س ٣٢ و ٣٣) من دمياط

من مصطفى نور الدين حنطر إلى المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

سلام عليك أيها الرشيد المرشد، سلام عليك أيها القائم لله بالحجة على أهل عصرك، سلام عليك أيها الوارث لرسول الله، يحيي ما أماته الناس من سنته، المصلح لما أفسدوه من شريعته، سلامه عليك وعلى أمثالك من عباد الله الصالحين المجددين لهذه الامة في هذا القرن ما اندرس من أمر دينها، سلام عليك ورحمة الله وبركاته

أما بعد فاني أرجو إفادتي عن أمرين فانكم خير من يرجى للافادة (الاول) إنكم قد تكلمتم على القدر وعلى حقيقة معناه في مناركم المنير مرارا وقد عاودتم الكلام عليه في هذا المنار الاخير عند تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) ومما قلت في هذا الشأن قولك (ثم إنك إذا ذكرتهم يسلون في وجهك كلمة القدر ومثل الحديثين اللذين ذكرهما الرازي) أما أنا إذا ذكرتهم بهذا المعنى الصحيح الذي أعتقده قديماً وقلت لهم: إن القدر عبارة عن أن المسببات تجيء على قدر أسبابها لا تزيد عنها ولا تنقص، وأن أمور الكائنات جارية على نظام محكم وناموس متقن وسنة حكيمة فانهم يشهرون في وجهي حديثاً جاء في البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث

الله ملكا ويؤمر باربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة)

هذا الحديث أيها الاستاذ مشكل من وجوه «أولا» إنه ينافي صريح القرآن فانه يفيد أن الامور مكتوبة على وجه التحتيم والجبر على أمر بعينه لا على معنى ارتباط الاسباب بالمسببات ولا ريب أن ذلك يخالف صريح القرآن فانه من أوله الى آخره يحث على الأخذ باسباب السعادة والبعد عن اسباب الشقاوة ويدل على أن للسعادة أسبابا سواء كانت دنيوية أو أخروية وأن للشقاوة أسبابا كذلك «ثانياً» أن تحتيم الشقاوة الذي يستفاد من لفظ الكتابة المذكورة في هذا الحديث يشبه أن يكون ظلما منه تعالى والله منزه عن الظلم كما جاء في غير موضع من القرآن «ثالثاً» ان هذا الحديث مؤيد لعقيدة أهل الجبر التي ما كانت تعرف في الصدر الاول وانما فشت في المسلمين بعد ذلك وصارت من أقوى عوامل ضعفهم وانحطاطهم «رابعاً» إن هذا الحديث معارض بحديث (كل مولود يولد على الفطرة) فهذا يفيد أن كل مولود يولد على الخير وذاك يفيد أن البعض يولد شقيا والبعض سعيداً . وبالجملة فان هذا الحديث قد أشكل عليّ أمره ولم أجد حكيما يشفي ما في صدري سوى حكمتكم الشافية فأرجو أن تسعفوني بالدواء الناجع لما سببه لي هذا الحديث من الامراض والشبهات

الثاني إني رأيت في مناركم الاغر التنويه بفضل الشيخ القاوقجي وانه من مشايخكم ولكني وجدت له منظومة يتعبدون بتلاوتها أرباب طريقة القادرية بدمياط وهو يقول في أولها

يا ربنا بالهيكل النوراني	قطب الوجود ومنجد العيان
غوث الورى وغياثه وملاذه	الباز عبد القادر الجيلاني

ويقول في آخرها

أو أنشد القاوقجي يدعو راغباً	يا ربنا بالهيكل النوراني

ولا يخفى أن قوله (ومنجد العيان) وقوله (غوث الورى وغياثه وملاذه) ينافي التوحيد بل هو من الشرك الجلي فان القرآن يقول (وإن يمسسك الله بضر فلا

كاشف له إلا هو) ويقول (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) الآية ويقول (قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً) ويقول (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة جداً بل أكثر القرآن جاء لأثبات التوحيد ونفي الشرك . فقد حملتني الغيرة عليك وعلى شيخك فأعلمتكم بذلك لتمحو عن سيرة شيخكم ما يشينها وتثبتوا لها ما يزينها وإني كنت مصدقا بنسبة هذه المنظومة إلى الشيخ القاوقجي رحمه الله قبل ان أعلم من حضرتكم التنويه بفضله وأنه شيخكم فالامل إفادتي بما هو الحق والحقيقة جعلكم الله ملجأ للسائلين وإماما للمتقين وإن يكن عندكم مانع من إفادتي بجريدة المنار فأرجو الافادة بكتاب مخصوص يكون عنوانه هكذا

(دمياط . مصطفى نور الدين حنطر)

الجواب

﴿ القدر وحديث ان احدكم يجمع خلقه ﴾

ليس في الكتابة الالهية لما يكون عليه الانسان في مستقبل امره شيء من معنى الجبر والاكراه الذي تبادر الى فهمكم وانما هي عبارة عن ضبط الامر الذي يجري بقدر ونظام ، ومثاله من أعمال البشر (ولله المثل الاعلى) سير القطارات الحديدية بنظامها المعروف وسير البريد في البر والبحر ، يكتب لهذا وذاك نشرات يذكر فيها الايام والساعات والدقائق التي يسير فيها البريد والتي يصل فيها الى بلد كذا وبلد كذا، وليس في هذه الكتابة ما يجعل سير القطارات والمراكب وحركات عمالها خارجة عن نظام الاسباب والمسببات في خواص النار والماء والبخار ولا ماينافي اختيار العمال الذين يتولون الاعمال في هذه القطارات والمراكب ونقل البريد منها في أعمالهم . ان الكتابة عبارة عن ضبط العلم بالشيء والعلم نفسه لا يتعلق بالاشياء تعلق ايجاد وتكوين ، وانما يتعلق بها تعلق انكشاف وإحاطة، فلا اجبار ولا تحتيم، وانما يكتب الشيء على ما يكون عليه ، ونحن نعرف بالضرورة من انفسنا أن ما نحن عليه هو اننا مختارون في أعمالنا الصالحة وغير الصالحة وهي أسباب السعادة والشقاوة . وكونها مكتوبة لا يمنع هذا كما أن كتابة سير القطارات والمراكب من أول الشهر مثلا لا يقتضي أن يكون سيرها بغير الاسباب بل هو بالاسباب ، ومن العلماء من ينظم هذه الكتابة في سلك التمثيل بكون علم الله بالاشياء ثابتا لا يتغير « لا يضل ربي ولا ينسى »

ومن الفرق بين كتابة الناس والكتابة الالهية ان الناس يعلمون بما أوتوا من العلم بالاسباب ان قوة البخار اذا كانت كذا فان القطار أو المركب يسير في الساعة كذا ميلا ، وان المسافة بين مصر والاسكندرية كذا ميلا وبين الاسكندرية والاستانة كذا ميلا ، وان السير يكون في ساعة كذا فيكون الوصول في ساعة كذا .ولكنهم لا يعلمون ما عساه يطرأ من الاسباب التي تحول دون ذلك فيترتب عليها الاخلال بهذا النظام كما يقع ونشاهده ونسمع به من تعطل آلة أو حدوث رياح أو سيول تجرف بعض الخطوط الحديدية . والله سبحانه يعلم جميع ما يطرأ على عبده مما يجري في سلسلة الاسباب الظاهرة للعبد والاسباب الخفية عنه ولا يخفى على الله شيء

والمسألة التي ذكرت في آخر الحديث من أدق العلم بالله وسننه لانها مخالفة بحسب الظاهر لسنة الله تعالى في كون المرء يموت على ما عاش عليه لان الاعمال تؤثر بالتكرار في النفس فتطبعها على الحق والخير أو على ضدهما، فكيف يمكن اذا أن يعمل الانسان بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل أهل النار ،والعكس؟

الجواب عن هذا لا يفهمه حق الفهم الا الخواص الغواص على دقائق المعاني ويمكن تقريبه الى أذهان الجمهور بالمثال ، فمثل الذي يعمل بعمل أهل الجنة حتى يقرب بتزكية نفسه وتهذيبها منها فيترك العمل لها وينغمس في الباطل والشر الذي هو عمل أهل النار كمثل رجل ضعيف البنية مستعد للامراض القاتلة جرى على قواعد حفظ الصحة في طعامه وشرابه وعمله ورياضته حتى لم يبق بينه وبين المتمتعين بكمال القوة والصحة الا فرق قليل فاغتر بنفسه واسرف في أمر صحته بالتعرض لمرض قاتل كالسل أو الهيضة أوالطاعون فهلك ، ومثل الذي يعمل بعمل أهل النار من اقتحام الباطل واقتراف أعمال الشر حتى تكاد تحيط به خطيئته وتصير الا باطيل والشرور ملكة حاكمة عليه فيترك كل ذلك فجأة وينقلب الى ضده كمثل رجل قوي البنية كامل الصحة غرته قوته فأقبل على ما يفسد الصحة كشرب المسكرات ، والاسراف في الشهوات، حتى اذا ساء هضمه، وضعفت قواه، وكاد يكون حرضا أو يكون من الهالكين، تنبه من غفلته ، وثاب الى رشده ، فجرى على قوانين الصحة ، بغاية العناية والدقة، فنجا مما كاد يسلبه ويهلكه . كل من هذا وذاك مما يقع قليلا والاكثر أن من يطول عليه العهد في مزوالة الاعمال النافعة أو الضارة لا يعود عنها ، والاعمال البدنية كالاعمال الروحية وسنن الله تعالى فيهما متشابهة

فتبين بهذا أن الحديث لا يخالف ما في القرآن من اثبات الاسباب واختيار

الانسان ومطالبته بالعمل ، ولا يثبت عقيدة الجبر ، ولا يشير الى اتصاف البارئ تبارك وتعالى بالظلم ، لانه لا يفيد معنى التحتيم والجبر بل كل ما يفيده هو أن كل ما يعمله الانسان ثابت في العلم الالهي على ما يكون عليه في الواقع ، والواقع ان سعادة الانسان اوشقاءه بعمله الاختياري ، ولو علمت أنا أن الامير يسافر في يوم كذا من القاهرة في ساعة كذا فيصل الى الاسكندرية في وقت كذا ثم يسافر منها في ساعة كذا من يوم كذا الى الاستانة فيصل اليها يوم كذا -الى آخر ما يمكن ان اقف عليه من حاشية الامير مثلا — لو علمت هذا وكتبته في دفتر عندي أو في المنار فهل يقتضي ذلك ان يكون ذلك السفر باجبار مني لانني علمت به وأن يكون الامير غير مختار فيه ؟ لالا فان تعلق العلم والكتابة ليس تعلق إلزام ولا ايجاد كما قدمنا وانما أعدناه لزيادة الايضاح

ثم ان الحديث لا يناقض حديث « كل مولود يولد على الفطرة » سواء كان المراد بالفطرة الخير أو الاستعداد المطلق ، لانه انما يدل على علم البارئ تعالى بما يطرأ على الفطرة السليمة من التربية الحسنة والقدوة الصالحة التي تسوقها الى الارتقاء في الحق والخير فيكون صاحبها تام السعادة أو من التربية السيئة وقدوة الشر التي تفسدها وتجعل صاحبها شقياً . فاذا بنت شركة (كشركة واحة عين شمس) عدة بيوت بناء حسناً محكماً مزيناً وقالت انني شدت كل بيت من هذه البيوت وأحكمت بناءه وزينته وكانت تعلم أن الذين يقيمون فيها فريقان فريق يزيدون بيوتهم حسناً وزينة وفريق يصدعون بناءها ويشوهون زينتها وقالت في مقام آخر إن هذه البيوت سيكون بعضها حسناً جميلا وبعضها مشوهاً قبيحاً ، فهل يكون القولان متناقضين ؟ لالا

﴿ الشيخ محمد القاوقجي ﴾

كان الشيخ ابو المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي رجلا منقطعاً للعبادة والعلم وكان له عناية برواية الحديث واشتغال به وبالفقه والتصوف ، وكان على الطريقة الشاذلية . ولما شرعت في طلب العلم رويت عنه الاحاديث المسلسلة وهي تدخل في مصنف لبس بالصغير ، وحضرت بعض دروسه في الحديث خاصة . وكنت شديد الميل الى التصوف الحقيقي لكثرة مطالعتي في إحياء العلوم للغزالي قبل أن أبدأ بطلب العلم فطلبت منه أن أسلك هذه الطريقة على يده فعاهدني وعهد الي بقليل من الذكر فلم أقبل وقلت بل أريد السلوك التام الذي قرأت عنه في الكتب كسلوك الغزالي وأضرابه ، فقال يا ولدي لسنا من رجال هذا السلوك وانما الطريق عندنا للتبرك والتشبه بالقوم .

وقد أجازني بكتاب دلائل الخيرات بالمناولة وله فيها سند الى المؤلف . هذا كل ما أخذته عنه ولم أقرأ أوراده ولا حفظت شيئا منها ، وكنت أنكر في نفسي من دروسه في الحديث بعض الحكايات المأخوذة من كتب الصوفية الذين لا يزنون كل ما يوردونه بميزان الشرع كالشعراني . وأوراده كلها على المألوف من متأخري أهل الطريق وإنني لم أطلع عليها ولكنني حضرت في صغري بعض مجالس الذكر التي كان يعقدها ولم اكن يومئذ أنكر في نفسي ما أسمعه منها لانه مألوف، ولما صرت مستقلا بفهم ديني والحجة على عقيدتي لم يبق في ذهني عن ذلك الرجل الا تلك الاحاديث التي رويتها عنه وذلك المثال الجميل الذي عهدته في ذلك الشيخ القانت عند ما كنت أصلي معه أو أسمع صلاته في الليل أو خطبته التي ماعهدت الناس يكون في خطبة سواها . ولا أدري أجميع ما ينسب اليه هو له وانه بقي عليه الى آخر حياته أم لا وما أظن أن مثله يعتقد ما فهمتم من تلك الابيات وربما كان يعني بها ما ذكرناه من فهم علماء الصوفية للمدد والتبرك في ص ٢٦٣ و ١٤٣



﴿ الدخول في الجمعيات السرية ورؤساؤها واتباعها ﴾

(س ٣٤ -٣٧) من صاحب الامضاء في دمشق الشام

حضرة مدير مجلة (المنار) الاسلامية

نرجوكم الاجابة على هذه الاسئلة الآتية ولكم منا الشكر ومن الله عظيم الاجر

هل يجوز لمؤمن ان يدخل جمعية سرية مختلطة من دون أن يقف على (كذا)

وهل ورد في النهي عن ذلك في شيء من الآيات والاحاديث .

هل يجوز لمسلم أن يدخل على جمعية رئيسها من غير أبناء دينه

هل يباح لمسلم ان يلقب بفارس الهيكل وما أشبه هذا اللقب المختص في هذه الازمان بعض الجمعيات الغير المتدينة

المخلص

ابن الامير محمد سعيد

(ج) المؤمن حر يجوز له أن يدخل في كل عمل مشروع وكل جمعية عملها مشروع وان كان بعض أعضائها أو رئيسها من غير المسلمين فالعبرة إنما هي بالعمل هل هو جائز شرعا أم لا . فاذا تألفت جمعية خيرية لاسعاف الذين يصابون بالمصائب

كالجرح والحريق (كجمعية الاسعاف في مصر) أو جمعية طبية خيرية كالجمعيات التي تألف لمقاومة بعض الامراض كالرمد الصديدي والسل الرئوي أو لتحسين أحوال العجزة كالعميان أو ترقية بعض العلوم النافعة كالطب والزراعة فيجوز للمسلم ان يدخل فيها مع غيره ولا يضره ان يكون رئيسها غير مسلم اذ ربما كان غير المسلم أقدر على النفع فيها من المسلم . فالجمعيات في هذا الزمان كالاحلاف التي كانت في الجاهلية منها ماهو على خير وماهو على شر . فأما ما كان من حلفهم على الفتن والغارات فهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم « لاحلف في الاسلام » (رواه مسلم) واما حلفهم على التعاضد والتساعد ونصر المظلوم كحلف الفضول فهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم « وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة » وقال « شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا لو دعيت الى مثله في الاسلام لاجبت » هكذا أورده بن الاثير مختصرا وفي كتب السير « لقد شهدت » ويعني حلف الفضول الذي عقدته قريش في تلك الدار بعد حرب الفجار والمتحالفون فيه هم بنو هاشم وبنو المطلب ابني عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا على ان لايجدوا في مكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم الا قاموا معه حتى يردوا اليه مظلمته وانما سمي حلف الفضول تشبيها بحلف كان قديما بمكة أيام جرهم على التناصف والاخذ للضعيف من القوي وللغريب من القاطن، قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل منهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة . قاله ابن الاثير في النهاية . وقيل انهم تحالفوا على ان يردوا الفضول على أهلها ولا يقر ظالم على مظلوم فالمراد بالفضول مايؤخذ ظلما أي فاضلا عن الحق زائداً عليه

والذي لا يجوز للمسلم هو ان يدخل في جمعية يخالف مع أهلها ويتعاهد على أمر مخالف للشرع ومنه ان يطيعهم فيما يأمرونه به بقرار الجمعية كائنا ما كان أي ولو مخالفا للشرع كاعطاء الشيء الى غير أهله وقتل من لا يجوز قتله شرعاً كما هو شأن بعض الجمعيات السياسية السرية . ولاينبغي له ان يدخل في جمعية لايعرف مقصدها لانه ربما كان مقصدا محرما ولانه لا يليق بالعاقل ان يلتزم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل في جمعية على أنه ليس فيها شيء مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها مايخالفه ولم يستطع إزالته وجب عليه أن يتركها ويتبرأ منها

وأما لقب « فارس الهيكل » فلا يحظر على أحد أن يلقب به نفسه أو ولده الا إذا ترتب على ذلك مفسدة أو محرم كغش أو ايهام باطل والا فالالفاظ مباحة

للناس في الاسماء والالقاب لا يكره منها الا ما يدل على معنى مكروه او فيه دعوى العظمة كما وورد في الحديث الصحيح النهي عن التسمي بملك الاملاك وملك الملوك

***

﴿ التقيد بمذهب معين والتلفيق ﴾

(س ٣٨) من صاحب الامضاء في مديرية الشرقية

في ١٧ — ٥ — ١٣٢٩

حضرة العلامة الهمام السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار المنير

بعد واجبات الاحترام . نرجوكم الاجابة على الفتوى الاتية وهي :

هل يجوز التقيد بمذهب أحد الائمة في الصلاة أم يجوزله ان يأخذ من كل مذهب مايوافقه اعني إن كان مالكيا ولصعوبة الغسل من الجنابة في مذهب مالك يريد ان يغتسل على مذهب الشافعي أيجوز له ذلك أم لا . نرجو سرعة الجواب أجزل الله لكم الاجر والثواب

انور محمد قريط

من قبيلة أولاد علي بفراشه

(ج) جمهور القائلين بالتقليد يمنعون التلفيق في المسألة الواحدة وهي ان يقلد في كل فرع منها إماما فيأتي بحقيقة لايقول بها أحد منهم، كأن يراعي مذهب الشافعي في الغسل ولايراعيه عند الصلاة في ستر العورة وطهارة البدن والمكان ويجيزون ان يقلد في كل مسألة اماما وقال بعضهم ان التلفيق جائز بشرطه وانه لازم لمذهب الحنفية فانه مؤلف من آراء عدة مجتهدين يخالف بعضهم بعضا . وقد حررنا ذلك في مقالات المصلح والمقلد فراجعها في المجلدين الثالث والرابع من المنار على أنها مطبوعة في كتاب على حدتها

العالم الاسلامي والاستعمار الاوربي

(٢)

إن دول الاستعمار دول تجارة وكسب فهم يفتحون الممالك لتمتيع شعوبهم بخيراتها، وتمكينهم من ثروتها ، ولا ينشرون من علومهم وفنونهم في الممالك التي يفتحونها الا المقدار الذي يسخرون به أهلها ويستخدمونهم في استخراج تلك الثروة لهم ويقطعون به روابطهم الاجتماعية التي تربط بعضهم ببعض ويزيلون مقوماتهم ومشخصاتهم الملية التي يكونون بها وحكامها أمة واحدة متحدة في الشعور بمصلحتها العامة ،

أهالي المستعمرات الاوربية يجعلون فريقين فريق الفلاحين والفعلة الذين يقومون بالاعمال الشاقة في استخراج الاقوات والنبات والمعادن من الارض، وفريق المالكين المترفين الذين ينفقون مايفضل لهم عن سادتهم المستعمرين في ثمن ما يجلب من أوربة من اللباس والاثاث والرياش وسائر أنواع الماعون والزينة والخمور ، وما بقي من ذلك يبذلونه لبغايا تلك البلاد أو بيوت القمار الاوربية

هؤلاء المترفون الذين يجرفون معظم ثروة البلاد الى أوربة هم الذين يتعلمون لغات هذه الدول المستعمرة ويأخذون من قشور علومهم وفنون عاداتهم ما يشوه في أعينهم ويقبح في أنفسهم كل ما يربطهم بأمتهم من عقيدة وشعار وخلق وعادة مهما كانت حسنة ونافعة ويزين لهم ما يرون عليه سادتهم المستعمرين وان كان من الفواحش والمنكرات التي يشكو منها حكماؤهم وعقلاؤهم ، ويكون اكثر الاغنياء الذين لم يتعلموا هذه الاساليب المدنية الخادعة مقلدين لمن تعلموها يحذونهم حذو النعل للنعل فيها

للسياسة الاستعمارية لغة خادعة كلغة التجار لان الغرض منها هو عين الغرض من التجارة « الكسب بالحق وبالباطل » يزين التاجر سلعته بزخرف القول المموه ويوهم كل من يعرضها عليه أنه يختصه بالرعاية والاكرام ويؤثر مصلحته على مصلحة نفسه ولا يريد أن يربح منه شيئاً أو الا شيئاً تافها لا يوازي بعض تعبه في جلب السلعة ونفقته على نقلها وحفظها ، ومنهم الذين يزعمون أن الاثمان محدودة ، وأنهم يطرحون منها عشرين أو ثلاثين في المئة في أيام معدودة ،

وأهل الاستعمار، يقولون في بعض الاطوار، اننا لا نبغي فتحا، ولا نحاول ملكا، وإنما شغفتنا الانسانية حباً، فحملتنا على بذل اموالنا، وارهاق رجالنا، لاجل تعليمكم وتمدينكم

لتكونوا مثلنا، هكذا كانوا يقولون لمثل السلطان عبد العزيز صاحب مراكش من قبل ،

ويقولون في طور آخر اننا بما أوتينا من الرحمة والرأفة بالبشر ، وحب تعميم العدل بين الامم ، نريد أن نزيل استبداد هذا الحاكم ، ونطهر الارض من ظلم هذا السلطان الغاشم ، ليتفيأ الناس ظل العدل ، ونبدلهم من بعد خوفهم نعيم الامن، كذا قالوا في السلطان عبد الحفيظ قبل أن يظهر لهم المواتاة التي كان عليها أخوه عبد العزيز

ويقولون في طور آخر ان الرعية قد ثارت على حاكمها وتألبت على ملكها ، ونحن الكافلون لاستقلاله ، المسؤلون عن حفظ عرشه ، فلا مندوحة لنا عن نصره، والمحافظة على ملكه ، حتى اذا زال الخوف ، واستقر الامن ، وانتظمت الحكومة المحلية ، وصارت قادرة على منع الفتن الداخلية ، رجعنا أدراجنا ، لا نريد من صاحب العرش الذي حفظناه أن يثل ، والشوكة التي منعناها ان تخضد ، جزاء على عملنا ، ولا شكرا على خدمتنا ، لاننا إنما نفعل ذلك لوجه الانسانية ، وحبا في تعميم المدنية، واستبدال الحرية بالعبودية ، هذا ماقاله الانكليز في احتلال مصر بالامس ، وهذا مايقوله الفرنسيس في احتلال فاس اليوم

صدق حكيمنا ابن خلدون في قوله « إن المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده » نقول ولكنه قلما يقتدي به في معالي الامور وأسباب القوة التي بها كان غالبا ، لان المغلوبين يستحوذ عليهم الخمول والكسل ويصيرون عالة على الغالب في عامة شؤونهم

وقد يخدع الغرور بعض المتفرنجين المقلدين فيتوهمون أنهم بتقليدهم للافرنج في اسلوب التعليم ودعوة الوطنية وشكل الحكومة قد ساروا على طريقهم الى الاستقلال الذاتي والكمال المدني وهيهات هيهات ، لاتجد اكثرهم الا مخدوعين ، وطريق المستقلين غير طريق المقلدين ،

قال بعض كبراء الافرنج في بيان درجات الفتح الاستعماري ان أولها فتح دعاة النصرانية (المبشرين) لبعض المدارس، ثم لبعض المستشفيات والملاجئ ، ثم وقوع الشك والزلزال في نفوس بعض المتعلمين فيما كانت عليه الامة من العقائد والمقومات الاجتماعية ، ثم حدوث فكرة الرابطة الوطنية التي تنقسم بها الامة الى شطرين شطر المتفرنجين الذين يهدمون أركان مقوماتها القديمة تقليدا لاوربة وشطر المحافظين على القديم، ثم رواج تجار تابر واج التقاليد والعادات الاوربية التي يسهل التقليد فيها، ثم حدوث

أو إحداث الاحتكاك الذي يتبعه الاعتداء على بعض المبشرين أو غيرهم من الاوروبيين أو النصارى الشرقيين ، ثم المداخلة السياسية فالعسكرية لحماية مصالحنا وأموالنا أو قومنا وأهل ديننا ، ومهما كان الاسم الذي نسمي به سيطرتنا على البلاد بعد الاحتلال العسكري فالمعنى واحد وهو اننا نكون السادة فنفعل ما نشاء ونحكم ما نريد

ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئ لاحقهم به سابقهم، ولهم أقوال اخرى في الاسلام والمسلمين، والصليب والهلال، بلغة أصرح من لغة الاستعمار التجارية، وهم يفهمون هذه اللغة لانهم هم الواضعون لها ، وقد صار فينا من يفهمها ، وهم الذين شعروا بأنهم يبيتون منها بليلة السليم ، ومفازة من ضل عن الطريق القويم ، ولكن أكثر الناس لا يفهمون الكنايات والمعميات الاستعمارية ، والخطابات السياسية الرسمية ، إلا اذا فسرتها تلك الكلمات الصريحة المأثورة عن زعماء أوربة ، كقول ذلك الانكليزي في الصليب والهلال، والفرنسي في كون الرأفة التي يجب أن يعامل بها المسلمون هي السيف والنار ، والالماني في كيفية إزالة سلطة الترك من البلقان، من غير حرب ولا قتال، على ان أكثر المسلمين لم يسمعوا تلك الاقوال ، ومنهم أهل المغرب الاقصى الذين هم أقرب المسلمين الى أوربة بأرضهم ، وأبعدهم عنها بجهلهم

إن الفتح الاستعماري الاوربي تجاري كما قلنا ولكن السياسة ممزوجة فيه بالدين، خلافا لتمويهات المخادعين ، ومن الاصول المتفق عليها بين الدول الكبرى في أوربة ازالة السلطة الاسلامية من الارض، ولذلك اقتسموا جميع الممالك الاسلامية في افريقية، ولم يتعرضوا لمملكة الحبشة النصرانية، ويفتاتون على الدولة العثمانية اذا اخمدت بالقوة ثورة المكدونيين والالبانيين المسيحيين ، ويقرونها على تنكيلها باليمانيين المسلمين ، ولا أريد بما أكتب من هذا المقال الدفاع عن الحكومات الاسلامية ، فانني أعلم ان أوربة لا تستولي على دولة اسلامية بمجرد قوتها عليها ، وانما تلك الحكومات هي التي تمكنهم من مقاتلها ، وتوطئ لهم المسالك للاستيلاء عليها ، فهم يخربون بيوتهم بأيديهم، فلا يجدي الدفاع عنهم، وانما أريد أن أطالب هؤلاء المستعمرين ، بأن يراعوا حقوق الانسانية في هؤلاء المساكين الجاهلين، وأرى ان هذا من الممكنات، وانه خير للفريقين فيما هو آت

يوشك ان لا يوجد في المليون من أهل مملكة مراكش رجل واحد يفهم معنى احتلال فرنسة لها ، أو لغة الاستعمار التي ينطق بها رجال السياسة عندما يتكلمون في شأن هذا الاحتلال مع السلطان ورجاله ، ولكن ما لا يفهم ولا يعقل في مراكش قد يعد من البديهيات في مصر ولا سيما عند أرباب الصحف وقرائها ، فطالما كتب

هؤلاء، وقرءوا في الكتب والجرائد الاوربية وترجموا عنها أقوال زعماء السياسة في بيان مقاصدهم من البلاد التي يستعمرونها وبيان أعمالهم فيها ، وهم يعرفون حقائق كثيرة تدل على ذلك من مكاتبيهم في تلك المستعمرات وممن يلاقونه من أهلها في مصر ذاهبا الى الحجاز أو الى أوربة أو عائدا من سفره. ومع هذا كله نسمع لسان الاستعمار الاوربي يمن علينا كل يوم بأنه لا غرض لاوربة من بلادنا الا ترقيتنا وتمديننا وتربيتنا وتعليمنا حتى نصير مثلهم اهلا لان نحكم في بلادنا ونستقل بأمرها ، حبا بالانسانية ، وجريا على ما تعودوه من الفضيلة والعدل والحرية

انحت الجرائد الفرنسية التي تصدر بمصر على الجرائد الوطنية ووبختها وهددتها ان استنكرت احتلال فرنسة في المغرب الاقصى، وقالت ان هذا اللوم لفرنسة يعود بالضرر على القطر المصري !! ومما قالته جريدة (التوفل) في هذا الشهر في هذا السياق « ان فرنسة أبدت في مستعمراتها الاسلامية من التسامح وحسن الذوق ما لا يجوز معه أن يوجه اليها هذا اللوم على أنه ليس مبنيا على أساس صحيح، وهو أمر يعرفه المصريون كما يعرفون ان فرنسة صديقة لهم صادقة لا تتخلى عنهم عند الشدائد »!!

اما المصريون فيردون افتآت هذه الجريدة عليهم ويقولون اننا لا نعرف شيئا من هذا التسامح كما تدعين بل نعرف ضده واننا كنا مخدوعين بصداقة فرنسة لنا الى يوم حادثة (فاشودة) ولم يبق أحد بعدها يعتقد هذه الصداقة

وقالت جريدة (لاريفورم) بعد استنكار اهتمام الجرائد المصرية بمسألة المغرب الاقصى وبيان الاختلاف بينها وبين مصر في الاحوال الاجتماعية ما معناه انه يجب على اصحاب هذه الجرائد ان لا يندبوا حظ المغرب ويرثوا له بل يجب ان يعدوا تداخل الاجانب في شؤونه نعمة وسعادة له لا نقمة ولا شقاء لانه يعد له مستقبلا زاهرا «ان فجر الاستقلال اخذ يبدو للمصريين فعليهم ان يواصلوا السعي لادراكه وهم يحطون من قدر أنفسهم اذا انزلوها منزلة المغاربة الذين لم يعملوا حتى الآن ، الا ما يجلب لهم الذل والهوان، وليدعوا فرنسة وشأنها فانها ليست بحاجة الى من يعلمها معنى العدل والحرية» !!

نحن نعلم علم اليقين انه ليس في تونس والجزائر من الحرية والتسامح عشر معشار ما في الهند - إن صح ان يقال ان فيهما حرية وتسامحا - ونحن على ما نعرف من فضل الانكليز على جميع المستعمرين نسمع آنا بعد آن ما نسمع من تخوف ساستهم من يقظة اهل الهند ومطالبتهم بحقوقهم الاقتصادية ، وآخره ما كتبته جريدة التيمس في هذا الشهر عن علاقة أوربة بالشرق فقد ذكرت أن هناك ثلاث مسائل عظيمة تتسع وتكبر بالتدرج وهي المسألة

الهندية والمسألة الصينية ومسألة الشرق الادنى . ومما قالته في الاولى هذه الجملة الجديرة بالاعتبار

«ان بريطانية العظمى لم تقرر خطتها السياسية في الهند وستضطر الى ذلك عاجلا ، فلا زيارة الملك ولا غيرها من المجاملات يكفي لتحويل الحركة الحاضرة في الهند عن محورها الحقيقي والمسألة التي يتوقف عليها رضا الهند بالحكم البريطاني تندرج في في طلب رسمي قدمه بعض كبراء الهند بشأن اطلاق حرية الهند الاقتصادية والمالية ، ولا يخفى ان إجابة هـذا الطلب بأية صفة كانت تخفض سلطة انكلترة ولا سيما من الجهة المالية » فتأمل

وأما مسألة الصين فهي تراها خطرا على صناعة أوربة وتجارتها في المستقبل لان هذه الامة صناعية وقد انشأت تتقدم ببطء وما كان كذلك يكون راسخا ثابتا ولا يمكن لاوربة ان تخضعها وان اقتطعت بعض اطرافها وقتلت ألوفا من أهلها. وأما مسألة الشرق الادنى فالخوف منها محصور في ضعف الدولة العثمانية الذي يغري الدول بها ويخشى ان يفضي الى سفك الدماء ، وذكرت تخبط فارس في دستورها وعجز افغانستان عن حفظ مركزها .

وقرأنا لها في العام الماضي مقالا تنبه فيه أوربة الى التأمل في يقظة الشرق وطلبه للترقي وتحثها على قطع الطريق عليه من أوله قبل ان يصل الى الغاية او يقاربها ، فيخرج من ذلة العبودية لاوربة فيكون مساميا أو مساويا لها ، فاذا كان هذا رأي مستعمري الانكليز وهم أمثل طريقة ، وأقرب الى مراعاة سنن الطبيعة ، فماذا عسى ان يكون رأي غيرهم

ألا فليعلم أولئك المستعمرون ان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يعتقدون أن أوربة تريد من استعمار بلادهم ان تتخذ مالها دولا ، وتتخذ أهلها عبيدا وخولا ، (لكنها لا تسميهم عبيدا بل احرارا) وان لا تبقي لهم في الارض سلطانا يحكم ، ولا شرعا ينفذ ، ولا ثروة يستقلون بالتصرف فيها ، ولا تربية ملية يحيون بها ، وان أرفقهم في ذلك الانكليز ، وأشدهم وأقساهم الفرنسيس والروس ، وربما كان الاستبداد اللين ، أدوم من الاستبداد القاسي الخشن ، فاذا قدر مسلمو الهند اليوم على اخراج الانكليز من بلادهم لا يفعلون ، واذا قدر غيرهم على ذلك لا يتلبثون به ساعة ولا يستأخرون ،

ألا وليعلموا اننا لا نجهل أن اكبر قوتهم علينا ، أننا عون لهم بظلمنا وجهلنا على أنفسنا ، وأنه لولا ذلك لم يكن لهم حجة على استعبادنا عند محبي العدل والحرية من قومهم ، وان من عرف حقوقه قلما تضيع حقوقه ، وان القوة الآلية المستبدة قليل عمالها ،

لا يدوم لها السلطان على الشعوب الكثيرة اذا اتفق أفرادها ، وأن المسلمين قد قاربوا سن الرشد الاجتماعي ، وأن الخير للانسانية ان يرشدوا متعارفين مع اخوانهم فيها لا متناكرين ، ومتقابلين لا متدابرين ، ومتحابين لا متشاقين ، ومتفقين لا متشاكسين ، والوسيلة الى ذلك معروفة ميسورة لمن سبقونا في هذا الرشد وهي ان يخلصوا النية في مساعدتنا على الارتقاء الحقيقي مع محافظتنا على ديننا ولغتنا ، ونحن نفصل لهم القول في ذلك ان كانوا فاعلين

لو أراد المستعمرون ذلك من قبل لارتقى الشرق ارتقاء عظيما ولكانت الهند غير الهند الآن ، وجاوه غير جاوه الآن ، وكذلك تونس والجزائر ، أعني أنها كانت أرقى عمرانا ، وأوسع علما وعرفانا ، واذا لكانت منافع أوربة منها أعظم ، وكان قضاؤها بذلك على سائر الحكومات الفاسدة التي تنسب الى الاسلام أسرع ، وفوق هذا وذاك انه كان يكون ارتقاء الانسانية في جملتها أوسع . الم تروا الى مصر كيف كان يعد السلطان عبد الحميد رؤيتها ذنبا سياسيا يمنع منه العثمانيين ما استطاع ، ويعاقب عليه من اقترفه اذا كان من أهل العلم وأرباب الاقلام ، وهل كان سبب ذلك الا ان من يرى ما في مصر من الحرية وحركة العمران يزداد سخطا على حكومته الاستبدادية المخربة ؟

لم تكن هذه الحرية في مصر لمحض رغبة الانكليز في ترقية المصريين وانما كان لها أسباب (منها) ما سبق لمصر من الاخذ باسباب العلوم والمدنية الاوربية حتى صاروا يدركون من حقوقهم ما لا يدركه أهل زنجبار الذين لم تعاملهم الانكليز كما تعامل المصريين على عدم المعارض لها فيما تفعله في بلادهم (ومنها) ما كان عندهم من الحرية قبل الاحتلال ومثل انكلترة لا ترضى كغيرها ان تجعل البلاد التي يكون لها نفوذ فيها دون ما كانت عليه في الحرية (ومنها) ان الانكليز كانوا يستفيدون من تلك الحرية ما لم يكونوا ليستفيدوه من ضدها (ومنها) اخلاق عميدهم السابق لورد كرومر (ومنها) كثرة الاوربيين في هذه البلاد وما لهم فيها من الامتيازات ، ومعارضة بعض دولهم القوية للاحتلال الانكليزي الى سنة ١٩٠٤ م وعدم موآتاتهم له الى اليوم في التضييق على المطبوعات الذي حمل عليه الحكومة المصرية اخيرا (ومنها) وهو يلي امتيازات الاوربيين الصفة التي احتلوا بها البلاد والحجج التي يحتجون بها على إطالة الاحتلال ، وما يعترفون به من شكلها الرسمي

على هذا كله حصر الانكليز التعليم بمصر في المضيق الذي يتعذر ان يخرج فيه الرجال المستقلون الاكفاء كما جعلوا السيطرة على الحكومة مانعة ان يترقى فيها المستعد للاستقلال ، فيبلغ فيه مستوى الكمال ، حتى انه لا يكاد يوجد في مصر من

يتقن اللغة الانكليزية كتابة وخطابة كما يوجد من يتقنون الفرنسية ، منذ كانت هذه اللغة عمدة المصريين في المعارف الاوربية ،

لو شاء الانكليز ان يرقوا التعليم والتربية لفعلوا، ولكن لورد كرومر قال في أحد تقاريره ان الغرض من مدارس الحكومة بمصر فرنجة المصريين أي إزالة مقوماتهم الملية التي كانوا عليها وجعلهم مقلدين للافرنج كتقليد الغراب للحجل في المشي انساه مشيته ولم يتعلم مشية الحجل، ومن أراد شاهداً على هذا فليقرأ ما كتبه اللورد في كتابه (مصر الحديثة) عن هؤلاء المصريين المتفرنجين وما ذمهم به، وحينئذ يجزم بأن مراده بفرنجة المصريين ماقلناه آنفا .

أما الشواهد الوجودية على هذا فهي أصدق شهادة وأقوى برهانا، تريك كيف يهدم هؤلاء المتفرنجون مقومات أمتهم ومشخصاتها بالتقاليد الاوربية ، وباسم الوطنية والمدنية ، وكيف يجرفون ثروة بلادهم الى أوربة حتى ان بعض النساء في أعلى البيوت المصرية لايشترين ثيابهن وزينتهن وسائر حاجهن الامن أوربة مباشرة ، وان الواحدة منهن لتشتري في كل سنة بالالوف الكثيرة من الجنيهات ولو ابتاعت بعض ذلك من مصر لجاز ان يكون لبعض التجار الوطنيين نصيب في ربحه

الحر من الانكليز يعلم ويعترف بأن الانكليز لم يرقوا المصريين انفسهم وقد قال بعض من كان يجلس الى لورد كرومر من المصريين إنك ايها اللورد قد خدمت الحكومة المصرية واصلحت ماليتها ورقيتها ولكنك لم تعمل للمسلمين شيئاً في ترقيتهم وهم جاهلون لا يعرفون كيف يرقون أنفسهم . فقال اللورد إن الذي لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره وكان حسبهم ان لا نعارضهم في ترقية انفسهم ومع هذا أقول ليعملوا وليطلبوا مني المساعدة أساعدهم . فقال المصري انه لا يوجد عند رجال هم أهل لمثل هذا العمل ، فقال اللورد بل عندكم رجلان هما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوهما بالمال والحال يعملا لكم ما تشاؤن

لا لوم على الانكليز في هذه الخطة ولا تثريب وكيف يجوز ان نلوم الاجنبي أنه لا يرقينا ولا يجتهد في رفعنا الى مساواته ونحن لا نرقي أنفسنا ، فانا حتى هذا اليوم لم نشرع في العمل العظيم الذي ترتقي به الامم وهو التربية الملية الاستقلالية التي يخرج بها عظماء الرجال الذين ينهضون بالامم ، من الظلم بل من الجنون ان نقصر في تربية أنفسنا ونجعل تبعة هذا التقصير على الاجنبي الذي نصيح كل يوم إنه خصم لنا أوعدو مبين ، ولو كان جميع الاوربيين في مستعمراتهم كالانكليز لا أقول في مصر فيقال ليست مستعمرة رسمية لها بل في السودان لما كان لنا عليهم حجة في هذا المقام وان كانوا

يستطيعون ان يعملوا لنا مالا نعمله لانفسنا، ولكن غيرهم يمنعون العلم ويقيدون الحرية ويراقبون كل من دخل مستعمراتهم ويتبعونه الجواسيس ولاسيما اذا كان من العثمانيين

تلك اشارة الى سياسة الاوربيين وتفاوتهم فيها واما تعصبهم الديني ومحاولتهم تحويل المسلمين عن دينهم فهم فيه سواء كلهم مصداق لقوله تعالى (٢ : ١٠٨ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا) وقوله (٢ : ١٩ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وليس الانكليز بأمثل من غيرهم في هذا الباب فقد اجتهد دعاتهم في تنصير مسلمي الهند وغيرهم فلم ينالوا الا الخيبة ، ولايستقر نفوذهم في مكان الا ويكون وراءهم دعاة الدين ، بل نرى بعض جرائدهم السياسية تنفث في مصر سموم التعصب الذميم بعبارات تدل على الحقد والسخيمة والجهل الفاضح

لهم في مصر جريدة اسمها (اجبسيان غازيت) تطعن في القرآن حتى في اسلوبه وبلاغته وقد قالت في هذه الايام انه على لهجته السقيمة غير المنطقية قد أثر في العرب اكثر من تأثير توراة (وايكلف) في (الانكلو ساكسون) و (لوثر)في الالمانيين و (دانتى) في الايطاليين ، وكل بصير يراقب المسلمين لايسعه الا أن يندهش من تأثير هذا الكتاب في رجوع الانسانية القهقرى !!

هذا مايقوله من لايفهم جملة من العربية على وجهها ولكننا لانظن انه يجهل التاريخ كما يجهل العربية، واذا هو يعلم انه لم يوجد كتاب في الارض دفع الانسانية الى الامام ورفعها الى الاوج كالقرآن وأن المسلمين بلغوا به مابلغوا من السيادة ، ولما تركوه الى مصنفات الجاهلين (المقلدين) رجعوا القهقرى ، وهو وامثاله يخافون ان يعودوا الى هديه ، فلذلك ينفرهم عنه ، وينسب تقهقرهم اليه

اما مبلغ علم صاحب هذه الجريدة بالعربية فانك تجد مثالا مضحكا في تفسيره لقول الشاعر

لقد اسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لاحياة لمن تادي

فانه سخر من اللغة العربية واستشهد بهذا البيت وحمل الحياة فيه على الحياة الحسية الحيوانية ، ولو فهم معناه لعلم ان القبطي الذي فسره له قد غشه ، ولقبع في كسر بيته خجلا ان كان حياً يتأثر من الخطأ الفاضح ،لانه يعلم حينئذ انه لو وجد لشكسبير مثل هذا البيت لانتفخت انوف الانكليز عجبا به وفخراً أضعاف انتفاخها الآن

ومما سخرت به هذه الجريدة الغالية في التعصب من الاسلام والمسلمين تسميتها لوسمي شارع كلوت بك (جنة المسلمين) وقالت ان هذه التسمية تحدث عند المسلمين حماسا دينيا في الاحياء المجاورة له !!

هذا الشارع لاتغيب فيه الحانات الملأى بالخمور الاوربية عن سالكه طرفة عين، وهو ومايقاربه مثوى البغايا التي بلتنا بها المدنية الاوربية . وقد صار هذا المتعصب يعدهذا الخزي الاوربي التي تُعمد به اوربة إفساد آدابنا وديننا وسلب ثروتنا من سيئات الاسلام . فاذا كان هذا هو الادب والتسامح الانكليزي في الجرائد السياسية فما بالك بجرائدهم الدينية كجريدة (المسيحي) وغيرها ! وهل يعتبر بذلك المسلمون ؟ ؟

قد زين لامثال هذا المتعصب عقله الانكليزي الذي يتيه به على جميع البشر ان هذا السخف الذي يسخم به جريدته مما ينفر المسلمين عن القرآن ويحول بينهم وبين الاهتداء به فتدوم لقومه السيادة عليهم، ونحن نرى بعقلنا الشرقي المذموم عنده أن تأثيره يكون بضد ما أراد وما زين له عقله ، نرى ان إيقاظ المسلمين بمثل هذه الاصوات المنكرة أقرب الى بعثهم من مرقدهم ، وتنبيههم الى ما يراد بهم، وارجاعهم الى روح القرآن التي تحييهم كما أحيت من قبل سلفهم ، (وياليت كل مايكتب في ذلك يترجم بالعربية) ومزاج الحي يدفع عن نفسه الاذى ، ويقتضي المزاحمة والتنازع على الغذا ، وتنازع الاعداء المتزاحمين ، غير تنازع الاخوة المتراحمين ،

وحاصل ما نريده مما تقدم كله ان يطلبه عقلاء قومنا اليوم من مستعمري أوربة أن يعاملونا معاملة الاخوة، فيتركوا لنا ديننا وآدابنا ولغتنا وحرية العلم والتربية وجميع شؤون الاجتماع ، ويساعدونا على الارتقاء في الاقتصاد وجميع شؤون الكسب والعمران ويشاركونا في الربح مشاركة الاخ لاخيه

اذا أجابت هذه الدعوة كل دولة من الدول القوية المستعمرة أمنت كل واحدة على مستعمراتها ، وزادت في خيراتها وبركاتها ، وان فعلته واحدة منهن كان لها العاقبة وحدها حيث تكون من آسية أوافريقية، وان لم تفعل ولا واحدة منهن احتقاراً للمسلمين بضعفهم ، فيوشك ان يظهر من غيب الله ما ليس في الحسبان ، فهذه ألمانية تحسد دول الاستعمار اذ تراهن متمتعات بما تقدر بقوتها وعلمها ان تتمتع بمثله وتتربص بهن الدوائر، وهذه دولة اليابان تمد عينيها باحثة عن المسالك التي تسير فيها نفوذها السياسي وراء مصنوعاتها وسلعها التجارية، فمايدرينا لعله يظهر في المسلمين زعماء تثق بهم هاتان الدولتان او احداهما ويكون من وراء هذه الثقة تغيير الوان هذه المستعمرات ، بما هو أقرب الى الاخوة الانسانية وارتقاء العمران ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

عليكم باللغة العربية

﴿ سيدة اللغات ﴾

مقالة لمحمود بك سالم رئيس جماعة الدعوة والارشاد

« نشرها بمجلة الطلبة المصريين »

وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين *
على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين
(قرآن مبين)

أيها الطلبة الانجاب ابناء مصر التي شرفها الله فذكرها مراراً في كتابه الحكيم عليكم بتعلم (اللغة العربية) لغة أجدادنا الاشراف الصالحين الذين تركوا أحسن ذكر بين الامم وما زال تأثير أعمالهم المفيدة يعم الاقطار بفتوحات الدين الحنيف المستمرة وانتشار الشريعة المطهرة التي اينما حلت وقوي سلطانها أحيت طيب المبادئ وسامي الافكار

اللغة العربية أقدم اللغات الحية . هي لغة ابراهيم الخليل وزوجته السيدة هاجر المصرية وابنهما اسماعيل صادق الوعد الذين اكرمهم الله ببناء البيت العتيق ليكون مثابة للناس وأمنا

لا شك في أن علماء الآثار يعرفون لغات أخرى أقدم من العربية ولكن كلها ماتت ودفن ذكرها في القراطيس وأغلبها اندثر وانمحى من صحيفة الكون الى يوم البعث حين يخرج أهلها من الاجداث كأنهم جراد منتشر . وجدت حديثاً ابنية شاهقة اسستها أمم راقية في اساليب العمران محفورة كتابات غريبة على جدرانها الآيلة الى السقوط وسط الصحاري أو في أحضان الجبال. ولما قرئت أخيراً تلك الكتابات العجيبة علم أنها تقرب من زمن عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وأنها بلغة عربية

متينة تكاد الفاظها وتراكيبها وقواعدها تكون كلها من مستعملات لغتنا الفصحى الحالية . وهذا ما أدهش العلماء حتى انهم وصفوا لغة القرآن المجيد باللغة التي ليس لها طفولة وشيخوخة لانها من يوم عرفت وهي كالغادة الحسناء في حلل الشباب والعافية كأنها من الابكار العرب الاتراب لاصحاب اليمين

ومما نقله في هذا الموضوع ماأذكره في شأن لسان العرب العلامة (ارنست رينان) ذاك المستشرق الطائر الصيت الذي فاقت شهرته الاقران في كتابه (تاريخ اللغات السامية) حيث قال

« من اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل . تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها . وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير أي تغيير يذكر حتى أنه لم يعرف لها في كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ـ لا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى . ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة »

نجد اللغة الفرنسية لا يفهم كلام كتابها وشعرائها الذين ماتوا قبل ثلاث مئة سنة الامن مهر في حل الطلاسم . وكذلك اللغة الانكليزية وباقي لغات اوربا التي تتباهى الآن وتتيه فخراً واعجاباً . وكل تلك اللغات الحديثة في تغيير مستمر وتبديل مستديم . فبون بعيد بين لغة « موليير » مثلا ولغة « زولا » عند الفرنسيس . وبون أبعد بين لغة «ملتن» ولغة «روسكن» عند الانجليز

اما أمة العرب التي كرمها الله ورفع شأنها باصطفاء عبده الاكرم من بين أشراف أشرافها ليكون خاتم النبيين فقد جعلت لغتها آلة تحمل شريعته التي ستدوم ما دامت الافلاك اذ لا نبي بعده ولا دين بعد هذا الدين . فاكتسبت تلك اللغة المشرفة بين لهجات البشر مركزاً لا يباريها فيه لسان من وقت ان صارت منطق الملائكة أنفسهم في السماء وامتزجت بالكتاب المجيد امتزاج الروح بالجسد

وقد أوتيت الامة العربية أرقى هبات البلاغة واجمل صفات الفصاحة لتتهيأ لقبول تلك المعجزة الباقية المستمرة مادامت الصحف والكتب، تلك المعجزة التي ظهرت على يد نبي أمي لا يعرف قراءة ولا كتابة وكانت لأئمة البيان والكلام حدايقف أمامه العاقل باحترام ويبهت أمامه المعاند بخذلان

(وصفت العرب من قديم الزمان بالبيان والبلاغة وقد استقصى العلماء شعراءهم فوجدوهم يربون على شعراء سائر الامم الاخرى مجتمعة لان الشعر سليقة عند العرب حتى لتجد رعاة الابل يقصدون القصائد ارتجالا .)

لسان العرب له الاحترام الاكبر عند فحول علماء الامم الاجنبية فانهم عرفوا مكانته فوصفوه باعلى الصفات وبذلك ارتفع قدر الامة العربية نفسها عند من يقدر الاشياء حق قدرها

قال القسيس الانجليزي (س . م . زويمر) وهو من كبار البروتستانت في كتابه المشهور (جزيرة العرب . مهد الاسلام)

« يوجد لسانان لهما النصيب الاوفر في ميدان الاستعمار المادي ومجال الدعوة الى الله وهما الانجليزي والعربي وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء مستودع النفوذ والمال يريد ان يلتهم كل منهما الآخر وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشري . اعني النصرانية والاسلام . »

وقال انجليزي آخر وهو القسيس الشهير (جورج بوست)

« لغة العرب تفوق كل لغة في الانتشار اذا نظرنا الى اتساع الاقطار التي لها فيها سلطان . وهي تفوق أيضاً كل لغة اذا نظرنا الى التأثير في مستقبل الاعمال البشرية ولا نستثني من كل تلك اللغات الا لغتنا الانجليزية »

وقال أحد علماء الانجليز المتمكنين من علوم العرب يصف لسانهم نقلا عن كتاب (زويمر) المذكور آنفا

« انه خالص من شوائب الدخيل غني بنفسه عن غيره . وفيه مقدرة عجيبة على ايضاح المعاني واظهار الافكار . ومفرداته لا تحصى ولا تعد . وقواعده النحوية في غاية المتانة . وبالاختصار به يسهل عرض الموضوعات الدينية والفلسفية والعلمية بطريقة لا تفوقها لغة الا الانجليزية وبعض لغات أخرى قليلة رقاها الدين النصراني في اوربا الوسطى . »

ولنستشهد بكلمة لاحد الفلاسفة الظرفاء اراد مدح المعارف الدنيوية عند أهل أوربا والصنائع اليدوية في الشرق الاقصى فقال

« استوى الكمال على ثلاثة اشياء. مخ الافرنج. وايدي أهل الصين. ولسان العرب»

حقاً ليس للغة العرب مثيل في كمالها اذا قارناها باخواتها فان قلنا ان (العبرية) لغة مقدسة عند أهل التوراة والانجيل فالعربية بالقرآن أقدس . وبجانب فرد واحد

يقرأ التوراة باحترام وتجلة نجد مئة مسلم يتلون الكتاب المجيد حق تلاوته باحترام أعظم واجلال أظهر . وان قلنا إن (اللاتيني) لسان العبادة في الكنائس الكاثوليكية فلسان الاسلام أعم في مساجد المشرقين والمغربين بين أهل التوحيد جميعاً والصلاة به متواصلة تواصل ساعات الزمن . ألا ترى المؤذن يدعو المؤمنين الى صلاة الفجر في جزر الفيليبين في أقصى الشرق باللسان العربي المبين فتتبع تكبيراته تكبيرات المئات والالوف من أهلها يتردد صداها من مئذنة الى مئذنة ومن جبل الى جبل ومن واد الى واد فاذا قضيت صلاته في تلك الجزر تنقل الأذان منها الى غيرها تنقل الفجر في مطالعه فسمعته في الصين وسيبريا ثم في الهند وفارس . ثم في مكة المكرمة والمدينة المنورة . والقدس الشريف . والقسطنطينية المحمية . ثم في مصر المحروسة بحماية الله . ثم في تونس الخضراء . ثم في الجزائر والسودان . ثم في المغرب الاقصى . ثم يصل هذا الصوت الرخيم الى الاوقيانوس حتى شواطئ الامريكان في أقصى الغرب فهكذا كلما طلع الفجر وبزغ النور قام الناس للصلاة والفلاح . لعبادة الخلاق العظيم الذي يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا . مع دوران الشمس تسمع أمواج الآذان كأمواج البحر المتلاطم تطرد الموجة الشرقية أختها الغربية لتوقظ العباد الصالحين من نومهم العميق فلا تفوت لحظة من الزمن الا وفيها لله عبادة وللقرآن ترتيل .

فان قيل ان اليونانية القديمة ثم اللاتينية ثم الانكليزية أو الالمانية كانت وما زالت آلات ومبادلة الافكار بين الافرنج فان لساننا العربي كذلك آلة كاملة لمبادلة الافكار والعلوم بين المسلمين في آسيا وافريقيا وجهات أخرى كثيرة . وان قيل ان لغة الفرنسيس لغة أهل السياسة في أوربا أجبنا أن لغة العرب رابطة أقوى منها في مثل هذه الشؤون الاجتماعية لان الامم الاسلامية جمعاء مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقاً بواسطتها فالعالم المسكوبي مثلا يعرف بها شؤون أهل رأس الرجا الصالح ثم يرشد أهل وطنه . والعالم البوسنوي يعرف بها أحوال القطر المصري وينبه أبناء جنسه . والعالم الجاوي يتناول بذلك اللسان العام الجامع معلوماته عن أحوال القسطنطينية والقوقاز وفارس ، وهكذا نتبادل الافكار المفيدة

لغة الكتاب العزيز تنشر في أنحاء المسكونة العلوم الادبية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والشرعية وغيرها . فهي الرابطة القوية والعروة الوثقى التي لاانفصام لها . بها تتقارب الاجناس المختلفة وتتشابه الاضداد بالتدريج في الاحكام والاخلاق والمبادئ وبها تتساوى الناس في معرفة الشريعة الغراء لافرق في ذلك بين السود والبيض والصفر

والحمر فهي أقوى رابطة « بروح القرآن وفي ظله » وتفوق متانة كل روابط الجنسية والوطنية وغيرها

اللغة العربية لها الفضل على أكثر اللغات الجديدة في مشارق الارض ومغاربها . فلو أخرجت من قواميس الاسبانيول والبرتغيز وسكان أمريكا الجنوبية والوسطى مثلا جميع المفردات العربية والحلى التي اكتسبتها رطانتهم من العرب لما عرفت تلك الامم ان تبدي فكرا ساميا ولتاهت في مجاهل العي والبكم ولعجزت الآن ان تتباهى بشعرائها وأدبائها

وأين تكون لغة الفرنسيس أنفسهم لو جردناها من كل مايزينها من مخلفات فصحاء الحجاز

فما بالك باللغات الاسلامية مثل الفارسية والتركية والهندوستانية والجاوية والملايو وغيرها من ألسنة السودان والتتار والبربر واخوانهم . حقا لو أخرجنا المفردات العربية التي في تلك اللغات كما يطلب ذلك بعض المتفرنجين من كتابها لبقيت كهيكل الميت . عظاما مفككة لاحياة فيها

لغة العرب هي لغة المستقبل لان النبي العربي هو خاتم النبيين فشريعته باقية الى يوم القيامة (كما قدمنا) والقرآن الكريم حامل تلك الشريعة المطهرة هو السبب في بقاء اللغة العربية حية بين الشعوب لأنهم لايفهمون دينهم على وجهه الصحيح من هذا الكتاب الكريم الابها . فلذلك تموت جميع اللغات الاخرى اياً كانت وتبقى لغة العرب في بهائها وجمالها . وقد أجاد أحد علماء الافرنج المشهورين بعلومهم الواسعة اذ كتب قصة خيالية فرض فيها سياحا في أجواف الارض تحت قعر البحر العميق وجعل هؤلاء السياح يخترقون طبقات القرى الارضية حتى وصلوا الى وسطها أو مايقرب من ذلك ولما أرادوا الرجوع الى وطنهم فكروا في ترك أثر يحفظ ذكرهم الى أبد الآبدين اذا وصلت علماء الاجيال المستقبلة الى محط رحالهم فاتفقوا فيما بينهم ان ينقشوا على الصخور كتابة باللغة (العربية) هذا ولما سئل (جول فرن) كاتب هذه القصة عن سبب اختياره تلك اللغة العربية قال انها لغة المستقبل ولا شك في ان يموت غيرها وتبقى هي حية حتى يرفع القرآن نفسه — فتأمل أيها القارئ اللبيب واعلم ان طعن الطاعنين في لغة أجدادك الاماجد ثرثرة لا يعتد بها

***

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولو الالباب »

اعتاد بعض المتفلسفين من امد بعيد الطعن في لساننا العربي الفصيح لاغراض في النفس ومنشأ هذه الاغراض اما تعصب دبني طائش السهم، واما الجشع الاستعماري الذي يعمي ويصم، فقامت في زمننا حرب عوان بين علماء الافرنج المستشرقين سببها اختلافهم في الحكم على لغتنا باستطاعتها أوعدم استطاعتها التعبير عن الافكار الدقيقة وتدوين العلوم المنعوتة بالحديثة ففريق نصرها وفريق خذلها . فأما الناصرون لها فقد مر عليكم شيء من أقوال بعضهم وأما الخاذلون فنهم من رماها بالفقر المدقع في مادة التعبير والعي المعجز عن تأدية الغرض من اللغات وهذا ظاهر بهتانه . ومنهم من اعترف لها بالغنى ولكن زعم أن غناها مفرط زاد عن الحد وشبه أهلها برجل كثر ماله كثرة لاحد لها فعجز عن حصره وتدبيره وفاته الانتفاع به

هذا بعض مارميت به لغتنا فيجب علينا معشر المصريين ان ننهض بالعلوم القوية وبالفنون الادبية حتى لايجرأ عاقل بعد الآن على الحكم على لساننا المبين الا بعد أخذ رأينا ولا يصح ان تعطى الفتاوى الطويلة العريضة من الاجانب في أمور العربية ونحن احياء نرزق من غير أن يكون لنا صوت مسموع

لاشك ان أول واجب علينا ان نعتني بلغتنا الجميلة وان نتفانى في حبها وخدمتها كما فعل من سبقنا في العصور الماضية من أهل الفضل والاحسان الذين تغلبوا على الشهوات وصرفوا الاموال وسهروا الليالي وجابوا البلاد في التماس حرف من حروفها جهلوه فاستفادوا وافادوا . وأنتم أيها الطلبة الافاضل سيكون لكم شأن عظيم في القريب العاجل فاستعدوا لذلك قبل أن تفوت الفرص

لغتنا سلاحنا الماضي البتار في جهاد هذه الحياة ودرع النجاة . فبها نحيي علوم أجدادنا الواسعة الدائرة ونظهر كنوزهم الثمينة المدفونة في مكاتب الصين والهند والسودان وفي أوربا خصوصاً اسبانيا والقسطنطينية ولولم نستخرج الا الالفاظ الاصطلاحية العديدة التي نسيت ونحن في حاجة اليها لكفانا . فان العلوم لاتفهم ولا تنشر الا بالاسماء وما دمنا نستعمل ألفاظاً أجنبية فاننا لانقدر على تعليم عامة الامة الا بكل صعوبة وان تعلمنا نحن بعد الجهد الجهيد من كتب الاجانب

اسماء الحيوان والنبات والجماد موجود أغلبها في العربية والاصطلاحات الطبية والفلكية والفلسفية موجودة كذلك في كتبنا ومن الجهل ان ندعي انها لاتوجد

وكذلك مصطلحات باقي العلوم والفنون المدفونة في بطون السطور التي تركها لنا آباؤنا الاولون . فلاضرورة تلجئنا لليّ الالسنة بمحرفات مستهجنة كما يفعل بعض المتفيهقين الثرثارين في التعبير عن مصطلحات موجودة نظائرها في كتبنا

ولا مانع من تعريب الكلمات الاعجمية الدالة على المسميات المستحدثة أو استعمالها على عجميتها عند الضرورة كما أدخلت اصطلاحات عربية كثيرة في قواميس الشعوب الافرنجية وغيرها

ومن يدعي من أهل العجمة ان سيدة اللغات فقيرة فليفتح عينيه فانه يجد في نفس رطانته الفاظا فنية متعددة أصلها عربي وليرجع الى الحق ان كان من أهله « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »

***

« وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج
وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا »

لمصر مقام خطير بين الشعوب الاسلامية لمكانها من ملتقى الابحر ولترقيها العلمي العظيم من يوم أن أيقظ (محمد علي الكبير) اذهان أهلها وأنشأ بينهم المطابع التي كانت ينبوعا صافيا رويت بفيضه جميع الاقطار . وأزهرها المنيف له الفضل على أغلب طلاب العلوم الشرعية المنتشرين في انحاء المسكونة فهذه (الجامعة الاسلامية) كالشمس الباهرة يستضيء بها عباد الله المخلصون

وتأثير مصر يزداد يوما فيوما في القاطنين بالاراضي المطهرة سواء أهل مكة والمدينة أو البقاع التي بارك الله حولها ومنها ينتقل ذكر مصر المحبوبة الى باقي أوطان المسلمين في المشارق والمغارب

وظيفة مصر الادبية ستزداد أهمية في المستقبل لانها وسط عالمين اسلاميين كبيرين هما العالم الاسيوي والعالم الافريقي اللذان يريدان أن يتعانقا باشتياق عظيم وتحابا . ولا يخفى ان مصرنا هي القنطرة التي تصل بين الحبيب وحبيبه وان لها مزايا كثيرة في هذا الشأن عند أهل الذكر

ومن جهة أخرى فان قطرنا المبارك سيتخذ كوصلة تربط العالم الافرنجي ذا المعارف المنعشة والفنون الجميلة بامم عديدة جمدت على ما وجدت عليه آباءها من اسباب الفوضى والانحلال

وها هي (الجامعة المصرية) اول خطوة في ذلك الطريق السلطاني الجديد

فماذا نعمل في وظيفتنا هذه الجديدة ؟ هل نوصل تلك المعارف والفنون باستقلال رأى مكيفين لها حسب مبادئنا وأذواقنا الاسلامية حتى نكون باب نعمة على اخواننا من عرب وعجم او نكون آلة صماء تعمل حسبما تحرك ولا تعمل الاشراً فنهيئهم لأن يصيروا فريسة سائغة وغنيمة باردة؟؟ سنؤدي وظيفتنا حسبما تكون تربيتنا فان حسنت التربية حسنت النتيجة والعكس بالعكس ولا تكون التربية جيدة الا اذا تأسست على مبادئ محمدية ولا تكون المبادئ محمدية الا ان استخرجناها من الكتاب العزيز وهذا لا يتأتى الا اذا أحطنا باللغة العربية وعرفنا اسرارها وفقنا كل مخلوق في اظهار محاسنها وعجائبها لا ان يسبقنا علماء الاجانب مثل أساتذة (كمبريدج) و (لايدن) و (برلين) وغيرها ويتركونا وراءهم تائهين في مجاهل (الحواشي) الثقيلة السقيمة لاهين بما فيها من سفسطة دقيقة عقيمة

من يخدم اللغة العربية فانه يخدم الاسلام وخدمة الاسلام تؤدي الى ترقية بني الانسان كلهم اجمعين. فهل يحجم الطلبة المصريون عن جهاد علمي يكون لهم بعده الفخر الابدي ولمصرهم العزيزة و لجماعة الموحدين الحظ الاوفر ؟

برقي اللغة العربية يسود القرآن وتنتشر علومه وتزيد الشعوب العربية ارتباطا فتقوى وتترعرع وفي آن واحد يقوى ويترعرع المجموع الاسلامي كله

فلينظر الطلبة المصريون الى علو مكانتهم في المستقبل وسط الأمم المختلفة . تلك المكانة الخطيرة التي تشبه ان تكون (رقابة أدبية عالية) شرطها الأول خدمة لسان النبي القرشي عليه أفضل الصلاة والسلام لاجل فهم كتاب الله المجيد على وجه يوصل الى سعادة العالم بالعمل به . وليتدبروا كثيراً معنى الآية الحكيمة

« وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

القاهرة في ٥ جمادي الآخرة

(محمود سالم)

تقرير اللجنة التحضيرية (*)

﴿ للمؤتمر المصري ﴾

٥ — جعل الخزينة العمومية مصدرا للانفاق على جميع المرافق المصرية

هذا هو الحاصل بالفعل في جميع مصالح الحكومة أن جميع المصريين من مسلمين وأقباط تنفق على مرافقهم العامة على السواء من الخزينة المصرية . ولا يجد المطلع على ميزانية الحكومة مصرفا اختص به عنصر . فعسى أن يكون المقصود بهذا الطلب هو المحاكم الشرعية التي ورد ذكرها في مناقشة الجمعية العمومية للاقباط ولكن هذه المحاكم مفتوحة الابواب للمتقاضين من المسلمين ومن الاقباط ولتسجيل العقود وتقسيم المواريث الخ لا فرق في ذلك بين المسلم والقبطي فهي بهذه الصفة من المرافق العامة .

على انه لو كانت المحاكم الشرعية خاصة بالمسلمين دون غيرهم فانها لا تكلف الخزينة العمومية نفقات أصلا بل اذا عجزت ايراداتها عن مصروفاتها سنة زادت ايراداتها عن مصروفاتها سنة أخرى. ومتوسط الفرق بين الايرادات والمصروفات لمصلحة الخزينة العمومية في الخمس سنين الاخيرة هو مبلغ ٤١٧١ جنيهاً سنوياً يصرف هذا المبلغ في المرافق العامة بالضرورة بين المسلمين وبين الاقباط فلا معنى للشكوى من المحاكم الشرعية أو التعريض بذكرها في المؤتمر القبطي بوصف أنها يصرف عليها من الخزينة العمومية وبوصف أنها خاصة بالمسلمين

وانه ليحسن في هذا المقام ان نذكر مثلا لما تصرفه الخزينة العمومية على المرافق القبطية خاصة لا لنحاسب على ذلك ولكن ليرى الاقباط بالحس أن المناقشة في أمر المحاكم الشرعية لم يكن لها محل في جمعيتهم العمومية التي كثر التصريح فيها بأن مقاصدها محو الفروق الدينية والاخذ باسباب الاخاء المصري

ان مساجد المسلمين ومعابدهم أثرية كانت أو غير أثرية يصرف على عمارتها

(*) تتمة لما نشر في الجزء السابق ص ٣٥٣

وترميها من خزينة ديوان الاوقاف الاسلامية خاصة . وأما كنائس الاقباط ومعابدهم فان الاثري منها يصرف على عمارته وترميمه من خزائن الحكومة بمقدار الثلثين ولا تتكلف الاوقاف القبطية الا مقدار الثلث فقط وحسب ذلك أن يكون ميزة للاقباط على المسلمين

وفوق ذلك فان أوقاف المسلمين تنفق على تعمير تلك الكنائس والاديرة لان العمال المكلفين بالقيام بهذه الاعمال انما ينقدون رواتبهم من ديوان الاوقاف الاسلامية

وانا لنشعر بأن ايراد هذه الامثلة الجزئية ليس متفقاً مع ما نحب تقريره من التسامح ومساعدة اقامة الشعائر الدينية أياكانت والاحتفاظ بالآثار الا أن الضرورة ملجئة الى التمثيل بهذه الجزئيات دفعاً لما عساه أن يتوهم من أن الخزينة المصرية تحابي المرافق الاسلامية دون غيرها

ولذلك ترى اللجنة أن هذا الطلب لا محل له

٦ — النتيجة

نقول ان المصريين والمستوطنين في مصر من الجنسيات المختلفة وعلى العموم كل من يهتمون بالاحوال المصرية ويرجون التقدم لهذه الامة بل كثير من الاقباط الذين تعلموا من التجارب يرون أن المؤتمر القبطي لم يكن له محل من الوجود وان مطالبهم التي أخذت شكل الانذارات خالية عن الاسباب التي تبررها في أعين الذين يعلقون أهمية في تأليف الامم الناهضة على تضييق دوائر الفروق بين الافراد وتوسيع دائرة المشابهات بينهم ويعتقدون حقيقة أن الدين لله وان مصر للمصريين

أيها السادة

هبوا معنا أن مواطنينا اخطأوا في تقدير الحالة الحاضرة وما يجب أن تضحيه الافراد والمجاميع أياكان لونها في سبيل تعضيد الوحدة القومية فان الطريقة الوحيدة لتصحيح هذا الخطأ هي اقناعهم به واقناع الامة بوجوب التجاوز عنه .

إن الامة يجب أن تبنى علاقة أفرادها على التسامح من جهة وعلى التضامن من جهة أخرى ولا يتوفر ذلك الا اذا عاملت أبناءها جميعا بما تقتضيه المحبة والرحمة وما يؤكد التآزر على تحصيل المنافع المشتركة. فلنطرح ظهريا كل ما جاء في مؤتمر الاقباط من دواعي التفريق في الوحدة القومية ولنوسع لاخواننا صدورنا ولنستأصل من نفوس المصريين ذلك الضيق الذي لحقها من جراء ذلك المؤتمر

وإنه من الخطأ أن تتشبث العقول بتلك الفكرة التي أنتجها مؤتمر الاقباط وهي فكرة محاسبتهم لاخذ ما في أيديهم من المصالح العامة لان في ذلك مجاراة لهم على التفريق انما ينبغي اصلاح ما طوأ من الفساد على الطرق المتبعة في الانتفاع بالمرافق العامة . فان المسلم والقبطي كلاهما ابن الامة المصرية وكلاهما له الحق الكامل في خدمتها والاعتزاز بتلك الخدمة . وانها لو رجعت الى نفسها لشعرت بأنها تحن الى المسلم والقبطي على السواء

ليست مصر قليلة الواجبات الوطنية ولا هي يعوزها ميدان العمل لخيرها حتى تشغلها عناصرها بما لا فائدة فيه من التنازع على المراكز أو التخاصم على شيء من الحقوق التافهة . بل على الضد من ذلك ان لهذه الامة الناهضة شؤوناً اجتماعية واقتصادية لا تكفي في تحقيقها مجهوداتنا الحالية ولا أضعاف أضعافها . فان الرقي لا يجيء بالصدفة ولكنه نتيجة متناسبة مع عمل العاملين .

حقيقة كان يكون من الضرر على جامعة الامة أن تبين ظلامات الاقباط وتغمض الاكثرية جفونها على تلك الظلامات مع القدرة على التذرع الى كشفها أو كشفها بالفعل . يكون من التهاون في حقوق الانسانية بل التهاون في حق الوطن بل التهاون في حق الذات أن تترك الاكثرية أقلية مهما كان وصفها مهضومة في حق من حقوقها لان مثل هذا التهاون اكبر العوامل على العبث بالتضامن الذي هو أساس الوجود القومي

أما وقد ظهر بالبرهان أن افراد الاقباط متمتعون من الحقوق باكثر مما يتمتع به بقية الافراد الآخرين من المصريين فالواجب على الاقباط أن يرجعوا عن مزج المعتقدات الدينية بالمصالح القومية وان لايجعلوا من جامعتهم الدينية جامعة سياسية خاصة والواجب على المسلمين أن يعتبروا المطالب التي تشف عن هذا الغرض كأنها لم تكن

ويسر اللجنة أن تأمل بحق أنه اذا انعقد مثل هذا المؤتمر يكون الاقباط الى جانب المسلمين عاملين فيه للبحث فيما يرقي الامة المصرية جميعها حتى يحق القول بان الدين لله ومصر للمصريين .

(٢)

﴿ حالنا الاجتماعية ﴾

حالنا من الجهة الاجتماعية يصفهاجميعنا بأنها أقل الحالات ملائمة لتمدننا الحديث

فليس من الضروري الاطالة في شرحها وضرب الامثلة على مقدار الضعف السائد من معظم الوجوه في تأليف جمعيتنا المدنية . كما انه ليس من الحكمة ان تثقل كواهلنا ونحملها فوق طاقتها بالاقتراحات والمشروعات الاجتماعية . فان الخير كل الخير هو في أن نترك الآن ما لا نستطيع الى ما نستطيع ، حتى نتفق في سيرنا مع قواعد التدرج الطبيعي وقل أن يفشل الذي يقلد الطبيعة في سيرها ويقيس قواه بمقياس مضبوط قبل استخدامها في العمل وانه لا ضرر على رقينا المنشود من هذا التمطل لان المشروع الواحد الذي يتم هو نفسه يكون اكبر مساعد لاتمام غيره فحسبنا من المقاصد الاجتماعية الآن أن نهتم بالمدرسة

اننا اذا اصلحنا المدرسة أصلحنا العائلة والامة كلها ، فالمدرسة هي الاساس الذي يجب أن نبني عليه الآن والمشروع الاجتماعي الذي يجب أن نلفت اليه النظر قبل كل مشروع اجتماعي آخر

إن نسبة القارئين والكاتبين في المصريين عموما قليلة أمام مطالبنا الكبيرة من التحول الاجتماعي بل نسبة تجعل بيننا وبين أن نعيش في زمننا الحاضر بونا بعيداً أيها السادة

نحن نعيش في هذا الزمن تحت سلطان العلم الذي وضع يده على كل شيء في الوجود ، وضع يده على الزراعة والصناعة والتجارة وهي مصادر رزقنا ، وضع يده على الاخلاق والروابط الاجتماعية وهي قوام جمعيتنا ، وضع يده على السياسة وتدبير الممالك وهي مناط سعادتنا وشقائنا ، وضع يده على حركات نفوسنا ووضع لكل شيء ضوابط لا مجاوزة لها . فان لم يحسن التفاهم بيننا وبين هذا السلطان القادر يستحيل علينا أن نعيش في زمانه ولا واسطة لهذا التفاهم الا المدرسة

فليس تعليم الامة زخرفا تزدهي به ، ولا زينة تباري بها زميلاتها ، ولكن تعليم الامة ركن لحياتها ، وشرط لازم لوقايتها من الفناء

قد يجد الاميون الطيبون من المتعلمين مالا يرضيهم في السلوك والاخلاق الاجتماعية فينسبون ذلك للعلم ويضعف ايمانهم بضرورة التعليم ، الا انه لا ذنب للعلم ولا للتعليم ولكن الذنب على الجهل وطرائق التعليم ، فكلما رأيتم اعوجاجا في المتعلمين فأصلحوا المدرسة تصلح أبناؤكم وأحوالكم

من ضعف الوطنية ومن الضرر بالنظام أن يفرغ كل جهده في كسب الحقوق ولا يفكر في أداء الواجبات ، كل يريد من الامة أو من الحكومة أن تعطيه حقه ولا

يريد أن يقوم نحو الجمعية بواجبه ، ومن قصر النظر أن يظن المرء بسهولة الحصول على حقه اذا لم يكن الافراد المتضامنون معه يؤدون واجباتهم ، فاذا استمرت هذه الشهوة الفاسدة شهوة التمتع بالحقوق دون النظر الى الواجبات فكل اصلاح اجتماعي مستحيل وعلى الاخص نشر التعليم واصلاح المدرسة

نحن نطلب الى الحكومة أن تعلم ، نطلب اليها ذلك لانها تصدت لاخذ الاموال من الامة للتعليم ولانها تسير في التعليم ولكننا على كل حال نضيع الوقت في الطلب ونظلمها اذا طلبنا منها أن تصلح المدرسة على انماط التربية التي تخرج الرجال . ذلك لان الحكومة مهما كان نوعها وهيئة تأليفها ليست اختصاصية في التربية والتعليم بل ليست التربية والتعليم في الحقيقة من شأنها ، لان التعليم يجب أن يكون حراً بعيداً عن كل المؤثرات ، ولان المدرسة يجب ان تكون أمة مصغرة مستقلة يعلم فيها كل ما هو جار في الخارج أي في الامة الكبيرة ، ولا سبيل الى ذلك الا بالجهود الذاتية للافراد والمجاميع الحرة غير الداخلة في نظام الحكومة ، لاسبيل الى ذلك الا بأن يريد كل مفكر وكل مثر أن يؤدي واجباته العامة تلقاء كسبه لحقوقه ، ومن الاسف أن علية المفكرين يقصرون عملهم العام على السياسة وعلية المثرين لا يقومون الا قليلا بواجبات الغني نحو قومه أو نحو المدرسة

تقول اللجنة ذلك ويسرها أن تعترف ان هذه السنين الاخيرة كانت ميدانا لتناظر المفكرين في التعليم ومباراة الاغنياء في بر التعليم فهي بذلك قوية الامل في أن يزيد ادراك العلماء والاغنياء لواجبهم نحو التعليم . ومتى أضيف الى ذلك الامل في مجالس المديريات أمكن القول بأننا نبتدئ في سلوك خطة نحو التربية والتعليم لاتلبث أن تجني الامة ثمارها

غير أن لنشر التعليم أصولا مجربة . وأن لاصلاحه والاستفادة منه في تخريج الرجال أنماطا علمية ولا يسع هذا المؤتمر أن يبحث في هذه التفاصيل . فتقتصر اللجنة على أن نقترح على المؤتمر أن يطلب أو يشجع طلب عقد مؤتمر للتعليم والتربية في الخريف القادم يكون الغرض منه درس الحالة التعليمية في مصر ووصف العلاج النافع لها وارشاد المجاميع التعليمية كمجالس المديريات وغيرها من الجمعيات الاخرى الى أقرب الطرق وآكدها في تعليم الامة وبماذا تبتدئ في مشروعاتها التعليمية وكيف يتم اصلاح المدرسة على مقتضيات الزمن الحاضر

(٣)

﴿ الحالة الاقتصادية ﴾

اذا كانت حالتنا الاجتماعية داعية الى الاصلاح فان حالتنا الاقتصادية الى الاصلاح ادعى لانها عدم

نعم — أيها السادة ـ بوصف كوننا مجموعا ليس لنا مع الاسف وجود اقتصادي ايجابي بل وجودنا سلبي محض لاننا نتأثر بالحركات الاقتصادية في مصر من غير أن يكون لنا فيها أدنى تأثير

نشتغل في تجارة القطن وما وصفنا الحقيقي فيها الا اننا عمال في البنوك الاجنبية تابعون في تصرفنا لا للحركة المالية العامة كما هو شأن كل تجاري يشتغل لنفسه ولكننا تابعون للذين يشتغلون لانفسهم من الاجانب ولذلك اذا سقط منا تاجر أو أفلس — وذلك مع الاسف ليس بالقليل ـ تأثرت بافلاسه التجارة المصرية تأثراً حقيقياً خلافا لما لو كان لنا في الحركة مركز مصري خاص اذ في هذه الحالة لا يكون لخسارة التجار تأثير مضر بثروة البلاد لان هذا التاجر يخسر ما يكسبه الآخر فما أجدر خسارته أو افلاسه بان تسمى تحولا للمال من يد مصرية الى يد مصرية والمال على كل حال باق في مصر

نشتغل في الحركة المالية الصرفة أي في أشغال البنوك فما نصيبنا من هذا الشغل الا أننا مقترضون دائما لا مقرضون ومدينون لا دائنون

نقترض من البنوك لتوسيع ثروتنا ونغلو من الاسف في حب ذلك التوسيع فنأخذ المال بالفوائد التي لا يسمح بها في العالم المتمدن ونقسطها على أقساط ندفعها من حاصلات الارض وحاصلات الارض متغيرة بتغير السنين بين الاخصاب والاجداب فكثيرا ما يقع أن ما تنتجه الارض المرهونة للمزارع المدين لا يفي الا بقسط البنك . فكون معنى ذلك أن المزارع يشتغل لغيره وأن المصري يشتغل لتنمية ثروة غير بلاده فاذا وقفت حركة أعماله واستغرقت ديونه أملاكه — وذلك أيضا أصبح مع الاسف كثير الوقوع — تأثرت الحالة الاقتصادية المصرية بمقدار أهمية أملاك ذلك المزارع المصري في تكوينها لان انتقال أمواله من يده انما يكون دائما ليد غير مصرية خلافا لما اذا كان منا الدائن ومنا المدين ، منا المرتهن ومنا الراهن ، فان الحالة الاقتصادية للامة لا تتأثر بخسارة

أحدهما أو انتقال ماله الى يد الآخر لان المال يبقى مصريا على كل حال

نشتغل في الصناعة شغلا بطيئا قليل الاهمية لانه ليس لنا رؤوس أموال تشتغل شغلا مفيدا في السوق المالية لذلك لا تخطو الصناعة في بلدنا خطوة الى الامام ، حقيقة انها لا تشجع ولا تحمى من جانب الحكومة ، ولكن ذلك ليس هو وحده السبب الاكبر في عدم تقدمها بل أكبر الاسباب في ذلك هو قلة وجود رؤوس أموال مصرية في سوق المال تستعمل في المشروعات العامة

نحن في بلدنا تتأثر حالتنا المالية بكل أزمة مالية تقع في أي بلد من البلاد . ولا نستطيع أن ندفع عنا أية أزمة خارجية مهما كانت لان سوقنا ليست لنا بل ليس لنا فيها أدنى نصيب

نحن في بلدنا تتأثر حالتنا الاقتصادية بأية اشاعة من الاشاعات مهما كان مبلغها من الفساد . فانه يكفي لقبض البنوك يدها عنا والقسوة في مقاضاتنا أن يشيع في الناس خبر أية حركة سياسية بل يكفي أن يختلق كاتب عنا رواية تدل على التعصب الديني أو التحرش بالاجنبي حتى توصد البنوك أبوابها .

فنحن على هذه الحالة لا مأمن لنا من الوجهة المالية لا من داخل البلاد ولا من خارجها . وقد أخذنا درساً مفيدا من الازمة المالية التي وقعت في سنة ١٩٠٧

اذن أين نحن من المستوى الاقتصادي الذي يتفق مع رغبتنا الاكيدة في التقدم الى الامام

مع الاسف أن الذي يجيب على هذا السؤال يرى نفسه مكرها على الاعتراف بأننا لسنا من الحال الاقتصادية على شيء أصلا . وليست حركتنا الاقتصادية الا سلبية صرفة لا يفهم من ذلك أننا ننكر جميل رؤوس الاموال الاوربية التي دخلت مصر فحسنت كثيرا من أحوال الافراد ورفعت الاملاك العقارية ولكن الذي يفهم منه أنه يجب أن يكون للمصري وجود اقتصادي عام أي حركة فاعلة في السوق وليس له من ذلك شيء ، يجب أن يكون لمصر وجود فاعل ثم يجب أن يكون لاموالها بوصف أنها أمة مزاحمة مالية مع بقية رؤوس الاموال ذات الجنسيات المختلفة التي تتزاحم في السوق المصرية

أيها السادة ـ لا يغلو الذي يقول : ان كل جهد لتقدمنا ضياع وقت ، وكل رقي نرجوه أمنية لا تتحقق ، ما دامت حالتنا الاقتصادية على ما هي عليه

ان مدنيتنا نتيجة مقدمتها الكفاءة الاجتماعية والاقتصادية فلم نحصل على المقدمات يستحيل علينا أن نبلغ النتيجة

انه يجب علينا أن نأخذ من فورنا بأسباب اصلاح حالتنا الاقتصادية . ومن المشكوك في نفعه أن نطرق مشروعات اقتصادية شتى عساها تكون فوق طاقتنا المالية فنبق في النقطة التي ابتدأنا منها . بل النافع هو أن نقصر جهدنا على مشروعات يمكن تحقيقها وتكون من أهم القواعد التي يبنى عليها صلاحنا الاقتصادي

لنبدأ من هذا اليوم لاننا قد تأخرنا كثيرا . وكل تأجيل في الابتداء في العمل تأجيل للنتيجة . وليس تأجيل البدء في العمل قاصرا على أن يفوتنا زمن بغير عمل، ولكن مادامت التجربة دلت على أن الاعمال انما تسير على قاعدة الربح المركب فان تأجيل العمل لابد أن يسير على قاعدة الخسارة المركبة . ولو استطعنا أن نقف في مركزنا الحالي لهان الامر ولكن لاسبيل الى الوقوف فاما التقدم وهو البدء في العمل من اليوم واما التأجيل وهو التقهقر الى الوراء ونتيجته الخراب

وماذا نعمل من اليوم أيها السادة؟

نشرع في انشاء بنك مصري

أيها السادة – لسنا والحمد لله فقراء في المال فان للمصريين في البنوك نقودا وودائع لاغلة لها تفي من اليوم بأن تكون رأس مال لبنك مصري محترم . ولسنا والحمدلله فقراء في الرجال الماليين فان كثيرا من رجالنا قد جمعوا بأنفسهم ثروات عظيمة من غير أن يكون عند أحدهم رأس مال الا عمله أو قليل من الحطام الموروث . ولسنا ضعفاء الثقة بعضنا في بعض قد أثبتنا في السنين الاخيرة أن لدينا مجاميع تقوم بالاعمال العامة ومثل هذه المجاميع يستحيل أن يبنى لها أساس الا على الثقة – ان المال والرجال والثقة هي الاركان الثلاثة اللازمة لمشروع مالي عظيم مثل هذا المشروع. فما الذي يعوقنا عن السير فيه؟ لايقال: ان من العقبات الشديدة خوف مزاحمة البنوك الاجنبية لاننا وان اعترفنا بأن البنك المصري سيزاحمها ولكنه لا يعطل عمل واحد منها ولا يؤثر تأثيرا كبيرا على مقادير كسبه، لان مصر لاتزال كالبلد البكر في الاستغلال وان البنوك الموجودة فيها الى الآن على كثرتها لاتفي بحاجاتها فان الاراضي المصرية القابلة للزراعة لم تزرع كلها بعد. والفدان المزروع لم يأت الى اليوم بكل مايستطيع أن يأتيه من الغلة ، والارض غير القابلة للزراعة لم يقنط أحد من احتوائها على معادن مختلفة كالرصاص والبترول ونحوهما. وبالجملة فالبلاد لاتزال بكرا من حيث الاستغلال وتحتاج في استغلالها الى أموال طائلة لاتفي بها الاموال الاجنبية الموجودة في مصر الآن

انما تكون فائدة البنك المصري أن لايتأثر بالاشاعات المكذوبة فلا يقفل بابه عن الناس فتحذو حذوه البنوك الاخرى لانه بنك البلد وأعلم بما يجري فيه ، فائدته تشجيع المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود عليه وعلى البلاد بالربح العظيم، فائدته الرحمة بالفلاحين عند الحاجة يعطيهم بفوائد معتدلة ومناسبة وهو مع ذلك يربح ولا يخسر ، فائدته أن يجعل لمصر صوتا في سوقها المالية ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها، فائدته هو ومشروع النقابات الزراعية ومشروع مستودعات التأمين أن تحقق في الوجود الكفاءة المالية التي هي الاساس المتين للرقي المطلوب

على ذلك نقترح اللجنة على المؤتمر أن يقرر وجوب انشاء بنك مصري برؤوس أموال مصرية

باب الأخبار والآراء

المؤتمر المصري (*)

(ب) التربية والتعليم

١ ضرورة عقد مؤتمر للتربية والتعليم في الخريف القادم للبحث في انماط التعليم والتربية واختيار الاصلح منها للقطر المصري

اقترحته لجنة المؤتمر — وحضرتا عبد السلام افندي ذهني المحامي ببني سويف – ومحمد افندي كامل صادق المصري واحمد بك لطفي المحامي الذي يقترح أيضاً تخصيص مبلغ من مال هذا المؤتمر للانفاق على مؤتمر التربية والتعليم المذكور فهل

(*) تتمة ما قرره المؤتمر المصري من الاقتراحات تابع لما نشر في الجزء السابق ص ٣٨٩

أنتم موافقون على هذا الاقتراح مع احالته على اللجنة التنفيذية للعمل على تنفيذه ؟

٢ السعي لدى الحكومة لفصل المكاتب الاهلية ومدارس الأوقاف عن نظارة المعارف وجعلها ادارة قائمة بذاتها تراعى فيها شروط الواقفين

« اقترحه سعادة الشيخ علي يوسف »

وجاء أيضاً مثل هذا الاقتراح من حضرة محمود بك انيس وحامد محمد الاسكندراني ومصطفى حسن من بني سويف

٣ إلفات نظر الحكومة الى جعل تعليم الدين في مدارسها قاصراً على دينها الرسمي منعاً للتنافر الذي أحدثته الطريقة الجديدة التي اتبعتها الحكومة من سنة ١٩٠٨ واقتداء بما تجري عليه الحكومات المتمدنة التي يعلم الدين في مدارسها .

(اقترحه سعادة الشيخ علي يوسف أيضاً)

فهل يوافق المؤتمرين على هذين الاقتراحين ؟

٤ انشاء ادارة معارف أهلية تضم شتات المدارس الاهلية وتقوم بالتعليم الوافي بحاجات القطر

اقترحه محمد بك أبو شادي المحامي بمصر وطلب السعي لدى الحكومة في زيادة ميزانية المعارف العمومية . واقترحه أيضاً لفيف من طلبة المدارس الاهلية والاجنبية بمصر عددهم ٣٠ طالباً . باحثة البادية . عمر افندي صنوه بالاسكندرية . احمد بك رمزي المحامي الذي يطلب السعي لدى الحكومة لزيادة ميزانية التعليم . احمد محمد مليجي رئيس لجنة المؤتمر بمركز الصف

٥ السعي في جعل التعليم الابتدائي اجبارياً مجاناً للذكور والاناث

اقترحه حضرات احمد بك رمزي المحامي · عبد السلام افندي ذهني المحامي . السيدة باحثة البادية وهي تطلبه على الخصوص لمدارس البنات . مرسي عبد الرحمن البارودي بجرجا

٦ وجوب نشر التعليم العلمي من صناعي وزراعي في انحاء القطر والاهتمام بالعلوم التي تفيد الصناعة والزراعة كالكيمياء الصناعية والاقتصاد الزراعي والهندسة الميكانيكية والكهربائية وغير ذلك

اقترحه حضرة علي بك الشمسي في خطابه الذي تلاه على المؤتمر

وقد اقترح الاهتمام بالتعليم الصناعي والزراعي كل من حضرات حسن بك يونس الذي يستلفت مجالس المديريات لذلك . سليمان افندي فهمي سليمان المحامي الذي يرى

انشاء مدارس زراعية في عواصم المديريات وكلية زراعية · علي بك ثروت رئيس نقابة عمال الصنائع اليدوية ويطلب تشجيع التعليم الصناعي · حسن المسيري بهتيم ويطلب مدرسة زراعية في كل مركز · حسين علي عيد بالفشن · وهو يطلب الاهتمام بالمدارس الصناعية · سيدة باحثة بالبادية · عبد المعطي افندي امين المغربي · مرسي عبد الرحمن البارودي بجرجا · علي عبد السلام بالسويس · وهؤلاء الثلاثة الأخيرون طلباتهم هي المدارس الصناعية

٧ انشاء مدارس للمساحة والتجارة ومسك الدفاتر لتخريج أناس أكفاء يشتغلون في البنوك وفي عمل الدوائر والصرافة

اقترحه حضرات احمد بك سامي مفتش ورق التمغة بالمالية سابقاً · نقابة ناحية الزراعية · سليمان افندي فهمي سليمان المحامي وهو يطلب انشاء مدرسة تجارية عالية · حسين بك هلال عن لجنة ميت غمر وهو يطلب السعي لدى الحكومة ولدى مجالس المديريات في الاهتمام بتوسيع التعليم التجاري وانشاء مدارس له · لجنة المؤتمر الفرعية بالقناطر الخيرية التي تقترح أيضاً ادخال مسك الدفتر للسنتين الثالثة والرابعة من مدارس الحكومة الابتدائية . لجنة المؤتمر الفرعية بمديرية المنوفية وتطلب أن يسعى المؤتمر لدى ديوان الاوقاف لهذا الغرض . احمد بك رمزي المحامي

٨ انشاء مدارس متجولة لتعليم المزارعين والمزارعات الوسائط الحديثة لتحسين الحالة القروية صحياً واقتصادياً وهي المسماة بالمدارس الفنية الزراعية المتجولة التي انتشرت في بلجيكا وكندا والولايات المتحدة بامريكا وأفادت كثيراً

اقترحه حضرات عبدالحميد سعيد والدكتور محجوب ثابت ولفيف من المصريين طلبة العلم بفرنسا وانجلترا

٩ وضع كتب اخلاقية سهلة يفهمها العامة وعمل لجنة لمراقبة الاخلاق في معاهد التربية والتعليم الاهلية

اقترحه سيد بك محمد . ولجنة المراقبة على الاخلاق اقترحها أيضاً عبد السلام افندي ذهني المحامي

١٠ ايجاد مدارس ليلية لتعليم الشعب بالقرى

اقترحه سعد الدين مصطفى رحاب من الصيرات

١١ الاكثار من معاهد الجنباز والرياضة البدنية

اقترحه عبد السلام افندي ذهني المحامي

اقترحه سعادة حسن باشا مدكور

١٢ توحيد برامج التربية والتعليم — اقترحه حضرة احمد بك لطفي المحامي

فهل توافقون على احالة جميع هذه الاقتراحات على اللجنة التنفيذية لكي تنفذ منها ما يمكن تنفيذه ويكون لها أن تنتظر عمل مؤتمر التربية والتعليم والاستعانة بما يراه موافقاً لهذه البلاد من الانماط التعليمية

السعي لدى الحكومة لتوسيع نطاق مدرسة الممرضات وتعليم الطب للنساء أسوة بالرجال وتعليم المرأة والتفصيل والتطريز وخدمة المنزل وتربية الاطفال وانشاء مدرسة لذلك

اقترحته السيدة باحثة البادية

قبلت هذه الاقتراحات كلها وعددها ١٢ بالاجماع

ج ـ المسائل الاجتماعية

١ الاهتمام بالوعظ والارشاد لترقية الحالة الاخلاقية

اقترحه حضرات محمود حسن فروز بأسيوط . الشيخ رشيد رضا . حسن بك يونس الذي يطلب السعي لدى ديوان الاوقاف لتعضيد مشروع الوعظ والارشاد . محمود بك انيس وهو يرى المساعدة على ذلك بجمع ضريبة اختيارية سنوية لا تقل عن خمسين قرشاً على كل شخص تصرف في هذا السبيل وغيره حامد محمد المليجي الاسكندراني . عدد ١٦٠ شخصا من الازهريين . مرسي عبد الرحمن البارودي . حسن المسيري . محمد افندي كامل صادق الذي يرى ان الوعظ والارشاد يكون تحت مراقبة لجنة يعينها مؤتمر التربية والتعليم

فهل المؤتمر يوافق على ان هذا الاقتراح مفيد وواجب تشجيعه أم لا ؟

قبل

٢ اعطاء الحرية للنساء لسماع الوعظ في المساجد وبالصلاة فيها أسوة بالتركيات وبالمسيحيات واليهوديات وجعل التعليم الديني الزاميا في مدارس البنات وايجاد استاذ مسلم عاقل في كل مدرسة بنات لارشادهن لمكارم الاخلاق الدينية ومحاسن العادات القومية

اقترحته السيدة باحثة البادية

فهل توافقون على هذا الاقتراح وتشجعون عليه وتحيلونه على اللجنة التنفيذية للسعي لدى الحكومة لاجراء مايخصها من ذلك ؟

رفض الشق الاول وقبل الثاني

٣ محو البدع والعادات السيئة كالاذكار القبيحة والاسراف في المآتم والافراح وخروج النساء لتشييع الجنازات ومبيتهن في المقابر والاسراف الزائد في تشييد القبور والاحواش

اقترح بعض ذلك حضرة محمد بك يوسف المحامي بمصر في تقريره الذي تلاه في احدى جلسات المؤتمر وبعضه اقترحه حضرات محمد افندي زكي ابراهيم بالخفني بمصر. خيري افندي بشبين الكوم. عبد الحليم أفندي جميعي بالاسكندرية. حسن بك يونس. باحثة البادية فهل تعضدون رأي المقترحين ؟

قبل

٤ ضرورة إنشاء ملاجئ للفقراء من الايتام والارامل والعجزة

اقترحه حامد محمد المليجي الاسكندراني

فهل المؤتمر يستحسن هذه الفكرة ويشجع عليها ويحض المحسنين والواقفين على أن يجعلوا لها من مبراتهم نصيبا

قبل

السعي لدى الحكومة في استصدار قانون يحدد المهور

اقترحه حضرتي عبد الحليم افندي جميعي بالاسكندرية حسين المسيري بيهتيم

رفض

٥ السعي لدى الحكومة لتشكيل لجنة من العلماء لاستنباط أحكام شرعية من كل المذاهب تنطبق على أحوال الزمان والمكان حتى يمتنع الحرج على الناس من الاحكام المأخوذ بها الآن

اقترحه حضرة الشيخ عبدالعزيز شاويش في خطابه الذي القاه باحدى جلسات المؤتمر فهل توافقون في إحالة هذا الاقتراح على اللجنة التنفيذية لبحثه ولتخذ نحوه مايلزم ؟

ان يطالب من الحكومة مراقبة المبشرين في مصر حتى لايخرجوا عن حدود واجباتهم الدينية ـ اقترحه حضرة احمد بك لطفي المحامي

قبل

٨ السعي لدى الحكومة لمنع تعدد الزوجات بلا ضرورة والطلاق بلا موجب

اقترحه حضرة صادق افندي عثمان ناظر مدرسة الصادق ببني سويف. وباحثة البادية في تقريرها الذي تلي بالمؤتمر فهل توافقون على فائدة هذا الاقتراح وعلى احالته على اللجنة التنفيذية لتحري ما يلزم نحوه ؟

حذف من البروجرام

٩ السعي لدى الحكومة لتعيين قضاة المحاكم الاهلية من بين المتمرنين على أعمال القضاة كالمحامين الذين أمضوا في المهنة عشر سنوات مثلا وترقية القضاة بالاقدمية فقط وان يكونوا غير قابلين للعزل وصرف ايرادات المحاكم فى ترقية حال القضاء

اقترحه حضرة عبد الستار افندي الباسل

فهل توافقون على احالته على اللجنة التنفيذية لبحثه واجراء مايلزم نحوه ؟

قبل بالاجماع

١٠ السعي لدى الحكومة لاستصدار قانون يجعل منزل العائلة وحصة معلومة من ملكها غير قابلين للبيع وذلك حماية للاهالي من خطر التجرد من كل ملك

اقترحه حضرة عبدالرحيم حسين من ساحل سليم ومحمد افندي كامل صادق من مصر

فهل توافقون على هذا الاقتراح وتحيلونه على اللجنة التنفيذية لاجراء اللازم نحوه؟

قبل بالاجماع

١١ انشاء لجان لمصالحة العائلات

اقترحه حضرتا حسن بك يونس ومرسي عبد الرحمن البارودي بجرجا والاول يرى السعي لدى الحكومة لتعين مجالس في المراكز لهذا الغرض

تقرر الاكتفاء بما هو موجود بتلك اللجان

١٢ ايجاد المستشفيات الخيرية والصيدليات بكل مركز من مراكز المديريات وكل قسم من اقسام المدن

اقترحته باحثة البادية في تقريرها الذي تلي بالمؤتمر

واقترحه مرسي عبد الرحمن البارودي بجرجا وحسن المسيري ببهتيم فهل تستحسنون هذا الاقتراح وتشيرون على الاهالي بالعمل به ؟

قبل بالاجماع

١٣ السعي لدى الحكومة لتحصيل تركات من يتوفى من المسلمين عن غير وارث لصرفها في شؤون المسلمين

اقترحه حضرة محمود بك انيس ومحمود حماده بالزيتون

فهل توافقون على هذا الاقتراح ؟ أم توافقون على ابقاء الحالة كما هي الآن مع إلفات الحكومة الى الاستيلاء أيضاً على تركات المتوفين عن غير وارث من باقي المصريين

رفض الشطر الاول وتقرر الثاني بالاجماع

١٤ استلفات الحكومة لالغاء المادة ٧٨ من لائحة الصيارفة لما تقتضيه من حصر وظائفهم في يد فئة مخصوصة مع ان الحكومة تصرف سنويا على هذه الطائفة زيادة عن ٩٠٠٠٠ جنيه

اقترحته لجنة المؤتمر الفرعية بالمنوفية وحضرة محمد بك علي المحامي باسيوط

فهل توافقون على هذا الاقتراح وتحيلونه على اللجنة التنفيذية لاجراء اللازم نحوه؟

قبل بالاجماع

١٥ استلفات نظر الحكومة الى وجوب الحرص على اللغة العربية ووضع كل محرراتها بها اذ هي اللغة الرسمية للبلاد وان كان للحكومة الحق بعد ذلك أن تضعها فيما تشاء من اللغات الاخرى

اقترحه الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمود بك أبو النصر

فهل توافقون على هذا الاقتراح وتحيلونه على اللجنة التنفيذية لاجراء اللازم نحوه؟

قبل الاجماع

د ـ المسائل الاقتصادية

١ انشاء مصرف وطني مصري برؤوس أموال مصرية

اقترحته اللجنة التحضيرية للمؤتمر

واقترحه أيضاً حضرات يوسف نحاس بمصر . هاشم افندي محمد مهنا المحامي بقنا حسين علي عبدالفشن. محمد كمال بشارع محمد علي بمصر . الشيخ مصطفى فرغلي رضوان التاجر بأبو تيج . حسين بك عابدين عضو الجمعية العمومية عن مديرية الجيزة . امين باشا الشمسي . ابراهيم بك دويدار عمدة شبراخيت بمديرية الجيزة . حسن بك يوسف بمنفلوط . محمود بك بسيوني المحامي بأسيوط . عبد الحميد بك سعيد والدكتور محجوب ثابت ولفيف من المصريين بباريس وانجلترا . عبد الرؤف

افندي زكي والياس افندي الايوبي المترجمين بمحكمة الاسكندرية المختلطة . متولي افندي عامر بمحكمة الاسكندرية المختلطة . علي افندي سليمان بشارع راغب باشا باسكندرية . محمود حسن قزوير باسيوط . محمد افندي كامل بالفشن . الدكتور احمد افندي حلمي قاسم . سليم افندي ديمتري بولاد بالمحلة الكبرى . حسين بك هلال عن لجنة المؤتمر الفرعية بميت غمر . توفيق افندي الترجمان مدير مدارس اوقاف الحلمية . محمد بك بهجت مفتش الاوقاف العمومية سابقاً . محمد متولي من ابو قراميط . احمد افندي رمزي المحامي . احمد محمد مليجي رئيس لجنة المؤتمر الفرعية بمركز الصف . حسن المسيري ببهتيم . سيد احمد بك زعزوع ببني سويف . محمد افندي زكي باسنا . محمد افندي كامل صادق بمصر . محمد افندي عبد الملك حمزة المحامي باسيوط

فهل تقررون إنشاء هذا المصرف على شرط ان يكون مجلس ادارته كله أو اغلبيته من المصريين؟ وهل تكلفون اللجنة التنفيذية بالبدء في تحقيق هذا المشروع فوراً بانتخاب لجنة من الاختصاصيين لدرس وتحضير قانون هذا المصرف في أول جلسة تعقدها اللجنة التنفيذية ؟

قبل بالاجماع

٢ وجوب السعي لدى الحكومة لاصدار قانون بتقرير عقوبة على من يشتغلون بالربا الفاحش حماية للاهالي من اطماع المرابين

اقترحه حضرات محمد علي بك المحامي بأسيوط . هاشم افندي محمد مهنا وقد تلوا تقريرهما عليكم وحضرات حسين بك هلال عن لجنة ميت غمر الفرعية . السيد عبد المطلب غيث عمدة النخاس . محمد بك متولي من سحيم غربية

وكل مقترحي انشاء البنك الوطني المصري تقريباً وكثيرون من أصحاب الاقتراحات الاخرى وجهوا نظر المؤتمر لعمل ما يلزم لمنع الربا الفاحش رحمة بالاهالي الذين يشكون مر الشكوى من المرابين خصوصاً في الوجه القبلي

فهل تقررون ذلك وتحيلونه على اللجنة التنفيذية للسعي لدى الحكومة بتنفيذه

قبل بالاجماع

٣ السعي لدى الحكومة لايجاد مراقبة فعلية على الوازنين لعدم الاضرار بالاهالي

اقترحه عبد الحفيظ افندي عوض من كفر غنام دقهلية . مرسي عبد الرحمن البارودي بجرجا

فهل تقرون على هذا الاقتراح وتحيلونه على اللجنة التنفيذية لاجراء اللازم نحوه

قبل الاجماع

٤ استلفات الحكومة لالغاء بدل القرعة العسكرية لاضراره بالفقير الذي يخرج من ملكه أو يستدين لدفع البدل

اقترحه حضرة حسن بك يونس

فهل توافقون على هذا الاقتراح وتحيلونه على اللجنة التنفيذية لاجراء اللازم نحوه؟

تقرر حذفه

٥ السعي لدى الحكومة في عدم بيع شيء من أملاك الميري الحرة للشركات الاجنبية وعلى الخصوص بالطريقة الجارية الآن وتجزئتها وبيعها للمصريين

اقترحه حضرة يوسف افندي احمد الخير بأسيوط

فهل توافقون على هذا المقترح وعلى احالته على اللجنة التنفيذية لاجراء اللازم نحوه؟

قبل بالاجماع

٦ تعضيد النقابات الزراعية وتعميمها في جميع البلاد والسعي لدى الحكومة في سن قانون لها هي وشركات التعاون

اقترحه حضرات يوسف بك نحاس . عمر بك لطفي المحامي الذي يرى أيضاً تشكيل نقابة عامة من جميع كبار المزارعين للاشراف على جميع النقابات واعطائها ما يلزم من الارشادات المفيدة . هاشم افندي محمد مهنا المحامي . حسن علي عيد بالفشن . أمين باشا الشمسي . اسماعيل افندي الاجزجي بطنطا . السيدة باحثة البادية . حسن بك هلال عن لجنة ميت غمر الفرعية . فضل الزمر رئيس نقابة ناهيه الزراعية . توفيق افندي الترجمان. السيد عبد المطلب غيث من النخاس شرقية . سليمان افندي فهمي سليمان المحامي بطنطا . احمد بك رمزي المحامي . علي عبد السلام بالسويس . حسين المسيري ببهتيم . محمد افندي كامل صادق بمصر الذي يرى أيضاً تشكيل نقابات للتأمين على المواشي

فهل انتم موافقون على هذا الاقتراح وتكلفون اللجنة التنفيذية بالسعي لدى الحكومة لسن القانون المذكور ؟

قبل بالاجماع

٧ انشاء مستودعات تأمين عامة

اقترحه حضرة محمود بك ابو النصر

فهل توافقون على هذا الاقتراح وتحيلونه على اللجنة التنفيذية للنظر في احسن طريقة لتنفيذه ؟

قبل بالاغلبية

٨ السعي لدى الحكومة في انشاء نظارة خاصة بالزراعة – اقترحه سليمان فهمي من موظفي المالية سابقا

واقترح حضرة حسين بك هلال عن لجنة ميت غمر الفرعية السعي لدى الحكومة ان تتخذ الطرق الفعالة لمراقبة البذور اللازمة لتقاوي القطن حتى يحسن صفته والسعي لديها لتحسين الري والصرف حتى تزيد المياه الصيفية وتقل المناوبات ولا تتلف الاراضي لعدم تطهير المصارف سنويا

فهل حضراتكم تقررون احالة هذين الاقتراحين على اللجنة التنفيذية لتدرسهما وتتخذ بشأنهما ماتراه لازما وممكنا

قبلا بالاجماع

٩ تحسين الصناعة المحلية وادخال مايمكن ابتكاره فيها بالمواد الاولية الموجودة بالبلاد وأن يستعمل الاهالي مصنوعات البلاد ترويجا لها

اقترحه حضرة حسين بك هلال عن لجنة ميت غمر الفرعية

قبل بالاجماع

١٠ حماية الصناعة الوطنية بتأسيس الشركات الصناعية وتعضيد الموجودة منها .
اقترحه حضرة ابراهيم بك رمزي بتقريره الذي تلي . عبد الخالق بك مدكور وهو يطلب حماية التجارة بالصفة المذكورة كتقريره الذي تلي . ومثله حضرة حسن بك يونس وجبرائيل بك كحيل وهو يطلب لهذا الغرض السعي لدى الحكومة لاصلاح التعريفات الجمركية وتخفيض مصاريف النقل في السكة الحديد في تقريره الذي تلي على الطريقة التي بينها ومحمد افندي كامل صادق وهو يطلب مايطلبه حضرة جبرائيل بك كحيل

قبل بالاجماع

١١ السعي لدى الحكومة لسن قانون خاص بالعمال لحماية مصالحهم لسبب مايحصل لهم من العوارض اثناء العمل وتحديد ساعات العمل وانشاء محاكم تحكيم للفصل في المفاوضات بين العمال وأصحاب المعامل

فهل يستحسن المؤتمر هذه الاقتراحات ويشجع عليها ويحيلها على اللجنة التنفيذية للسعي لدى الحكومة في تحقيق مايلزم تحقيقه بواسطتها ؟

قبل بالاجماع

(٥) اقتراحات أخرى

١ اقتراح خاص بتحسين حالة الري ونشر التعليم ببلاد النوبيين بمديرية اصوان وتسمية النوبيين باسمهم الحقيقي بدل تسميتهم باسم البرابرة كما يفعل الناس

اقترحه خليل احمد رئيس جمعية الاتحاد النوبي باسكندرية واقترحه مكاري يعقوب باسكندرية

فهل توافقون على هذا المقترح وتستحبون عليه(؟) وتحيلونه على اللجنة التنفيذية للسعي لدى الحكومة لاجراء اللازم فيما يختص بها ؟

٢ عمل ميدالية تذكارا لهذا المؤتمر تكون من ثلاث درجات : ذهبيـة لدولة الرئيس وفضية لجميع أعضاء المؤتمر العاملين وبرونز لجميع أعضائه المساعدين وتخول اللجنة التنفيذية حق منح هذه الميدالية الى كل من يساعدها على تنفيذ قرارات المؤتمر

اقترحه سعادة حسن باشا مدكور

قبلا بالاجماع

***

ومما يستحق الذكر انه لما عرض الاقتراح بانشاء مصرف وطني صفق الحضور كثيرا وتوالى الهتاف من كل جهة

وعلى أثر ذلك تبرع حضرات الوجهاء الاماثل لملوم بك السعدي بمئة وخمسين فدانا وعلي بك السعدي بمئة فدان ومصري بك السعدي بمئة فدان وسلطان بك السعدي بعشرين فدانا وجعلوها ضمانا للبنك بعد إنشائه . وتقدر قيمة هذه الاطيان بنحو سبعين الف جنيه

ثم ختمت الجلسة بتلاوة خطبة دولة الرئيس وهذا نصها :

***

خطبة المؤتمر الختامية

(لدولتلو رياض باشا رئيس المؤتمر المصري)

أيها السادة

اني على الرغم من حالتي الصحية قبلت مع السرور رآسة المؤتمر وأقبل الآن رآسة لجنته التنفيذية اعتقادا مني بأن ميولكم الشخصية متجهة الى تحقيق الوحدة القومية ومبدأ التسامح والتوفيق بين جميع عناصر الامة المصرية

واني سعيد الآن بأن اعتقادي فيكم قد تحقق بما أظهرتموه من الاخلاص في العمل ومن اللهجة المعتدلة التي جريتم عليها في خطبكم وتقاريركم . سعيد بما رأيته من غيرتكم على حفظ النظام وعدم الخروج عن حدود البرنامج الذي رسمتموه لعملكم . تلقاء ذلك اسمحوا لي يا أبنائي الاعزاء أن اشكركم على مساعيكم الشريفة وادعو الله أن يتوج عملكم بالنجاح

وفي الختام أنصح لكم أن تتخذوا ما جريتم عليه في جلسات هذا المؤتمر من مبادئ التسامح والاعتدال ومكارم الاخلاق قانوناً دائماً ونموذجا مستمرا في معاملاتكم مع غيركم من ابناء وسكان هذه البلاد على السواء ولتكن مصلحة مصر العامة رائدكم على الدوام . وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير العام والسلام اه

﴿ ملكة بهوبال الهندية في انكلترة ﴾ [١]

في بلاد الانكليز تقيم الآن أميرة مسلمة أتت لتشهد حفلة تتويج الملك جورج الخامس مع باقي ملوك الهند وهم كثيرون . وقد اهتمت بأمرها الصحف والمجلات الانكليزية لانها الاميرة المسلمة الوحيدة الشرقية التي تحضر هذه الحفلة الشائقة رسميا . وقد حاول كثيرون من الصحافيين والصحافيات التشرف بمقابلتها واستأذنوا فلم يؤذن لهم الامحررة واحدة جميلة في احدي المجلات الانكليزية قدرت ان تستميل بجمالها

١) نقلناها أي عن المؤيد وهو مترجم عن الانكليزية بقلم احمد افندي عبدالرحمن وقد تصرفنا بعض التصرف في تصحيح الترجمة ، والهنود يكتبون بهوبال هكذا « بوفال »

ودهائها الحاشية فسمحوا لها بشرف المثول بين يدي الاميرة الهندية العظيمة فلعل ذكر بعض ما كتب عنها لا يخلو من الفائدة

هي الاميرة « بيجوم (١) ملكة بهوبال » والبلاد التي تحت حكمها من أحسن بلاد الهند واخصبها ويبلغ مسطحها مقدار مسطح الوجه البحري في بلادنا تقريبا ورعاياها يقدرون بسبعة ملايين من النفوس وهي تقيم بضواحي لندره بجهة ريدهل بمنزل أثري جميل يحيط به حديقة غناء بين حاشيتها المؤلفة من رئيس وزارتها وأمناء أسرارها وخادماتها الهنديات والاروبيات ووصيفاتها الوطنيات وهن من ابكار الهند الجميلات المشهورات بشعورهن الجميلة السوداء الملقاة على ظهورهن ووجوهن السمراء الجذابة ومعها طبيبها الخاص وهى متبعة في معيشتها النظام الشرقي ومحافظة على عادات الشرقيين في الحجاب فهي محتجبة عن الرجال ولا تقابل أحدا من الاجانب بدون النقاب أما النساء فانها تقابلهن مشكوفة الوجه سواء كن أوربيات أو شرقيات .

وهي مشهورة بولائها العظيم لحكومة الهند حتى انها منذ ثماني سنوات قدمت للورد كارزون حاكم الهند العام كمة (طاقية) بديعة الصنع هدية منها لجلالة ملك الانكليز. وهذه الكمة مكللة بالجواهر الثمينة ومطرزة تطريزا شرقيا بديعا ومعها خطاب شكر وولاء للملك تقول فيه بانها ليست هي وشعبها فقط الموالين المخلصين لحكم انكلترا لبلادها بل انها تريد ان تعبر بهذا الخطاب عن سرور وولاء جميع الرعايا المسلمين في الهند . وان هذا الولاء هو مطابق لديانتها أي للشريعة الاسلامية الغراء التي تأمر باطاعة الله والرسول وأولي الامر ! ! . . .

وهي لم تبرح بلادها قبل الآن الا مرة واحدة في سنة ١٩٠١ عند ما أدت فريضة الحج بمكة المكرمة وهذه هي الدفعة الاولى لزيارتها لانكلترا ولاول مرة في التاريخ لملكات بهوبال . وهي متواضعة كريمة الاخلاق مشهورة بالاحسان لفقراء بلادها ومحبة للتقدم والارتقاء وتعتقد ان تقدم الهند لا يكون الا اذا اعتنق الوثنيون وغيرهم من الهنود الديانة الاسلامية فهي لهذا تكلف المستنيرين من رجال مملكتها بان يبثوا المبادئ الاسلامية بين قبائل الهنود. وهي محافظة على الصلاة والصيام حسب الشريعة ولا يفوتها وقت بدون أداء فريضة الصلاة . ومشهورة بالشجاعة والاقدام ومما يذكر عنها أنها عند ما كانت في طريق الحج هاجمها جماعة من الاعراب فأمرت حاشيتها بقتالهم وكانت هي تقودهم بنفسها فأصلوهم ناراً حامية حتى ارتدوا

(١) الهنود يكتبون اسمها « بيكم » بالكاف المنخمة وهي كالجيم المصرية

عنها خائبين ولم يستفيدوا شيئا الا ما أصابهم من نيران رجال حاشية الاميرة الشجاعة .

ولقد قابلت جلالة الملك والملكة في قصر بكنهام فأحسنا ملاقاتها وأكرماها ورأت منهما كل انعطاف واحترام أثر في فؤادها . وكان معها نجلها الصغير « سهل زاده حميد الله خان » فكان موضع رعاية خصوصية من جلالة الملكة

والانكليز يؤدون لتحيتها الرسمية ٢١ مدفعا . وقد كتبت عنها الصحف الانكليزية والمجلات قصصا كثيرة مختلفة وحكايات غريبة متنوعة عن عاداتها وأخلاقها ومأكلها ومشربها حتى انهم قالوا إن الاميرة مأكلها عجيب وانهم يأتونها بماء الشرب من الهند وانها لا تأكل ولا تشرب من انكلترا شيئا أصلا مع انهم لم يطلعوا على شيء مما كتبوه عنها ولا عجب فهذه هي عادة الاوربيين معنا معشر الشرقيين وعن كل شيء لا يعرفون حقيقته . ولقد كذبت تلك الآنسة الانكليزية الصحافية في مجلتها كل ما نسب للاميرة من الحكايات والخرافات وقالت إنها لم تجدها كما كانت تظن انها تلك الاميرة الشرقية الاتوقراطيسة الحاكمة على شعبها بالطريقة الاستبدادية . ووصفتها وصفا مقرونا بالاعجاب اذ قالت إنها رأت فيها ذكاء نادراً ولطفا ورقة وجمالا . وقالت إن الاميرة محبة للفنون الجميلة ووقت زيارتها كانت ترسم أحد المناظر الطبيعية البديعة بالضاحية التي تقيم فيها . وقد رأت عندها كثيراً من الحلي الذهبية والادوات والاواني الشرقية الثمينة التي لا تقدر بثمن . وعلمت من محادثتها لها انها تنظر دائماً لانكلترا كانها وطن لها . وهي تجتهد في البحث والتنقيب عن كل ما يرقي بلادها وشعبها وستأخذ معها من انكلترا وأوربا كل ما تراه مفيداً لنجاح بلادها وأمتها.

وقد تركت ابنها الاكبر (نصر الله خان) في بلادها ليدير شؤون المملكة حتى عودتها وتشتغل الآن في تأليف كتاب عن تاريخ حياتها قد أوشكت أن تنتهي من الجزء الثاني منه وستجتهد بان تصف في الجزء الثالث منه زيارتها الحالية لاوربا ولانكلترا خصوصاً وصفاً تعتقد أن سيكون فيه فائدة لشعبها المجتهد وان يوقظ في نفوس قومها روح النشاط ومجاراة الافرنج

وتتبع في مأكلها قواعد وآداب الشريعة الغراء في الاعتناء بالذبح والنظافة ونحوه فلا تأكل الا ما ذبح بيد إمام معيتها وطبخ باشراف أطبائها المسلمين وتلبس رداء على الطراز الشرقي وهو برنس ذو ذيل طويل وعلى وجهها نقاب أسود موضون بالذهب ومطرز تطريزاً جميلا فيه ثقبان لعينيها وعلى رأسها تاج صغير من الذهب الوهاج وفي يديها قفازان من الحرير الابيض ولا يسمحون بالدخول عليها لاحد من

الاجانب خصوصا الاوربيين الا باذن خاص منها بشرط أن يكون ذا صفة عمومية ولا تقابل أحدا من الاجانب الا وفي يديها هذان القفازان وهي كثيرة الابتسام لزائريها

حقق الله آمال الاميرة فيما ترجوه من ترقية بلادها وأمتها

(المنار) هذه الملكة عربية الاصل شريفة النسب من آل بيت الرسول عليهم السلام وناهيك بسلفها الصالح السيد صديق حسن خان صاحب المصنفات الشهيرة التي هي من دعائم إحياء العلم والدين رحمه الله تعالى . وقد تبرعت في هذه السنة لمدرسة عليكده بمئة الف روبية مساعدة على مايراد من تحويلها الى جامعة تسمى « الجامعة الاسلامية » (وهذا اللفظ يهابه ساسة المصريين والحكومة الانكليزية تساعد عليه مسلمي الهند) ومئة الف روبية تساوي ٦٥٠ جنيها مصريا . واشتراكها الشهري في جمعية ندوة العلماء عشرون جنيها انكليزيا ومبراتها كثيرة . وما نقلته عنها المجلة الانكليزية من الاستدلال بوجوب طاعة أولي الامر على طاعتها لملك الانكليز لا يصح كما علم مما فسرنا به أولي الامر من عهد قريب ، ولها ان تستدل بمراعاة المصلحة العامة وهي اساس السياسة في الاسلام

﴿ بلاغ محمود شوكت باشا ﴾ [1]

الى مفتشي الفيالق ومفتشي الرديف وقواد التوابير والفرق المستقلة :

ان الخدمة الشريفة التي قام بها الجيش في انقلابنا الخيري الحميد الاخير هي معلومة لدى الجميع وطبيعي ان الجيش كان مضطراً الى تكوين التحول الجديد وتسكين الاضطراب الذي حدث في الاحوال العامة وتأييد مقصد الانقلاب فكان اشتغال اعضائه بالسياسة يومئذ امراً ضرورياً ولكن بعد الانقلاب وتأسيس الدستور (المشروطية) لم يبق محل لاشتغال الجيش بالسياسة وأنا منذ سنة ونصف تقريباً أوصيت الوصايا اللازمة شفاهاً بكل عزم واخلاص في الاستانة وفي أدرنة بأن يحصر الجيش همته في وظيفته العسكرية المقدسة واني أقول بلسان الشكر ان هذه الوصايا تلقيت بالطاعة من قبل رفاقي الاعزاء وانه بهمة رفاقي الضباط الذين بطبيعتهم يقدرون سمو الوظيفة حق قدرها حصل في هذه المدة القليلة نجاح مهم في انتظام الجيش اعترف به الصاحب

١) بعد صدور الجزء الماضي من المنار نشرت جرائدنا هذا البلاغ مترجما عن الجرائد التركية وهو كبلاغ صادق بك وهادي باشا يؤيد ما كنا بيناه من قبل

والعدو وبهذا النجاح وجدنا الجيش لم يتوان في طريق التكامل خطوة واحدة على انه منذ سنة ونصف وقف أمام سبع محاربات في اليمن وعسير وشمال الارناوط وحوران والكرك ثم اليمن وعسير ثانياً وعصيان المالیسور كل ذلك لم يثن عنان مطيته عن التقدم الى الامام وان الجيش وفقه الله ما دام يدأب على هـذا الجد والاجتهاد فهو يعلي شأنه وسطوته دوما وان النقطة الوحيدة التي يعلق عليها الامل في سبيل الوصول الى هذا المقصد هي أن يجرد الضباط رفاقي اذهانهم وانفسهم من الافكار والمقاصد غير اللائقة ويقفوا وجودهم على الوظيفة العسكرية فقط .

ان التكامل والانحطاط في الجيش منوط بسعي رفاقي فكلما زاد ارتباطهم بالوظيفة تجلى آثار التعالي بصورة جديدة كل يوم وان الحالة التي يولدها عكس ذلك هي السقوط ليس غير . على ان السقوط يكون سريع الوقوع لا تدريجاً كالترقي ، وآثاره تظهر في الحال وعلى هذا التقدير يكون الجيش قد أودى بوطنه ودولته التي هو مكلف بالعمل لبقاء وجودها ، وهذه النتيجة تثبت انه يجب على الجندي أن لا يتفكر في شيء غير الوظيفة وأن لا يعيش الا لاجلها فقط . لان الوطن الذي يعزه أكثر من نفسه لا يعيش الا بارتباطه هو بوظيفته

إن السياسة من شأنها توليد المطامع والاختلافات فهي بالطبع موجبة لاهمال الوظائف العسكرية وداعية للتباين في الافكار وهذا ما يؤدي الى خراب المملكة . واني لمشاهداتي وتجاربي أعلم أن جميع رفاقي الضباط قد شعروا بقدسية الوظيفة وعدلوها بارواحهم وضمائرهم فيجب عليهم ان ينزهوا افكارهم ومقاصدهم عما سواها واني أسدي الاحترام لرفاقي الذين يمعنون النظر في الوظيفة ويتلقونها على هذا الوجه واحبهم اكثر من محبة الوالد لولده كما انه لا يجوز ان أتوانى البتة في معاقبة الذين لا ينظرون الى هذه الحقائق والنتائج التي صورتها بنظر الاهتمام فيهملون وظائفهم في ميلهم الى الافكار الخارجة عن المسلك ويشتغلون بالسياسة . ومجازاتهم تنوطها بي صلاحيتي القانونية ولاجل ان يطلعوا على هذه النصائح والوصايا نشرناها لجميع المراجع فاوصيهم وصية خاصة بعمل ما يقتضيه الحال .

(المنار) من أصول السياسة ان الجنود الذين يتصدون للسياسة ويحدثون الانقلابات بالثورة والسلاح يكونون خطراً على المملكة اذا بقي لهم نفوذهم في الجيش ، ومن أحكام السياسة أن يقتل هؤلاء ولو بالحيلة اذا لم يؤمن جانبهم ومن أسباب تعجيل الانكليز بالحرب السودانية عقب الاحتلال تعريض عسكر الثورة العرابية للهلاك

والزوال وقد تم لهم ذلك من غير أن يشعر الناس بسببه . ونحمد الله أن كان انقلابنا سلمياً وقد قدر محمود شوكت باشا وأعوانه من القواد والضباط العقلاء (كمحمد هادي باشا وصادق بك) على تلافي الخطر وان كان يفهم مما كتبه هؤلاء الثلاثة أن في الضباط من لا يزال يشتغل بالسياسة باغراء أولئك الزعماء المعروفين من جمعية الاتحاد والترقي ولا شك أن هذا من الجناية والخيانة كما قال محمد هادي باشا الفاروقي فعسى أن يوفق محمود شوكت باشا في اقرب وقت الى تنفيذ ما أشار اليه في هذا البلاغ من غير فتنة ، وحينئذ نأمن من الخطر الداخلي ويستقر أمر الدستور فينا

﴿ رأي الامير صباح الدين ﴾

سأله أحد محرري جريدة الطان الفرنسية بباريس عن رأيه في الازمة الاتحادية أو ما يراد وضعه من الاصلاحات في المملكة العثمانية فاجابه بما يأتي :

ان ضعف طائفة من جمعية الاتحاد والترقي لا يدل على ان الحكومة العثمانيـة دخلت في دور تقهقر فان هذه الازمة إنما تدل على قرب دور حرية حقيقية . إن جمعية الاتحاد والترقي لما قبضت على زمام الامور بقصد أن تعلي شأن الوطن المشترك بين جميع العناصر العثمانية أخذت ترتكب بعض خطيئات حكومة الدور السابق باسم الدستور وذلك من أهم الاسباب التي ولدت هذا الاستياء العام وكانت النتيجة ان بقيت امور الادارة على جانب عظيم من عدم النجاح بدرجة لا تقل عن ادارة الدور السابق .

كنت وضعت خطة جدية هي أوفق لحاجيات الولايات واحفظ لعادات العناصر وتعاملهم واضمن للمحافظة على وحدة المملكة وآمن لاقامة العدل فلو انهم اتخذوا برنامج هذه الخطة لما بقي مجال لحدوث سلسلة ثورات مشئومة . إن الترك في أشد الحاجة الى زيادة قابليتهم للارتقاء ولا يمكنهم ان يبقوا دوماً مستهلكين ولكنهم ويا للاسف لم يبذلوا شيئاً من السعي لاخراج هذا التجدد الى حيز الفعل حتى الآن . وان جمعية الاتحاد والترقي لم تكن لتكفل نجاحاً في السياسة الداخلية ولم تظهر أثراً من الحكمة في السياسة الخارجية .

وان مثل هذه السياسة اذا ولدت استياء عاماً يتزايد في كل يوم يكون أمراً طبيعياً ولا يعجب أحد من عدم انتظام كل الامور للحال ولكن مما يوجب الاسف أن رؤساء الاتحاد والترقي قد اظهروا سرعة انفعال بدرجة انهم لا يتحملون انتقاداً مهما كان معقولاً وصادراً عن حسن طوية .

مصاب مصر

(بوفاة رجلها العظيم)

﴿ مصطفى رياض باشا رئيس المؤتمر المصري ﴾

قضى الله ولا رادّ لقضائه ان لانفرغ من تلخيص أعمال المؤتمر المصري بنشر خطبة رئيسه الختامية الا ويفاجئنا من الاسكندرية نبأ وفاة هذا الرئيس العظيم وطي سجل حياته الشريفة ، ففي يوم السبت ٢٠ جمادى الآخرة (١٧ يونيو) تغدى كعادته في داره برمل الاسكندرية ونام لايشكو ألماً ولاسقما وكان من عادته المضطردة ان يخرج من حجرة نومه على رأس الساعة الرابعة أو يتأخر عدة دقائق فيشرب الشاي ممزوجا بعصير الليمون ويقابل من عساه يزوره ثم يركب الى النزهة ويعود عند المغرب، فلما جاءت الساعة الخامسة ولم يخرج كعادته افتقد فاذا هو ميت . عاش عيشة شريفة ، ومات ميتة هنيئة ، رحمه الله تعالى ، وأشهد انني مارأيته يائساً من الحياة متوقعاً للموت كما رأيته في هذه السنة ، فقد سألته غير مرة قبل المؤتمر وبعده عن صحته فكان يجيب بأنه لايشكو من شيء ثم يستدرك بقوله « خلاص خلاص » ويشير بيده وبرأسه الى الذهاب وقرب الموت

هذا هو الرجل الجدير بأن يرثى ويؤبن ، هذا هو الرجل الحقيق بأن يؤرخ ، هذا هو الرجل الذي ينبغي أن تجعل سيرته في موضع الاسوة ، وأخلاقه وأعماله في مكان العظة والعبرة ، فانه من فحول الرجال ، الذين تنتجهم الفطرة السليمة في بعض الاجيال، وهو حجة على أن أعظم مايتفاضل به الناس هو جوهر النفس وصفاتها وأخلاقها، لامايتلقى في المدارس من مصطلحات العلوم والفنون ، فان العلم بهذه الاصطلاحات ، وان كان لابد منه كالحرف والصناعات، ليس هو الذي يجعل الرجل عظيما زعيما باصلاح حكومته، أو ترقية أمته، وانما هو من الالات التي تعين العامل على عمله ان خيرا وإن شرا ، فكم من عالم حافظ لاحكام الشرع والقوانين لايقيمها بل يستعين بها على الفساد في الارض، وكم من عالم بالاقتصاد يقذفه إسرافه في هاوية الفقر، وانا نرى مصداق ذلك بأعيننا كل يوم

إنني أدع للخطباء والشعراء تأبين نابغة مصر ورجلها العظيم ، ورثاءه بما يمثل مقامه في نفوس أمته ، وعرفانها لقدره وقيمته ، وأذكر أحاسن أخلاقه ، وغرر صفاته ، التي امتاز بها في عصره ، وفضل بها جميع وزراء مصره ،

إنني أعد له صفات وأخلاقا يقل أن تجتمع في رجل واحد وقد اجتمعت فيه ، وهي: سلامة الفطرة وكرم الجوهر ، الاستقلال في الرأي والعمل، الابتكار والتصدي للاصلاح ، الاخلاص وحسن النية ، العدل ، حب الحق وكراهة الباطل ، الشجاعة وقوة الارادة ، العفة والنزاهة ، الثبات والاستقامة ، النجدة والمروءة، السخاء وعلو الهمة ، الاقتصاد والنظام ، إيثار المصلحة العامة على المنفعة الخاصة ، قوة الايمان ومراقبة الله عز وجل وهو روح الفضائل كلها

بهذه الاخلاق والصفات كان رياض باشا كالفلك تمر عليه الحوادث وتنتقل البلاد بحكومتها وشؤون الاجتماع والعمران فيها من طور الى طور ، وهو ثابت لاتتغير أخلاقه ، وقد خدم الحكومة المصرية من عهد عباس الاول الى عهد عباس الثاني وذلك نحو نصف قرن وكان خلقه مع كل واحد من هؤلاء الامراء واحدا على اختلافهم في الاخلاق والآراء والسلطة المطلقة من كل قيد وكل سيطرة والسلطة المقيدة بالقوانين ومراقبة الاجانب وسيطرتهم

سن اسماعيل باشا لرجال حكومته واغنياء رعيته سنة الاسراف في البذخ والانغماس في النعيم فامتلأت القصور بالحور والنساء الغربيات والشرقيات والشماليات والجنوبيات، حتى كان يكون في القصر الواحد منهن العشرات والمئات ، وكان يتبع ذلك مايتبعه من المعازف واللهو والطرب ، وبقيت دار رياض باشا ممتازة بين دور الوزراء والكبراء كامتياز نفسه بين نفوسهم لم يدنسها شيء من ذلك

ثم سنت لكبراء المصريين والواجدين منهم سنة الاصطياف في أوربة فكانت الملاهي والحانات والمواخير مكتظة بهم ، والدنانير تفيض فيها من أيديهم فيضان النيل في أرضهم، واما رياض باشا فكان يعيش في أوربة كما يعيش في مصر ، عيشة الاعتدال والشرف والعفة ، ومراعاة قوانين الصحة ،

أخبرني في سياق حديث معه أنه لم يدخل دارا من دور اللهو في أوربة ولا دار التمثيل (الاوبرة) في باريس الا قليلا مع اسماعيل باشا بصفة رسمية ، وانه لم يدخل المعازف وآلات الطرب داره الا مرتين إحداهما في زفاف ولده محمود باشا فانه جارى فيها رغبة أمه ، والثانية إجابة لولي العهد لاحدى الدول الكبرى (اظنه ولي عهد انكلترة) فانه زاره زيارة رسمية ، اذ كان رئيس الحكومة ، واقترح عليه أن يسمعه الموسيقى الوطنية فلم تسعه الا إجابته . ولا يحسبن القارئ ان هذا الوزير كان يعيش عيشة القشف والخشونة ، كلا انه كان متمتعاً بجميع الطيبات بالسعة مع الاعتدال وحسن النظام

والشرف كما يليق بمقامه العظيم ، ولهذا بلغ الثمانين وهو متمتع بصحة بدنه ، وسلامة حواسه وعقله ، يعرف ذلك من كان يلقاه مثلنا ، وظهر ذلك للجمهور في رياسته للمؤتمر التي كانت خاتمة أعماله الطيبة ، فقد كان يجلس عدة ساعات في اللجنة التحضيرية وفي المؤتمر العام لايحرك حركة غير عادية وذلك ماتقصر عنه عافية كثير من الشبان ،

وكان هو الضابط بعقله ونفوذه المعنوي لسير المؤتمر ومناقشات أعضائه ، ولولاه لخشي من تنازع الاحزاب فيه أن يجر الى الفشل ، فقد تحدث الواقفون على خفايا الامور ان بعض أصحاب الأثرة والانانية كانوا يبغون ذلك لانهم لم يكونوا هم الداعين الى المؤتمر والقائمين به ، وقد عرف من شنشنتهم مقاومة كل خير يقوم به غيرهم ويذمونه وينفرون منه كما نفروا الناس عن الجامعة المصرية وعن جماعة الدعوة والارشاد ، على أنه لولا قبوله لرياسة المؤتمر لكان محل الريبة عند الانكليز وسائر الاوربيين ولقاوموه خشية ان يجعله أصحاب الأثرة مظاهرة سياسية تخشى فتنتها ، ولاتؤمن مغبتها ، وقد صرحت الجرائد الاوربية بما يثبت هذا

قلنا إن رياض باشا كان مستقلا في رأيه وارادته وعمله لم يعبث باستقلاله نفوذ الخديويين ، ونقول أيضاً انه لم يعبث باستقلاله نفوذ الاحتلال الذي تصرف كما يشاء في تصريف من عداه من نظار مصر فمن دونهم من الرؤساء ولذلك لم يرض البقاء في الوزارة على عهدهم بل رأى تركها أشرف من ترك استقلاله الذاتي ، ولم يكن فيما عارضهم فيه من المداخلة في أعمال الحكومة الداخلية (دون الاحتلال نفسه) طالب شهرة ولا منفعة بل كان عاملا بما يعتقد أن مصلحة البلاد لاتقوم الا به ، مخلصا لها فيه ، ولهذا اثنى عليه لورد كرومر كغيره من رجال أوربة العارفين بالشؤون المصرية

أدركنا هذا الرجل وقد شبع من جاه الدنيا وروي فلم يكن كثير المبالاة بمدح ولاذم ، وهو الآن أغنى عن المدح والذم وأبعد عن الانتفاع به أو التأذي منه ، فغرضنا مما نكتب عنه العبرة ، والحث على التأسي والقدوة . لانفعه ولاسرد مسائل تاريخه ، عسى ان يستفيد منه من لهم بصيرة في تربية أنفسهم أو تربية أولادهم ان كان وقت تربية أنفسهم قد فات

يظن كثير من الناس أنهم يربون أولادهم ويعلمونهم ليكونون رجالا عظاما ، وانما كانوا ظانين واهمين لانهم لايعرفون ماهي العظمة الحقيقية وما هو الطريق الموصل اليها ، يظنون ان العظمة في المناصب الكبيرة ، ذوات الرواتب الكثيرة ، وألقاب العزة والسعادة ، أو العطوفة والدولة ، وان كان صاحبها عاطلا من الاستقلال عاريا من الفضيلة ، كلا علي أولي السلطان والقوة ، أينما يوجهوه لايأت بخير ، وان الطريق الادنى اليها هو أخذ ورقة الشهادة الدراسية من مدارس مصر ، والطريق الاعلي

أخذ ورقة مثلها من مدارس أوربة ، وقد أخطأوا في الامرين فليست العظمة الحقيقية في المناصب العليا وإن من الناس من يفضحه منصبه ويظهر فساده ومهانته ، وليس الطريق الى هذه المناصب هو الشهادة الدراسية وان كانت الشهادة شرطا للاستخدام في الحكومة ، وانما يكون الانسان عظيما بجوهر نفسه وعقله ، وعلو أخلاقه وآدابه ، فاذا نال العاقل الزكي النفس الكريم الاخلاق منصبا كان هو الذي يشرف المنصب بالاستعانة به على الاصلاح والنفع ، فان كان مع ذلك واسع العلم كان علمه أكبر عون له على أعماله النافعة ، وان كان لم يؤت من العلم الا قليلا هداه عقله وأخلاقه الى الاستعانة بأهل العلم ، فجعل علم غيره آلة له وعونا على الاصلاح الذي يريده ، على حين يبعد العالم الفاسد الاخلاق عنه أهل العلم ، ويصطنع أهل الجهل ، فيضر الناس ويمنع غيره ان ينفعهم ، فالعلم لفاسد الاخلاق كالسلاح في يد المجنون (للترجمة بقية)

﴿ سياحة السلطان والاستفادة من منصبه الديني ﴾

لما نجم قرن الفتنة في بلاد الارنؤط عام أول اقترح بعض المبعوثين منهم ومن غيرهم أن ترسل الحكومة اليهم جماعة من الناصحين ، وقالوا اننا نعتقد انه يمكن استمالة زعمائهم بالنصح والارشاد فاذا لم يصدق اعتقادنا فالحكومة قادرة على ان تخضعهم بالقوة القاهرة بعد ذلك كما هي قادرة الآن وانما الحكمة تقتضي ان يكون الكي بالنار آخر العلاج. فأبى زعماء الاتحاديين يومئذ قبول هذا الاقتراح وعدوه منافياً لكرامة الدولة وعظمتها كأن عظمتها عندهم لاتتحقق بالحكمة والرحمة وانما تتحقق بسفك دماء الامة بأيدي جندها الذي نظم لحمايتها ، وكانوا يقولون ان اخماد نار هذه الفتنة يتم في أيام معدودات ، ولكنه لم يتم في العام الماضي الا بخسارة كبيرة ، وسفك دماء غزيرة ، وذهاب محمود شوكت باشا نفسه الى ميدان القتال ، واستعانته بالخطابة والاشراف على القلوب من شرفة التأثير الديني ، ومع هذا كان سكون الفتنة على دخن فعادت في هذا العام اشد ما كانت وأوسع انتشارا ، فسيرت الحكومة اليهم كما سيرت الى اليمن جيشاً عرمرما ، وقال بعض المتشيعين لها ان نار الثورة ستنطفئ في أسبوع أو أسبوعين فكذبت الوقائع قولهم وقد مرت الشهور ولم تزدد الفتنة الا شدة

في أثناء هذه المدة زالت سيطرة أولئك الزعماء الاتحاديين عن الحكومة وضعفت في مجلس الامة ، فرأى من قاموا مقامهم أن فتنة الارنؤط قد عظمت وان الدول الاوربية أنشأت تخاطب الحكومة في شأنها وما يتعلق بها ، بدأت بذلك روسية وتلتها النمسة وايطالية ،

فعدنا الى ما كنا عليه زمن عبد الحميد من سيطرتهم علينا أو كدنا ، فترجح لهم ان يلجؤا الى النصح ويستعينوا بنفوذ السلطان الديني في إخماد تلك الثورة ، وكان سلفهم يرون وجوب اضعاف نفوذ الخلافة في الحكومة وداخلية البلاد وجعله سياسياً محضاً ، فقررت الحكومة ان يسافر مولانا السلطان الى بلاد الارنؤط بعد ان يزور سلانيك وان يصلي الجمعة اماما بالناس ، وان يدعى الثائرون بأمره الى الطاعة على أن يعفو عن المجرمين عفواً عاما ، ويدفع دية قتلاهم حتى لايتنازعوا فيها جرياً على عاداتهم وتقاليدهم ، وكذلك كان مولانا السلطان محمد رشاد طيب النفس طاهر القلب يؤثر الرحمة على الانتقام لهذا كان مسرورا مغتبطا بهذا الرأي ، وقد سافر الى سلانيك ثم سافر منها الى مناستر وقصوه ، وقد اجتمع للتشرف بالاحتفال به ألوف كثيرة ، وفاض معين احسانه على المدارس والملاجئ وجمعية الاتحاد ونقل البرق عن السائح عبد الرشيد افندي الروسي الى اشهر جرائد المسلمين هنا انه أمّ الناس في صلاة الجمعة وكانوا زهاء ثلاث مئة الف اي من الجند والاهالي والوفود. فكبرت الجرائد العربية بمصر وسورية لهذا الخبر ونوهت به وقالت ان خليفتنا أحيا سنة الراشدين وقام بوظيفته الدينية الكبرى ، ثم جاءت جريدة (صباح) من الاستانة وفيها ذكر الاحتفال وان السلطان صلى مأموما . وكان الامام صديقنا اسماعيل حقي افندي المناسترلي .

في فضاء قصوه قد انتصر السلطان مراد الاول على جيش الصرب وبوسنه وهرسك والارنؤد والافلاق والبغدان في ملحمة عظيمة قتل فيها ملك الصرب ودانت تلك البلاد كلها لآل عثمان ، ولكن السلطان قتل بعد الملحمة بيد جريح كان بين القتلى وله مشهد يزار وان كانت جثته نقلت الى بروسه ودفنت فيها ، فزيارة السلطان لمشهده فيه تذكار تاريخي لسلفه العظام الفاتحين الذين غلبوا تلك الشعوب على أمرها هنالك ، ولكننا صرنا الآن في عصر غير ذلك العصر الذي كنا نفتح فيه الممالك في عصر قد صارت الصرب فيه مملكة جديدة والجبل الاسود مملكة جديدة والبلغار مملكة جديدة ، واليونان مملكة جديدة ، وصارت هذه الممالك التي كانت تحت قهر سلطاننا تهددنا فيما بقي لنا ، وتغري جيرانها بالاستقلال مثلها ، فالفتح المبين ، الذي نرجوه من سليل أولئك الفاتحين ، هو ان يحفظ لنا البلاد الالبانية بنفوذه الديني المؤثر في نفوس مسلميها ، وبالمساواة بينهم وبين سائر أهل البلاد في العدل والرحمة ، وايثارهما على سياسة أولئك المغرورين بالشدة والقسوة ،

ثم اننا نرجو ان تشمل سياسة العدل والرحمة بلاد اليمن التي طال العهد ومرت القرون ولم تر من الدولة الا السيف والنار ، والظلم والعار ، واهلاك الحرث والنسل ،

كما صرح بذلك مكاتب جريدة (طنين) التي عطلت فظهرت باسم (سنين) ، وهي لسان أولئك الزعماء المعروفين من الاتحاديين ، الذين نقضوا ما أبرمه حسين حلمي باشا من الاتفاق مع إمام اليمن على ما فيه حفظ سيادة الدولة وحقوق الامام في قومه، وحقن الدماء وعمران البلاد ، وآثروا عليه اضعاف الدولة والامة بازهاق الارواح ، واضاعة الملايين من الاموال ، وزيادة البلاد خرابا على خراب

في هذه الفترة التي ضعف فيها نفوذ أولئك الزعماء ، وقوي فيها نفوذ الخلافة ، نرجو أن يصيب اليمن نفحة من الرحمة التي لها السلطان الاعلى في قلب مولانا محمد رشاد ، فأهل اليمن أحق بهذه الرحمة من أهل ألبانية ان لم يكونوا مثلهم سواء ، فاذا كان الشعبان سواء في العثمانية في نظر السلطان من حيث هو في القانون الاساسي سلطان جميع العثمانيين ، فينبغي أن يكون لاهل اليمن امتياز ما في نظره من حيث هو في ذلك القانون خليفة المسلمين ، فالحجة لم تعد الدستور فيما يطلب للفريقين ، اما هذا الامتياز فلمجاورتهم للحرمين الشريفين وكونهم سياجا لهما ، فان بلاد اليمن اذا وقعت في يد دولة اجنبية (لاسمح الله تعالى) يزول نفوذ الدولة من الحجاز وسلطتها عليه ، ولما ورد فيهم من الاحاديث الشريفة التي يحترمها الخليفة من حيث هو خليفة أشد من احترامه للقانون الاساسي

روى الشيخان وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا ، الايمان يمان والحكمة يمانية » وآخر الحديث في الايمان والحكمة رواه كثيرون وروى أحمد والطبراني وغيرهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي (ص) قال « أتاكم أهل اليمن مثل السحاب خيار من في الارض » ثم استثنى الانصار بالحاح واحد منهم . وروى الطبراني عن ابن عمرو عن النبي (ص) قال « أين أصحاب اليمن هم مني وأنا منهم وأدخل الجنة فيدخلونها معي . أهل اليمن المطروحون في أطراف الارض المدفوعون عن أبواب السلطان يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يقضها »

والاحاديث فيهم كثيرة ويدخلون فيما ورد في العرب عامة كحديث « أحبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » رواه الطبراني والحاكم وغيرهما بسند صحيح. وحديث « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » رواه أبو يعلى بسند صحيح

لا شك عندنا في حب مولانا محمد رشاد للعرب وحبه للرحمة فاذا لم ينل أهل اليمن حظ من عنايته فلا شك أن علة ذلك تكون من حكومته لامنه ويكون ذلك دليلا على ان عنايتها بمسألة الالبانيين هي من ضغط أوربة كما تدعي البرقيات والجرائد الاوربية لا من ايثار الرحمة على القسوة ، والله نسأل حسن العاقبة ، وما فيه الخير للملة والدولة،

جماعة الدعوة والارشاد

مكان ادارتها ومدرستها

استأجرت هذه الجماعة القصر الشرقي من قصري الروضة (بالمنيل) من وقف علي شريف باشا الذي هو عن يمين كبري الملك الصالح بالنسبة الى المتوجه الى الجيزة لتنشئ فيه مدرستها الكلية (دار الدعوة والارشاد) ويكون مركز ادارتها وسيجلب اليه في الشهر الآتي كل مايحتاج اليه من الفرش والمقاعد والماعون، ثم ينشر نظام المدرسة ويختار لها المعلمون والتلاميذ الداخليون والخارجيون وتفتح بعد رمضان الآتي ان شاء الله تعالى

الاعضاء المؤسسون

أرسل الي الشيخ قاسم آل ابراهيم عضو الشرف الاول والسابق بماله الى التأسيس حوالة من باريس علي أحد المصارف بمبلغ الف جنيه انكليزي وهو القسط الثاني من تبرعه فجزاه الله أفضل الجزاء ، وقد اثنت على هذا السخي الكريم أشهر الصحف الاسلامية في مصر وسورية والاستانة وروسية والهند وغيرها من الاقطار

وقد تبرع للجماعة فقيد القطر وزيره الاكبر المرحوم مصطفى رياض باشا بمئة جنيه مصري، وكان يرجي منه ان يوالي تبرعاته بمثل ذلك في كل عام، فرحمه الله تعالى واكرم مثواه

وتبرع لها عبد الستار افندي الباسل شيخ قبيلة الرماح بالفيوم بخمسة وعشرين جنيها مصريا ، وتبرع كل واحد من الفضلاء الذين نذكر اسماءهم هنا بعشرين جنيها مصريا قبل مضي شهرين من إعلان نظام الجماعة الاساسي ،فكانوا كلهم من الاعضاء المؤسسين وهم عبدالله بك فائق مأمور عمل كسوة الكعبة المشرفة والدكتور عبده أفندي ابراهيم مفتش الصحة في السنبلاوين ، ومحمد نجيب افندي المعاون الاول لمركز امبابه ، وابراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير بمصر، وحنفي بك ناجي، وابراهيم افندي داود ، كلاهما من وجهاء مصر، وابراهيم بك غزالي من أعيان ابنوب، وحسن بك عبد الرزاق المحامي الشهير بمصر ، وكذلك السيد محمد نصيف وكيل امارة مكة بجده تبرع بخمسة وعشرين جنيهاً انكليزية

وتبرع لها آخرون تبرعا لم يكونوا به من الاعضاء المؤسسين وقد نشرت اسماء بعضهم في الجرائد اليومية وستنشر أسماء الباقين ، واشترك فيها بعض أهل الغيرة اشتراكات سنوية وستنشر اسماءهم كلهم في الجرائد اليومية أيضا ، وتنشر اسماء الجميع في الكراسة التي تصدرها الجماعة في آخر سنتها وقد وعد كثيرون بالتبرع والاشتراك في الخريف الآتي وهو موعد موسم القطن جعله الله مباركاً

بشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

{ مصر — الاربعاء ٣٠ رجب ١٣٢٩ — ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٢٨٩ هـ ١٩١١ م }

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٨٢ : ٨٥) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً

قيل ان هذه الآية في المنافقين وهم الذين كانوا يذيعون بمسائل الأمن والخوف ونحوها مما ينبغي أن يترك لاهله ، وقيل هم ضعفاء المؤمنين ، وهما قولان فيمن سبق الحديث عنهم في الآيات التي قبلها ، وصرح ابن جرير بأنها في الطائفة التي

كانت تبيت غير مايقول لها الرسول أو تقول له . أقول ويجوز أن يكون الكلام في جمهور المسلمين من غير تعيين لعموم العبرة ، ومن خبر احوال الناس يعلم ان الاذاعة بمثل احوال الامن والخوف لاتكون من دأب المنافقين خاصة ، بل هي مما يلغط به أكثر الناس ، وانما تختلف النيات فالمنافق قد يذيع مايذيعه لاجل الضرر ، وضعيف الايمان قد يذيع مايرى فيه الشبهة ، استشفاء مما في صدره من الحكة ، واما غيرهما من عامة الناس فكثيرا مايولعون بهذه الامور لمحض الرغبة في ابتلاء أخبارها ، وكشف اسرارها ، أو لما عساه ينالهم منها

تخوض العامة في السياسة وأمور الحرب والسلم ، والامن والخوف ، أمر معتاد وهو ضار جدا اذا شغلوا به عن عملهم ، ويكون ضرره أشد اذا وقفوا على أسرار ذلك وأذاعوا به ، وهم لا يستطيعون كتمان ما يعلمون ، ولا يعرفون كنه ضرر مايقولون ، ومنه علم جواسيس العدو بأسرار أمتهم ، وما يكون وراء ذلك ، ومثل أمر الخوف والامن سائر الامور السياسية والشؤون العامة ، التي تختص بالخاصة دون العامة

قال تعالى ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن او الخوف اذاعوا به ﴾ اي اذا بلغهم خبر من أخبار سرية غازية أمنت من الاعداء بالظفر والغلبة أو خيف عليها منهم بظهورهم عليها بالفعل او بالقوة ، أواذا جاءهم أمر من أمور الأمن والخوف مطلقا سواء كان من ناحية السرايا التي تخرج الى الحرب او من ناحية المركز العام للسلطة ، أذاعوا به اي بثوه في الناس وأشاعوه بينهم . يقال اذاع الشيء وأذاع به ، قال أبو الاسود

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

اي حتى صار مشهورا يعرفه كل أحد كالنار في المكان العالي أو كأنه نار في رأس علم ، والثقوب والثقاب العيدان التي تورى بها النار . ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو أبلغ من اذاعوه كما قال الزمخشري ، وقال الاستاذ الامام أي انهم من الطيش والخفة بحيث يستفزهم كل خبر عن العدو يصل اليهم فيطلق ألسنتهم بالكلام فيه واذاعته بين الناس . وما كان ينبغي ان تشيع في العامة أخبار

الحرب واسرارها ولا أن تخوض العامة في السياسة فان ذلك يشغلها بما يضر ولا ينفع - يضرهم أنفسهم بما يشغلهم عن شؤونهم الخاصة ، و يضر الامة والدولة بما يفسد عليها من أمر المصلحة العامة ، اه وهو مبني على رأيه في كون هذه الآيات في ضعفاء المسلمين ،

﴿ ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم ﴾ رد الشيء صرفه وإرجاعه واعادته وفي الرد هنا وفي قوله السابق « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » معنى التفويض . اي ولو ارجعوا ذلك الامر العام الذي خاضوا فيه واذاعوا به وفوضوه الى الرسول والى أولي الامر منهم أي أهل الرأي والمعرفة بمثله من الامور العامة والقدرة على الفصل فيها وهم أهل الحل والعقد منهم الذين تثق بهم الامة في سياستها وادارة أمورها ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ أي لعلم ذلك الامر الذين يستخرجونه و يظهرون مخبأه منهم فالاستنباط استخراج ما كان مستترا عن ابصار العيون اوعن معارف القلوب (كما قال ابن جرير) وأصله استخراج النبط من البئر وهو الماء أول مايخرج . وفي المستنبطين وجهان أحدهما انهم الرسول و بعض أولي الامر فالمعنى لو ان أولئك المذيعين ردوا ذلك الامر الى الرسول والى أولي الامر لكان علمه حاصلا عنده وعند بعض أولي الامر وهم الذين يستنبطون مثله و يستخرجون خفاياه بدقة نظرهم ، فهو اذاً من الامور التي لايكتنه سرها كل فرد من أفراد أولي الامر ، وانما يدرك غوره بعضهم لان لكل طائفة منهم استعداداً للاحاطة ببعض المسائل المتعلقة بسياسة الامة وادارتها دون بعض ، فهذا يرجح رأيه في المسائل الحربية ، وهذا يرجح رأيه في المسائل المالية ، وهذا يرجح رأيه في المسائل القضائية ، وكل المسائل تكون شورى بينهم . فاذا كان مثل هذا لا يستنبطه الا بعض أولي الامر دون بعض فكيف يصح ان يجعل شرعا بين العامة يذيعون به ؟

والوجه الثاني ان المستنبطين هم بعض الذين يردون الامر الى الرسول والى أولي الامر منهم أي لو ردوا ذلك الامر اليهم وطلبوا العلم به من ناحيتهم لعلمه من يقدران يستفيد العلم به من الرسول ومن أولي الامر منهم ، فان الرسول وأولي الامر هم

العارفون به ، وما كل من يرجع اليهم فيه يقدر ان يستنبط من معرفتهم ما يجب ان يعرف ، بل ذلك مما يقدر عليه بعض الناس دون بعض

والمختار الوجه الأول فالواجب على الجميع تفويض ذلك الى الرسول والى أولي الامر في زمنه (ص) واليهم دون غيرهم من بعده لان جميع المصالح العامة توكل اليهم ومن أمكنه ان يعلم بهذا التفويض شيئا يستنبطه منهم فليقف عنده ، ولا يتعده ، فان مثل هذا من حقهم ، والناس فيه تبع لهم ، ولذلك وجبت فيه طاعتهم ،

لا غضاضة في هذا على فرد من أفراد المسلمين ، ولا خدشا لحريته واستقلاله ، ولا نيلا من عزة نفسه ، فحسبه انه حر مستقل في خويصة نفسه ، لم يكلف ان يقلد أحدا في عقيدته ولا في عبادته ، ولا غير ذلك من شؤونه الخاصة به ، وليس من الحكمة ولا من العدل ولا المصلحة أن يسمح له بالتصرف في شؤون الامة ومصالحها ، وان يفتات عليها في أمورها العامة ، وانما الحكمة والعدل في ان تكون الامة في مجموعها حرة مستقلة في شؤونها كالافراد في خاصة أنفسهم ، فلا يتصرف في هذه الشؤون العامة الا من تثق بهم من أهل الحل والعقد ، المعبر عنهم في كتاب الله بأولي الامر ، لان تصرفهم وقد وثقت بهم الامة هو عين تصرفها ، وذلك منتهى ما يمكن ان تكون به سلطتها من نفسها ،

زعم الرازي وغيره ان في هذه الآية دليلا على حجية القياس الاصولي قال الاستاذ الامام : وانما تعلق الاصوليون في هذا بكلمة « يستنبطونه » وهي من مصطلحاتهم الفنية ولم تستعمل في القرآن بهذا المعنى فقولهم مردود . أقول وقد فرع الرازي على هذه المسألة اربعة فروع : (١) ان في احكام الحوادث ما لا يعرف بالنص (٢) ان الاستنباط حجة (٣) ان العامي يجب عليه تقليد العلماء في أحكام الحوادث (٤) ان النبي كان مكلفا باستنباط الاحكام كأولي الامر . وأورد على ما قاله بعض الاعتراضات وأجاب عنها كعادته . ولما كانت المسألة التي أخذ منها هذه الفروع وبنى عليها هذه المجادلة خارجة عن معنى الآية لا تدخل في معناها من باب الحقيقة ولا من باب المجاز ولا من باب الكناية كان جميع ما أورده لغوا أو عبثا

هذا شاهد من أفصح الشواهد على ما بيناه قبل من سبب غلط المفسرين ، و بعدهم عن فهم الكثير من آيات الكتاب المبين ، بتفسيره بالاصطلاحات المستحدثه ، فأهل الاصول والفقه اصطلحوا على معنى خاص لكلمة الاستنباط فلما ورد هذا اللفظ في هذه الاية حمل مثل الرازي على فطنته ان يخرج بها عن طريقها و يسير بها في طريق آخر ذي شعاب كثيرة يضل فيها السائر حتى لا مطمع في رجوعه الى الطريق السوي

معنى الآية واضح جلي وهو ان بعض المسلمين من الضعفاء أو المنافقين أو العامة مطلقا يخوضون في أمر الامن والخوف ويذيعون ما يصل اليهم منه على ما في الاذاعة به من الضرر والواجب تفويض مثل هذه الامور العامة الى الرسول وهو الامام الاعظم والقائد العام في الحرب والى أولي الامر من أهل الحل والعقد و رجال الشورى لانهم هم الذين يستخرجون خفايا هذه الامور ويعرفون مصلحة الامة فيها وما ينبغي اذاعته وما لا ينبغي ، فاين هذا من مسائل النص في الكتاب على بعض الاحكام والسكوت عن بعض ووجوب استنباط ما سكت عنه مما نص عليه على الرسول وعلى أولي الامر ، ووجوب اتباع العامة للعلماء فيما يستنبطونه مطلقا ؟ ليس هذا من ذاك في شيء

على ان الرازي كان ابطل قول من قال ان أولي الامر هم العلماء وقول من قال انهم الامراء ، وأثبت انهم أهل الحل والعقد أي جماعتهم . فكيف يبطل هنا ما حققه في آية (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) بقوله بوجوب تقليد العلماء كما أبطل به ما حققه في تفسير آيات كثيرة من بطلان التقليد ؟؟

قد علمت أيها القارىء الذي أنعم الله عليه بنعمة الاستقلال في الفهم أن الآية التي قبل هذه الآية قد أوجبت تدبر القرآن والاهتداء به على كل مسلم فكانت من الآيات الكثيرة الدالة على منع التقليد في أصول الدين وفاقا للرازي الذي صرح بذلك في تفسير الآية نفسها وكذا في الفروع العملية الشخصية كالعبادات والحلال والحرام لان أكثرها معلوم من الدين بالضرورة والنصوص فيها أوضح وأقرب الى الفهم من مسائل أصول الدين ، وفي حديث الصحيحين « الحلال بين والحرام بين و بينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه

وعرضه » الحديث وهو قد أوجب في الامور المشتبه فيها أن تترك لئلا تجر الى الحرام ، ولم يوجب على المشتبه في شيء أن يرجع الى مايعتقده غيره ويقلده فيه . واما المسائل العامة كالحرب والسياسة والادارة فهي التي نفوضها العامة الى أولي الامر منهم ونتبعهم فيها ، هذا ما تهدي اليه الآية وفاقا لغيرها من الآيات ، ولا اختلاف في القرآن ،

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ﴾ أي لولا فضل الله عليكم ورحمته بكم أيها المسلمون بما هداكم اليه من طاعة الله والرسول ظاهرا وباطنا وتدبر القرآن ورد الامور العامة الى الرسول والى اولي الامر منكم لاتبعتم الشيطان كما اتبعته تلك الطائفة التي تقول للرسول طاعة وتبيت غير ذلك ، والتي تذيع بأمر الامن والخوف وتفسد على الامة سياستها به ، الا قليلا من الاتباع أي لاتبعتم الشيطان في اكثر أعمالكم بجعلها من الباطل والشر لا كلها ، أو الا قليلا منكم أوتوا من صفاء الفطرة وسلامتها ما يكفي لإيثارهم الحق والخير كأبي بكر وعلي ، فهي كقوله تعالى (ولو فضل عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد ابدا)

وفسر بعض المفسرين الفضل والرحمة بالقرآن و بعثة النبي (ص) (لا عناية الله بهدايتهم بهما كما قلنا) والقليل المستثنى بمثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل الذين كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة النبي (ص) . وقال نحوه الاستاذ الامام فهو اختيار منه له

وقال أبو مسلم الاصفهاني ان المراد بفضل الله ورحمته هنا النصر والظفر والمعونة التي اشار اليها في قوله في الآيات السابقة من هذا السياق « ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم و بينهم مودة ياليتني كنت معهم » أي لولا النصر والظفر المتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا القليل منكم وهم أصحاب البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم المتمكنة من أفاضل المؤمنين الذين يعلمون أنه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا ، فلاجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ، ولاجل تواتر الانهزام يدل على كونه باطلا ، بل الامر في كونه حقا و باطلا على الدليل . وهذا أصح الوجوه واقربها الى التحقيق . اه

من التفسير الكبير للرازي وهو الذي صحح قول ابي مسلم ورجحه . وقوله بعدم التلازم بين كونه حقا أو باطلا و بين الظفر وضده لا يسلم مطلقا وانما يسلم بالنسبة الى بعض الوقائع والعاقبة للمتقين ، وقد بينا ذلك مرارا

وقيل ان الاستثناء من قوله اذاعوا به وقيل من الذين يستنبطونه وكلاهما بعيد على أنه مروي عن بعض مفسري السلف . قال ابن جرير بعد رواية القولين وقال آخرون معنى ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان جميعا . قالوا وقوله الا قليلا خرج مخرج الاستثناء في اللفظ وهو دليل على الجمع والإحاطة . . . فالاستثناء دليل الإحاطة . اقول او كما يقول الاصوليون معيار العموم أي فهو تأكيد ما قبله كقوله تعالى « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله » وهذا الاستعمال وان كان صحيحا لا يظهر هنا وقد بينا من قبل ان من دقة القرآن وتحريه للحقائق عدم حكمه بالضلال العام المستغرق على جميع افراد الامة ، ومثل هذا الاحتراس متعدد فيه ولا يكاد يتحراه الناس

(٨٦:٨٣) فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا

قال الامام الرازي في وجه التناسب والاتصال : اعلم انه تعالى لما أمر بالجهاد ورغب فيه أشد الترغيب في الآيات المتقدمة ، وذكر في المنافقين قلة رغبتهم في الجهاد بل ذكر عنهم شدة سعيهم في تثبيط المسلمين عن الجهاد عاد في هذه الآية الى الامر بالجهاد

وقال الاستاذ الامام : تقدم ان الآيات في وصف اولئك الضعفاء ، ولما قال ان الرسول ليس حفيظا عليهم وانما هو مبلغ عن الله تعالى أيد هذا وأوضحه بقوله

﴿ فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك وحرض المؤمنين ﴾ أي انك أنت

المكلف أن تقاتل في سبيل الله (وتقدم تفسيرها) والرقيب على نفسك فقم بما يجب عليك بالعمل وحرض المؤمنين على القتال معك لان التحريض من التبليغ الذي منه الامر والنهي ﴿ عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ﴾ عسى هنا تدل على الإعداد والتهيئة لان الترجي الحقيقي محال على العالم بكل شيء القادر على كل شيء فهي بمعنى الخبر والوعد وخبره تعالى حق لانه لايخلف الميعاد. والبأس القوة، وكان بأس الكافرين ، موجها الى اذلال المؤمنين ، لاجل الايمان لا لذواتهم واشخاصهم، فتأييد الايمان متوقف على كف بأسهم ، وكفه متوقف على تصدي المؤمنين للجهاد

أقول سبق غير مرة تفسير الاستاذ الامام لكلمة عسى بمثل هذا وحاصل المعنى ان تحريض النبي للمؤمنين على القتال معه هو الذي يحملهم بباعث الايمان والاذعان النفسي – دون الالزام والسيطرة – على الاستعداد له وتوطين النفس عليه ،وذلك هو الذي يوطن نفوس الكافرين على كف بأسهم عن المؤمنين و يعدهم لترك الاعتداء عليهم ، لانه لاشيء ادعى الى ترك القتال من الاستعداد للقتال، وعلى هذه القاعدة جرى عمل دول أوربة في هذا العصر و به يصرحون . تبذل كل دولة منتهى مافي وسعها من اتخاذ آلات القتال في البر والبحر وتنظيم الجيوش لتكون القوى الحربية بينهن متوازنة فلا تطمع القوية في الضعيفة فيغريها ضعفها بالاقدام على محاربتها .

وجعل عسى للترجي لايقتضي أن يكون المترجي هو الله عز وجل وانما يكون المعنى أن مادخلت عليه يكون مرجوا في نفسه بحسب سنة الله في خلقه

﴿ والله اشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾ أي لايخيفنكم أيها المؤمنون بأس هؤلاء الكافرين وشدتهم ولا تصدنكم عن طاعة الرسول والعمل بتحريضه مذعنين مختارين فان الله تعالى الذي وعده بالنصر أشد بأسا منهم وأشد تنكيلا لهم مما يحاولون ان ينكلوا بكم ، ولكن سنته سبقت بأن تكون العاقبة لاهل الحق اذا اتقوا أسباب الخذلان ، واتخذوا أسباب الدفاع مع الصبر والثبات ، لا أنه ينصرهم وهم قاعدون أو مقصرون في الجري على سننه التي لاتبديل لها ولا تحويل، والتنكيل أن تعاقب المجرم بما يكون عبرة ونكالا لغيره يمنعه ان يجرم مثل إجرامه ،وهو من النكول بمعنى الامتناع

ويؤخذ من الآية ان الله تعالى كلف نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقاتل الكافرين الذين قاوموا دعوته بقوتهم وبأسهم وان كان وحده وهي تدل على انه أعطاه من الشجاعة مالم يعط أحدا من العالمين ، وسيرته (ص) تدل على ذلك فهو قد تصدى لمقاومة الناس كلهم بدعوتهم الى ترك ماهم عليه من الضلال ، واتباع النور الذي انزل معه ، ولما قاتلوه قاتلهم وقد انهزم أصحابه عنه مرة فبقي ثابتا كالجبل لايتزلزل، وقد علم مما تقدم ان الفاء في قوله « فقاتل » للتفريع بترتيب ما بعدها على ماقبلها ، وقيل انها جواب لشرط مقدر وهو ان أردت الفوز فقاتل. وكان الاقرب أن يقال ان التقدير : واذ كنت مبلغا عن الله عز وجل لا وكيلا ولا جبارا على الناس فقاتل انت امتثالا لامر الله لك ، وحرض غيرك من المؤمنين على طاعة الله تعالى بذلك تحريضا ، لا إلزام سلطة ولا إجبار قوة ، والتحريض الحث على الشيء بتزيينه وتسهيل الخطب فيه كما قال الراغب

ومعنى لاتكلف الا نفسك لاتكلف انت إلا أفعال نفسك دون افعال الناس فلا يضرك اعراض الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال والذين يقولون لك طاعة ويبيتون غير ذلك ، فان طاعتهم لك إنما تجب لانك مبلغ عن الله فهي طاعة لله ومن أطاع الله لا يضره عصيان من عصاه

(٨٤ : ٨٧) مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (٨٥ : ٨٨) وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦ : ٨٩) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا

الشفاعة من الشفع وهو مقابل الوتر أي الفرد . قال الراغب الشفع ضم الشيء الى مثله ، والشفاعة الانضمام الى آخر ناصرا له وسائلا عنه . والذي يناسب السياق واتصال الآية بما قبلها من الآيات ان معنى قوله تعالى ﴿ من يشفع شفاعة حسنة ﴾ من يجعل نفسه شفعا لك وقد أمرت بالقتال وترا ، وأن تحرض المؤمنين تحريضا ، وهي الشفاعة الحسنة لانها نصر للحق وتأييد له ﴿ يكن له نصيب منها ﴾ أي من شفاعته هذه بما يناله من الفوز والشرف والغنيمة في الدنيا عند ما ينتصر الحق على الباطل ، وبما يكون له من الثواب في الآخرة سواء ادرك النصر في الدنيا ام لم يدركه . والنصيب الحظ المنصوب أي المعين كما قال الراغب ﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة ﴾ أن ينضم الى عدوك فيقاتل معه ، أو يخذل المؤمنين عن قتاله وهذه هي الشفاعة السيئة ﴿ يكن له كفل منها ﴾ أي نصيب من سوء عاقبتها وهو ما يناله من الخذلان في الدنيا والعقاب في الآخرة ، فالكفل بمعنى النصيب المكفول لانه أثر عمله أو المحدود لأنه على قدره ، أو الذي يجيء من الوراء . وهو مشتق من كفل البعير وهو عجزه ، أو مستعار من المركب الذي يسمى كفلا (بالكسر) قال في لسان العرب . والكفل من مراكب الرجال وهو كساء يؤخذ فيعقد طرفاه . ثم يلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره مما يلي العجز (أي الكفل بفتح الكاف والفاء) وقيل هو شيء مستدير يتخذ من خرق أو غير ذلك ويوضع على سنام البعير . وفي حديث ابي رافع قال « ذلك كفل الشيطان » يعني معقده . واكتفل البعير جعل عليه كفلا . ثم قال والكفل ما يحفظ الراكب من خلفه (أي من جهة الكفل) والكفل النصيب مأخوذ من هذا اه كأنه أراد الانتفاع من ناحية الكفل والمؤخر

والراغب ذهب الى القول الاول وفاقا لابن جرير . قال انه مستعار من الكفل (بالكسر) وهو الشيء الردي ، واشتقاقه من الكفل ، وهو أن الكفل لما كان مركبا ينبو براكبه صار متعارفا في كل شدة كالسيساء وهو العظم الناتئ من ظهر الحمار فيقال لاحملنك على الكفل وعلى السيساء . ثم قال ومعنى الآية من ينضم الى غيره معينا له في فعلة حسنة يكون له منها نصيب ، ومن ينضم الى غيره معينا له

في فعلة سيئة يناله منها شدة . وقيل الكفل الكفيل ونبه على ان من تحرى شرا فله من فعله كفيل يسأله ، كما قيل من ظلم فقد اقام كفيلا بظلمه ، تنبيها الى أنه لا يمكنه التخلص من عقوبته اه

وفسر الآية بنحو ما ذكرنا شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ولكنه جعل الشفاعة لاصحاب النبي (ص) ونحن جعلناها له (ص) لانه أمر أولا بالقتال وحده فكأن كل من يتصدى للقتال معه قد تصدى لأن يجعل نفسه معه شفعا . وحذف مفعول يشفع يؤذن بالعموم ولكن يدخل فيه ما ذكرنا دخولا أوليا بقرينة السياق

قال ابن جرير وقد قيل انه عنى بقوله « من يشفع شفاعة حسنة » الآية شفاعة الناس بعضهم لبعض ، وغير مستنكر ان تكون الآية نزلت فيما ذكرنا ثم عم بذلك كل شافع بخير أو شر . وإنما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك لانه في سياق الآية التي أمر الله نبيه (ص) فيما يحض المؤمنين على القتال ، فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسول الله (ص) والوعيد لمن أبى اجابته اشبه منه بالحث على شفاعة الناس بعضهم لبعض اه ثم ذكر أقوال من ذكروا أنها في شفاعة الناس بعضهم لبعض

وقد ذكر الرازي لاتصال الآية بما قبلها وجوها أولها وثانيها انه جعل تحريض النبي (ص) على القتال بمعنى الشفاعة الحسنة له أجره وانه ليس عليه ممن تمرد وعصى وزر ولا عيب ، والثالث جواز ان بعض المنافقين كان يشفع الى النبي (ص) في أن يأذن لبعضهم في التخلف عن القتال فنهى الله تعالى عن هذه الشفاعة وبين ان الشفاعة إنما تحسن اذا كانت وسيلة الى إقامة طاعة الله تعالى دون العكس . وهذا الوجه صحيح وكان واقعا وقد ذكر في سورة التوبة استئذانهم في التخلف ، وقد يستأذن بعضهم لغيره ويشفع له كما يستأذن لنفسه . والرابع مما ذكره الرازي جواز ان يشفع بعض المؤمنين لبعض في إعانة من لا يجد أهبة القتال ان يعان عليها . وحاصل الوجهين أن الشفاعة ذكرت في هذا السياق لان من شأنها أن تقع في الاعانة على القتال أو القعود عنه ، وإن كان اللفظ عاما على سنة القرآن في الاتيان بالقواعد الكلية والمسائل العامة في سياق بيان بعض ما يدخل في ذلك العموم

ثم ذكر الرازي في تفسير الشفاعة خمسة وجوه (أولها) أنها تحريض النبي (ص) إياهم على الجهاد لانه بذلك يجعل نفسه شفعا لهم ، وذكر علة ثانية لتسمية التحريض شفاعة وهي ان التحريض على الشيء عبارة عن الامر به لا على سبيل التهديد بل على الرفق والتلطف وذلك يجري مجرى الشفاعة . وهذا التعليل أو التوجيه يؤيد الوجه الاول بما ذكر من وجوه الاتصال والمناسبة ويقربه . (ثانيها) انها شفاعة المنافقين بعضهم لبعض في التخلف أو شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض في الاعانة . وفاقا لما ذكره في الوجهين الثالث والرابع من وجوه الاتصال (ثالثها) قوله نقل الواحدي عن ابن عباس (رض) ما معناه ان الشفاعة الحسنة ههنا هي ان يشفع إيمانه بالله بقتال الكفار (أي يضمه اليه) والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالمحبة للكفار وترك إيذائهم . أقول وكان ينبغي ان يقول باعانة الكفار على قتال أهل الحق وخذلانهم (رابعها) قول مقاتل ان الشفاعة الحسنة الدعاء وان نصيب الشافع منها يؤخذ من حديث « من دعا لاخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله » رواه مسلم وابو داود عن ابي الدرداء واورده الرازي بالمعنى وذكر ان الشفاعة السيئة ما كان من تحريف اليهود للسلام على النبي (ص) بقولهم « السام عليكم » أي الموت . اقول والحديث في هذا معروف ولا يظهر فيه معنى الشفاعة البتة . (خامسها) قول الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد انها شفاعة الناس بعضهم لبعض فما يجوز في الدين ان يشفع فيه فهو شفاعة حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة . ثم جزم الرازي بأن هذه الشفاعة لابد أن يكون لها تعلق بالجهاد فلا يجوز قصرها على الوجوه الثلاثة وانما يجوز ان تكون داخلة في معناها بطريق العموم ، الذي لا ينافيه خصوص السبب كما هو معلوم ،

وقد أنكر الاستاذ الامام على الجلال وغيره حمل الشفاعة على ما يكون بين الناس في شؤونهم الخاصة من المعايش وقال ان هذا التخصيص يذهب بما في الآية من القوة والحرارة ويخرجها من السياق ، والصواب انها أعم فالمقصود أولا و بالذات الشفاعة المتعلقة بالحرب وقد علمنا ان الآيات في المبطئين عن القتال والذين يبيتون ما لا يرضي الله تعالى من خلاف ما أمر به الرسول (ص) ومن ذلك ضروب

الاعتذار التي كانوا يعتذرون بها ، وقد يكون هذا الاعتذار بواسطة بعض الناس الذين يرجى السماع لهم والقبول منهم ، وهو عين الشفاعة اه

ثم أقول ان العلماء متفقون على ان شفاعة الناس بعضهم لبعض تدخل في عموم الآية وانها قسمان حسنة وسيئة فالحسنة أن يشفع الشافع لازالة ضرر ورفع مظلمة عن مظلوم ، أو جر منفعة الى مستحق ، ليس في جرها اليه ضرر ولا اضرار ، والسيئة ان يشفع في إسقاط حد ، أو هضم حق ، أو اعطائه لغير مستحق ، او محاباة في عمل ، بما يجر الى الخلل والزلل ، والضابط العام أن الشفاعة الحسنة هي ما كانت فيما استحسنه الشرع ، والسيئة فيما كرهه أو حرمه

ومن العبرة في الآية ان تذكر بها أن الحاكم العادل لا تنفع الشفاعة عنده الا باعلامه ما لم يكن يعلم من مظلمة المشفوع له أو استحقاقه لما يطلب له ، ولا يقبل الشفاعة لاجل إرضاء الشافع فيما يخالف الحق والعدل وينافي المصلحة العامة ، وأما الحاكم المستبد الظالم فهو الذي تروج عنده الشفاعات لانه يحابي اعوانه المقربين منه ليكونوا شركاء له في استبداده فيثق بثباتهم على خدمته ، وإخلاصهم له ، وما الذئاب الضارية بأفتك في الغنم ، من فتك الشفاعات في إفساد الحكومات والدول ، فان الحكومة التي تروج فيها الشفاعات يعتمد التابعون لها على الشفاعة في كل ما يطلبون منها لا على الحق والعدل ، فتضيع فيها الحقوق ، ويحل الظلم محل العدل ، ويسري ذلك من الدولة الى الامة فيكون الفساد عاما

وقد نشأنا في بلاد هذه حال أهلها وحال حكومتهم . يعتقد الجماهير انه لا سبيل الى قضاء مصلحة في الحكومة الا بالشفاعة أو الرشوة ، ولا يقوم عندنا دليل على صلاح حكومتنا الا اذا زال هذا الاعتقاد ، وصارت الشفاعة من الوسائل التي لا يلجأ اليها الا أصحاب الحق بعد طلبه من أسبابه ، والدخول عليه من بابه ، وظهور الحاجة الى شفيع يظهر للحاكم العادل مالم يكن يعلمه من استحقاق المشفوع له لكذا ، أو وقوع الظلم عليه في كذا ، وان يكون ماعدا هذا من النوادر التي لا تخلو حكومة منها ، مهما ارتقت وصلح حالها

﴿ وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾ أي مقتدرا أوحافظا أوشاهدا ، وعبر بعضهم

بالحفيظ والشهيد ، اقوال . قال الراغب وحقيقته قائما عليه يحفظه ويقيته ، يعني انه مشتق من القوت وهو ما يمسك الرمق من الرزق وتحفظ به الحياة، يقال قاته يقوته اذا اطعمه قوته ، وأقاته يقيته اذا جعل له ما يقوته ، ومن جعل لك ما يقوتك دائما كان قائما عليك بالحفظ وشهيدا عليك لا يفوته امرك ولا يغيب عنه ، ويتضمن ذلك معنى القدرة ايضا باللزوم . ولكنهم أوردوا من الشواهد على كون المقيت بمعنى المقتدر ما يدل على أنه غير مشتق من القوت كقول الزبير بن عبد المطلب (رض)

وذي ضغن كففت النفس عنه   وكنت على إساءته مقيتا

وقال النضر بن شميل

تجلد ولا تجزع وكن ذا حفيظة   فاني على ماساءهم لمقيت

ورجح ابن جرير هنا معنى المقتدر مستدلا ببيت الزبير لانه من قريش . وفي لسان العرب اقات على الشيء اقتدر عليه وانشد بيت الزبير وعزاه أولا الى ابي قيس بن رفاعة ثم قال وقد روي انه للزبير عم رسول الله (ص) وقال قبل ذلك في تفسير اللفظ في الآية : الفراء : المقيت المقتدر والمقدر كالذي يعطي كل شيء قوته . وقال الزجاج المقيت القدير وقيل الحفيظ قال وهو بالحفيظ اشبه لانه مشتق من القوت يقال قت الرجل أقوته اذا حفظت نفسه بما يقوته ، والقوت اسم الشيء الذي يحفظ نفسه ولا فضل فيه على قدر الحفظ ، فمعنى المقيت الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ ، وقال الفراء المقيت المقتدر كالذي يعطي كل رجل قوته ، ويقال المقيت الحافظ للشيء والشاهد له ، وأنشد ثعلب للسموأل بن عادياء

رب شتم سمعته وتصامم   ت وعيّ تركته فكفيت
ليت شعري وأشعرن اذا ما   قربوها منشورة ودعيت
أليَ الفضل أم عليّ اذا حو   سبت إني على الحساب مقيت

أي اعرف ما عملت من السوء لان الانسان على نفسه بصيرة. حكى ابن بري عن ابي سعيد السيرافي قال الصحيح رواية من روى « ربي على الحساب مقيت » الخ ما ذكره ومنه تفسير بعضهم للمقيت في بيت السموأل بالموقوف على الحساب

وحاصل معنى الجملة وكان الله وما زال على كل شيء مقيتا أي مقتدرا مقدّرا

فهو لا يعجزه ان يعطي الشافع نصيبا أو كفلا من شفاعته على قدرها في النفع والضر لان سنته الحكيمة مضت بأن يكون هذا الجزاء مرتبطا بالعمل ، اوشهيدا حفيظا على الشفعاء لا يخفى عليه أمر محسنهم ومسيئهم فهو يعطي الجزاء على قدر العمل

قال الاستاذ الامام بعد ان علم الله المؤمنين طريقة الشفاعة الحسنة والسيئة وهي من اسباب التواصل بين الناس علمهم سنة التحية بينهم وبين اخوانهم الضعفاء والاقوياء في الايمان وحسن الادب بينهم وبين من يلقونه في اسفارهم فقال ﴿ واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ وهذا ما يراه الاستاذ في وجه الاتصال والمناسبة بين الآية والتي قبلها . وذكر الرازي في النظم وجهان (الاول) انه لما أمر المؤمنين بالجهاد أمرهم ايضا بأن يرضوا بالمسالمة اذا رضي الاعداء بها فهذه الآية عنده كقوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (والثاني) أن الرجل كان يلقي الرجل في دار الحرب أو ما يقاربها فيسلم عليه فقد لا يلتفت الى سلامه ويقتله فمنع الله المؤمنين من ذلك وأمرهم بأن يقابلوا كل من يسلم عليهم أو يكرمهم بنوع من الاكرام بمثل ما قابلهم به او بأحسن منه . هذا ملخص قوله وفي الاول انه جعل التحية بمعنى السلام والسلم، وفي الثاني من التوسع في التحية ما فيه وسيأتي في هذه السورة (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا) وقد ذكرنا أدب التحية كما ذكرنا ما ينبغي وما لا ينبغي في الشفاعة لأن لكل من التحية والشفاعة شأنا عظيما في حال القتال ، يكون به نفعهما أو ضررهما أقوى منه في سائر الاحوال ، ويدل على ذلك في التحية اشتقاقها من الحياة

التحية مصدر حياه اذا قال له حياك الله . هذا هو الاصل ثم صارت التحية اسما لكل مايقوله المرء لمن يلاقيه أو يقبل هو عليه من نحو دعاء أو ثناء كقولهم انعم صباحا وأنعم مساء، وقالوا عم صباحا ومساء، وجعلت تحية المسلمين السلام للاشعار بأن دينهم دين السلام والامان وانهم أهل السلم ومحبو السلامة، ومن التحيات الشائعة في بلادنا الى هذا اليوم : اسعد الله صباحكم ، أسعد الله مساكم - وهذا بمعنى قول العرب القدماء أنعم صباحا ومساء - ونهارك سعيد ، وليلتك سعيدة ، وهذا مترجم عن الافرنجية ،

وقد أوجب الله تعالى علينا في هذه الآية ان نجيب من حيانا بأحسن من تحيته أو بمثلها أو عينها كأن نقول له الكلمة التي يقولها وهذا هو ردّها ، وفسروه بأن نقول لمن قال السلام عليكم، بقولك وعليكم السلام، والاحسن أي نقول وعليكم السلام ورحمة الله ، فاذا قال هذا في تحيته فالأحسن أن نقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . وهكذا يزيد المجيب على المبتدئ كلمة أو اكثر . وأقول قد يكون أحسن الجواب بمعناه أو كيفية أدائه وان كان بمثل لفظ المبتدئ بالتحية أومساويه في الالفاظ أو ماهو أخصر منه ، فمن قال لك اسعدالله صباحكم ومساءكم ، فقلت له اسعد الله جميع أوقاتكم كانت تحيتك أحسن من تحيته ، ومن قال لك السلام عليكم بصوت خافت يشعر بقلة العناية فقلت له وعليكم السلام بصوت أرفع واقبال يشعر بالعناية وزيادة الاقبال والتكريم كنت قد حييته بتحية احسن من تحيته في صفتها ، وان كانت مثلها في لفظها . والناس يفرقون في القيام للزائرين بين من يقوم بحركة خفيفة وهمة تشعر بزيادة العناية ومن يقوم متثاقلا ، ومن أهل دمشق من يشترطون في العناية بالقيام إظهار الاندهاش فيقولون قام له باندهاش أوقام بغير اندهاش

علم من الآية أن الجواب عن التحية له مرتبتان ادناهما ردها بعينها وأعلاهما الجواب عنها بأحسن منها . فالمجيب مخير وله ان يجعل الاحسن لكرام الناس كالعلماء والفضلاء ، ورد عين التحية لمن دونهم . وروي عن قتادة وابن زيد ان جواب التحية بأحسن منها للمسلمين وردها بعينها لاهل الكتاب ، وقيل للكفار عامة . ولا دليل على هذه التفرقة من لفظ الآية ولا من السنة . وقد روى ابن جرير عن ابن عباس (رض) انه قال من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا فان الله يقول « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » أقول وقد نزلت هذه الآية في سياق أحكام الحرب ومعاملة المحاربين والمنافقين ومن قال لخصمه « السلام عليكم » فقد أمنه على نفسه وكانت العرب تقصد هذا المعنى والوفاء من أخلاقهم الراسخة ولذلك عد الاستاذ الامام ذكر التحية مناسبا للسياق بكونها من وسائل السلام ، ولما صار لفظ السلام تحية المسلمين صارت التحية به عنوانا على الاسلام كما يأتي في قوله تعالى من هذه السورة « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا »

ومما ينبغي بيانه هنا ان بعض المسلمين يكرهون أن يحييهم غيرهم بلفظ السلام ويرون انه لا ينبغي رد السلام على غير المسلم ، اي يرون انه لا ينبغي لغير المسلم ان يتأدب بشيء من آداب الاسلام ، وفاتهم ان الآداب الاسلامية اذا سرت في قوم يألفون المسلمين ويعرفون فضل دينهم وربما كان ذلك أجذب لهم الى الاسلام ، ومن صفات المؤمن انه يألف ويؤلف، وقد سئلت عن هذه الآية وآية النور (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) هل السلام فيهما على اطلاقه وعمومه فيشمل المسلمين ام هو خاص بالمسلمين فأجبت في المجلد الخامس من المنار (ص٨٥٣-٥٨٥) بما نصه :

(ج) إن الاسلام دين عام ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو بالتدريج وجذب بعضهم الى بعض ليكون البشر كلهم أخوة . ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إفشاء السلام الا مع المحاربين لان من سلم على أحد فقد أمّنه فاذا فتك به بعد ذلك كان خائنا ناكثا للعهد . وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيردّ عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السام) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بقوله « وعليكم » وسمعت عائشة واحدا منهم يقول له : السام عليك . فقالت له: وعليك السام واللعنة. فانتهرها عليه الصلاة والسلام مبينا لها أن المسلم لا يكون فاحشا ولا سبابا وان الموت علينا وعليهم . وروي عن بعض الصحابة كابن عباس انهم كانوا يقولون للذمي : السلام عليك . وعن الشعبي من أئمة السلف انه قال لنصراني سلم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . فقيل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله يعيش » وفي حديث البخاري الامر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف . وروى ابن المنذر عن الحسن انه قال « تحيوا بأحسن منها » للمسلمين « أوردّوها » لاهل الكتاب وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وان كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمعة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلفوا في السلام على غير المسلم

فقال كثيرون انهم لا يبدءون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداء الا لحاجة. وأما الرد فقال بعض الفقهاء انه واجب كرد سلام المسلم وقال بعضهم انه سنة وفي الخانية من كتب الحنفية: ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالرد. وهذا يدل على انه مباح عند هذا القائل لا واجب ولا مسنون مع ان السنة وردت به في الصحيح

أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسيء. وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة: « ان الله تعالى جعل السلام تحية لامتنا وأمانا لاهل ذمتنا ». وأكثر الاحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها المسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفا

أما جعل تحية الاسلام عامة فعندي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الاحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سببا لامر النبي صلى الله تعالى عليه والسلم بأمر المسلمين أن يردوا عليهم بلفظ « وعليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين. ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه. ولم يرد أن أحدا من الصحابة نهى اليهود عن السلام. لانهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الاسلام، ولكن خلف من بعدهم خلف أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب المشتملة على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين، وصون له عن المخالفين، وكلما زادوا بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا إيغالا في هذا الضرب من التعظيم، وإنهم ليشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم ويوزعون كثيرا من كتبه على الناس مجانا ويعلمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم ويجتهدون في تحويل الناس الى عاداتهم وشعائرهم ليقربوا من دينهم حتى أن الاوربيين فرحوا فرحا شديدا عند ما وافقهم خديو مصر الأسبق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري وعدوا هذا من آيات الفتح. ونرى القوم الآن يسعون في جعل يوم الاحد عيدا اسبوعيا للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة.

ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الاخذ بآدابهم وعاداتهم ويزعمون أن هذا تعظيم للدين، وكأن هذا التعظيم لا نهاية له الا حجب هذا الدين عن العالمين، ان هذا لهو البلاء المبين، وسيرجعون عنه بعد حين » اهـ

هذا ما أفتينا به منذ بضع سنين وحديث عائشة المشار اليه في الفتوى رواه الشيخان في صحيحيهما. والرد على أهل الكتاب « بلفظ وعليكم » رواه الشيخان ايضا عن انس، ورويا عن ابي هريرة عدم ابتدائنا إياهم بالسلام ولعل ذلك كان لاسباب خاصة اقتضاها ما كان بينهم وبين المسلمين من الحروب وكانوا هم المعتدين فيها، روى احمد عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني راكب غدا الى يهود فلا تبدءوهم بالسلام واذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم » فيظهر هنا انه نهاهم ان يبدءوهم لان السلام تأمين وما كان يحب أن يؤمنهم وهو غير أمين منهم لما تكرر من غدرهم ونكثهم للعهد معه فكان ترك السلام عليهم تخويفا لهم ليكونوا أقرب الى المواتاة، وقد نقل النووي في شرح مسلم جواز ابتدائهم بالسلام عن ابن عباس وابي أمامة وابن محيريز (رض) قال وهو وجه لاصحابنا.

وعندي ان الحاجة الى معرفة سبب الاحاديث لاجل فهم المراد منها اشد من الحاجة الى معرفة سبب نزول القرآن، لان القرآن كله هداية عامة للناس يجب تبليغها، وفي الاحاديث ما ليس فيه من الامور الخاصة والرأي الذي لم يقصد به ان يكون دينا ولا هداية عامة ولا أن يبلغ للناس، فتوقف فهمها على معرفة اسبابها أظهر. والذي عليه جماهير المسلمين في البلاد التي نعرفها أنهم يبدؤن أهل الكتاب بغير السلام من انواع التحية المعروفة. بعد كتابة هذا راجعت (زاد المعاد) فاذا هو يقول في حديث النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام « قيل أن هذا كان في قضية خاصة لما ساروا الى بني قريظة » وتردد في كونه حكما عاما لاهل الذمة أو خاصا بمن كانت حاله مثل حالهم وذكر خلاف السلف في المسألة بعد حديث مسلم المطلق في النهي عن الابتداء

هذا وان ابتداء السلام سنة مؤكدة عند الجمهور وقيل واجب وأما رده فالجمهور على وجوبه وظاهر الآية أن رد كل تحية واجب وليس الوجوب خاصا بتحية

السلام . ويكفي ان يسلم بعض الجماعة وأن يرد بعض من يلقى عليهم السلام لان الجماعة لتضامنها واتحادها يقوم فيها الواحد مقام الجميع

والسنة أن يسلم القادم على من يقدم عليهم واذا تلاقى الرجلان فالسنة ان يبدأ الكبير في السن أو القدر بالسلام

ومن آداب السلام ماثبت في الصحيحين انه « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير » وروى البخاري سلام الصغير على الكبير . ومسلم انه صلى الله عليه وسلم مر بصبيان فسلم عليهم . والترمذي انه مر بنسوة فأومأ بيده بالتسليم، وقال بعض العلماء المستحب ان يسلم الرجال على النساء المحارم مطلقا والعجائز الاجنبيات دون غيرهن. وكان (ص) يسلم على القوم عند المجيء وعند الانصراف . ذكره ابن القيم في الهدي وقال وكان يسلم بنفسه على من يواجهه ويحمل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه ويتحمل السلام لمن يبلغه اليه ، واذا بلغه أحد السلام عن غيره يرد عليه وعلى المبلغ به وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، واذا سلم عليه أحد ردّ عليه مثل تحيته اوأفضل منها على الفور من غير تأخير الا لعذر مثل حالة الصلاة وحالة قضاء الحاجة، وكان يسمع المسلم عليه رده، ولم يكن يرد بيده ولا رأسه ولا إصبعه الا في الصلاة فانه كان يرد اشارة . ثبت عنه ذلك في عدة أحاديث ولم يجيء عنه مايعارضها الا بشيء باطل لا يصح عنه (وذكر الحديث الذي يرويه ابو عطفان عن أبي هريرة في اعادة صلاة من اشار اشارة تفهم وابو عطفان مجهول)

وورد في صفات المسلمين في حديث الصحيحين افشاء السلام وكونه سبب الحب بينهم ، ومنها حديث « ان افضل الاسلام وخيره إطعام الطعام وان تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وصح « افشوا السلام بينكم تحابوا » رواه الحاكم عن ابي موسى و « أفشو السلام تسلموا » رواه البخاري في الادب المفرد وابو يعلى وابن حبان عن البراء ، وفي صحيح البخاري قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان «الانصاف من نفسك و بذل السلام للعالم والانفاق من الاقتار » فهذا من أدب الاسلام العالي الذي لا يكاد يجمعه غيره

﴿ ان الله كان على كل شي حسيبا ﴾ الحسيب المحاسب على العمل كالجليس

بمعنى المجالس قال الراغب ويطلق على المكافئ وقال بعضهم معناه الكافي من حسبك كذا اذا كان يكفيك . قال الاستاذ الامام المعنى انه رقيب عليكم في مراعاة هذه الصلة بينكم بالتحية وفيه تأكيد لامر هذه الصلة بين الناس وأقول ان فيها أيضا إشعارا بحظر ترك اجابة من يسلم علينا ويحيينا وانه تعالى يحاسبنا على ذلك. ثم قال

﴿ الله لااله الا هو ليجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ﴾ التوحيد والايمان بالبعث والجزاء في الدار الآخرة هما الركنان الاولان للدين وانما الرسل يبلغون الناس مايجب من اقامتهما ودعمهما بالاعمال الصالحة فلا غرو ان يصرح القرآن بهما معا تارة و بالاول منهما تارة أخرى في اثناء سرد الاحكام فان ذكرهما هو العون الاكبر والباعث الاقوى على العمل بتلك الاحكام ، وناهيك باحكام القتال التي يبذل المؤمن فيها نفسه وماله للدفاع عن الحق والحقيقة وحرية الدين الالهي ونشر هدايته وتأمين دعاته وأهله ، وهل يبذل العاقل نفسه الا في مرضاة من يجزيه على ذلك ما هو أفضل من هذه الحياة الدنيا وكل ما فيها ،

فالمعنى الله لااله الا هو لايعبد غيره فلا تقصروا في طاعته والخضوع لامره فان في طاعته شرفكم وسعادتكم ، وارتقاء ارواحكم وعقولكم ، إذ حرركم بذلك من الرق والعبودية والخضوع لامثالكم من البشر، بَلْهَ الخضوع والذل لما دون البشر من المعبودات التي ذل لها المشركون، وسيجعل لكم بهذا الدين ملكا عظيما ويجعلكم الوارثين، وهل هذا كل ماعنده من الجزاء للمحسنين؟ كلا انه والله ليجمعنكم ويحشرنكم الى يوم القيامة ، لاريب في ذلك اليوم ولا فيما يكون فيه من الجزاء الاوفى على الاعمال،

فقد أكد الله تعالى خبره بالقسم وهو أقوى المؤكدات ﴿ ومن اصدق من الله حديثا ﴾ أي لا أحد اصدق منه عز وجل فيرجح خبره على خبره . فكلام غيره يحتمل الصدق والكذب عن عمد وعلم أو عن جهل أو سهو ، واما كلامه تعالى فهو عن العلم المحيط بكل شيء « لا يضل ربي ولا ينسى » فلا يحتمل أن يكون خبره غير صادق لنقص في العلم ، كما لا يجوز أن يكون ذلك لغرض أو حاجة لانه تعالى غني عن العالمين ، وقد دل إعجاز القرآن على كونه كلام الله تعالى فلم يبق عذر لمن قام عليه الدليل ، اذا آثر على قوله تعالى أقوال المخلوقين ، كما هو دأب المقلدين الضالين ،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اتخاذ بعض مسلمي جاوه الناقوس وفتاوى في ذلك ﴾

(س ٣٩) من صاحب الامضاء في مكة المكرمة

حضرة علامة الزمان ، ونور حدقة العرفان ، القائم باحياء شريعة سيد ولد عدنان ، العالم المحقق ، والفاضل الكامل المدقق ، الجامع بين المعقول والمنقول ، والمشيد اركان الفروع والاصول ، سيدي وعمدتي ، وامامي وقدوتي ، السيد محمد رشيد رضا ، ادام الله وجوده وانعامه وجوده آمين ،

« ماقولكم دام فضلكم ونفعنا الله بعلومكم »

في أهل بلد يضربون الناقوس للاعلام بأوقات الصلاة المكتوبة ونحوها ولا يكتفون به عن الاذان والاقامة ولم يقصدوا بذلك التشبه بالنصارى بل لانهاض المسلمين للصلوات بسماع صوته مع كونه صار معتاداً عندهم في بلادهم والنصارى قد تركوه بالكلية هل يجوز لهم فعل ذلك أولا وهل يكفر فاعله أولا بينوا لنا حكمه بالجواب الشافي ، فلكم الاجر من الملك الباري ، سيدي

« وقد رفعت هذه المسألة الى بعض العلماء فأجاب بما صورته »

الجواب (١) . ان ضرب الناقوس لا يجوز بحال للنهي عنه قال الشبراملسي نقلا عن ابن حجر مانصه في سيرة الشامي اهتم صلى الله عليه وسلم كيف يجمع الناس للصلاة فاستشار الناس فقيل انصب راية ولم يعجبه ذلك فذكر له القنع وهو البوق فقال هو من أمر اليهود فذكر له الناقوس فقال هو من امر النصارى فقالوا لو رفعنا نارا فقال للمجوس فقال عمر أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة فقال صلى الله عليه

وسلم « يا بلال قم انت فناد بالصلاة » قال النووي هذا النداء دعاء الى الصلاة غير الأذان اذ كان شرع قبل الاذان . قال الحافظ ابن حجر وكان الذي ينادي بلال الصلاة جامعة اه وهو كما ترى مشتمل على النهي من الناقوس والامر بالذكر اه ع ش وقد عد الفقهاء ضرب الناقوس من المنكرات التي يمنع الكفار من اظهارها في بلاد المسلمين قال في المنهج مع شرحه ولزمنا منعهم اظهار منكر بيننا كاسماعهم ايانا قولهم الله ثالث ثلاثة واعتقادهم في عزير والمسيح عليهما السلام والناقوس وعيد لما فيه من اظهار شعار الكفر اه وقال في النهاية ويتلف ناقوس اظهروه اه وحيث ورد النهي فيه بخصوصه وصرح بأنه من أمر الكفار أي شعارهم وعده الفقهاء من جملة المناكر التي يمنعون من اظهارها في بلادنا فكيف يجوز لنا فعله واظهاره ببلادنا وجعله من شعار ديننا فما هو الا مخالف للنهي وفعل للمنكر المنهي عنه وجعل شعار الكفار شعارا للمسلمين وما اقبحه من شعار نهى عنه صلى الله عليه وسلم وتركه الكفار وخلفهم فيه المسلمون لكن مع حرمته لايكفر فاعله لانا لا نكفر أهل القبلة بالوزر ولم أر أحداً من العلماء قال بجوازه فيما اعلمه من كتب المذهب والعلم امانة واما اعتياد الجاويين له مع عدم قصدهم التشبه بالكفار ومع ترك الكفار له فلا يصيره مباحا لان ماورد النهي عنه بخصوصه وصرح الفقهاء بحرمته لا ينقلب مباحا كما هو ظاهر والخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع واما مااعتاده المسلمون في بعض البلاد الجاوية من ضرب الطبل الكبير لجمع الناس للصلاة فلا بأس به لان كل طبل مباح الا طبل اللهو كالكوبة وهذا ليس منه فهو مباح كطبل الحجاج . قال الشرقاوي الناقوس قطعتان من خشب او نحاس او نحو ذلك تضرب احداهما في الاخرى للاعلام بأوقات الصلوات مثلا اه فيعلم منه ان ماتضربه النصارى من الصفر (أي النحاس) المجوف الكبير للاعلام بالساعات يكون من جملة الناقوس والله سبحانه وتعالى أعلم انتهى

« ٢ واجاب بعض آخر بما صورته »

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم هداية للصواب ، واليه المرجع والمآب ، اما ضرب الناقوس للاعلام بدخول وقت الصلاة فحرام وان كان لغرض جمع الناس للجماعة لان هذا الداعي لايقتضي تجويز ارتكاب الحرام بعد ان نهى الشارع عن الناقوس بخصوصه وعين للاعلام الاذان المخصوص وحينئذ يجب منع الناقوس لخصوصه الاعلام ويزاد في المؤذنين بقدر الحاجة والا كان في عدم المنع افتيات على

الشارع ويأثم الراضي به ان كان له قدرة على ازالته ولم يزله لكنه لا يكفر اذ كل حرام لايوجب الكفر كما هو مذهب أهل السنة خلافا لما زعمه البعض من التكفير فانه زلة فاحشة وغلطة فاشية لان باب التكفير خطر والاقدام على الحكم به على احد المسلمين اشد خطراً واعظم جرأة على ماحث عنه (؟) العلماء وطوق عنان ألسنتهم عن المجازفة فيه والتعرض له مالم يكن لفظ صريح او فعل كذلك يدل على التكفير، ثم ان المقتضي لتحريم الناقوس ليس هو التشبه بما هو من شعار الكفار كما زعمه البعض الاخر المجوز له بل المقتضي له النهي فيه بخصوصه فلعل المخلص من ارتكاب الحرام في الناقوس هو ان يقوم الاذان على الناقوس بحيث يصير القصد به الاعلام كما هو الغرض فاذا ضرب الناقوس بعد ذلك لقصد جمع الناس لا الاعلام بدخول الوقت فلا بأس به والحالة ماذكر والله اعلم

« ٣ واجاب بعض آخر بماصورته »

الحمد لله وحده، لضرب الناقوس نظائر كثيرة من البدع بعضها حرام وبعضها مكروه فالقياس ان ضرب الناقوس حرام لان فيه بدعة وشبها لدين الكفار وانه يجب على من له شوكة ومنزلة منع ذلك لان العوام قد يعتقدون انه مشروع مثل الاذان والاقامة فتأمل بانصاف، والله اعلم

وهذه الاجوبة التي نقلناها لكم بحروفها مما لا يشفي الغليل، وكيف لا والحديث الذي ساقه المجيب الاول لا تكون دلالته على المعنى قطعية لايحتمل لفظه غير هذا المعنى، والنهي انما يكون للتحريم اذا كانت دلالته على المعنى كذلك كما في الاصول، وقد قال ع ش وهو كما ترى مشتمل على النهي عن الناقوس والامر بالذكر اه وهو لم يصرح بأن النهي للتحريم، ولو حمل عليه فسياق آخر كلامه من قوله والامر بالذكر مانع عنه لان الامر ليس محمولا على الوجوب لانه انما يكون للوجوب اذا كانت دلالته قطعية كما في النهي، وان قول المجيب الثاني ثم ان المقتضى لتحريم الناقوس ليس هو التشبه الى ان قال بل المقتضي له النهي فيه بخصوصه صريح في ان ذات الناقوس حرام، وقوله: فلعل المخلص الى آخر جوابه صريح في انها ليست بحرام فتعارضا واذا تعارضا تساقطا فلم يكن في الجواب نتيجة، وان قول المجيب الثالث لضرب الناقوس نظائر كثيرة من البدع بعضها حرام وبعضها مكروه فالقياس ان ضرب الناقوس حرام فيه غموض يحتاج الى البيان وكيف لا وانه لم يصرح للقياس بأنه أعلى أو أدنى أو مساو وانه لم يذكر القيد حتى يعلم مما ذكر وان العلة التي ذكرها

صريح في أن علة التحريم هي المشابهة لدين الكفر وقد عارضه المجيب الثاني بقوله ثم ان المقتضي لتحريم الناقوس ليس هو التشبيه الى آخره على أن العلة التي ذكرها فيها تساهل لانه علل البدعة بكونها بدعة فهو من تعليل الشيء بنفسه فحكمه لا يخفى على من له ادنى مس في علم الاصول، فمن فيض مولانا ان تفتونا بالجواب، فلكم الاجر والثواب، من الملك الوهاب،

من الحقير الراجي القبول
عبد الحافظ الجاوي

(ج المنار) ما كان يخطر على بالي اننا وصلنا من الجهل بالمسائل العملية والشعائر المعلومة بالضرورة من ديننا الى حيث صرنا نعد ضرب الناقوس في مساجدنا مسألة نظرية يستفتى فيها المفتون فيجعلون عمدتهم كلام مثل الشبراملسي يستنبطون منه الحكم ثم تكون فتواهم موضع النظر ومحل النقد والبحث

ياربّاه! ما هذا التناقض في العقائد والعبادات والآداب الذي ابتلي به المسلمون منذ انحرفوا عن هداية كتابك العزيز وسنة نبيك الكريم، إنهم يتركون العلوم والفنون والصناعات الواجبة عليهم لحماية دينهم وملكهم لان غيرهم سبقهم في هذا العصر اليها ويزعمون انهم بتعلمها والانتفاع بها يكونون متشبهين بالكفار، ثم إنهم يتخذون نواقيس الكنائس في مساجدهم ويعدون ذلك من المسائل الاجتهادية التي تختلف فيها الانظار، فيترك بعضهم أخذ الحكمة التي هي ضالة المؤمن عن غير ابناء دينهم، ويأخذ بعض آخر منهم شعائر الدين نفسها عن أولئك الاغيار!!

ان الله تعالى أخبرنا بأنه أتم دينه وأكمله فلا يجوز اذا لأحد ان يزيد فيه ولا ان ينقص منه برأيه الذي يسميه قياسا أو غير ذلك من الاسماء، والزيادة والنقص أو التغيير في الشعائر اغلظ من مثله في أعمال الافراد في خاصة أنفسهم، وأغلظ ذلك ما كان موافقا لعبادة غير المسلمين كاتخاذ الناقوس للاعلام بالصلاة. ولا يجوز أيضاً ما ليس كذلك كاتخاذ الطبل للاعلام بها. كل ذلك بدعة في الدين وكل بدعة فيه ضلالة، وأما البدعة التي تعتريها الاحكام الخمسة فهي البدعة في الامور الدنيوية والاجتماعية وان كانت مفيدة في تأييد الدين كالفنون اللغوية والرياضية والطبيعية

الفتاوى التي أوردها السائل صواب في جملتها وحاصلها ولا أدخل معه في باب مناقشة أصحابها في عبارتهم فان أمثال هذه المناقشات والاستنباط من كلام المؤلفين

والمفتين وجعلها كنصوص الشارع هو الذي جعل اكثر كتب المتأخرين مملوءة باللغو مبعدة عن حقيقة الدين

لا موضع للمراء في كون ضرب الناقوس للاعلام بالصلاة بدعة في عبادة هي أظهر شعائر الاسلام فمثل هذا لايحتاج القول بتحريمه الى دليل لانه معلوم من الدين بالضرورة، والادلة العامة عليه كثيرة كقوله تعالى «ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله» وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث احمد ومسلم «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» وتقدم المراد بالبدعة آنفا، وقوله (ص) في حديث الصحيحين عن عائشة «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» والمراد بأمرنا أمر ديننا فلا يرد ماقاله بعضهم في سائر الاحداث انها تعتريها الاحكام الخمسة بل العموم في الحديث على ظاهره .

على أنه لايمكن لاحد ان يدعي ان جعل شعار ديني للنصارى شعارا دينيا للمسلمين من غير قسم الحرام . والا لجاز تغيير جميع شعائر الاسلام ، والجمع بين الكفر والايمان، هذا وان من أراد أن يأخذ من كلام الفقهاء مايستدل به على ردة من يضرب الناقوس مستحلا له في مثل واقعة السؤال فانه لا يعوزه ذلك من كلامهم وقد كفر بعضهم من عمل ماهو دون ذلك . وناهيك بابن حجر الهيتمي الذي هو عمدة أهل جاوه في دينهم فانه شدد في المكفرات تشديد الحنفية كما يعلم من كتابه (الاعلام في قواطع الاسلام) فانه ذكر كثيراً من المكفرات باللازم القريب بل البعيد جدا . وما لنا وللتكفير والمتوسعين فيه ، حسبنا ان ننكر هذه الضلالة أشد الانكار ونحث كل من يصل اليه صوتنا في تلك البلاد على ازالتها ما استطاع الى ذلك سبيلا

***

﴿ عبادة نهر في البحرين برؤيا امرأة ﴾

(س ٤٠) من صاحب الامضاء بجزيرة البحرين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سيدي الفاضل صاحب المنار المنير أدام الله وجوده

ثم سلام الله عليك ورضوانه وبعد فقد حدث في بلادنا تواً حادث يستحق الذكر وذلك ان امرأة من عامة المسلمين ادعت ان أحد المشايخ اوالأولياء على زعمها اتاها في المنام واخبرها أنه على مسافة نصف ميل من البلاد يوجد نهر جار (وهو كذلك اذ أن هذا النهر معروف من القدم) وعلى حافة النهر يوجد صخرة كبيرة (وهذه

ايضاً مشاهدة منذ حين) وانه ضرب بيده تلك الصخرة فتفجر منها الماء العذب وامرها ان تخبر أهل البلاد كي يأتوا ويغتسلوا ويشربوا من هذا الماء لان كل من شرب أو اغتسل منه برئ من جميع العلل والعاهات . وبالفعل ان هذه المرأة أخبرت أهل البلاد بذلك فصدقها كثير من الناس وذهبوا الى ذلك النهر واخذوا يغتسلون ويشربون منه وينقلون منه الى القرى المجاورة وبسرعة البرق انتشر هذا الخبر باطراف البلاد فتهافت الناس على هذا النهر كتهافت القطا وعكفوا عليه عكوفهم على الحجر الاسود معتقدين فيه كاعتقادهم بالله حتى كثر الضجيج والازدحام عليه بما يفوق حد التصور حتى اصبح هذا النهر الصغير في بلادنا شبيهاً بنهر الكنج بالهند . ولقد ذهبت بنفسي مع بعض الاصدقاء لمشاهدة ذلك ولكثرة الزحام لم اقدر ان اتصل بذلك النهر الا بعد شق النفس فرأيت ان النهر لم يتغير عما كان عليه سابقا ولقد رثيت لحالة بعض الاطفال الذين يكادون يموتون غرقاً لكثرة ما تغطسهم امهاتهم في الماء ابتغاء البركة والتقديس فما قول سيدي الاستاذ في ذلك وهل الشرع يبيح مثل هذا . وهل من العدل أن يترك هؤلاء العامة على ضلالهم . اجيبوا عن ذلك على صفحات مناركم الزاهر ادامكم الله نبراسا يهتدي به من ضل عن محجة الصواب . واقبلوا في الختام فائق احترام

الداعي المخلص

ناصر مبارك الخيري

(ج) حاش لله لا يبيح دين التوحيد هذه الضلالة بل الوثنية الظاهرة وماحيلتنا والمسلمون قد لبسوا دينهم مقلوبا فانكر كثيرون منهم النفع والضرر من طريق الاسباب زعما منهم ان ذلك ينافي التوحيد الذي يقصر النفع والضرر على الخالق عز وجل ولذلك قصروا كلهم في علوم هذه الاسباب التي قوي بها غيرهم حتى سلبهم ملكهم ، والاسباب لاتنافي التوحيد بل تؤيده لانها سنن الله تعالى ، ولكن الذي ينافيه هو التماس النفع ودرء الضر من المخلوقات التي جرت سنة الله بجعلها اسبابا عامة لذلك وهو ما فشا فيهم بتوسعهم بما اسموه الكرامات فقدسوا الانهار والاشجار والاحجار، وطلبوا منها جلب المنافع ودرء المضار ، وهذه هي الوثنية الجلية بعينها، فتقديس نهركم ليس بالامر الذي لا نظير له عندهم بل له نظائر في جميع الاقطار الاسلامية أو اكثرها

جعل الحجر الاسود في الكعبة مبدأ للمطاف لكيلا يختل النظام بطواف الناس من أماكن مختلفة فيختلط الحابل بالنابل فصار بذلك من شعائر الحج وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده «إني لأعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع» وكذا ابو بكر راوه ابن

ابي شيبة والدارقطني وقال مثل ذلك عمر جهراً (رواه الشيخان) ونحمد الله ان صان المسلمين من عبادته بطلب النفع منه او الاستشفاء به وصان بيته من الشرك أن يعود اليه . فاذا كان هذا الحجر الذي لمسه أفضل الانبياء والمرسلين من ابراهيم الى محمد عليهم الصلاة والسلام لا ينفع ولا يضر فكيف ينفع أو يضر مثلُ عمود الرخام المعروف في المسجد الحسيني بمصر وهو لا يمتاز عن غيره من الاعمدة التي هناك ولا عن غيرها ، أو ينفع ذلك الماء الذي صور الشيطان لتلك المرأة الخرقاء في نومها أنه جرى كرامة لولي من الاولياء

إن موسى كليم الله عليه السلام قد ضرب بعصاه الحجر فانفجر منه الماء فشرب منه بنو اسرائيل ولكن لم يعبدوه ولم يستشفوا به ولم يتبركوا به ولم يقدسوه لا بأمر موسى ولا باجتهاد منهم لان ذلك يهدم التوحيد الذي جاء به موسى ، فكيف يبيح دين التوحيد ان يقدس ماء ليس له مثل تلك المزية بل ليس له مزية ما على غيره بدعوى تلك الرؤيا الشيطانية

أما والله لو رأيت بعيني من أعتقد أنه من أولياء الله الصالحين ضرب صخراً فانفجر منه الماء لما قدست ذلك الماء ولا استشفيت به لاجله . واني لاعلم ان من الماء ما هو سبب لشفاء بعض الامراض لمعادن تخالطه ولكن لا يوجد في الدنيا شيء ينفع أو يضر كرامة منصوبة لاحد من الاولياء

لو كان في الدنيا شيء ينفع لاجل من اتصل به من الصالحين وكان طلب النفع منه مشروعا لكان أولى الاشياء بذلك الحجر الاسود وقد علمت ما ورد فيه ثم الشجرة التي بايع النبي (ص) تحتها أصحابه الكرام بيعة الرضوان وقد قطعها عمر (رض) واخفى أثرها باقرار الصحابة كلهم لما علم ان بعض من لم يفهم الاسلام بدأوا يتبركون بها . ومن المصائب انا صرنا محتاجين الى اقناع المسلمين بالتوحيد وان نرى من الصعب ان يقتنعوا به ، فهل يستغرب مع هذا أن يظهر فيهم الدجال ببعض هذه الغرائب التي يسمونها كرامات فيخضع له الاكثرون ؟

***

﴿ صعود السيد المسيح الى السماء ﴾

(س ٤١) من صاحب الامضاء بصيدا

حضرة العلامة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا حفظه الله

(١) هل صعد السيد المسيح الى السماء بجسمه أم بروحه .

(٢) هل نزوله في آخر الزمان الى الارض وحكمه بالشريعة المحمدية مأخوذ من القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة افيدونا نفعنا الله بعلمكم .

احد المشتركين

احمد اسماعيل القطب

أما الصعود فلم يذكر في القرآن وانما جاء فيه لفظ الرفع قال تعالى (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) كما قال في إدريس (ورفعناه مكانا عليا) وقد اسند الرفع الى الله تعالى للاشارة الى انه ليس للمرفوع فيه كسب ولا اختيار ، وهو يحتمل الرفع المعنوي كقوله تعالى في الذي آتاه آياته فانسلخ منها (ولو شئنا لرفعناه بها) ولم يقل أحد ان المراد لرفعناه بجسمه . والجمهور يقولون ان عيسى رفع بروحه وجسده قيل بعد وفاته وقيل قبلها والله أعلم

وأما نزوله في آخر الزمان وحكمه بالشريعة المحمدية وكسره للصليب وقتله للخنزير فليس لها نص في القرآن وانما وردت بذلك احاديث روى بعضها الشيخان والله اعلم

***

﴿ اتيان الزوج في غير المأتى ﴾

(س ٤٢) من أحد المشتركين في (جده)

ملخص السؤال أن احد مدرسي الشافعية في جده ذكر في درسه أن اتيان الرجل امرأته في غير موضع الحرث من الذنوب الصغائر . فأجابه أحد السامعين بكلام خلاصته انه لا يجوز افشاء هذا النص لئلا يجرأ به الجاهل على هذه المعصية التي وردت في النهي عنها الاحاديث الشريفة و نص عليها الشافعي نفسه في الام وماورد فيها يدل على أنها من الكبائر . فاستاء المدرس واستفتى في ذلك مفتي الشافعية بمكة المكرمة فأفتى باقراره على ماقرر وبزجر المعترض وتعزيره

قال سائلنا « وحيث وجد في الصحاح وفي الام للامام الشافعي مايخالف ماأورده المدرس المذكور حصل اشكال عند طلبة العلم ولهذا قدمنا الى فضيلتكم السؤال والجواب ونسترحم إمعان النظر فيهما وبيان الحقيقة بنشرها في مجلتكم الغراء لازالة الاشكال الواقع والرد على الضلال المبين المخالف لاحاديث سيد المرسلين » الخ

(ج) انا نعهد ان عمدة الشافعية من أهل الحجاز واليمن وحضرموت وجاوه في المذهب كلام ابن حجر المكي الهيتمي وهذا قد صرح في الزواجر بأن هذه

المعصية من الكبائر مستدلا بما ورد في الاحاديث من الوعيد والتشديد فيها ومنه تسميتها في الحديث كفرا ولعن فاعلها . وهذا بناء على مااعتمده في تعريف الكبيرة، فما بال ذلك المدرس ترك في هذه المسألة ماجزم به ابن حجر في الزواجر وهو خير كتبه ؟ وما بال مفتي مكة شايعة على ذلك ؟ لعل بعض الشافعية لايعتدون بما يحققه ابن حجر في الزواجر لانه يستدل عليه بالكتاب والسنة ، وما اظن أن مفتي مكة يعد افضل مزية لهذا الكتاب سببا لعدم الاعتماد عليه ، ولا ندري ماهي الحكمة له في نصر ذلك المدرس في هذه المسألة

هذا وانه ينبغي للمدرس وللمفتي أن يتحريا ماهو الاقرب الى هداية المتعلمين والسائلين بترك المنهيات وفعل المأمورات وعلى هذا كان ينبغي إما التصريح باشد ماقاله العلماء في هذه المعصية وإما السكوت عن تسميتها صغيرة او كبيرة فان هذا بحث علمي لاحاجة الى ذكره في دروس العوام . على ان كون المعصية تسمى صغيرة بالنسبة الى غيرها أو باعتبار آخر لايقتضي ان يستهان بها ويجترأ على ارتكابها ولكن العوام وأصحاب الاهواء يجرءون بمثل هذا على المعصية . وقد بينا في التفسير معنى الكبيرة والصغيرة بما يقطع عرق الغرور والجرأة على مايسمونه الصغائر . ولاأحب ان اخوض في أدلة واقعة السؤال في المنار

بحث الاجتهاد والتقليد

(فصول من مختصر كتاب « المؤمل للرد الى الامر الاول »)

« لابن ابي شامة الفقيه الشافعي »

(فصل) وصح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء فيقبض العلم حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وماأعظم حظ من بذل نفسه وجهدها في تحصيل العلم حفظا على الناس لما بقي في ايديهم منه فان هذه الازمنة قد غلب على أهلها الكسل والملل وحب الدنيا وقد قنع الحريص منهم من علوم القرآن بحفظ سوره ونقل بعض قراآته ، غفل عن علم تفسيره ومعانيه واستنباط احكامه الشريفة من مبانيه ، واقتصر من علم الحديث

على سماع بعض الكتب على شيوخ اكثرهم اجهل منه بعلم الرواية فضلا عن الدراية ، ومنهم من قنع بذبالة اذهان الرجال وكناسة افكارهم وبالنقل عن أهل مذهبه . وقد سئل بعض العارفين عن معنى المذهب فأجاب ان معناه « دين مبدل » قال تعالى (ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) ألاومع هذا يخيل اليه انه من رؤوس العلماء وهو عند الله وعند علماء الدين من أجهل الجهل بل بمنزلة قسيس النصارى أو حبر اليهود لان اليهود والنصارى ما كفروا الا بابتداعهم في الاصول والفروع ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم «لتركبن سنن من كان قبلكم » الحديث

(فصل) والعلم بالاحكام واستنباطها كان أولا حاصلا للصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم فكانوا اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتدافعون الفتوى ويود كل منهم لو كفاه اياها غيره ، وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها أكان ذلك فان قال لا قالوا دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه ، كل ذلك يفعلونه خوفا من الهجوم على مالا علم لهم به واشتغالا بما هو الاهم من العبادة والجهاد فاذا وقعت الواقعة لم يكن بد من النظر فيها

قال الحافظ البيهقي وقد كره بعض السلف للعوام المسئلة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسئول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما ابيح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة فلا يغنيهم مامضى من الاجتهاد واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه »وعن طاووس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر « احرج الله على كل امرئ مسلم سأل عن شيء لم يكن فانه قد بين ماهو كائن »وفي رواية لايحل لكم ان تسألوا عما لم يكن فانه قد قضى فيما هو كائن (قلت)وهذا معنى قوله تعالى(ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) الخ وعن عبد الرحمن ابن شريح ان عمر بن الخطاب كان يقول اياكم وهذه العضل فانها اذا نزلت بعث الله لها من يقيمها ويفسرها

(قلت) انما يضطر الى الاجتهاد في الاحكام الحكام ولم يأت الاجتهاد لغير الحكام لحديث معاذ : إن لم أجد في كتاب الله تعالى فبسنة رسول الله وان لم أجد في سنة رسول الله اجتهد برأيي . لانه كان حاكما وقوله عليه السلام «أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء »وهو حاكم وكذلك قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث)لانهما كانا حاكمين فالاجتهاد بمنزلة الميتة قال الثعلبي والشافعي ولايحل تناولها الا عند المخمصة . والذي ليس بحاكم ويجتهد برأيه فمثله كمثل رجل يقعد في بيته ويقول

جاز أكل الميتة لفلان ويجوز أكلها لي أيضا . فكذلك لايجوز لاحد ان يحتج بقول المجتهد لان المجتهد يخطيء ويصيب فاذا كان شيء يحتمل أن يكون صوابا وخطأ فتركه أولى مثل الشبهات من الطعام تركه أولى من تناوله

(وعن) الصلت بن وشد قال سألت طاووسا عن شيء فقال أكان هذا قلت نعم قال اللهِ الذي لااله الا هو ، قلت الله الذي لااله الا هو ، قال ان اصحابنا حدثونا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ياأيها الناس لاتعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم ههنا وههنا وان لم تعجلوا قبل نزوله لم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سئل سدد ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم « لاتستعجلوا بالبلية قبل نزولها فانكم اذا فعلتم ذلك لايزال منكم من يوفق ويسدد وانكم ان استعجلتم بها قبل نزولها تفرقتم » وكان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى يقول : اذهب الى هذا الامير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه ، اشارة الى أن الفتوى والقضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة

(قلت) بهذا السبب أخذوا سنن اليهود والنصارى وزادوا عليهم حتى صاروا ثلاثا وسبعين فرقة وحكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من اصحاب النار كما شهد للعشرة بانهم من أصحاب الجنة وقال مسروق سألت أُبيّ بن كعب عن شيء قال أكان بعد؟ قلت لاقال فاصبر حتى يكون فاذا كان اجتهدنا لك رأينا ، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى أدركت مائة وعشرين من الانصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مامنهم أحد يحدث بحديث الا ودّ أن أخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شيء الا ودّ أن أخاه كفاه اياه . وفي رواية يسئل أحدهم المسألة فيردها هذا الى هذا حتى ترجع الى الاول

ثم بعد الصحابة أراد الله ان يصدق نبيه في قوله (تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فرقة على أمتي قوم يقيسون الامور برأيهم فيحللون الحرام ويحرمون الحلال) رواه البزار في مسنده عن جبير بن نفير عن عوف بن مالك الاشجعي عنه صلى الله عليه وسلم ، فكثرت الوقائع والنوازل في التابعين ومن بعدهم واجتهدوا بآرائهم لمن اضطر ومن لم يضطر ، ووصلت الى من بعدهم من الفقهاء ففرعوا عليها وقاسوا واجتهدوا في إلحاق غيرها بها فتضاعفت مسائل الفقه ، وشككهم ابليس ووسوس في صدورهم ، واختلفوا كثيراً من غير تقليد ، فقد نهى إمامنا الشافعي عن تقليده وتقليد غيره كما سنذكره في فصل ، وكانت تلك الازمنة مملوءة بالمجتهدين فكل صنف على ما رأى ، وتعقب بعضهم بعضا مستمدين من الاصلين الكتاب والسنة وترجيح الراجح من أقوال السلف المختلفة بغير هوى

ولم يزل الامر على ما وصفت الى أن استقرت المذاهب المدونة ، ثم اشتهرت المذاهب الاربعة ، وهجر غيرها فقصرت هممم أتباعهم الا قليلا منهم فقلدوا بعدما كان التقليد لغير الرسل حراما ، بل صارت أقوال أئمتهم عندهم بمنزلة الاصلين وذلك معنى قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فعدم المجتهدون ، وغلب المقلدون ، وكثر التعصب وكفروا بالرسول (١) حيث قال «يبعث الله في كل مئة سنة... من ينفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين» وحجروا على رب العالمين مثل اليهود أن لا يبعث بعد أئمتهم ولياً مجتهداً حتى آل بهم التعصب الى ان أحدهم اذا أورد عليه شيء من الكتاب والسنة الثابتة على خلافه يجتهد في دفعه بكل سبيل من التأويل البعيدة نصرة لمذهبه ولقوله ، ولو وصل ذلك الى إمامه الذي يقلده لقابله ذلك الامام بالتعظيم ، وصار اليه وتبرأ من رأيه مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم ، وحمد الله على ذلك

ثم تفاقم الامر حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث ويرون ان ما هم عليه هو الذي ينبغي المواظبة عليه ، فبدلوا بالطيب خبيثاً ، وبالحق باطلا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، ثم نبغ قوم آخرون صارت عقيدتهم في الاشتغال بعلوم الاصلين يرون ان الاولى منه الاقتصار على نكت خلافية وضعوها . وأشكال منطقية الفوها ، وقال عمر بن الخطاب : اتهموا الرأي على الدين . وقال سهل بن حنيف اتقوا الرأي في دينكم . وقال عبدالله بن مسعود : يحدث قوم يقيسون الامور برأيهم فيهدم الاسلام

(قلت) ما عبدت الشمس والقمر الا بالرأي ، ولا قالت النصارى ثالث ثلاثة ولا إن الله هو المسيح بن مريم ولا اتخذوا لله ولداً الا بالرأي ، وكذلك كل من عبد شيئاً من دون الله إنما عبده برأيه ، فانظر الى قول السامري (وكذلك سوّلت لي نفسي) وقال عبدالله بن عمر : اياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعيتهم الاحاديث

(١) (المنار) قد يكون المراد كفر بعضهم وهم الذين تركوا الكتاب والسنة البتة وحصروا دينهم فيما ارتآه رؤساؤهم وقد يكون من باب كفر دون كفر الذي ترجم له البخاري في صحيحه ويظهر انه سقط شيء من الكلام وهو بيان مابه الكفر. والحديث الذي ذكره بعد هذه الجملة لايظهر اتصاله بها وهو ملفق من حديثين حديث التجديد وحديث « يحمل هذا العلم من خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » رواه البيهقي في المدخل مرسلا

ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا . وقال الاوزاعي عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس وإياك ورأي الرجال وان زخرفوه لك بالقول ، وقال أيضاً اذا بلغك عن رسول الله حديث فاياك أن تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغاً عن الله تبارك وتعالى ، وقال أيضاً العلم ما جاء عن أصحاب محمد وما لم يجيء عن أصحاب محمد فليس بعلم يعني مالم يجيء أصله منهم . وقال الشعبي اذا جاءك الخبر عن أصحاب محمد فضعه على رأسك ، واذا جاءك عن التابعين فاضرب به أقفيتهم ، وقال سفيان الثوري العلم كله بالآثار ، وقال ابن المبارك ليكن الذي تعتمد عليه الاثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث ، وقال أحمد بن حنبل سألت الشافعي عن القياس فقال : عند الضرورات . فكان أحسن أمر الشافعي عندي انه اذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله . وقال الشعبي القياس كالميتة اذا احتجت اليها فشأنك بها . قلت ما أحسن قول القائل ،

تجنب ركوب الرأي فالرأي ريبة ... عليك بآثار النبي محمد
فمن يركب الآراء يعم عن الهدى ... ومن يتبع الآثار يهد ويحمد

وقول بعض المغاربة

لا ترغبن عن الحديث واهله ... فالرأي ليل والحديث نهار

وقول القائل

انظر بعين الهدى ان كنت ذا نظر ... فانما العلم مبني على الاثر
لا ترض غير رسول الله متبعا ... ما دمت تقدر في حكم على خبر

ولم يختلف المفسرون فيما وقفت عليه من كتبهم في ان قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) تقديره الى قول الله وقول الرسول ، فيجب رد جميع ما اختلف فيه الى ذلك فما كان أقرب اليه اعتمد صحته وأخذ به ، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ردوا الجهالات الى السنة ، وفي رواية يرد الناس من الجهالات الى السنة ، وهذه كانت طريقة العلماء الاعلام أئمة الدين وهي طريقة امامنا ابي عبد الله الشافعي ، ولهذا قال ابن حنبل ما من احد وضع الكتب حتى ظهر خطأه (١) أتبع للسنة من الشافعي

ثم ان الشافعي رحمه الله احتاط لنفسه وعلم ان البشر لا يخلو من السهو والغفلة وعدم الاحاطة ، فصح عنه من غير وجه انه أمر اذا وجد قوله على مخالفة الحديث

(١) المنار : ههنا سقط ظاهر ولعله « الا الشافعي ، وما رأيت » الخ

الصحيح الذي يصح الاحتجاج به ان يترك قوله ويؤخذ بالحديث ؛ انبأنا الفاضل ابو القاسم عمن أخبره الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي انبأنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي يقول: اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنته ودعوا ما قلت وقال صاحب الشافعي المزني في اول مختصره : اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله لأقربه على من اراده مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه . أي مع اعلامي من اراد علم الشافعي نهي الشافعي عن تقليده وتقليد غيره ، قال الماوردي صاحب الحاوي قوله ويحتاط أي كطلب السلف الصالح يتبعون الصواب حيث كان ويجتهدون في طلبه وينهون عن التقليد . (للكلام بقية)

كلمة

في السياحة المفيدة

« وفي العلم وأهله »

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
اذ رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)
(قرآن مبين)

يا أيتها الشبيبة المصرية التي عيونها كلها نور، وقلوبها كلها نار، وأجسامها كلها قوة وصلابة ، لماذا تقصرين الهمة على قراءة الاوراق والصحف ولا توجهين عنايتك بقدر الاستطاعة الى السياحة للاطلاع على ماخلق الله من الغرائب والمدهشات وعلى ماعملته أيدي الناس من البدائع ؟

الرحلة في طلب العلم أكثر بركة من القراءة في الكتب ماعدا ذلك الكتاب

الحكيم . والاغتراب سنة واحدة بنية الاستفادة الحقيقية من المعارف أكثر فائدة من القعود عشر سنين على عمى بين المحابر والدفاتر

فرض الله الحج ورغب فيه كل من استطاع اليه سبيلا . ومن فوائده العظيمة التجول من بلد الى بلد ومن قبيلة الى قبيلة لتتسع الافكار وتستنير العقول . وهل يقال (عالم) لمن لم يتجول في أرض الله الواسعة ليعرف الحقائق ؟

ان السياحة المقرونة بالحكمة والتبصر تظهر عادات الامم وأخلاقها وفضائلها وعيوبها ومقاصدها من هذه الحياة وسياستها مع الاقوام، ورب أمور لاتتأتى معرفتها في سنين من مطالعة الكتب تعلم بالتحقيق من طريق الرحلة في أقل من لمح البصر . فسيروا في الارض واعلموا ان الشعوب كلها سبقتكم في طلب العلم خارج حدود بلادها حتى أهل الصين الذين كنا نظنهم أمواتا فها هم أولاء الآن خارجون من ديارهم لاقتباس النور حتى من أوطان أعدائهم لينذروا اخوانهم ويوقظوهم من سباتهم الطويل متى رجعوا اليهم .

يا أيتها الشبيبة المصرية تريدين ان تخرجي من الظلمات الى النور ، فعليك بالعلم ، والعلم كله في الكتاب العزيز، وهو مغلق على من لا يسرح نظره في عجائب المخلوقات . ان أقرب طريق لفهم كلام الله هو التأمل في صنع الله وما خلقه في السماء والارض . وهل يفسر كلام الله شيء كاعمال الله من الغرائب المؤثرة والفرائد العجيبة ؟ قال عز وجل ردا على من شك في ان الكتاب الحكيم من عند الله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

***

(قل هل يستوي الاعمى والبصير

أم هل تستوي الظلمات والنور)

(قرآن حكيم)

العلم آلة السيادة في كل زمان . بهسادت مصركم أم الدنيا على الامصار كلها وبه ساد الاسلام ويسود عن قريب ان شاء الله ، وبه تتسامى الامم اليوم أمام أعينكم

فقد كانت شعوب الالمان والطليان واليابان منحلة أكثر من انحلالكم، ومتفرقة أكثر من تفرقكم ، ولكنها أصبحت بفضل العلم تتباهى على اخواتها وتتحكم في القياصرة والجبابرة . و بالعلوم دخلت في جوف الارض وأخرجت الكنوز من المعادن وبها قطعت البحار ونشرت نفوذها على العالمين ، وبها طارت في السماء فسبقت النسور والعقبان

ان الله سبحانه عرفناه بالعقل فكذلك كتابه فهمناه بالعقل ولولا هبة العقل الربانية لما تمكنا من تفسير الكتاب العزيز . والعقل يزيد كل يوم في العلوم وينميها لان كل أمة تزيد في الكنوز التي أتت بها سابقاتها

مر على المسلمين زمن كانوا يستعينون فيه على تفسير القرآن بأفكار (ارسطو) و (افلاطون) و (بقراط) و (فيثاغورس) وجالينوس) و (بيدباي) من فحول اليونان والهنود وغيرهم . أما نحن الآن ففي وقت لايكفينا فيه رأي الاقدمين وحدهم فقد استدار الزمان وحدثت حوادث وظهرت أقضية وأمور جديدة تستوجب البحث فيما قاله أهل هذا الوقت مثل (لا ينيتس)و(أوجست كونت)و(سبنسر) من فطاحل الالمان والفرنسيس والانجليز وغيرهم

القرآن المجيد كثيرا ما يحتاج مفسره الى العلوم البشرية لان المعارف الدنيوية والتجارب المفيدة والمباحث الدقيقة توضح آياته كما توضحها الاجتهادات العقلية والفيوضات الروحية ، فكيف تترقى العلوم (العصرية) وتبقى التفاسير على طريقها القديم في الطب والفلك والكيمياء وباقي العلوم والفنون التي لا تحصى ولا تعد بعد ان أفنى ابن آدم حياته فيها

ترقي العلوم العصرية يضر بالاديان الباطلة ولكنه من أكبر الفوائد للمسلمين لان كثيرا من الآيات القرآنية المبهمة لا تلبث ان يظهر معناها عند ما تظهر حقائق علمية جديدة كانت خفية على بني الانسان

سمعت مرة انجليزيا من المهدبين الى الاسلام يقول :

هل يتأتى لجميع فلاسفة العالم ان يثبتوا غلطة واحدة في القرآن الكريم ولو ارتكنوا على كل ما في أيديهم من العلوم العصرية ؟ — لا يتأتى لهم ذلك . ولو وجدوا

فيه خطأً صغيرا ما كانوا الا مظهريه ولكن أنى لهم ذلك والعلوم كل يوم في تبديل وتغيير، وكل لحظة تظهر معان باهرة لآيات ما كنا لنفهم معناها الا بعد تقدم العلوم.

فلنضرب لكم مثلا: كان الفلكيون يدعون أولا ان الارض ثابتة والشمس متحركة ثم قالوا بل الارض متحركة والشمس ثابتة، ثم جاؤا اليوم يقولون علمنا الآن ان كلا في فلك يسبحون، وان الشمس حقيقة تجري لمستقر لها، فمن ذلك نتأكد ان العلوم تتغير وتترقى والقرآن ثابت لا يتأثر بالحوادث فان وجد في الكتاب الحكيم شيء لا نفهمه وجب علينا ان ننتظر رقيّ العلوم ولا نشك لحظة في صحة القرآن.

قصدت في سياحة من سياحاتي مدينة (بونتارليه) لمقابلة الدكتور (جرينيه) المسلم الفرنساوي الشهير الذي كان في السابق عضوا في مجلس النواب. قابلته لاجل سؤاله عن سبب اسلامه فقال لي

إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية وهي التي درستها من صغري وأعلمها جيدا فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فأسلمت لأني تيقنت أن محمدا عليه السلام أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة من غير أن يكون له معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلمه جيدا كما قارنت أنا لا سلم بلا شك ان كان عاقلا خاليا من الاغراض

هذا المثل أوردته لمن يريد أن يعتبر. فان الدكتور (جرينيه) لو اقتصر في فهم القرآن على ما جاء في أغلب التفاسير القديمة المحشوة بكثير من الخزعبلات بفضل النساخ الدساسين لما اعتنق الاسلام، ولكنه عوّل على معلوماته المستنبطة من آخر اكتشافات (باستور) و (كوخ) وأقرانهما الذين وصلوا بالميكروسكوب وباقي الآلات المعظمة الى نقط دقيقة ما كان الجنس البشري ليحلم بها في منامه قبل عشرات من السنين

وكذلك علماء الفلك مثلا من غير أهل الاسلام لو بحثوا بحثا دقيقا في الآيات الباهرات لظهرت لهم أنوار عظيمة ولعلموا أموراً كثيرة خفيت عليهم حتى الآن

واني أرى ان علماءنا الفلكيين لو فسروا الآيات الحكيمة بالمعارف التي

اكتسبوها من دروس الافرنج لازدادوا يقينا ولأدهشوا معلميهم واساتذتهم وأبعدوا عن أذهانهم شبهات كثيرة. ولا يبعد شيء من ذلك على أبناء وادي النيل النبهاء لانهم ورثوا مجد آبائهم الاولين من أقوام الفراعنة الذين أفاضوا علومهم على ناشري ألوية المعارف في المشارق والمغارب من كهنة الهند وحكماء الصين وفلاسفة اليونان. ولانهم ورثوا في آن واحد معارف المسلمين الثمينة وخزنوها في أزهرهم الانور ليردها الطلبة العطاش من انحاء المسكونة. فلتمكن أبناء العرب المصريين في أيامنا هذه من لغات الاجانب ومن لغتهم العربية المبينة يتأتى لهم ان يرتقوا مقاما عاليا بين الافرنج والمسلمين كانهم الترجمان بين الاضداد والرابطة بين الاقران الاصفياء

والعلوم العصرية التي يسهل الحصول عليها في أقرب من لمح البصر متى وجد التوفيق وقصد بها الاستعانة على فهم الكتاب المجيد لا يصعب بثها في أقطار المسلمين قاطبة بواسطة طلبة الازهر خصوصا لقربنا من الاقطار الحجازية المحبوبة ومن البقاع القدسية الطاهرة التي يؤمها المسلمون من كل فج عميق، ولارتباطنا بها باقوى الروابط بعد رابطة الدين وهي رابطة الجنسية ورابطة اللغة.

الشبيبة المصرية التي نراها الآن ضعيفة لا حول لها ولا قوة في أعمال القطر ستكون بعد عشر سنين أو خمس عشرة سنة متربعة في مراكز الحكومة وقابضة على زمامها من غير شريك ومعارض فيلزمها ان تستعد لوظيفتها هذه العالية من الان للاتفاق على نوع العمل وعلى طريق السير فيه. انما لا يمكن ذلك الا اذا قامت طائفة مباركة أعضاؤها على السواء من طلاب العلوم العصرية ومن طلاب علوم الدين الاسلامي الحنيف واستعدت تلك العصابة العصامية لتتولى السيادة العلمية في مستقبل الايام ولترأس كنقابة عامة أدبية جميع أجزاء الامة المحمدية المشتغلين بالعلوم والفنون والمعارف. فليتضافر لذلك من الآن طلبة الازهر وطلبة كل المدارس الاخرى ويمزجوا علومهم وأفكارهم العالية واحساساتهم الشريفة فان القوة تأتي من الاتحاد، ويجيء الضعف من الافتراق والانحلال، وعلى الاقل يجب فتح باب (الجامعة المصرية) بكل الوسائل لمن كان من فرسان العلوم الشرعية وباب (الجامعة الاسلامية الكبرى) لمن كان من فرسان العلوم (الافرنجية) فتترعرع من اليوم الطائفة القوية وبعد

قليل من السنين تخرج الشعب المصري ان شاء الله من الظلمات الى النور ومعه اخوانه من عرب وعجم، لان الاسلام جسم واحد متى صلح عضو منه صلحت باقي الاعضاء . فكذا تدرجت قبلكم الشبيبة الالمانية لخلاص شعوبهم من الجهل والضعف فسافرت واغتربت وتعبت ثم اتحدت على مبادئ متينة أساسها خدمة الاوطان وخدمة اللغة الالمانية . فباعمالها تكونت الوحدة الجرمانية الكبرى التي ترهب الآن كل متكبر عنيد، وقد تبعتها الشبيبة الايطالية ثم اليابانية فعملت عملها فكونوا مثلهم تصلوا الى ارقى مما وصل اليه الجميع . فان تحصلتم على العلوم لاجل تنوير معاني الكتاب الكريم وطهرتم نفوسكم بمحاسن الآداب المحمدية في آن واحد استفدتم وافدتم وسهل الله لكم الاعمال، وأعلى شأنكم بين العباد ، والا فان بقيتم على حالتكم منقسمين (كل حزب بما لديهم فرحون) هذا متمسك بالجمود على القديم العقيم وذاك بالتهافت على الجديد المبني على الفاسد فلا تلوموا الا انفسكم اذا ازمنتم فيما نحن فيه من الارتباك والفوضى

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)

القاهرة في ٢٢ رجب الحرام

محمود سالم

قانون

الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية

نحن خديو مصر

بناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس النظار وموافقة المجلس المشار اليه وبعد أخذ رأي مجلس شورى القوانين

أمرنا بما هو آت

(الباب الاول)

(في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى وفي الرياسة الدينية العامة وفي الادارة)

الفصل الاول

(في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى)

« المادة الاولى »

الجامع الازهر هو المعهد الديني العلمي الاسلامي الاكبر ، والمعاهد الاخرى هي : معهد مدينة الاسكندرية ، معهد مدينة طنطا ، معهد مدينة دسوق، معهد مدينة دمياط، وكل معهد يؤسس في القطر المصري بارادة سنية ،

وكذا كل معهد أهلي يتقرر الحاقه بالجامع الازهر أو بأحد المعاهد الاخرى بالشروط والاوضاع التي تبين في لائحة يضعها المجلس الاعلى ويصدق عليها بارادة سنية

« المادة الثانية »

الغرض من الجامع الازهر والمعاهد الاخرى هو القيام على حفظ الشريعة الغراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الامة وتخريج علماء يوكل اليهم أمر التعاليم الدينية ويلون الوظائف الشرعية في مصالح الامة ويرشدونها الى طرق السعادة

« المادة الثالثة »

تكون مدرسة القضاء الشرعي قسما ملحقا بالجامع الازهر وتبقى حافظة لنظامها المقرر لها في قانون ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٧

ويحل مجلس الازهر الاعلى محل ناظر المعارف العمومية في جميع الاختصاصات التي له الآن بمقتضى القانون المشار اليه

وتفصل ميزانية المدرسة عن نظارة المعارف ويخصص لها باب مستقل في ميزانية الحكومة العمومية وتجري عليها الاحكام المتعلقة بها

ويبقى موظفو المدرسة من مستخدمي الحكومة

(الفصل الثاني)

(في الرياسة الدينية العامة)

« المادة الرابعة »

شيخ الجامع الازهر هو الامام الاكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه وفي المعاهد الاخرى والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة الى من ينتمي لجميع المعاهد من أهل العلم وحملة القرآن الشريف وكذا من كان من أهل العلم وحملة القرآن الشريف من غير المصريين

« المادة الخامسة »

شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس المجلس الأعلى هو المنفذ الفعلي العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى

وأرباب الوظائف في جميع المعاهد تابعون له بهذه الصفة وخاضعون لاوامره طبقاً لما هو مقرر في هذا القانون

(الفصل الثالث)

(في الادارة العامة)

« المادة السادسة »

يكون لكل مذهب من المذاهب الاربعة بالجامع الازهر شيخ وكذا يكون لكل معهد من المعاهد الأخرى

ويجوز عند الاقتضاء تعيين وكلاء للجامع الازهر ولباقي المعاهد ويكون لهم جميع الاختصاصات التي للمشايخ في حال غيابهم الرسمي

« المادة السابعة »

يكون لكل قسم من أقسام التعليم بالجامع الازهر المنصوص عليها بالمادة السادسة والعشرين من هذا القانون شيخ ومراقبون وكتبة

ويجوز ايجاد هذه الوظائف في المعاهد الاخرى بقرار من مجلس الازهر الاعلى اذا اقتضت أحوال التعليم ذلك بعد أخذ رأي مجلس ادارة المعهد

« المادة الثامنة »

يكون بالجامع الازهر مجلس يسمى مجلس الازهر الاعلى

وتنشأ مجالس ادارة للازهر ولمعهدي الاسكندرية وطنطا

« المادة التاسعة »

يؤلف مجلس الازهر الاعلى من شيخ الجامع الازهر بصفة رئيس ومن ثمانية أعضاء وهم :

شيخ السادة الحنفية
« « المالكية
« « الشافعية
« « الحنابلة

مدير عموم الاوقاف المصرية

ثلاثة ممن يكون في وجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام ادارته بشرط أن يكونوا من الحائزين للصفات الملائمة لحالة الجامع الازهر والمعاهد الاخرى

ويكون تعيينهم بارادة سنية بناء على قرار من مجلس النظار

وفي غياب شيخ الجامع الازهر ينوب عنه في الرياسة شيخ السادة الحنفية

« المادة العاشرة »

يختص مجلس الازهر الاعلى بما يأتي :

أولا — وضع الميزانية العمومية للجامع الازهر والمعاهد الاخرى

ثانياً – النظر في انشاء المعاهد الدينية العلمية الاسلامية والحاق بعض المعاهد الصغرى بالتي هي أكبر منها أو تغيير تبعيتها

ثالثاً – النظر في فصل المعاهد من تبعية غيرها وجعلها تابعة للجامع الازهر مباشرة

رابعاً – النظر في انشاء مجالس ادارة للمعاهد التي ليس لها مجالس ادارة

خامساً – وضع النظامات العامة للتدريس والامتحانات

سادساً – التصديق على تقرير الكتب التي تدرّس بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى

سابعاً – النظر في ترشيح مشايخ المعاهد الاخرى والوكلاء وترقيتهم ونقلهم وفصلهم

ثامناً – النظر في ترشيح أعضاء مجالس الادارة

تاسعاً – التصديق على ما تقرره مجالس الادارة من تعيين المدرسين والموظفين وترقيتهم ونقلهم وفصلهم

عاشراً – النظر في طلب منح كساوي التشريف العلمية لمستحقيها بناء على قرارات مجالس الادارة

« المادة الحادية عشرة »

ينعقد مجلس الازهر الاعلى بالجامع الازهر مرة في كل شهر على الاقل بدعوة من الرئيس

ولشيخ الجامع عقده أكثر من ذلك إن دعا الحال

وينعقد أيضاً عند الاقتضاء تحت رياسة سمو الحضرة الفخيمة الخديوية

« المادة الثانية عشرة »

قرارات مجلس الازهر الاعلى تكون بأغلبية الآراء وان استوى الفريقان فالارجحية للفريق الذي فيه الرئيس

ولا تصح مداولته الا اذا حضر الجلسة ستة من الاعضاء سوى الرئيس

« المادة الثالثة عشرة »

يؤلف مجلس ادارة الازهر تحت رياسة شيخ الجامع وبعضوية ستة من الاعضاء واحد من علماء الحنفية وواحد من علماء الشافعية وواحد من علماء المالكية وواحد يختار كل سنتين من علماء أحد المذاهب المذكورة بالدور واثنان ممن يكون في وجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام ادارته بشرط أن يكونا من الحائزين

للصفات الملائمة لحالة الجامع الازهر والمعاهد الاخرى ويكون تعينهما بالكيفية المبينة في المادة التاسعة

وفي غياب شيخ الجامع الازهر ينعقد المجلس تحت رياسة وكيل المشيخة وفي غيابه ينعقد تحت رياسة أكبر الاعضاء العلماء سناً

« المادة الرابعة عشرة »

يؤلف كل من مجلس ادارة معهد الاسكندرية ومعهد طنطا تحت رياسة شيخه وبعضوية أحد علماء الحنفية وأحد علماء الشافعية وأحد علماء المالكية بالمعهد وواحد ممن يكون في وجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام ادارته بشرط أن يكون من الحائزين للصفات الملائمة لحالة الجامع الازهر والمعاهد الاخرى

ويكون تعينه بالكيفية المبينة في المادة التاسعة

وفي غياب شيخ المعهد ينعقد المجلس تحت رياسة وكيل المشيخة وفي غيابه ينعقد تحت رياسة أكبر الاعضاء العلماء سنا

ولشيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى أن يرأس بنفسه عند الاقتضاء أي مجلس ادارة في المعاهد الاخرى

«المادة الخامسة عشرة»

يشترط في من يعين عضواً في مجالس الادارة من العلماء :

أولا – أن يكون من أرباب كسوة التشريف من الدرجة الاولى أو الثانية

ثانياً – أن يكون أمضى مدة أقلها عشر سنوات بصفة مدرس في الجامع الازهر أو المعاهد الاخرى

فان لم يوجد بالمعاهد الاخرى من يكون حائزاً لكسوة التشريف من الدرجة الاولى أو الثانية أو من لم يكن أمضى مدة عشر سنين بصفة مدرس يكتفى بمن يكون حائزاً لكسوة التشريف من الدرجة الثالثة أو بمن يكون أمضى في التدريس مدة أقلها خمس سنين

« المادة السادسة عشرة »

تختص مجالس الادارة بما يأتي :

أولا – تحضير الميزانية الخاصة بكل معهد

ثانياً – تقرير تعيين المراقبين والكتبة وكذا ترقيتهم ونقلهم وفصلهم

ثالثاً – تقرير تعيين المدرسين والموظفين الغير المذكورين في الوجه السابق وترقيتهم ونقلهم وفصلهم

رابعاً – تقرير كتب الدراسة

خامساً – توزيع العلوم على المدرسين وتعيين المساجد أو الاماكن التي تخصص للدراسة وتعيين عدد الدروس التي يكلف بها كل مدرس وساعة ومكان كل درس

سادساً – تقرير القواعد التي يكون بموجبها ضبط الطلبة وحسن سير الاعمال وكل ماله علاقة بالادارة الداخلية

سابعاً – تقرير طريقة توزيع مايرد من النقود للمعهد من قبيل الايرادات الدائمة للتصديق على ذلك من مجلس الازهر الاعلى

« المادة السابعة عشرة »

ينعقد مجلس الادارة مرة في كل أسبوع على الاقل بدعوة من الرئيس وله عقده أكثر من ذلك ان اقتضى الحال

« المادة الثامنة عشرة »

تصح مداولات مجلس الادارة متى حضر ثلاثة من أعضائه سوى الرئيس وتكون القرارات بالاغلبية وان تساوى الفريقان فالارجحية للفريق الذي فيه الرئيس

« المادة التاسعة عشرة »

رئيس مجلس الادارة هو المنوط به الادارة العمومية في معهده وتنفيذ قرارات المجلس وله تعيين وترقية ونقل وفصل الخدمة الخارجين عن هيئة العمال ومباشرة جميع أحوال الضبط والنظام مع مراعاة القوانين وقرارات مجلس الازهر الاعلى ومجلس ادارة معهده وهذا بدون اخلال بما لشيخ الجامع الازهر من الاختصاصات العامة الاخرى المنصوص عليها في هذا القانون

« المادة العشرون »

يعين للتفتيش بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى العدد اللازم من المفتشين ويكونون تابعين لرئيس مجلس الازهر الاعلى

وينشأ في الجامع الازهر وفي كل معهد له مجلس ادارة قلم كتاب فيه العدد الكافي للقيام بالاعمال الخاصة به

ورئيس قلم الكتاب في كل معهد هو كاتب مجلس ادارته

واذا غاب رئيس الكتاب يندب رئيس المجلس منهم من يقوم مقامه

ويعين لمجلس الازهر الاعلى كاتب خاص

« المادة الحادية والعشرون »

يكون إلحاق بعض المعاهد الصغرى بالتي هي أكبر منها أو تغيير تبعيتها وكذا فصل المعاهد من تبعية غيرها وجعلها تابعة للجامع الازهر مباشرة وانشاء مجالس الادارة بمقتضى ارادة سنية

« المادة الثانية والعشرون »

انتخاب وتعيين شيخ الجامع الازهر منوطان بنا وبأمر منا

وتعيين مشايخ المذاهب بالازهر ومشايخ المعاهد الاخرى والوكلاء وأعضاء مجالس الادارة العلماء يكون بارادة سنية بناء على عرض شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى مع مراعاة مانص عنه بالوجهين السابع والثامن من المادة العاشرة وبالفقرة الثانية من المادة الآتية

ومدة العضوية في مجالس الادارة سنتان ويجوز اعادة تعيين الاعضاء أنفسهم

« المادة الثالثة والعشرون »

يختار شيخ الجامع الازهر من كبار العلماء المنصوص عليهم في الباب السابع من هذا القانون

ويختار شيخ كل مذهب من بين فقهائه الذين هم من كبار العلماء المذكورين

ويختار مشايخ المعاهد الاخرى والوكلاء من العلماء الحائزين للشروط المبينة في الفقرتين الاولى والثانية من المادة الخامسة عشرة

« المادة الرابعة والعشرون »

علماء كل رواق وعلماء كل حارة ينتخبون شيخهم فان لم يكن في الرواق أو الحارة علماء يكون الانتخاب للمستحقين وذلك مع مراعاة شروط الواقفين وطبقاً لما يتقرر في اللائحة الداخلية

﴿ الباب الثاني ﴾

(في العلوم وفي زمن الدراسة والمسامحات)

(الفصل الاول)

(في العلوم التي تدرس في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى)

« المادة الخامسة والعشرون »

العلوم التي تدرس في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى هي الآتية :

(علوم دينية) التجويد ـ التفسير ـ الحديث ومصطلح الحديث ـ التوحيد ـ الفقه ـ أصول الفقه ـ الاخلاق الدينية ـ السيرة النبوية ـ التوثيقات الشرعية ـ الاجراآت القضائية

(علوم اللغة العربية) النحو والوضع ـ الصرف ـ المعاني ـ البيان ـ البديع ـ آداب اللغة ـ الانشاء ـ العروض والقوافي ـ الخط ـ الاملاء ـ المطالعة

(علوم رياضية وغيرها) المنطق ـ آداب البحث ـ الحساب ـ الهندسة ـ الرسم ـ الجبر ـ التاريخ ـ تقويم البلدان ـ دروس الاشياء ـ خواص الاجسام ـ قواعد الصحة ـ التاريخ الطبيعي ـ الهيئة ـ الميقات ـ نظام الادارة والقضاء والاوقاف والمجالس الحسبية ـ التربية العلمية ـ التربية العملية

ويجوز للمجلس الاعلى أن يؤخر البدء بتعليم المواد الآتية أو بعضها ريثما تتم معداتها وهي :

التجويد ـ التوثيقات الشرعية ـ الوضع ـ آداب اللغة ـ الجبر ـ دروس الاشياء ـ قواعد الصحة ـ التاريخ الطبيعي ـ الهيئة ـ الميقات ـ التربية العلمية ـ التربية العملية

« المادة السادسة والعشرون »

ينقسم التعليم في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى الى ثلاثة أقسام اولي وثانوي وعال

« المادة السابعة والعشرون »

العلوم التي تدرس في القسم الاولي هي :

(علوم دينية) الفقه ـ التجويد ـ التوحيد ـ السيرة النبوية ـ الاخلاق الدينية

(علوم اللغة العربية) النحو ـ الصرف ـ المطالعة ـ الانشاء ـ الاملاء ـ الخط

(علوم رياضية وغيرها) تقويم البلدان ـ الحساب ـ الهندسة ـ الرسم التاريخ ـ دروس الاشياء ـ خواص الاجسام ـ قواعد الصحة ـ التاريخ الطبيعي

« المادة الثامنة والعشرون »

العلوم التي تدرس في القسم الثانوي هي :

(علوم دينية) التوحيد ـ الاخلاق الدينية ـ الفقه مع حكمة التشريع ـ التوثيقات الشرعية ـ التفسير ـ الحديث

(علوم اللغة العربية) النحو والوضع ـ الصرف ـ المطالعة ـ المعاني ـ البيان ـ البديع ـ الانشاء

(علوم رياضية وغيرها) المنطق ـ آداب البحث ـ التاريخ ـ الحساب ـ الهندسة ـ الجبر ـ الهيئة ـ الميقات ـ خواص الاجسام ـ قواعد الصحة ـ التاريخ الطبيعي

« المادة التاسعة والعشرون »

العلوم التي تدرس بالقسم العالي هي :

(علوم دينية) التوحيد ـ الفقه مع حكمة التشريع ـ أصول الفقه ـ التفسير ـ الحديث ومصطلح الحديث ـ الاجراآت القضائية

(علوم اللغة العربية) المعاني ـ البديع ـ العروض والقافية ـ آداب اللغة العربية

(علوم رياضية وغيرها) المنطق ـ نظام القضاء والادارة والاوقاف والمجالس الحسبية ـ التربية العلمية ـ التربية العملية

« المادة الثلاثون »

يجوز لمجلس الازهر الاعلى بناء على طلب أحد مجالس الادارة أو من تلقاء نفسه أن ينقل علما أو أكثر من العلوم المقررة في المادة الخامسة والعشرين من قسم الى قسم آخر اذا اقتضى الحال ويجب على كل حال أخذ رأي مجلس الادارة الاخرى

« المادة الحادية والثلاثون »

بعد تقرير عدد الدروس لكل مادة أول سنة لايجوز تقيص دروس أي مادة تقرر لها درسان اثنان

(الفصل الثاني)

(في زمن الدراسة والمسامحات)

« المادة الثانية والثلاثون »

مدة التعليم في كل قسم خمس سنين على الاقل وسبع سنين على الاكثر في الاحوال المنصوص عليها في المادة التاسعة والاربعين

« المادة الثالثة والثلاثون »

تبتدئ السنة الدراسية في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى من اليوم الحادي عشر من شهر شوال وتنتهي في اليوم العشرين من شهر شعبان

« المادة الرابعة والثلاثون »

تعطل الدروس في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى ويسامح الطلبة في الاوقات المعينة بعد :ــ

من ٢١ شعبان لغاية ١٠ شوال
من أول يوليو لغاية أغسطس (مسامحة صيفية)
عشرة أيام للعيد الكبير

ويقرر مجلس الازهر الاعلى مدة العطلة للمواسم الخصوصية في كل معهد فاذا وقعت المواسم والاعياد في شهر يوليو وأغسطس فلا تعطل الدروس مدة أخرى لكن اذا تداخل آخر شهر شعبان أو شهر رمضان أو أوائل شهر شوال في الشهرين المذكورين فيقرر المجلس ابتداء مدة الدراسة ونهايتها بحيث لاتزيد مدة العطلة على ثلاثة أشهر ونصف ولا تنقص عن شهرين ونصف

« المادة الخامسة والثلاثون »

يعلن بالجريدة الرسمية ابتداء وانتهاء المسامحات العمومية ومسامحة العيد الكبير

« المادة السادسة والثلاثون »

لايجوز تعطيل الدروس يوما أو بعض يوم في غير الاحوال المنصوص عليها الا بأمر من شيخ المعهد لاسباب استثنائية تبين في الامر المذكور

« المادة السابعة والثلاثون »

لايجوز ان تزيد ساعات التدريس عن سبع ساعات في كل يوم

﴿ الباب الثالث ﴾

(في الامتحانات والشهادات)

(الفصل الاول)

(في الامتحانات)

« المادة الثامنة والثلاثون »

شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى هو المدير العام لاعمال الامتحانات والشهادات في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى وله أن يراقبها أيضا بمن يندبه من الموظفين بعد تصديق مجلس الازهر الاعلى

« المادة التاسعة والثلاثون »

الامتحانات التي يجب اجراؤها في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى هي الآتية :ــ

أولا ــ امتحان النقل من سنة الى اخرى
ثانياً ــ الامتحان الاول
ثالثاً ــ الامتحان الثانوي
رابعاً ــ الامتحان العالي

« المادة الاربعون »

الامتحان واجب على جميع طلبة كل سنة من سني الدراسة بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى ما عدا المحرومين منه بمقتضى ما يتقرر في اللائحة الداخلية

وكل طالب لم يتقدم الى الامتحان بغير عذر مقبول يعتبر ساقطا ويعامل بنص المادة التاسعة والاربعين

« المادة الحادية والاربعون »

الاحوال التي يقبل فيها عذر الطالب في تأخيره(١) عن دخول أي امتحان تتقرر في اللائحة الداخلية

« المادة الثانية والاربعون »

اذا تخلف الطالب عن امتحان النقل أو أحد الامتحانات الاولي أو الثانوي أو العالي في المواعيد المحددة لمرض أو مانع قهري فلمجلس الادارة ان يجيز امتحانه في أول السنة الدراسية التالية

« المادة الثالثة والاربعون »

يكون الامتحان الاولي والثانوي بالمعهد الذي درس فيه الطالب وأما امتحان شهادة العالمية فيكون في الجامع الازهر

« المادة الرابعة والاربعون »

الامتحانات الاولي والثانوي والعالي تكون تحريريا وشفهيا ويكون الامتحان تحريريا فقط فيما عدا ذلك

تبين كيفية الامتحانات التحريرية والشفهية باللائحة الداخلية

« المادة الخامسة والاربعون »

الامتحان السنوي يكون في مقرر السنة الحاصل فيها الامتحان

وامتحان الشهادات في كل قسم يكون في مقرر السنة المذكورة وفي العلوم الدينية وفي علوم اللغة العربية المقررة للقسم الحاصل فيه الامتحان

(١) المنار: الظاهر ان يقال في تأخره

« المادة السادسة والاربعون »

امتحان النقل يكون في آخر السنة الدراسية والامتحانات الاولي والثانوي والعالي تكون في المواعيد التي يقررها مجلس الازهر الاعلى

« المادة السابعة والاربعون »

تكون الامتحانات أمام لجان تؤلف لذلك

« المادة الثامنة والاربعون »

ينتخب مجلس الازهر الاعلى أعضاء الامتحان العالي ويضع لهم التعليمات التي يراها بمراعاة ما نص عليه في هذا الباب

وينتخب مجلس إدارة كل معهد أعضاء لجان امتحان النقل والامتحانين الاولي والثانوي ويجب التصديق على ذلك من مجلس الازهر الاعلى

« المادة التاسعة والاربعون »

المدة التي يغتفر للطالب اعادة الدروس فيها سنتان في كل قسم من الاقسام الثلاثة بحيث ان الطالب لا يعيد دروس السنة الواحدة أكثر من مرة

ومن لم ينجح في امتحان سنة الاعادة يرفت

انما يجوز لمجلس الادارة أن يقرر بقاء الطالب الذي سقط مرتين في الامتحان سنة ثالثة بشرط أن لا يكون ذلك موجباً لاطالة مدة الدراسة أكثر من إحدى وعشرين سنة

« المادة الخمسون »

اذا سقط الطالب في امتحان النقل من سنة الى أخرى أو في امتحان إحدى الشهادتين الاولية أو الثانوية في علم واحد أو علمين على الاكثر فلمجلس الادارة أن يقرر امتحانه فيما سقط فيه قبل ابتداء الدراسة في السنة التالية وذلك اذا كان له من الاحوال الخصوصية ما يقتضي هذا الاستثناء

« المادة الحادية والخمسون »

من أقام في الجامع الازهر أو في أحد المعاهد الاخرى أقصى المدة المحددة لاي قسم من الاقسام الثلاثة ولم يحصل على شهادة هذا القسم يمحى اسمه من السجلات وتقطع مرتباته التي كانت له بمقتضى كونه منتسبا

ومع ذلك يباح له الدخول في الامتحانات لنيل الشهادة التي سقط فيها ولا يسمح بامتحانه لنيل شهادة أعلى منها واذا سقط مرتين فلا يسمح بامتحانه بعد ذلك

ولا يجوز ان يقبل في امتحان بعد مضي سنتين من تاريخ سقوطه السابق

« المادة الثانية والخمسون »

يجوز لغير طلبة الجامع الازهر والمعاهد الاخرى أن يدخلوا في الامتحان لنيل إحدى الشهادات طبقاً لما هو مقرر في هذا الباب وبمراعاة ما يأتي :

اولا — أن يمتحن طالب نيل احدى الشهادات الثلاث في جميع العلوم المقرر تدريسها في القسم الذي يطلب نيل شهادته

ثانياً — أن لا يقبل من أحد الامتحان لنيل الشهادة الثانوية الا اذا كان حائزاً للشهادة الاولية

ثالثاً — أن لا يقبل منه امتحان شهادة العالمية الا اذا كان حائزاً للشهادة الثانوية

« المادة الثالثة والخمسون »

يشترط لنجاح الطالب في الامتحان ما يأتي :

أولا — أن ينال النهاية الصغرى في السلوك وفي المواظبة وفي كل علم من العلوم المقرر لنهايتها الكبرى ٣٠ أو ٤٠ (راجع الجدول الآتي)

ثانياً — ان لا ينقص متوسط درجاته في العلوم الأخر عن ثمانية وان لا تنقص درجته في أي علم منها عن أربعة (راجع الجدول الاتي)

ولا تشترط نمرة السلوك ونمرة المواظبة بالنسبة للطلبة الذين يمتحنون لنيل شهادة العالمية ولا للطلبة الذين يدخلون في الامتحان طبقاً للمادة السابقة

« بيان النهاية الكبرى والنهاية الصغرى في درجات امتحان العلوم »

العلوم	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	العلوم	النهاية الصغرى	النهاية الكبرى
سلوك	٥٠	٤٠	منطق	٣٠	١٢
مواظبة	٤٠	٣٠	تربية علمية وعملية	٣٠	١٢
توحيد	٤٠	٢٠	حساب	٣٠	١٢
فقه مع حكمة التشريع	٤٠	٢٠	تاريخ طبيعي	٣٠	١٢
أصول الفقه	٤٠	٢٠	تجويد	٢٠	
تفسير	٤٠	٢٠	آداب اللغة	٢٠	
حديث	٤٠	٢٠	آداب البحث	٢٠	
نحو ووضع وصرف ومطالعة	٤٠	٢٠	بديع	٢٠	
			عروض وقوافي	٢٠	
انشاء	٤٠	٢٠	هيئة	٢٠	
توثيقات شرعية	٣٠	١٢	ميقات	٢٠	
نظام القضاء والادارة والاوقاف والمجالس الحسبية	٣٠	١٢	تاريخ	٢٠	
			تقويم البلدان	٢٠	
			خط	٢٠	
اجراآت قضائية	٣٠	١٢	رسم	٢٠	
معاني	٣٠	١٢	هندسة	٢٠	
بيان	٣٠	١٢	جبر	٢٠	
املاء	٣٠	١٢	دروس اشياء	٢٠	
سيرة نبوية واخلاق دينية	٣٠	١٢	خواص الاجسام	٢٠	
			قواعد الصحة	٢٠	

ويجب امتحان طالبي الشهادة الاولية في حفظ القرآن كله وأن ينال الطالب عشرين درجة على الاقل من أربعين والا يعتبر ساقطا في الامتحان كله

(الفصل الثاني)

(في الشهادات)

« المادة الرابعة والخمسون »

الشهادات ثلاثة انواع :ـ
شهادة أولية وهي لمن أتموا الدراسة في القسم الاولي
وشهادة ثانوية وهي لمن أتموا الدراسة في القسم الثانوي
وشهادة العالمية وهي لمن أتموا الدراسة في القسم العالي

« المادة الخامسة والخمسون »

من نجح في الامتحان الاولي ينال الشهادة الاوليـة ، ومن نجح في الامتحان الثانوي ينال الشهادة الثانوية ، ومن نجح في الامتحان العالي ينال شهادة العالمية ،

« المادة السادسة والخمسون »

يرتب الناجحون في الامتحانات على حسب درجاتهم التي نالوها والدرجة التي يكون بموجبها الترتيب هي التي تحصل من جمع متوسط درجات العلوم الدينية ومتوسط مجموع متوسطي علوم اللغة العربية والعلوم الرياضية
وينشر كشف الترتيب المذكور بالجريدة الرسمية بالنسبة لمن نالوا الشهادات

« المادة السابعة والخمسون »

توضع الشهادة الاولية أو الثانوية على نموذج يقرره مجلس الازهر الاعلى ويوقع عليها من شيخ الجامع الازهر وتختم بختم المشيخة

« المادة الثامنة والخمسون »

يصدر بشهادة العالمية بيورولدي عال بناء على طلب شيخ الجامع الازهر

« المادة التاسعة والخمسون »

الحائزون للشهادة الاولية يكونون أهلا لأن يدرجوا ضمن طلبة القسم الثانوي

وكذلك يكونون أهلا لوظائف التعليم في المكاتب التحضيرية التابعة للجامع الازهر والمعاهد الاخرى وفي الكتاتيب
والحائزون للشهادة الثانوية يكونون أهلا لان يدرجوا ضمن طلبة القسم العالي وكذلك يكونون أهلا للتعيين في وظائف مدرسي الخط والاملاء وفي الوظائف الكتابية في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى وفي المحاكم الشرعية والاوقاف والخطابة والامامة والوعظ والمأذونية

(المادة الستون)

الحائزون لشهادة العالمية يكونون أهلا لما تؤهل له الشهادة الثانوية وللاحتراف بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية وللتعيين في وظائف التدريس بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى وفي المساجد لتعليم العامة وفي الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية اذا كانوا حنفيين

(لها بقية)

باب المراسلة والمناظرة

« هل للقول من مستمع وهل للداعي من مجيب »

جاءتنا هذه الرسالة من احد الملاويين صاحب الامضاء الرمزي كتبها بعد قراءة مقالتنا الاولى (العالم الاسلامي والاستعمار الاوربي)

نطقت ألسن الجرائد والمجلات وأذن مؤذنوها على منائر الارجاء ان سبب سقوط المسلمين وتأخرهم عن الامم الحية هو الجهل الذي فشا بينهم فنشأ منه مانشأ من عدم الاتفاق والاتحاد ، وانتفت به الوحدة والتراحم والتواد ، وبه ورثت دولة منها ملكنا وارضنا وديارنا وسادتنا واستبدت فينا فلم يشعر أحد منا بما حل بنا من سوء هذا العذاب فلا حول ولا قوة الا بالله .

نعم فشا الجهل بين المسلمين على الاطلاق ولكن ماسمعت الجرائد والمجلة

وصفت احوال المسلمين كما وصفت احوال مسلمي جاوة في الجهل وضعف النفس والهمجية على كونهم أكثر من ثلاثين مليونا من المسلمين ، وعابت علماءهم لعدم استعدادهم واطلاعهم على أحوال العالم ، وسياحهم لعدم اعتبارهم وتفكرهم في المخلوقات واحوال الخلق عند سيرهم في الارض .

أطلقت الجرائد والمجلات كلمة مسلمي جاوه على جميع المسلمين في هاتيك الارجاء على ان مسلمي ملايو (ماليزيا) غير مسلمي (جزائر جاوه) ولغتهم غير لغة الجاويين. والفرق بينهم وبين الجاويين كالفرق بينهم وبين الهنود في اللغة والجنس ولا جامعة تجمع بين أولئك وهؤلاء الا الدين الحنيف غير ان الجاويين اكثر مخالطة للملاويين من سائر المسلمين وقد خرجوا من جزائرهم هاربين لارض ملايو لما أحدق بهم من الضيق والاستبداد والاستعباد الذي لم يفعل ولن يفعل بغيرهم من رعايا هولنده فعله بهم

ذلك بان الملاويين والجاويين هم سواء في الجهل وعدم الاتفاق والائتلاف بينهم والتباغض والتحاسد فيما بينهم ولكن ليس في الملاويين مثل ما في الجاويين من دناءة النفس والخضوع الذميم وان كانوا في الجهل سواء . ثم ان في ارض ملايو عدة سلاطين فكل سلطان يتصرف في بلده كيف شاء ، واتفاقهم محال ، وليس في جزائر جاوه الا سلطانان وهما الاخوان ، واهل ملايو على قلتهم وتفرقهم وتباعدهم وجهلهم كثيرا ما قاوموا الهولنديين الذين في بلادهم ونازعوهم وعصوا أمرهم واتشين (اجيه) في صومطره تحاربها منذ اربعين سنة هولندة وهي الى اليوم لم تخضع لها خضوعا . هل سمعت أن أهل جزائر جاوه على كثرتهم قاوموا هولندة وعصوا أمرها؟ كلا ثم كلا : بل كانوا ولا يزالون خاضعين خاشعين لها فوق خضوعهم وخشوعهم لرب العالمين . والحمد لله لم يوجد فيما نعلم احد من مسلمي ملايو تنصر او تهود .

هذا ولا أعني بقولي هذا تفضيل الملاويين على الجاويين فكلهم معرضون عن طلب العلم ونشر التعليم بين ابنائهم وعن إزالة التفرق والاختلاف بينهم . وماداموا في الجهل سواء فلافرق بين الجنسين

قول « المنار » ومن عجائب خمولهم (اي المسلمين الجاويين) وضعف استعدادهم ان الذين يرحلون منهم لطلب العلم يقيمون السنين الطوال بمكة او مصر ثم يعود من يعود منهم الى بلاده وهو لايعرف من أمر العالم الاسلامي ولا احوال هذا العصر شيئاً قط ، لانهم يحبسون انفسهم على افراد من متفقهة الشافعية يتعبدون ببعض كتب

متأخري الشافعية كابن حجر الهيتمي والرملي فان تجاوزوها فالى كتب الشيخ زكريا الانصاري والنووي اه .

وازيدك أيها القارئ علما بان من يتعلم العلم منهم في مكة انما يتعلمه ليطفيء نور همة غيرهم من المسلمين في احياء العالم واصلاح الطريق الموصلة الى سعادة الدارين ، وليأمر قومه بالافراط في الزهد وترك الدنيا بالمرة وتحقير النفس والخضوع الذميم ، لاليعلمهم دينهم ويبين لهم حقيقته واصوله ولا لينجيهم من تنصير الدعاة (المبشرين) اياهم .

ذلك بان اكثر الشيوخ الجاويين في مكة ينفقون أوقات تلاميذهم في قراءة الكتب الفقهية كتابا فكتابا الى مالانهاية له . وهؤلاء التلاميذ أكثرهم لم يفهموا شيئا من اللغة العربية وهم يعلمونهم أيضا النحو والصرف . ولكن لعدم مراعاتهم طريقة التعليم المقربة للفهم أو لعدم علمهم بذلك صار التلاميذ لا يفقهون مايقولون .

ولهذا نقول اذا وجدت واحدا في المئة يتعلم ويفهم بعد ان قضى في مكة السنين الطوال فخير كثير ، وكثيراً ما سألت اخواني الطلبة هناك الذين جلسوا عشر سنين و ١٥ سنة عن الاعراب فوجدتهم لا يعرفون الاعراب الظاهر فضلا عن الاعراب التقديري والمحلي ومع هذا يقرؤون ابن عقيل والاشموني وشرحي المنهج والمنهاج. ومن احوال اكثر هؤلاء الشيوخ انهم يعلمون حجاج بيت الله الحرام مايسمونه الطريقة ويأمرونهم بشراء السبح ويزهدونهم في الدنيا وهؤلاء الحجاج المساكين لا يعلمون شيئا من أحكام الدين ولا أحكام الحج التي تجب عليهم معرفتها قبل شروعهم في العمل وما ذاك الا ليتصدقوا عليهم

واذا كان الحال كذلك فكيف لا يكثر الدجالون هناك واعداء الاصلاح ومروجو الخرافات والخزعبلات وانصار البدع ؟

ياهؤلاء الشيوخ : لاتغلو في دينكم ولا تأمروا تلاميذكم بترك الدنيا واخضاع أنفسهم واهانتها للامة المستبدة فان الاسلام لايأمرنا نحن المسلمين بذلك ، وانه لاينهانا عن المأكل اللذيذ ولا الملبس الحسن وانه ليس فيه حرج ولا غلو ولا افراط ولا تفريط. وعلموا تلاميذكم كتاب الله وسنة رسوله .

اني والله لأخشى يوم يتجلى رب العالمين ان يعاقب المعلمين بصد المتعلمين عن كتاب الله وسنة رسوله بكتب اولئك الفقهاء وان كانت دينية . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولمن اتبع الهدى ورجحه على الهوى. كاتبه

القاهرة في ١٧ جمادى الآخرة ٣٢٩ م . ب . ع

﴿ حضرموت ﴾

سيدي صاحب المنار اطال الله بقاك في مراضيه في عافية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واهنيكم بما سمت اليه همتكم العالية من السعي في اقامة (جماعة الدعوة والارشاد) تلك المكرمة البكر التي نحن الآن في اشد حالات الاضطرار اليها، لان وظيفة من يخرج منها هي وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام، حياك الله وكبت عداك لقد ارضيت بسعيك رب العالمين، وأقررت عين سيد المرسلين، والانزع البطين، واني اتمثل بقول الشاعر

اذا علوي لم يكن مثل طاهر فما هو الا حجة للنواصب

إنني على بعد الديار كتبت اليكم بهذه السطور اعلانا لما يكنه ضميري من حب الاسلام واهله وحب من يخدمه من أمثالكم ولو كان حبشياً أو ارمنياً أو صينياً فكيف اذا كان من اشرف أرومة، وأطهر جرثومة،* وشاهد القول افعال تصدقه*

ولأ قترح على تلك الجماعة الفاضلة بواسطة ناركم الاغر ان تخصوا أول رجالها المتعلمين بمدرستها بارساله الى حضرموت لان بها عدداً عديداً من سلالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قتلهم الجهل، وفقد من بين ظهرانيهم العلم، وبعد بعض بواديهم عن الدين، وارشادهم مما يدخل السرور الخاص على المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في قبره. علاوة على أنهم عرب وفي الجزيرة. والاقربون أولى بالمعروف

ولأن بحضرموت الآن خلفا اضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وابتدعوا في الدين، وغرروا العامة، وسلبوا بعضهم البقية الباقية من دينه، واليك نموذجا من مقالهم في وعظهم: كنت منذ أشهر في مجلس أكبر وعاظ حضرموت المشهورين بالولاية الكبرى فكان مما قال: ان أتان فلان – وسمى أحد المشهورين بالعلم والولاية من الاولين – كانت تأتي بخبر السماء كل يوم مرتين. فلما مات أتت به كل يوم مرة. فأفهم قوله هذا من يعظه ويقدم كلامه على كلام الله ورسوله ان ذلك الولي خير من النبي لان النبي انقطع عنه الوحي اشهرا وهذا أتانه – فكيف هو – يأتي بخبر السماء كل يوم مرتين وافهمهم ايضا أن جبريل اقل قدراً من تلك الأتان (استغفر الله) لانه انقطع عن النزول بالوحي بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتلك الأتان لم توصد في وجهها أبواب السماء صاعدة وهابطة. ولولا خوفي ان يسبق رأيي كلامي لسألته عن صفة معراج تلك

الأتان أكان على البراق أم على أفضل منها. ومنها ماسمعته عن عظيم فيهم وهو روايته بالسند عن بعض الاولياء انه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة – والمدعون لهذا فينا كثير بدون نكير – فسأله ان يحدثه شفاها بحديث ينتفع به وينفع به الامة فقال له يعني النبي (واستغفر الله من كتابة هذا وان كان حاكي الكفر ليس بكافر) من اتخذ سبحة كان من الذاكرين الله كثيرا ذكر أم لم يذكر، ومن شرب القهوة استغفرت الملائكة له مادام في فمه أثر منها. ومن وقف بين يدي ولي لله – وهنا محل الاشارة ... – حياً كان أوميتاً ولو قدر شج بيضة كان وقوفه افضل من عبادة الثقلين سبعين سنة. الى نحو ذلك مما جعلني خرجت باكي العين على الاسلام موجع القلب مصدقا لقول ابن المقري رحمه الله في ضلال المتصوفة

ليتهم كانوا يهودا ليتهم كانوا نصارى

الابيات. متحسراً لان الحاضرين على كثرتهم وتأبط العدد الجم منهم للكتب واشتغالهم بزعمهم في طلب العلم السنين الكثيرة لم ينتبهوا الى فساد هذه المزاعم البديهية البطلان فان السيف خير من السبحة ومتخذه لا يعد من المجاهدين الا اذا كان جاهد او صمم عليه اذا لم يحضره

واللبن افضل من محروق البن وقد أمر النبي بالمضمضة منه لا بالتلمظ ببقاياه او بخاره فضلا عن الاثابة على عدم النظافة. والوقوف بين يدي الله في الصلاة أفضل العبادات ولم يأت فيه ماذكر من الفضل فعسى ان ينتشل الله ذلك القطر واهله على يدكم وفقكم الله وهداكم لما يحبه، واني لا أصرح باسمي في هذه المقالة وان كنت الآن في بمباي حيث مالعباد عليّ امارة ولكني اخاف على قرابتي في حضرموت من ظلم اولئك الذين عنيت او اتباعهم « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته مقترح من حضرموت

بمباي في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٩

(المنار) هذه هي نتائج الغلو في الصالحين وكراماتهم ولا أرى في مقابلة مفاسده الكثيرة مصلحة ما، وأما مايزعمه الدجالون المتجرون في كتبهم ببث الكرامات المخترعة من أن هذا يقوي إيمان العامة فان أرادوا به إيمانهم بالله وكتبه ورسله فلا نسلم لهم ذلك بل هو الذي افسد على الكثيرين إيمانهم ودينهم وان أرادوا ايمانهم بالدجل والدجالين فهذا مانشكو منه ونسأل الله ان يطهر الاسلام منه، سؤالا مقترنا بالسعي والعمل وعلى الله المتكل

﴿ الدعاء للسلاطين في الخطب وحكمه شرعاً ﴾ (*)

ذكر العلامة المحقق الفريد شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي في كتاب (طراز المجالس) مانصه :

قال الامام الغزالي في كتابه المسمى بفاتحة العلوم : لايحل الدعاء للسلطان الا بان يقول أصلحه الله ووفقه للخيرات وطول عمره في طاعة الله وأما الدعاء بطول العمر واتساع النعمة والمملكة والخطاب بالمولى فلا رخصة فيه لقوله صلى الله عليه وسلم «من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه» وان جاوز الى الثناء وذكر ما ليس فيه فكاذب منافق مكرم للظالم وهي ثلاث معاص انتهى .

وأما حكمه شرعاً فقال اعلم الشافعية الزركشي في كتاب (أحكام المساجد) قال الشيخ ابو اسحق : لايستحب ، وسئل عنه عطاء فقال : هو محدث وانما الخطبة وعظ وتذكير ، وقال القاضي الفارقي : يكره تركه لمافيه من خوف الضرر بعقوبة السلطان انتهى وخالفه من المالكية ابن خلدون فقال في مقدمة تاريخه : كان الخلفاء يدعون بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضا عن اصحابه لانفسهم فلما استنابوا فيها كان الخطيب يشيد بذكر الخليفة على المنبر تنويهاً باسمه ويدعو له بما جعل الله مصلحة العالم فيه لان تلك ساعة اجابة لماقاله السلف — من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان — وأول من دعا للخليفة في الخطبة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو بالبصرة عامل لعلي رضي الله عنه فقال « اللهم انصر عليا » واتصل العمل بذلك بعده انتهى

ومما يدل على انه سنة بعد اتفاق الناس على العمل به ما في الاحياء قال : لما ولي أبو موسى الاشعري البصرة كان اذا خطب حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انشأ يدعو لعمر فقام اليه ضبة العنزي وقال له: اين انت من صاحبه اتفضله عليه ؟ وصنع ذلك مراراً فكتب الى عمر يشكوه فكتب اليه عمر ان اشخصه فأشخصه فلما قدم عليه ضرب بابه فخرج وقال له من انت قال : ضبة العنزي فقال له : لامرحباً ولا أهلا فقال: اما المرحب فمن الله وأما الاهل فلا أهل لي ولا مال ، بماذا استحللت ياعمر اشخاصي بلا ذنب ؟ قال ما الذي شجر بينك وبين عاملي ؟ قال : الآن اخبرك ، انه اذا خطب انشأ يدعو لك فغاظني ذلك وقلت له اين انت من صاحبه

(*) ارسل الينا هذه الرسالة أحد علماء بورصة الكرام صاحب الامضاء

فاندفع له عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد ، فهل انت غافر ذنبي يغفر لك الله ؟ فقال غفر الله لك ياأمير المؤمنين ، فبكى وقال : والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر ، فهل لك ان احدثك بليلته ويومه ؟ قال نعم قال اما الليلة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا خرج ليلا فتبعه ابو بكر وجعل يمشي مرة من أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ماهذا ياأبا بكر » فقال يارسول الله : أذكر الرصد فاكون أمامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لآمن عليك . فمشى صلى الله عليه وسلم على اطراف اصابعه حتى خفيت آثاره فلما رأى أبو بكر انها قد خفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد حتى اتى فم الغار فانزله ، وقال له والذي بعثك بالحق لاتدخله حتى أدخله فان كان به شر نزل بي قبلك فدخل ولم يربه شيئا فحمله وأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه ابو بكر رضي الله عنه قدمه مخافة ان يخرج شيء منه الى النبي صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، فنهشته حية فجعلت دموعه تحدر على خديه من ألمه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لاتحزن ان الله معنا » فأنزل الله طمأنينة السكينة على ابي بكر فهذه ليلته . وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب وقالوا نصلي ولا نزكي فأتيته لئلا آلوه نصحاً فقلت يا خليفة رسول الله : تألف الناس وارفق بهم ، فقال: أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام ؟ بماذا أتألفهم ؟ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه ، فكان والله رشيد الامر فهذا يومه . ثم كتب الى ابي موسى يلومه انتهى

قال الشهاب (قلت) وقد علم من هذا ان الدعاء للخلفاء والسلاطين بصدق وحق سنة مأثورة لابدعة مشهورة لما عرفته من فعل الصحابة من غير نكير فلا وجه لما قاله الزركشي وغيره وقول ابن خلدون : أول من فعله ابن عباس في خلافة علي كرم الله وجهه ليس بصحيح ايضاً لما سمعته آنفاً وهذا من نفائس الفوائد التي لاتجدها في غير هذه المجلة والله أعلم

اسماعيل حقي

(المنار) قال صاحب المهذب وغيره ان الدعاء للسلاطين مكروه وقال بعضهم لا بأس به وآخرون أنه مستحب واتفقوا على حظر المجازفة في مدحهم وصرحوا بأنه يجوز الكلام واللغط عند مدح السلاطين الجائرين ، والذي وقع من بعض الصحابة هو الدعاء المجرد

———

﴿ الالحاد في المدارس العلمانية ﴾ (*)

حضرة العالم الفاضل واللوذعي الكامل صاحب مجلة المنار الاسلامية فضيلتلو السيد محمد رشيد افندي رضا ادامه الله ركناً ركيناً لانارة منار الدين وكهف المستغيثين

أما بعد . سلام عليكم من الله ورحمة وبركة . ان الذي حدا بي لان اسطر لسيادتكم هذه العجالة هو انني قد اطلعت على كلام لبعض مدرسي المدرسة العلمانية اللادينية التي صار انشاؤها حديثاً في مدينة بيروت « الموسيو ارنولد » في جريدة الحرج عدد ٧٤ نقلا عن جريدة البشير وعند مافرغت من مطالعتها تخيل لي ان الاسلام قد عاد كما بدا غريباً كئيباً لاملجأ له ولامأوى ولامجير يجيره ويردعن حوزة بيضته الى ان استيقظت من رقدتي، وتنبهت من غفلتي وعلمت ان الله سبحانه يرسل في رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها وكنت بحسب اعتقادي انك هو هو في هذا الزمان ولذلك بادرت لاقدم لحضرتكم ماتفوه به ذلك الضال من الطعن في الدين وفي ذات الله تقدست ذاته من ان تصل اليه ايدي المعطلين الخائنين الكافرين لتعلقوا على ذلك ما يرد اباطيله واضاليله الكاذبة ومفترياته الخاسئة اذ ليس مثل فضيلتكم من يكبح جماح مثله كما سبق لحضرتكم ولحضرة المرحوم الاستاذ الامام كسر رؤوس هكذا وحوش ضارية بل الوحوش خير منهم وهذه عبارته بنصها وحروفها

قال الخائن (يجب تحطيم الاصنام النخرة ولاسيما اشدها ثباتاً ونخراً أي حقيقة الله... العقل يقودنا الى الحقيقة ، الايمان يقودنا الى الكذب ، الكذب هو الله .. امن الممكن ان يكون الله شيئاً سوى ذلك الوعيد الذي رفعه الاحبار منذ القدم فوق رؤوس الشعوب ولم يزل في ايامنا وفي وسط الحضارة والتمدن آلة القوى الشريرة . آه! فليسقط كل إله . ان كل عناية ربانية قد اجترمت على الارض جرائم لاتحد ولا تحصى . كي يسود الخير الاجتماعي فيما بيننا وكي تحرر الشعوب يجب ليس فقط هدم الكنيسة ونقضها يجب ايضا قتل الله !)

هذه عبارته بنصها وحروفها تماماً فالله اسأل ان يلهمكم رداً كافياً شافياً على هذا الخائن وخصوصاً ان كثيراً من المسلمين من أهالي بيروت أرسلوا اولادهم للمدرسة

(*) من صاحب الامضاء من أهل العلم في طرابلس الشام

المذكورة ليتعلموا بها اللادين، نعوذ بالله من فساد الاعتقاد والدين ، والسلام عليكم

طرابلس الشام في ٢٨ جمادى الثاني سنة ٣٢٧ محبكم الصادق

محمد نجيب حفار

(المنار) ليس العجيب ان يقذف ذلك الملحد تلك الاباطيل جهراً فتنشر في الجرائد ولكن العجيب ان تسمح الحكومة العثمانية بنشر الكفر الصريح في المدارس والجرائد وهي لا تكاد تسمح في الاستانة بانتقاد احد من أصحاب السياسة السوءى . وكل ما قاله ذلك الملحد بديهي البطلان لا يحتاج الى الرد عليه فهو يزعم ان الايمان يعلم الناس الكذب والله تعالى يقول « انما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون » وقول الله هو الحق الذي يصدقه العقل ، فان من لا إيمان له لاحظ له من حياته الا التمتع بالشهوات والحظوظ العاجلة فلا يمتنع من الكذب لاجل تحصيلها ، وأما المؤمن فيمنعه من الكذب خوف العقاب في الآخرة فوق الحذر من فقد الكرامة في هذا وان تعليم الملحدين ضار في الدنيا قبل الآخرة لان سعادة الدنيا لا تتم الا بالدين وان الذين جربوا هذا التعليم في أوربة بدأوا يجنون منه الحنظل والزقوم بزيادة الجنايات والجرائم فيهم . وانا ننقل لك ما نشر في جريدة الاخبار في العدد الذي صدر في ٢٦ جمادى الآخرة مؤيداً لذلك وهو:

﴿ التعليم اللاديني ﴾

بشرنا مكاتب من الاسكندرية في المقطم بان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الاخرى شارعون في انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشد ورحب بهذا المشروع واطراه وامل فيه خيراً عظيما وسأل بلدية الاسكندرية أن تساعده مساعدة فعلية مادية فرأينا والحالة هذه أن نقول كلمة في التعليم المشار اليه نذكر فيها نتائجه في البلاد التي أقبلت عليه ونبين حقيقته عبرة لقوم يعقلون

أقبلت فرنسا على هذا التعليم منذ سنة ١٨٨٢ فلم تر منه فائدة في ترقية الاخلاق بل دلت الاحصاءات على ان الفساد زاد كثيراً في الاجيال التي تخرجت في عهده ولا يزل يزداد في الاحداث بنوع خاص فان عدد المجرمين الاحداث في سنة ١٨٨٢

كان ١٦٠٠٠ فاذا هو ٤١٠٠٠ سنة ١٨٩٢ . وكان معدل المتنحرين من الاحداث الذين يتراوح سنهم بين السادسة عشرة والواحدة والعشرين ١٦٨ في سنة ١٨٧٥ فبلغ ٧٨ في سنة ١٩٠٠ وبلغ عدد الفارين من الخدمة العسكرية (وهي جريمة ضد الوطن) ٢٥٧٨٧ في سنة ١٩٠٩ وكان أقل من ذلك بكثير فيما مضى وانتشر مذهب اللاوطنية ايما انتشار

ومما يزيد هذه الارقام جسامة أن ازدياد الجنايات لا يقابله زيادة في المواليد بل نقص فيها على ما هو معلوم

والعقلاء متفقون على ان ذلك نتيجة التعليم اللاديني

قال المسيو غيليو وهو من رجال القضاء : ما من رجل صادق مهما كان مذهبه الا يضطر الى الاقرار بان زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيان قد بدأت بعد ما أحدثوه في التعليم العمومي

وقال المسيو بونجان وهو قاض آخر : ان فرنسا ستهبط الى اقصى دركات الهاوية بسبب هاته الذريات المتوالية التي تفوق كل واحدة منها الاخرى صلفاً وكسلاً وتمرداً . وانما سبب كل ذلك التربية اللادينية

وقال المسيو الار احد زعماء الاشتراكيين في مجلس النواب مخاطباً أعضاء المجلس :... اني اسألكم أليست طريقة التعليم التي جئتمونا بها سبباً من أسباب الجنايات ؟

ويدعم هذا الرأي الاحصاء الذي اورده المسيو غيليو قال

« .. ان من مئة ولد يحاكمون لا يكاد يكون اثنان من تلامذة المدارس الدينية والباقون من سواها

هذا ولما كان الشارعون في التعليم اللاديني في مصر يريدون الانتساب الى ابن رشد فلا نرى بدًّا من ان نبدي لهم في هذا المقام رأي ذلك الفيلسوف نفسه في هذه المسألة

جاء في الهلال عدد ٢ سنة ٢ صفحة ٤١ في ترجمة ابن رشد : وقد قال « انه ينبغي للانسان في حداثته التمسك بالدين وانه اذا توصل الى معرفة حقائق الدين السامية نظرياً فلا ينبغي له ان يزدري بالمبادئ التي نشأ عليها

وسئل رنان شارح فلسفة ابن رشد في هذا العصر كيف تصلح أخلاق الاحداث فقال : اني آسف كثيراً لان ذوي الشأن لا يهتمون بغرس مبادئ الدين في صدورهم

ورأي ابن رشد ورينان يشجب المدارس اللادينية حتى اذا صحت دعوتها الاولى وهي انها تعلم العلوم في معزل عن الدين فكيف وهي لا تقصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومقاتلته وذلك بشهادة الزعماء والاركان

قال المسيو فيفياني في مجلس النواب الفرنساوي : لقد حان الوقت لان نجاهر بان كلمة « الحياد » لم تكن سوى أكذوبة سياسية وخدعة قضت بها الظروف لتسكين خواطر ذوي الضمائر الضعيفة . أما الآن فالواجب ان نكشف حقيقة مقاصدنا ونقول انه لم يكن في نيتنا سوى أمر واحد وهو إنشاء مدرسة تقاوم الدين بنشاط وجهاد»

قال المسيو اولار رئيس جمعية التعليم العلماني : كفانا ذكرى الحياد (في الامور الدينية) في المدارس فلا نقول بعد الآن انا لا نريد هدم الدين بل لنجاهر انا نريد دكه دكاً »

وجاء في مقدمة الجزء الثاني من كتاب « التعليم الجمهوري » الذي وضعته « جمعية نشر التعليم العلماني » سنة ١٩٠٥ ما يلي « دعونا من الله . انا لا نريد أن نهدم الكنيسة فقط بل نريد ان نقتل الله نفسه » (قاتلهم الله ولعنهم)

وجاء في كتاب « القوى الطبيعية » للمسيو هنري ارنول أحد اساتذة المدرسة العلمانية في بيروت ما يلي « : الله هو الكذب . اقرأ بوفون وفولتر وكوفيه وداروين نفسه تجد ان كل مرة لم يتمكن يراع أولئك المفكرين العظام من جعل حقيقة تنتشر في الكون وتسير في سبيلها كان المانع لها الله »

هذه نتائج التعليم الذي يريد ان ينفحنا به ماسون الاسكندرية واعوانهم كاننا في حاجة الى عوامل جديدة لزيادة الجنايات وتكثير حوادث الانتحار وبث روح اللاوطنية في هذا القطر . وهذه قواعد ذلك التعليم وغايته ولا نعلم كيف تطلب مساعدته من حكومة ذات دين رسمي تنفق على اقامة شعائره مبالغ طائلة ، وتبث الائمة والوعاظ في البلاد مستعينة بمواعظهم على تقليل الجنايات ، وتشترك بثمانية آلاف نسخة من مجلة دينية رغبة في اصلاح الاخلاق ، وكتابها ينادون انها دينية قبل كل شيء ويتحاشون ذكر اسم الجلالة في الجرائد حذراً من أن يؤدي ذلك الى امتهانه ويقومون ويقعدون اذا فكرت بلدية الاسكندرية باقامة تمثال لشاعر اهان نبيهم . ألا يرى الكاتب ان هذه الحكومة اذا أجابت طلبه تقع في التناقض اذ أنها مخطئة إما في تعزيز الدين واما في المساعدة على مقاومته ، وان طلب المساعدة من مثل هذه الحكومة لمثل هذه الغاية منتهى السذاجة أو غاية الوقاحة اه

(المنار) سبق لنا كلام في انتشار الالحاد في فرنسة وانها ستكون أول دول أوربة هلاكا اذا لم تتدارك ذلك وما كنا سمعنا عن أحد من عقلائها كلاما في ذلك كالذي ترجمته لنا جريدة الاخبار . وما دعا الحكومة الفرنسية الى هذا الاخوفها على جمهوريتها لان جميع رجال الدين فيها يعتقدون وجوب الحكومة الملكية فما جاءتها هذه الفتنة الامن السياسة الملعونة . ومن العجائب ان ما حاولته فرنسة ولم تجرأ على التصريح به الا بعد عشرات السنين من السعي له ينفذ في بلادنا بعد الدستور فجأة ويعلن إعلانا ، وما نسبة ماسون الاسكندرية هذا النوع من التعليم الى ابن رشد الاغش وخداع وان لنا لعودة الى هذا الموضوع ان شاء الله تعالى

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ مجموعة الرسائل ﴾

اهدانا الشيخ محي الدين صبري الكردي الكانيمشكاني اكثر من ثلاثين رسالة انتقاها وطبعها في مجموعة بلغت صفحاتها ٦٣٣ صفحة من قطع رسالة التوحيد واكثر هذه الرسائل لابن سينا الفيلسوف وللغزالي ولمحيي الدين ابن عربي وباقيها لبعض المشهورين مثلهم كابن تيمية والسيد الجرجاني والفخر الرازي وغيرهم ، وهي في الفلسفة والاخلاق والآداب والعقائد والتصوف ، منها أصول الكلام للرازي والرسالة البعلبكية لابن تيمية وهي التي يثبت فيها ان القرآن كلام الله ليس للنبي ولا لجبريل ولا غيرهما شيء منه . وان القارئ كثيرا مايجد في رسائل امثال هؤلاء العلماء الاعلام مالا يجده في كتبهم الكبيرة من التحقيق والفائدة ، وقد تصفحت كثيرا من رسائل هذه المجموعة فرأيتها مفيدة للجمهور الا بعض رسائل ابن عربي . منها :

كتاب المؤمل · للرد الى الامر الاول

هذا الكتاب الوجيز لعبدالرحمن المشهور بابن ابي شامة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥ وهو مختصر في رسالة جعلت أول هذه الرسائل في المجموعة وانما أخرت ذكره للتنويه بأهم وانفس مسائله وفوائده وهي مسألة الاجتهاد والتقليد المقصودة بالذات منه فهو يريد بالرد الى الامر الاول رد الدين الى الكتاب والسنة وقد بدأ كلامه بذكر ضعف العلم

في زمنه واندراسه ، وبمدح الله ورسله للعلم وأهله ثم بذكر الأئمة المجتهدين الذين نشروا علوم الاجتهاد في جميع الآفاق من شرعية ولغوية (قال) وهم في ذلك متفاضلون فنهم المحكم لعلم الكتاب ، ومنهم القائم بأمر السنة ، ومنهم المبرز في العربية ، ومنهم الممعن في استنباط الاحكام وقل من اجتمع فيه القيام بجميع ذلك ، فكان من اجمعهم وأقومهم به امامنا ابو عبدالله القرشي الطلبي الشافعي رضي الله عنه » وذكر جملة صالحة من فضائله وما قاله علماء عصره فيه ، ثم تكلم في صفة العلماء وفائدة علم الدين ، وانتقل من ذلك الى الاجتهاد واستنباط الاحكام وجعل ذلك خاصا بالحكام ، وهذا هو الذي كنا حققناه في (محاورات المصلح والمقلد) ثم عقد فصولا لبحث الاجتهاد والتقليد نقلنا بعضها في غير هذا الموضع من هذا الجزء تحت عنوان (بحث الاجتهاد والتقليد)

***

﴿ كتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية ﴾

وسنن العرب في كلامها

هذا الكتاب من تصنيف الشيخ ابي الحسين احمد (ابن فارس) احد ائمة اللغة المشهورين المتوفى في القرن الرابع ، وسماه الصاحبي نسبة الى الصاحب ابن عباد الوزير . واسم هذا الكتاب يدل على موضوعه وهو بمعنى مايعبرون عنه اليوم بفلسفة اللغة

من مباحث الكتاب هل اللغة العربية توقيف أو اصطلاح ، وبحث كون اللغات لاتجيء جملة واحدة في زمن واحد ، وبحث الخط ، وعلم العربية وفنونها ، وفضلها وسعتها ، والقرآن واعجازه واستحالة ترجمته ، وخصائص اللغة العربية في القلب والاختلاس والادغام والحذف والاضمار والترادف · واختلاف لغات العرب في الهمز والتليين ، والتقديم والتأخير . . وفصاحة قريش وما يعاب من لغات العرب ، وما لاتتكلم به الا للضرورة ، والقبائل التي نزل القرآن بلغاتها ، وبحث القياس في العربية

ومنها الكلام في مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله ومصادر الاشكال ، وآداب اللغة العربية قبل الاسلام وبعده ، والاصطلاحات الدينية فيها ، ومنها أقسام الكلام وحدود الاسماء والافعال والحروف وأجناسها وأقسامها ، وفي هذه الابواب مسائل مهمة

كوضع الاسماء للمجاورة والسبب وكيفية وقوعها على المسميات والمشترك والترادف ، ومنها الكلام على حروف المعاني بالتفصيل ، وعلى حروف المعجم . ما يزاد في الاسماء والافعال منها

واهم من هذه المباحث اللفظية ما جاء ابواب معاني الكلام من مباحث الخبر والاستخبار والامر والنهي والدعاء والطلب والعرض والتحضيض والتمني والتعجب ، والخطاب على اختلاف المخاطبين في الذكورة والانوثة والعدد ، وما خالف الاصل في ذلك ، ومباحث العدد والجمع والتثنية ، وطرق الافهام والفهم ، والمعنى والتفسير والتأويل ، والمطلق والمقيد والحقيقة والمجاز والاتفاق والافتراق والقلب والابدال والاستعارة والحذف والاختصار والزيادة والتكرار والعموم والخصوص ، واضافة الفعل الى غير الفاعل في الحقيقة وتحويل الخطاب من الشاهد الى الغائب والعكس .

ومن مباحث الكتاب الممتعة مباحث معاني ابنية الافعال واسماء الصفات ومبحث التوهم والابهام والقبض والمحاذاة واضمار الاسماء والافعال والحروف ، والتعويض أي اقامة كلمة مقام آخر تكون عوضا عنها لنكتة

واعلى من ذلك كله ما عقده من الابواب لنظم القرآن وذكر منه عدة نظوم ، وكذلك ابواب الاضافة والتقديم والتأخير والاعتراض والايماء وتنزيل بعض المخلوقات منزلة بني آدم في التعبير عنها بضمير العقلاء ، ومباحث التهكم والهزء والكف او الاكتفاء والاعارة ، وباب افعل في غير التفضيل ، والشرط والكناية ، والاستطراد والاتباع والنحت والاشباع والتأكيد ، وغير ذلك

ما ضعفت اللغة فينا الا بتركنا مدارسة امثال هذه الكتب التي تبين لنا سنن العرب في كلامها بالشواهد والامثلة في أمثال هذه الابواب التي ذكرناها ، واقتصارنا على درس قواعد النحو والصرف والبيان بالاسلوب الفني الضعيف مع قلة الشواهد وعدم بيان طرق الاستعمال ويا حبذا لو قرر تدريس هذا الكتاب في الازهر ومدرستي القضاء الشرعي ودار العلوم ، وينبغي ان يطالعه الادباء والكتاب ولا سيما المصنفين ومحرري الجرائد ، وان يستعين به مدرسو أدب اللغة وتاريخها على دروسهم

والكتاب يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز وثمنه سبعة قروش صحيحة

* *

﴿ السعادة والسلام ﴾

كتاب في الاخلاق وفلسفة الآداب ، وبيان سعادة الحياة ، من تأليف حكيم غربي ذاق لذة العلم والحكمة واميرانكليزي ذاق جميع لذات الدنيا ، فهو جدير بصحة الحكم في مثل هذا الامر . هذا المؤلف هو « لورد افبري » صاحب الكتب المتعدد فيما يقارب معنى هذا الكتاب (منها معنى الحياة ومسرات الحياة ومحاسن الطبيعة) وقد ترجم كتابه هذا بالعربية وديع افندي البستاني فأحسن الاختيار ، وقدمه للناشئتين المصرية والسورية بعبارة جميلة قال

« إليكم اخواني في الشبيبة حديثا فلسفيا شعريا في الحياة وسعادتها وسلامها ، وسائر أحوال أيامها وأعوامها ، يبسطه شيخ جليل ، وعالم كبير . قطع من مراحل الحياة مالم نقطع ، واختبر فيها مالم نختبر ، حديثا موجها للعقل والقلب والنفس جميعا »

عبارة المؤلف في الترجمة فيها سلاسة وسهولة تشوبها أغلاط أكثرها في الاسلوب والتركيب وسببها فيما يظهر قراءة الكتب المسيحية وما كتب على أسلوبها ،

بل رأيت فيه من ضروب الخطأ والضعف في التعبير مالم أرمثله في غيره كقوله في ص ٨ « لكانت هي الحياة محتملة لولا ملاهيها » وصواب التركيب « لولا ملاهي الحياة لكانت كذا» وانظر هل كلمة محتملة هنا واقعة في محلها ؟ ومن الشواهد على ما ذكرنا قوله في ص ٣ « ونظريا ان لم يكن الجميع فالسواد الاعظم متفقون على ان السعادة والطمأنينة من أعظم البركات اما فعليا فكثير من يبيعهما مغبونا » الخ وكان ينبغي ان يقول : السواد الاعظم من الناس - ان لم يكونوا كلهم - متفقون (اتفاقا) نظريا على كذا (اويقول : جل الناس أوكلهم متفقون نظريا على كذا) ولكن كثيرا منهم يبيعها بالفعل مغبونا الخ ومنها قوله « وحتى اعلم العلماء والاطباء قليل ما يعلمون عما في أجسامنا » وكان حق الجملة ان تكون هكذا : حتى ان اعلم العلماء والاطباء قليلا ما يعرفون مافي أجسامنا ، ومنها قوله عقب هذه الجملة « وهو من المقرر المسلم به انه اذا تكلمنا أو قرأنا أو افتكرنا » الخ وكان الصواب ان يقول : ومن المقرر المسلم اننا اذا تكلمنا أوقرأنا أو تفكرنا الخ

والكتاب يطلب من مكتبتي المنار والمعارف

* * *

﴿ كتاب زراعة القطن ومقاومة آفاته وتحسين انواعه ﴾

ان القطن المصري يعد من اغنى الاقطار بزراعته وكادت ثروته تنحصر في القطن وقد اتقن الفلاح المصري زراعته ولا يزال أهل العلم والعمل يبحثون في وسائل زيادة إتقانه ومقاومة آفاته وينشرون في ذلك الفصول والمقالات والرسائل والكتب. ومن أحسن ما كتب في ذلك وانفعه هذا الكتاب الذي ترى عنوانه في أول هذه السطور وهو من تأليف أحمد افندي الالفي أحد الموظفين في مزارع الامير عمر باشا طوسون . قال المؤلف

« جريت منذ اشتغلت بالفلاحة على كتابة مشاهداتي فيها ومطالعاتي عنها في مذكرات كنت أنتهز الفرص لتهذيبها واستخلاصها كمؤلف في الزراعة العملية على الاصول الحديثة

« وهذا كتاب القطن قسم من ذلك أودعت فيه افضل مايعرف الى الآن عن زراعته ومقاومة آفاته وتحسين انواعه واثبت ضمنه تقرير لجنة القطن الاخير لمكانه من الاهمية والفائدة

« واني لأرجو ان يكون كتابي هذا خير تذكرة للزراع المستنير وافضل مرشد للفلاح المستفيد فقد استقصيت في اجتناء الفوائد، والتقاط الفرائد، وايداعها فيه ايداعا مهذبا عن تجربة واختبار، وبحث واستبصار »

ومن المزايا التي كان بها هذا الكتاب من احسن الكتب في موضوعه سهولة عبارته بحيث يسهل على الفلاحين ان يستفيدوا منه مالا يستفيدون من غيره . وثمن النسخة منه ثمانية قروش ويطلب من مكتبة المنار

* * *

﴿ كتاب منتخبات البيان والتبيين ﴾

كتاب البيان والتبيين للجاحظ هو أحد دواوين الادب التي كانت عمدة العلماء والادباء في تحصيل ملكة البلاغة وصناعة الانشاء منذ القرن الثالث الذي ألف فيه الكتاب الى أن نزل قضاء الله تعالى بهذه اللغة وعلومها وآدابها بعد زوال الدولة العربية ، فصارت الكتب النافعة الممتعة تهجر رويداً رويداً وتؤثر عليها كتب الاعجميين

المعتقدة ، ولما انتعشت هذه اللغة الشريفة بعض الانتعاش في هذا العصر طفق الناس يبحثون عن تلك الكتب المهجورة ويصلون حبلهم بحبلها ، فطبع كتاب البيان والتبيين منذ سنين ولكن طبعاً غير جيد ولا مصحح، وطبع في هذا العام منتخباته في رسالة صغيرة تناهز جزءا من اجزاء المنار جاء فيها من غرر الكلام وعقائله ما يصدق عليه قول الشاعر

زين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعاني

فاحث طلاب الانشاء ومحبي الحكمة والادب ان يقرءوا هذه المنتخبات المرة بعد المرة مع التأمل في معانيها ، والتفطن لاساليبها ومناحيها ، وتوطين النفس على احتذاء مثالها . وهي تطلب من مكتبة المنار

***

﴿ ابن تيمية ﴾

كتب الشيخ رضاء الدين افندي محرر مجلة (شورا) التي تصدر بلغة الترفي ارنبورغ من روسية ترجمة حافظ الشيخ الاسلام احمد تقي الدين بن تيمية وطبعها في كتاب على حدته فنحث أهل هذه اللغة على قراءتها لما نعلم من حسن اختيار الكاتب لما ينفع الناس

﴿ الدعوة الى الاصلاح ﴾

قد عرف قراء المنار من قبل اسم الشيخ محمد بن الخضر المدرس في جامع الزيتونة وفي المدرسة الصادقية بتونس وعرفوا انه من العلماء المصلحين بما كتبناه عن مسامرته (الحرية في الاسلام) وقد اهدانا بعد ذلك رسالة نفيسة له سماها (الدعوة الى الاصلاح) بين فيها وجه الحاجة الى الدعوة ، والدعوة في نظر الاسلام ، وشرائط الدعوة والاخلاص فيها وآدابها ، وآثار السكوت عنها ، والاذن في السكوت واسباب اهمالها ، وما يدعى الى إصلاحه ،

وقد بحث في هذه الفصول كلها بحث البصير المستقل ، نسأل الله ان ينفع به وبكثر في تلك البلاد وغيرها من امثاله ، ولعلنا ننقل بعض فصول رسالته في جزء آخر

﴿ صحف جديدة ﴾

(مجلة الطلبة المصريين) انشأ هذه المجلة ابراهيم صبحي افندي أحد الطلبة الاذكياء منذ ثلاث سنين فلم تصادف من الرواج ما كان ينتظر فاضطر الى ترك إصدارها. ثم اتفق مع طائفة من إخوانه على تأسيس شركة تتولى أمرها فأنفذوا ذلك، وقد صدر الجزء الاول من المجلة في طورها الجديد في أول جمادى الآخرة باسم صاحب الامتياز محمود بك سالم رئيس شركة مجلة الطلبة المصريين، والمدير والمسؤل ورئيس التحرير عبد الحميد حمدي افندي. والمجلة شهرية صفحات الجزء منها ٥٦ وقيمة الاشتراك فيها للمساهمين في شركتها ٢٠ قرشاً في السنة ولغير المساهمين من الطلبة ٣٠ ولسائر الناس ٤٠ وقدعلمنا ان كثيراً من أهل العلم وحملة الاقلام سيوالون المجلة بمقالاتهم المفيدة. وقد نقلنا عنها في الجزء الماضي مقالة محمود بك سالم (عليكم باللغة العربية سيدة اللغات) وفي هذا الجزء مقالة له في عددها الثاني عنوانها (السياحة المفيدة والعلم وأهله) ونحث أهل الفضل على الاقبال على هذه المجلة تنشيطا لناشئة البلاد وتقوية لعزيمتهم على هذا العمل النافع ونشراً لفوائد المجلة في البلاد

(الوطنية) جريدة اسبوعية أصدرها في بيروت الشيخ محمد القلقيلي ثم نقلها الى مصر وأذنت له الحكومة بنشرها فيها. وما عرفنا الرجل الا معتدلا حسن النية وقد كتب في الجرائد المصرية عدة سنين وفي الجرائد السورية سنتين فصار له خبرة بأحوال القطرين، وهو معروف فيهما بالامانة فهو جدير بأن يوثق به وتروج جريدته وهذا ما نتمناه له، وفقنا الله تعالى وإياه

(البلاغ) جريدة اسبوعية صدرت في بيروت مشربها النداء بالجامعة الاسلامية اصدرها محمد افندي الباقر ونصوحي افندي بكداش، وهذا المشرب الذي اختاراه هو المشرب الذي يستعذبه الكثيرون فعسى ان يوفق هذان الشابان الذكيان الى كل ما يجعل صحيفتهما في مكان الثقة التي تليق بموضوعها الجليل الدقيق لتبقى وتفيد

(المحامي) جريدة اسبوعية اصدرها في طرابلس الشام أحمد افندي سلطاني المحامي الذائع الصيت في اللواء بل في الولاية وما جاورها وستكون جريدته ممتازة بين اخواتها من جرائد الوطن بأهم ما يهم به القراء من إبراز الاخبار والآراء في قوالب من احكام الشرع ومواد القانون تزيد الثقة بها والأمن عليها من أحكام المحاكم. وقيمة الاشتراك السنوي فيها بمصر والبلاد الاجنبية ١٠ فرنكات نتمنى لها النجاح والبقاء

فقيد مصر

﴿ مصطفى رياض باشا ﴾

٢

قلنا ان رياض باشا فاق الاقران، وكان من نوابغ الزمان، بفطرته الزكية، واخلاقه الشريفة، وان من تلك الاخلاق والسجايا الاستقلال في الرأي والعمل، والابتكار والتصدي للاصلاح، الخ

كان هذا الرجل يعمل في عهد اسماعيل باشا وما قبله ما يمكنه ان يعمله من الاصلاح ومنع الظلم حتى كان يعرض نفسه للخطر وينقذه الله تعالى منه باخلاصه، واعتقاد أميره انه لا يستغني عن مثله في حكومته، وقد جمع اسماعيل مرة كبار رجاله واستشارهم في وضع ضريبة جديدة فوق تلك الضرائب الكثيرة فما منهم الا من اظهر الاستحسان وأبدى رأيه في كيفية وضعها وطريق تنفيذها، الا رياض باشا فانه ظل ساكتا حتى سأله اسماعيل لم لم يتكلم ؟ فقال ان عندي كذا فدانا عليها من الضرائب كذا وهو يزيد عن غلتها بقدر كذا فأدفع هذه الزيادة من راتبي. فالذي أراه ان حال الاهالي لا تحمل اكثر مما عليهم. ولما أمرهم الامير بالانصراف طفق بعض الباشوات يلكزون رياضا قبل ان يبرحوا الباب ويقولون مالك تعرض نفسك للهلاك؟ فقال لهم بصوت جهوري انني أرضى ان أعرض نفسي للهلاك ولا أعرض أهل البلاد كلهم له. وله وقائع متعددة من هذا القبيل ولذلك قال لورد كرومر انه هو الذي تجرأ على تعليق الجلجل في عنق الهر، يشير بهذا الى المثل العربي الذي نظمه لافونتين الافرنجي فيما نظمه من الحكم والامثال — ولما عز على فقيد مصر العمل بالاستقلال في آخر عهد اسماعيل وتعذر عليه الاتفاق معه هاجر من مصر الى أوربة وعزم على الاقامة فيها طول حياته أو تغير الحال، ولم يعد منها الا بعد سقوط اسماعيل وطلب توفيق باشا له ليتولى رياسة حكومته الجديدة

سقط اسماعيل باشا عن عرشه والبلاد على شفا جرف هار مما برح بها الظلم، ومانشأ عنه من الفقر والذل، والغرق في الدين بأخذهم المال من الاوربيين بالربا الفاحش أضعافا مضاعفة، فاراد توفيق باشا ان يري البلاد عصرا جديدا فوسد الامر الى رياض

باشا لعلمه بأنه رجل الهمة والاقدام والرغبة الصادقة في الاصلاح

قال الاستاذ الامام فيما كتبه من أسباب الثورة العرابية في سياق ذكر وزارة الفقيد وتأثيرها في البلاد ما نصه :

« حفظ رياض باشا لنفسه الى رياسة النظار نظارة الداخلية اصالة ونظارة المالية نيابة موقتة . كان ولا يزال رياض باشا يألف ادارة الامور الداخلية لعلمه انها روح السلطة الحقيقية في الحكومة وهي التي تشرف على أحوال الاهالي مباشرة وتتصل بأهم شؤونهم ، فيهمه ان يكون هو الآخذ بزمام تلك الادارة اعتقادا منه ان ذلك يمكنه من ان يعمل بنفسه ما هو خير للعامة ، اما نظارة المالية فقد استضمها الى وظائفه موقتا لان المشاكل المالية هي التي كانت أهم شيء يستدعي دقة الفكر وشدة الالتفات فاراد ان يكون المباشر لجميع المخابرات التي تحصل فيها خصوصا وله بها إلمام سابق لانه كان النائب عن الحكومة في لجنة التفتيش العليا

« قبض رياض باشا على ادارة الداخلية بيد شديدة وعزم ثابت . وأول شيء توجهت عزيمته الى محوه بسرعة تامة التسخير الشخصي

« ربما يسأل سائل ماهي السخرة الشخصية : التسخير في البلاد المصرية كان على نوعين التسخير باسم المنفعة العامة وهو إلزام الاهالي بالعمل مجانا بلا أجر فيما لابد منه لمصالح العامة كاقامة الجسور على الانهار العظيمة ، وحفر الجداول الكبيرة التي تستمد المياه منها بلاد كثيرة ، وتشييد كل بناء يقام بأمر الحكومة . والنوع الثاني هو إلزام الاعلياء لمن دونهم بالعمل في منافعهم الخاصة بدون أجرة ، ويسومونهم مع ذلك آلام الضرب والاهانة ان لم يؤدوا مافرضوه عليهم من تلك الاعمال الخاصة ، او ادوه وقصروا في تطبيقه على مافي نفس وكلاء اولئك الاعلياء ، أو أتوا به كما ينبغي وكما يريد الوكلاء ولكن كان الوكيل أو الناظر أو الخولي يشتهي أن يضرب لمجرد التلذذ بالضرب ، ولا يستثنى من ذلك موظف الا ان يكون في نهاية العجز الطبيعي بحيث لا يستطيع ان ينطق بكلمة « ارميه »(١) أو ان يحرك الكرباج بيده

« كان كل ذات من الذوات الفخام له بلاد تتعلق به يستخدم سكانها في أراضيه بأشخاصهم وماشيتهم في جميع مواسم الزراعة على شريطة ان يحمل العاملون ازوادهم وأقواتهم وأدوات العمل وغذاء ماشيتهم من ديارهم اذا كانت البلاد قريبة فان

(١) امر من الرمي بالياء على ما تنطق به العامة . أي ألقه على الارض لاجل الضرب

كانت بعيدة سمح لهم بغذاء الماشية فقط دون غذاء الآدميين ، ولكن لا يسمح لهم بأماكن تقي من البرد والمطر أيام الشتاء تبيت فيها العملة الذين يعملون له مجانا ، بل كانوا يبيتون كراديس في (الدوار) تحت السماء ، كما لا يسمح بمستظل يقيهم الحر أيام الصيف ، فالقر يقتلهم شتاء والحر يذيبهم صيفا ، والذوات الكريمة تجني ثمار أعمال الموتى وتتلذذ بما تطعم من أيديهم . وهكذا كان يصنع اصاغر موظفي الحكومة وعمد البلاد كل على حسب اقتداره في التسخير — العالي يسخر من دونه الى ان ينتهي كل استعباد وتذليل الى ادنى طبقة من الشعب

« ولا أريد بيان ما في هذه الحال من الاضرار المادية والعقلية والادبية ، فكل من استحق ان يسمي انسانا يعلم انها كانت ضربة قاضية على الحياة الوطنية والوجود الملي ، وقاتلة للشعور بالاستقلال الاداري الخاص بالنوع الانساني ، وزد على ذلك انها ما كانت تدع للفلاح وقتا يعمل فيه بأرضه فكانت اوقاته موزعة بين السخرة العمومية والسخرة الخصوصية ، فأوقات عمله لنفسه كانت خلسات بين هذه الاوقات ، فكيف كان يعيش ؟ لا أدري كيف بقي الفلاح حيا مع هذا لولا ما عرف من صبر المصريين على ان يعيشوا ؟

« ساعد رياض باشا على محو هذه الجريمة ما كان يظهر من ميل الجناب الخديوي الى العدل والتعفف عن دنيء الكسب ، فلذلك شدد ناظر الداخلية في أوامره الى المديرين وسائر المأمورين أن لا يأتوا عملا من ذلك ، وان لا يسمحوا لغيرهم أن يأتيه ، واظهر من الشدة في ذلك ما اخاف رجال الحكومة وغيرهم ، فاخذ على ايديهم وايدي الذوات بل وعلى ايدي الاغلب من عمد البلاد ، وفي مدة قريبة لم يبق أثر للتسخير الشخصي الا في بعض الاطراف على طريق الخفية والكتمان ونوع من الشفقة خوفا من الحاكم القوي . وبالغ رياض باشا في ذلك حتى انه آخذ مدير القليوبية مرة في ارسال بعض اشخاص من اهاليها لحفر الترعة التوفيقية التي تصل الى اراضي القبة لانها خاصة بالخديو ، ووبخ المدير توبيخا شديداً وعرض الامر على الخديو فاستحسنه ولكن لم يذهب بلا أثر في نفسه ، فان المبالغة في العدالة الى هذا الحد مما لا يلتئم مع السلطة العليا في مصر مهما كانت منزلة الحاكم من الكمال . فانظر ماذا يكون في نفوس اكابر رجال الحكومة السابقين بل والحاليين من رياض باشا بعد حرمانهم من منافع ابدان الرعية بغتة بلا تدريج ؟

« وبعد ذلك شرع رياض باشا في اجراء ما كانت اشارت به لجنة التفتيش العليا

(من الاجانب) من ابدال نظام السخرة بنظام آخر اضمن للعدل في توزيع ما يلزم للاعمال العمومية من منفعة أو عمل على المنتفعين بها وجمع لذلك كثيراً من الاعيان للاستعانة برأيهم ، ولكون الامر غريباً على اذهانهم لم يهتدوا فيه الى وجهة الصواب فانصرفوا ، ووضعت الحكومة نظاما حسبما هداها اليه رأيها يقضي بالتخيير بين دفع بدل نقدي ، وبين القيام بالعمل البدني ، واخذ في تنفيذه ولكن حالت دونه صعوبات كثيرة فمن الاغنياء من دفع البدل عن رجاله ثم اكرهوا بعد ذلك على العمل بابدانهم ، ومن الناس من أراد دفع البدل النقدي فلم يقبل منه وألزم بان يعمل بنفسه وذلك لعدم التعود على ايفاء الاعمال بطريقة المقاولات ، ومع ذلك فقد خف الويل بهذا النظام عن كثير من الفلاحين وشعروا بأن اوقاتهم ملك لهم ، ولكن كانوا يظنون ان ابدانهم وازمان حياتهم وهبت لهم من جانب ملاكها ، وما كان يخطر ببالهم انها كانت مسلوبة منهم ثم ردت اليهم ، ولذلك كنت تراهم يتعجبون وينقلون أخبار هذه القصة بالدهشة والاستغراب ، كأنه قد رسخ في نفوسهم ان ليس من شأن الحاكم ان يعدل فان طبيعة الحكم تقضي بالظلم .

« وهنا أورد حادثة تدل على شدة حرص رياض باشا في ذلك الوقت على ان تكون اعمال الفلاحين منحصرة فيما يعود عليهم بالمنفعة العامة والخاصة : هطل مطر غزير نشأ عنه سيل جرف جانبا من جسر سكة الحديد من خط السويس ، فكتبت مصلحة سكة الحديد العمومية الى مدير الشرقية — وكان فريد باشا — تستنهض همته في ارسال مئتي شخص لاصلاح الجسر ، فامر المدير بارسال العدد المطلوب في الحال واصلح الجسر ، ولم تأت مصلحة سكة الحديد ولم يفعل المدير الا بعض ماهو معهود في البلاد وما لم يكن يعده الاهالي شيئا نكرا ، خصوصا وقد كان الناس يفهمون ان أعمال السكك الحديدية من الاعمال العمومية . فلما بلغ الخبر رياض باشا استدعى أولا فريد باشا وعنفه اشد التعنيف مع ما هو معلوم بينهما من المحبة وشبه القرابة ، ولم يكتف بذلك بل امر بكتابة منشور عمومي لجميع المديرين فكتب المنشور عدة مرات وكلما قرأه لم يجده وافيا بغرضه — لعدم تعود الكتاب على التنويه بشأن الاهالي الى الدرجة المطلوبة له فيمزقه — وآخر الامر دعاني لتحرير ذلك المنشور فكتبته وذكرت فيه الحادثة ، واتذكر منه هذه الفقرة « وليعلم المديرون والاهالي جميعا ان الاهالي ليسوا عبيداً لاحد ولا لأحد عليهم سلطان الا فيما يتعلق بمنافعهم عامة أو خاصة » وهذا تصريح من رئيس الحكومة النائب عن الجناب الخديوي باعتاق

الاهالي من عبودية التسخير بل من العبودية للحاكم على وجه الاطلاق وهذا مما لم يعهد له مثل من قبل اهـ المراد هنا »

(المنار) هذا ما كتبه الاستاذ الامام في ابطال رياض باشا للسخرة . وفيه ما ترى من الفائدة التاريخية والعبرة

وسنذكر في النبذة التالية ما كتبه من أعماله الاصلاحية الاخرى كتوزيع مياه النيل بالقسط لري الارض ومساواته فيها بين الرؤساء والفلاحين ، والغاء الضرائب الكثيرة ، وابطاله استعمال الكرباج ، ومنعه الحبس لتحصيل الحقوق الاميرية والشخصية ، وغير ذلك من أعماله الجليلة

﴿ سوء التفاهم بيننا وبين اصحاب مجلة دين ومعيشت ﴾

تكلمت مجلة دين ومعيشت فيما رددنا به عليها في الجزء الرابع وقالت انه ليس ردا عليها بل على ذلك التتري الذي ترجم لنا عبارتها ترجمة غير صحيحة ، وجزمت بأنه كان متعمدا لذلك وساعيا بالفساد . وكان لها ان تلتمس له عذرا بضعفه في الكتابة العربية . وقالت ان تذييلها ما كانت نقلته عن الجزء الاول من المنار لم يكن للتردد في صدقه ولا للرغبة في تكذيب طلعت بك لاقوال المنار « بل كان هذا ليتأكد صدق المنار فان غاية ماتمنيناه هي بعينها ماتمناه صاحب المنار في هذه المسألة ، فلهذا لما طالعنا ماأورده صاحب المنار وانه غير موجه الينا واطلعنا على بشارته بقرار طلاب الاصلاح المقاومين لاولئك الزعماء بابطال المحافل الماسونية من عاصمة الآستانة انشرحت صدورنا وانكشفت همومنا شرحا وكشفا لا نقدر قدره ، وهذه البشارة لاتعدلها ولا تكافئها الدنيا وما فيها فلله الحمد وله المنة »

ثم قالت « وأما نحن اصحاب مجلة دين ومعيشت بحمد الله تعالى مسلمون ولسنا بكاهنين ولا متكهنين ، فان الكاهن عدو الله وكافر بالاجماع فكيف المتكهن ؟

« فباقرار منا على فضيلة صاحب مجلة المنار لانلتزم الاتباع له في كل ما كتبه وبسطه ، فان كان هو حقا في اعتقادنا ووافق لما سبرناه وسلكناه كما هو في مسألة التياترو صدقناه واتبعناه وان كان غير ذلك كما في مسألة الحجاب رددناه أو سكتنا . وهذه سنة الله في الذين خلوا من قبل »

المنار: ان الخلاف يقع بين الناس بسوء الفهم، اكثر مما يقع بسوء القصد، ولو كنا نكتب نحن واصحاب هذه المجلة بلغة واحدة لسهل الاتفاق بيننا مع حسن النية في كل شيء. واني رأيت في عبارتهم العربية ضعفاء فأخشى ان خلافهم للمنار في بعض المسائل جاء من ذلك. مثال ذلك أنهم ههنا جزموا بأن المتكهن اجدر من الكاهن بالاجماع على كفره وهم يشيرون بهذا الى قولنا ان مجلتهم « تكهنت في استنباط الباعث » على ما كتبناه. قال في الاساس « وتكهن قال مايشبه قول الكهنة » وبهذا المعنى يستعمل هذا اللفظ في مصر وغيرها من البلاد العربية، ومن قال مايشبه قول الكهنة في الاخبار عما لا يقوم عليه دليل ظاهر كالكلام عن نية إنسان او مقصده لايكون كاهنا ولا يكون حكمه حكم الكاهن (ولا نبحث هنا في حكمه) فهل يصح ان يكون أولى من الكاهن فيما يحكم به عليه؟ لا. ولا يبعد ان يكون فهمهم لما قلناه في مسألة الحجاب كفهمهم لهذه الكلمة. وانا لا نطالبهم باتباع المنار في شيء قط بل باتباع الحق اذا ظهر دليله سواء وافق ما كانوا عليه من قبل أم لا فان الحق احق ان يتبع وفقنا الله واياهم لاتباعه في كل حال وكل آن

وأما سرور أصحاب هذه المجلة من قيام صادق بك ومن معه لاصلاح ما أفسده غيرهم فيشاركهم فيه اكثر العثمانيين وجميع المسلمين الذين يغارون على هذه الدولة لأنها إسلامية، ولا يرضون ان يكون سلطانها (إمبراطورا) لا (خليفة). ولا ندري أيتم السرور ام لا فان اولئك الزعماء يجمعون أمرهم الآن ليستعيدوا نفوذهم. وقد وصلوا بالدولة الى حيث صارت أوربة تنذرها بالقضاء عليها، ونسأل الله السلامة وحسن العاقبة

﴿ جمعية الاتحاد، ومشروع العلم والارشاد ﴾

علم المركز العمومي لجمعية الاتحاد والترقي ان مسلمي الآستانة ساخطون على الجمعية لمنعها تنفيذ مشروع العلم والارشاد فيها، وكذا غيرهم، فارسل الى جميع اندية الجمعية بلاغا يعتذر فيه عن ذلك مدعيا انه كان عين مندوبين من اعضاء الجمعية في الآستانة ليبحثوا مع صاحب المشروع في حقيقته وهذان المندوبان كتبا الى المركز العمومي بأن رأيهما عدم تنفيذ المشروع لاسباب تتعلق بشخص مقترحه ..

سخر المركز من أنديته وغشها بهذا البلاغ والحق ان الجمعية لم تنفذ المشروع لامرين (أحدهما) ان من اصوله ان يكون تعليم المرشدين باللغة العربية، ويعدون التركية إلزاما، وثانيهما ان مقصده حياة الدين بمعزل عن السياسة. والا فان جمعية المشروع قد تأسست والمقترح قد ترك الاستانة يائسا من العمل فيها فلينفذوا المشروع بأنفسهم ان كانوا صادقين.

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر ـ الخميس سلخ شعبان ١٣٢٩ ـ ٢٤ اغسطس (آب) سنة ١٢٨٩ هـ ش ١٩١١ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٨٧ : ٩٠) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا
كَسَبُوا، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ
لَهُ سَبِيلًا (٨٨ : ٩١) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً،
فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
(٨٩ : ٩٢) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ

جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (٨٩ : ٩٣) ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ، كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها ، فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا

ابتدأ هذه الآيات بالفاء لوصلها بما سبقها اذ السياق لا يزال جاريا في مجراه من أحكام القتال وذكر شؤون المنافقين والضعفاء فيه ، ومن المنافقين من كان ينافق باظهار الاسلام فتخونه أعماله كما تقدم ،ومنهم من كان ينافق باظهار الولاء للمؤمنين والنصر لهم وهم بعض المشركين (وكذا بعض اهل الكتاب) وهذه الآيات في المنافقين في إبان الحرب باظهار الولاء والمودة او الايمان في غير دار الهجرة

ورد في اسباب نزولها روايات متعارضة: روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد فرجع ناس كانوا خرجوا معه فكان اصحاب رسول الله « ص » فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا فانزل الله تعالى « فما لكم في المنافقين فئتين » واخرج سعيد بن منصور وابن ابي حاتم عن سعد بن معاذ قال خطب رسول الله (ص) الناس فقال « من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني » فقال سعد بن معاذ : إن كان من الأوس قتلناه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك . فقام سعد بن عبادة فقال مالك يا ابن معاذ طاعة رسول الله « ص » ولقد عرفت ما هو منك ، فقام أسيد بن خضير فقال انك يا ابن عبادة منافق وتحب المنافقين ، فقام محمد بن سلمة فقال : اسكتوا أيها الناس فان فينا رسول الله (ص) وهو يأمرنا فننفذ أمره . فانزل الله « فما لكم في المنافقين

فئتين » الآية . واخرج احمد عن عبد الرحمن بن عوف أن قوما من العرب أتوا رسول الله (ص) بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة وحماها فأركسوا وخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من الصحابة فقالوا لهم مالكم رجعتم ؟ قالوا أصابنا وباء المدينة فقالوا : اما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟، فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم لم ينافقوا . فانزل الله الآية ، وفي اسناده تدليس وانقطاع اه من لباب النقول للسيوطي والمراد بالذي يؤذي النبي في حديث سعد بن معاذ هو عبد الله بن ابي رئيس المنافقين وما كان منه في قصة الافك . وروي عن ابن عباس وقتادة انها نزلت في قوم بمكة كانوا يظهرون الاسلام ويعينون المشركين على المسلمين. ورجحها بعضهم حتى على رواية الشيخين بذكر المهاجرة في الآية الثانية ،

روى ابن جرير في التفسير عن ابن عباس بعد ذكر سنده من طريق محمد بن سعد: قوله (فما لكم في المنافقين فئتين) وذلك ان قوما كانوا بمكة قد تكلموا بالاسلام وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا ان لقينا اصحاب محمد عليه السلام فليس علينا منهم باس وان المؤمنين لما أخبروا خرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم قالت فئة من المؤمنين اركبوا الى الخبثاء فاقتلوهم فانهم يظاهرون عليكم عدوكم . وقالت فئة اخرى من المؤمنين سبحان الله - او كما قالوا - تقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من اجل انهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم ، تستحل دماؤهم واموالهم لذلك ؟ ! فكانوا كذلك فئتين والرسول عليه السلام عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء فنزلت . وذكر الآية . وهذا لا يدل على ان اولئك القوم قد اسلموا بالفعل كما توهمه عبارة بعض الناقلين . وروى ابن جرير عن معمر بن راشد قال بلغني أن ناسا من أهل مكة كتبوا الى النبي (ص) انهم قد أسلموا وكان ذلك منهم كذبا ، فلقوهم فاختلف فيهم المسلمون فقالت طائفة دماؤهم حلال ، وقالت طائفة دماؤهم حرام ، فانزل الله الآية

وروى ايضا عن الضحاك قال هم ناس تخلفوا عن نبي الله (ص) وأقاموا بمكة وأعلنوا الايمان ولم يهاجروا فاختلف فيهم اصحاب رسول الله (ص) فتولاهم ناس وتبرأ من ولايتهم آخرون ، وقالوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يهاجروا فسماهم الله منافقين و برأ المؤمنين من ولايتهم وامرهم ان لايتولوهم حتى يهاجروا

ثم ذكر ابن جرير روايات من قال إنها نزلت في منافقين كانوا في المدينة وارادوا الخروج منها معتذرين بالمرض والتخمة ومن قال انها نزلت في أهل الافك ثم رجح قول من قالوا انها نزلت في قوم من مكة ارتدوا عن الاسلام بعد اسلامهم لذكر الهجرة في الآية

ومن المعهود انهم يجمعون بين الروايات في مثل هذا بتعدد الوقائع ونزول الآية عقبها ، ولا يمنعهم من هذا ان يكون بين الوقائع تراخ وزمن طويل ، وأقرب من ذلك ان يحملها كل على واقعة يرى انها تنطبق عليها من باب التفسير لا التاريخ ، ولكن من الروايات ما يكون نصا او ظاهرا في التاريخ وتعيين الواقعة ، الا ان تكون الرواية منقولة بالمعنى كما هو الغالب وحينئذ تكون الرواية في سبب النزول ليست اكثر من فهم للمروي عنه في الآية ورأي في تفسيرها يخطئ فيه ويصيب ، ولا يلزم أحدا ان يتبعه فيه ، بل لمن ظهر له خطؤه ان يرده عليه ولاسيما اذا كان ما يتبادر من معنى الآيات يأباه . وقد رأيت ان بعضهم رد رواية الصحيحين في جعل المراد بالمنافقين هنا فئة عبدالله بن ابي بن سلول الذين رجعوا عن القتال في أحد واستدلوا بما رأيت من ذكر المهاجرة في الآية الثانية ، ويمكن تأويل هذا اللفظ بما تراه . واقوى منه في رد هذه الرواية وما دونها في قوة السند من سائر الروايات التي جعلت الآية في منافقي المدينة ان الأحكام التي ذكرت في هذه الآيات لم يعمل النبي (ص) بها في أحد فيمن قالوا انها نزلت فيهم وهو قتلهم حيثما وجدوا بشرطه ، وهذه آية من آيات صد بعض الروايات الصحيحة السند عن الفهم الصحيح الذي يتبادر من الآيات بلا تكلف ، ورجح ابن جرير وغيره رواية ابن عباس (رض) في نزول هذه الآية في اناس كانوا بمكة يظهرون الاسلام خداعا للمسلمين و ينصرون المشركين. وقال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى انها نزلت في المنافقين في الولاء والمحالفة وهذه عبارته في الدرس: الفاء في قوله تعالى ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ﴾ تشعر بارتباط الآية بما قبلها ، وزعم بعضهم ان الفاء للاستفهام

وهذا لا معنى له وانما يخترع الجاهل تعليلات ومعاني لما لا يفهمه (وقد يخترع الروايات كما صرح به في غير موضع) فالآية مرتبطة بما قبلها اشد الارتباط اذ الكلام السابق كان في احكام القتال حتى ما ورد في الشفاعة الحسنة والسيئة ، وقد ختمه بقوله « الله لا اله الا هو الخ » اي لا إله غيره يخشى ويخاف أو يرجى فتترك تلك الاحكام لاجله ، ثم جاء بهذه الآيات موصولة بما قبلها بالفاء وهي تفيد تفريع الاستفهام الانكاري فيها على ما قبله ، اي اذا كان الله تعالى قد أمركم بالقتال في سبيله وتوعد المبطئين عنه والذين تمنوا تأخير كتابته عليهم واذا كان لا إله غيره فيترك أمره وطاعته لاجله ـ فما لكم تترددون في امر المنافقين وتنقسمون فيهم الى فئتين؟

(قال) والمنافقون هنا غير من نزلت فيهم آيات البقرة وسورة المنافقين وامثالهن من الآيات، المراد بالمنافقين هنا فريق من المشركين كانوا يظهرون المودة للمسلمين والولاء لهم وهم كاذبون فيما يظهرون ، ضلعهم مع امثالهم من المشركين، ويحتاطون في اظهار الولاء للمسلمين اذا رأوا منهم قوة ، فاذا ظهر لهم ضعفهم انقلبوا عليهم واظهروا لهم العداوة . فكان المؤمنون فيهم على قسمين منهم من يرى أن يعدوا من الاولياء ويستعان بهم على سائر المشركين المحادين لهم جهرا ، ومنهم من يرى ان يعاملوا كما يعامل غيرهم من المجاهرين بالعداوة (وعبارته ممن لاينافق) فانكر الله عليهم ذلك وقال ﴿ والله أركسهم بما كسبوا ﴾ أي كيف تتفرقون في شأنهم والحال ان الله تعالى أركسهم وصرفهم عن الحق الذي انتم عليه بما كسبوا من أعمال الشرك والمعاصي حتى انهم لا ينظرون فيه نظر إنصاف وإنما ينظرون اليكم وما انتم عليه نظر الاعداء المبطلين ويتربصون بكم الدوائر اه ما نقلناه عن الدرس وليس عندنا عنه هنا شيء آخر

أقول الركس بفتح الراء مصدر ركس الشيء يركسه (بوزن نصر) اذا قلبه على رأسه أو رد آخره على أوله، يقال ركسه وأركسه فارتكس . قال في اللسان بعد معنى ماذكر : وقال شمر بلغني عن ابن الاعرابي انه قال المنكوس والمركوس المدبر عن حاله والركس ردّ الشيء مقلوبا اه ويظهر انه مأخوذ من الركس (بكسر الراء) وهو كما في اللسان شبيه بالرجيع ، واطلق في الحديث على الروث . والحاصل ان الركس والاركاس شر ضروب التحول والارتداد وهو ان يرجع الشيء منكوسا

على رأسه ان كان له رأس أو مقلوبا أو متحولا عن حالة الى أردأ منها كتحول الطعام والعلف الى الرجيع والروث، والمرادهنا تحولهم الى الغدر والقتال أو الى الشرك .
وقد استعمل في الآية في التحول والانقلاب المعنوي أي من إظهار الولاء والتحيز الى المسلمين الى إظهار التحيز الى المشركين ، وهو شر التحول والارتداد المعنوي كأن صاحبه قد نكس على رأسه وصار يمشي على وجهه (٦٧ : ٢٢ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم) ومن كانت هذه حاله في ظهور ضلالته في أقبح مظاهرها لا ينبغي أن يرجو أحد من المؤمنين نصر الحق من قبله ولا ان يقع الخلاف بينهم وبين سائر اخوانهم في شأنه

وقد اسند الله تعالى هذا الاركاس اليه وقرنه بسببه وهو كسب أولئك المركوسين للسيئات والدنايا من قبل حتى فسدت فطرتهم وأحاطت بهم خطيئتهم فأوغلوا في الضلال وبعدوا عن الحق حتى لم يعد يخطر على بالهم ولا يجول في أذهانهم الا الثبات على ماهم فيه ومقاومة ماعداه ، مقاومة ظاهرة عند القدرة ، وخفية عند العجز ، هذا هو أثر كسبهم للسيئات في نفوسهم وهو أثر طبيعي ، وانما اسنده الله تعالى اليه لانه ما كان سببا الا بسنته في تأثير الاعمال الاختيارية في نفوس العاملين خيرها في الخير وشرها في الشر . وهذا هو معنى قوله ﴿ أتريدون أن تهدوا من اضل الله ؟ ﴾ وهو استفهام انكار معناه ليس في استطاعتكم أن تغيروا سنن الله في نفوس الناس ، فتنالوا منها ضد مايقتضيه ماانطبع فيها من الاخلاق والصفات ، بتأثير ما كسبته طول عمرها من الاعمال ، ﴿ ومن يضلل الله ﴾ أي من تقضي سنته تعالى في خلقه بأن يكون ضالا عن طريق الحق ﴿ فلن تجد له سبيلا ﴾ يصل بسلوكها اليه فان للحق سبيلا واحدة وهي صراط الفطرة المستقيم ، وللباطل سبلا كثيرة عن يمين سبيل الحق وشمالها كل من سلك سبيلا منها بعد عن سبيل الحق بقدر إيغاله في السبل التي سلكها (٦ : ١٥٣ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ولما تلا النبي (ص) هذه الآية وضح معناها بالخطوط الحسية فخط في الأرض خطا جعله مثالا لسبيل الله وخط على جانبيه خطوطا

لسبل الشيطان ، ومن المحسوس الذي لايحتاج الى ترتيب الاقيسة للاستدلال أن غاية خط من تلك الخطوط لاتلتقي بغاية الخط الاول

قلت ان سبيل الحق هي صراط الفطرة ، وبيان هذا ان مقتضى الفطرة ان يستعمل الانسان نظره في كل مايعرض له في حياته ويتبع فيه مايظهر له بعد النظر والبحث انه الحق الذي باتباعه خيره ومنفعته العاجلة والآجلة وكماله الانساني على قدر علمه بالحق والخير والكمال ، ومن مقتضى الفطرة ان يبحث الانسان دائما ويطلب زيادة العلم بهذه الامور . ولا يصده عن هذا الصراط المستقيم شيء كالتقليد والغرور بما هو عليه وظنه أنه ليس وراءه خير له منه وأنفع وأكمل ، أولئك الذين يقطعون على أنفسهم طريق العقل والنظر ، والتمييز بين الخير والشر ، والنفع والضر ، والحق والباطل ، فيكونون أتباع كل ناعق ، ويسلكون مالايحصى من السبل وأن ادعى كل منهم الانتساب الى زعيم واحد ، وشبهتهم على ترك صراط الفطرة ان عقولهم قاصرة عن التمييز بين الحق والباطل والخير والشر ، وأنهم اتبعوا من بلغهم من آبائهم ومعاشريهم أنهم كانوا أقدر منهم على معرفة ذلك وبيانه ، والحق الواقع انهم لا يعلمون حقيقة ما كان عليه أولئك الزعماء ولا شيئا يعتد به من علمهم ، وانما يتبعون ماوجدوا عليه آباءهم من الثقة بزعماء عصرهم ولو كان آباؤهم وزعماؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومن قطع على نفسه طريق النظر ، وكفر نعمة العقل ، لايمكن إقامة الحجة عليه ، ولذلك قال تعالى « ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » فان « سبيلا » نكرة في سياق النفي تفيد العموم كأنه قال من ترك سبيل الله وهي اتباع الفطرة باستعمال العقل كان من سنة الله ان يكون ضالا طول حياته اذ لاتجد له سبيلا أخرى يسلكها فيهتدي بها الى الحق

﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ اي ان هؤلاء المنافقين الذين ترجون نصرهم لكم وتطمعون في هدايتهم ، ليسوا من الكفار القانعين بكفرهم الغافلين عن غيرهم بل هم يودون لو تكفرون ككفرهم وتكونون مثلهم سواء ، ويقضى على الاسلام الذي أنتم عليه ويزول من الارض ، ﴿ فلا تتخذوا منهم اولياء حتى

يهاجروا في سبيل الله ﴾ اي فلا تتخذوا منهم أنصارا لينصروكم على المشركين حتى يهاجروا اليكم ويتحدوا بكم، لان المؤمن الصادق لايدع النبي ومن معه من المؤمنين عرضة للخطر ولا يهاجروا اليهم لينصرهم الا للعجز. فترك الهجرة مع القدرة عليها دليل على نفاق اولئك المختلف فيهم. والاستاذ الامام يقدر هنا «حتى يؤمنوا و يهاجروا» وكانت الهجرة لازمة للايمان لزوما بينا مطردا فلذلك استغني بذكرها عن ذكره إيجازا. ومن جعل الآيات في المنافقين في الدين من أهل المدينة وما حولها جعل المهاجرة هنا من باب حديث «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» وهو بعيد جدا. ومعنى الحديث ان المهاجر الكامل من كان كذلك.

ويرد ما قالوه كما سبق التنبيه اليه قوله تعالى ﴿ فان تولوا ﴾ اي اعرضوا عن الايمان والهجرة ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولاتتخذوا منهم وليا ولانصيرا ﴾ ولا يجوز بحال أن يكون المراد أن الذين لا يهجرون ما نهى الله عنه يقتلون حيث وجدوا. وما سمعنا ان النبي (ص) قتل احدًا من المنافقين في الايمان بذنبه بل كان يهم الرجل من اصحابه بقتل المنافق فيمنعه وان ظهر المقتضي لئلا يقال ان محمدا يقتل اصحابه. ولا يظهر هذا التعليل في اولئك المنافقين الذين كانوا بمكة ينصرون المشركين، واما المنافقون في الولاء فالامر بقتالهم اظهر فقد كانوا يعاهدون فيفي لهم المسلمون وهم يغدرون، ويستقيم المسلمون على عهدهم وهم ينكثون، ولم يأمرهم الله تعالى بمعاملتهم بما يستحقون الا بعد تكرار ذلك منهم، لانه تعالى جعل الوفاء من صفات المؤمنين بمثل قوله (١٣ : ٢٢ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) واكد حفظ ميثاقهم حتى انه حرم نصر المؤمنين غير الذين مع رسوله عليهم بقوله (٨ : ٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق) وقد بين أحكامهم وأحكام امثالهم مفصلة هنا وفي أول سورة التوبة وهي صريحة في علة الامر بقتالهم وهي غدرهم وتصديهم لقتال المسلمين، وقد جعل هذه العلة من قبيل الضرورة تقدر بقدرها، ولذلك عقب نهيه عن اتخاذ ولي أو نصير منهم بقوله

﴿ الا الذين يصلون الى قوم بينكم و بينهم ميثاق ﴾ الخ ذهب ابومسلم الى ان هذا استثناء من المؤمنين الذين لم يهاجروا قال كما نقل عنه الرازي: لما اوجب الله الهجرة على كل من اسلم استثنى من له عذر «فقال الا الذين يصلون» وهم قوم من المؤمنين قصدوا الرسول للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم من الكفار من يخافونه فصاروا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق واقاموا عندهم ينتهزون الفرصة لإمكان الهجرة، واستثنى أيضا من صاروا الى الرسول والمؤمنين ولكن لا يقاتلون المسلمين ولا يقاتلون الكفار معهم لانهم أقاربهم أو لانهم تركوا فيهم أولادهم وازواجهم فيخافون ان يفتكوا بهم اذا هم قاتلوا مع المسلمين. وقد ابعد أبو مسلم في هذا اذ لا يظهر معنى لنفي قتال المسلمين للنبي ومن معه، ولا لامتنان الله تعالى عليهم بأنه لم يسلطهم عليهم

وذهب الجمهور الى أن الذين استثناهم الله تعالى هم من الكفار وكانوا كلهم حربا للمؤمنين يقتلون كل مسلم ظفروا به اذا لم يمنعه أحد فشرع الله للمؤمنين معاملتهم بمثل ذلك وان يقتلوهم حيث وجدوهم الا من استثنى.

ونقول ان الكلام في المنافقين الذين في دار الشرك لا في دار الهجرة سواء كان نفاقهم بدعوى الاسلام أو بالولاء والعهد، وقد أركسهم الله وأظهر نفاقهم وشدة حرصهم على ارتداد المسلمين كفارا مثلهم، واذن بقتلهم اينما وجدوا لأنهم يغدرون بالمسلمين فيوهمونهم انهم معهم، ويقتلونهم اذا ظفروا بهم، واستثنى منهم من تؤمن غائلتهم بأحد أمرين: احدهما ان يصلوا وينتهوا الى قوم معاهدين للمسلمين فيدخلوا في عهدهم ويرضوا بحكمهم، فيمتنع قتالهم مثلهم، وثانيهما أن يجيئوا المسلمين مسالمين لا يقاتلونهم ولا يقاتلون قومهم معهم بل يكونون على الحياد وهذا هو

قوله تعالى ﴿ اوجاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ﴾ أي جاءوكم قد ضاقت صدورهم عن قتالكم وعن قتال قومهم فلا تنشرح لاحد الامرين. ولا يظهر هذا ظهورا بينا لا تكلف فيه الا على قول الاستاذ الامام ان نفاقهم كان بالولاء، فهم لا يقاتلون المسلمين حفظا للعهد ولا يقاتلون قومهم لانهم قومهم. وقبول

عذر الفريقين موافق للاصل الذي تقدم في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) فيالله ما أعدل القرآن ، وما أكرم اصول الاسلام ،

ولما كان الكف عن هؤلاء مما قد يثقل على المسلمين لما جرت عليه عادة العرب من الشدة في أمر المعاهدين والمحالفين وتكليفهم قتال كل أحد يقاتل محالفيهم ولو كانوا من الاهل والاقربين قال تعالى مخففا ذلك عنهم ومؤكدا أمر منع قتال المسالمين ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ أي ان من رحمته تعالى بكم أن كف عنكم بأس هاتين الفئتين وصرفهم عن قتالكم ولو شاء ان يسلطهم عليكم لسلطهم فلقاتلوكم ، وذلك بأن يسوق اليهم من الاخبار ويلهمهم من الآراء ما يرجحون به ذلك . ولكنه بتوفيقه ونظامه في الاسباب والمسببات وسننه في الافراد وحال الاجتماع ، جعل الناس في ذلك العصر أزواجا ثلاثة :(١) السليمو الفطرة الاقوياء الاستقلال وهم الذين سارعوا الى الايمان ـ (٢) المتوسطون وهم الذين رجحوا مسالمة المسلمين فلم يكونوا معهم من أول وهلة ولا أشداء عليهم ـ (٣) الموغلون في الضلال والشرك والراسخون في التقليد والمحافظة على القديم وهم المحاربون . واذا كان وجود هؤلاء المسالمين بمشيئته الموافقة لحكمه وسننه فلا يثقل عليكم اتباع أمره بترك قتالهم ﴿ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ أي فان اعتزلكم أولئك الذين يمتون اليكم باحدى تينك الطريقتين فلم يقاتلوكم ، وألقوا اليكم السلم أي رموا لكم واعطوكم زمام أمرهم في المسالمة فما جعل الله لكم طريقا تسلكونها الى الاعتداء عليهم ، فان أصل شرعه الذي هداكم اليه ان لا تقاتلوا الا من يقاتلكم ، ولا تعتدوا الا على من اعتدى عليكم

وفي الآية من الاحكام (على قول من قالوا انهم كانوا مسلمين أو مظهرين للاسلام ثم ارتدوا) أن المرتدين لا يقتلون اذا كانوا مسالمين لا يقاتلون ، ولا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد فيجعل ناسخا لقوله « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم » الخ نعم ثبت في الحديث الصحيح الامر بقتل من بدل دينه وعليه الجمهور ، وفي نسخ القرآن بالسنة الخلاف المشهور . ويؤيد الحديث عمل الصحابة .

وقد يقال ان قتالهم للمرتدين في أول خلافة ابي بكر كان بالاجتهاد فانهم قاتلوا من تركوا الدين بالمرة كطيء واسد، وقاتلوا من منع الزكاة من تميم وهوازن . لأن الذين ارتدوا صاروا الى عادة الجاهلية حربا لكل أحد لم يعاهدوه على ترك الحرب . والذين منعوا الزكاة كانوا مفرقين لجماعة الاسلام ثائرين لنظامهم، والرجل الواحد اذا منع الزكاة لايقتل عند الجمهور

أما قول من قال : المراد بالمنافقين هنا العرنيون . ففيه أن قتل العرنيين كان لمخادعتهم وغدرهم وقتلهم راعي الابل التي اعطاهم النبي (ص) وتمثيلهم به . على ان هذا القول واهٍ جدا لأن العرنيين لا يأتي فيهم التفصيل الذي في الآيات ، ولكن من هم هؤلاء؟

روى ابن ابي حاتم وابن مردويه عن الحسن ان سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل بدر وأحد واسلم من حولهم قال سراقة بلغني انه عليه الصلاة والسلام يريد ان يبعث خالد بن الوليد الى قومي من بني مدلج فأتيته فقلت أنشدك النعمة ، فقالوا مه ، فقال « دعوه ، ما تريد ؟ » قلت بلغني انك تريد ان تبعث الى قومي وأنا أريد ان توادعهم فان اسلم قومك اسلموا ودخلوا في الاسلام وان لم يسلموا لم تخش بقلوب قومك عليهم . فأخذ رسول الله (ص) بيد خالد فقال « اذهب معه فافعل ما يريد » فصالحهم خالد على ان لا يعينوا على رسول الله (ص) وان اسلمت قريش اسلموا معهم ومن وصل اليهم من الناس كان له مثل عهدهم . فأنزل الله تعالى « ودوا ـ حتى بلغ ـ الا الذين يصلون » فكان من وصل اليهم كانوا معهم على عهدهم . اهـ من لباب النقول وعزا الآلوسي هذه الرواية إلى ابن ابي شيبة . وروى ابن جرير عن عكرمة انه قال نزلت في هلال ابن عويمر الاسلمي وسراقة بن مالك بن جعشم وخزيمة بن عامر بن عبد مناف اهـ من تفسيره . وعزا السيوطي هذه الرواية في اللباب الى ابن ابي حاتم فقط ثم قال وأخرج ايضا عن مجاهد انها انزلت في هلال بن عويمر الاسلمي وكان بينه و بين المسلمين عهد وقصده ناس من قومه فكره ان يقاتل المسلمين وكره ان يقاتل قومه .

وقال الرازي تبعا للكشاف ان النبي (ص) وادع وقت خروجه الى مكة

هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعصيه ولا يعين عليه، وعلى ان كل من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل مالهلال

وهذه الروايات كلها ترد ماذكره السيوطي في أسباب نزول الآية الاولى صحيحة السند وضعيفه وتؤيد ماقاله الاستاذ الامام في كون المنافقين في هذا السياق هم المنافقين في العهد والولاء .

﴿ ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴾ هؤلاء فريق من الذين لم يهتدوا بالاسلام ، ولم يتصدوا الى مجالدة أهله بحد الحسام ، فكانوا مذبذبين بين المؤمنين والكافرين ، لا يهمهم الاسلامة ابدانهم ، والأمن على أرواحهم وأموالهم ، فهم يظهرون لكل من المتحاربين أنهم منهم أو معهم ، روى ابن جرير عن مجاهد أنهم ناس كانوا يأتون النبي (ص) فيسلمون رياء فيرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا ، فأمر بقتالهم ان لم يعتزلوا ويصلحوا اه

وروى عن ابن عباس أنه قال : كلما أرادوا ان يخرجوا من فتنة اركسوا فيها وذلك ان الرجل منهم كان يوجد قد تكلم بالاسلام فيقرّب الى العود والحجر والى العقرب والخنفساء فيقول المشركون له قل هذا ربي للخنفساء والعقرب.

وروى عن قتادة أنهم حي كانوا بتهامة قالوا يانبي الله لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا وارادوا أن يأمنوا نبي الله ويأمنوا قومهم فأبى الله ذلك عليهم فقال « كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها » يقول كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه . وروى عن السدي انها نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي وكان يأمن في المسلمين والمشركين ينقل الحديث بين النبي (ص) والمشركين . ولا يبعد أن يكون كل من ذكر من هذا الفريق وان يكون منهم غير من ذكر

ونزيد في بيان معنى قوله ﴿ كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها ﴾ أنهم كانوا يريدون أن يأمنوا جانب المسلمين إما باظهار الاسلام وإما بالعهد على السلم وترك القتال ومساعدة الكفار على المؤمنين – ثم يفتنهم المشركون أي يحملونهم على الشرك أو على مساعدتهم على

قتال المسلمين وهو الإركاس فيرتكسون أي فيتحولون شر التحول معهم ، ثم يعودون الى ذلك النفاق والارتكاس المرة بعد المرة، أي فهم قد مردوا على النفاق فلا ينبغي أن يختلف المؤمنون في شأنهم ، وقد بين الله حكمهم بقوله :

﴿ فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ أي فان لم يعتزلوكم بترككم وشأنكم والتزامهم الحياد، ويلقوا اليكم السلم أي زمام المسالمة بالصفة التي تثقون بها حتى كأن زمامها في ايديكم ، (وفسره بعضهم بالصلح) ويكفوا ايديهم عن القتال مع المشركين أو عن الدسائس ، – ان لم يفعلوا ذلك ويؤمن به غدرهم وشرهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ، اذ ثبت بالاختبار أنه لاعلاج لهم غير ذلك ، فقد قامت الحجة لكم على ذلك .

وذلك قوله تعالى ﴿ واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ أي حجة واضحة وبرهانا ظاهرا على قتالهم ، فقد روي عن غير واحد ان السلطان في كتاب الله تعالى هو الحجة .

وهذا يقابل قوله تعالى في من اعتزلوا وألقوا السلم « فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » وكل من العبارتين تؤيد الاخرى في بيان كون القتال لم يشرع في الاسلام إلا للضرورة ، وان هذه الضرورة تقدر بقدرها في كل حال

قال الرازي قال الأكثرون وهذا يدل على انهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا أيديهم عن قتالنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم ، ونظيره قوله تعالى « لاينها كم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم . . . » وقوله « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا » فخص الامر بالقتال بمن يقاتلنا دون من لم يقاتلنا اه

والظاهر انه يعني بمقابل الأكثرين من يقول ان في الآيات نسخا . ولا يظهر النسخ فيها الا بتكلف فما وجه الحرص على هذا التكلف ؟ ويأتي في هذه الآية ما ذكرناه عقب التي قبلها في قتل المرتدين وغيرهم

ومن مباحث اللفظ في الآيات ان الفاء في قوله تعالى « فتكونون سواء » للعطف لا للجواب كقوله « ودوا لو تدهن فيدهنون » وقوله « أو جاءوكم حصرت

صدورهم » معطوف على الذين يصلون ، والتقدير أو الذين جاءوكم قد حصرت صدورهم ، وقرىء في الشذوذ « حصرة صدورهم » وعندي انه تفسير للجملة بالحال لا قراءة

وقد فسر بعضهم « الا الذين يصلون الى قوم » بصلة النسب ورده المحققون قائلين ان كفار قريش الذين يتصل نسبهم بنسب النبي (ص) لم يمتنع قتالهم بل كان أشد القتال منهم وعليهم فكيف يمتنع قتال من اتصل بالمعاهدين بالنسب ؟ ويريد من قال ذلك القول أن يفتح به بابا أغلقه الاسلام ، وقد سرى سمه حتى الى بعض من رد هذا القول فجعله بشرى لمن لا بشارة لهم فيه

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اسئلة من الاسكندرية ﴾

(س ٤٢ - ٤٤) من صاحب الامضاء

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا دام بقاه

السلام عليكم . ارجوكم إجابتي عن الاسئلة الآتية

(١) مامعنى الباقيات الصالحات في قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا)

(٢) هل يجوز أعطاء جماعة الدعوة والارشاد من مال الزكاة ليضعوه في مشروعهم الخاص بالمسلمين فان جاز فهل يجوز نقلها لهم لمحلهم ولو كان أبعد من مسافة القصر كمن الاسكندرية لمصر

(٣) مامعنى الدنيا والآخرة وحرثهما في الآيات الآتية وما ماثلها (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب * من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فهل الذي يعمل للدنيا يبعد عن الآخرة ويقرب من عذابها وما هو العمل الخاص بالآخرة افيدونا ولكم الاجر والثواب

محمد ميلاد

الباقيات الصالحات

اما الجواب عن السؤال الاول فهو ان الباقيات الصالحات هي الاعمال التي تصلح بها النفس وتتزكى حتى تكون أهلا لدار الكرامة في الآخرة سميت - باقيات لان أثرها يبقى في نفس عاملها بما تطبع فيها من الملكات الفاضلة والصفات الجميلة التي يترتب عليها الجزاء بالحسنى في الآخرة . وذكرت في مقابلة المال والبنين اللذين كان المشركون يفاخرون بهما فقراء المسلمين من السابقين الاولين كعمار وصهيب ويظنون انهم ينالون بهما سعادة الآخرة كما حكى الله عنهم غرورهم بهما في قوله (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين)

إعطاء مال الزكاة لجماعة الدعوة والارشاد

واما الجواب عن السؤال الثاني فهو القول بجواز إعطاء جماعة الدعوة والارشاد من مال الزكاة لانها تنفق هذا المال في مصارفه الشرعية لانها تعم طائفة من الفقراء والمساكين وتربيهم وتنفق عليهم ، ومن هذه المصارف ما فرضه الله تعالى لصنف المؤلفة قلوبهم وهذه الجماعة هي الجديرة بمعرفة هذا الصنف والاستعانة بمال الزكاة على تأليف أفراده ليتمكن الايمان من قلوبهم بتصديها للدعوة الى الاسلام

وقد اختلف الفقهاء في جواز نقل الزكاة من بلد الى آخر فمنعه بعضهم واستدلوا بحديث معاذ عند الشيخين اذ أمره عندما ارسله الى اليمن أن يأخذها من أغنيائهم ويضعها في فقرائهم ، وما في معناه . واجازه آخرون لان النبي (ص) كان يرسل عماله فيأتون بالزكاة من الاعراب الى المدينة فينفق منها على فقراء المهاجرين والانصار ، وهذا معروف مشهور ، وحديث معاذ وغيره ليس فيه ما يدل على منع النقل ، ولكنه قد يدل على انه خلاف الاصل ، اذ النقل لا يكون الا لسبب أو مصلحة وهذا هو المختار عندي في المسألة

تظهر حكمة الشارع ظهورا بينا في قيام أغنياء كل بلد بسد ضرورات وحاجات الفقراء والمساكين فيها فان البائس المعوز الذى تراه هو أولى برحمتك ورعايتك ممن تسمع ببؤسه وإعوازه على البعد ، وأجدر أن تحول بينه وبين حسده لك على ما يرى من نعمتك ، وتمني زوالها عنك ، وانما يكون ذلك بأن تفيض عليه منها ، وتجعل له نصيبا فيها . والبلاد المجاورة لبلدك التي تعرف فقراءها او يعرفونك حكمها حكم بلدك ، وهي التى يتردد أهلها بعضهم على بعض عادة، وان كانت دون مسافة القصر، فهذه المسافة التى يقدر بعض الفقهاء بها لا دليل عليها ، ولايظهر ما ذكرنا من الحكمة ولا غيره فيها . وحديث معاذ في اهل اليمن كافة فهو ان دل على منع نقل الزكاة فانما يدل على منع نقلها من القطر اليماني الذى جعل عاملا عليه الى الحجاز وغيره من البلاد التي لا ولاية له عليها ، فالمنع لاجل الولاية لا لأجل المسافة ، فيكون مخصوصا بما يأخذه الولاة والعمال كزكاة الانعام والزرع ، واما ما يوزعه المالك من زكاته فلادليل على الحجر عليه فيه

ويظهر من عبارة الحديث ايضا تخصيصه بسهم الفقراء والمساكين ويلزمه سهم العاملين عليها خاصة لانهم يأخذونه مما يجمعونه . فالذى يجمع زكاة اهل اليمن مثلا لا يأخذ سهمه من زكاة اهل الحجاز . وهذا اذا كان كل وال يوزع زكاة البلد الذى يتولاه فيه .

وكذلك المؤلفة قلوبهم والغارمون وابناء السبيل يعطون سهامهم حيث يوجدون والاقرب منهم أولى من الابعد على ماذكرنا في الفقراء فلايتجاوز الاقرب مكانا او نسبا الا لمصلحة كأن يرى المزكي ان من في البلد الآخر أحوج، أوأن اعانته أنفع، واما السهم الذي في سبيل الله فمجاله اوسع ولاسيما على ما اختاره الاستاذ الامام من شموله لمصالح المسلمين العامة كلها

حرث الدنيا والآخرة

واما الجواب عن الثالث فهو أن الحرث عبارة عن الزرع، ومنه الأثر المشهور: الدنيا مزرعة الآخرة . والحرث والزراعة هنا من باب المجاز فمريد حرث الدنيا هو من يعمل عمله فيها لاجل التمتع بلذاتها لا يبتغي من حياته فيها غيرذلك . ومريد حرث الآخرة هو من يعمل أعماله التي هي غرضه من حياته لاجل الآخرة ، أي يكون مخلصا في عباداته ويلتزم في معاملاته أحكام الشرع التي تحدد بها الحقوق فلايظلم ولا يأكل مال أحد

بالباطل ، ويتحرى الحق وعمل الخير فيتصدق من فضل ماله على الافراد وفي المصالح العامة ، وهو يتمتع بالطيبات وزينة الدنيا من طريق الحل ولكن ذلك لايكون هو مراده من حياته بل يكون له مراد أعلى وهو الاستعداد لحياة الآخرة الباقية . وقد فصلنا القول في هذه المسألة تفصيلا في تفسير قوله تعالى (٢ : ١٩٩ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق (٢٠٠) ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة)الخ فراجعه في الجزء الثاني من التفسير وقوله تعالى (٣ : ١٣٩ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) وقوله تعالى (٣ : ١٤٥ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) فراجعهما في الجزء الرابع من التفسير

علم الفلك والقرآن

﴿ نظرة في السموات والارض ﴾

نشرت هذه المقالة في مجلة الطلبة المصريين ثم زاد الكاتب فيها بعض زيادات وحواش

(قل انظروا ماذا في السموات والارض
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون)
(لخلق السموات والارض أكبر من خلق
الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
قرآن شريف

(فهرس المقالة)

تعريف الأرض ـ السيارات والأفلاك ـ أسماؤها وعددها ـ الثوابت ـ الجذب العام ـ الكون كالجسم الواحد ـ الأقمار ـ مركز السيارات ـ ذوات الأذناب ـ البروج ـ مجاميع الثوابت ـ الصور السماوية ـ سدرة المنتهى ـ رؤية النبي لجبريل ـ الجنة والنار ـ السماء ـ السموات السبع والاسراء والمعراج ـ خطأ القدماء في اعتبار الأرض مركزا للعالم ـ احتمال أن السموات أكثر من سبع وأن العدد لا مفهوم له ـ نص القرآن

على الحركة الذاتية للسيارات وغيرها ـ سكنى السيارات بالحيوانات ـ الدابة في يوم القيامة ـ الأرض ليست سبعا ـ تفسير الآية الواردة في ذلك ـ العوالم متعددة ـ العرش أو الكرسي ـ حملة العرش ـ الملائكة والشياطين ـ رجم الشياطين بالشهب ـ العوالم لم تخلق لأجل الانسان وليس الانسان أشرف جميع الموجودات ـ فصل في دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة في القرآن ـ المحكم والمتشابه ـ الخاتمة في بيان الغاية من هذا الوجود

ما هي هذه الارض التي نعيش عليها ؟

هي كوكب من الكواكب التي تدور حول الشمس وتسمى بالسيارات ومجموع الشمس مع هذه السيارات يسمى بالمجموعة (١) أو المنظومة الشمسية فالشمس مركز بالنسبة لها وهي مضيئة لذاتها ومنها تستمد هذه السيارات النور والحرارة . ولا ينبغي أن يفهم القارئ من تسميتنا الشمس بالمركز ان مدارات هذه السيارات هي دوائر بل هي بيضاوية الشكل وليست الشمس في الوسط تماما بل هي مائلة الى أحد الجوانب

ومدارات هذه السيارات تسمى بالافلاك فهي الاشكال البيضاوية التي ترسمها السيارات في مسيرها حول الشمس

واكبر هذه السيارات ثمان : الارض احداها واثنان منها في داخل مدار الارض وخمس منها في خارجه وهذه المدارات أو الافلاك ليست في مستوى واحد بل هي في مستويات مختلفة ، فمن المدارات ما هو أفقى ومنها ما هو رأسى وفيهما هو مائل الى اليمين أو الى الشمال

أما السياران اللذان في داخل فلك الارض فهما عطارد (Mercury) والزهرة (Venus) ويسميهما الفلكيون السيارين الداخلين أما السيارات الخمس

---

(١) يطلق لفظ مجموعة في هذه المقالة على معنيين مختلفين (١) على المنظومة المكونة من شمس وسيارات حولها كمنظومتنا الشمسية (System) (٢) وعلى مجموعة الكواكب الثابتة كالدب الاكبر المركب من عدة شموس (Constellation) والمجموعة بالمعنى الثاني مركبة من عدة مجاميع بالمعنى الاول والسياق هو الذي يعين أحد المعنيين فيما يأتي

الباقية فهي المريخ (Mars) والمشترى (Jupiter) وزحل (Saturn) وأورانوس (Uranus) ونبتون (Neptune) وتسمى السيارات الخارجة

وكلما كان فلك الكوكب أو السيار صغيرا كانت سنته صغيرة وكلما كان كبيرا كانت سنته كبيرة . فسنة عطارد وهو أصغرها فلكا هي ٨٨ يوما من أيامنا هذه وسنة نبتون وهو أكبرها فلكا هي ٦٠١٨٦ يوما أي ١٦٤ سنة و٨ شهور من سنيننا وشهورنا ، أي إنه يدور حول الشمس في المدة المذكورة

ويوجد بين المريخ والمشتري عدة سيارات صغيرة تسمى نجيمات اكتشف منها الى الآن أكثر من ١٢١ نجيما (تصغير نجم) وأكبر هذه النجيمات هي ڤستا (Vesta) أي إلهة النار ويونو (Juno) وسيرس (Ceres) وبالاس (Pallas) وهي أسماء آلهة وثنية . وجميع هذه السيارات كبيرة كانت أو صغيرة هي أجرام مظلمة كارضنا هذه سواء بسواء ولا يضيئها الا انعكاس أشعة الشمس عليها

أما النجوم الثوابت فهي شموس كشمسنا هذه مضيئة بذاتها وسميت ثوابت(١) لانها لا يتغير وضعها بالنسبة لاخواتها وهي مراكز لسيارات أخرى تدور حولها كما أن شمسنا مركز للسيارات الثمانية المعروفة ولكن نظرا لبعدها العظيم عنا ترى كأنها نجوم صغيرة والحقيقة انها شموس كبيرة . وأقرب هذه الثوابت الينا يبعد عن الارض بمقدار ١٩،١٣١،٠٣٠،٠٠٠،٠٠٠ ميلا والنور الذي ينبعث منه يصل الينا في ثلاث سنوات وربع (٢)

---

(١) ثبوت هذه الكواكب أو الشموس هو أمر اعتباري فقط والا فالحقيقة أن جميع الكواكب متحركة سواء سميت ثوابت أو سيارات كما سيأتي قال تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

(٢) تذكر قوله تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقوله (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)وقوله (ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

ويمكننا تمييز السيارات عن الثوابت بأن السيارات تغير وضعها بالنسبة للثوابت وبأن نورها أسطع وهو ثابت لا يتلألأ وذلك لقربها منا . أما نور الثوابت فانه يرتعش ويتلألأ لشدة بعدها عنا .

والسبب الذي يمسك السيارات في أفلاكها ويحفظ نظامها في مداراتها هو جذب الشمس لها فلولاه لسارت فى طريق مستقيم الى حيث لا يعلم الا الله وكذلك جميع الكواكب يجذب بعضها بعضا من جميع الجهات فالسماء بما فيها من الكواكب كالبنيان يشد بعضه بعضا (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) (والسماء ذات الحبك) (١) فاذا جاء الوقت الذي يفسد فيه نظام هذا الكون اختل التوازن وزال التجاذب وتناثرت الكواكب واصطدم بعضها ببعض وانشق عن البعض الآخر وانفصل عنه وتفرق (اذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت) و(اذا السماء انشقت) الآيات

أما الآن فجميع الكواكب متجاذبة مرتبط بعضها ببعض من كل جهة ولا يوجد فيها ما هو منشق عن بقيتها ، منفك عنها ، لا ارتباط له بها ، بل كلها متماسكة كالبنيان أو كأجزاء الجسم الواحد (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) أي وليس لها شقوق تذهب باتصالات الكواكب فتفرقها وتقطع علاقاتها وأحبال تجاذبها بحيث يكون بعض الكواكب غير متماسك بالبعض الآخر ومنفصلا عنه في ناحية من السماء لا ارتباط له به (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي انشقاق وانقطاع . أما ما بين الكواكب من المسافات فهي وإن كانت كبيرة إلا أنها بالنسبة لمجموعها وكثرتها وعظمها كالمسام بالنسبة

(١) الحبك جمع حبيكة كطريقة وطرق . وحبيكة بمعنى محبوكة أي مربوطة . فقوله تعالى (والسماء ذات الحبك) معناه ذات المجاميع من الكواكب المربوط بعضها ببعض بحبال من الجاذبية فان كل حبيكة مجموعة من الكواكب المتجاذبة فالآية الشريفة نص على تعدد المجاميع وعلى الجاذبية التي يقول الافرنج إنهم مكتشفوها وعليه فهي إحدى معجزات القرآن العلمية وسيأتي بيان بعضها

لاجزاء الجسم الواحد وكما أن الكواكب تتحرك في هذه المسافات . كذلك ذرات الجسم تتحرك فيما بينها من المسافات . والاثير (مادة العالم الاصلية) يملأ هذه كما يملأ تلك فالكون كله أو السماء كلها جسم واحد لا انشقاق فيه الآن ومجموعتنا الشمسية هذه هي جزء من اجزاء هذا الجسم العظيم أو ذرة من ذراته . فهذه المسافات التي بين الكواكب ليست هي الشقوق أو الفروج المراد نفيها بل الفروج المنفية هي كما قلنا التي تباعد ما بين مجاميع الكواكب حتى تقطع اتصالاتها وتشتتها وتذهبها مبددة في الفضاء بلا نظام ولا اتصال وتجعل كل عالم مستقلا بذاته منقطعا عن غيره خارجا عن دائرة الجذب العام . فانشقاق السماء وانفطارها الذي سيحصل يوم القيامة هو تبديد عوالمها وتشتيتها وانتثار كواكبها

هذا وأعلم أن أكثر السيارات لها توابع تدور أيضا حولها وهي الاقمار فتعكس النور من الشمس اليها وتضيئها ليلا (وجعل القمر «١» فيهن نورا) وسميت توابع لانها تتبعها في مسيرها حول الشمس كما يتبع الخادم سيده فللارض قمر واحد وللمريخ اثنان وللمشتري اربعة ولزحل ثمانية ولاورانوس ستة ولنبتون واحد فقط كالارض وليس لعطارد ولا للزهرة أقمار

أما حجم هذه الارض بالنسبة للسيارات الاخرى فيعتبر خامسا في الكبر والسيارات التي هي أكبر من أرضنا هذه هي المشترى وزحل وأورانوس ونبتون أما عطارد فهو أصغر السيارات الثمان وهو أكبر من قمر الارض بقليل ولكنه أقرب السيارات الى الشمس ويمكن رؤيته بعد الغروب بقليل أو قبل الشروق كذلك وأما الزهرة فحجمها تقريبا قدر حجم الارض ولقربها منا ترى أنها أشد الكواكب نورا بعد الشمس والقمر وتشاهد بعد الغروب وقبل الشروق مثل عطارد ولكن مدتها أطول وتسمى عقب الغروب (كوكب المساء) وقبل الشروق (كوكب الصبح)

وأما المريخ فهو أقرب السيارات الخارجة الى الارض وحجمه ثمن حجمها

(١) الالف واللام هنا للجنس لا للعهد كما في قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)

وتشاهد في قطبية بالتلسكوب نقط بيضاء يقال انها ثلج

وأما المشتري فهو أكبر السيارات على الاطلاق وأشدها نورا بعد الزهرة بالنسبة لنا وتحيط به منطقة من السحب ودورته حول محوره هي عشر ساعات فقط فهو أسرع دورة من الارض ولكبر حجمه يقال ان قشرته لم تبرد تماما الى الآن

وأما زحل فاغرب شيء يشاهد فيه هو وجود ثلاث مناطق عريضة تحيط به بعضها خارج بعض ويقال انها مكونة من ملايين من التوابع الصغيرة وأمرها في الحقيقة مجهول . وأما أورانوس ونبتون فهما أبعد السيارات في المنظومة الشمسية وآخرها على مانعلم

وهذان السياران لم يكونا معروفين للقدماء لانه لايمكن رؤيتهما بالعين المجردة

وأما باقي السيارات فهي معروفة من قديم الازمان وعند جميع الامم لانها ترى جميعا بالعين المجردة وقد كان القدماء يعدون السيارات سبعا غير الارض مع أنهم ما كانوا يعرفون منها غير الخمس المسماة بالدراري وهي (عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل) لانهم كانوا يحسبون الشمس والقمر من ضمنها . والحقيقة أنهما ليسا منها في شيء فان الشمس من الثوابت وهي مركز العالم الشمسي الذي نحن فيه والقمر تابع للارض كباقي التوابع المذكورة آنفا (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون)

أما ذوات الاذناب (Comets) فهي أيضا سيارات غازية ولكنها تدور حول الشمس على أبعاد شاسعة جدا فأفلاكها متسعة اتساعا عظيما . وهي في بعض الاحيان تقترب من الشمس حتى تختفي في ضوئها ثم تبتعد حتى يخيل لنا أنها خرجت عن المنظومة الشمسية وذلك لان الشمس كما قلنا ليست في وسط الافلاك بل مائلة الى بعض جوانبها . وأكثر هذه المذنبات يخرج فعلا عن منظومتنا هذه الشمسية ويذهب الى منظومات أخرى والمذنبات تعد بالمئات وان كنا لانرى بالعين المجردة إلا القليل منها لصغرها . ومتى ابتعدت عن الشمس عادت اليها أذنابها لان هذه الاذناب عبارة عن أجزاء من أجرامها الغازية تجذبها الشمس اليها وتشدها والصغير منها لاذنب له مهما اقترب من الشمس . والخلاصة أن بعض هذه النجوم

الغازية لها أفلاك معروفة والبعض الآخر وهو الكثير لاتعرف له أفلاك . والظاهر أنها ضالة في الفراغ بين العوالم العديدة وأصلها نجوم انحلت وبانحلالها هي تنشأ الشهب

وأشهر هذه المذنبات التي ظهرت في القرن التاسع عشر مذنب ظهر سنة ١٨١١ وكان طول ذنبه ١١٢ مليونا من الاميال ومذنب هالي الذي ظهر في سنة ١٨٤٣ وفي ١٨٨٠ و١٨٨٢ وقد ظهر في سنة ١٨٦١ و١٨٦٢ مذنبان كانا غاية في البهاء والجمال واخيرا ظهر واحد شاهدناه في السنة الماضية (١٩١٠)

أما البروج فهي صور وهمية تنشأ من اجتماع الثوابت بعضها بجانب بعض بحسب مايتخيل لنا وهي اثنا عشر برجا معروفة ترى الشمس تنتقل من واحد منها الى الآخر بحسب الظاهر وباجتماع الثوابت بعضها ببعض تنشأ صور أخرى غير البروج كصورة الدبين والثريا والجاثي على ركبتيه والنسر الطائر وغير ذلك ولعل سدرة المنتهى المذكورة في القرآن الشريف هي صورة كهذه الصور (١) فيكون النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل من الارض بعينيه على صورته الحقيقية الاصلية مرتين مرة في الافق ومرة عند سدرة المنتهى (٢) وهو نازل من الملأ الاعلى فلا

---

(١) : لا يظن القارىء أن المشابهة تامة بين هذه الصور (المجاميع) وبين ما شبهت به كما لا يخفى على الفلكيين بل الحقيقة أن هذه المشابهة تكاد تكون مفقودة ولا وجود لها إلا في نظر التخيل والوهم فلا عجب اذاً اذا شبهت احدى هذه المجاميع بشجرة النبق فانه يوجد بين الاسماء التي اصطلحوا عليها ما هو أبعد وأعجب ولا نسبة هناك بين المشبه والمشبه به .

(٢) المنتهى أي الغاية التي تنتهي اليها جميع الخلائق بعد الحساب يوم القيامة (وأن الى ربك المنتهى) فمن كان منهم سعيداً ادخل في جناتها التي توجد في كواكبها السيارة ولذلك قال تعالى (عندها جنة المأوى) وكون عرض الجنة كعرض السموات والارض لا غرابة فيه فان من الكواكب الاخرى ما هو أكبر من مجموع هذه الارض وباقي السيارات التي حول شمسنا هذه وهي المسماة في القرآن بالسموات . ومن كان منهم شقياً أدخل في نيرانها المتأججة المستعرة التى توجد في شموس هذه المجموعة فهي تسع جميع سكان السموات والارض وباقي سكان المجاميع الاخرى وإليها ينتهون وقيل سميت بسدرة المنتهى لانها أقرب المجاميع الى العرش اي إنها توجد =

يبعد ان تكون هذه السدرة (١) صورة تشبه شجرة النبق ناشئة من اجتماع عدة ثوابت بعضها مع بعض (راجع سورة النجم والتكوير) وشبهت بذلك كاشبه غيرها بصورة النسر الطائر مثلا .

وقوله تعالى (إذ يغشى السدرة مايغشى) معناه أنه رأى جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى حينما كانت الارواح والملائكة تغشاها وتهبط عليها وتحف من حولها وذلك بأن كشف الله عن بصره و بصيرته وأنارهما فرأى مارأى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فكانت هذه الرؤية للارواح والملائكة رؤية حقيقية عيانية كرؤية جبريل في الافق والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل من الارض (مازاغ البصر وما طغى) (أفتمارونه على مايرى) . أما رؤية هذه السدرة المذكورة في حديث المعراج فكانت في مرة أخرى غير هذه وكانت منامية (أي رؤيا) كما سيأتي في الحاشية ولا علاقة لها بما ذكر في سورة النجم فانه كان يقظة ولذلك خيل له فيها أن للسدرة نبقا كقلال هجر (٢) وأن أربعة أنهار (منها النيل والفرات) تخرج منها . هـذا اذا لم تكن هذه العبارات زيادات من بعض الرواة فانها تشبه الاسرائليات وتقرب مما جاء في أوائل سفر التكوين في وصف جنة آدم والا فان هذه السدرة لانبق لها فانها مجموعة كواكب على مانعتقد والنيل والفرات لايخرجان منها ولا ماء السحاب أيضا . فان السحاب الذي ينزل منه المطر الى الارض وتتكون

═ يعد جميع المجاميع وفي نهايتها وسيأتي ما يفهمك معنى ذلك ومعنى لفظ العرش

(١) ويحتمل أن كلمة (سدرة) هنا معربة من كلمة لاتينية « Sideris » بمعنى الكوكب أو النجم وعليه فمعنى (سدرة المنتهى) كوكب الانتهاء وهـذه الكلمة اللاتينية أخذت بهذا المعنى في كثير من اللغات الأجنبية ولعل العرب نقلتها إلى لغتها من بلاد الروم أو غيرهم ممن كانوا يخالطونهم ويكون هذا المعنى مما نسيه الناس كما نسوا غيره من الكلمات الأصلية والمعربة أومن معانيها . ولايخفى أن المفرد المضاف يعم) كقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام) أي ليالي الصيام فكذلك هنا يصح أن يراد (بسدرة المنتهى) سدرات أى عدة كواكب لا كوكبا واحدا

{٢} كما خيل ليوسف أن اخوته كواكب ساجدة له وكما خيل للعزيز أن سني الخصب والجدب سبع بقرات سمان وسبع عجاف

منه الانهار كنص القرآن في عدة مواضع أصله بخار تصاعد من بحار الارض ولذلك قال الله تعالى (أخرج منها ـ أي من الارض ـ ماءها ومرعاها) وقال (أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض) وقال (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) فكأنه قال إن ماء الانهار والينابيع هو من السماء أي السحاب بدليل قوله (أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعدموتها) وقوله في السحاب (فترى الودق ـ المطر ـ يخرج من خلاله) والسحاب أخرجه الله تعالى من الارض لامن الجنة بدليل الآية المتقدمة . فكيف اذاً يكون النيل والفرات آتيين من الجنة وهما يتكونان بشهادة الحس والقرآن من ماء المطر الخارج من نفس الارض ؟ !

كذلك ماورد في حديث المعراج من شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم واستخراج قلبه وغسله بالماء في طست من الذهب إلى غير ذلك مما جاء فيه فالاقرب إلى العقل والعلم أن ذلك كله كان رؤيا يراد بها أن الله تعالى طهر قلب النبي ونفسه صلى الله عليه وسلم وملأها علما وحكمة وأطلعه على كثير من غيبه . ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول

إعلم أن لفظ السماء يطلق لغة على كل ماعلا الانسان فانه من السمو أي العلو فسقف البيت سماء ومنه قوله تعالى (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع) أي فليمدد بحبل الى سقف بيته وهذا الفضاء اللانهائي سماء ومنه قوله تعالى (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) والسحاب سماء ومنه قوله تعالى (أنزل من السماء ماء) والكواكب سماوات . فالسموات السبع المذكورة كثيرا في القرآن الشريف هي هذه السيارات السبع (١) وهي طباق أي ان بعضها فوق بعض لان فلك كل

(١) أما ماورد في حديث المعراج من وجود الانبياء في السموات فالأرجح عندي أن المعراج كان رؤيا منامية روحانية كما قلنا وفي هذه الرؤيا فرضت الصلوات الخمس لأن رؤيا الانبياء من الوحي كرؤيا إبراهيم أنه يذبح ولده . والمعراج لم يرد له ذكر في القرآن مطلقا واما ما ورد في سورة النجم والتكوير فلا علاقة له بالمعراج وإنما هي رؤية النبي لجبريل ═

منها فوق فلك غيره كما تقدم والشمس مركز لهذه الافلاك السبعة ومنها تستمد هذه السيارات النور والحرارة فهي سراج وهاج ونورها كنور السراج غير مستمد من غيره بل ناشئ عن احتراق موادها كما سبق وأما الاقمار فهي كالمرآة تعكس نور الشمس على الكواكب التابعة لها فلذا لم تسم في القرآن بالسُّرج فانها لا نور لها من ذاتها قال الله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر - أي جنس القمر - فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) أي لهن جميعا وفي هذه الآية اشارة الى ان الشمس والقمر ليست من السموات السبع المرادة في القرآن وان كان يصح أن تسمى بالسموات لغة ولكنه يريد بالسموات غيرها وقد كان القدماء يعدونهما من السموات السبع قبل اكتشاف (نبتون وأورانوس) ويعتبرون الارض

== من الارض على صورته الحقيقية كما سبق. أما الاسراء إلى بيت المقدس وهو الذي ذكر في القرآن الشريف فالأرجح أنه كان جسدانيا كما هو ظاهر القرآن ولذلك اقتصر عليه ولم يذكر شيئا عن المعراج ولو كان المعراج حصل ليلة الاسراء وكان جسدانيا مثله لذكر معه في سورته فانه أعجب وأغرب وأدل على القدرة الآلهية من الاسراء وهذه السرعة العجيبة في الاسراء يقربها إلى عقولنا ما نراه في حركات الكواكب وما نشاهده من المخترعات البشرية البخارية والكهربائية . وقد قال بما قلت هنا كثير من المسلمين، حتى من أزواج النبي والصحابة والتابعين . فهو ليس ابتداعا في الدين فالاسراء إلى البيت المقدس ورؤية جبريل والملائكة كانا في اليقظة والمعراج إلى السماء كان في المنام وكلاهما كانت في أوقات مختلفة

ولذلك لم يذكر في حديث المعراج (بحسب رواية البخاري التي هي أصح الروايات بالاجماع) أن النبي صلى الله عليه وسلم سار أولا إلى بيت المقدس بل المذكور فيه أنه سار مباشرة من مكة إلى السماء الاولى وكذلك لم يذكر فيه أن جبريل فارقه ثم ظهر له عند سدرة المنتهى بصورته الحقيقية بل المذكور أنه كان مصاحبا له من أول المعراج إلى آخره على صورة واحدة وذلك يدل على أن ما ذكر في القرآن مما وقع يقظة هو غير ما ذكر في الحديث مما وقع مناما في وقت آخر وإلا لذكرا معا في سياق واحد إما في القرآن وإما في أصح الاحاديث وهو الامر الذي لم يحصل إلا في بعض روايات لا يعول عليها وهي من خلط بعض الرواة الحوادث بعضها ببعض

مركزا للعالم ولكن القرآن الشريف لم يجارهم في هذا الخطأ و بين بهذه الآية وغيرها ان السموات شيء والشمس والقمر شيء آخر وأن الاقمار نور في السموات حينما كان الناس يظنون أن لاقمر الا للارض فقط . فانظر الى هذه الآيات البينات الدالة على صحة القرآن وعلى صدق النبي الامي في الوحي . فلو كان القرآن من عند غير الله لوجد فيه مئات الالوف من الاوهام والغلطات الفاشية في زمنه كما وجد ذلك في كتب الاولين والآخرين فما بالك بهذا النبي الامي الذي نشأ في زمن الجهل و بعيدا عن العلم وعن مجالس العلماء صلى الله عليه وسلم ؟

فان قيل : اذا كان القدماء لم يروا من السيارات الا خمسا فكيف قال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) قلت ان الرؤية هنا علمية لا بصرية والاستفهام انكاري فالمعنى ألم تعلموا أن الله خلق سبع سماوات الخ فهي على حد قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم (الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشاهد هذه الحادثة بل ولد بعدها وانما سمعها من الناس فكذلك القدماء وان كانوا لم يشاهدوا من السيارات الا خمسا فان ماجهلوه منها هو مثل ماعلموه سواء بسواء لافرق بينهما وقد أخبرهم الانبياء بأنها سبع فيسهل عليهم تصديقهم في ذلك وانما خص الله تعالى هذه السبع بالذكر مع أن السيارات أكثر من ذلك كما سبق لانها أكبر السيارات وأعظمها على أن القرآن الشريف لم يذكرها في موضع واحد على سبيل الحصر فلا ينافي ذلك أنها أكثر من سبع . قال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما - أي من التوابع والنجيمات والسحب وغير ذلك - فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ؟) هذا وقد قال بعض العلماء باللغة العربية أن العرب تستعمل لفظ سبع وسبعين وسبعمئة للمبالغة في الكثرة فالعدد اذا غير مراد ومن ذلك قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقوله (وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب) وقوله (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله)

هذا وقد أشار القرآن الشريف الى حركة هذه الكواكب بقوله تعالى (فلا

أقسم بالخنس الجوار الكنس) وقوله (وكل في فلك يسبحون) وهما يدلان أن حركتها ذاتية لا كما كان يقول القدماء من أن الكواكب مركوزة في أفلاك كالتي تدور بها و بدورانها تتحرك الكواكب

أما الارض فهي كما سبق احدى هذه السيارات ولم تعتبر سماء بالنسبة للانسان لانه يعيش عليها فالسيارات الكبيرة وان كانت ثماني الا أن سبعا منها فقط هي التي تعلو الانسان فهي السموات بالنسبة له . و يقول العلماء إنه من المحقق أن هذه السيارات مسكونة بحيوانات تشبه الحيوانات التي على أرضنا هذه ويكون كل كوكب منها أرضا بالنسبة لحيواناته و باقي الكواكب سماوات بالنسبة لها . والظاهر أن القول بوجود الحيوانات في هذه الكواكب صحيح لان الله تعالى يقول في كتابه (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة (١) وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) ويقول (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن)

أما كون الارضين سبعا كالسموات فهو أمر نجهله ولا نفهمه الا اذا أريد به أن للارض سبع طبقات . والحق يقال ان كون الارضين سبعا هو كما يظهر لنا وهم من أوهام القدماء . ولذلك لم يرد في القرآن الشريف لفظ الارض مجموعا (أي أرضين) ولم يرد فيه مطلقا أن الارضين سبع مع أنه ذكر أن السموات سبع مرارا عديدة وفي كل مرة يذكر معها الارض بالافراد

نعم ورد فيه قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) وهي الآية الوحيدة التي فهموا منها أن الاراضين سبع وهي كما لا يخفى لا تفيد ذلك مطلقا . ولنا في تفسيرها وجهان اما أن تكون

---

(١) الدابة كل حيوان يدب اي يمشي ومنه قوله تعالى (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) والمعنى اذا قامت القيامة بعث الله نوعا مخصوصا من دواب هذه الارض كما يبعث غيره من انواع الدواب الاخرى وينطقه فيوبخ الانسان على كفره كما ينطق أعضاءه في ذلك اليوم أيضا فليس المراد من قوله «دابة» الفرد بل النوع كما في قولك «أرسل الله عليهم دودة أتلفت زرعهم» اي ديدانا كثيرة من نوع واحد مخصوص وربما كانت هي الفرس فان الدابة بحسب عرف العرب مختصة بالفرس

(من) في قوله تعالى (ومن الارض) زائدة (*) واما أن تكون غير زائدة أما على الوجه الاول فتقدير الآية هكذا (الله الذي خلق سبع سموات والارض خلقها مثلهن) وعلى تفسيرنا هذا تكون هذه الآية دالة على أن الارض خلقت كباقي الكواكب السيارة من كل وجه أي إنها احدى هذه السيارات وهو أمر ما كان معروفا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يخطر ببال أحد من العرب وذلك من دلائل صدق القرآن والارض مثل السيارات الاخرى في المادة وكيفية خلقها وكونها تسبح حول الشمس وتستمد النور والحرارة منها وكونها مسكونة بحيوانات كالكواكب الاخرى وكونها كروية الشكل فالسيارات أو السموات هي متماثلة من جميع الوجوه وكلها مخلوقة من مادة واحدة وهي مادة الشمس وعلى طريقة واحدة قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا - أي شيئا واحدا - ففتقناهما) أي فصلنا بعضها عن بعض فالارض خلقها الله تعالى مثل السموات تماما (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)

وأما على الوجه الثاني وهو أن «من» غير زائدة فتقدير الآية هكذا (الله الذي خلق سبع سموات وخلق من الارض أرضا مثلهن) فالآية واردة على طريقة التجريد كقولك (اتخذت لي سبعة اصدقاء ولي من فلان صديق مثلهم) أي مثلهم في الصداقة او التقدير وبعض الارض مثلهن في مادتها وعناصرها

وعليه فليس في القرآن الشريف أدنى دليل على أن الارضين سبع كما يزعمون

* * *

هذا واعلم ان المجموعة الشمسية يوجد في العالم مثلها كثير (١) كما بينا ، ومن

---

*) زيادة « من » الداخلة على المعرفة في سياق الاثبات غير جائزة

(١) هذه الحقيقة تطابق القرآن الشريف من جميع الوجوه فهو القائل (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين ، وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فانظر الفرق بين هذا الدين وبين غيره الذي يجعل بني آدم هم كل شيء في هذا الوجود حتى أن الله الذي وسع كرسيه السموات والارض لا شأن له الا التفرغ لهم بنزوله إلى الارض بنفسه والمعيشة بينهم وتخليصهم بطريقة لا مناص له منها ولم يجد سواها وهي ان يتحمل الاهانة والقتل والصلب بدلا عنهم ثم

المعلوم أن الشمس وما حولها من السيارات تدور في الفضاء حول نجم آخر يعتبر مركزا لها ولا يعرف بالتحقيق ما هو هذا النجم ويقال انه هو نجم من نجوم الثريا أو من صورة النسر الطائر او الجاثي على ركبتيه واذا كان هذا هو حال مجموعتنا الشمسية فالظاهر أن المجاميع الاخرى تدور حول مركز لها من النجوم الثابتة كما يشاهد ذلك في المجاميع الشمالية فانها تدور حول القطب الشمالي (النجم المعروف) واذا فلا يبعد أن جميع هذه المجاميع قاطبة تدور حول مركز واحد عام لها وهذا المركز يجذبها جميعا اليه ويحفظ كيانها ونظامها وربما كانت جميعا مخلوقة من مادته وله فيها تأثيرات كالكهربائية والمغناطيسية وغيرهما مما لا نعلمه وعليه فيكون هذا المركز أو النجم هو كالعاصمة للعالم كله بسائر مجاميعه فهو مركز الجذب والتأثير والتدبير والنظام ، و(تخت) العالم أو كرسيه أو عرشه . والغالب أن ما يريده القرآن بلفظ العرش هو هذا المركز العام للعالم كله فهو عرش الله (١) وعرش الرحمن كما يقول القرآن (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله

═الموت والدفن والصعود إلى السماء بهذا الجسد الحيواني والبقاء فيه إلى الابد كل ذلك لأجل مرضاة جزء صغير حقير من عبيده لا يبلغون عشر معشار ما له من المخلوقات العظيمة الكثيرة في العوالم الأخرى العديدة { وما يعلم جنود ربك إلا هو * قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير * سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا }

(١) أما قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض فالظاهر منه أن الله تعالى خلق أولا المادة وكانت غازية ثم تكاثفت حتى صارت سائلا { وهو الماء } ثم تكاثف الماء فظهر في وسطه جرم العرش ثم تكونت بعده الأجرام الأخرى شيئا فشيئا ثم التهبت جميعها لأسباب يذكرها علماء المادة فكانت هي الشموس وتحول ما بقي من السوائل حولها إلى غازات كما كان أولا { وهو الأثير الآن } ثم انفصلت السيارات من الشموس فتكونت المنظومات العديدة ومنها منظومتنا هذه التي نحن فيها

قل أفلا تتقون) وقد اقتبست ماذكرت في العرش من مذاكرة لي مع السيد صاحب المنار. ولقائل أن يقول اذا كانت الشموس أو مراكز هذه المجاميع تسير بمجاميعها حول هذا المركز العام الذي تقول انه هو العرش فهل هذا العرش يسير أيضا بها في الفضاء أم هو ثابت ؟ فان كان ثابتا فماذا يثبته؟ أما الجاذبية فلا يصح أنها تثبته في نقطة واحدة من الفضاء كما أنها لا تثبت الشمس وان كانت تحفظ النسبة بينها وبين السيارات التي حولها . فكذلك الجاذبية ، وان كانت تحفظ النسبة بين العرش وبين جميع العوالم (المجاميع) الا انها لا تثبته بمعنى أنها لا تمنعه من أن يسير بها جميعا في الفضاء وعليه فاذا قلت ان العرش ثابت فما هذا الشيء الذي يثبته ؟؟

والجواب أن الله تعالى وكل به قوى مخصوصة لا نعلم كنهها ولا حقيقتها وهذه القوى تمنعه من جميع الجهات ان يسير بالمجاميع في الفضاء وهذه القوى المجهولة لنا تسمى (حملة العرش) وهي أشياء روحانية لا يمكننا أن ندرك ماهيتها كما أننا لا ندرك ماهية المغناطيس أو الكهرباء أو سائر القوى الجاذبة ، ومن ادعى ادراك هذه الاشياء فليخبرني أي شيء ينبعث من الجسم الجاذب الى الجسم المجذوب فيجذبه وما كنه هذا الشيء وكيف تتصوره ؟؟ قال الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) وقال أيضا (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أي ثمانية أصناف من هذه القوى الروحانية أو ثمان قوى وهي المسماة بالملائكة (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)

وكما أن العرش (١) تحفه الارواح الغيبية فكذلك الكواكب الاخرى مسكونة مع الحيوانات والدواب بارواح منها الصالح (ملاك) ومنها الطالح (شيطان) وكذلك أرضنا هذه ففيها من الملائكة ومن الشياطين مالا نبصره (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ولا يخفى أن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود

«١» الراجح أن جرم العرش منطفىء ولا نار فيه لشدة قدمه فأنه أقدم سائر الاجرام كما انطفأ كثير من الشموس الاخرى القديمة على ماحققه علماء الفلك ولذلك لا يمكن ان نبصره لانطفائه ولايحترق ما فيه من الموجودات

فعدم ادرا كنا لهذه الارواح لا يدل على عدم وجودها كما أن عدم معرفة القدماء للميكروبات وللكهرباء التي نشاهد الآن آثارها العظيمة لم يكن يدل على عدم وجودها اذ ذاك في العالم . فمن الجهل الفاضح انكار الشيء لعدم معرفته أو العثور عليه . على أن لنا الآن من مسألة استحضار الارواح اكبر دليل على وجود أرواح في هذه الارض لا نبصرها ولا نشعر بها

وقد قدر الله تعالى أن الحيوانات في هذه الارض اذا خرجت عنها الى حيث ينقطع الهواء ويبطل التنفس تموت في الحال وكذلك قدر أن الارواح الطالحة التي في أرضنا هذه اذا أرادت الصعود الى السماء والاختلاط بالارواح التي في الكواكب الاخرى انقض عليها قبل أن تخرج من جو الارض شهاب من هذه الكواكب أو من غيرها (١) فاحرقها وأهلكها بافساد تركيبها ومادتها حتى لا يحصل اتصال بين هذه وتلك ولا تطلع على اسرار العوالم الاخرى . وهذه الشهب التي تنقض ان كانت صادرة من أجرام ملتهبة كانت ملتهبة وإن كانت صادرة من أجرام غير ملتهبة التهبت فيما بعد لشدة سرعتها واحتكاكها بالغازات التي تمر فيها في جونا هذا ولعل في مادة الشياطين ما يجتذب اليه هذه الشهب وتتحد بها كما تجتذب العناصر الكيماوية بعضها بعضا (مثال ذلك عنصر الصوديوم فانه يجتذب اليه الاكسجين من الماء فيحلله) . ولا نقول ان جميع الشهب تنقض لهذا السبب بل منها ما ينقض لاسباب أخرى كاجتذاب بعض الاجرام السماوية له ومنها ما ينقض لاهلاك الشياطين كما بينا هنا والشياطين مخلوقة من مواد غازية كانت ملتهبة (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وهذه المسائل لا يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يثبتها كما انه لا يوجد فيه ما ينفيها وانما نحن نصدقها لان القرآن الذي ثبتت صحته عندنا جاءنا بها قال الله تعالى

(١) يعتقد الآن علماء الفلك أن اكثر الشهب تنشأ من ذوات الاذناب ويحتمل أن بعضها ناشيء من بعض الشموس المنحلة أو الباقية الملتهبة أو من براكين بعض السيارات أو مما لم ينطفأ من السيارات للآن . ومتى علمنا أن ذوات الاذناب والسيارات جميعا مشتقة من الشموس كان مصدر جميع الشهب هو الشموس أو النجوم وهذا يفهمنا معنى قوله تعالى « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوما للشياطين »

(انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظناها من كل شيطان مارد ، لا يسمعون إلى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) والمراد بالسماء الدنيا هنا الفضاء المحيط بنا القريب منا اي هذا الجو الذي نشاهده وفيه العوالم كلها ، أما ماوراءه من الجواء البعيدة عنا التي لا يمكن أن نصل اليها بأعيننا ولا بمناظيرنا (Telescopes) فهو فضاء محض لا شيء فيه فلفظ السماء كما قلنا له معان كثيرة كلها ترجع الى معنى السمو ونفسر في كل مقام بحسبه وكذلك هو في اللغات الاجنبية فمثلا في الانكليزية لفظ (Heaven) قد يراد به الجو أو الجنة أو الذات الالهية

فكل مسألة جاء بها القرآن حق لا يوجد في العلم الطبيعي ما يكذبها لانه وحي الله حقا . والحق لا يناقضه الحق . (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)

ومما تقدم تعلم أن العوالم متعددة ولذلك يقول القرآن الشريف في كثير من المواضع (الحمد لله رب العالمين (١) وهذا أيضا مخالف ما كان عليه القدماء فانهم كانوا يزعمون أن العالم واحد وأن الانسان أشرف الموجودات وأن الكواكب كلها أجرام فارغة خلقت ليتلذذ بمنظرها الانسان (٢) مع أن القرآن

(١) يطلق لفظ العالمين أيضاً على أمم الارض المختلفة من الجن والانس كما في قوله (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وقوله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أي في هذه الارض

(٢) المراد بالانسان هنا الانسان الارضي وإلا فان هذا اللفظ يطلق على كافة أفراد هذا النوع العاقل من الحيوانات سواء كانوا في الارض أو السيارات الاخرى (السموات) وعلى هذا المعنى العام يحمل قوله تعالى (إنا عرضنا الامانة على السموات) والارض والجبال – إلى قوله – وحملها الانسان) الآية . وسجود الملائكة لآدم لا يدل على أن نسله أشرف هذا النوع كله فقد يجوز أن الله خص الآخرين بما هو أعلى وأعظم من ذلك ولو كان هذا السجود يدل على التفضيل لكان آدم نفسه أفضل جميع الانبياء من باب أولى وهو مما لم يقل به أحد

يقول منذ مئات من السنين (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) وقال (ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك) وقال (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ولم يقل وفضلناهم على جميع الموجودات وقال أيضا (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون) فالقرآن ينطبق على العلوم الحالية أتم الانطباق ولا يوجد كتاب آخر ديني يدانيه في شيء من ذلك (وانه لتنزيل رب العالمين ه نزل به الروح الامين ه ولتعلمن نبأه بعد حين) ولذلك لاتجد علما من العلوم الصحيحة ولا اكتشافا من الاكتشافات الحديثة ولا مبدأ قويما إلا ويؤيد الاسلام بقدر مايزعزع غيره من الاديان الاخرى

﴿ فصل في بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية ﴾

{ الواردة في القرآن }

يلاحظ القارىء مما تقدم أن القرآن الشريف قد أتى في هذا الباب بمسائل علمية دقيقة لم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . وهذه المسائل تعتبر من معجزات القرآن العلمية الخالدة وها كها ملخصة :ـ

(١) الارض كوكب كباقي الكواكب السيارة (ومن الارض مثلهن) وهما من مادة واحدة (كانتا رتقا ففتقناهما) وهي تدور حول الشمس (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء) (*)

(*) لايمكن أن يكون المراد بهذه الآية تسيير الجبال الذي يحصل يوم القيامة حينما يبيد الله تعالى العوالم كما قال (وسيرت الجبال فكانت سرابا) وكما قال (واذا الجبال نسفت) لعدة اسباب :ـ

(١) ان قوله تعالى فيها (وترى الجبال تحسبها جامدة) لايناسب مقام التهويل والتخويف إذا اريد بها مايحصل يوم القيامة وكذلك قوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء) لايناسب مقام الاهلاك والابادة على ان حمل هذه الآية على المستقبل مع أنها ==

(٢) السيارات الاخرى مسكونة بالحيوانات (وما بث فيهما من دابة ـ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ـ يسأله من في السموات والارض) ومجموع هذه الآيات يدل على أن في السموات حيوانات عاقلة كالانسان

(٣) ليس القمر خاصا بالارض بل للسيارات الاخرى أقمار (وجعل القمر فيهن نورا)

(٤) ليست السيارات مضيئة بذاتها بل إن الشمس هي مصباحها جميعا (وجعل

== صريحة في ارادة الحال شيء لاموجب له وهو خلاف الظاهر منها

(٢) إن سير الجبال للفناء يوم القيامة يحصل عند خراب العالم واهلاك جميع الخلائق وهذا شيء لايراه أحد من البشر كما قال (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) أي من الملائكة فما معنى قوله اذاً (وترى الجبال تحسبها جامدة) ؟

(٣) إن تسيير الجبال الذي يحصل يوم القيامة إذا رآه أحد شعر به لان مادام وضعها يتغير بالنسبة للانسان فيحس بحركتها وهذا ينافي قوله تعالى «تحسبها جامدة» أي ثابتة . أما في الدنيا فلا نشعر بحركتها لاننا نتحرك معها ولا يتغير وضعنا بالنسبة لها وهذا بخلاف مايحصل يوم القيامة فان الجبال تنفصل عن الارض وتنسف نسفا وهذا شيء يراه كل واقف عندها

(٤) أما ورود هذه الآية في سياق الكلام على يوم القيامة فهو كورود آية « أولم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا » المذكورة قبلها في نفس هذا السياق والمراد بهما ذكر شيء من دلائل قدرة الله تعالى المشاهدة آثارها في هذا العالم الآن من حركة الارض وحدوث الليل والنهار ليكون ذلك دليلا على قدرته على البعث والنشور يوم القيامة فان القادر على ضبط حركات هذه الاجرام العظيمة لايصعب عليه ان يعيد الانسان وأن يضبط حركاته وأعماله ويحصيها عليه ولذلك ختم هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها بقوله «أنه خبير بما تعملون» فذكر هذه الاشياء في هذا السياق هو كذكر الدليل مع المدلول أو الحجة مع الدعوى وهي عادة القرآن الشريف فانك تجد الدلائل منبثة بين دعاويه دائما حتى لايحتاج الانسان لدليل آخر خارج عنها كقوله تعالى « ماالمسيح بن مريم الارسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » وذلك شيء مشاهد في القرآن من أوله الى آخره وهو ==

الشمس سراجا) أي لهن كما يدل عليه السياق فالنور الذي نشاهده فيها منعكس عليها من الشمس

«٥» السماوات والسيارات السبع شيء والشمس والقمر شيء آخر فهما ليسا من السيارات كما كان يتوهم القدماء «ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر» الآية وغيرها كثير

ـــ من أكبر آيات البلاغة العليا ومن عجيب أمر هذا القرآن أن يذكر أمثال هذه الدقائق العلمية العالية التي كانت جميع الامم تجهلها بطريقة لا تقف عثرة في سبيل إيمان أحد به في أي زمن كان مهما كانت معلوماته فالناس قديما فهموا أمثال هذه الآية بما يوافق علومهم حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الاشياء علمنا أنهم كانوا واهمين وفهمنا معناها الصحيح فكأن هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين تظهر لهم كلما تقدمت علومهم وأما المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم فمعجزته لهم اتيانه بأخبار الاولين وبالشرائع التي أتى بها وبالمغيبات التي تحققت في زمنه وغير ذلك مع علمهم بصدقه وحاله وبعده عن العلم والتعلم بالمشاهدة والعيان فآيات القرآن بالنسبة لهم بعضها معناه صريح لا يقبل التأويل وفيها بيان كل شيء مما يحتاجون اليه والبعض الآخر يقبل التأويل وتتشابه عليهم معانيه لنقص علومهم وهذا القسم لا يهمهم كثيراً فانه خاص بعلوم لم يكونوا وصلوا إليها وهو معجزات للمتأخرين يشاهدونها وتتجلى لهم كلما تقدموا في العلم الصحيح قال تعالى «هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ـ أي لها معان كثيرة يشبه بعضها بعضاً وتتشابه عليهم في ذلك الزمن فلا يمكنهم الجزم بالصحيح منها ـ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ـ بتشكيك الناس في دينهم بسببه ـ وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) في زمنهم لنقص علمهم «وما أوتيتم من العلم الا قليلا» ـ والراسخون في العلم يقولون» الخ فاذا جعل قوله تعالى (والراسخون) معطوفا على لفظ الجلالة كان المعنى أن تأويله لايعلمه أحد في جميع الازمنة الا الله والراسخون في العلم يعلمونه واذا كان لفظ (والراسخون) مستأنفا كان المعنى أن الراسخين في العلم في زمنهم لايعلمون تأويله كما قلنا وانما يؤمنون به لظهور الدلائل الاخرى لهم على صدق النبي ويفوضون علم هذه الاشياء الى المستقبل من الزمان كما نفوض الآن نحن مسألة رجم الشياطين بالشهب للمستقبل و نؤمن بالقرآن لثبوت صدقه بالدلائل الاخرى القطعية

«٦» العوالم المتعددة «الحمد لله رب العالمين» والعوالم هي منظومات من الكواكب المتجاذبة «والسماء ذات الحبك»

«٧» ليست جميع العوالم مخلوقة لاجل هذا الانسان «لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس» أي الناس المعهودين على وجه الارض والانسان الارضي أفضل من بعض المخلوقات لا كلها «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» ولا ينافي ذلك قوله تعالى «وسخر لكم مافي السموات وما في الارض» إذ لايلزم من هذا القول أنها غير مسخرة لغيرنا من الاحياء فالبحر مثلا قال الله تعالى فيه «سخر لكم البحر» مع أنه مسخر لغيرنا من الحيوانات البحرية تسخيرا أتم وأعم فمنه تأكل وتشرب وتتنفس وفيه تسكن وتحيى وتموت . فما هو مسخر لبعض الحيوانات تسخيرا جزئيا قد يكون مسخرا لغيرها تسخيرا كليا . فكذلك النجوم مسخرة لنا لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر مع أنها لغيرنا شموس عليها قوام حياتهم كما أن شمسنا عليها قوام حياتنا وهي بالنسبة لهم نجم من نجومهم الثوابت . و بالجملة فان جميع العوالم بما بينها من الارتباط العام والتجاذب الذي بينها مسخرة بعضها لبعض بالنفع الكلي أو الجزئي

«٨» كان القدماء يعتقدون أن جميع الثوابت مركوزة في كرة مجوفة يسمونها كرة الثوابت أو فلك الثوابت وبحركة هذه الكرة تتحرك الكواكب كما تقدم. ومعنى ذلك أن الكواكب لاحركة لها بذاتها وأن فلك جميع الثوابت واحد وانه جسم صلب . والحقيقة خلاف ذلك فان لكل كوكب فلكا يجري فيه وحده . وكل كوكب يتحرك بذاته لابحركة غيره والكواكب جميعا سابحة في الفضاء أو بعبارة أصح في الاثير «مادة العالم الاصلية» غير مركوزة في شيء مما يتوهمون. وبهذه الحقائق جاء الكتاب الحكيم والناس في الظلمات والاوهام يتخبطون. قال الله تعالى «وكل في فلك يسبحون» والتنوين في لفظ «كل» عوض عن الاضافة . والمعنى كل واحد من الكواكب في فلك خاص به يسبح بذاته . وفي قوله يسبحون إشارة إلى مادة العالم الاصلية «الاثير» التي تسبح فيها الكواكب كما تسبح الاسماك في الماء فليست الافلاك أجساما صلبة تدور بالكواكب كما كانوا يزعمون

«٩» نص الكتاب العزيز على وجود الجذب العام للكواكب كافة من جميع جهاتها فقال « والسماء ذات الحبك ـ أم السماء بناها ـ هل ترى من فطور » راجع تفسير هذه الآيات فيما تقدم. فالكون كله كالجسم الواحد الكبير محكم البناء لاخلل فيه كما قال « وما لها من فروج » ويتخلله الاثير كما يتخلل ذرات الجسم الصغير « فتبارك الله احسن الخالقين »

«١٠» كان الناس في سالف الازمان لايدرون من أين يأتي ماء المطر ولهم في السحاب أوهام عجيبة كما كانت لهم في كل شيء سخافات وخرافات ولكن القرآن الشريف تنزه عن الجهل والخطإ فقال (ألم تر أن الله يزجي سحابا) الى قوله (فترى الودق يخرج من خلاله) وقال (أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض) ومقتضى القولين أن الماء العذب الذي نشربه ونسقي به الارض سواء كان من الينابيع أو من الانهار هو من الامطار الناشئة من السحاب . ومن أين يأتي السحاب ؟ هو بخار من بحار هذه الارض أي ان السحاب هو من الارض وهو عين قوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي ان الماء جميعه أصله من الارض وان شوهد أنه ينزل من السحاب

فهذه كلها آيات بينات ومعجزات باهرات دالة على صدق النبي وصحة القرآن

﴿ الخاتمة في بيان الغاية من هذا الوجود ﴾

قد علمنا مما تقدم أن العوالم متعددة وأنها كلها مسكونة بالاحياء العاقلة وغير العاقلة. فهل كلها مخلوقة عبثا ؟؟ وهل لهذا الوجود غاية ؟؟ أم كل هذه العوالم سائرة للفناء ؟ وخلقت لاشيء ؟ شموس وسيارات واقمار تجري في أفلاكها بانتظام ونواميس وسنن. وهي مملوءة بالاحياء وتظهر فيها جلائل أعمال الطبيعة والمخلوقات أتنقرض هذه كلها وتنتهي الى الفناء المحض والعدم الصرف ؟ كلا ثم كلا . (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون. فتعالى الله الملك الحق لااله إلا هو رب العرش الكريم)

الحياة وخصوصا حياة الحيوانات العاقلة هي كما نشاهد غاية الغايات في هذا الوجود والا كان العالم كله كالقصر المشيد الذي لاسكان فيه. أو كالملعب الجميل الذي لايرى فيه ممثلون أو لاعبون

واذا كانت الحياة هي غاية هذا الوجود فهل لهذه الحياة غاية ؟؟

واذا كانت المادة وقوتها في هذا العالم غير قابلة للعدم والفناء كما يقولون فلم تكون الحياة فانية ؟ وإذا كانت المادة وقوتها تتشكل بأشكال مختلفة وتظهر بصور وأطوار متنوعة ومع ذلك نقول ببقائها فلماذا نقول بفناء الحياة إذا تغير شكلها او صورتها ؟ أليس من العجيب أن القائلين بعدم فناء المادة والقوة هم المنكرون لبقاء الأرواح البشرية إذا غيرت المادة المنظورة شكلها ؟ مع أن الأرواح قد لا تكون شيئا آخر سوى نوع مخصوص بسيط لطيف من أنواع المادة التي لا نعرفها كالاثير الذي يقولون بوجوده وانه مالىء للعالم كله وأنه يتخلل ذرات المادة الكثيفة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

وإذا سلم أن النفوس أو الارواح لا تفنى إذا كانت من نوع هذه المادة فهل أعمال هذه النفوس تفنى وأنتم القائلون بعدم فناء القوة سواء كانت كامنة أو عاملة ؟! (Potential & Kinetic Energy)

هذا ولا يخفى أن لكل عمل أثرا في النفس (١) . وإذا سلم أن النفس

(١) روى علماء الطب الشرعي عن كثير من الغرقى الذين انقذوا من الموت بعد ان كادوا يقعون فيه أنهم رأوا جميع أعمالهم شرها وخيرها كبيرها وصغيرها حتى ما كانوا نسوه منها ممثلة أمام أعينهم وتمر عليهم واحدة فواحدة كما تمر الصور المتحركة أمام الناظرين . وهذا يدل على انطباع جميع الاعمال في النفوس وأنهم سيرونها مصداقا لقوله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) الآية وقوله (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا) . ولعل ذلك يفسر لنا قوله تعالى {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } وقوله { وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين } وتكون هاتان الآيتان واردتين على سبيل التمثيل كقوله تعالى { قالتا اتينا طائعين} وقوله { إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها } الآية وقوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم)

وعلها (قوتها) وأثر عملها لا تفنى كان من السهل علينا أن نسلم أن الاعمال السيئة تطبع في النفوس آثارا سيئة (Bad – impressions) لا تمحى . ولا تزال تلك الاعمال تطبع آثارا من جنسها في النفس كلما زادت حتى تجعل النفس شريرة أو صالحة كأنها جبلت على الشر أو الخير

وإذا كان من المشاهد أن الجزاء في هذه الحياة هو النتيجة الطبيعية للاعمال إن خيرا فخير وإن شرا فشر، والنفوس بما انطبعت عليه باقية كما بينا أفلا تلقى جزاءها الأوفى في الدار الآخرة كما كانت تلقى ذلك في الدنيا وتكون النفس الشريرة هناك دنيئة غير صالحة إلا للسكنى مع الاشرار الذين هم مثلها في دار تناسبها أحوالها كما أن النفوس الصالحة تكون في عكس ذلك (قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها)

وإذا سلم أن النفوس كما هي بشرها أو خيرها باقية أفلا يكون الجحيم والنعيم لها باقيين كذلك غير فانيين ؟ فالدنيا مزرعة الآخرة أو المدرسة لتربية النفوس . فمن ربت نفسه على الخير حتى صارت صالحة كان جزاؤها النعيم المقيم في الآخرة . ومن ربت نفسه على الشر حتى صارت شريرة فاسدة كان لها الجحيم لا يناسبها غيره لانها مجرمة (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) فالجزاء باق لان النفوس بما طبعت عليه في الدنيا باقية . قال تعالى (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فدوام العذاب هو للنفوس الشريرة التى فسدت حتى صارت لا تصلح للخير مهما بقيت في الدنيا (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون * أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير * ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون)

الدكتور محمد توفيق صدقي
طبيب لبمان طره

قانون (*)

« الجامع الازهر والمعاهد الدينية الاسلامية »

« الباب الرابع »

(في الطلبة والمدرسين والموظفين)

(الفصل الاول)

في قبول الطلبة وواجباتهم

« المادة الحادية والستون »

يشترط في قبول الطالب في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى ما يأتي :

أولا – أن لا ينقص سنه عن عشر سنوات ولا يزيد عن سبع عشرة سنة

ثانيا – أن يكون عارفا بالقراءة والكتابة بدرجة تؤهله للمطالعة في الكتب

ثالثا – أن يكون حافظا لنصف القرآن الكريم على الاقل وعليه حفظ القرآن كله عملا بنص المادة الثالثة والخمسين

رابعا – أن يكون خاليا من الامراض

خامسا – أن يقدم شهادة بحسن سيرته اذا كان قد بلغ عمره أربعة عشر عاما كاملة

« المادة الثانية والستون »

يجوز قبول العميان ضمن طلبة الجامع الازهر والمعاهد الاخرى ويتلقون من العلوم ما يناسب حالتهم بحسب ما يقرره مجلس الازهر الاعلى

ويجب أن تستوفى فيهم بقية شروط القبول وأن يكونوا حافظين للقرآن كله

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع (ص ٢٥١)

« المادة الثالثة والستون »

شروط انتساب الغرباء في الجامع الازهر يقررها مجلس الادارة وكذلك الامتحانات التي يجب عليهم أن يؤدوها ونوع الشهادة التي يمنحوها

« المادة الرابعة والستون »

يجوز قبول الطالب في غير السنة الاولى من القسم الاول بالشروط الآتية
أولا – أن يجوز الطالب الامتحان في جميع مقرر السنين السابقة على السنة التي يطلب الدخول فيها أمام لجنة يعينها مجلس الادارة من المدرسين
ثانياً – أن يكون حافظا لنصف القرآن

« المادة الخامسة والستون »

لايسوغ لاحد أن يدخل في القسم الثانوي الا اذا كان حائزا للشهادة الاولية وأدى الامتحان في علوم السنة أو السنوات السابقة على التي يريد الدخول فيها
ولا يسوغ لاحد أن يدخل في القسم العالي الا اذا كان حائزا للشهادة الثانوية وأدى الامتحان في علوم السنة أو السنوات السابقة على التي يريد الدخول فيها

« المادة السادسة والستون »

لايجوز قبول أي طالب في سنة من السنوات طبقا لما هو مقرر في المادتين السابقتين اذا كان سنه زائدا عن السن المقرر للسنة التي يريد الدخول فيها باعتبار نهاية السن المقرر لها (١)

« المادة السابعة والستون »

الطلبة مكلفون بمراعاة النظام والمحافظة على ماهو مقرر في هذا القانون ومايتقرر في اللائحة الداخلية وقرارات مجلس الازهر الاعلى ومجالس الادارة وأوامر المشيخة

« المادة الثامنة والستون »

الطلبة ممنوعون منعا باتا من الاشتراك في أية مظاهرة ومن كل اجتماع يوجب التشويش على الدروس أو الاخلال بالنظام
وأما الاحتفالات المألوفة عادة فلا تعد من المظاهرات

(١) المنار السن مؤنثة

وهم ممنوعون أيضا من اعطاء أخبار للجرائد ومن ابداء ملاحظات بواسطتها ومن ان يكونوا مكاتبين أو وكلاء لأية جريدة كانت ولا يجوز لهم مكاتبتها الا في المسائل الدينية والعملية

(الفصل الثاني)

في المدرسين والموظفين

« المادة التاسعة والستون »

يجب ان يكون المدرس تحت تصرف مجلس الادارة في جميع مايكلفه به من الدروس أو الاعمال الاخرى المتعلقة بالتعليم
فاذا امتنع بغير عذر مقبول عن أداء عمل كلف به بعد انذاره من قبل المشيخة رفت وقطعت مرتباته

« المادة السبعون »

كل عالم من غير المتقاعدين انتخب للتدريس في علم من العلوم المقررة في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى المبينة في المادة الخامسة والعشرين ولم يقبل ولم يكن له عذر مقبول لدى مجلس الادارة يمحى اسمه من سجل المدرسين وتقطع جميع مرتباته

« المادة الحادية والسبعون »

المدرس أو الموظف الذي جاء دور ترقيته في معهد غير الذي هو فيه ولا يقبل النقل يفقد حق الترقية في الدور الذي طلب نقله فيه (١)

« المادة الثانية والسبعون »

المدرسون والموظفون ممنوعون منعاً قطعياً من الاحتراف بأية حرفة في الخارج غير حرفتهم التي هم فيها
ولا يجوز لهم ان يشتغلوا بالتعليم في الخارج ولا أن يقبلوا وظيفة كذلك الا باذن خاص من مجلس الادارة
ولا يرخص مجلس الادارة بما ذكر الا في حالة الضرورة الشديدة بشرط بيان ذلك في المحضر
وكل مدرس أو موظف يوظف لدى الحكومة في آية وظيفة يرفت حتما من

(١) المنار : هذا هو نص المادة كما نشرت في الجريدة الرسمية وهي كما ترى

المعهد الذي كان يدرس فيه وتقطع مرتباته ولا يجوز تكليفه بدروس في نظير مكافأة أو بدونها إلا بقرار من مجلس الادارة وبشرط قبول الجهة التي صار الموظف تابعا لها

ويجب تصديق مجلس الازهر الاعلى على ما ذكر

« المادة الثالثة والسبعون »

المدرسون والموظفون ممنوعون من الاشتراك في آية مظاهرة ومن مكاتبة الجرائد في غير المسائل العلمية والدينية ومن اعطاء أخبار اليها مباشرة أو بالواسطة

وأما الاحتفالات المألوفة عادة فلا تعد من المظاهرات

« المادة الرابعة والسبعون »

على المدرسين والموظفين أن يكونوا خاضعين لجميع اللوائح والقرارات والاوامر المختصة بالتعليم وبالنظام

« الباب الخامس »

في الاجازات

(الفصل الاول)

في اجازات الطلبة

« المادة الخامسة والسبعون »

لا يسوغ لاحد من الطلبة أن يتغيب عن المعهد الذي يتلقى العلم فيه في غير أوقات المسامحات المقررة الا باذن كتابي من المشيخة التابع لها

« المادة السادسة والسبعون »

اذا تغيب الطالب بغير اذن أو تأخر عن الحضور للدرس بعد انقضاء أيام المسامحات أو بعد انقضاء المدة المرخص له بها ولم يكن له عذر مقبول فللمشيخة عقوبته باحدى العقوبات الاربع الاولى المنصوص عليها في الفقرة الاخيرة من المادة الثامنة والثمانين

« المادة السابعة والسبعون »

اذا بلغت مدة الغيبة شهرا ولم يكن للطالب عذر مقبول ولم يكن قد أخبر المشيخة بسبب الغيبة يرفت وتقطع مرتباته في سنة الغيبة واذا انتسب في السنة التالية يعتبر معيدا لدروسه

وكذلك يرفت وتقطع مرتباته اذا تكررت غيبته بدون اذن وبغير عذر مقبول ثلاث مرات فأكثر في السنة الواحدة وبلغ مجموع مدة التأخير في المرات الثلاث شهرا

فاذا تكرر ذلك منه مرة ثانية في سنة أخرى بعد قبول انتسابه رفت ولا يجوز قبوله في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى

« المادة الثامنة والسبعون »

اذا مرض أحد الطلبة وكانت حالته تستلزم الراحة أو المعالجة في الخارج جاز لشيخ المعهد أن يرخص له باجازة مرضية لا تجاوز ثلاثة أشهر بناء على شهادة طبية من طبيب المشيخة التابع لها الطالب أو من طبيبه الخاص بشرط تصديق طبيب المشيخة عليها

ويصح تمديد مدتها بالشروط المذكورة

فان زادت مدة الاجازة عن ستة أشهر قطعت مرتبات الطالب وبقي منتسبا

« المادة التاسعة والسبعون »

لشيخ المعهد أن يرخص كتابة للطالب باجازة استثنائية لا تجاوز مدتها خمسة عشر يوما بناء على طلب بالكتابة من الطالب أو ولي أمره ان كان له ولي أمر متى تبين أن الاسباب الداعية لذلك قوية

(الفصل الثاني)

في اجازة المدرسين والموظفين

« المادة الثمانون »

يجوز للمدرسين والموظفين الحصول على اجازات استثنائية لمدة لا تجاوز اسبوعا واحدا بشرط أن لا يتكرر ذلك أكثر من مرتين في السنة

« المادة الحادية والثمانون »

ويجوز لهم أن ينالوا اجازة مرضية لمدة أكثرها ثلاثة أشهر بمراعاة الشروط المنصوص عليها في المادة الثامنة والسبعين

ويصح تمديد مدتها بالشروط عينها

« المادة الثانية والثمانون »

كل مدرس أو موظف تأخر عن العود الى العمل المكلف به بعد انتهاء المسامحة أو الاجازة المرضية أو الاستثنائية المرخص له بها يحرم من مرتبه ابتداء من اليوم الخامس لانقضاء المسامحة أو الاجازة اذا قدم عذرا مقبولا والا فمن اليوم التالي

فاذا بلغت مدة التأخير شهرا من دون اخطار وعذر مقبول يرفت وتقطع مرتباته

« المادة الثالثة والثمانون »

يكون الترخيص بالاجازات لمدرسي وموظفي الجامع الازهر والمعاهد الاخرى فيما زاد عن أسبوع بأمر من شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى

ولا يرخص لاحد مدرسي المعاهد الاخرى أو موظفيها باجازة الا بعد أخذ رأي شيخ المعهد التابع له المدرس أو الموظف

« المادة الرابعة والثمانون »

يراعى في الترخيص للمدرسين والموظفين باجازات استثنائية أن لايتغيب منهم في آن واحد عدد تستلزم غيبته تعطيل سير الدروس أو الاعمال الاخرى أو الاستعانة بمن يقوم مقامهم في وظائفهم من غير المدرسين

« المادة الخامسة والثمانون »

يقرر مجلس الازهر الاعلى مدة الاجازة الاعتيادية التي يجوز الترخيص بها للموظفين والكتبة مع مراعاة القواعد المدونة في هذا الباب

وكذلك يقرر مدة الاجازات المرضية التي يسوغ الترخيص بها بمرتب كامل أو بنصف مرتب أو بدون مرتب كما يقرر المدة التي يجب بعدها رفت المدرس أو الموظف

الباب السادس

فى التأديب

(الفصل الاول)

في تأديب الطلبة والمدرسين والموظفين

« المادة السادسة والثمانون »

تأديب الطلبة والمدرسين والموظفين من خصائص مجالس الادارة ويقدمون للمجلس المختص بتقرير من المشيخة التابعين لها

ولشيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى أن يأمر باحالتهم في المعاهد الاخرى على مجلس التأديب مباشرة اذا تبين له مايقتضي ذلك

« المادة السابعة والثمانون »

كل واحد ممن ذكروا في المادة السابعة خالف حكما من أحكام هذا القانون أو غيره من القوانين واللوائح الخاصة بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى أو قرارات مجلس الازهر الاعلى أو مجالس الادارة أو أوامر المشيخة أو تعدى على غيره بالاذى أو ارتكب أمراً يخل بالنظام أو بالمروءة وشرف العلم والدين يعاقب تأديبيا

« المادة الثامنة والثمانون »

العقوبات التأديبية التي يجوز الحكم بها على الطلبة هي :

التوبيخ على انفراد أو بحضور الطلبة

الطرد من الدرس مدة أكثرها أسبوع

الانذار

قطع الجراية لمدة أكثرها ثلاثة أشهر

قطع الجراية مؤبدا

الاخراج من المساكن التابعة للمعهد لمدة أكثرها ثلاثة أشهر أو مؤبدا

تقليل أو الغاء اغتفار اعادة الدروس

محو الاسم من السجلات مدة أقلها سنة مع الحرمان من الامتحانات

الرفت

ولشيخ الجامع الازهر ومشايخ المعاهد الاخرى توقيع العقوبات الاربع الاولى وللمدرسين توقيع العقوبتين الاولين مع مراعاة أن الطرد من الدروس لا يكون الا من الدرس الذي حصلت فيه المخالفة

« المادة التاسعة والثمانون »

العقوبات التأديبية التي يحكم بها على المدرسين وبقية الموظفين الداخلين هيئة العمال هي :

الانذار

قطع المرتب لمدة أكثرها خمسة عشر يوما

الايقاف بلا مرتب لمدة أكثرها ثلاثة أشهر

تنقيص الراتب

الانزال من درجة الى التي دونها

الرفت

« المادة التسعون »

يجوز لشيخ الجامع الازهر ومشايخ المعاهد الاخرى توقيع العقوبتين الاولين

« المادة الحادية والتسعون »

تأديب الخدمة الخارجين عن هيئة العمال يكون بمعرفة شيخ المعهد

« المادة الثانية والتسعون »

محو الاسم والرفت يقتضيان عدم قبول المحكوم عليه في أي معهد آخر

(الفصل الثاني)

في الاستئناف

« المادة الثالثة والتسعون »

يجوز للمدرسين والموظفين دون غيرهم ان يستأنفوا الاحكام الصادرة عليهم من

مجالس الادارة بالايقاف وتنقيص الراتب والانزال من الدرجة والرفت

« المادة الرابعة والتسعون »

يرفع الاستئناف الى مجلس الازهر الاعلى بعريضة يقدمها المحكوم عليه شاملة لبيان أوجه تظلمه من الحكم بيانا كافيا

« المادة الخامسة والتسعون »

المدة التي يجوز فيها رفع الاستئناف ثمانية أيام من تاريخ علم المحكوم عليه بحكم مجلس الادارة

« المادة السادسة والتسعون »

يثبت علم المحكوم عليه بالحكم الصادر في حقه باخباره وقت النطق به في جلسة الحكم أو بخطاب رسمي يرسله اليه رئيس المجلس الصادر منه الحكم

« المادة السابعة والتسعون »

يحكم مجلس الأزهر الاعلى في الاستئناف المرفوع اليه بعد اطلاعه على أوراق الدعوى وأوجه تظلم المحكوم عليه المبينة في عريضة الاستئناف أو التي يقدمها بمذكرة خاصة

وله أن يسمع أقوال المحكوم عليه اذا تراآى له ذلك

« المادة الثامنة والتسعون »

يجوز لشيخ الجامع الأزهر بصفته رئيس مجلس الأزهر الاعلى أن يستأنف الاحكام الصادرة من مجالس التأديب في ظرف شهر من تاريخ صدورها

(الفصل الثالث)

أحكام تأديبية أخرى

« المادة التاسعة والتسعون »

ينعقد مجلس الازهر الأعلى بهيئة مجلس تأديب خاص للنظر فيما ينسب لمشايخ

المعاهد الأخرى والوكلاء والحكم عليهم بالنقل أو باحدى العقوبات المنصوص عليهافي المادة التاسعة والثمانين

وينظر المجلس في ذلك بناء على تقرير يقدم اليه من شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الأعلى

« المادة المئة »

الموظفون بارادة سنية يجوز فصلهم كذلك بناء على طلب شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الأعلى

ويجوز لمجلس الازهر الأعلى أيضا فصل الموظفين الآخرين والمدرسين بدون احالتهم على مجلس التأديب اذا وجد ما يقتضي ذلك

ولمجالس الادارة فصل مشايخ الاروقة ومشايخ الحارات الذين يزيد مرتب الواحد منهم على عشرة جنيهات في الشهر

ولشيخ الجامع الازهر ولمشايخ المعاهد الاخرى فصل من لم يزد مرتبه منهم عن ذلك

« المادة الاولى بعد المائة »

اذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته أو مهنته مالا يناسب وصف العالمية يحكم عليه من شيخ الجامع الازهر باجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها في الباب السابع من هذا القانون باخراجه من زمرة العلماء

ولا يقبل الطعن في هذا الحكم

ويترتب على الحكم المذكور محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الازهر والمعاهد الاخرى وطرده من كل وظيفة وقطع مرتباته في أية جهة كانت وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية

« الباب السابع »

في هيئة كبار العلماء

« المادة الثانية بعد المائة »

يكون بالجامع الازهر ثلاثون عالما اختصاصيا لكل واحد منهم بالازهر كرسي

خاص في المحل الذي يخصص للتدريس العام بمعرفة شيخ الجامع الازهر

ويجوز أن يوجد البعض منهم في المعاهد الاخرى بصفة شيخ المعهد أو وكيله

« المادة الثالثة بعد المائة »

يطلق على العلماء الثلاثين المذكورين في المادة السابقة اسم { هيئة كبار العلماء }

« المادة الرابعة بعد المائة »

الفنون التي يختص كل عالم من هيئة كبار العلماء بواحد منها هي الآتية

{ ا } الفقه وأصول الفقه

{ ب } الحديث ومصطلح الحديث

{ ج } تفسير القرآن الكريم

{ د } علوم اللغة العربية

{ ه } التوحيد والمنطق

{ و } التاريخ والسيرة النبوية والاخلاق الدينية

ويجوز أن يختص الواحد بفنين اثنين ولا يعتبر بالنسبة للعدد أو المرتب الا فن واحد منهما باختيار صاحبهما

« المادة الخامسة بعد المائة »

يكون للسادة الحنفية احد عشر كرسيا وللسادة الشافعية تسعة وللسادة المالكية تسعة وللسادة الحنابلة كرسي واحد

« المادة السادسة بعد المائة »

يشترط أن يكون للفقه ثلاثة كراسي للحنفية واثنان لكل من الشافعية والمالكية وواحد للحنابلة

ويجب أن يخصص ثلاثة كراسي لعلوم اللغة العربية وكرسيان على الاقل لكل واحدة من المجموعات الاربع الباقية وهي التفسير ثم الحديث ثم التوحيد والمنطق ثم التاريخ والسيرة النبوية والاخلاق الدينية

« المادة السابعة بعد المائة »

يشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء

أولا — أن لا يكون سنه أقل من خمس وأربعين سنة

ثانيا — أن يكون قد مضى عليه وهو مدرس في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى عشر سنين على الاقل منها أربع على الاقل في القسم العالي

ثالثا — ان يكون قد ألف كتابا في أحد العلوم المذكورة في المادة الرابعة بعد المائة وان يكون قد منح الجائزة العلمية المنصوص عليها في المادة الثانية والعشرين بعد المائة من هذا القانون

رابعا — أن يكون معروفا بالورع والتقوى وليس في ماضيه مايشين سمعته

« المادة الثامنة بعد المائة »

يكون تعيين كبار العلماء بارادة سنية بناء على طلب شيخ الجامع الازهر بعد الانتخاب بأغلبية ستة عشر من هيئة كبار العلماء ويبقون في وظائفهم ماداموا قادرين على اداء العمل المكلفين به

« المادة التاسعة بعد المائة »

يعطى كل عالم دخل ضمن كبار العلماء راتبا شهريا قدره عشرون جنيها وينعم عليه بكسوة التشريف من الدرجة الاولى ان لم يكن حائزا لها من قبل

« المادة العاشرة بعد المائة »

يجب على كل من حضراتهم أن يلقي في كل أسبوع بالجامع الازهر أو بالمعهد الموجود به ثلاثة دروس على الاقل في العلم الخصيص هو به وأن يكون القاء الدرس في وقت يتمكن فيه العدد الاكبر من العلماء من حضوره وله أن يلقي درسا عاليا آخر في غير العلوم المنصوص عليها في المادة الرابعة بعد المائة

« المادة الحادية عشرة بعد المائة »

يضع شيخ الجامع الازهر مع من يختاره من هيئة كبار العلماء نظام الوعظ والارشاد وقواعدهما ويصدرها الى الجهة المختصة لتنفيذها

« المادة الثانية عشرة بعد المائة »

ترجع هيئة كبار العلماء في نظامها وسيرها وسائر ما يتعلق بها الى لجنة تؤلف تحت رياسة شيخ الجامع الازهر من ستة علماء تنتخبهم الهيئة وما تقرره يجب اتباعه مع ملاحظة ما هو متعلق بالنظام العام للازهر من نصوص هذا القانون

« المادة الثالثة عشرة بعد المائة »

تتألف هيئة كبار العلماء اول مرة من العلماء الذين ينتخبهم مجلس الازهر الاعلى مع عدم مراعاة نص المادة الثانية بعد المائة بالنسبة لا كمال العدد ثلاثين ونص المادة السابعة بعد المائة بالنسبة لاستيفاء الشروط

(لها بقية)

كلمات علمية عربية

(أسوقها الى المترجمين والمعربين *)

(مقدمة) لما كان من مستلزمات نهضتنا العلمية العصرية نشر الكتب بين أمتنا باللغة العربية الشريفة وكان كثير من الناس يظن أن لغتنا فقيرة في الاصطلاحات العلمية كالالفاظ الطبية وغيرها أردت نشر ما عثرت عليه في هذا الباب من الكلمات الفصيحة التي تفيد المعربين والمؤلفين باللغة العربية وها كها بغير ترتيب بل أنشرها كلما عثرت على شيء منها وأرجو الله تعالى أن ينفع بها الناطقين بهذه اللغة وأن يرد بها افتراء الذين يرمون لغتنا بالضعف والنقص وسأذكرها مع ما يقابلها من اللغة الانجليزية الا اذا لم يوجد لها مقابل أو كان ما يقابلها معروفا مشهورا وحينئذ يكون الغرض من ذكرها ضبطها بلغتنا أو بيان أنها ليست عامية كما قد يتوهم بعضهم فأقول :ــ

القَلَح صفرة الاسنان

الظَّلْم الطبقة اللامعة للاسنان (Enamel)

الحَثَر إلتهاب بثري للعين (Phlyctenular Conjunctivitis)

الانتشار في العين تمدد ناظرها (Dilatation of Pupil)

الظَفَرة (Pterygium) هي جليدة تغشى العين من تلقاء المآقي

السَّبَل (Pannus) كُدورة القرنية مع تكون شريانات فيها وهي تنشأ من الرمد الحبيبي

الغرب (Dacryocystitis) التهاب الكيس الدمعي للعين

العائر والساهك (Panophthalmitis) التهاب مقلة العين وتقيحها

اللَخَص التصاق الجفون (Blepharo-phimosis)

اسمدرّت عينه ظهر لها سمادير (motes)

*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

وهي اشباه الذباب ترى أمام العين

الكَمَش (Astigmatism) عدم اجتماع أشعة الضوء في العين في نقطة واحدة لعدم انتظام القرنية فيضعف الابصار

البَخَق (Glaucoma) مرض يحدث بضمور الشبكية لشدة ضغط سوائل العين عليها لكثرتها فيذهب البصر والعين منفتحة

الاطراق استرخاء الجفن (Ptosis)

الخَفَش (Hyper-metropia) القدرة على رؤية الشيء بعيدا مع عدم القدرة على رؤيته قريبا لصغر العين أي صغر قطرها الامامي الخلفي

الشتر (Ectropion) انقلاب الجفن

الحَوَص ضيق العين الخلقي

الخَوَص غؤور العين

العقيقة الشعر الذي يولد به الانسان (Down)

الحاسم[1] (Artery forceps) جفت الشريان

ضمد الجرح Todressit

الضماد Dressing

الحجبتان رأسا الوركين

القتير رؤوس المسامير

الكراديس أو المُشاش Epiphysis هي رؤوس العظام

السحج Abrasion

النَّدْب أثر الجرح أو البثر (Scar)

السِّدَاد Stopper

الناجود . الكوب Beaker

الفِلِز Mineral

الاطار هو كل ما أحاط بالشيء Frame

المِكوى Cautery

اللدْن Caoutchouc

الِملاب العطر المائع والكِباء العطر اليابس

الخِوان للاكل Table

سرير العملية Operation-Table

غَور أو قعر الكيس Cul de Sac

كِرش الدابة معدة الانسان . حوصلة الطائر

الرُضاب اللعاب

اللِبأ Colostrum وهو أول اللبن بعد الولادة

الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره وفي الانسان الشهيق جذب الهواء للرئة والزفير اخراجه Inspiration. Expiration

الحَمَالة بالفتح Suppository ما يتحمل

(١) المنار : الحاسم والمحسمة كل مانع قاطع واصله ما يمنع به العرق ان يسيل دمه وكانوا يحسمون بالكي

به في المستقيم أو المهبل أو مجرى البول
وجع فلانا بطنه أصابه ألم فيه
النَّقبة أول الجرب
العِقيُ Meconium أول براز للطفل
الفنجانة والفنجان Cup
البكرة من الخشب Trochleur
القَرَع Favus داء معروف
البق Bugs
الجرنفش العظيم الخلقة Acromegaly
الأرأس Hydro_cephalus العظيم الرأس
العثجل العظيم البطن
الاركب العظيم الركبة
الحتار أو الحنذل Cretin صغير الجسم والعقل
مح البيضة صفارها
مُسكاكة العظم Sequestrum ما ينفصل منه لمرض
النَّصفان من الانية ما بلغ الماء (ونحوه) نصفه. وقربة نَصفى Half-ful
الوَتَرة ما بين المنخرين
المنخران Nostrils
النَّثرة ما بين الشاربين أسفل الوترة

المُرَيْطاء Hypogastrium ما بين السرة والعانة
البرَص Leucodermia
الكَوْكب بياض في سواد العين Leucoma
الغربيب jet-black شديد السواد
الكُباد: التهاب الكبد Hepatitis
الثنايا Middle.incisors
الرباعيات Lateral incisors
الأنياب Canines
الضواحك Anterior pre-molars
الرَّحى Molar
النواجذ Wisdom teeth
اللفف Hesitation in speech
الخنخنة Nasal twang
الصَّعَر Torticollis التواء العنق
ثُندأة الرجل ثديه
برثن السبع ومخلب الطائر
الرعاف Epistaxis نزيف الانف
القضئة . دم العُذرة (أي البكارة)
والجَسَد Clot الدم المتجمد
الشَّرق Sarcoma ورم لحمي خبيث
ألية الاصبع Thenar
الحَمَاة Calf لحمة الساق

الثَّرب الشحم على الامعاء والكرش Omentum
الخُشَشاء Mastoid Bone العظم الناتئ خلف الاذن
الحَجاج Orbit عظم الحاجب
الداغصة Patella عظم فوق مفصل الركبة
الكلس Calcium (الجير)
الشَّوى Scalp فروة الرأس
الجُلبة Scab قشرة تغطي الجرح أو البثر
القيض قشرة البيضة
الغِرقئ القشرة التي تحت القيض
السابياء والحُولاء والسُّخد كلها بمعنى Amniotic fluid أى السائل الامينوسي الذي فيه الجنين
الصؤاب (والصئبان) جمع صؤابة وهي بيضة القمل والبرغوث
الرَّمص Meibomian Secretion وسخ العين
الأُفّ Wax of ear وسخ الاذن
الحَزاز والهِبرية والابرية وسخ في الرأس كالقشر
تعفن العضو Gangarene
غَبِر العرق Thrombosed اذا انسد

الوريد والتهب
الدُّردي ما يركد في اسفل الدهن والشراب من الكدر وغيره
مَذِرت البيضة فسدت
الزُّحار الدوسنطاريا Dysentery
الزحير Tenesmus
الوَجور الدواء الذي أو غيره يوجر أي يصب في الفم
الشقيقة Migraine صداع في نصف الرأس
القُلاع Aphthœ بثور بيضاء التهابية في الفم
الرَّثية Rheumatism التهاب المفاصل
الحُزرة Lumbago داء يأخذ في مستدق الظهر بفقرة القطن
السَّنون ما يستاك به
الشَّوصة Pleurodynia ألم الجنب
الخُناق Diphtheria
الذُّبحة Angina
التوصيم Malaise فتور الجسم
الهيضة Cholera الهواء الاصفر
التشنج والتقلص بمعنى
غَفَر الجرح نكس وانتقض Became septic

الشخوص Catalepsy من شخص اذا فتح عينيه وجعل لايطرف مع دوران في الشحمة (المقلة)
الصَّرع Epilepsy
ذات الجنب Pleurisy التهاب بلوراوي
ذات الرئة أو البرسام Pneumonia التهاب الرئة
القروة . القليلة وهي سائل يكون في جراب الخصيتين
عرق النسا ألم في العصب الوركي Sciatica
الحَصبة Measles
الدوالي Varicose veins تمدد الاوردة وانتفاخها
داء الفيل Elephantiasis
الماليخوليا تعريب Melancholia
السِّل والهلس والهُلاس بمعنى وهو التدرن الرئوي
الشَّرى مرض جلدي Tinea Circinata
الحَصَف Sudimina, Milaria حبيبات تظهر في الجلد بعد العرق الشديد
السَّلعة Lipoma ورم شحمي
النَّملة Herpes مرض جلدي يحدث نفطات صغيرة
الخنازير Scrofula

النار الفارسية Pemphigus نفاخات ممتلئة ماء رقيقا تخرج بعد حكة ولهب وتحدث حمى شديدة
النفاخات (الفقاقيع) Bullœ
حمى النافض Malaria
» الدق Typhoid
الحمى المطبقة أو المحرقة Typhus
الصنبور (الحنفية) Tap
الإداوة Avessel with a tap
البزباز هو يسمى بالعامية (بزبوز)
التفشقش Desquemation سقوط البشرة
الزمانة Partial paraplegia الاقعاد الجزئي
الاقعاد Praplegia الشلل النصفي السفلي
الحَدب Kyphosis بروز الظهر ودخول الصدر وهو احدب وهي حدباء
القَعس Lordosis بروز الصدر ودخول الظهر وهو اقعس وهي قعساء
الفَدَع Talipes اعوجاج القدم أو اليد
الأصك Knock-kneed
الأقفد Has Talipes equinus من كانت قدمه كقدم الفرس

الضهياء المرأة المصابة بانقطاع الحيض
المثناء Has incontinence المصابة بسلس البول
الرتقاء أو العفلاء — Has imperforate hymen المسدودة المهبل بغشاء صفيق
الرعدة ارتعاش المحموم Rigors
الرعشة ارتجاف المسن وضعيف العصب Tremors
القفقفة ارتعاش البرد
المخوض الآلة التي يضرب بها الشراب ليختلط Glass rod
الخِلفة Lienteric diarrhœa خروج الطعام من البطن بدون هضم لشدة الاسهال
مراقُّ البطن مارق منه ولان
المسام Pores
الجلمان آلة لحق الرأس وغيره
الأعلم Hare-lip مشقوق الشفة العليا
الأفلح مشقوق الشفة السفلى
الأشرم مشقوق الشفتين
الاخرم مشقوق الانف
هاض العظم كسره ثانية Refracture

الرض Contusion
المِخدة . وسادة : معروفة
الخمْل Villi
الشريان Artery
الرِّزمة Dozen
الاقط مايسمى الكشك
مُصمت أي غير أجوف أومسدد
المحجن أو العُقَّافة Hook
الشغاف Pericardium غشاء محيط بالقلب
التامور دم القلب
الفالوذج مايسمى بالعامية البالوظة
العيبة وعاء الثياب
المِركن وعاء من الخزف كالذي يوضع فيه المرهم
التكبد hepatisation صيرورة الرئة كالكبد بعد التهابها
الرغيدة والصحيرة هي مانسميه (مهلبية) لبك معروفة وهي كلمة صحيحه ليست عامية
العفص القابض Styptc فاذا كان فيه حرافة وحرارة كالفلفل فهو حامز

(لها بقية)

﴿ باب الانتقاد على المنار ﴾

علم القراء أن من سنتنا نشر ماينتقد على المنار والجواب عنه إما بالاعتراف بخطئنا وإما ببيان خطأ المنتقد، وليس من هذه السنة ان نحفل بمطاعن السفهاء او الحاسدين، او اعداء الاصلاح الدجالين ، فان مطاعنهم ليست انتقادا وليس فيها شيء من العلم ، وانما يفترون كذبا ويخلقون إفكا ، ويحرفون الكلم عن مواضعه فيجعلون الكفر إيمانا والايمان كفرا ، ويزينون جهلهم بالشعريات والجدليات ، ويحمون أنفسهم بمالا يخوض مثلنا فيه ولله الحمد . وقد يكون من يهتنا بمثل ذلك ممن اشترك في المنار من السنة الاولى واستفاد منه وا كل علينا قيمة الاشتراك عدة سنين واستحينا من مطالبته لادعائه صحبتنا ، وقد يكون ممن لا يقرأ المنار ولايعلم شيئاً مما فيه

مثال ذلك قول بعضهم ان صاحب المنار يناظر الله (عز وجل) ويساميه ويقاسمه سلطانه على النفوس وسيطرته على القلوب .. ويطاوله في كتابه ، وانه كذب كتاب الله واتخذه هزؤا ولعبا « وحسبك بهذا مروقا من الدين وخروجا عليه » ...

اما زعمه الأول { منازعة الله تعالى وتقدس في الوهتيه } فلم يأت عليها بشبهة ، واما الثانية المتعلقه بالقرآن العظيم فقد ذكر لها شبهة لا يقولها الا مثله وهي اننا نقلنا منذ اربع عشرة سنة ان بعض أدباء مصر قال في وصف مقدمة كتابنا الحكمة الشرعية كدنا ان لا نميز بين كلامها وما فيها من آيات القرآن لولا الحفظ

لو كان مثل هذا مما يشتبه على من شم رائحة العلم باللغة العربية لرددنا عليه - لا بأنه من باب الغلو الشعري في التشبيه الذي قاعدته ان المشبه ابلغ واعلى من المشبه ، ولا بأن حاكي الكفر ليس بكافر اذا فرضنا ان هذا كفر او خطأ ، ولا بأن عدم التمييز بين كلام البشر وبعض كلام الله المقتبس فيه لغير الحافظ لا يعده أحد من فقهاء المسلمين كفرا ولاطعنا في القرآن لأنه قديكون من الجهل بالاعجاز او يكون ذلك المقتبس قليلا لم يبلغ القدر الذى قال علماء العقائد انه معجز. ومن كفر من يخطئ بمثل هذا فانه يكفر اكثر المسلمين، ولاسيما الاعاجم والاميين، - بل كنا نورد بعض الآيات الكريمة من الكتاب المجيد في استعمال مادة كاد استعمالا لا يقدر القاذف المكفر ان يفسره بمثل ما فسر به كلمة ذلك الأديب كقوله تعالي

(١٧ : ٧٣ وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفتري عليه غيره واذا لا تخذوك خليلا ٧٤ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا)

كادمعناها المقاربة ومن قارب الشيء لايحكم عليه بأنه تلبس به بل يحكم بأنه لم يتلبس به، وقد يكون ذكر المقاربة للتمهيد الى نفي الشيء في مظنة وقوعه بحسب العادة أومامن شأنه أن يخطر بالبال لا لاثباتها بالفعل ، ولذلك قال بعض المفسرين انه صلى الله عليه ما ركن اليهم ولا قارب الركون . ومعنى عبارة ذلك الاديب المصري « وهو ابراهيم بك اللقاني رحمه الله تعالى » ان تلك المقدمة بليغة بحيث يمكن للمبالغ في مدحها أن يقول لولا الحفظ لقاربت ان لا أميز بينها وبين ما فيها من الآيات المقتبسة حقيقة او ادعاء على سبيل المظنة ، وحاصله انه ما قارب ، فكيف يكفر هو ومن نقل كلامه

من قبيل هذا الطعن ما شنع به بعض الدجالين من اعداء الاصلاح علينا وعلى شيخنا الاستاذ الامام ، وشيخه حكيم الاسلام، ويتجرأ به على رمينا بالكفر والدعوة اليه ويطعن في انسابنا ويستدل على ذلك باوهامه وأحلامه، التي يصورها له الشيطان في يقظته ومنامه ، ومن الناس من تصور لهم أحلامهم افضل البشر، بمايناسب اعتقادهم { اي الرائين } من الصور ، كما تريهم طواغيتهم بصور نورانية ، وهيا كل قدسية ، وقد بلغ بعض الصالحين أن بعض مبغضيه رآه بصورة مظلمة ، فقال إنما رأى صورة نفسه في مرآتنا الصافية ، ومثله قول الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى في هذا المعنى * ذا من صفانا رأوا اوصافهم فينا * على ان غير واحد من أهل العلم والصلاح قدرأوا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى رؤى صالحة تمثل ما كان عليه من كمال العلم والعرفان، واستغراق الاوقات في خير الأعمال ، فهل نعتد برؤى الصالحين ، ام بأحلام سيئي الاعتقاد من الدجالين ، الذين تشهد عليهم ألسنتهم بأنهم ينطقون عن الهوى ، كما نبين لك ذلك بالامثلة الآتية

فمما قاله من اشرنا اليه في الاستاذ الامام ان تفسيره للقرآن كان يبدي فيه آراءه وهي إما فسق وإما كفر !! ولكن كيف كان يقر هذا الفسق والكفر علماء علماء الأزهر، فهل اجمعوا على الفسق والكفر وانفرد ذلك الشاعر الدجال بالايمان والتقوى؟ ومن قال هذا القول في تفسير الاستاذ الامام الذي كان يلقيه في الأزهر على مسمع الجم الغفير من العلماء والطلاب لا يستغرب منه ان يقول ان صاحب المنار جوز الكفر لتلاميذ المدرسة الكلية الامريكانية بيروت في جزء شهر شعبان سنة ١٣٢٧ ومن راجع ذلك العدد يرى فيه اناشددنا عليهم في مسألة مشاركة النصارى في حضور عبادتهم وذكرنا لهم اتفاق العلماء

على حظر ذلك وعده من الردة بشرطه ونصحنا لهم بأربع {١} مطالعة الكتب التي تبين حقيقة الاسلام والنسبة بينه وبين النصرانية {٢} مطالعة الكتب التي تعارض كتبهم الدينية ككتاب اضرار تعليم التوراة والانجيل {٣} المواظبة على الصلوات الخمس لاسيما مع الجماعة وعلى الصيام وسائر أعمال الاسلام {٤} ما امر الله به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر و.. الخ (راجع ذلك في ص ٦٣٩ م ١٣) فاذا كان هذا هو تجويز الكفر فما هو الاسلام والايمان ؟ هل هما نشر الخرافات الممهدة لدعوة الدجال ؟

﴿ نقد الروايات وحديث سجود الشمس واستئذانها بالطلوع ﴾

هذان مثالان أو أمثلة من مطاعن الدجالين الذين يملي عليهم الجهل والهوى ما يكتبون ، ولا يميزون بين ما هو بديهي البطلان وما يمكن ان تقوم عليه الشبهة . ومن النوع الثاني تحريفهم لكلام لنا في نقد الروايات نذكره ثم نبين حقيقة معناه وما قالوه فيه . وهذا نصه بعد بيان مكان أحاديث الآحاد من الدين، وهل تفيد الظن أو اليقين ،

« ولا شك في ان كثيرا من الاحاديث المروية في دواوين المحدثين المشهورة تفيد هذا النوع من العلم واليقين ولا يعقل ان يكون كل مارواه المسلمون عن النبي (ص) غير موثوق به بل لا يعقل ان تكون أكثر روايات التاريخ التي اتفق عليها المؤرخون كاذبة ، فكيف يكون أكثر مارواه المحدثون واتفقوا على تصحيحه كاذبا وهم أشد تحريا وضبطا من المؤرخين . واحتمال خطإ بعض الرواة العدول ووقوع ذلك من بعضهم لايمنع الثقة بكل مايروونه . كما ان مجرد تعديل المحدثين لهم لايقتضي قبول كل ماووه بغير بحث ولا تمحيص

« فالجامعان الصحيحان للبخاري ومسلم هما أصح كتب الحديث متنا وسندا لشدة تحري الشيخين فيهما (رضي الله عنهما وجزاهما خيرا) ومع هذا لم يتلقهما المحدثون بالقبول تقليدا لهما وثقة مجردة بهما بل بحثوا ومحصوا وجرحوا بعض رواتهما وبينوا غلط بعض متونهما . كتغليط مسلم وغيره لرواية شريك عند البخاري في حديث المعراج ، وتغليطهم لمسلم في حديث خلق الله التربة يوم السبت (وتقدم ذكرها) وفي حديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات . وفي حديث طلب أبي سفيان بعد إسلامه أن يتزوج النبي (ص) أم حبيبة ويتخذ معاوية كاتبا .

« ومن دقق النظر في تاريخ رجال الصحيحين ورواية الشيخين عن المجروحين

منهم يرى أكثرها في المتابعات التي يراد بها التقوية دون الأصول التي هي العمدة في الاحتجاج . ثم اذا دقق النظر فيما انكروه عليهما مما صححاه من الاحاديث يجد ان أقوالهما في الغالب أرجح من اقوال المنازعين لهما لا سيما البخاري فانه أدق المحدثين في التصحيح ولكنه ليس معصوما من الغلط والخطأ في الجرح والتعديل

« وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدها والقليل منها مختلف فيه وما من امام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فاذا جاز رد الرواية التي صح سندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت الخ لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والارض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك فأولى وأظهر ان يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة لا سيما لمن لم يجد لها تخريجا يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون) . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لأن نفس النبي « ص » أعلى وأقوى من ان يكون لمن دونه تأثير فيها، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥: ٨ وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩ انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)

« ومثل هذا وذاك ماخالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لانا لم نجد جوابا مقنعا للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لاتغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيا لاشبهة فيه . فاذا قلنا انها يصدق عليها مع ذلك انها ساجدة تحت العرش لانها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولان كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — ان لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لاحقيقية فهي معنوية — اذا قلنا هذا أوانه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقا ظاهرا لامراء فيه؟ اللهم لا . ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم والانبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم

يقل أئمة الدين انهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأبير النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه

زعم ذلك الدجال أن في هذه العبارة تصريحا بصحة رواية حديث سجود الشمس واسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتكذيباً له اللهم (سبحانك هذا بهتان عظيم) واستنبط من ذلك الجزم بكفر صاحبها !! والعبارة بعيدة من هذا الزعم ، كبعد ذلك المحرّف عن الاخلاص والعلم ، اذ الكلام في الرواية التي تردّ لعلة في متنها وان صح بحسب صناعة تعديل الرجال سندها ، ومعنى ردّ الرواية عدم تسليم إسنادها الى النبي (ص) أو الصحابي ومثلنا لذلك بما رد من هذه الروايات لمخالفته لما جرى عليه العمل بالاجماع ، وما ردّ لمخالفته للقرآن { ومن هذا القبيل ردّ المفسرين لرواية الصحيحين في سبب نزول « فما لكم في المنافقين فئتين » كما ترى في تفسير هذا الجزء} وبما رد منها لكونه شبهة على القرآن

ثم قلنا « ومثل هذا وذاك ماخالف الواقع كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب» أي ومثل ماخالف العمل وخالف ظاهر القرآن بحيث يعد شبهة عليه ماخالف الواقع . وقد عبرنا في هذه المواضع بلفظ الرواية للاشعار بعدم تسليم كون هذا حديثا ثم أشرنا الى الوقف في معناه بقولنا اننا لم نجد جوابا مقنعا للمعترض . وهذا بصرف النظر عن مسألة الرواية

ثم قلنا « ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم » الخ أردنا بهذا النوع مالا ينطبق على الواقع المحسوس الذي لانزاع فيه . قلنا هذا النوع ولم نقل هذا الحديث نفسه ، وقلنا « قد يخرج » وكلمة قد هنا تشير الى قلة هذا وعدم الجزم به . وقلنا « بعضه » ولم نجعل ماهو موضع البحث من هذا البعض ، وانما مثلنا له بحديث تأبير النخل الذي جعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمهيدا ليبين للناس أنهم أعلم بأمور دنياهم وان الانبياء لم يبعثوا ليعلموا الناس الزراعة والصناعة بدقائقها وتفصيلاتها بل ليعلموهم الدين

ثم بعد هذا كله استثنينا من هذا النوع الاخبار عن عالم الغيب وقلنا ان الانبياء معصومون فيه ، نعني انه ان صح عنهم وجب تصديقهم فيه للاشارة الى ان هذه الرواية التي هي محل البحث قد تكون من المسائل الغيبية

فقد رأيت أيها المنصف المستقل في الفهم، الذي يخاف الله أن يكفر عباده المؤمنين به بغير علم ، أن أصل كلامنا في رد تلك الرواية وعدم تسليم صحتها ، وان عبارتنا

تشعر مع ذلك بالوقف في معناها { ولا سيما في حال روايتها بالمعنى كما هو الاغلب في مثلها ونبهنا على هذا في موضع آخر } وتشير الى انه يجوز ان تكون من باب الكلام عن عالم الغيب الذي نسلم به مالم يكن محالا ، فاين هو الجزم بصحة الرواية وتكذيب مضمونها مع الاعتراف باسنادها الى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ؟ !

وهب اننا جزمنا بصحة الرواية وخرجناها على الرأي في الامور الدنيوية كحديث تأبير النخل الثابت في الصحيح فهل يعد هذا كفرا مع قوله (ص) في ذلك الحديث « أنتم اعلم بأمر دنياكم » ؟ وروى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه عن رافع بن خديج عن النبي {ص} قال « انما انا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر » وروى احمد وابن ماجه من حديث طلحة عن النبي {ص} انه قال « ان الظن يخطىء ويصيب ولكن ماقلت لكم قال الله فلن أكذب على الله » وعلم السيوطي على هذا الحديث في الجامع الصغير بالصحة . فلو فرض أنني جعلت الحديث الذي هو موضع البحث من قبيل تأبير النخل وكان جعله من قبيله غير ظاهر فقصاري مايمكن أن يقال إنني اخطأت في الفهم . على انني لم أجعله من هذا القبيل كما علمت

هذا واننا قد نبهنا مرارا على أن بدعة التكفير قد أحدثها غلاة المبتدعة بتكفيرهم من يخالف بدعتهم وان مما امتاز به اهل السنة « عدم تكفير احد من أهل القبلة » وقد اشتهر ان العمدة عندهم في التكفير هو جحود شيء مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ممن نشأ بين المسلمين ولم يكن حديث عهد بالاسلام اي أن يجحده عالما به او جاهلا غير معذور بجهله ، واشترطوا أيضا أن يكون غير متأول ، فان من جحد ذلك الشيء بتأويل ظهر له لا يكون كافراً ، ولكن أين هؤلاء المجازفون من العلم والفقه ومن السنة وأهل السنة

اننا لم نقصد بما ذكرنا هنا الرد والمناظرة وانما قصدنا التذكير والعبرة ، ليتذكر العاقل المنصف ان تصدي أمثال هؤلاء للكلام والكتابة في الدين، هو اكبر مصائب المسلمين ، والتمهيد به لبيان ما انتقد على المنار في هذا العام بنوع من الاستدلال ، سواء كان من حسن الظن او سيئه وموعدنا بيان ذلك الاجزاء الآتية

تقريظ المطبوعات الجديدة

(اساس التقديس) رسالة في علم الكلام للشيخ فخر الدين (محمد بن عمر) الرازي الشهير ، كتبها واهداها للسلطان ابي بكر بن أيوب . وقد بسط الكلام فيها على تأويل المتشابهات من الآيات والاحاديث الواردة في صفات الباري تعالى، واسلوبه في مذهب الأشعري معروف مشهور يمتاز بالسهولة وكثرة الدلائل التي لم يسبق اليها ، ويتكلم في أواخرها على مذهب السلف

(الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء في وجود الله تعالى وصفاته ونظام العالم) هذه الرسالة للشيخ ملا عبد الرحمن الجامي يذكر فيها مذهب المتكلمين في المسألة ثم مذهب الحكماء ثم مذهب الصوفية ويرجحه على المذهبين . ولعمري ان الجميع فلاسفة ولكل وجهة وطريقة في البحث . والحق ما كان عليه سلف الامة الصالحون من اهل الصدر الاول

طبع هاتين الرسالتين في كتاب واحد الشيخ محيي الدين صبري الكردي وشريكاه من قومه الشيخ عبد القادر معروف والشيخ حسين نعيمي . فنثني على همتهم ونحث أهل العلم على قراءة الرسالتين وتباعان في مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ الواجبات ﴾

كتاب جديد وضعه وطبعه ونشره سامي افندي بوا كيم الرامي من فضلاء السوريين في (سان باولو – البرازيل) وقدمه هدية معنوية الى والده بوا كيم افندي مسعود الرامي قسم المصنف الواجبات الى واجبات عامة وواجبات افرادية ، فمن الاولى ما يجب للاهل والاقربين والازواج والاصدقاء بعضهم على بعض وكذا ما يجب للاعداء وللجنس البشري وللبهائم . ومن الثاني ما يجب على المعلمين والصحافيين والاطباء والمحامين والجنود والتجار والزراع والصناع . وذكر أنه كتب ما يشعر به اي كتب كتابة المستقل الذي يستملي من فكره ووجدانه ، لا من تخيله ومحفوظه ، وقد قرأنا جملا من الكتاب تدل على صدق المؤلف في دعواه ، ونرى أن كتابه من الكتب النافعة

* * *

(لغة العرب) مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية أصدرتها في بغداد «رهبنة الآباء الكرمليين» . وجعلت صاحب امتيازها «الاب أنستاس الكرملي» ومديرها المسؤول كاظم افندي الدجيلي . صدر الجزء الاول منها في اول هذا الشهر وصفحاته اربعون من قطعة رسالة التوحيد ، واعتذرت المجلة عن ذلك بانها لم تجد في بغداد ورقا كبيرا كورق المجلات العربية في الشام ومصر كما انها لم تجد فيها حروفا كحروفها في حجمها واستكمال نقطها وحركات شكلها ليتسنى لها ضبط ما تحتاج الى ضبطه منها بالحركات. ومن مزايا هذه المجلة أنها ستبين لنا من احوال العراق وما اتصل به من جزيرة العرب ما نحن في حاجة شديدة اليه . وقيمة اشتراكها فيما عدا ولاية بغداد من البلاد العربية تسعة فرنكات في السنة . والمرجو أن تنجح لقدرة اصحابها على الخدمة التي انتدبوا لها بالعلم والمال

***

(رواية البائسين) هي القصة الشهيرة التي صنفها باللغة الفرنسية شاعر فرنسة العظيم فيكتور هيكو . وهي كمصنفها اشهر من نار على علم عند جميع الشعوب الاوربية ، وكان شاعر مصر الشهير محمد حافظ افندي ابراهيم ترجم من بضع سنين جزءا منها بالعربية ترجمة تصرف فيها بالمعاني وأبدع في صناعة التعبير ثم لم يتم الترجمة . فانبرى لترجمتها كلها ترجمة حرفية صديقانا جرجي افندي وصموئيل افندي يني صاحبا مجلة المباحث التي تصدر في طرابلس الشام وقد صدر الجزء الاول من ترجمتهما في ٢٠٠ صفحة . والمرجو من نشاطهما ان يتما ترجمة الكتاب في وقت قريب ليستفيد منه قراء العربية ما فيه من الحكمة العالية والآداب السامية ، التي نال بها فيكتور هيكو من العظمة والشهرة مالم ينله أحد من الشعراء والعلماء ، ولا من الملوك والامراء

***

(شفاء العائلات . من ادران الموبقات) قصة صنفتها الكاتبة الانكليزية (ألن وود) وأودعتها تاريخ أسرة كبيرة من قومها اسمها اسرة (دانسبري) كانت في أوج العلياء ثم هبطت الى الحضيض بفشو السكر فيها وما يتبع السكر من الشرور والمفاسد. وقد ترجمها بالعربية اسكندر افندي ابراهيم يوسف وطبعت في مطبعة المعارف وتطلب من مكتبتها

* * *

(مصرع الظالمين) قصة تمثيلية جديدة من تصنيف توفيق افندي سعيد الرافعي

قال في وصفها « تمثل الظلم في أبشع مظاهره والانتقام من الظالمين . ثم تمثل الامانة والطهارة في الحب والخيانة والغش في الدولة وضعف المرأة وقوة الرجل، والانكباب على الملاذ والشهوات وما ينتج عن كل ذلك من النتائج السيئة والحسنة ، في عبارة لاتلطف على العامة ، ولا تسفل عن الخاصة »

***

(عدل القضاء) قصة أدبية ألفها محمد افندي حافظ وطبعها الشيخ أحمد على المليجي الكتبي الشهير بجوار الازهر ومنه تطلب

***

﴿ الصهيونية ﴾

(ملخص تاريخها – غايتها ، وامتدادها الى سنة ١٩٠٥)

نشرت جريدة الكرمل التي يصدرها في حيفا نجيب افندي الخوري مقالات في جمعية اليهود الصهيونية التي تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لاعادة ملك بني اسرائيل في تلك البلاد ، وقد كنا حريصين على جمع نسخ الجريدة التي نشر فيها تلك المقالات لما فيها من الفوائد السياسية والتاريخية ولكن صاحب الجريدة كفانا ذلك فجمع ما كتبه في رسالة بلغت ٦٤ صفحة . وقد اعتمد في جل ما كتبه على دائرة المعارف اليهودية فلخص منها بالترجمة العربية جل ما كتبه فنشكر له هذه الخدمة ونحث جميع قراء العربية ولا سيما العثمانيين على قراءة رسالته والاعتبار بها

فقيد مصر

﴿ مصطفى رياض باشا ﴾

٣

نقلنا في الجزء السابع (الماضي) ما كتبه الاستاذ الامام في كتابه (اسباب الثورة العرابية) عن ابطال رياض باشا للسخرة ووعدنا بأن ننقل عنه شيئا آخر من أعماله الاصلاحية وها نحن أولاء ننجز الوعد فنقول كتب الاستاذ عقب ما تقدم ما نصه :

العدل في الري

« واهتم رياض باشا بأن يوزع مياه النيل بالقسط وقد كان الفقراء لاينالون من النيل أيام هبوطه الا فضلات مايبقى عن ري اراضي الاغنياء فوضعت نظارة الاشغال العمومية بعض الروابط وشددت المراقبة في تنفيذها فأصاب التوزيع جانباً من العدل غير ان عادة بعض موظفي الهندسة حالت دون الغاية المطلوبة خصوصاً مع تعود الاهالي على السكوت عن ذلك وعدم الشكوى منه ظنا منهم بان الدعاء لا يجاب في ارض مصر على مايعهدون ، ولكن اتذكر انني ذكرت لرياض باشا يوما حالة قسم الحاجر في مديرية البحيرة وان الماء محجوز عنه وقد كادت تتلف زراعة القطن فيه فلم تمض بضع دقائق حتى كتب لنظارة الاشغال بتحقيق السبب وبعد يومين اطلقت المياه واوخذ المتسبب في حجزها وهكذا كان شأنه عند سماع اي شكاية من هذا القبيل

واني اتذكر حادثة عدت في وقتها من اغرب الحوادث . ذلك ان بولينو باشا كانت له آلة بخارية رافعة للمياه على جدول عظيم بجوار دمنهور وكان يعطي الماء للاهالي بالاجرة وكان يستمر في ادارة وابوره الى ما بعد ارتفاع الفيضان وتزاحم المياه على فم الترعة ليستزيد من الاجور وكانت تلك عادته من سنين والاهالي متعودون على هذا الظلم لكثرة الشكوى وعدم الاشكاء

ففي اول نظارة رياض باشا كانت قد ارتفعت مياه النيل ومن المعروف ان المياه

في شهر ستمبر تعلو فوق مستوى اغلب الزرع في مصر فركبت المياه فم الجدول ووابور بولينو باشا مستمر الدوران والمياه محجوزة عن الاهالي الا ان تكون من مياه بولينو باشا فشكوا للمدير لاحساسهم بفائدة الشكوى اذ ذاك وعرض المدير شكواهم على رياض باشا فأمر بفتح الترعة ، وعند التنفيذ جاء رجال بولينو بالسلاح لمقاومة المنفذين واشعر رياض باشا فأمر بفتح الترعة ولو بقوة السلاح ففتحت تحت حماية العساكر المصرية

« كانت مديرية البحيرة من أسوإ المديريات حالا من جهة الري واعمال التطهير ، فكان اهاليها يسامون العذاب ايام الشتاء في تطهير ترعة الخطاطبة ويجلب من سكان المديريات الاخرى عدد عديد لمساعدتهم ليستحصلوا على قليل من الماء ، لا يكفيهم بعد شدة العناء ، وكثيرا ما فتك الموت فيهم ايام العمل لشدة البرد، فاهتم رياض باشا ليخفف المصاب عنهم وانشأت نظارة الاشغال العمومية نظام شركة ري البحيرة وكان يوم البدء بادارة آلاتها يوما معروفا احتفلت فيه الحكومة احتفالا عظيما حضره كثير من كبار الموظفين والاجانب وشرب فيه رياض باشا كأسا من ماء النيل على ذكر نجاح عمل يتعلق بمنفعة النيل

الغاء الضرائب

« ولم تمض بضعة اشهر على تعيين هذه الوزارة حتى ألغي نيف وثلاثون ضريبة من الضرائب الصغيرة التي كانت اخرت بالمصنوعات وأوقفت حركة الاعمال التجارية والصناعية الخاصة بالاهالي وأساءت حال المزارعين ، وزيد مئة وخمسون الف جنيه على ضريبة الاطيان العشورية تعويضا لما فات بالغاء تلك الضرائب، ولا يخفى ان اغلب هذا النوع من الاطيان في يد الاغنياء فقد خف بذلك عن الفقراء ما ثقل على اهل الثروة وهو مما لا يمحى أثره من نفوس الفريقين

« وذهب الافواج من التجار والصناع الى سراي الاسماعيلية ليعلنوا شكرهم للجناب الخديوي على إلغاء تلك الرسوم القاتلة للأعمال في مصر ، وكان لذلك احتفال عظيم ولكن الذوات الكرام لم يحتفلوا له ولم ير لجماهيرهم سواد حول السراي ولا داخلها الا في ايام التشريفات والمقابلات التي ينحصر موضوع الكلام فيها في حالة الجو وحره وبرده واعتداله ولا يذكر فيها أمر الغاء الضرائب وربما ذكر فيها استحسان ابقائها او الزيادة فيها على ان يكون ذلك على الفقراء

ثم عفت الحكومة عما عجزت عن تحصيله من الضرائب والرسوم المتأخرة لغاية سنة ١٨٧٦ ورفعت بذلك المطالبة به عن الاهالي وفرح به كثير من الاغنياء الذين ظهروا بمظهر العجز وراوغوا في دفع الضرائب فيما سبق وساعدتهم الحظوة على الامهال الى ذلك الوقت

ميزانية الحكومة ونظام الجباية

« ثم نظم برنامج الايراد والمنصرف من مال الحكومة (ميزانية) وشكلت لجنة لسماع شكايات المطالبين بالضرائب وانصافهم ، ووضع نظام التحصيل في الاوقات المعينة حسب على مواسم الزراعة وعرف الفلاح ماله وما عليه ، وهذه الامور اجريت طبقا لما كانت اشارت له لجنة التفتيش العليا كما صرح به رياض باشا فيما كتب به الى لجنة صندوق الدين

« ولما نظمت اوقات التحصيل على حسب مواسم المحصول نما في الناس الشعور بان الحكومة نوع محدود من النظام وانها لا تريد منهم الا مبالغ معينة ، وليس من شأنها أن تشغل الاهالي كما تشغل الماشية بدون استبقاء شيء في ايديهم ،وبدأوا يوقنون بان ما زاد من الضرائب المحددة فهو لهم خصوصا بعد ما صدرت الاوامر الصريحة بان لا ضريبة توضع الا بنظام معروف تراعى فيه المصالح وتبين فيه الاسباب

« ثم ظهر عقب ذلك مبدأ المساوات بين الاغنياء والفقراء وبين الاجانب والوطنيين، فقد كان الغني أو الذات الكريمة من ذوات الحكومة يماطل في دفع الضرائب من سنة الى سنة وربما عوفي من دفعها بعد ذلك ويوزع ما لم يدفعه على اراضي جيرانه من فقراء الاهالي ، وهكذا كان شأن الاجانب بعد ما يأخذون الاراضي من مالكيها ايفاء لديونهم او يشترونها بالثمن البخس عند اشتداد الضيق على الفلاح والحاح الكرباج على بدنه بدفع مالا يلزمه وليس في يده منه شيء

« كانوا يماطلون في دفع الضرائب وما ابوا دفعه يوزع بغير حق على المساكين الذين لا حامي لهم . اما بعد مضي اشهر من نظارة رياض باشا فقد صدرت الاوامر مشددة بتحصيل ما على الاجانب والذوات بالطريقة التي يجري بها تحصيل ما على الاهالي بدون مراعاة وقد نفذت الاوامر بعد ما لاقت صعوبات كثيرة، وظهر عند التنفيذ ان بعض الاغنياء والاجانب كان في ذمته ضرائب سبع سنين فحصلت منه بقوة الحكومة ، وهذا مما لم يكن يسمع به من قبل

« ثم صدرت اوامر في ابتداء سنة ٨٠ بالغاء لائحة المقابلة واعفاء الممولين من دفع ما بقي منها . ولكن مع الغاء الامتياز الذي اكتسبه من دفعها جملة وبعض الامتياز الذي ناله من دفع بعضها وفرح بذلك قوم وسيء به آخرون وسنذكر شيئا من اثر ذلك فيما بعد

ابطال السكرباج ومنع الحبس لتحصيل الحقوق

« وصدرت الاوامر بابطال استعمال السكرباج بتحصيل الاموال الاميرية وعجب كثير من الناس من ذلك وقالوا : كيف يمكن ان يحصل مال من الفلاح بدون ضرب ؟ وانكرته نفوس كثير من المديرين وظنوا ان قد هدم ركن عظيم من سلطان الحكومة على قلوب الرعية ولكن لم يمض إلا قليل حتى ظهر الخزي على وجوه القائلين بأن الفلاح المصري لا يؤدي ما عليه الا بالسكرباج واخذ الممولون يتسابقون الى دفع ما عليهم حتى قبل الاجل خوفا من ضياع النقد عند حلول الآجال المعينة

« وهكذا صدرت الاوامر مشددة في عهد رياض باشا بمنع الحبس لتحصيل الحقوق سواء كانت اميرية او شخصية وقد لاقى تنفيذ هذه الاوامر مصاعب ومقاومات لتمكن الميل الى الظلم في نفوس اغلب المأمورين - لكن رغما عن كل ذلك فقد ظهر اثره ظهوراً بيناً . ولم تأت آخر مدة رياض باشا حتى محي اثر الحبس لتحصيل الحقوق الا ما ندر ولم يكن يعرف ، ومن غرائب آثار التعود على الظلم وعلى رؤيته ملازما للسلطة في مصر ان الذين حفظت ابدانهم من الضرب والجلد وارواحهم واجسامهم من الحبس في سبيل اقتضاء الحقوق سواء كانت للحكومة أو للأفراد كانوا يعدون تلك الاوامر مخالفة لما يجب ان يعاملوا به ، وان لا يفيد فيهم الا السكرباج كما لا يزال قوم منهم يقولون بذلك الى اليوم ، وكانوا يهزءون بتلك الرحمة - اللهم الا الذين لمع في عقولهم روح الفهم ووصل الى ابصارهم شعاع الاحساس بما للانسان من حق التكرمة التي خصه الله بها اه المراد

هذا ما ننقله من صفحات هذا التاريخ الصادق للاستدلال به على ان رياض باشا كان من الرجال المصلحين في ادارة الحكومة ، وان لنا لمجالا واسعا في الاستدلال على سائر ما ذكرنا من أخلاقه وصفاته الحميدة

***

﴿ تأبين رياض باشا ﴾

في يوم الجمعة الثاني من هذا الشهر احتفل بتأبين فقيد مصر ووزيرها المصلح مصطفى رياض باشا لمضي اربعين يوما على وفاته . وكان هذا الاحتفال في حوش قبره وقبور ذويه (مدفنهم) بقرافة الامام الشافعي . وحضر الاحتفال رئيس النظار محمد سعيد باشا وكثيرون من العلماء والكبراء والادباء . فافتتح بتلاوة مجيدي الحفاظ لآيات القرآن العظيم ثم بانشودة أنشدها تلاميذ مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية في القاهرة . ثم تليت الخطب وأنشدت القصائد في تأبين الفقيد . ووزع بعض القصائد مطبوعا

ابتدأ التأبين حسن باشا رضوان وكيل المؤتمر المصري فذكر عمل الفقيد في المؤتمر وخدمته الحسنة في قبول رياسته وما كان لذلك من التأثير الصالح . وخطب كثيرون منهم الشيخ محمد بخيت قاضي الاسكندرية الشرعي وحسن بك عبد الرازق واحمد باشا زكي الكاتب الاول لاسرار مجلس النظار بل تلا هذا وهو قاعد ملخص تاريخ الفقيد في صحائف طويلة مفيدة . وكانت قصيدة محمد حافظ افندي ابراهيم احسن المراثي وتليها مرثية الشيخ محمد الحملاوي ناظر مدرسة عثمان باشا ماهر

وارتجل صاحب هذه المجلة خطبة ختم بها التأبين وبين طريق العبرة فيه وهذا ملخصها :

أيها السادة الاخوان

لم يترك الخطباء والشعراء المؤبنون مجالاً لقائل يجول به في هذا الوقت القصير وقد مل الحاضرون من طول المكث وحرارة المكان فأحب ان اكتفي بكلمة وجيزة أوجهها الى الشبان قبل غيرهم فأقول

قد صار الاحتفال بتأبين الرجال المحترمين عادة مألوفة بيننا في هذا العصر وكان التأبين والرثاء للاموات معهودين في العصور السابقة كالامداح للاحياء . ولكن بين الرجال الذين يُرثَون ويؤبنون فرقاً عظيما . فما كل من أبن ورثي مدح كفقيد مصر الذي نؤبنه ونرثيه اليوم

للخطباء والشعراء في كل من ينظمون وينثرون فيه الثناء أقوال متشابهة يدخل اكثرها عند الناقدين في باب أعذب الشعر اكذبه . واذا دققنا النظر نرى ان ماقيل

في فقيدنا اليوم غيرما كنا نسمعه ونقرأه في أكثر الذين رثوا وابنوا من قبله . أكثر تلك تخيلات شعرية ، وإيهامات خطابية ، اذا حللتها لم تحل منها بطائل ، اذ لا تنبئ عن عمل ثابت ، ولا عن خلق راسخ . وانما تجدها اماديح مبهمة، بالفاظ عامة ،تقال في كل صاحب مكانة وشهرة : كالفضل والنبل والعدل، والمجد والسعد والحمد ، وماشاكل ذلك . وهذه مدائح عملية ثابتة : رياض باشا فعل كذا وكذا من الاصلاح ، رياض باشا ازال كذا وكذا من المظالم والمفاسد ، رياض باشا كان من اخلاقه كذا وكذا من الفضائل . الى آخر ماسمعتم ، وللفقيد من المزايا والاعمال مالم يتناوله المقال

الرجال بالاعمال ،والاعمال آثار الصفات والاخلاق ، وبذلك يتفاضل الناس لابالعلوم وشهادات المدارس فقط . لاأريد بهذا ان اغمط قدر العلم واحط من قدره وانما أريد ان أنبه شباننا الاذكياء الى أن العلم وحده لايكفي لجعل الرجل عظيما في قومه ، نافعاً لامته ووطنه، فان العلم آلة تدبرها الاخلاق ، فاذا كانت اخلاق الرجل فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون يضرّ به ولا ينفع

قد ثبت في احصاآت بعض القضاة في أوربة ان الذين يرتكبون الجرائم والجنايات من المتعلمين وحملة الشهادات العالية اكثر من الذين يرتكبونها من العوام والاميين كما بين ذلك غوستاف لبون في كتابه (روح الاجتماع) فاذا كان العلم وحده لا يمنع الرجل ان يكون من المجرمين ، فهل يكفي لرفعه الى افق الرجال المصلحين؟

كان رياض باشا رجلا عاملا مصلحاً لا بشهادة الشعراء والمؤبنين فقط ،بل شهد له كبار الرجال من أوربا وهم قلما يشهدون لرجل شرقي لان ضعف الشرق وانحطاطه الاجتماعي صرف ابصارهم عن النظر فيما عساه يوجد فيه من فضيلة ومزية ليروها كما هي ويقدروها قدرها . وانما كان رجلا بأخلاقه الفاضلة وصفاته الحميدة، من استقلال الفكر والارادة ، وقوة العزيمة ، والعفة والنزاهة ، والاخلاص في العمل ، والقيام بالمصالح العامة ، وغيرذلك مما سمعتم

يوجد في الناس من ينتقدون بعض اعمال هذا الرجل ، وما كان معصوما من الخطأ فيعدوه الانتقاد . ولكن لا يستطيع احد أن يقول ان عملا من اعماله المنتقدة كان عن سوء نية او فساد خلق ، كالتوسل به الى الشهوات ، والمحافظة على المنصب ، او الاستكثار من المال والعقار ، او ابتغاء مرضاة الرؤساء والامراء ، لاجل العروج في معارج الارتقاء ، فمن ينتقده في بعض اعماله ، يمدحه ويظهر فضله في اخلاقه . يقولون اجتهد فاخطأ . وهكذا كان ينتقد على عظماء الرجال من

الصحابة والائمة فمن دونهم لان الخطأ من شأن البشر . قالوا المجتهد يخطىء ويصيب وقال اهل السنة اجتهد علي رضي الله تعالى عنه في قتاله لمعاوية فاصاب . واجتهد معاوية في خروجه على علي فأخطأ . فلا غضاضة ولا عار على الرجل العامل ان يجتهد فيصيب تارة ويخطىء تارة ، وانما العار على الذين يقترفون الخطايا عامدين عاملين لفساد اخلاقهم واتباع شهواتهم

لم يقل احد أن رياض باشا كان يغشى في أوربة حانات السكر ومواخير الفسق ولم يقل أحد انه كان يلعب القمار، ولا انه تدنس بشيء من هذه الشهوات والاطماع، ومن كان هكذا طاهراً نقيا فهو جدير بان يصرف وقته الى افضل الاعمال، حتى يعد من عظماء الرجال

من احب منكم ايها الشبان الاذكياء ان يستفيد من سيرة هذا الرجل العظيم وان يكون في قومه ارقى من الزراع والصناع الذين يعمل كل منهم للهيئة الاجتماعية عملا صغيراً على قدره — من احب ان يكون رجلا عظيماً عاملا للامة رافعاً لقدرها مصلحاً فيها ، فعليه ان يعنى قبل كل شيء بتهذيب اخلاقه ، عليه ان يكون مستقل الرأي والارادة . ولا يكون ممن قيل فيهم « اتباع كل ناعق » الذين يرضون دائما ان يكونوا اذناباً متبوعين . يلتمسون لهم من يقودهم فيسيرون وراءه كافراد الجند دأبهم الطاعة العمياء ، والتصفيق للزعماء ، اذا كثر في الامة المستقلون اصحاب الاخلاق الفاضلة استقلت وارتقت حتى تكون من الامم العزيزة والا فلا امة ولا استقلال . والسلام

﴿ مشروع المنتدى الادبي في التعليم العربي ﴾

(ومساعدته عليه)

قد صار في حكم البديهيات أن حياة الأمم بحياة لغاتها ، وارتقاءها الحقيقي منوط بارتقائها ، فالمؤرخون يستدلون باللغة على درجة مدنية أهلها في الزمن الماضي ، وعلماء التربية يربون الأمة بتهذيب لغتها ، وجعلها مستودعا لجميع العلوم والفنون التي يعلو بها شأنها ، حتى ان الشعوب التي ليس للغتها تاريخ في العلوم والآداب ، ولم يؤثر عن سلفها شيء تقر به العين من الكتب والآثار ، منها ما حاولت من عهد قريب ومنها ما تحاول الآن تدوين لغاتها ، ووضع المعجمات والنحو والصرف لها ، ونقل العلوم والآداب اليها ،

واننا نرى للغتنا العربية الشريفة تاريخا مجيدا في العلوم والآداب والشريعة، ونرى الملايين من اهلها المختلفين في الاديان والمذاهب والاقطار محتاجين الى إعادة مجدها الذي ضيعه من قبلهم ، لأنه لا يمكنهم مجاراة الأمم الصاعدة في معارج الارتقاء الا بذلك . ونرى ملايين من الشعوب الأخرى يرغبون في إحيائها ، وتسهيل سبيل تعليمها ، لحاجتهم اليها في دينهم ، وهم المسلمون من الترك والفرس والتتار والهنود والصينيين والجاويين وغيرهم

في مصر نهضة شريفة في خدمة هذه اللغة ، ولما منّ الله على البلاد العثمانية بالدستور ، وصارت حرية العلم والتعليم حقا لجميع العثمانيين ثابتا بالقانون ، تحركت عزيمة العرب العثمانيين لخدمة لغتهم ، ونشر التعليم بها في بلادهم ، كما تحرك غيرهم من الشعوب العثمانية لذلك ، وهذه هي الطريقه المثلى لاحياء هذه المملكة ، وإعلاء شأن هذه الدولة ، اذ به يقوى كل عنصر في الأمة ، وتتسع به دائرة الثروة ، وما ارتقت أمة من الامم الا بالتعليم الاهلي سواء كانت من جنس واحد كفرنسة ، او من اجناس مختلفة كالنمسة ، ولا سيما اذا كان يتعذر على الحكومة تعميم التعليم بجميع ضروبه لقلة المال

من افضل ما قام به العرب العثمانيون من السعي لنشر التعليم بلغتهم مشروع المنتدى الادبي في دار السلطنة (الاستانة) الذي صادف الارتياح من أعيان الامة ونوابها والعطف من ولي عهد السلطنة (يوسف عز الدين افندى) فنفح المنتدى بمبلغ من الدنانير مساعدة له على عمله الشريف

هذا المشروع هو نشر التعليم الاهلي في الولايات العربية لجميع أهلها بلغتهم ، وله لائحة في ذلك نشرت في أشهر الجرائد المصرية كالمؤيد والعلم والمقطم والاهرام . وقد صادف هذا المشروع العلمي ارتياحا في هذه البلاد التي هي أم البلاد العربية في العلوم فتألفت فيها لجنة لمساعدة القائمين به إجابة لدعوة صديقنا عبد الكريم قاسم الخليل رئيس المنتدى الذي زار مصر في هذا الصيف لاجل هذه الغاية ، ووضعوا لهم نظاما في ذلك

أما اللجنة التي تألفت بمصر لمساعدة المنتدي الادبي على نشر وترقية التعليم العربي فأعضاؤها المؤسسون ١٧ وقد اختاروا لرياسة اللجنة محمد باشا الشريعي وللوكالة رفيق بك العظم ولكتابة السر عبد الخالق بك مدكور ولأمانة الصندوق حسن بك عبد الرازق . والباقون هم : احمد بك تيمور . اثناثيوس مطران افندي السريان . سامي افندى الجريديني المحامي . الدكتور شبلي شميل . الشيخ طنطاوي جوهري . عارف بك المارديني . عبد الحميد افندي حمدي (وهو مأمور الادارة) عبد الستار افندي الباسل . الشيخ

محمد المهدي . محمد علي افندي كامل المحامي . محمود بك سالم المحامي . نقولا افندى شحادة . يوسف دريان افندي مطران الموارنة

« الحريق في الآستانة »

فجعت الآستانة يوم عيد الدستور من الشهر الماضي بحريق هائل التهم من البلد ما تقدر مساحته بالاميال ، وقيمته بالملايين من الليرات ، حتى قيل انه دمر زهاء ربع استانبول ومن المباني التي أكلتها النار في أول شبوبها (دائرة أركان الحرب) ومن المعاهد المشهورة سوق (الشاهزاده) و (آق سراي) و (قوم قبو) ومايتصل بذلك من الدور والمساجد والمدارس

المصاب كبير ومن حسن الحظ ان كان في الصيف « وبساط الصيف واسع » كما جاء في المثل ولو كان في شتاء كالشتاء الماضي في برده وثلجه لهلك الالوف من الناس . وقد كنا كتبنا في الجزء الثاني من هذه السنة نبذة في بيان كثرة الحريق في الآستانة وقلة عناية الحكومة بأمر إطفائها كاتخاذ المطافئ الحديثة وجرها بالآلات البخارية والكهربائية واعداد الماء لها في كل مكان . وشددنا النكير على حكومتنا في هذا لعلها تتألم فتتذكر او تخشى فما أفاد التذكير

ومما يذكر مقرونا بالحمد والشكر والترغيب ان أهل النجدة والسخاء طفقوا يبذلون الاعانات للمنكوبين . ولكن يخشى ان تصرف هذه الاعانات في غير الوجه الانفع

فنقترح الآن ان تؤلف شركة مالية لبناء ماهدم على الطريقة الحديثة بسرعة واعطائها المساكن للمنكوبين بأثمان رخيصة بالتقسيط وجعل الاعانات التي تجمع عونا للفقراء منهم على دفع اقساطهم

(إستدراك [*])

العصمة لله ولكتابه وحدهما ـ وقد وقعنا في خطإ في مقالة الفلك في صحفة ٥٨٩ من هذا العدد من المنار نبهنا إليه الاستاذ المفضال السيد محمد رشيد وذلك في تفسير قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) فأحببت أن أصححه كما يأتي فيضاف هذا التصحيح في أول ص ٥٨٩ المذكورة بعد قولنا في الصفحة التي

---

[*] لصاحب الامضاء

قبلها (ولنا في تفسيرها وجهان إما ان تكون...... إلى قولنا وعليه فليس في القرآن الخ) وصحة العبارة هكذا :

« كلمة (الارض) فيها بمعنى الطين والتراب الذي نعرفه كما في قوله تعالى (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقوله (ويحيي الارض بعد موتها) ونحوه كثير . وإما ان تكون بمعنى الكرة الارضية كما في قوله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة - إلى قوله - فصعق من في السموات ومن في الارض)

أما على الوجه الاول فتقدير الآية هكذا (الله الذي خلق سبع سموات ومن هذا الطين والتراب خلق ماهو مثلهن) وهو هذا الكوكب الارضي أي الكرة الارضية فكأنه قال إن هذه الارض المركبة من الطين والتراب خلقت مثل السموات أو الكواكب السيارة . وذلك لان الارض مثل السيارات في المادة (*) وكيفية الخلق وكونها تسير حول الشمس وتستمد النور والحرارة منها وكونها مسكونة بالحيوانات كالكواكب الاخرى وكونها كروية الشكل فالسيارات أو السموات والارض هي متماثلة من جميع الوجوه وكلها مخلوقة من مادة واحدة وهي مادة الشمس وعلى طريقة واحدة قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا - أي شيئا واحدا - ففتقناهما) أي فصلنا بعضها عن بعض فالارض خلقها الله مثل السموات تماما (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) لان نواميس جميع الموجودات واحدة . وعلى تفسيرنا هذا تكون هذه الآية دالة على أن الارض هي إحدى السيارات وهو أمر ما كان معروفا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يخطر ببال أحد من العرب وذلك من دلائل صدق القرآن

واما على الوجه الثاني وهو أن المراد بالارض الكرة الأرضية فتقدير الآية هكذا (الله الذي خلق سبع سموات وخلق من الارض أرضا مثلهن) أي إن

(*) قد تحقق العلماء ذلك ببعض طرق علمية كطريقة تحليل الضوء الصادر من الكواكب بالمنشور البلوري والتحليل الكيماوي للاحجار السماوية (النيازك) الساقطة على الارض ونحوها فوجدوا أن في السموات عناصر كعناصر الارض

الآية وارادة على طريقة التجريد كقولك (اتخذت سبعة اصدقاء ولي من فلان صديق مثلهم) أي في الصداقة وقولك (عرفت من الله ربا رحيما) والمعنى على هذا الوجه والوجه الاول واحد . أو التقدير (وخلق بعض الارض مثل الكواكب) على أن (من) تبعيضية . وهذا البعض هو مثلها في عناصرها الكيماوية الداخلة في تركيبها فكأنه قال إن بعض عناصر هذه الارض هو مثل عناصر الكواكب الاخرى نوعا وكمية . والبعض الآخر غير موجود فيها بل الموجود فيها عناصر أخرى لا نعرفها ولا توجد عندنا وقد ثبت ذلك للفلكيين بتحليل الضوء بالمنشور (Spectrai Analysis) فوجدوا مثلا في جو المشتري وزحل وأورانوس غازا لا يوجد عندنا منه شيء وكذلك يوجد في الشمس عناصر كثيرة لا توجد عندنا وقد وجدوا في بعض الشموس الاخرى أن السلكا (Silica) تقوم فيها مقام الكربون (الفحم) الذي يكاد يكون معدوما فيها أو غير موجود مطلقا وذلك في مثل نجمي رجل ودنب (Rigel & Deneb) ولا ينافي ذلك ما قلناه في الوجه الاول من تفسير هذه الآية فان العناصر وإن اختلفت في الظاهر لكن مادتها في الحقيقة واحدة لانها جميعا مخلوقة من شيء واحد (وهو الاثير)

محمد توفيق صدقي

« مخاطبات المنار - صاحبه وادارته ومكتبته »

ادارة المنار مختصة بالنظر في أمر الاشتراك في المجلة ، وامر المطبعة ومايطبع فيها ، وأمر بيع مطبوعات المنار في الجلة ، وستكون الادارة والمطبعة في أوائل الشهر الآتي في شارع مصر القديمة بالقرب من كوبري الملك الصالح ، وعدد (نمرة) الدار ٩١

ومكتبة المنار مختصة ببيع الكتب المتفرقة من مطبوعات المنار وغيرها وأرسالها الى طلابها حيث كانوا ، وببيع الادوات المدرسية أيضا ، وهي في شارع عبد العزيز بالقرب من حديقة سراي شريف باشا

فالمرجو من طلاب الكتب ان يخاطوا المكتبة بعنوانها هكذا (مكتبة المنار بشاوع عبد العزيز بمصر).

والمرجو من طلاب الاشتراك ومن المشتركين الذين يكاتبوننا في أمر الاشتراك، ومن يريدون ان يطبعوا عندنا شيئا من الكتب والرسائل او غيرها كبطائق الزيارة ورقاع الدعوة والاوراق التجارية ، ومن طلاب مطبوعات المنار في الجملة ، ومن يريدون نشر اعلانات في المجلة ـ المرجو من كل هؤلاء ان يرسلوا مكتوباتهم باسم (ادارة مجلة المنار بمصر) والعنوان البرقي (التلغرافي) هكذا « المنار بمصر »

واما صاحب المنار فيختص بالنظر في أمر فتاوى المنار والرسائل التي يراد نشرها فيه فالمرجو مخاطبته باسمه في ذلك ، ويجوز كتابة اسمه على كل مايرسل الى الادارة ولكن من أراد انجاز طلبه في أقرب وقت فلا يخلط في خطاب واحد بين عدة مطالب

(١) ينبغي أن تكون المكاتبة الشخصية في ورقة على حدتها فذلك أرجى لسهولة الجواب عنها

(٢) ينبغي أن تكتب الاسئلة التي يستفتى عنها في ورقة على حدتها بخط واضح لأجل أن تعطى لمرتبي الحروف ويسهل عليهم جمع ما فيها . وكثيرا ما يكون ادراج سؤال في خطاب شخصي او خطاب يتعلق بالاشتراك او شراء الكتب سببا لاهماله وعدم الجواب عنه ، كما أن طلب الكتب في خطاب فيه اسئلة أو أمور تتعلق بالمجلة يكون سببا لتأخير ارسال الكتب

(٣) ينبغي أن يكتب ما يطلب من ادارة المنار (وهو ما بيناه آنفا) في ورقة على حدته لأجل ان يحول الى عامل الادارة فينفذه في أقرب وقت

اذا روعيت هذه الامور فلا بأس بارسال عدة مطالب في اوراق متعددة توضع وترسل في ظرف واحد باسم صاحب المنار لانه في هذه الحالة ينظر فيما يخصه ويحول الى الادارة والمكتبة مايخصهما

(٤) ينبغي أن ترسل جميع الحوالات المالية باسم صاحب المنار (محمد رشيد رضا) سواء كانت ثمن المنار او مطبوعاته او أجرة ما يطبع في مطبعته أو اجرة اعلانات ، ولا بأس بارسال الحوالة الواحدة بأثمان اشياء متعددة

(٥) ينبغي ان تكون الحوالات البريدية كلها باسم « مكتب بوسطة مصر » وان لا يرسل شيء منها بعد الآن باسم « مكتب باب الخلق » ولا غيره من المكاتب الفرعية بالقاهرة واما الحوالات الخاصة بالمكتبة فترسل باسم مكتبة المنار بشارع عبد العزيز

(٦) بنك الكريدي ليونه احب الينا من سائر البنوك أن تكون الحوالات عليه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر – السبت ٣٠ رمضان ١٣٢٩ – ٢٣ سبتمبر (ايلول) سنة ١٢٩٠هـ ١٩١١م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٩١ : ٩٤) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ، وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ، فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ . وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
(٩٢ : ٩٥) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا

لما بين الله تعالى أحكام قتل المنافقين الذين يظهرون الاسلام مخادعة ويسرون الكفر ويعينون أهله على قتال المؤمنين، والذين يعاهدون المسلمين على السلم ويحالفونهم على الولاء والنصر ثم يغدرون ويكونون عونا لاعدائهم عليهم، ناسب ان يذكر أحكام قتل من لايحل قتله من مؤمن ومعاهد وذمي ومايقع من ذلك خطأ

فقال ﴿ وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا ﴾ بينا في غير موضع ان هذا الضرب من النفي نفي للشأن وهو أبلغ من نفي الفعل اي ما كان من شأن المؤمن من حيث هو مؤمن ولا من خلقه وعمله ان يقتل أحدا من أهل الايمان لان الايمان – وهو صاحب السلطان على نفسه والحاكم على ارادته المصرفة لعمله هو الذي يمنعه من هذا القتل أن يجترحه عمدا ولكنه قد يقع منه ذلك خطأ فقوله تعالى ﴿ الا خطأ ﴾ استثناء منقطع معناه ماذكرنا من الاستدراك. وقيل هو متصل معناه ماثبت ولا وجد قتل المؤمن للمؤمن الا خطأ، وهو نفي بمعنى النهي للمبالغة

﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ ﴾ بأن ظنه كافرا محاربا والكافر الحربي – غير المعاهد والمستأمن والذمي – من اذا لم تقتله قتلك اذا قدر على قتلك، أو اراد رمي صيد أو غرض فأصاب المؤمن، أو ضربه بما لايقتل عادة كالصفع باليد أو الضرب بالعصا فمات وهو لم يكن يقصد قتله ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أي فعليه من الكفارة على عدم تثبته تحرير رقبة مؤمنة أي عتق رقبة نسمة من اهل الايمان من الرق، لانه لما اعدم نفسا من المؤمنين كان كفارته أن يوجد نفسا، والعتق كالايجاد، كما ان الرق كالعدم. عبر بالرقبة عن الذات لان الرقيق يحني رقبته دائما لمولاه، كلما أمره ونهاه، أو يكون مسخرا له كالثور الذي يوضع النير على رقبته لاجل الحرث، ولهذا قال جمهور العلماء لا يجزئ عتق الاشل ولا المقعد لانهما لايكونان مسخرين ذلك التسخير الشديد في الخدمة الذي يحب الشارع إبطاله وتكريم البشر بتركه، ومثلهما الاعمى والمجنون الذي

قلما يصلح للخدمة وقلما يشعر بذل الرق. وروي عن مالك انه لايجزئ عتق الاعرج الشديد العرج والاكثرون على انه يجزئ كالاعور وتفصيل هذه الاحكام في كتب الفقه

والحر والعتيق في أصل اللغة كريم الطباع، ويقولون الكرم في الاحرار واللؤم في العبيد، وانما يكونون لؤماء لانهم يساسون بالظلم، ويسامون الذل، والتحرير جعل العبد حرا.

واختلفوا في تحديد معنى المؤمنة هنا فروي عن ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي وقتادة وغيرهم من مفسري السلف وفقهائهم انها التي صلت وعقلت الايمان، ويظهر هذا في الكافر الذي يسلم دون من نشأ في الاسلام. وقال آخرون من فقهاء الامصار منهم مالك والشافعي ان كل من يصلى عليه اذا مات يجوز عتقه في الكفارة

وروى ابن جرير في سبب نزول هذه الآية عن عكرمة قال كان الحارث بن يزيد من بني عامر بن لؤي يعذب عياش بن أبي ربيعة مع ابي جهل، ثم خرج الحارث مهاجرا الى النبي (ص) فلقيه عياش بالحرة فعلاه بالسيف وهو يحسب انه كافر ثم جاء الى النبي (ص) فأخبره فنزلت الآية فقرأها النبي (ص) ثم قال له «قم فحرر» ورواه ابن جرير وابن المنذر عن السدي بأطول من هذا. وروي عن ابن زيد انها نزلت في رجل قتله ابو الدرداء في سرية حمل عليه بالسيف فقال لا إله الا الله فضربه به. هذا حق الله في كفارة هذا الذنب

ثم قال ﴿ ودية مسلمة الى اهله ﴾ أي وعليه من الجزاء مع عتق الرقبة دية يدفعها الى اهل المقتول. والدية مايعطى الى ورثة المقتول عوضا عن دمه أو عن حقهم فيه. وهي مصدر ودى القتيل يديه وديا ودية (كعدة وزنة من الوعد والوزن) ويعرفها الفقهاء بانها المال الواجب بالجناية على الحر في نفس او فيما دونها. وقد اطلق الكتاب الدية وذكرها نكرة فظاهر ذلك أنه يجزئ منها مايرضي أهل المقتول وهم ورثته قل أو كثر، ولكن السنة بينت ذلك وحددته على الوجه الذي كان معروفا مقبولا عند العرب. واجمع الفقهاء على ان دية الحر المسلم الذكر المعصوم (أي دمه بعدم مايوجب اهداره) مئة بعير مختلفة في السن وتفصيلها في كتب الفقه. وقالوا يجوز

العدول عن الابل الى قيمتها والعدول عن انواعها في السن بالتراضي بين الدافع والمستحق . واذا فقدت وجبت قيمتها . ودية المرأة – ومثلها الخنثى – نصف دية الرجل . والاصل في ذلك ان المنفعة التي تفوت اهل الرجل بفقده اكبر من المنفعة التي تفوت بفقد الانثى فقدرت بحسب الارث . وظاهر الآية أنه لا فرق بين الذكر والانثى

وفي حديث ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله (ص) كتب الى أهل اليمن كتابا وكان في كتابه « ان من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود الا ان يرضى أولياء المقتول ، وان في النفس الدية مئة من الابل » — الى ان قال بعد ذكر قود الاعضاء — « وعلى أهل الذهب الف دينار » وهذا يدل على ان الابل على أهلها وان على أهل الذهب الدية من الذهب وان ذلك أصل لا بدل . وسيأتي مزيد لبحث الدية في دية الكافر . والحديث روي مرسلا عند ابي داود والنسائي وموصولا عند غيرهما واختلف فيه وعمل به الجماهير . والاعتباط القتل بغير سبب شرعي من اعتبط الناقة اذا ذبحها لغير علة . والقود (بالتحريك) القصاص أي يقتل به إلا اذا عفا عنه أولياء المقتول. وظاهر الحديث ان الديه على الذين يتعاملون بالنقد كأهل المدن تكون من الذهب والفضة وان هذا أصل لا قيمة للابل

وقوله تعالى ﴿ إلا أن يصدقوا ﴾ معناه ان الدية تجب على قاتل الخطإ لأهل المقتول الا أن يعفوا عنها ويسقطوها باختيارهم فلا تجب حينئذ لأنها انما فرضت لهم تطييبا لقلوبهم وتعويضا عما فاتهم من المنفعة بقتل صاحبهم وارضاء لانفسهم عن القاتل حتى لاتقع العداوة والبغضاء بينهم . فاذا طابت نفوسهم بالعفو عنها حصل المقصود، وانتفى المحذور، لانهم يرون أنفسهم بذلك أصحاب فضل ويرى القاتل لهم ذلك ، وهذا النوع من الفضل والمنة لا يثقل على النفس حمله كما يثقل عليها حمل منة الصدقة بالمال ، وقد عبر عنه بالتصدق للترغيب فيه .

﴿ فان كان من قوم عدولكم وهو مؤمن ﴾ اي فان كان المقتول من اعدائكم

والحال أنه هو مؤمن كالحارث بن يزيد كان من قريش وهم اعداء للنبي (ص) والمؤمنين يحاربونهم وقد آمن ولم يعلم المسلمون بايمانه لأنه لم يهاجر وانما قتله عياش في حال خروجه مهاجرا لانه لم يعلم بذلك . ومثله كل من آمن في دار الحرب ولم يعلم المسلمون بايمانه اذا قتل ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ اي فالواجب على قاتله عتق رقبة من أهل الايمان فقط ولا تجب الدية لاهله لأنهم اعداء محاربون فلا يعطون من اموال المسلمين ما يستعينون به على عداوتهم وقتالهم وقيل ان ديته واجبة لبيت المال ، ولو صح هذا لما سكت عنه الكتاب في معرض البيان

﴿ وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ وهم المعاهدون لكم على السلم لايقاتلونكم ولا تقاتلونهم كما عليه الدول في هذا العصر كلهم معاهدون قد أعطى كل منهم للآخرين ميثاقا على ذلك وهو مايعبر عنه بالمعاهدات وحقوق الدول ومثلهم أهل الذمة بعموم الميثاق أو بقياس الاولى ﴿ فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أي فالواجب في قتل المعاهد والذمي هو كالواجب في قتل المؤمن : دية الى أهله عوضا عن حقهم وعتق رقبة مؤمنة كفارة عن حق الله تعالى الذي حرم قتل الذميين والمعاهدين كما حرم قتل المؤمنين ، وقد نكر الدية هنا كما نكرها هناك وظاهره انه يجزىء كل مايحصل به التراضي وان للعرف العام والخاص حكمه في ذلك ولا سيما اذا ذكر في عقد الميثاق ان من قتل تكون ديته كذا وكذا فان هذا النص أجدر بالتراضي واقطع لعرق النزاع . وسيأتي ما ورد من الروايات المرفوعة والآثار في ذلك

وقد قدم هنا ذكر الدية وأخر ذكر الكفارة وعكس في قتل المؤمن ولعل النكتة في ذلك الاشعار بان حق الله تعالى في معاملة المؤمنين مقدم على حقوق الناس ولذلك استثنى هنالك في امر الدية فقال « الا أن يصدقوا » لأن من شأن المؤمن العفو والسماح ، والله يرغبهم فيما يليق بكرامتهم ومكارم اخلاقهم ولم يستثن هنا لأن من شأن المعاهدين المشاحة والتشديد في حقوقهم ، وليسوا مذعنين لهداية الاسلام فيرغبهم كتابه في الفضائل والمكارم ، وثم نكتة أخرى وهو ان

في سماح المعاهد للمؤمن بالدية منة عليه والكتاب العزيز الذي وصف المؤمنين بالعزة لا يفتح لهم باب هذه المنة . ومن محاسن نظم الكلام وتأليفه ان يؤخر المعطوف الذي له متعلق على ما ليس له متعلق وماتعلقاته اكثر على ما متعلقاته أقل وهذه نكتة لفظية لتأخير ذكر الدية في حق المؤمن اذ تعلق بها الوصف وهو قوله « مسلمة الى اهله » والاستثناء وهو قوله « الا أن يصدقوا »

ثم انه لم يقل هنا في الدية « مسلمة الى أهله » ويدل ذلك على ان القاتل لا يكلف ان يوصل الدية الى أهل المقتول البتة وهم في غير حكم المسلمين اذ ربما يتعذر او يتعسر عليه ذلك ، ولأنها حق لهم فعليهم ان يحضروا لطلبه واخذه ، وقد يكون من شروط العهد ان تعطى الى رؤساء قوم المقتول وحكامهم الذين يتولون عقد العهود والمواثيق او الى من ينيبونه عنهم في دار الاسلام ، فوسع الله في ذلك . هذا ما ظهر لي في هذه الاطلاقات والقيود ونكتها ولم أر من بينها

هذا هو الذي تعطيه الآية في دية غير المسلم اذا لم يكن محاربا وناهيك به عدلا . وقد اختلف الفقهاء في دية غير المسلمين لاختلاف الرواية وعمل الصدر الاول فيه ففي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « عقل الكافر نصف دية المسلم » رواه احمد والترمذي وحسنه . وفي لفظ « قضى ان عقل أهل الكتابين نصف عقل المسلمين » رواه احمد والنسائي وابن ماجه . وحديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده فيه مقال معروف والجمهور على قبوله . والمراد بالعقل الدية لأن الاصل فيها عند العرب الأبل تعقل في فناء دار أهل المقتول . ولفظ الكافر في الحديث عام يشمل الكتابي وغيره ورواية أهل الكتابين لا تصلح لتخصيصه ولا لتقييده فانها صادقة في نفسها ومفهوم اللقب ليس بحجة . وفي رواية أخرى للحديث « كانت قيمة الدية على عهد رسول الله (ص) ثمان مئة دينار وثمانية آلاف درهم ودية أهل الكتاب يومئذ النصف من دية المسلم . قال وكان كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال : ان الابل قد غلت . قال ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى أهل الورق (الفضة) اثني عشر الفا (اي من الدراهم) وعلى اهل البقر مئتي بقرة وعلى اهل الشاء الفي شاة وعلى اهل

الحلل مئتي حلة . قال وترك دية أهل الذمة لم يرفعها فيما رفع من الدية . رواه ابو داود وروى الشافعي والدارقطني والبيهقي وابن حزم عن سعيد بن المسيب قال كان عمر يجعل دية اليهودي والنصراني اربعة آلاف والمجوسي ثمان مئة . وفي اسناده ابن لهيعة ضعيف . والمراد اربعة آلاف درهم وثمان مئة درهم . والاربعة الآلاف نصف دية المسلم على ما كان عليه العمل في زمن النبي (ص) وثلثها بحسب تعديل عمر ولذلك قال الشافعية ان دية الذمي ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلثا عشر دية المسلم . واحتجوا بأثر عمر وهو ضعيف ومعارض للحديث المرفوع . ولو صح لما وجدنا له مخرجا الا فهم عمر وغيره من الصحابة ان ما كان على عهد النبي (ص) لم يكن حتما ، وانهم علموا منه ان الامر في الدية اجتهادي ومداره على التراضي كما اشرنا الى ذلك في بيان ظاهر عبارة الآية .

وذهب الزهري والثوري وزيد بن علي وابو حنيفة الى أن دية الذمي كدية المسلم . وروي عن احمد ان ديته كدية المسلم ان قتل عمدا والا فنصف ديته . واحتج القائلون بالمساواة بظاهر إطلاق الآية في أهل الميثاق وهم المعاهدون وأهل الذمة ونوزعوا في هذا الاحتجاج . وبما رواه الترمذي عن ابن عباس وقال غريب ان النبي (ص) ودى العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري - وكان لهما عهد من النبي (ص) لم يشعر به عمرو - بدية المسلمين . وثم روايات أخرى عنه في ذلك وبما أخرجه البيهقي عن الزهري ان دية اليهودي والنصراني كانت في زمن النبي (ص) مثل دية المسلم وفي زمن ابي بكر وعمر وعثمان فلما كان معاوية أعطى أهل المقتول النصف في بيت المال . ثم قضى عمر بن عبد العزيز بالنصف وألغى ما كان جعل معاوية . واجيب بأن حديث ابن عباس في اسناده ابو سعيد البقال وهو سعيد المرزبان ولا يحتج بحديثه ، وحديث الزهري مرسل ومراسيله لا يحتج بها لانه لسعة حفظه لا يرسل الا لعلة . على ان هذا في المعاهد وحق الذمي أقوى من حق المعاهد لخضوعه لاحكامنا

وجملة القول ان الروايات القولية والعملية مختلفة متعارضة ولذلك اختلف فيها الفقهاء وظاهر الآية أن أمر الدية منوط بالعرف وبالتراضي والاقرب ان اختلاف السلف في العمل كان لاجل هذا

هذا وان ظاهر الآية ان الدية على القاتل ولكن بينت السنة ان العاقلة هم الذين يدفعون الدية عنه سواء كانت ابلا او نقدا ، وهم عصبته وعشيرته الاقربون (وتسمى العاقلة الآن العائلة بالهمزة وهو من تحريف العامة) وانما جعلت السنة الدية على العاقلة لاعلى القاتل لان الخطأ قد يتكرر فيذهب بمال الرجل كله ولاجل تقرير التضامن بين الاقربين واذا عجزت العاقلة من عصبة النسب ثم السبب عن دفعها جعلت في بيت المال ، والله أعلم

﴿ فمن لم يجد ﴾ الرقبة التي يعتقها كأن انقطع الرقيق كما هو مقصد الاسلام، ـ وهذه العبارة تشعر بهذا المقصد ـ او لم يجد المال الذي يشتريها به من مالكها ليحررها من رقه ـ وحذف المفعول يدل على الامرين معا ـ ﴿ فصيام شهرين متتابعين ﴾ اي فعليه صيام شهرين قمريين متتابعين لا يفصل بين يومين من أيامهما إفطار في النهار فان افطر يوما بغير عذر شرعي استأنف وكان ما صامه قبله كأن لم يكن . ولم يفرض على من لا يستطيع الصيام إطعام ستين مسكينا كما فرضه في كفارة الظهار . وبعض الفقهاء يقيس هذه الكفارة على تلك ومنهم من لا يقيس كالشافعي وهو الظاهر وما يدرينا ان هذا فرض قبل ذاك فلم يخطر في بال أحد ممن نزل في عهدهم أن للصيام بدلا على من عجز عنه وهو إطعام مسكين عن كل يوم

﴿ توبة من الله ﴾ اي شرع الله لكم ما ذكر توبة منه عليكم فهو يريد به أن يتوب عليكم ويطهر نفوسكم من التهاون وقلة التحري التي تفضي الى قتل الخطإ ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ اي عليما بأحوال نفوسكم وما يصلحها من التأديب حكيما فيما يشرعه لكم من الاحكام ، ويهديكم اليه من الآداب ، فاذا اطعتموه فيه صلحت نفوسكم وتزكت وصارت أهلا لسعادة الدنيا والآخرة

بعد هذا أذكر ماعندي في الآية عن الاستاذ الامام وهو بيان لروح الهداية فيها لا لاحكامها ومدلول ألفاظها فانه استغنى عن هذا بشرح ماقاله الجلال فيه . قال رحمه الله تعالى مامثاله !

هذه الآية جاءت بعد ان ورد ما ورد في المذبذبين الذين اذن الله بقتلهم الا من استثنى للتناسب وتتميم أحكام القتل فذكر هنا ان من شأن المؤمن ان لا يقتل مؤمنا لان الايمان مانع ذلك وبيانه من وجهين (أحدهما) ان المؤمن إنما يصح إيمانه ويكمل اذا كان يشعر بحقوق الايمان عليه وهي حقوق الله وحقوق للعباد ، ومن حدود حقوق المؤمنين ان في القصاص حياة لما فيه من الزجر عن القتل ، فالمؤمن الصادق يشعر بهذ الحق وهذه الحياة وانه اذا أخل بحقوق الدماء فقد استهزأ بحياة الامة ومن استهزأ بحياة الامة ولم يحترم اكبر حقوقها ولم يبال بما يقع فيه المؤمنون من الخطر فأمره معلوم فانه باعتدائه على مؤمن قد هدم ركنا من أركان قوة الايمان وحزبه وذلك آية عدم المبالاة بقوة الايمان وقوامه ، والمؤمن غيور على الايمان فلا يصدر منه ذلك اي ليس من شأنه ان يصدر عنه ٠
اقول ويؤيد ما قاله الاستاذ قوله تعالى (٥ : ٣٥ أنه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا)

ثم ذكر سبب العقوبة على الخطإ في الامور العظيمة كأمر القتل وهو أن الخطأ فيه لا يخلو من التهاون وعدم العناية بالاحتياط ، ومثل الخطأ في هذا الامر النسيان ولولا أن من شأنهما ان يعاقب الله عليهما لما امرنا تعالى بالدعاء بأن لا يؤاخذنا عليهما بقوله في آخر سورة البقرة (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) ولم يخبرنا انه رفع عنا المؤاخذة عليهما في الدنيا والآخرة . وقد ثبت بنص القرآن أن آدم نسي ومع ذلك سميت مخالفته معصية وعوقب عليها . ولكن ورد في الحديث « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وهو معقول ولا ينافي ما قلناه فان عقاب قتل الخطإ ليس هو عقاب قتل العمد وهو « النفس بالنفس » وأما في الآخرة فلا يؤاخذنا بما نفعله مخالفا لأمره اذا نسينا او أخطأنا فيرجى ان يستجيب الله دعاءنا
أقول والحديث الذي ذكره ورد هكذا في كتب الفقه والاصول ولا يعرف بهذا اللفظ في كتب الحديث وقد رواه ابن ماجه وابن ابي عاصم بلفظ « وضع

الله عن هذه الامة ثلاثا الخطأ والنسيان والامر يكرهون عليه » وقد وثقوا رواته وصححه ابن حبان

ثم بين تعالى حكم قتل المؤمن تعمدا بما يوافق مفهوم هذه الآية من كونه ليس من شأنه ان يقع من مؤمن فلم يذكر له كفارة بل جعل عقابه اشد عقاب توعد به الكافرين فقال ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ﴾ قال الاستاذ الامام: هذا فرع عن كون القتل ليس من شأن المؤمن مع المؤمن لأنه ينافي الايمان . وقال ابن عباس هذه الآية آخر آية نزلت في عقاب القتل . وقال بعض الصحابة ان قوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) نزل قبل هذه الآية بستة اشهر فهذه الآية مخصصة له وقد قلنا من قبل ان قوله تعالى « لمن يشاء » فيه مع تغليظ امر الشرك ان كل شيء بمشيئته تعالى فلو شاء ان يخصص احدا بالمغفرة فلا مرد لمشيئته. وقد يقال انه أخرج من هذه المشيئة من يقتل مؤمنا متعمدا فاية « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » نزلت ترغيبا للمشركين الذين آذوا النبي (ص) في الايمان ، وهم الذين نزل فيهم (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وقد نقل عن ابن عباس ان قاتل العمد لا توبة له وقالوا ان آية الفرقان نزلت في المشركين والتوبة فيها متعلقة بعدة أعمال منها القتل ومنها الشرك . اقول ويعني بآية الفرقان قوله تعالى (٢٠: ٧٠ الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بعد ان ذكر في صفات عباد الرحمن انهم لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وتوعد على ذلك كله بمضاعفة العذاب والخلود فيه .

(قال) وقد يقال كيف تقبل التوبة من المشرك القاتل الزاني ولا تقبل من المؤمن الذي ارتكب القتل وحده ؟ ويمكن ان يجاب من القائلين بعدم توبة القاتل بأن المشرك الذي لم يؤمن بالشريعة التي تحرم هذه الامور له شبه عذر لانه كان متبعا لهواه بالكفر وما يتبعه ولم يكن ظهر له صدق النبوة وما يتبع ذلك فلما ظهر له الدليل على ان ما كان عليه هو كفر وضلال تاب واناب وآمن وعمل

الصالحات فهو جدير بالعفو وان كان في اجرامه السابق مقصرا في النظر والاستدلال . واما المؤمن الموقن بصحة النبوة وتحريم الله للقتل وجعله قاتل النفس البريئة كقاتل الناس جميعا فلا عذر له بل لا يعقل أن يرجح هواه على إيمانه مع انه لم يطرأ على إيمانه من الشك الاضطراري ما يكون له شبه عذر . اما إذا طرأ عليه ذلك فان حكمه حكم القاتل الكافر . وذلك ان الكافر الذي بلغته الدعوة ولم يؤمن لم يعرض عن الايمان الا لأن الدليل لم يظهر له على صحة النبوة وهو يعاقب على التقصير في النظر وتصحيح الاستدلال حتى يخلد في النار . واذا احسن النظر وتبين له الهدى فآمن واهتدى يغفر له ما قد سلف في زمن الكفر لأنه كان عملا مرتبا على الكفر ، والكفر نفسه كان خطأ منه فأشبه قتله قتل الخطإ . ومثله من اخطأ في الدليل بعد التسليم به لشبهة عرضت له فيه فمعصيته لم تكن تهاونا بأمر الله عز وجل ولا استهزاء بآياته ولا دليلا على إيثاره لهواه على ما عند الله

اما القاتل المؤمن فأمره على غير ذلك فانه مؤمن بالله وبرسوله وبما جاء به إيمان يقين وإذعان لما جاء به الدين من تعظيم أمر الدماء ، وهو يعلم ان المؤمن اخ له ونصير بحكم الايمان فكيف يعمد بعد هذا الى الاستهانة بأمر الله وحكمه ، وحل ما عقده وتوهين امر دينه بهدم اركان قوته وتجرئة الناس على مثل ذلك حتى يهن المسلمون ويضعفوا ويكون بأسهم بينهم شديدا . لاجرم ان عقابه يكون شديدا بحيث لا تقبل توبته .

ومن نظر الى انحلال امر الاسلام والمسلمين بعد ما أقدم بعضهم على سفك دم بعض من زمن طويل يظهر له وجه هذا وان لا يعذر بهذه الجراءة على هذه الجريمة وهو لم يعرض شبهة في أمر الله ، اذ لا رائحة للعذر في عمله بل هو مرجح للغضب وحب الانتقام وشهوة النفس على أمر الله تعالى، ومن فضل شهوة نفسه الخسيسة الضارة على نظر الله وعلى كتابه ودينه ومصلحة المؤمنين بغير شبهة ما فهو جدير بالخلود في النار والغضب واللعنة ويدل على هذا قوله تعالى (٣: ١٣٤ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) وتأمل قوله « يعلمون » ولو سمح الله ان يفضل أحد شهوته أو حميته وغضبه على الله ورسوله وكتابه ودينه والمؤمنين ، ووعده بالمغفرة لتجرأ الناس على كل شيء ولم يكن للدين

ولا للشرع حرمة في قلوبهم . فهذا تقرير قول من قالوا ان القاتل لاتقبل توبته ولا بد من عقابه والروايات فيه عن الصحابة والسلف كثيرة تراجع في تفسير ابن جرير

هذا ماعندنا عن الاستاذ الامام في الآية وهو من خير ما يبين به وجه ماذهب اليه المشددون في هذه الجناية . وقال الزمخشري في الكشاف

« هذه الآية فيها من التهديد والايعاد ، والابراق والارعاد ، أمر عظيم ، وخطب غليظ ، ومن ثم روي عن ابن عباس ماروي من ان توبة قاتل المؤمن عمداً غير مقبولة . وعن سفيان : كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا لاتوبة له . وذلك محمول منهم على سنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحوّ بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا . وفي الحديث « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم » وفيه « لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه » وفيه « إن هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه » وفيه من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله »

« والعجب من قوم يقرءون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لاتدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم ، وما يخيل اليهم مناهم ، ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة . (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) اه

أقول وقد استكبر الجمهور خلود القاتل في النار واوله بعضهم بطول المكث فيها وهذا يفتح باب التأويل لخلود الكفار فيقال ان المراد به طول المكث أيضا . وقال بعضهم ان هذا جزاؤه الذي يستحقه إن جازاه الله تعالى وقد يعفو عنه فلا يجازيه ، رواه ابن جرير عن ابي مجلز . وفيه ان الاصل في كل جزاء أن يقع لاستحالة كذب الوعيد كالوعد وان العفو والتجاوز قد يقع عن بعض الافراد لاسباب يعلمها الله تعالى فليس في هذا التأويل تفصّ من خلود بعض القاتلين في النار ، والظاهر انهم يكونون الاكثرين ، لان الاستثناء انما يكون في الغالب للاقلين . وقال بعضهم ان هذا الوعيد مقيد بقيد الاستحلال والمعنى ومن يقتل مؤمنا متعمداً لقتله مستحلا له فجزاؤه

جهنم خالدا فيها الخ . وفيه ان الآية ليس فيها هذا القيد ولو أراده الله تعالى لذكره كما ذكر قيد العمد ، وأن الاستحلال كفر فيكون الجزاء متعلقا به لا بالقتل والسياق يأبى هذا . وقال بعضهم ان هذا نزل في رجل بعينه فهو خاص به . وهذا أضعف التأويلات لا لأن العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب فقط بل لان نص الآية على مجيئه بصيغة العموم « من الشرطية » جاء بفعل الاستقبال فقال « ومن يقتل » ولم يقل « ومن قتل » وقال آخرون انهذا الجزاء حتم الا من تاب وعمل من الصالحات مايستحق به العفو عن هذا الجزاء كله أو بعضه . وفيه انه اعتراف بخلود غير التائب المقبول التوبة في النار ، ولعل أظهر هذه التأويلات قول من قال ان المراد بالخلود طول المكث لان أهل اللغة استعملوا لفظ الخلود وهم لا يعتقدون أن شيئا يدوم دواما لا نهاية له . وكون حياة الآخرة لا نهاية لها لم يؤخذ من هذا اللفظ وحده بل من نصوص أخرى

إن ابن عباس (رضي الله عنهما) كان يقول ان قاتل المؤمن عمدا لاتوبة له كما ذكرنا ذلك في عبارة شيخنا وعبارة الكشاف ، ونقل ابن جرير القول بقبول توبته عن مجاهد وهو تلميذ ابن عباس . وذكر روايات كثيرة عن ابن عباس في عدم قبول توبته منها رواية سالم بن ابي الجعد قال كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فأتاه رجل فناداه ياعبد الله بن عباس ماترى في رجل قتل مؤمنا متعمدا ؟ فقال « فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » فقال أفرأيت فان تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس ثكلته أمه وأنى له التوبة فوالذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول « ثكلته أمه رجل قتل رجلا متعمدا جاء يوم القيامة آخذا بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما من قبل عرش الرحمن يلزم قاتله بيده الاخرى يقول: سل هذا فيم قتلني » والذي نفس عبدالله بيده لقد انزلت هذه الآية فما نسخها من آية أخرى حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم وما نزل بعدها من برهان . وفي رواية أخرى : فما جاء نبي بعد نبيكم ولا نزل كتاب بعد كتابكم .

وروى ابن جرير ايضا عن سعيد بن جبير ان عبد الرحمن بن أبزى أمره

ان يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين اللتين في النساء « ومن يقتل مؤمنا متعمدا » الى آخر الآية ، والتي في الفرقان « ومن يفعل ذلك يلق أثاما – الى – ويخلد فيه مهانا . » قال ابن عباس اذا دخل الرجل في الاسلام وعلم شرائعه وامره ثم قتل مؤمنا متعمدا فلا توبة له ، واما التي في الفرقان فانها لما نزلت قال المشركون من أهل مكة : فقد عدلنا بالله (أي اشركنا) وقتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق فما ينفعنا الاسلام ؟ قال فنزلت « الا من تاب » وفي رواية أخرى قال انها نزلت في اهل الشرك . وروي عنه انه قال : إن آية النساء نزلت بعد آية الفرقان بسنة ، وفي رواية أخرى بثماني سنين ، وهذه أقرب فان سورة الفرقان مكية حتما وسورة النساء مدنية نزل اكثرها بعد غزوة أحد كما تقدم واما الرواية التي ذكرها الاستاذ الامام وهي انها نزلت بعدها بستة اشهر فقد رواها ابن جرير عن زيد بن ثابت . وروي عن ابن مسعود ان الآية محكمة وما تزداد الاشدة . وعن الضحاك انه ما نسخها شيء وانه ليس له توبة

وقد بين الاستاذ الامام الفرق بين قبول توبة المشرك من الشرك وما يتبعه من الجرائم وعدم قبول توبة المؤمن من القتل على قول ابن عباس ، وهو فرق واضح معقول من وجه وغير معقول من وجه آخر وهو انه لا ينطبق على قاعدتنا في حكمة الله في الجزاء على الشرك والذنوب وعلى الايمان والاعمال الصالحة وقد بيناها مراراً كثيرة ، وهي ان الجزاء تابع لتأثير الاعتقاد والعمل في تزكية النفس او تدسيتها ،

نعم ان اقدام المرء بعد الايمان ومعرفة ما عظم الله تعالى من تحريم الدماء وما شدد من الجزاء على جريمة القتل يكاد يكون ردة عن الاسلام وهو أولى بما ورد في الصحيح « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الخ – وقد تقدم في بحث التوبة من تفسير هذه السورة – ، فان القتل أكبر إثما واشد جرما من الزنا والسرقة وشرب الخمر التي ورد بها الحديث ، ولكن لا نسلم ما قاله شيخنا من انه ليس لفاعله شبهة عذر بعد الاسلام ، واذا سلمنا ذلك وحكمنا بأن نفس القاتل قد صارت بالقتل شر النفوس وأشدها رجسا ، وأبعدها عن موجبات الرحمة ، وهو معنى ما في

الآية من اللعنة ، فلا نستطيع ان نحكم بان صلاحها بالتوبة النصوح والمواظبة على الاعمال الصالحة متعذر ولا متعسر

أما شبهة العذر أو شبهه فقد يظهر فيمن كان شديد الغضب حديد المزاج ، اذا رأى من خصمه ما يثير غضبه وينسيه ربه ، فقد يندفع الى القتل لا يملك فيه نفسه ، الا ان يقال ان هذا القتل لا يعد من العمد او التعمد الذي هو أبلغ من العمد لما في صيغة التفعل من الدلالة على معنى التربص او التروي في الشيء . وقد ذكروا ان الضرب بما لا يقتل في الغالب اذا افضى الى القتل لا يسمى عمدا بل شبه عمد كالضرب بالعصا . وانما العمد ما كان بمحدد وما في معناه مما جرت العادة بكونه يقتل كبندق الرصاص المستعمل في هذا الزمان بآلاته الجديدة كالبندقة والمسدس ، واشترطوا فيه أن يقصد به القتل فانه قد يطلق الرصاص عليه بقصد الإرهاب وهو ينوي ان لا يصيبه فيصيبه بدون قصد . ولفظ التعمد يدل على هذا وعلى اكثر منه كما قلنا آنفا

واما كون القاتل قد تصلح نفسه وتتزكى بالتوبة النصوح فهو معقول في نفسه وواقع ويدخل في عموم ما ورد في التوبة ، ولا نعرف نفسا غير قابلة للصلاح ، الا نفس من احاطت به خطيئته وران على قلبه ما كان يكسب من الاوزار ، بطول الممارسة والتكرار ، اذ يألف بذلك الشر ويأنس به حتى لا تتوجه نفسه الى حقيقة التوبة بكراهة ما كان عليه ومقته والرجوع عنه ، لا انه يتوب ولا يقبل الله توبته

فمن وقعت منه جريمة القتل فادرك عقبها انه تعرض بذلك للخلود في النار ، واستحق لعنة الله تعالى والطرد من رحمته ، وباء بغضبه وتهوك في عذابه العظيم ، فعظم عليه ذنبه ، وضاقت عليه نفسه ، فندم اشد الندم ، فأناب واستغفر ، وعزم على ان لا يعود الى هذا الحنث العظيم ، ولا الى غيره من المعاصي والاوزار ، واقبل على المكفرات ، وواظب على الباقيات الصالحات ، الى أن أدركه الممات ، وهو على هذه الحال ، فهو ولا شك في محل الرجاء ، وحاش لله أن يخلد مثله في النار ،

نعم ان أمراء الجور الذين يسفكون دماء من يخالفون أهواءهم ، وزعماء السياسة الذين يجعلون من قوانين جمعياتهم اغتيال من يعارضهم في سياستهم ، وكبراء اللصوص

الذين يقتلون المؤمن وغير المؤمن بغير الحق لاجل التمتع بماله ، كل اولئك الفجار ، الذين يقتلون مع التعمد وسبق الاصرار ، جديرون بأن ينالوا الجزاء الذي توعدت به الآية من الخلود في النار ولعنة الله وغضبه وعذابه العظيم الذي لا يعرف كنهه سواه عز وجل ، لانهم - وان كان فيهم من يعدون في كتب تقويم البلدان ودفاتر الاحصاء وسجلات الحكومة من المسلمين - ليسوا في الحقيقة من المؤمنين بالله و بصدق كتابه ورسوله فيما اخبرا به من وعيده على القتل ، لا يراقبون الله في عمل ، ولا يخافون عقابه على ذنب ، وقلما يوجد فيهم من يذكر التوبة بقلبه أو لسانه ، الا ما يذكر عن بعض عوام اللصوص من حركة اللسان ببعض الالفاظ التي لا يعقلون حقيقة معناها ، ومنها : استغفر الله واتوب اليه ، وهو يكذب في ذلك عليه

(٩٣:٩٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ . كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

روى البخاري والترمذي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي (ص) وهو يسوق غنما له فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا الا ليتعوذ منا فعمدوا اليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي (ص) فنزلت « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم » الآية . واخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال بعث رسول الله (ص) سرية فيها المقداد فلما اتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا و بقي رجل له مال كثير فقال اشهد أن لا إله الا الله ، فقتله المقداد . فقال له النبي (ص) « كيف لك بلا اله الا الله غدا » وانزل الله هذه الآية . واخرج احمد والطبراني وغيرهما عن عبد الله ابن ابي حدرد الاسلمي قال بعثنا رسول الله (ص) في نفر من المسلمين فيهم المسلمين ابو قتادة ومحكم ابن عثامة فمر بنا عامر بن الاضبط الاشجعي فسلم علينا ، فحمل عليه محكم فقتله . فلما قدمنا على النبي (ص) واخبرناه الخبر نزل فينا

القرآن « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله » الآية . واخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه . وروى الثعلبي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان اسم المقتول مرداس بن نهيك من أهل فدك وان اسم القاتل اسامة بن زيد وان اسم امير السرية غالب بن فضالة الليثي ، وان قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده وكان ألجأ غنمه بجبل فلما لحقوه قال لا إله الا الله محمد رسول الله ، السلام عليكم ، فقتله أسامة بن زيد . فلما رجعوا نزلت الآية . واخرج ابن جرير من طريق السدي وعبد (كذا وهو عبد الرزاق) من طريق قتادة نحوه . واخرج ابن ابي حاتم من طريق ابن لهيعة عن ابي الزبير عن جابر قال انزلت هذه الآية ...في مرداس . وهو شاهد حسن. وأخرج ابن منده عن جزء بن الحدرجان قال وفد اخي قداد الى النبي (ص) فلقيته سرية النبي (ص) فقال لهم انا مؤمن فلم يقبلوا منه وقتلوه فبلغني ذلك فخرجت الى رسول الله (ص) فنزلت... فأعطاني النبي (ص) دية أخي . انتهى من لباب النقول . وحديث جزء اسناده مجهول كما قال الحافظ في الاصابة ولا مانع من تعدد الوقائع قبل نزول الآية لان من مثل هذا من شأنه ان يقع في مثل تلك الحال . وقد أورد الروايات ابن جرير بزيادة تفصيل والآية متصلة بما قبلها والظاهر انها نزلت معها بعد وقوع تلك الحوادث وان النبي (ص) كان يقرأها على اصحاب كل واقعة فيرون انهم سبب نزولها .

الاستاذ الامام : بين الله تعالى في الآية السابقة بعض احكام المنافقين ومنه نهي المؤمنين ان يتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا ومنها ان الذين يلقون الى المؤمنين السلم و يعتزلون قتالهم لا يجوز لهم ان يقاتلوهم . فنهى عن قتل من لم يقاتل. ثم ذكر أنه ليس من شأن المؤمن ان يقتل مؤمنا الا على سبيل الخطإ . و بعد هذا اراد تعالى أن ينبه المؤمنين على ضرب من ضروب قتل الخطإ كان يحصل في ذلك العهد عند السفر الى ارض المشركين . وذلك ان الاسلام كان قد انتشر ولم يبق مكان في بلاد العرب وقبائلهم يخلو من المسلمين أو ممن يميلون الى الاسلام ويتربصون الفرص للاتصال بأهله للدخول فيهم فأعلم الله المؤمنين بذلك وأمرهم ان لا يحسبوا

كل من يجدونه في دار الكفر كافرا وان يتبينوا فيمن تظهر منهم علامات الاسلام كالشهادة أو السلام الذي هو تحية المؤمنين وعلامة الامن والاستئمان ، وان لا يحملوا مثل هذا على المخادعة اذ ربما يكون الايمان قد طاف على هذه القلوب وألمّ بها ان لم يكن تمكن فيها ، وقد افادت الآية ان ماسبق من قتل من ألقى السلام لشبهة التقية قد مضى على انه من قتل الخطإ وأن الله تعالى أراد بإنزالها ان يعد مايقع منه بعد نزولها من قتل العمد لانه أمر فيها بالتثبت ونهى عن إنكار إسلام من يدعي الاسلام ولو بإلقاء تحيته فكيف بمن ينطق بالشهادتين . ثم ذكر مامن شأنه ان يقوي الشبهة في نفس من يظن ان اظهار الاسلام لاجل التقية وهو ابتغاء عرض الحياة الدنيا . فهدى المؤمن بهذا الى ان يتهم نفسه ويفتش عن قلبه ولا يبني الظن على ميله وهواه ، بل أوجب عليه ان يبني على الظاهر ويقبله حتى يتبين له خلافه اه

أقول ويزاد على هذا ان إلقاء السلام قد يكون إلقاء للسلم وايذانا بعدم الحرب، وقرئ في المتواتر (السلم) كما يأتي قريبا وقد علم من الآيات السابقة في هذا السياق نفسه النهي عن قتل الذين يعتزلون القتال ويكفون أيديهم عنه ويلقون السلم الى المؤمنين فليس الاسلام وحده هو المانع من القتل ، اذ ليس الكفر وحده هو الموجب له . وانما كان الكفار هم الذين بدأوا المسلمين بالحرب وما كان القتال في زمن النبي (ص) الا دفاعا حتى في الغزوات التي صورتها صورة المهاجمة وما هي الا مهاجمة قوم حرب يُدعون الى السلم فلا يجيبون ، وما رضوا بالسلم مرة وأباها النبي (ص) حتى في صلح الحديبية التي ثقلت فيها شروط المشركين على المؤمنين ، وكيف يأباها والله تعالى يقول له (٨ : ٦٢ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وقد أشار شيخ المفسرين ابن جرير الطبري الى هذا فاشترط فيمن يباح قتله ان يكون حربا للمسلمين، وانا نذكر عبارته في ذلك وعليها نعتمد في جل تفسير الآية قال

يعني جل ثناؤه بقوله (يا أيها الذين آمنوا) يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم (اذا ضربتم في سبيل الله) اذا سرتم مسيراً

لله في جهاد أعدائكم (فتبينوا) يقول فتأنوا في قتل من اشكل عليكم أمره فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ، ولا تقدموا على قتل أحد الا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) يقول ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرا لكم انه من أهل ملتكم ودعوتكم (لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا) فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا أي طلبا لمتاعها الذي هو عرض زائل، وما اذن الله لكم في قتال الذين يقاتلونكم لتكونوا مثلهم في أطماعهم الدنيوية بل للدفاع عن الحق واعلاء كلمته ونشر هدايته (فعند الله مغانم كثيرة) من رزقه وفواضل نعمه . هذا ماقاله ابن جرير ذكرناه بلفظه والا تفسير قوله تعالى « لست مؤمنا » الخ فقد ذكرناه بالمعنى مع زيادة ما . والتبين طلب بيان الامر. وقرأ حمزة والكسائي (فتثبتوا) في الموضعين من التثبت في الامر وهو التأني واجتناب العجلة . وقرأ نافع وابن عامر وحمزة (السلم) بغير ألف وهو كالسلم بكسر السين ضد الحرب ، وبه فسر بعضهم قراءة الباقين (السلام) بالسلم وهو معناه الاصلي

أما قوله تعالى (كذلك كنتم من قبل) ففيه وجهان أحدها انكم كنتم كذلك تستخفون بدينكم كما استخفى بدينه من قومه هذا الذي ألقى اليكم السلام فقتلتموه الى ان لحق بكم، أي فانه ما بقي يخفي الاسلام بينهم، الا خوفا على نفسه منهم، وكذلك كان السابقون الاولون وهم خيار المؤمنين يخفون إسلامهم حتى أسلم عمر فأظهر إسلامه وحملهم على اظهار اسلامهم ثم كان من بعدهم اذا اسلم يخفي اسلامه حتى يتيسر له الهجرة الى النبي (ص) . (فمنّ الله عليكم) بالهجرة والقوة حتى اظهرتم الاسلام ونصرتموه . والوجه الثاني انكم كذلك كنتم كفارا مثل من قتلتم بتهمة الكفر فمنّ الله عليكم بالهداية الى الاسلام فمنكم من اسلم لظهور حقية الاسلام له من أول وهلة ومنكم من اسلم تقية أو لسبب آخر ثم حسن اسلامه عند ماخبر الاسلام وعرف محاسنه

وقيل معنى « من الله عليكم » انه تفضل عليكم بالتوبة من قتل من قتلتموه
بهذه التهمة التي كنتم مثله فيها ﴿ فتبينوا ﴾ أي اطلبوا البيان أو كونوا على بينة من
الامر تقدمون عليه ولا تأخذوا بالظن ولا بالظنة (التهمة) ، أو تثبتوا ولا تعجلوا بعد
في مثل هذا ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ لا يخفى عليه شيء من نيتكم فيه ومن
المرجح له هل هو محض الدفاع عن الحق ام ابتغاء الغنيمة. قال الاستاذ الامام هذا
تأكيد لذلك التنبيه في قوله « تبتغون عرض الحياة الدنيا » لاجل التحذير من الوقوع
في مثل هذا الخطإ فهو شبيه بالوعيد. ويحتمل ان يكون وعيدا اذا قلنا ان قوله تعالى
« تبتغون عرض الحياة الدنيا » حكم جديد بان قتل من القى السلام يعد من قتل
المؤمن عمدا . والمعنى ان الله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء من مرجحات
الحمل عليها في نفوسكم فان كان فيها ابتغاء حظ الحياة الدنيا فهو يجازيكم على ذلك فلا
تغفلوا ، بل تثبتوا وتبينوا ، وحكم الآية يعمل به بصرف النظر عن سبب نزولها وهو
ان كل من اظهر الاسلام يقبل منه ويعد مسلما ولا يبحث عن الباعث له على ذلك ،
ولا يتهم في صدقه وإخلاصه

أقول فأين هذا من حرص من لم يهتدوا بكتاب الله في اسلامهم ولا في علمهم
باحكامه على تكفير من يخالف أهواءهم من أهل القبلة بل من أهل العلم الصحيح
والدعوة الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم !! فليعتبر المعتبرون

هذا وان الجاهلين بتاريخ الاسلام ، وبأحوال الامم والدول الى هذا الزمان،
يظنون أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا ملومين في أخذ الغنائم ممن يظفرون
بهم ، وأن بعض أمم الحضارة صارت أرقى في هذا الامر منهم ، وان قوانينها في
الحرب أقرب الى النزاهة والعدل من أحكام الاسلام ، وكيف هذا وقوانين الدول
المرتقية كلها تبيح أخذ كل ما تصل اليه اليد من أموال المحاربين ؟ لا يصدهم عن ذلك
سلام ولا دين ، وقد علمت من هذه الآيات ان الاسلام يمنع قتل من يظهر الاسلام ،
ومن يلقي السلم أو السلام ، ومن بينه وبين المسلمين عهد وميثاق ، إما على المناصرة
وإما على ترك القتال ، ومن اتصل بأهل الميثاق المعاهدين ، ومن اعتزل القتال فلم يساعد

فيه قومه المقاتلين ، وبعد هذا كله رغب عن ابتغاء عرض الدنيا بالقتال ، ليكون
لمحض رفع البغي والعدوان ، وتقرير الحق والاصلاح ، ولاهمّ لجميع الدول والامم
الآن ، الا الربح وجمع الاموال ، وهم ينقضون العهد والميثاق مع الضعفاء ، ولا يلتزمون
حفظ المعاهدات الا مع الاقوياء ، وهو ماشدد الاسلام في حفظه ، وحافظ عليه
النبي (ص) في عهده ، وحافظ عليه خلفاؤه الراشدون من بعده ، فاين ارقى امم
المدنية من أولئك الائمة المهديين ، رضوان الله عليهم اجمعين

(٩٧:٩٤) لَا يَسْتَوِي الْقَـٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ
وَالْمُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَـٰهِدِينَ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ،
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى الْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٨:٩٥) دَرَجَـٰتٍ
مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

مضت سنة القرآن في مزج آيات الاحكام العملية بما يرغب في الاعمال الصالحة
وينشط عليها ، ويحفز الهمم اليها ، وينفر من القعود عنها ، والتكاسل والتواكل
فيها ، وعلى هذه السنة جاءت هذه الآية بين آيات أحكام القتال ، فهي متصلة
بها أتم الاتصال ،

قال تعالى ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ أي عن الجهاد في سبيل الله لتأبيد
حرية الدين ، وصد غارات المشركين ، وتطهير الارض من الفساد ، واقامة دعائم
الحق والاصلاح ﴿ غير أولي الضرر ﴾ العاجزين عن هذا الجهاد كالاعمى والمقعد
والزمن والمريض ﴿ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ أي لا يكون
القاعدون عن الجهاد بأموالهم بخلا بها وحرصا عليها ، وبأنفسهم إيثارا للراحة والنعيم
على التعب وركوب الصعاب في القتال ، مساوين للمجاهدين الذين يبذلون أموالهم
في الاستعداد للجهاد بالسلاح والخيل والمؤنة ، ويبذلون أنفسهم بتعريضها للقتل

في سبيل الحق ، لاجل منع القتل في سبيل الطاغوت ، لان المجاهدين هم الذين يحمون امتهم و بلادهم ، والقاعدين الذين لايأخذون حذرهم ، ولا يعدون للدفاع عدتهم ، يكونون عرضه لفتك غيرهم بهم ، (٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) بغلبة أهل الطاغوت عليها ، وظلمهم لاهلها ، و إهلاكهم للحرث والنسل فيها ،

﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ هذا بيان لمفهوم عدم استواء المجاهدين والقاعدين غير أولي الضرر وهو ان الله تعالى رفع المجاهدين عليهم درجة وهي درجة العمل الذي يترتب عليه دفع شر الاعداء عن الملة والامة والبلاد ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ أي ووعد الله المثوبة الحسنى كلا من الفريقين المجاهدين والقاعدين عن الجهاد عجزا منهم عنه وهم يتمنون لو قدروا عليه فقاموا به ، فان إيمان كل منهما واحد و إخلاصه واحد . وقدم مفعول « وعد » الاول وهو لفظ « كلا » لإفادة حصر هذا الوعد الكريم في هذين الفريقين المتساويين في الايمان والاخلاص ، المتفاضلين في العمل ، لقدرة احدهما وعجز الآخر . وفسر قتادة الحسنى بالجنة

﴿ وفضل الله المجاهدين ﴾ بأموالهم وأنفسهم ﴿ على القاعدين ﴾ من غير أولي الضرر كما قال ابن جريج ﴿ أجرا عظيما ﴾ وهو مابينه قوله تعالى ﴿ درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾ اما الدرجات فقد بينا في غير هذا الموضع ماتدل عليه الآيات المتعددة من تفاوت درجات الناس في الدنيا والآخرة ومنها قوله تعالى (١٧: ٢١ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وبينا ان درجات الآخرة مبنية على درجات الدنيا في الايمان والفضيلة والعمل النافع، لافي الرزق وعرض الدنيا . وقد حمل بعض المفسرين الدرجات هنا على مايكون للمجاهد في الدنيا من الفضائل والاعمال فقال قتادة : كان يقال: الاسلام درجة، والاسلام في الهجرة درجة ، والجهاد في الهجرة درجة ، والقتال في الجهاد درجة اه وجعل بعضهم الجهاد هنا عدة درجات بحسب مافيه من الاعمال الشاقة فقال ابن زيد :

الدرجات هي السبع التي ذكرها الله تعالى في سورة براءة (التوبة) (٩: ١٢١ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه . ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ، ولا نصب ، ولا مخمصة في سبيل الله ، ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا ، الا كتب لهم به عمل صالح ، ان الله لايضيع أجر المحسنين) يعني ان هذه الامور السبعة التي يتعرض لها المجاهدون هي الدرجات لان لكل منها أجرا كما قال تعالى ومجموعها مع المغفرة والرحمة هو الاجر العظيم ، والصواب ان المراد هنا درجات الآخرة لانها تفسير للاجر كما قال ابن جرير ، وهي مرتبة على ماذكر وعلى غيره مما يفضل المجاهدون به القاعدين وأهمه مصدره من النفس وهو قوة الايمان بالله وإيثار رضاه على الراحة والنعيم ، وترجيح المصلحة العامة على الشهوات الخاصة. والمغفرة المقرونة بهذه الدرجات هي أن يكون لذنوبهم في نفوسهم عند الحساب أثر من الآثار التي قضى عدل الله بأن تكون سبب العقاب لان ذلك الاثر يتلاشى في تلك الاعمال التي استحقوا بها الدرجات كما يتلاشى الوسخ القليل في الماء الكثير . والرحمة مايخصهم به الرحمن زيادة على ذلك من فضله واحسانه

قال البيضاوي : وقيل الاول ماخولهم الله في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ماحصل لهم في الآخرة . وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله . والدرجات منازلهم في الجنة . وقيل القاعدون الاول الاضراء ، والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم . وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار ، والآخرون من جاهد نفسه ، وعليه قول علي عليه السلام : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر اه

﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ وكان شأن الله وصفته أنه غفور لمن يستحق المغفرة، رحيم بمن يتعرض لنفحات الرحمة ، فهو مافضلهم بذلك الا بما اقتضته صفاته ، وما هو شأنه في نفسه ، فاذا لابد من ذلك الاجر العظيم بأنواعه ولا مرد له

ومن مباحث اللفظ في الاية ان نافعا وابن عامر قرءا « غير أولي الضرر » بنصب « غير » على الحال أو الاستثناء وقرأها الباقون بالرفع وهي حينئذ صفة

للقاعدون. وقرئت بالجر شذوذا على انها صفة المؤمنين أو بدل منهم. وقوله «اجرا عظيما» نصب «اجر» على المصدر لانه بمعنى أجرهم أجرا عظيما، أو على الحال «ودرجات» بدل منه

وقد تركت ما ذكروه في تفسير الآية من حديث زيد بن ثابت في كون قوله «غير أولي الضرر» نزل لاجل ابن أم مكتوم لان هذا من المشكلات الجديرة بالرد مهما قووا سندها، ولعلنا نفصل القول فيها في مقدمة التفسير

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ المعراج في اليقظة أم المنام، وروحاني أم لا ﴾

(س ٤٥ و ٤٦) من صاحب الامضاء من سبس برنبو بمصر

حضرة فضيلة الاستاذ العلامة المفضال سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أيد الله بوجوده الاسلام، وذهبت به ظلمات الجهل والبدع المنتشرة بين الانام

اهديكم عظيم تحيتي واحترامي. ان ترك المألوف أمر صعب على الناس لاسيما اذا رسخ في اعتقادهم وتمكن من قلوبهم وان كان ذلك مخالفا للحق أو كان عين الضلال فلم يهن عليهم أن يتركوه ولهذا آتيكم بمسألة مهمة أرجو بيانها بالحق اليقين، وما بعد الحق الا الضلال المبين، وهي: مسألة المعراج فهل وافقتم حضرة الفاضل الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في قوله: فالأرجح عندي أن المعراج كان رؤيا منامية كما قلنا وفي هذه الرؤيا فرضت الصلوات الخمس لان رؤيا الانبياء من الوحي كرؤيا ابراهيم

أنه يذبح ولده اه وهل ورد في السنة الصحيحة أن رؤيا الانبياء صلوات الله عليهم تعتبر شرعاً وانها من الوحي كما قال حضرته؟

انني أول من يسارع الى قبول قوله: ولو كان المعراج حصل ليلة الاسراء وكان جسدانيا مثله لذكر معه في سورته فانه أعجب وأغرب وأدل على القدرة الآلهية من الاسراء. اه فان عروجه (ص) بجسده الشريف الى السموات مما يؤيد حجته (ص) على المكذبين له في اخباره اياهم بالاسراء ولكن أشكل عليّ مارواه الشيخان ونقله القاضي عياض في شفائه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة، ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه، ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعالي بخير. الحديث. فما قولكم في هذا الحديث أيحتج به أم لا؟ فالمرجو من فضلكم اظهار الحقيقة فان ماصرح به حضرة الدكتور مما يخاف ذكره عند عامة المسلمين خصوصا عند مسلمي جاوه والملايو فانهم يتخذون ماوصف لهم من أن السموات خلقت من حديد ونحاس وفضة وياقوت وزبرجد و. و... اعتقاداً راسخاً، وإيماناً صادقاً. م. ب. ع

{ج} اختلف علماء السلف والخلف في الاسراء والمعراج، أكانا بالروح والجسد أم بالروح فقط، وفي اليقظة أم في المنام، وقد كنا من أول العهد بالتمييز نسمع ذكر هذا الخلاف في المساجد عندما تقرأ قصة المعراج في الليلة السابعة والعشرين من رجب كل سنة. واذ كانت المسألة خلافية فما على الباحث من سبيل اذا ظهر له رجحان أحد الاقوال ان يقول به، وسبق لنا ذكر هذا القول في المجلد الاول من المنار. وقد رجح بعض المحققين أن الاسراء نفسه كان روحانياً فما بالك بالمعراج؟

قال ابن القيم في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» ما نصه

«فصل» وقد نقل ابن اسحق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا انما كان الاسراء بروحه ولم يفقد جسده ونقل عن الحسن البصري نحو ذلك. ولكن ينبغي ان يعلم الفرق

بين أن يقال كان الاسراء مناما وبين ان يقال كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم . وعائشة ومعاوية لم يقولا كان مناما وانما قالا اسري بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الامرين فان ما يراه النائم قد يكون امثالا مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة فيرى النائم كانه قد عرج به الى السماء أو ذهب الى مكة وأقطار الارض وروحه لم تصعد ولم تذهب وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال

« والذين قالوا عرج رسول الله (ص) طائفتان طائفة قالت عرج بروحه وبدنه وطائفة قالت عرج بروحه ولم يفقد بدنه . وهؤلاء لم يريدوا ان المعراج كان مناما وانما أرادوا أن الروح ذاتها أسري بها وعرج بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها الى السموات » اه واطال في بيان الفرق وذكر فيه حل إشكال في حديث المعراج وهو ان النبي (ص) رأى موسى في قبره بالكثيب الاحمر (من أرض فلسطين) ورآه في السماء السادسة ولم يعرج جسد موسى من قبره الى السماء وانما تلك روحه (ص)

هذا وإن من أدلة القائلين بأن المعراج كان مناما رواية شريك في صحيح البخاري فانه يقول في آخر الحديث « ثم استيقظت » والذين لا يقولون بذلك يغلطون رواية شريك ومنهم من يقول بتعدد المعراج قال ابن القيم

(فصل) قال الزهري عرج بروح رسول الله (ص) الى بيت المقدس والى السماء قبل خروجه الى المدينة بسنة . وقال ابن عبد البر وغيره كان بين الاسراء والهجرة سنة وشهران انتهى وكان الاسراء مرة واحدة وقيل مرتين مرة يقظة ومرة مناما . وارباب هذا القول كأنهم أرادوا ان يجمعوا بين حديث شريك وقوله « ثم استيقظت » وبين سائر الروايات . ومنهم من قال بل كان هذا مرتين مرة قبل ان يوحى اليه ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الاحاديث ، ومنهم من قال بل ثلاث مرات مرة قبل الوحي ومرتين بعده ، وكل هذا خبط . وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من ارباب النقل الذين اذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى ، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع » ــ الى ان قال بعد تعجب من القائلين بالتعدد معما يلزمه من القول بتعدد فرض الصلاة ــ « وقد غلط الحفاظ شريكا في الفاظ حديث الاسراء . ومسلم اورد المسند منه ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص » اه اقول وفي روايات حديث المعراج اضطراب واختلاف كثير طالما ردوا ما وقع فيه مثله

وحديث أنس الذي اشار اليه السائل لا يسلم من الاضطراب والاختلاف الذي قلناه ولا يتسع هذا الجواب لبيان ذلك ومقابلته بالاحاديث التي منعوا الاحتجاج بها لاضطرابها واختلاف رواياتها اختلافا لا يقبل الجمع الا بتكلف وتسليم ما تسلم به النفس ولا يصدقه العقل كقول بعضهم ان المعراج متعدد كان بعضه يقظة وبعضه مناماً ، ولا يستطيع عاقل ان يقبل أن يتعدد فرض الله الصلاة على نبيه خمسين ومراجعته فيها حتى يجعلها خمسا مرارا متعددة . ولذلك اضطر بعض المحققين الى الجزم بأن بعض روايات الصحيحين في المعراج غلط . ولعلنا نبين الروايات كلها ووجوه الاختلاف والاضطراب فيها في مقال مخصوص نحرر فيه هذه المسألة

والظاهر ان الطبيب محمد توفيق صدقي رجح كون المعراج رؤيا منامية لكونه أقرب الى العقل وأبعد عن الطعن ، لا للجمع بين الروايات والتوفيق بينها فانه لم يتتبعها . على أن هذا القول أقرب ما يتفصى به من اختلافها الكثير . وتعدد الرؤيا واختلاف رؤية الانبياء في السموات فيها لا يعد مشكلا كتعدد ذلك في اليقظة . واذا صححنا رواية واحدة من هذه الروايات ورددنا ماعداها وان كان في البخاري فحينئذ يكون ما قاله المحقق ابن القيم هو الاقرب وهو ان ذلك كله كان مشاهدة روحية لم ينتقل فيها جسده الشريف من مكانه

ولا يبعد ان يقع الغلط في الروايات الصحيحة السند فان من قل غلطه وشذوذه لا ترد روايته البتة ولا شك عند اهل العلم بالحديث في صحة رواية انس التي أشار اليها السائل فانها في الصحيحين ولم يبين وجه استشكاله لها ، وهي لا تدل على ما يعتقده اهل قطره من الجاوه والملايو فى السموات وكونها خلقت من حديد ونحاس وفضة وياقوت . وماورد في خلق مادة السموات لا يصح . وكان الجم الغفير من علماء المسلمين يرى فيها رأي فلاسفة اليونان وهو انها اجسام شفافة بسيطة . وما يقوله محمد توفيق صدقي تبعا لعلماء الفلك في هذا العصر اقرب الى اعتقادهم فانهم يقولون انها مؤلفة من العناصر التي توجد في ارضنا ومنها الحديد والنحاس الخ

« رؤيا الانبياء وحي »

اما رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكونها من الوحي فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة . واول ابواب صحيح البخاري (باب كيف بدىء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفيه حديث عائشة « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه

وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » الحديث

ومن هذا الباب رؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام . ومنه الاحاديث الصحيحة في رؤيا المؤمن والمسلم والصالح كحديث أنس وعبادة وابي هريرة مرفوعا « رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة » رواه أحمد والشيخان وغيرهما . وحديث أبي سعيد عند البخاري وعبد الله ابن عمر وابي هريرة عند مسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة » ويقابل الرؤيا الصالحة الاحلام وما يرى الانسان في النوم مما يحدث به نفسه عادة وهذا التقسيم ورد في الحديث الصحيح

وجملة القول ان مسألة المعراج فيها الخلاف الذي عرفت فالذي يتتبع النصوص يرجح ما يراه أقوى واقرب الى الجمع بين المعقول والمنقول ومن لا نظر له في ذلك يقلد من يثق به او يطمئن قلبه لقول الاكثرين وهو ان ذلك كان يقظة بالروح والجسد . والعبرة في المسائل الاعتقادية بما يطمئن اليه القلب . ولا ينبغي لمثل السائل من طلاب العلم ان يكون اطمئنانه الا بعد بحثه ونظره

وليعلم اننا ننشر من الرسائل العلمية (كرسالة الطبيب محمد توفيق صدقي) ما يوافق رأينا وما يخالفه ولا نحكم رأينا في كل مسألة في تلك الرسائل الا عند الحاجة. وقد كان الطبيب المذكور ذاكرنا في موضوع رسالة (علم الفلك والقرآن) قبل كتابتها ثم ذكر فيها ما وافق رأينا وما خالفه بحسب ما ظهر له حتى اننا بعد طبعها في المنار ذكرنا له خطأه في تفسير قوله تعالى « ومن الارض مثلهن » فلما ظهر له ذلك أذعن له كعادته وكتب ذلك الاستدراك الذي نشرناه له في اواخر الجزء

﴿ انكار صحة حديث المعراج ﴾

(س ٤٧) من صاحب الامضاء فى صولو (جاوه)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله القائم بحقوق الله وعلى آله وصحبه وناصريه وحزبه. حضرة سيدي المحترم الاستاذ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاغر ! بعد اهدائكم اوفر التحية والاكرام اقدم الى حضرتكم سؤالا ارجو الافادة عليه بالجواب الشافي كما ان عادتكم شفاء الغليل وان يكون في اول عدد يصدر

من المنار اذا لم يكن هناك مانع وان لا تحيلونا على الاجزاء والمجلدات المتقدمة لكون في ذلك صعوبة تفتيش او لكون بعض المجلدات لا يوجد عندنا

(السؤال) طالعت في الجزء الخامس من السنة الثانية من الهداية لصاحبها الشيخ عبد العزيز جاويش فعثرت على سؤال وجواب في قصة الاسراء والمعراج بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي الجواب ما يشعر ان الاسراء روحي اي رؤيا منامية واستدل بحديث عائشة ومعاوية وان احاديث المعراج موضوعة بدليل ما فيها مما جرى له صلى الله عليه وسلم من مراجعة ربه عز وجل وتردده بينه وبين نبي الله موسى وغير ذلك مما رواه الشيخان في صحيحيهما وان ذلك من الاباطيل والالاعيب والاكاذيب والاقاويل المنتحلة التي يجب ان ينزه الله ورسوله عنها . فهل صاحب الهداية مصيب في جوابه ام مخطئ؟ وهل اذا كانت رؤيا منامية ان يستعظم امرها وتستحيلها العقول فقد بلغنا انه صلى الله عليه وسلم لما حدث بالاسراء والمعراج افتتن كثير ممن اسلم ومنهم من ارتد وازداد المكذبون تكذيبا

سالم بن احمد باوزير

(ج) اما قول الشيخ جاويش ان الاسراء روحي فهو شيء سبقه اليه غيره . واما قوله ان احاديث المعراج موضوعة فهو حكم بمحض الرأي لم يبن على قاعدة من قواعد الجرح والتعديل فالحديث متفق عليه بين المحدثين لا خلاف في صحته وانما وقع الخلاف في سياقه ومعناه . وقد علمتم الفرق بين القول بأن ذلك كان في الرؤيا وان ذلك كان روحيا مما نقلناه عن المحقق ابن القيم . واذا كانت الرؤيا لا تقتضي الافتتان والارتداد الذي نقل فعروج الروح الى السماء مع بقاء تعلقها بالجسد في الارض لا يبعد أن يكون من اسباب افتتان الضعفاء وتقول السخفاء ، والله سبحانه يقول (١٧: ٦٠ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) فكيف مع هذا يقول قائل ان الرؤيا لا تكون فتنة

***

﴿ اسئلة من فوندق فادغ « جاوه » ﴾

(س ٤٨ ـ ٥٣) من صاحب الامضاء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

سيدي الاستاذ الفاضل العلامة السيد محمد رشيد رضا دام فضله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فالمرجو من اسداء مراحمكم الينا والى البلد الذي

عم فيه الجهل وامتد فيه الكسل ان تفتذوا أهلها من غيابة الجهل وان ترحمونا بتقطيع حبل الجراءة والملل بحرير هذه الاسئلة وكشف نقاب الجواب عنه كي لايجهل . ثم ان رأيتم ادراجها في صحيفة المنار الافخم فلكم الفضل والاحسان والا فرأيكم الاعلى أو تفضلوا بجواب على سبيل المراسلة والمخابرة بواسطة البوستة. (ألا وهي)

(١) هل كلفنا الشارع بلباس معين بحيث يعد مرتكب غيره من انواع الملابس خارجاً عن الدين كما افتى به أكثر علماء بلدنا ومع ذلك انهم لم يبينوا ضابط مايجب منه ومايحرم وحجتهم فيه حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » فهل هذا الحديث من جملة الاحاديث التي يصح الاستدلال بها أم لا وايضا فما هي حقيقة التشبه ؟

(٢) هل يختل ايمان أحد من المؤمنين بمحض لبس البرنيطة المعروف على مقدم قلنسوة الافرنجي وبلبس وصل الخرقة المربوطة في الحلقة فوق الثياب كما هو لباس الافرنجي والتركي أيضاً . وبالاول يقول أكثر علماء بلدنا وحجتهم فيه ان البرنيطة والخرقة المسماة بالزنار من خصوصية لباس الافرنجي وقد نهى الشرع عن لباس ذلك الزنار .

(٣ - ٤) هل لنا قول من أقوال العلماء أو مذهب من مذاهب أهل السنة والجماعة يجوز تعليق صور الحيوان على نحو الجدار أو الاستار المرتفعة أم لا . وهل الكسب الحاصل على يد المحترف بالآلة المعروفة المسماة بالفوتغراف حرام أم حلال ؟

(٥) هل يحرم سماع آلة الملاهي مطلقاً أم يجوز مطلقاً ؟ أم لذلك تفاصيل .

(٦) ان الاصوليين قد قالوا ان الاحكام تدور مع علتها وجوداً وعدماً - فبناء على ذلك فان في الاحياء ذكروا لتحريم نحو المزامير ثلاثة علل احداها انها تدعو الى شرب الخمر . الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجلس الانس بالشرب . الثالثة ان الاجتماع عليها لما ان صار عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم. فاذا انتفت تلك العلل كيف الحال وقتئذ - فياسيدي حرروا لنا مافي السؤال فانها قد أوقعتنا في الاشكال والجدل ولكم منا كثير الشكر ومن الله المتعال جزيل النوال

الراجي من ألطافكم
حاج عبدالله احمد
فوندق فادغ

« اللباس في الاسلام »

أما الجواب عن الاول والثاني - وهما بمعنى واحد - فهو أن الاسلام لم يكلف

الناس ان يلبسوا لباساً معيناً بكيفية مخصوصة الا في الاحرام بالحج أو العمرة ومن مقاصدهما ان يكون الانسان فيهما بعيدا عن الترف والعادات المألوفة بارزا في زي الانسان الاول في البساطة والسذاجة البدوية على ان من لايلبس لباس الاحرام لايعد خارجا من الاسلام وانما يعد مخالفا لواجب من واجبات الاحرام التي يكون مساويا بها لسائر القائمين معه بتلك العبادة ويجب عليه فدية تكون كفارة لهذا التقصير . ولم يقل أحد من علماء السلف ولا الخلف ان الشارع كلف المسلمين زيا مخصوصا في غير الاحرام وقد ثبت في حديث البخاري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية من لباس الروم وفي صحيح مسلم انه (ص) لباس الطيالسة الكسروية من ملابس المجوس . وقد فصلنا القول في هذه المسألة في المجلد السادس وعدنا اليها في غيره لكثرة السؤال عنها. (راجع ص ٦١ و ١١٣ من مجلد السنة الماضية) وما كنت أظن ان من يوصفون أو يسمون بالعلماء في بلد السائل يجرءون على تكفير من يخالفهم في لبسهم كالزي الافرنجي الذي يلبسه الملايين من الترك والتتار والعرب المصريين والسوريين وغيرهم. ان أمثال هؤلاء الذين سماهم جهلاء قومهم علماء قد جعلوا الاسلام والمسلمين سخرية بأمثال هذه الفتاوى والاقوال التي جعلوا بها بعض العادات هي جوهر الدين وهم يرون عقائد الاسلام واخلاقه وآدابه ومقاصده العالية تنتقض عروة عروة فلاينكرون من ذلك شيئا حتى انهم وضعوا نواقيس النصارى في مساجدهم وجعلوا ذلك موضع خلاف ، وما حرموا على المسلمين الا مايرتفع به شأن الامم من العلوم والفنون والاعمال ، وبعض العادات التي تقتضيها طبيعة بعض البلاد ثم انهم يتبرءون من الاجتهاد بمعنى الاهتداء بالكتاب والسنة تارة ويستدلون بالحديث على مالا يدل عليه كحديث السؤال « من تشبه بقوم فهو منهم » وقد بينا في ص ٦١ من مجلد السنة الماضية ما قيل في ضعفه وتصحيحه ومعناه وكونه لا يدل على ما ذكروه

« اتخاذ الصور وتعليقها على الجدر »

سبق لنا ذكر هذه المسألة في المنار غير مرة منها جواب سؤال من الاسكندرية نشر في ص ١٤٠ من المجلد الخامس وهذا نص الجواب فيه :

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصور فقيل انه محرم مطلقا ، وقيل ان المحرم منها ماله ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذه ، وقيل ان المحرم هو مااتخذ بهيئة التعظيم وهذا أقوى الاقوال عندي لوجهين احدهما حديث عائشة عند احمد

والبخاري ومسلم وهو انها نصبت سترا وفيه تصاوير فدخل رسول الله (ص) ونزعه . قالت فقطعته وسادتين فكان يرتفق عليهما . وفي لفظ لاحمد « فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكئا على احداهما وفيها صورة » المرفقة المتكأ والمخدة . ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها لازالها من المرفقة . وانما هتك الستر لانه كان منصوبا كالصورة المعبودة فهو يذكر بها وفيه تشبه بعابديها . ثانيهما العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور المعظمة وهي محاكاة عباد الاصنام لاما قالوه من ان فيها محاكاة خلق الله فان هذه العلة تقتضي تحريم تصوير الشجر والجماد وقد نقل بعضهم الاجماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المعلول والله أعلم اه

وبينا في فتوى أخرى انه لمثل هذه العلة نهى النبي (ص) عن زيارة القبور في أول الاسلام ثم رخص فيها بشرط ان تكون للعبرة وتذكر الآخرة لان ذلك المعنى التعبدي الوثني كان قد زال فاذا قلت ان الحكم يدور مع علته وجوداً وعدما وعلمت أن أهل هذا الزمان لا يتخذون الصور للعبادة ولا تذكرهم رؤيتها بعبادتها ولا عابديها الا مايكون في معابد الوثنيين وبعض طوائف النصارى وفي بعض بيوتهم من صور المسيح وأمه عليهما السلام وبعض حواريه رضي الله عنهم — اذا قلت هذا القول وعلمت هذا العلم وظهر لك ان الذريعة التي أراد النبي (ص) سدها بنزع ذلك الستر كان لك أن تقول انه لا يظهر لتعليق صور من لا يعظم تعظيماً دينياً وجه للحظر

ومن الفقهاء من بحث في اتخاذ الصور من وجوه أخرى كتحقيق معنى الصورة وهي صورة الحيوان الكامل الخلقة فقالوا ان الصورة اذا كانت غير تامة لا يمتنع اتخاذها بالتعليق ولا بغير التعليق وعبر بعضهم بالمنع من الصورة التي يعيش مثلها وجعلها هي الممنوعة دون التي لا يعيش مثلها وكنت اري بعض المشايخ المتورعين اذا أتي بورقة فيها صورة وكانت من الاوراق التي يحتاج الى استعمالها كما تراه كثيرا في الاوراق وغير الأوراق من متاع أوربة يأخذ الموسى بيده فيحز في الورقة رأس الصورة حزا ويقول الآن لا يعيش مثلها . وكنت ولا أزال أتعجب من هذا العمل

وذهب بعضهم في بيان حضر تصوير الحيوان الى ان علته مضاهاة خلق الله تعالى وقصد ذلك بدليل ما ورد في الحديث الصحيح دالا على ذلك وهذا لا يأتي في متخذ الصورة بل في المصور

قال القسطلاني في شرحه للبخاري بعد كلام في ذلك والحاصل كراهة صورة حيوان منقوشة على سقف جدار اووسادة منصوبة او ستر معلق او ثوب ملبوس .

وانه يجوز ما على الأرض او بساط بداس او مخدة يتكأ عليها ومقطوع الرأس وصورة شجرة . والفرق ان مايوطأ ويطرح مهان مبتذل والمنصوب مرتفع يشبه الاصنام اه

وهذا هو التعليل الصحيح كما قدمنا وقد زالت العلة الآن ولا سيما فيما يتخذ من الصور لأجل العلم كالطب والتشريح والتاريخ الطبيعي او لمصالح الدول والحكومات كصور جواسيس الحرب والمجرمين او تحقيق الشخصية لمصالح كثيرة

(الكسب بآلة الفونغراف)

واما الجواب عن الرابع فهو انه لا يظهر لنا وجه لتحريم كسب صاحب آلة الفونغراف والأصل في الاشياء الحل

(سماع آلات الملاهي)

واما الجواب عن الخامس فقد فصلنا القول فيه تفصيلا في أول المجلد التاسع من المنار في جواب (الاسئلة الجاوية) وهي خمسة اسئلة تتعلق بالسماع فذكرنا في جوابها احاديث الحظر التي يستدل بها المحرمون مع تخريجها وأدلة الاباحة مع تخريجها وخلاف العلماء في الغناء والمعازف (آلات الطرب) وادلتهم . ثم بحثنا في السماع من جهة القياس الفقهي ومن جهات أخرى وكان حاصل الجواب (١) انه لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء وآلات اللهو يحتج به (٢) وورد في الصحيح ان النبي (ص) وكبار اصحابه سمعوا اصوات الجواري والدفوف بلا نكير (٣) الاصل في الاشياء الاباحة (٤) وورد نص القرآن باحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الائمة الاربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين او العقل او النفس او المال او العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم او يظن ان السماع يغريه بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها او محرما

فاذا اكتفى السائل بهذا الاجمال فيها والا فليرجع الى التفصيل في المجلد التاسع من ص ٣٥ الى ٥١ ومن ١٤١ الى ١٤٧

وبما تقدم يستغنى عن جواب السؤال السادس واذا راجع التفصيل الذى اشرنا اليه في مسألة السماع يجد فيها ما يشفي في مسأله تعليل الغزالي لتحريم نحو المزامير والله اعلم

كلمات علمية عربية

(اسوقها الى المترجمين والمعربين (*))

٢

السجيل Pumice_stone نوع من الحجر الخفيف الذي يمتص الرطوبة ويعرف بالانكليزية بالاسم المذكور هنا وأصله من مواد طينية (أرضية) متحجرة تقذفها البراكين من جوفها ومن هذه الحجارة تكونت بعض الاراضي والجزائر كجزيرة ليباري (Lipari) وهي التي ألقيت على قوم لوط قال تعالى (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) وكانت إذ ذاك ملتهبة ولما ألقيت على أصحاب الفيل كانت باردة ولكنها ملوثة بميكروب الجدرى والظاهر أن الطير التي حملتها كانت تريد بناء أوكارها منها في الجبال أو غيرها فأخذتها من أمكنة كثر إلقاء جثث الموتى المجدرى فيها لانتشار أوبئة هذا المرض في الازمنة القديمة انتشارا مريعا خصوصا في زمن حادثة الفيل فانه كان منتشرا في البلاد المجاورة للبلاد العربية ولكنه كان غير معروف فيها قبل هذا التاريخ . ولما كانت السوائل المنتنة المعدية تسيل عادة من هذه الجثث امتصتها هذه الحجارة التي يكثر وجودها في الجهات البركانية حتى تشبعت منها فأخذتها هذه الطيور بعد نبش الارض أو وجدتها من غير نبش (وربما كانت هذه الطيور جارحة) فسقط منها بعض هذه الاحجار على أصحاب الفيل فانتشر فيهم الجدري حتى أهلكهم وكان على مايقال ذلك أول وباء من هذا النوع عرف في بلادهم . وليعلم القارىء أن جثث الموتى بالجدري تبقى معدية مدة طويلة

(*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي ــ تابع لما سبق

بخلاف غيره من بعض الامراض فالظاهر أن ميكروبه (الذي لانعرفه للآن) يعيش فيها بعد التعفن مدة ولا يموت بسرعة كغيره من الميكروبات المرضية الاخرى التي تقتلها بافرازاتها ميكروبات التعفن بسهولة . قال الله تعالى « وأرسل عليهم طيرا أبابيل (جماعات) ترميهم بحجارة من سجيل »

استطراد لابأس به بمناسبة ذكر البراكين هنا ــ اعلم أنه كثيرا مايحدث من الثورات البركانية أن تنخسف بعض البلاد أو ترتفع بعض الاراضي حتى تصير كالجبال وهذا أمر مشاهد حتى في زمننا هذا . فاذا سلم أن سد ذي القرنين المذكور في القرآن الشريف غير موجود الآن فربما كان ذلك ناشئا من ثورة بركانية خسفت به وأزالت آثاره ولا يوجد في القرآن مايدل على بقائه إلى يوم القيامة . أما قوله تعالى على لسان ذي القرنين (هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) فمعناه أن هذا السد رحمة من الله بالامم القريبة منه لمنع غارات يأجوج ومأجوج عنهم ولكن يجب عليهم أن يفهموا أنه مع متانته وصلابته لايمكن أن يقاوم مشيئة الله القوي القدير فان بقاءه إنما هو بفضل الله ولكن اذا قامت القيامة وأراد الله فناء هذا العالم فلا هذا السد ولا غيره من الجبال الراسيات يمكنها أن تقف عثرة لحظة واحدة أمام قدرة الله بل يدكها جمعاء دكا في لمح البصر . فمراد ذي القرنين بهذا القول تنبيه تلك الامم على عدم الاغترار بمناعة هذا السد والاعجاب والغرور بقوتهم فانها لاشيء يذكر بجانب قوة الله . فلا يصح أن يستنتج من ذلك أن هذا السد يبقى إلى يوم القيامة بل صريحه أنه إذا قامت القيامة في أي وقت كان وكان هذا السد موجودا دكه الله دكا وأما إذا تأخرت فيجوز أن يدك قبلها بأسباب أخرى كالزلازل اذا قدم عهده وكالثورات البركانية كما قلنا وليس في الآية ماينافي ذلك

وأما قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج فالمراد منه خروجهم بكثرة وانتشارهم في الارض كما يخرج الشيء المحبوس أو المضغوط إذا انفجر . واستعمال لفظ الفتح مجازا شائع في اللغة ومنه قولك (فتحوا البلاد) وقوله تعالى (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) و(لا تفتح لهم أبواب

السماء) فلا الاشياء لها أبواب ولا السماء وكذلك يأجوج ومأجوج لا باب لهم بل هم من كل حدب ينسلون والغالب أن المراد بخروجهم هذا خروج المغول (التتار) وهم من نسل يأجوج ومأجوج وهو الغزو الذي حصل منهم للامم في القرن السابع الهجري وناهيك بما فعلوه إذ ذاك في الارض بعد ان انتشروا فيها من لافساد والنهب والقتل والسبي وقد ذكرنا ذلك في مقالات (القرآن والعلم) في المجلد الحادي عشر من المنار

أما ذو القرنين فالغالب أنه أحد ملوك اليمن الملقبين (بالاذواء) كذي يزن وغيره وهم المعروفون للعرب وقد كان لاهل اليمن مدنية عالية وحضارة كبيرة وقوة جسيمة كانت مجهولة للامم و بدأ الباحثون الآن يقفون على شيء من آثارهم حتى في غير بلادهم

والراجح ان السد كان موجودا باقليم داغستان التابع الان لروسيا بين مدينتي دربند وخوزار Derbend & Khuzar فانه يوجد بينهما مضيق شهير منذ القدم يسمى عند كثير من الامم القديمة والحديثة (بالسد) وبه موضع يسمى (باب الحديد) وهو أثر سد حديدي قديم بين جبلين من جبال القوقاز الشهيرة عند العرب (بجبل قاف) وقد كانوا يقولون ان فيه السد كغيرهم من الامم ويظنون أنه في نهاية الارض وذلك بحسب ما عرفوه منها (راجع دائرة المعارف الانكليزية فيما يتعلق بكلمة (دربند) . ومن وراء هذا الجبل كان يوجد قبيلتان قديمتان تسمى إحداهما (آقوق) والثانية (ماقوق) فعربهما العرب (بيأجوج ومأجوج) وهما معروفان عند كثير من الامم واسمها بالانكليزية Gog & Magog وقد ورد ذكرهما أيضا في كتب أهل الكتاب . ومنهما تناسل كثير من أمم الشمال والشرق في الروسيا وآسيا . راجع تتمة هذا المبحث في (مقالات القرآن والعلم) . وقد اقتبسنا بعض ماذكر عن أستاذ المنار في بعض فتاويه ولنرجع إلى ما كنا فيه :

الحرّيف الحاد يلذع طعمه اللسان كالبصل والفلفل

الرائب من اللبن معروف

ثع الماء من الجرح نضح

النعرة Mole الجنين الكاذب

الجنطيانا Gentian نبات خلاصته

نافعة للمعدة

«ام الصبيان » هي تشنجهم Infantile Convulsion

الفرزجة Pessary آلة توضع في المهبل لتعديل الرحم او منع سقوطه

المنفخة Insufflator آلة لنفخ الدواء في في الجروح وغيرها

تحنّك دهن باطن الفم بالدواء

السُّلاق Blepharitis التهاب الجفون

الارتكاض حركة الجنين في الرحم

الصفر خليط من النحاس والقصدير Bronz

الشَّبه خليط من النحاس والخارصين Brass

الدُّوغ اللبن بعد أخذ زبده Caseinogen

التصلب الشرياني جمود الشرايين Sclerosis of Ariteries

الدم البحراني هو الشرياني

بقر البطن فتحه (شقه)

الزكام Coryza

الطبي ثدي ذات الخف والظلف

الجبيرة للكسر معروفة Splint

الصماخ فتحة الاذن Meatus

الصهبة احمرار الشعر

الصنان رائحة العرق الكريهة

الصمام للقلب Valve غشاء يسد فتحاته

الغراء Glue معروف

رَسَب Precipitated

الغلصمة اللهاة. لحمة في الحلق معروفة Uvula

الاغن مؤنثه الغناء لمن يتكلم بأنفه

الزَّغب . الريش الصغير

أفرخ الطائر وفرّخ

الرُّوبة خميرة اللبن

المُزأبق Amalgam كل خليط من الزئبق مع معدن آخر

زات بزيت دهن بالزيت

أبَّر : لقح Fecundation

الابور مايؤبر به Pollen Powder

السأسم - الابنوس

أثاث البيت . متاعه Furnitures

مؤخر الرأس Occiput

الادرة انتفاخ الخصية لالتهاب فيها

الاراك شجر المسواك

الميزاب والمزراب بمعنى

الصابون Soap

اليافوخ Fontanel مالان في رؤس الاطفال

المصل serum الماء الذي يبقى بعد تجمد الدم اذا وضع في وعاء

الآنك الرصاص الخالص

البثرة Pustule

سطح الماء تبخر وسطعت الرائحة طارت وارتفعت
والساطع هو الغاز والهواء Gas
بَزل : ثقب المبزل المثقب
البراجم رؤوس السلاميات والرواجم ظهورها وبطونها
البَردة التخمة
البرُود هو الشثم
بزغ وشرط وحجم بمعنى
الباسور Pile زائدة في الشرج من انتفاخ الاوردة
المِبضع مشرط صغير
البطح البسط Supination
بط Puncture ثقب
بظر المرأة معروف Clitoris
البلاط للارض Floor معروف
البلعوم المريء Oesophagus
البنج Hyoscyamus
الترياق Antidote مايبطل ضرر السم للجسم
تهيم Putrefy فسد
الجدري Small Pox داء مشهور
لفِطة Vesicle نُفاخة صغيرة ممتلئة ماء
الانبوب tube القصبة الجوفاء

ذونبرات Dentated ماله أسنان
جمد Solidify
العروق Vessels
حَفر الاسنان داء بها Caries
حَف رأسه نتفه
الحقب احتباس البول Retention
النُوّارة Flower الزهرة
قدم رَحّاء Flat-foot ليس بها خمص Not arched
الخَمَص ارتفاع باطن القدم
النَغف Larvae حينما تكون الحشرات كالدود بعد خروجها من البيض قبل تمام نموها
الصُعقر البطارخ وهو بيض السمك
البُوال Diabetes الديابيطس أي كثرة التبول وهو إما مائي أو سكري
استمنى Masturbate أنزل منيه بيده
حيوانات قشرية أو صدفية Mollusca
الجبن الحالوم معروف
الفُطر Fungus الطلحب
كَزّ يكُز تشنج
الكُزاز Tetanus مرض يحدث تشنجا وينشأ من ميكروب يوجد في الطين
البُؤرة focus تستعمل في الطب بمعنى المركز

أو المجمع كتجمع الاشعة أي مكان اجتماعها في نقطة واحدة
الجزيرة Beeftea نوع من المرق
البؤبؤ Pupil إنسان العين
الجيدار Ergot دواء يمنع النزف
الذراريح Cantharidis الذباب الهندي
الشيكران Conium حب سام يشبه الكرويا
المغناطيس Magnet مايجذب الحديد
الكبابة Cubebs حب معروف
الكثيراء Tragacanth نوع من الصمغ
المغنيسا Magnesia اكسيد العنصر المسمى مغنيسيوم
النَعنع النعناع Mint
السعتر أو الصعتر Thyme
خلاصة الشيح Santonin
خلاصة الصفصاف Salici
الحماق أو الجاورس الجدري الكاذب Chicken Pox
داء التنفط أو النملة Herpes مرض جلدي يحدث بثور اصفارا
البُرة البثرة الخبيثة أو الجمرة Anthrax
التقرح Ulcerate التآكل
الصفار (بالضم) Anœmia
اليرقان Jaundice احتباس الصفراء

في الجسم
السعفة والقوباء Eczema
سَوس تسويسا كثر سوسه
نواع حمى النافض Malaria
(١) حمى الثاني Quotidian أو الورد
(٢) حمى الغب Tertian
(٣) حمى الرِبع Quartan
السكتة Apoplexy
الجذام Leprosy
البهق Tinea مرض جلدي
العِرق المديني Filaria Medinensis دودة تسكن في جلد الانسان
شحم الحنظل Pulp
البواب Pylorus فتحة المعدة الى الامعاء
الميل للجرح Director آلة للجس
الفؤاد Cardiac end of stomach وهو في الاصطلاح طرف المعدة من جهة القلب
الاثني عشري Duodenum
الصائم Jejunum
اللفائفي Ileum
(أقسام الامعاء الصغيرة)
الاعور Cœcum أول الامعاء الكبيرة
القولون Colon الامعاء الغلاظ الكبيرة
المستقيم Rectum آخر الامعاء الكبيرة

البطون Ventricles التجاويف كتجاويف المخ

الشريانات الشرايين Arteries

الباب Portal vein اسم وريد مشهور

الاجوف Cava اسم وريد عظيم معروف

الاضراس Molars

الاربطة Ligaments للمفاصل معروفة

العضل Muscle اللحم الاحمر

الوريد Vein العرق الذي يجري فيه الدم الاسود

العَصب Nerve حبل أبيض في الجسم يحصل به الحس أو الحركة

الخاف Sublingual vein الوريد الذي تحت اللسان

السلامى Phalanx أحد عظام الاصبع

اليبَس Ankylosis عدم تحرك المفاصل

النواضح الرواشح Filters

النطع Palate سقف الفم

الاستحاضة Menorrhagia زيادة فاحشة في دم الحيض

الدماميل Boil الدمامل

تمتم في كلامه To slurr

قائمة الزهرة وهي مافوق المبيض Style

البُرعم Bud زهرة النبات قبل أن تنفتح

الكِم والكمامة Calyx وعاء الطلع

الخرز Beads معروف

الإحليل Urethra مجرى البول

الحالب Ureter ماينقل البول من الكلية الى المثانة

النوشادر أو النشادر Ammonia

الخرق Incomplete Hernie الفتق غير الكامل

العصابة مايربط به الفتق Truss

الشبق شدة الغلمة أي شهوة الجماع

النمش Lentigo نقط بالجلد خلقية

داء الضفدع Ranula ورم كيسي تحت اللسان

اللقوة شلل عصب الوجه

تغرغر بالغرغرة Gargle

نتوء الرحم Prolapsed Uterus الرحم البارد

مدر البول Diuretic

أسهل البطن أطلقه

أمسك البطن قبضه

الداحس Whitlow إلتهاب الاصبع

الكِماد والكمُد Fommentations

(البقية تأتي)

قانون (*)

﴿ الجامع الازهر والمعاهد الدينية الاسلامية ﴾

﴿ الباب الثامن ﴾

في الميزانية والكتب ومراقبة الاوقاف والكساوى

(الفصل الاول)

في الميزانية

« المادة الرابعة عشرة بعد المائة »

تكون ميزانية الجامع الازهر والمعاهد الاخرى مستقلة ومنقسمة الى قسمين الاول للابرادات ويكون شاملا لبيانها بالتفصيل والثاني لبيان المصروفات نوعا نوعا ويعرضها شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الأعلى على الحضرة الفخيمة الخديوية للتصديق عليها

« المادة الخامسة عشرة بعد المائة »

لايجوز استعمال مبلغ مخصص لأمر معين في الميزانية لغير ماوضع له الا بقرار من مجلس الازهر الأعلى وبشرط أن لايحصل طلب ذلك قبل حلول الشهر الخامس من السنة الدراسية

« المادة السادسة عشرة بعد المائة »

يبطل توزيع بدل الكساوى بالطريقة التي كانت متبعة قبل صدور هذا القانون ويضم المبلغ الى الميزانية

وكذلك يضم الى الميزانية كل مبلغ يخل عن أولاد العلماء وكل مبلغ يخل من ثمن الغلال القابل للانحلال

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن (ص ٦٠١)

« المادة السابعة عشرة بعد المائة »

لايجوز الجمع بين راتبين مقررين في الميزانية ماعدا مرتب شيخ الجامع الازهر بصفته أيضا من كبار العلماء

« المادة الثامنة عشرة بعد المائة »

يضع مجلس الازهر الأعلى لائحة لتقاعد الموظفين والمدرسين بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى ويخصص في الميزانية المبلغ اللازم لذلك

وكذلك يخصص فيها مبلغ لأولاد العلماء

ويضع لائحة شاملة لبيان القواعد التي يجب مراعاتها في كيفية صرف المرتبات وبقية المصروفات المقررة في الميزانية وبيان الجهة التي تكون فيها النقود وبيان أوامر الصرف واستماراته وغير ذلك من القواعد المختصة بتنفيذ الميزانية وضبط حساباتها طبقا لما هو مدون بالمواد السابقة

(الفصل الثاني)

في الكتب وفي لجنة الكتب

« المادة التاسعة عشرة بعد المائة »

لايتقيد طلب العلم في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى بكتب مخصوصة ولكن يجب التصديق على مايدرس منها من مجلس الازهر الأعلى

ويجب أن لايدرس في أي معهد كتاب لم يكن مقرا على تدريسه في المعاهد الاخرى وأن تكون كتب الدراسة واحدة في جميع المعاهد

« المادة العشرون بعد المائة »

تمنع قراءة التقارير بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى منعا باتا ولا يجوز قراءة الحواشي الا في القسمين الثانوي والعالى بعد اقرار المجلس الأعلى

« المادة الحادية والعشرون بعد المائة »

يؤلف مجلس الازهر الاعلى لجنة من أربعة من أعضائه برياسة شيخ الجامع الازهر لفحص الكتب التي يقدمها مؤلفوها وتقرير ماتستحقه من المكافأة

ويضم اليها شيخا معهدي الاسكندرية وطنطا واثنان يختاران من كبار علماء الفن المؤلف فيه الكتاب ان كان موضوعه علما من العلوم المختصة بهاهيئة كبار العلماء فان كان موضوع الكتاب علما من العلوم الحديثة ضم اليها اثنان كذلك من الاختصاصيين في هذا العلم

« المادة الثانية والعشرون بعد المائة »

يخصص مبلغ سنوي لايقل عن خمسمائة جنيه لايجاد جوائز لايقل مبلغ الواحدة منها عن عشرة جنيهات ولا يزيد عن مائة تعطى لمن يؤلفون كتبا في العلوم التي تدرس بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى يتقرر نفعها طبقا لما هو مدون في المواد الاتية

« المادة الثالثة والعشرون بعد المائة »

على لجنة مكافآت الكتب أن تلاحظ في تقرير نفعها ماياْتي :

أولا — أن لايكون الكتاب مخالفا للعقائد الدينية وأن تكون عبارته علمية خالية من التعقيد

ثانيا — أن يكون ترتيبه وتبويبه مطابقا لمقتضى قواعد التعليم من دون تشويش ولا اضطراب

ثالثا — أن لاتقرر مكافأة على كتاب ترى فائدة من تدريسه اذا كان مخالفا في ترتيبه وتبويبه بوجه عام للكتب التي سبق تقرير مكافأة عليها وتقرر تدريسها

« المادة الرابعة والعشرون بعد المائة »

تفضل كتب فقه المذهب الواحد اذا اتفقت مع كتب المذاهب الأخرى في التبويب والترتيب دون غيرها مما سبق تقرير مكافأة عليه

« المادة الخامسة والعشرون بعد المائة »

يجوز تقرير مكافأة لمؤلفي كتب يتقرر نفعها للجامع الازهر والمعاهد الاخري بوجه عام ولو لم تخصص للتدريس

« المادة السادسة والعشرون بعد المائة »

للجنة أن تضع نموذج ترتيب الكتب التي ترى نفعا من تأليفها وتوضح مضامينها العامة وتنشرها للكافة لينسجوا على منوالها

وللمجلس الازهر الاعلى أن يكلف اللجنة بوضع نماذج الكتب التي يرى تأليفها والتشر عنها

(الفصل الثالث)

في مراقبة نظارة الاوقاف

« المادة السابعة والعشرون بعد المائة »

لمجالس الادارة مراقبة نظارة الاوقاف فيما هو مخصص من ريعها للجامع الازهر والمعاهد الاخرى

ولشيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى ولمجالس الادارة ومجلس الازهر الاعلى عند الاقتضاء أن يأمر بمقاضاتهم للحصول على حقوق الجامع الازهر والمعاهد الاخرى وذلك بدون اخلال بما لديوان الاوقاف العمومية من الحقوق والاختصاصات المقررة في اللوائح والقوانين

« المادة الثامنة والعشرون بعد المائة »

يؤلف مجلس الازهر الاعلى لجنة لفحص حجج الاوقاف التي للجامع الازهر والمعاهد الاخرى فيها مرتبات حالا أو مآلا من أي نوع كانت وحصرها في دفتر خاص والنظر في طريقة توحيد المرتبات

وكذلك تنظر بالاتفاق مع مدير عموم الاوقاف فيما يخص العلماء في الجامع الأحمدي وغيره من صناديق النذور وطريقة صرفه

« المادة التاسعة والعشرون بعد المائة »

تختص اللجنة المذكورة أيضا بالنظر في ابدال الجرايات بنقود ووضع القواعد التي يترتب بمقتضاها البدل النقدي لمن يستحقه من الطلبة والعلماء بشرط عدم مخالفة شروط الواقفين بحيث لا يحرم واحد من هذا البدل أن لو كان يستحق الجراية

« المادة الثلاثون بعد المائة »

يأخذ شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الأعلى رأي مجالس الادارة في نتيجة أعمال اللجنة قبل أن تقررها ثم يقدمها بعد الاقرار عليها الى مجلس الازهر الاعلى وما يتقرر منه في ذلك يعرض على الحضرة الفخيمة الخديوية للتصديق عليه بارادة سنية

« المادة الحادية والثلاثون بعد المائة »

متى تقرر ابدال الجراية بنقود يستمر صرف ما يترتب منها شهريا طول السنة

(الفصل الرابع)

في كساوى التشريف

« المادة الثانية والثلاثون بعد المائة »

يضع مجلس الازهر الأعلى الشروط اللازم توفرها في العلماء لنيل كساوى التشريف العلمية ويصدر بذلك ارادة سنية

« المادة الثالثة والثلاثون بعد المائة »

تمنح كساوى التشريف للعلماء غير الموظفين في المصالح الاميرية بارادة سنية بناء على طلب شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى بعد إقرار المجلس المذكور

وأما بالنسبة للموظفين في المصالح الأميرية فان تقرير استحقاقهم للكساوى المذكورة ومنحها لهم يكون بناء على طلب رؤساء الدواوين التابعين لها بعد أخذ رأي شيخ الجامع الازهر

« المادة الرابعة والثلاثون بعد المائة »

لا تمنح كسوة التشريف لغير العلماء الحائزين لشهادة العالمية ويستثنى من ذلك القضاة الشرعيون

« المادة الخامسة والثلاثون بعد المائة »

تقرير كساوي التشريف المظهرية ومنحها يكون بمحض ارادة الحضرة الفخيمة الخديوية بناء على طلب شيخ الجامع الازهر

(الباب التاسع)

أحكام عمومية

« المادة السادسة والثلاثون بعد المائة »

العالم هو من بيده شهادة العالمية

وكذا كل من ثبت له هذا اللقب قبل العمل بهذا القانون بالتطبيق لنصوص القوانين السابقة أو بالقدم

« المادة السابعة والثلاثون بعد المائة »

تبين أسماء العلماء المنوه عنهم في الفقرة الثانية من المادة السابقة في اللائحة الداخلية مع ايضاح القوانين التي حازوا هذا اللقب بناء على مادوّن فيها

« المادة الثامنة والثلاثون بعد المائة »

يجب أن تراعى شروط الواقفين في جميع ماتقرره مجالس الادارة ومجلس الازهر الاعلى

« المادة التاسعة والثلاثون بعد المائة »

يضع مجلس الازهر الاعلى لائحة لنظام ادارة المكاتب التحضيرية التابعة للجامع الازهر والمعاهد الاخرى والكتاتيب

وكذلك يضع اللائحة الداخلية العمومية للجامع الازهر والمعاهد الاخرى

« المادة الاربعون بعد المائة »

يضع مجلس ادارة الازهر النظامات الخصوصية لطلبة الاروقة والحارات وغيرهم ممن لهم نظامات أو قوانين خاصة بهم

ويجب على كل حال أن لاتخرج تلك النظامات الخصوصية كما تجب مراعاته في الجامع الازهر من النظام العام بمقتضى هذا القانون

« المادة الحادية والاربعون بعد المائة »

يقرر مجلس الازهر الاعلى ترتيب درجات المدرسين والموظفين وكيفية تعيينهم وترقيتهم وتصدر بذلك ارادة سنية

« المادة الثانية والاربعون بعد المائة »

تشتمل اللائحة الداخلية للجامع الازهر والمعاهد الاخرى على البيانات والقواعد اللازم مراعاتها في تنفيذ هذا القانون بما لايخالف نصا من نصوصه

« المادة الثالثة والاربعون بعد المائة »

على مشايخ أقسام الجامع الازهر ومشايخ المعاهد الاخرى أن يقدموا كل سنة لشيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى تقريرا بما وصل اليه ارتقاء التعليم المنوطة بهم ادارته ومتضمنا جميع ملاحظاتهم ومقترحاتهم المختصة بالنظام والتعليم والمدرسين وبقية الموظفين

ويرفع شيخ الجامع الازهر الى الحضرة الفخيمة الخديوية تقريرا عاما عن سير التعليم ودرجة ارتقائه في الجامع الازهر والمعاهد الاخرى

« المادة الرابعة والاربعون بعد المائة »

ينظر مجلس الازهر الاعلى في كل تعديل يراد ادخاله على هذا القانون قبل عرضه على مجلس النظار

الباب العاشر

في الاحكام الوقتية

(الفصل الاول)

في أحكام وقتية عامة

« المادة الخامسة والاربعون بعد المائة »

من بيده الآن شيء من المرتبات ولم ينل وظيفة من الوظائف بالجامع الازهر والمعاهد الاخرى بقي له مرتبه الى أن ينحل عنه

« المادة السادسة والاربعون بعد المائة »

المرتبات الشهرية أو السنوية التي كان أصلها من مرتبات الازهر وخرجت منه بأوامر سابقة على أن تبقى في أعقاب أربابها تعود للازهر متى مات واحد منهم بلا عقب

« المادة السابعة والاربعون بعد المائة »

تنظر مجالس الادارة في شؤون أولاد العلماء الذين يقبضون الآن مرتبات

عن آبائهم فمن ثبت لها منهم أنه مشتغل بالعلم حق الاشتغال أبقته على مرتبه الى أن يؤدى الامتحان طبقا لنصوص هذا القانون ومتى نال الشهادة ودخل في صف العلماء صار حكمه حكم حاملي الشهادات ويقطع مرتبه

ومن لم يكن مشتغلا أو لم يكن مواظبا وطلب منه الاشتغال أو المواظبة ولم يشتغل قطعت مرتباته

ويراعى في ذلك كله أقصى السن المقرر للدراسة

ويجب التصديق من مجلس الازهر الاعلى على ما تقرره مجالس الادارة فيما ذكر

(المادة الثامنة والاربعون بعد المائة)

اذا مات أحد من أولاد العلماء الذين لهم مرتبات عن والدهم وترك أولادا فلا حق لهم في شيء مما كان مرتبا لابيهم ولو كانوا مشتغلين بطلب العلم

(المادة التاسعة والاربعون بعد المائة)

يبطل تمييز مخصصات الازهر من حيث المرتبات الى مال حكومة ومال اوقاف ولا يكون هناك بعد الآن مرتب جديد لعالم يبقى كله أو بعضه لورثته الا مايتقرر بشأن ذلك في لائحة التقاعد المنصوص عليها في المادة الثامنة عشرة بعد المائة من هذا القانون

(المادة الخمسون بعد المائة)

العلماء الذين لا تسمح لهم وظائفهم أو أوقاتهم بالانقطاع للتدريس ويكون منوطا بهم تدريس بعض العلوم مجانا أو في مقابل مكافأة وقتية أو مستمرة يقرون على ما هم عليه بقدر الحاجة اليهم

ولا يعين أحد منذ الآن بهذه الكيفية الا للضرورة القصوى وبشرط رضاء المصلحة التى يكون موظفا فيها

« الفصل الثاني »

في أحكام وقتية خاصة

(المادة الحادية والخمسون بعد المائة)

استثناء من النصوص السابقة تطبق الاحكام الآتية على طلبة الجامع الازهر المنتسبين فيه وقت وجوب العمل بهذا القانون

(المادة الثانية والخمسون بعد المائة)

العلوم التي تدرس في الجامع الازهر للطلبة الموجودين به وقت وجوب العمل بهذا القانون ما عدا طالبي الانتساب في السنة الاولى الذين يقبلون بالتطبيق لنصوصه هي الآتية :

أولا ـ العلوم الدينية وهي الفقه وحكمة التشريع والتوثيقات الشرعية وأصول الفقه والتفسير والحديث ومصطلح الحديث والسيرة النبوية والاخلاق الدينية والتوحيد

ثانيا ـ علوم اللغة وهي النحو والوضع والصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض والقافية والخط والاملاء والانشاء

ثالثا ـ العلوم الرياضية وغيرها وهي المنطق وآداب البحث والحساب والجبر والجغرافيا والتاريخ ومبادىء الهندسة

يخصص مجلس ادارة الجامع الازهر لكل سنة العلوم التي تدرس فيها والمدرسين الذين يدرسونها ويضع جدولا بأوقات الدروس وعددها في كل يوم ويراعى في ذلك تخصيص أوسع الاوقات لتدريس العلوم الدينية وكذلك يرتب الطلبة في السنين باعتبار السنوات التي يكونون قضوها في طلب العلم الى وقت وجوب العمل بهذا القانون ويجوز له بناء على طلب يقدم من الطالب نفسه أن يضعه في سنة أدنى من السنة التي يجب وضعه فيها طبقا لهذه القاعدة

(المادة الرابعة والخمسون بعد المائة)

يعين مجلس الادارة من بين العلماء المدرسين بالجامع الأزهر من يكل اليهم تفقد سير التدريس وانتظام الطلبة وله أن يعفيهم من جميع الدروس المكلفين بها أو من بعضها

وذلك بدون اخلال بوسائل المراقبة الأخرى

(المادة الخامسة والخمسون بعد المائة)

على العلماء المعينين لمراقبة التدريس وانتظام سير الدروس أن يتعهدوا الطلبة

وقت تلقيهم اياها ويقدموا لمجلس الادارة في كل خمسة عشر يوما تقريرا بما يتبين لهم من حالة التدريس وانتظام الدروس في أوقاتها وقيام المدرسين والطلبة بما هو واجب عليهم

(المادة السادسة والخمسون بعد المائة)

على مجلس الادارة أن يتخذ جميع الوسائل المؤدية الى ما يراه نافعا للتدريس من الوسائل التي يشير بها المراقبون أو التي يستنبطها من تقاريرهم

(المادة السابعة والخمسون بعد المائة)

يخصص مبلغ في الميزانية لشراء ما يلزم من أدوات الدراسة والكتب لتصرف الى الطلبة الفقراء مجانا

ولا يعطى لواحد منهم من الكتب الا ما هو مقرر تدريسه بحسب السنين

(المادة الثامنة والخمسون بعد المائة)

تمتحن الطلبة في كل سنة بمعرفة أساتذتهم تحت ملاحظة المراقبين ومن يعينه مجلس الادارة لمساعدتهم في ذلك ويقدم كل مدرس كشفا بنتيجة امتحان طلبته لمشيخة الأزهر

(المادة التاسعة والخمسون بعد المائة)

يكون امتحان التلامذة السنوي في الكتب وفي المقادير المقرر تدريسها في السنة

(المادة الستون بعد المائة)

النهاية الكبرى لدرجات الامتحان السنوي عشرون والصغرى اثنا عشر

وكل طالب لم ينل النهاية الصغرى في كل علم من علوم السنة يعتبر ساقطا

(المادة الحادية والستون بعد المائة)

يترتب على سقوط الطالب في الامتحان السنوي عدم الترخيص له بحضور دروس السنة التالية

وعليه أن يؤدي الامتحان مرة ثانية في نهاية السنة الثانية فاذا لم ينجح أيضا محي اسمه من سجلات الأزهر

وان نجح جاز له تلقي دروس السنة التي تلي سنته

ولا يجوز أن يتكرر ذلك أكثر من ثلاث مرات لطلبة قسم شهادة الاهلية ولا أكثر من مرتين لطلبة قسم شهادة العالمية

(الفصل الثالث)

في امتحان الشهادات

« المادة الثانية والستون بعد المائة »

ينقسم امتحان الشهادات الى قسمين

القسم الاول يكون بعد مضي ثمان سنوات على الاقل واحدى عشرة سنة على الاكثر من وقت الانتساب بالجامع الازهر ويكون في الفقه والتوحيد والمعاني والبيان والبديع والنحو والصرف وشيء من التفسير والحديث والسيرة النبوية والحساب والخط والاملاء والانشاء

والثاني بعد مضي اثنتي عشرة سنة على الاقل وسبع عشرة سنة على الاكثر من التاريخ المذكور أيضا ويكون في جميع العلوم المبينة في المادة الثانية والخمسين بعد المائة

والامتحان واجب على كل طالب قضى في الازهر احدى المدتين المذكورتين مع مراعاة ماهو منصوص عليه في المادة السابقة والمادة الثالثة والخمسين بعد المائة

« المادة الثالثة والستون بعد المائة »

من نجح في الامتحان المنصوص عليه في الفقرة الاولى من المادة السابقة يعطى شهادة تسمى ـ شهادة الاهلية ـ وهي تؤهله لان يستمر في الدراسة الى أن ينال شهادة العالمية مع مراعاة ماهو مدون في المادتين الثانية والستين بعد المائة والسادسة والستين بعد المائة

وكذلك يكون أهلا للتعيين في الوظائف المنصوص عليها في المادة التاسعة والخمسين مع مراعاة نص المادة السادسة والستين بعد المائة

« المادة الرابعة والستون بعد المائة »

من نجح في الامتحان النهائي ينل شهادة العالمية وتؤهل الشهادة المذكورة لما هو منصوص عليه في المادة الستين مع مراعاة نص المادة السادسة والستين بعد المائة

« المادة الخامسة والستون بعد المائة »

اذا أقام طالب أقصى المدة المحددة لأي قسم من القسمين المذكورين في المادة الثانية والستين بعد المائة ولم يحصل على شهادة هذا القسم يمحى اسمه من السجلات وتقطع مرتباته التي كانت له بمقتضى كونه منتسبا

« المادة السادسة والستون بعد المائة »

طلبة الامتحان لنيل شهادة الاهلية والعالمية الذين أتموا دراسة السنة الرابعة عند وجوب العمل بهذا القانون يعافون من الامتحان في مواد الانشاء وآداب البحث وتقويم البلدان والتاريخ والهندسة والتوثيقات الشرعية الا اذا رغبوا الامتحان على مقتضى ما هو منصوص عليه في هذه الاحكام الوقتية

وأما الطلبة الذين انتهت مدة دراستهم بالجامع الازهر والجامع الاحمدى قبل وجوب العمل بهذا القانون فيعافون ايضا من الحساب والجبر

ومن ادى الامتحان على مقتضى هذه الاحكام الوقتية يفضل على غيره

« المادة السابعة والستون بعد المائة »

تلغى القوانين والأوامر والارادات السنية المبينة بالملحق المرفق بهذا القانون

« المادة الثامنة والستون بعد المائة »

على رئيس مجلس نظارنا تنفيذ هذا القانون ويتم العمل بجميع نصوصه في أول السنة الدراسية المتداخلة في سنتي ١٣٢٩ ـ ١٣٣٠ (١٩١١ ـ ١٩١٢) صدر بسراي رأس التين في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٢٩ (١٣ مايو سنة ١٩١١)

عباس حلمى

بأمر الحضرة الخديوية

رئيس مجلس النظار

محمد سعيد

* * *

﴿ ملحق بقانون الجامع الازهر ﴾

« والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية »

(النصوص الملغاة)

٢٣ ذي القعدة سنة ١٢٨٨ (٣ فبراير سنة ١٨٧٢) ارادة سنية بانفاذ قانون التدريس

٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٢ (٢٤ مارس سنة ١٨٨٥) قانون امتحان من يريد التدريس بالجامع الأزهر

٧ محرم سنة ١٣٠٣ (١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٥) قرار من مجلس النظار بضبط أعداد أهل الجامع الازهر والشروط المعتبرة في شأن التبعية وكيفية ما يجري في ذلك

٦ جمادى الأولى سنة ١٣٠٥ (٣ يناير سنة ١٨٨٧) امر عال شامل لقانون امتحان التدريس

٧ رجب سنة ١٣١٢ (٣ يناير سنة ١٨٩٥) ارادة سنية بتشكيل مجلس ادارة الأزهر

٢١ رجب سنة ١٣١٢ (١٧ يناير سنة ١٨٩٥) أمر كريم شامل لقانون امتحان من يريد التدريس بالجامع الأزهر

٦ محرم سنة ١٣١٣ (٢٩ يونيه سنة ١٨٩٥) قانون صرف المرتبات بالجامع الازهر

١٧ شعبان سنة١٢١٣(أول فبراير سنة١٨٩٦) قانون كساوى التشريف

٢٠ محرم سنة ١٣١٤ (أول يوليه سنة ١٨٩٦) قانون الجامع الازهر

٢ صفر سنة ١٣٢٦ (٥ مارس سنة ١٩٠٨) قانون الجامع الازهر وما شاكله من المدارس العلمية الدينية الاسلامية (قانون نمرة ١ سنة ١٩٠٨)

٢٢ محرم سنة ١٣٢٧ (٢٠ فبراير سنة ١٩٠٩) ارادةسنية بايقاف العمل مؤقتا في الازهر بالنظام الجديد والرجوع الى قوانين سنة ١٣١٢ وسنة ١٣٢٤

٤ شوال سنة ١٣٢٧ (١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٩) ارادة سنية بالموافقة على اعادة العمل بمقتضى قانون سنة ١٣٢٦ تدريجا

٢٣ رمضان سنة ١٣٢٨ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٠) ارادة سنية باعتماد نظام مؤقت للسير على موجبه بالجامع الازهر في السنة التي تبتدىء من ١١ شوال سنة ١٣٢٨ هجرية

الكوليرا (*)

١

كثر تحدث الناس هذه الايام بالكوليرا ولا غرابة في ذلك لانها من أشد الامراض فتكا بالبشر وقد صارت منا على قاب قوسين أو أدنى فرأيت ان اكتب شيئاً عنها معولا في ذلك على أحدث ما كتب في هذا الموضوع واقتصر على ذكر ما يهم معظم القراء معرفته من تاريخ هذا الداء وانتشاره واسبابه وعدواه واعراضه وتشخيصه والوقاية منه واحاول ان اوضح ذلك كله ايضا باسلوب يفهمه جمهور القراء

اسماؤها

لهذا الداء على حداثة العهد به في الانحاء الغربية من المعمور اسماء كثيرة اشهرها الكوليرا وهي لفظة يونانية منحوتة من كلمتين معناها جريان الصفراء وقد اطلقها اطباء اليونان قديماً على الداء المعروف بالهيضة عند اطباء العرب وهي شبيهة جداً بالكوليرا الاسيوية وسببها في الغالب خلل في الهضم وربما كان بعضها ناشئاً عن مكروبات لا تزال مجهولة . واهم اعراضها القيء والاسهال وقد تنتهي بالموت فيتعذر حينئذ تمييزها عن الكوليرا الاسيوية بغير الفحص البكتيريولوجي ومن هذا القبيل حادثة باب الشعرية والحوادث الاخرى التي اشتبه فيها اطباء الصحة والكورنتينات فلم يجزموا بصحة التشخيص قبل الفحص البكتريولوجي وحسناً فعلوا بالرغم من انتقاد بعض الكتاب لان التمييز بين هذين الداءين قد يستحيل بغير هذا الفحص علاوة على ان المسؤولية الكبيرة التي تلقى على هؤلاء الاطباء تجعلهم شديدي الحذر والريب

(*) مقال علمي طبي صحي للدكتور امين المعلوف نشره في المقطم

وقد غلب اسم الكوليرا على هذا الداء الوافد الخبيث ولكن الاطباء يميزون بين الداءين بقولهم كوليرا اسيوية او وافدة او هندية وكوليرا منفردة او محلية ويراد بالكوليرا المنفردة الداء المعروف بالهيضة عند اطباء العرب لذلك اطلق بعض اطبائنا اسم الهيضة الوافدة او الاسيوية على الداء المعروف بالكوليرا الاسيوية عند الافرنج وهي تسمية عربية صحيحة

ومن اسمائها الهواء الاصفر وهو اكثر شيوعاً في الشام منه في مصر ولعله سمي بذلك في اوائل القرن الماضي لاعتقاد الناس في تلك الايام ان منشأه تغيره في الجو او الهواء

تاريخها ومنشأها

لم تكن الكوليرا معروفة عند اطباء اليونان والعرب ولم يذكر التاريخ انها تجاوزت حدود الهند وبعض الجزر المجاورة لها قبل اوائل القرن الماضي . وهي قديمة جداً في الهند ذكرها كتابهم منذ اكثر من الفي سنة . ولم يذكر مؤلفو العرب في ما اعلم شيئاً عنها فليست هي الهيضة كما مر ولا هي الوباء ويراد به الطاعون في المؤلفات العربية طبية كانت او تاريخية على ان لفظة الهيضة شبيهة جداً بلفظ «هيجة» وهي اسم الكوليرا بلغة الهند فهل اخذ اطباء العرب هذه اللفظة عن الهنود او هو أصلي في العربية؟ تلك مسألة تستحق البحث والنظر

وقد كان أول عهد الافرنج بالكوليرا في اوائل القرن السادس عشر أي بعد دخول البرتغاليين والانكليز الى الهند على انها لم تحول انظارهم اليها حينئذ لانها كانت مستقرة هناك شديدة الفتك والانتشار فلما كانت سنة ١٨١٧ انتشرت انتشاراً هائلا في الهند وفتكت باهلها فتكا ذريعاً ثم اخذت في الانتقال حتى بلغت الصين واليابان شمالا وجزر المحيط الهندي جنوباً وسارت غرباً فدخلت بلاد ايران الى ان وصلت سنة ١٨٢٣ الى برالاناضول وشمال سورية ثم توقف سيرها ولم تتجاوزها الى اوربا ولا الى الحجاز أو مصر

ثم حدثت وافدة أخرى سنة ١٨٣٠ ففشت الكوليرا في بلاد افغانستان وايران ودخلت روسيا عن طريق استراخان واخذت تنتشر في اوربا فبلغت المانيا وفرنسا والنمسا واسبانيا ووصلت الى بلاد الانكليز سنة ١٨٣١ وانتقلت من اوربا الى اميركا ولم يتقلص ظلها عن اوربا قبل سنة ١٨٣٩ واما في المملكة العثمانية فقد كان انتشارها

هائلا دخلت الحجاز عن طريق العراق وانتقلت الى الشام ومصر وشمال افريقية وكان ذلك سنة ١٨٣١ وهي اول مرة عرف فيها هذا الداء في الحجاز ومصر والاماكن التي لم يدخلها قبلا في الشام

ثم أخذت الوافدات تتوالى بعد ذلك فكان عددها كلها في مصر تسع وافدات وهي وافدة سنة ١٨٣١ وفدت مع الحجاج ووافدة سنة ١٨٣٨ جاءتها من اوربا ووافدة سنة ١٨٤٨ فشت اولا في طنطا ولا يعلم من اين جاءتها ووافدة سنة ١٨٥٠ وفدت مع الحجاج ووافدة سنة ١٨٥٥ وفدت مع الحجاج ووافدة سنة ١٨٦٥ فشت في البلاد بعد رجوع الحجاج وكانت أشدها فتكا ووافدة سنة ١٨٨٣ فشت أولا في دمياط ويظن انها انتقلت اليها من الهند ووافدة سنة ١٨٩٦ وفدت مع الحجاج ووافدة سنة ١٩٠٢ وهي الاخيرة فشت في موشه من قرى الصعيد بعد رجوع الحجاج. وعسى ان تكون هذه آخر الوافدات

اما في الحجاز فكان عدد الوافدات تسع عشرة وافدة اشدها فتكا وافدة سنة ١٨٦٥ وقد كانت ايضاً اشد وافدات الشام فتكا

والكوليرا متوطنة في الهند لا سيما في بنغال السفلى أي وادي نهر الكنج فانها مستقرة هناك لا تنقطع البتة. وهذه الاماكن التي تكون الاوبئة مستقرة فيها كالطاعون والكوليرا تسمى في عرف الاطباء بؤر جمع بؤرة وهي في اللغة موضع النار فاستعارها اطباؤنا لما يسميه الافرنج Focus أو Foyer وهما بمعنى البؤرة تماماً أي موضع النار ويريد بهما علماء الطبيعيات نقطة تجمع النور أو الحرارة والاطباء نقطة تجمع الداء وللطاعون بؤر كثيرة منها مصر على زعم بعضهم. وللكوليرا ثلاث بؤر غير البؤر التي في الهند وهي كانتون وشنغاي وبانكوك ويقال انها قلما تنقطع من هذه المدن الثلاث في أشهر الصيف على ان أهم بؤرة لها وادي الكنج كما مر

وتشتد الكوليرا في بعض السنين لاسباب لا تزال غامضة فتنتشر من البؤر التي تكون مستقرة فيها وتنتقل من بلد الى آخر. فليس الخوف منها هذه السنة لانها قريبة منا فقط بل لانها سريعة الانتشار على ما يظهر

الطرق التي تدخل منها الى الشام والحجاز ومصر ثلاث: طريق البحر الاحمر وطريق ايران والعراق وطريق اوربا. على انها لم تدخل الحجاز الا من طريق البحر الاحمر مع الحجاج الهنود وطريق ايران والعراق

***

٢

(انتقالها)

تنتقل الكوليرا مع الناس فتسير في طرق المواصلة التي يسيرون فيها وسرعة انتقالها متوقف على سرعة انتقالهم فقد كان سيرها بطيئا قبل زمن سكك الحديد والبواخر اما الآن فهي سريعة الانتقال جدا . وتظهر غالبا في المواني البحرية او الاماكن التي تحتشد فيها الناس لاقامة المواسم والاسواق لكن ذلك ليس مضطرداً فالوافدة الاخيرة التي فشت في هذا القطر كان ظهورها اولا في قرية من قرى الصعيد

وهي غير منتظمة في سيرها فقد تتخطى عدة اماكن على طرق المواصلة وتفشو في غيرها كما حدث سنة ١٩٠٢ فانها تخطت مدناً كثيرة في صعيد مصر وفشت في حلفا فاذا لا سمح الله دخلت القطر وفشت في الاسكندرية مثلا فقد تظهر في مدينة من مدن الصعيد قبل ظهورها في القاهرة

والعزلة تقي منها فان بعض الجزر في المحيط الهندي وغيره لم تدخلها الكوليرا قط وكذلك استراليا ونيوزيلاندا وغرب افريقية ومواضع كثيرة من السودان فانها فتكت بالجيش المصري سنة ١٨٩٦ لكنها لم تنتقل الى الاماكن التي كان العدو مقيما فيها لقلة المواصلة . ويقال بالاجمال ان السواحل البحرية والاماكن المطمئنة الرطبة على مقربة من الانهار والمزدحمة بالسكان اكثر تعرضاً لها من الاماكن المرتفعة الجافة مثل قرى جبل لبنان والاماكن البعيدة عن النيل . وقد قيل لي انه حالما ابتعد الجيش المصري عن النيل سنة ١٨٩٦ وخيم في الصحراء قلت الاصابات كثيراً بين العساكر ثم انقطع الداء تماماً

والماء اعظم وسائل نقل الكوليرا والادلة على ذلك كثيرة فمدينة بيروت مثلا لم تنتشر فيها الكوليرا منذ سنة ١٨٧٥ مع انها فشت بعد ذلك في مدن كثيرة من مدن الشام كدمشق وطرابلس وغيرهما وكانت تحدث اصابات في محجرها وفي المدينة نفسها كلما فشت الكوليرا في القطر المصري او غيره من البلدان المجاورة لكن الداء لم ينتشر فيها قط لنظافة مائها وصعوبة تلوثه بخلاف دمشق وحمص وحماه وطرابلس

وغيرها من مدن الشام . أما في القطر المصري فيستبعد تلوث الماء الذي توزعه الشركات في البيوت . والخوف ليس منه بل من استقاء الماء من الآبار والترع والنيل قرب الشاطئ او من تلوث الآنية التي يوضع الماء فيها كالازيار لا سيما هذه الازيار القذرة التي نراها على جوانب الشوارع في القاهرة فان زيراً واحداً من هذه الازيار قد يكون سبباً لهلاك مئة نفس اذا تلوث بجراثيم الداء . وقد فتكت الكوليرا سنة ١٩٠٢ ببعض اهل القاهرة وكان عدد الجنود المصريين فيها نحو ثلاثة الاف لم تحدث بينهم اصابة واحدة لانهم عزلوا في ضواحي المدينة واعتني أعتناء تاماً بالماء الذي كانوا يشربونه وهذا كان شأن الجنود الانكليزية فيها وانما اصيب منهم جندي او اثنان شربا ماء في احدى قهوات المدينة على ما اتذكر

(سببها)

لم يكن سبب الكوليرا معروفاً قبل وافدتها التي فشت في مصر سنة ١٨٨٣ فانتدبت الحكومة الالمانية حينئذ لجنة رئيسها الدكتور كوخ وارسلتها الى مصر للبحث عن سبب هذا الداء فاكتشف الدكتور كوخ في مبرازت المصابين وامعاء المتوفين منهم مكروباً ترجح له انه مكروب الكوليرا لكنه لم يجزم بذلك قبل ان سافر الى الهند موطن هذا الداء ووجد المكروب نفسه في مبرزات المصابين هناك ايضاً فتحقق لديه انه سبب الداء ولكن هذا المكروب لم يستوف الشروط الاربعة التي كان كوخ قد سبق فوضعها يثبت ان مكروباً معلوماً يسبب مرضاً معلوماً ولكن الادلة الاخرى كثيرة على انه علة الكوليرا

***

٢

(مكروبها)

لقد مر بنا ان سبب الكوليرا نوع من المكروبات اكتشفه كوخ في مصر سنة ١٨٨٣ . وليس غرضي الآن البحث في هذا المكروب بحثاً علمياً وافياً ولا ذكر المشاحنات التي قامت بسببه بل غاية ما اريده ايضاح شيء عنه لغير الاطباء لان الوقاية من الامراض المعدية تقتضي معرفة ماهية المكروبات المسببة لها فاقول . المكروبات احياء صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة اي بغير الآلة المعروفة بالمكرسكوب ولشدة صغرها لا يقاس طولها وعرضها بالمقاييس المعتادة بل بمقياس خاص بها يعرف

بالمكرومليمتر أي المليمتر الصغير وهو جزء من الف جزء من المليمتر أو جزء من مليون جزء من المتر ويعبر عنه بالحرف اليوناني الذي يقابل حرف الميم بالعربية فلا بأس بالتعبير عنه بحرف الميم في لغتنا فيقال ان مكروب التدرن مثلا طوله ثلاث ميات أي ثلاثة اجزاء من الف من المليمتر . ومكروب الكوليرا نوع من هذه الاحياء الصغيرة وهو اصغر عن باشلس التدرن لكنه ليس اقل منه خبثاً طوله من ميم ونصف الى ميمين وعرضه نحو نصف ميم فاذا فرضنا اننا وصلنا واحداً منه باخر وهذا باخر وهلم جرا حتى يكون من هذه المكروبات حبل طوله مليمتر واحد فقط لاقتضى لذلك خمسمائة مكروب على الاقل . واذا وضعنا حبلا من الحبال بجانب حبل آخر ثم آخر بجانب هذا وهلم جراً حتى تصير الحبال مليمتراً مربعاً لاقتضي لذلك مليون مكروب أي ان مليونا من هذه المكروبات الواحد منها بجانب الآخر لا تزيد مساحة سطحها على مليمتر مربع . فتأمل كم يكون عددها في المليمتر المكعب او في زير من ازيار الماء او في بركة او صهريج وكم يعلق منها على اصبع واحدة اذا تلوثت ببراز المصابين . فمتى عرفنا ذلك سهل علينا ان نفهم كيف يتلوث الماء بمكروب الكوليرا . فاذا فرضنا ان الواحد منا لمس مصاباً او لمس ثيابه وكان على المصاب أو على ثيابه اثر من برازه ثم على غير انتباه منه اخذ اناء بيده وغمسه في زير الماء ليملأه منه فان الزير يتلوث بالمكروبات لا محالة . والمكروبات سريعة النمو جداً اذا وافقتها الاحوال فلا تمضي بضع ساعات حتى يصير في الزير ملايين الملايين منها . ومثلها لو فرضنا أن براز المصاب طرح في بركة ماء او في ترعة أو على شاطئ النيل حيث يكون الماء بطيء الجري او لو غسلت ثياب المصاب في هذه الاماكن او طرحت فيها فانها تتلوث بالداء وتكون سبباً في انتقاله من شخص الى آخر

اما شكل هذا المكروب فهو كالضمة العربية لذلك يعرف عند بعضهم بالباشلس الضمي وقد يكون هلالي الشكل وربما التصق اثنان منه فيصيران مثل شكل حرف s الافرنجي وقد تتصل افراد كثيرة منه فتصير خيوطاً كاللوالب

ومقر الباشلس في الامعاء فقط فانه لم يعثر عليه في غيرها من انسجة الجسم ولم ير الا في محتوياتها وقيل انه عثر عليه في القيء احيانا على ان ذلك نادر وربما كان القيء في مثل هذه الاحوال مختلطاً بالبراز

(كيفية اثبات الداء)

قلنا ان مكروب الكوليرا يكون في الامعاء والبراز فاذا اشتبه اطباء الصحة باصابة

خذوا شيئاً من هذا البراز وفحصوه بالمكرسكوب فاذا كانت المكروبات كثيرة جداً عثروا عليها حالا وعرفوها ببعض الصفات الخاصة بها دون غيرها ويتفق احياناً أنهم لا يعثرون على شيء منها فلا يكون ذلك دليلا على ان الاصابة المشتبه فيها ليست بالكوليرا او ان المكروبات غير موجودة فعدم رؤيتها ليس دليلا على عدم وجودها لانها قد تكون قليلة جداً فلا يعثر عليها فيلجأون حينئذ الى الفحص البكتريولوجي القائم على المبدإ الآتي وهو ان المكروبات تنمو في بعض المواد كالجلاتين والمرق ولها في نموها خواص يميز بها النوع الواحد منها على غيره فمتى نمت في هذه المواد كثرت جداً وانفصل كل نوع منها على حدة وعرف بهذه الخواص وبغيرها ولكن هذا الفحص يستغرق بعض الزمن من ست ساعات الى يومين أو ثلاثة

ثم ان مصلحة الصحة لا تكتفي بفحص براز المصابين فقط بل تفحص براز الذين اختلطوا بهم خوفاً من وجود المكروب في امعائهم قبل ظهور الداء فيهم لان بعض الامور المختصة بهذا الداء لا تزال غامضة ويظن ان بعض الناس القادمين من الاماكن الموبوءة قد يكون الداء كامناً فيهم لا تظهر اعراضه . وربما كان امثال هؤلاء الناس سبباً لانتشار الوباء . وقد ثبت هذا الامر في الحمى التيفودية فان مكروبها قد يكون في امعاء شخص غير مصاب بها فينتقل منه الى شخص آخر ويكون سببا لاصابته بها

***

٤

(هل الباشلس الضمي وحده علة الكوليرا)

مما لا شبهة فيه ان الكوليرا مرض شديد العدوى وان للباشلس الضمي علاقة كبيرة به لكن ذلك ليس دليلا على ان هذا الباشلس هو سببه الحقيقي فانه لم يستوف الشروط الاربعة التي وضعها كوخ ليثبت ان مكروباً معلوماً يسبب مرضاً معلوماً . والشروط هي هذه

اولا يجب اثبات وجود المكروب في دم المصاب أو انسجته

ثانياً يجب زرع هذا المكروب خارج الجسم في منبت يصلح له والحصول على نبت خالص منه بعد اعقاب متوالية

ثالثاً اذا ادخل هذا النبت الى جسم حيوان سليم يجب ان يصيبه الداء المذكور

رابعاً يجب اثبات وجود المكروب في دم الحيوان الذي ادخل اليه أو في أنسجته

فمكروب الكوليرا قد استوفى الشرطين الاولين ولم يستوف الشرطين الاخيرين استيفاء تاماً اذ لا بد لاستيفائهما من ايصال نبت خالص من المكروب الى الانسان أو غيره من الحيوان واصابته بالداء وهذا لم يتم حتى الان الا في بعض حوادث . على ان العلاقة بين الباشلس الضمي وبين الكوليرا من الامور الثابتة . وغاية ما يهم الجمهور معرفته ان الكوليرا من الامراض المعدية وان عدواها تنتقل بالبراز سواء كان هذا الباشلس هو سببها الحقيقي وحده أو كان له اعوان يساعدونه على ذلك

ولا بأس بذكر بعض الحقائق التي اتضحت بعد اكتشاف هذا الباشلس وهذه اهمها

(١) اكتشفت أنواع كثيرة من الباشلس شبيهة بالباشلس الضمي في بنائها ونموها أهمها باشلس الهيضة الفردية وباشلس اللعاب الضمي . ويرى كوخ وانصاره أن هذه الميكروبات وان كانت شبيهة بالباشلس الضمي في بنائها فهي مختلفة عنه في نموها في المنابت المعروفة

(٢) شرب كثير من الباحثين نبتاً خالصاً من الباشلس الضمي على سبيل التجربة فأصيب بعضهم بأسهال خفيف وعثر على الباشلس في برازهم لكنه لم يصب أحد منهم بأعراض تشبه اعراض الكوليرا الحقيقية الا في ما ندر لذلك يرى بعضهم أن الباشلس الضمي ليس هو المكروب الحقيقي الذي يسبب هذا الداء فرد قولهم بأنه لابد من عوامل أخرى تساعد الباشلس الضمي على إحداث الكوليرا كاستعداد الجسم أو اشتراك مكروب آخر لا يزال مجهولاً في العمل معه . ولا يخفى أيضاً ان المكروبات اذا كرر زرعها ضعفت كثيراً فربما كانت المكروبات التي جربت قد تلاشت قواها

(٣) حدثت إصابات لا تختلف في أعراضها عن الكوليرا قط ولم يعثر على الباشلس فيها بالرغم من شدة العناية في البحث عنه لذلك يرى بعضهم ان الكوليرا قد يكون سببها غير الباشلس المذكور . ورد قولهم بأن البحث في مثل هذه الاصابات لم يكن وافياً وان عدم العثور على الباشلس ليس دليلا على عدم وجوده

(٤) عثر على هذا الباشلس في براز اشخاص غير مصابين بالكوليرا ففسر بعضهم ذلك بانه لا بد من استيفاء شروط أخرى للاصابة بهذا الداء ولم تكن هذه الشروط مستوفاة في هؤلاء الاشخاص

(كيفية فعل الباشلس في احداث الكوليرا)

قلنا أن مقر الباشلس في الامعاء فقط وعلى فرض أنه سبب الكوليرا الحقيقي

فاعراضها المعروفة ناشئة عن تهيج موضعي في الامعاء وعن سم خاص يفرزه الباشلس فيها ويمتصه الجسم فيؤثر في بعض الاعصاب ويحدث القيء واعتقال العضلات وانقباض الاوعية الدموية على سطح الجسم والتهور الجليدي والزرقة

(مدة الحضانة)

يراد بالحضانة أو التفريخ الزمن الذي ينقضي بين التعرض للعدوى أو دخول المكروب الى الجسم وظهور اعراض الداء فمدة الحضانة في الجدري مثلا من عشرة ايام الى اثني عشر يوماً اى انه اذا دخل سليم على مصاب بالجدري وانتقلت اليه العدوى لا تظهر فيه اعراض الداء قبل مضي عشرة ايام الى اثني عشر يوماً . فمدة الحضانة في الكوليرا تختلف كثيراً وهي من بضع ساعات الى عشرة ايام لكنها على الغالب من ثلاثة ايام الى ستة ايام

***

٥

(الوقاية منها)

الوقاية من الكوليرا قسمان وقاية عامة أو ادارية وهي ما تتخذه الحكومة من التدابير لمنع دخول الداء الى البلاد أو انتشاره فيها ووقاية خاصة أو شخصية وهي ما يتخذه الافراد من الوسائل التي تمنع انتقال العدوى اليهم

(الوقاية العامة)

أهمها التدابير التي تتخذها الحكومة في الموانى والثغور لمراقبة القادمين من الاماكن الموبوءة والحجر عليهم وعزل المصابين منهم ومن هذه التدابير الحجر الصحي أو الكورنتينا وكان يراد بها قديماً الحجر أربعين يوماً على القادمين من الاماكن الموبوءة بالطاعون

واول حكومة فعلت ذلك حكومة البندقية فانها أقامت محجراً صحياً سنة ١٤٠٣ في احدي الجزر القريبة منها وقاية من الطاعون ثم حذت الحكومات الاخرى حذوها الى ان فشت الكوليرا في أوربا سنة ١٨٣١ ففعلت مثل ذلك لاتقائها وما برحت تفعل ذلك الى ان اتضح لبعضها أن هذا الحجر يعرقل التجارة ويوقع البلاد في خسارة كبيرة وانه لم يكن كافياً لدفع الوباء في كثير من الاحيان فاخذت الحكومة

الانكليزية تقلل من هذا التضييق على البضاعة والركاب الى ان الغت الحجر إلغاء تاماً سنة ١٨٩٦ وسنت نظاماً خاصاً للسفن القادمة من الاماكن الموبوءة

وكانت الحكومات الاوربية تعقد المؤتمرات لدفع الاوبئة التي قد تدخل أوربا من الشرق واول مؤتمر عقدته لهذه الغاية كان سنة ١٨٥٢ وآخرها سنة ١٨٩٧ وهذا الاخير كان للبحث في أمر الطاعون فقط . وكانت نتيجة هذه المؤتمرات ان الحكومات الاوربية عدلت عن التضييق الشديد على البضائع والركاب واتخذ بعضها التدابير المتبعة في بلاد الانكليز وبقي بعضها يضرب الحجر الصحي على واردات الاماكن الموبوءة . فالحكومات التي لا تزال تضرب الحجر الصحي هي الدولة العلية ومصر وحكومة اليونان وروسيا واسبانيا والبرتغال . أما الحكومة الانكليزية فتضرب الحجر الصحي في بعض املاكها فقط ومنها قبرس ومالطة وجبل طارق في البحر المتوسط وتكتفي في موانيها الاخرى بمراقبة القادمين فتحجر على السفن التي حدثت فيها اصابات مدة سفرها الى أجل مسمى وتنقل المصابين الى مستشفيات خاصة ثم تطهر السفن وتراقب القادمين خمسة أيام في منازلهم

وأهم المؤتمرات التي عقدت للبحث في أمر الكوليرا مؤتمر البندقية سنة ١٨٩٢ وكان الغرض منه النظر في أمر دخول الكوليرا الى أوربا بطريق السويس ، ومؤتمر درسدن سنة ١٨٩٣ وكانت الغاية منه البحث في انتشار الكوليرا في البلدان الاوربية ، ومؤتمر باريس سنة ١٨٩٤ للنظر في أمر الكوليرا في زمن الحج . وأهم هذه المؤتمرات مؤتمر درسدن ولا يزال معمولا بقراراته حتى الآن

وللحكومة المصرية قانون خاص للمحاجر بوجه عام وقانون آخر للحجر الصحي في زمن الكوليرا وهو مبني على قرارات مؤتمر درسدن وباريس وهاك ما يهم الجمهور الاطلاع عليه من مواد مؤتمر درسدن والقانون المصري

أولا – على الحكومات الموقعة لاتفاق درسدن ان يعلم بعضها بعضا متى فشت الكوليرا في احدى مقاطعاتها وتواصل الاخبار عن سير الداء مرة في الاسبوع على الاقل

ثانيا – تعد احدى المقاطعات ملوثة متى اعلن رسمياً حدوث اصابات فيها وتعد نظيفة متى مضت خمسة أيام لم تحدث فيها وفاة او اصابة جديدة واتخذت التدابير لتطهير الاماكن الملوثة

ثالثاً – تعد السفينة ملوثة متى كان احد ركابها مصاباً بالكوليرا عند وصولها او

حدثت فيها اصابة قبل وصولها بسبعة أيام على الاكثر وتعد مشتبها فيها متى حدثت فيها اصابة قبل وصولها بسبعة ايام على الاقل ، ونظيفة اذا لم تحدث فيها اصابة او وفاة بالكولرا قبل سفرها وفي مدة السفر وبعد وصولها ولو كانت قادمة من احدى المواني الموبوءة . ويظهر ان مصلحة الصحة البحرية تعد الذين في برازهم مكروب الكولرا كأنهم مصابون بها ولو لم تكن اعراض الداء ظاهرة فيهم

رابعاً – تتخذ التدابير الآتية في معاملة السفن الملوثة

يعزل الركاب المصابون ويبقى الآخرون تحت الحجر الصحي زمنا لا يزيد على خمسة أيام وتطهر الامتعة التي يرى رجال الصحة انها ملوثة ثم تطهر السفينة . اما السفن المشتبه فيها فتطهر ويفرغ ماء الشرب منها ويستبدل بماء نظيف ويستحسن الحجر على الركاب مدة لا تزيد على خمسة أيام بعد وصولهم . وقد اشترطت الحكومة الانكليزية ان لا يحجر على ركاب السفن الملوثة والمشتبه فيها بل يراقبون في منازلهم

والسفن النظيفة يفرج عن ركابها حالا لكن الحكومة المصرية تراقب القادمين من مواني البحر المتوسط في منازلهم ولو كانت سفنهم نظيفة

خامساً – جاء في القانون المصري ان ملابس المصابين القديمة والضمادات الملوثة والاوراق والاشياء التي لا قيمة لها تتلف بالنار

أما الملابس النظيفة وادوات الفراش والاوراق ذات القيمة فتطهر بفرن خاص لذلك

وجاء في مؤتمر درسدن ان الثياب القديمة والخرق وادوات الفراش يمنع دخولها او تطهر . اما البضاعة فلا يجوز اتلافها عند تطهيرها ولا يجوز تطهير الرسائل والمطبوعات

سادساً – لا يحجر على الحيوانات بل يفرج عنها حالا بعد غسلها

سابعاً – يجيز القانون المصري لمجلس الصحة البحرية ان يعد السفن المزدحمة بالركاب الذين احوالهم الصحية ليست على ما يرام كأنها ملوثة أو مشتبه بها ولو لم تكن قادمة من أماكن موبوءة او يكن احد ركابها مصاباً بالكولرا

هذا اهم ما جاء في اتفاق درسدن والقانون المصري ولم أر فيهما ذكراً لمنع الفاكهة وهي المسألة التي تناولتها الجرائد هذه الايام

والمنصف لا يسعه في هذا المقام الا الثناء على رجال الصحة البحرية لما يبذلونه من اليقظة والنشاط لوقاية البلاد من هذا الداء الوبيل فاذا نجت البلاد منه وستنجوا باذن الله يكون الفضل الاكبر في ذلك راجعاً اليهم . الدكتور امين المعلوف

الاسعافات الطبية الوقتية

﴿ للمصابين بالكوليرا ﴾

(للدكتور محمد بك رشدي حكيمباشي محافظة مصر)

الكوليرا مرض وبائي يصل مكروبه للجسم بواسطة المياه والمأكولات ولا تحصل العدوى به بواسطة الهواء وعدواه في براز المصابين اشد وميكروبه ينمو ويتضاعف في الاقمشة المبلولة وهذا ما يفسر شدة العدوى بالملابس الملوثة بالمواد البرازية للمصابين وانتقالها بها

ويتضاعف ايضاً وينمو في المأكولات كاللبن والبيض والمرق والبطاطس المسلوق والخبز واللحوم وكافة الخضر والشكولاته والاشربة المسكرة والمربات وعلى سطح الارض الرطبة ويعيش حياً في البراز مدة ٢٤ ساعة من التبرز ويعيش (في البرد) لغاية درجة تحت الصفر انما يكون بدون حركة ثم ينمو بارتفاع الحرارة وعلى ذلك فالبرد يضعفه والحرارة تقويه كسائر المخلوقات الحيوانية والنباتية

فمتى دخل ميكروب هذا المرض في البنية بواسطة الماء أو المأكولات تمضي مدة من الزمن قبل ظهور اعراضه المرجفة ويسمى هذا الزمن بدور التفريخ ويختلف من ثلاثة الى خمسة ايام وهذا في الزمن لا يحس المصاب بشيء ثم بعده تظهر الاعراض المرضية وتحصل منه العدوى ببرازه

الاعراض

يعرف هذا المرض في مدة انتشاره بتبرز وقيء متكررين وظمأ شديد وتناقص في البول او فقده وانطفاء الصوت وآلام شديدة بسمانة الساقين وبتلون الجسم بلون أزرق خصوصاً الاظافر وغور الاعين وانحطاط شديد في القوى وبرودة وقشعريرة وتكون مواد البراز سائلة شبيهة بسائل غسيل الارز

الاسباب

من ضمن الاسباب التي تساعد على حصول هذا المرض الاستعداد الشخصي والتعب والحرمان وعدم النظافة وعسر الهضم

ثم ان تركيب طبيعة الارض له دخل في شدة انتشاره فـكلما كانت الطبقات السطحية للارض ذات مسام كثيرة كان الوباء اكثر شدة وبالعكس

وعند حصول الاصابة توجد جواهر دوائية توقف نمو ميكروبة وتميته كمحلول الشب واحد على مائة وعطر النعناع الفلفل واحد على مائتين أو حمض اللبنيك واحد على ثلاث مئة أو حمض الليمون واحد على مائتين والحرارة تميته فالملابس الملوثة بالماء المحتوي على ميكروب هـذا المرض اذا جففت في الحرارة الـكافية للتجفيف وبحثت فيما بعد بحثاً ميكروسكوبياً لا يوجد بها اثر ميكروب هذا المرض

الوسائط الوقتية

يجب على كل انسان ظهرت الاصابة في جواره ان يتحاشى مخالطة المصاب ويسارع الى استدعاء الطبيب من فوره ليرشده الى مايلزم اتخاذه من الوسائل لنجاة المريض وسلامة غيره من عدوى هذا الوباء

ومن المعين الاستحمام يومياً بماء طاهر أي مرشح مغلي (بعد تبريده) مع تجنب الاستحمام والوضو والشرب من ماء النيل العكر تجنباً لما عسى ان يكون فيه من ميكروب الداء وتقصير الثياب بحيث لا تصل سطح الارض اتقاء لما يمكن ان يعلق بها من الميكروبات . ومن الملاحظات الجديرة بالعناية وجوب خلع النعال وعدم الدخول بها في محال الجلوس او الاستقبال والامتناع عن شرب الخمر من أي نوع كان لان شرب الخمر يعين على اضعاف المعدة

ويجتنب السهر الطويل والتعرض للبرد والاعتدال في الاكل وعدم الافراط فيه ويحسن اجتناب المصافحة باليد مع غسل اليدين قبل الطعـام وبعده وقص الاظافر ويتعين الامتناع عن اكل الخضر غير المطبوخة كالجرجير والفجل والاسماك البحرية كأم الخلول والجنبري ونحوها ويجتنب اكل الفواكه غير الناضجة ، وتطهر اطباق الاكل بوضع قليل من السبيرتو النقي بها واشعالها ان لم يغسل بماء مغلي ومراقبة الطهارة لعدم مسح الاطباق بمناشفها القذرة . ويحسن ان لا يؤكل الخبز الا بعد تحميره على النار او على لهب اسبيرتو والامتناع من التدخين او التقليل منه لانه يضعف المعدة والقلب ويجب غلي مياه الشرب طول مدة الوباء

الاسعافات الوقتية

تنحصر تلك الاسعافات في مقاومة ثلاثة اعراض مهمة وهي القيء والاسهال وبرودة الجسم

القيء ــ يقاوم القيء بتعاطي شراب الليمون المثلج أو منقوع النعناع المثلج المحلى بالسكر او شراب حمض اللبنيك

كالمشروب الآتي

حمض اللبنيك من ١٠ الى ١٥ جرام شراب السكر ٩٠ جرام كؤلات الليمون والنعناع ٢ جرام ، ماء مغلي ١٠٠٠ جرام

يؤخذ كل ساعة كاس

الاسهال ــ يستعمل حقن شرجية من محلول الشب من ١٠ الى ١٥ جرام في الالف تذاب في ماء مغلي وتعمل الحقنة ٣ مرات في اليوم

برودة الجسم ــ الدلك بقطع من الصوف بعموم الجسم بعد غمسها بروح الـكافور ووضع جملة زجاجات مملوءة بمـاء سخن حول الجسم بعـد لفها بالقماش وتثبيت سدادتها جيداً

ثم يستدعى الطبيب في الحال لاجراء الوسائط الصحية اللازمة وتتميم العلاج بحسب حالة الاعراض

فهذا ما كنا نشير باستعماله من الاسعافات الوقتية الاولية في سنة ١٨٩٦ حينما كنت حكيمباشي باستبالية مديرية الفيوم وظهرت فوائدها كما يثبت الاحصاء ذلك وقد رأيت ان اكتفي بذكر ما يمكن لغير الاطباء استعماله في الاسعافات الوقتية لهذا المرض الوبيل وقى الله البلاد شره انه سميع مجيب

باب المراسلة والمناظرة

ميرزا علي محمد الباب

﴿ وادعاؤه النبوة ﴾

وردت من أحد المأمورين بشيراز رسالة تحاول اثبات المهدوية لميرزا علي محمد ابن اقا رضا البزاز الشيرازي (مدعي البابية ومؤسس طريقتها) وما اضطررت الى الجواب عنها الا من شدة اصرار مرسلها ، ومن اقتحام بعض الصحف المصرية في

أمرهم على العمياء وتوصيفهم عن غير دراية وتقريب العقول الناقصة من شبابيك كيدهم إني لم أر بعد النظر في ادلة تلك الرسالة دليلا يكتسب من الانظار ادنى اهمية ولا وجدت قياساً في كتابه روعيت فيه أصول الاحتجاج غير حجة واحدة سنجعلها مدار البحث ومحوره حيث تناسب ابحاثنا في النبوة ... بيد أن الكاتب من لباقته وشطارته ابرز تلك الحجة الواحدة في كسوة الحجج المتعددة

(وخلاصة تلك الحجة)

ان (علي محمد الشيرازي) تحدى كالانبياء لدعواه ، واخرج للناس كتاباً بصدق ما ادعاه ، فلو لم يكن نبياً صادقاً ناطقاً بالحق لوجب على الله (سبحانه) ان يفضحه ويظهر كذبه ، ويجازيه أسوأ الجزاء على افترائه وبهتانه على مولاه وجوبا عقلياً « تقتضيه قاعدة اللطف » ونقلياً دلت عليه آيات الكتاب وبينات السنة اه

(وهاك جوابي عن هذه الشبهة)

ينبغي لنا في هذا المبحث ان ننظر أولا في أنه كيف يجب ان يفتضح المتحدي الكاذب .. ثم ننظر في حقيقة اللطف الواجب .. كل ذلك على وجه العموم .. ثم نتكلم في افتضاح { علي محمد } وظهور كذبه لدى العقلاء باجلى وجوه الفضيحة

ولا ينقضي عجبي منكم أيها الفرقة الـ .... تدعون المهدوية لصاحبكم وهي فرع من الفروع الاعتقادية في دين الاسلام ثم تستدلون على مقصدكم بدلائل النبوة وتنسبون لصاحبكم تحدي الرسالة ، وانه أظهر كتاباً اكبر من كتاب محمد { ص } وتتشبثون لمطلوبكم بشبهات النصارى على الاسلام : فأدلتكم ترمي الى شيء ودعواكم ترمي الى شيء آخر يخالفه تمام الاختلاف فعرفونا وجه التوفيق ومنزع الاحتجاج ومحجة النزاع

نجعل وجدانك الصادق أيها المنصف بيننا حكماً فاصلا ثم ننشدك نشيدة الباحث عن حقيقة { ونقول } هل الواجب على المولى { سبحانه } ان يفضح المتنبي الكاذب بعلامات محسوسة .. مثل ان يكتب على وجنته أو جبينه { هذا نبي كاذب } ..؟ أو يوكل عليه ملكا يهتف أمامه بذاك النداء مدى الدهر فتقتصر الحجة في الكتابة على خط واحد بالضرورة ، وتقتصر في النداء على لغة واحدة فلا تتم الحجة على اكثر البشر ولا تبلغهم حقيقة الامر قطعياً مع اشتراكهم وتساويهم في التكليف ويفوت الشارع بناء عليه مقصده السني من تشريع السبل ، وبعث الرسل ، وهل عهدت

ياصاح في إحدى الشرائع من آلهك الحكيم استعمال العلامات الشخصية والصور الحسية في فضيحة متنبىء أو متحد كاذب ..؟ كلا ثم كلا ان الصور المحسوسة لا تعم الاعصار والامصار ، كما ان الخط واللغة لا يعرفان الاقوام المختلفة حقيقة الامر ، فلا محيص من تصديق سنة الله تعالى والاعتراف بصحة سيرته مع أدعياء النبوة حيث يميز كاذبهم عن صادقهم بوجه علمي وصورة عقلية ، يفتضح بها الكاذب بين الناس اجمعين ، على اختلاف السنتهم وألوانهم ، فتحصل الغاية المقدسة وتتم الحجة على كل مكلف بأبلغ منهج واتم صورة

حيث ان الوجوه العقلية لا تختص بقوم دون قوم ولا بأبناء لهجة دون آخرين ولا تختص بعصر ولا بمصر بل تعم ذوي العقول قاطبة في جميع الظروف والاحوال { العقل دليل في كل سبيل }

واتمام الحجة في فضيحة المتنبىء الكاذب مما يجب ان يظهر لجميع العقلاء والعلماء الذين أضحت عقائد العامة تتبع آراءهم ، وافعالها تناط باقوالهم « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيّ عن بينة »

اذن فالحري بنا ان ننظر في امر هذا المدعي بالنظر العقلي ، والطريق العلمي ، الذي به يظهر المولى (س) كذبه ان كان مفترياً عليه

(الحقيقة تكفينا فضيحة المتنبي)

« وفي ذلك معنى قاعدة اللطف »

قالت العدلية من المسلمين (يجب على الله (س) ان يفضح المتنبي والمتحدي الكاذب بقاعدة اللطف) وخاضوا في عباب اللطف كل مخاض ، لكن لي في المقام رأيا متوسطا اظن إصابة الحق فيه

وموجزه ان المتحدي بالنبوة يدعي لنفسه العصمة بالضرورة . . والحقائق لا تمهله دون ان تظهر كذبه : حيث ان الفاقد لفضيلة العصمة ، لا ينفك (حسب المفروض) عن سهو أو نسيان ، فيبدو منه خلال أعماله واشغاله سهو في فعل ، او نسيان عن قول ، سيما عند ما تتراكم الاشغال عليه ، ويحاط فى المجامع العمومية بالشواغل القلبية ، وتأثير الظواهر في مشاعره ونفسه الضعيفة ، ومتى ما سها في شيء او نسي تبين كذبه وافتضح

ان من يدعى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان

فيحصل المطلوب بتأثير اودعه الله في مظاهر الحقيقة (وهو امر طبيعي) في العوالم الأدبية لا بد منه ولا محيص

واذا تبينت محافظته على الحقائق ، ولم يظهر منه خطأ اوزلة في اعماله واقواله ، ولا عدول عن غايته ، ولا تغيير في مسلكه طول عمره ، فذلك الصديق الذي يجب تصديقه والايمان بما يدعيه، وهو العاصم المعصوم ولا ريب فيه

(افتضاح علي محمد عندنا)

ذكر الناس في ظهور خداعه وكذبه ، مظاهر وأشياء ، ونشروا كثيرا مما يزري بشأنه ويكذب دعواه ، واعلنوا خذلانه في مجالس العلماء باصفهان وتبريز وشيراز وغيرها . واستبان انحطاطه وقصوره عن المباحث العلمية والادبية والاعتقادية

لكنني اعتمد في انجلاء حاله وتكذيبه على منهجين ارى لهما مقاماً ساميا كثير الاهمية في عالم البحث الفلسفي عن الأديان والنبوات ، وعن تعيين الانبياء والصادقين من المصلحين

{ المنهج الاول } ظهور خطأ منه في سياسة امره يمنعه من نجاحه بحيث يمسي المدعي للنبوة غرضا لأسهم الملامة من جمهور العقلاء فان ذلك وشبهه من جملة الأمور الفاضحة ، وشواهد كذبه الواضحة ، يتم الحق بأمثالها حجته على رائديه

ولا يبرح عن اعتقادي ان العاقل المنصف اذا تأمل في كلمات « علي محمد » وبيانه الذي زعم معارضة القرآن به وعرف اغلاطه اللفظية ، التي لا تقبل وجها ولا علاجا في فنون العربية ، . . . يجزم بخطائه في عالم السياسة فمجرد تصديه لمعارضة القرآن العظيم في العربية والبلاغة وهو عاجز عن التكلم بها غير محيط باصولها وفنونها يكفينا فضيحته ولاينفك لوم العقلاء منه على هذه الفلتة الكبيرة يلومونه من جهات متعددة { ١ } لماذا يامسكين لم تقنع بدعوى كونك اماماً او باباً اليه كما كنت عليه في مبدإ امرك حتى ادعيت النبوة واحتجت الى اظهار الآيات والمعاجز وعرضت بنفسك للفضيحة

(٢) لماذا اخترت يامسكين من بين المعجزات معارضة القرآن الذي اعجز اساطين الفصاحة

(٣) ان لم تطاوعك النفس الا في معارضة القرآن فلماذا عارضته بالعربية حتى يصعب امرها عليك من كل باب تأتيه من حيث انك اجنبي عنها نشأت على اللغة الفارسية في ايران وما سبرت ولا سبرت افانين العربية وآدابها . . . تعجز عن اداء جملة لا

تلحن فيها ، وتعارض قرآنا خرت لبلاغته الادباء سجدا الى الاذقان ، وخضعت دونه رجال الاصلاح والسياسة وعلماء البيان ، تعارضه ببيانك المشتمل على اغلاط بعيدة الاحصاء في فنون العربية من تصريفها والاعاريب والبلاغة في التركيب خاليا عن طريف معنى ولطيف حكمة

ولو انك يامسكين لفقت كتابك من فقرات وجمل بلغتك الفارسية لصنته من قدح العلماء في ألفاظه وتراكيبه ، وانحصرت دوائر اللوم عليك في اغلاطك المعنوية خاصة ، وكان لك في ذلك ولصحبك مندوحة وتخفيف مشقة ، وكنت في راحة من جانب الفاظه لا تلجأ الى مضيق الاعتذار « ورب عذر اقبح من الذنب » عن ألحانك { بان الالفاظ كانت أسيرة الاعراب فأطلقتها } ولا يلتجئ زعيم قومك اليوم تصحيحا لاغلاطك الى قوله { ان ولي الله لا يكون اسيراً لأصول اللغات واعراب الكلمات } اعتذر به { ميرزا ابو الفضل } الكلبايكاني في كتابه بعد اعتراض شيخ الأسلام التفليسي عليه باغلاط البيان والحانه :

واني لا اعدوه وسالتك ياصاحبي ولا احتطب لك من كلماته في هذه الوجيزة من هنا ومن هناك وانما اذكرك ببعض كلماته التي انتخبتها انت لنا واتحفتنا بها في رسالتك الينا فمن ذلك قوله { تا الله قد كنت راقداً هزتني نفحات الوحي وكنت صامتاً انطقني ربك المقتدر القدير لولا امره ما اظهرت نفسي قد احاطت مشيئته مشيئتي واقامني على امر به ورد على سهام المشركين امرءاقرأ ما نزلناه للملوك لتوقن بان الملوك ينطق بما امر من لدن عليم خبير }

ومن ذلك قوله « كنت نائماً على مضجعي مرت على نفحات ربي الرحمن ويقظتني من النوم وامرني بالنداء بين الارض والسماء ليس هذا من عندي بل من عنده يشهد بذلك سكان جبروته واهل مدائن عزه ونفسه الحق لا اجزع من البلايا في سبيله ولا عن الرزايا في حبه ورضائه قدجعله الله البلاء غادية لهذه الدسكرة الخضراء »

وبالاجمال فانها فلتة عظيمة سياسية وحقيقية صدرت منه بمشيئة الله تعالى رغما على مشيئته ليصبح الحق أبلج ، ويمسى الباطل في لجلج ، وما صرعه الحق هذه الصرعة الفاضحة ولا اكبه بعثرته الواضحة ، الا من جنايته العظمى على الحقيقة المقدسة ، وهتكه حرمة الاسلام وما ابدى فيه من . . . .

« المنهج الثاني » ثبات المدعي واستقامته في مسلكه الخاص الذي دعا الناس اليه من مبدإ امره الي منتهاه لا يحول عنه ولا يزول في حال ضعفه وقوته سالكا فيه

بقوله وفعله عن شجاعة ادبية « كيف يميل عن الحقيقة من نالها او يعدو الحق صاحبه وما وراء عبادان قرية »

فهذا النبي محمد (ص) جرى على سنة الانبياء من قبله ، فادعى الرسالة من ربه في مبدء امره ، واستقام عليها حتى فارق صحبه ، فكانت الرسالة لا غيرها دعواه وخطته من قبل ان يبلغ المسلمون عدد الأصابع . . . ثم اتسعت بلاده وعلت كلمته وفاق المؤمنون به عشرات الألوف وصارت الاموال والكنوز تجبي اليه من اقطار الأرض : ولم تكن مع ذلك دعواه الا الرسالة التي كان يدعيها في اول امره . وما اورثه ارتقاء شأنه ونفوذ سلطانه ، فرقا في اخلاقه ودعاويه ، ولا في معيشته وسيرته ، ولقد كان يروج منه (ولاريب) ان يدعو الناس بعد ذلك الى تقديسه والاعتراف بألوهيته (والعياذ بالله) او يأكل اطيب المأكول ويتخذ لنفسه أجمل وسائل العيش والتنعم من اتساع سلطته ونفوذ كلمته وتملكه القلوب والمشاعر

لكنه (ص) كان يزداد تواضعا وزهداً كلما ازداد قدرة لئلا يهابه الناس فيقدسوه تقديس الرعية لسلطانها المستبد .

وأما { علي محمد } فلا يجد المرء بعد الفحص أقل ثباتا منه في مسلكه ودعواه ، فانه ادعى البابية في مبدإ أمره ويعني من البابية أنه الباب بين الشيعة وبين امامهم {المهدي المنتظر} «عج» يبلغهم أحكام الشريعة عنه {ع} كما كان نواب { المهدي } «عج» في القرن الثالث يعرفون بهذا الاسم والصفة وكانوا هم الابواب اليه ، والنواب عنه فكانت البابية أول دعوى { علي محمد } ولاجل ذلك عرف أصحابه بهذا الاسم والعنوان من مبدإ أمرهم الى الآن .

ثم عظمت وطئته ، وانتشرت دعوته ، وشاهد ازدحام الناس على نفسه ، فادعى الامامة والمهدوية لنفسه ، وانه هو الامام المنتظر عند الشيعة بعينه ، ولا يخفى عليك اختلاف المسلكين وتفاوت الرتبتين .

ثم اوثقت كلمته وكثر أتباعه لامور اتفاقية لا يسع المقام ذكرها واستشعر من تابعيه ، قبول كل ما يدعيه ، فادعى النبوة واظهر كتاباً زعم نسخ القرآن به والمعارضة معه ... ويحكي عنه الربوبية ايضاً مستدلا بتوافق اسمه في العدد اعني { علي محمد } لاسم { رب } فان كلا منهما ٢٠٢ في حساب « ابجد » الجملي .... ولم يلبث بعد ذلك حتى قتله « ناصر الدين » شاه ايران بعد ما عقد المؤتمرات لاجله ، واظهر العلماء

كذبه وعجزه في الابحاث العلمية . ومن طلب تاريخه فليراجع كتاب{باب الابواب} أو مفتاحه لمنشئ جريدة « حكمت » الفارسية المصرية

وليت شعري ما كان يدعي بعد هذه الدعاوي لو امهله الدهر وساعدته العامة؟

« نعم » لا يستقيم سوياً على صراط من حاد عن الحق * ويضطرب الرأي ممن لم يفز بحقيقة * ولا يثابر على خطة من لم يكن على يقين *

فهلا يكفيك اضطراب رأيه الظاهر من تلوناته وتقلباته في خطته شاهداً على خطائه وزلله ، أم نسيت ما قدمناه في صدر البحث تمهيداً لخواتيمه ، والسلام على من اتبع الهدى

من نجف بالعراق — هبة الدين الشهرستاني
منشيء مجلة العلم

باب الأخبار والآراء

« أرباب الاقلام في بلاد الشام »

« ومشروع الاصفر »

أشرنا في المقالة الاولى التي كتبناها عند إعلان الدستور الى ما أمامنا من العقبات والمشكلات السياسية والادبية والاقتصادية في طريق هذا الطور الجديد من الحكم ، وقد وقع جميع ما كنا نتوقع ، ومما أشرنا اليه في تلك المقالة بالاجمال ، وعدنا الى بيانه بعد ذلك بالتفصيل قولنا « ان الحرية ماحلت في بلاد كبلادنا خصبة التربة جيدة الانبات ، غنية بالمعادن والغابات ، قابلة لرواج التجارة والصناعات ، الا وتدفقت عليها أموال أوربا لاجل استثمارها فيها ، وهناك من أبواب الرجاء للبلاد والخوف عليها ما لا يفطن له الآن في الامة الا الافراد من الناس . فمن المطالب بتنبيه الامة الى طرق الثروة الطبيعية مع حفظ رقبة بلادها ، والحذر من قضاء الديون الاجنبية عليها » الخ

ثم كان المنار هو السابق لجميع الصحف ـ على ما نعتقد ـ الى التنبيه على نفوذ اليهود

الصهيونيين في جمعية الاتحاد والترقي ومافي ذلك من الخطر على الدولة حتى أنكر علينا ذلك بعض اصدقائنا المخلصين من المسلمين وغير المسلمين بمصر ورد علينا بعض اليهود في جريدة المقطم ، ولم تلبث الحقيقة ان ظهرت بعد ذلك في مجلس الامة العثمانية أولا ثم على لسان الصدر الاعظم حقي باشا الذي صرح في خطاب له بأن اليهود هم اصحاب المستقبل في هذه الدولة حتى في أمورها الادارية والعسكرية - فهذه مقدمة أولى للكلمة التي نريد أن نقولها الان

مقدمة ثانية : اننا كنا كتبنا مقالا نشر في المنار وفي بعض جرائد بيروت نبهنا فيه اخواننا العثمانيين الى المشابهة بين ما يستقبلون في هذا الطور الجديد من الحياة الذي دخلوا فيه وبين ماسبقهم اليه اخوانهم المصريون من مثله ، وهو طور حرية الاقلام والاعمال ، وذكرناهم بان يعتبروا بحال مصر ويتقوا ما استبان لهم ضرره ، ويأخذوا ما استبان لهم نفعه ، وبينا لهم ما اختبرناه بنفسنا من ضرر ومفسدة ماجرى عليه بعض اخواننا الكتاب المصريين من رمي بعضهم بعضا بخيانة الوطن وايثار مصلحة الاجانب فيه على مصلحة أهله . فتن بهذه البدعة بعض المغرورين الطائشين وغلوا فيه غلوا كبيرا حتى لم يخجل بعضهم من التصريح بأن مشروع الدعوة الى الاسلام وارشاد المسلمين الى حقيقة دينهم وما فيه من الخير لهم في دنياهم يراد به خدمة الاجانب من غير المسلمين !! فكان مثل هذا الكاتب كمثل بعض أهل الشام الذي اعتاد ان ينبز من يخالف رأيه بلقب وهابي حتى اذا كان يحدث بعض أدباء النصارى فلما خالفه قال له أنت وهابي !! فقال له ذلك الاديب بل انا مسيحي مارغبت عن ديني ! قال كلا انما انت وهابي !!

مقدمة ثالثة : الخلاف في الرأي طبيعي في البشر لا بد منه ، ونافع لا شك في نفعه ، ولو لم يكن لوجب أن يوجد بالتكلف ان لم يوجد بالطبع ، وهو ضار اذا أدى الى الشقاق والتفرق ، وان أهل العلم والفضل يتناظرون في المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فيكون أحدهم موجبا والآخر سالبا بالمواضعة والاتفاق، وان لم يسبق لهم فيها خلاف ، وانما غايتهم بيان الحقيقة بالبحث عن كل مايمكن ان يصل اليه الفكر فيها. كذلك تؤلف الاحزاب في المجالس النيابية ليؤيد

بعضهم الحكومة في سياستها وادارتها ، وينتقدها البعض الآخر فيهما ، وغرض الفريقين واحد وهو بيان المصلحة الحقيقية للبلاد . فلا يصح ان يرمى الحزب الموافق للحكومة بأنه سيء النية يريد ان يساعدها على الاستبداد بالامة ، ولا ان يرمى الحزب المخالف بأنه عدو للدولة ،

بعد هذه المقدمات أقول انه قد ساءني ما كان من خلاف جرائدنا السورية في (مشروع الاصفر) ونبز بعضهم بعضا بالألقاب ، ونزولهم الى مالا ينبغي من من الطعن والسباب ، حتى جعل بعضهم اشهر الجرائد بالاخلاص موضع الارتياب

مشروع الاصفر من المسائل الاقتصادية الجديرة بأن يختلف فيها الباحثون ولو لم يختلفوا بالفعل لحسن منهم ان يتواطئوا على الخلاف فيتكلف بعضهم استنباط كل ما يمكن ان يستنبط له من المضار ، وبعضهم استنباط كل مايمكن استنباطه من المنافع ، ثم يحكموا بعض اهل الروية والعلم في الترجيح او يدعوه الى الحكومة والرأي العام، ومناظر الانسان نظيره. فمن رمى مناظره بالخيانة وسوء النية كان طاعنا في نفسه، وموقفا لها موقف التهمة ، والتزاحم على المنفعة ،

إنني لم أعن بدرس « مشروع الاصفر » الاول لانني رأيته ينقلب بين ألسنة المبعوثين ، واقلام الصحفيين ، فتركته لهم ، ولكنني كنت أميل الى رفضه ، ورأيتهم كذلك يميلون ، ولا عنيت به بعد تنقيحه أيضا ، ولا تتبعت ما يجيئني من الجرائد التي تبحث فيه ، فانا لا أحكم فيه نفسه ، وانما أقول كلمات يصح ان تكون لمن وعاها من اسباب الحكم الصحيح فيه ، وهي

(١) ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الاموال الاوربية فيها وزمام هذه الاموال في أيدي اليهود ، وأضرب لذلك مثالا وقع بمصر وهو ان بعض الناس قال لتاجر يهودي وقد ساومه في « ساعة » إنني لا أريد ان اشتري شيئا يربح منه اليهود ، فقال اليهودي اذاً لا تشتر شيئا قط . ولاجل هذا يصانع الاتحاديون اليهود الصهيونيين وغير الصهيونيين ، فاذا كان اخواننا السوريون لا يقبلون مشروعا فيه أموال لليهود فليعلموا ان معنى هذا انهم لا يقبلون مشروعا عمرانيا كبيرا في بلادهم مطلقا ، وبعبارة اخرى لا يقبلون ان تعمر بلادهم

(٢) ان أهل بلادنا السورية بل العثمانية كلها عاجزون عن القيام بالمشروعات الكبيرة من زراعية وصناعية وتجارية لا لقلة ماهم فقط ، بل لذلك ولجهلهم بما تتوقف عليه تلك المشروعات من العلوم والفنون والاعمال الهندسية والآلية ، فهم في اشد الحاجة الى الاستعانة على تلك المشروعات بأموال الاوربيين ورجالهم ، والى الاحتكاك بهم والاشتغال معهم لاجل التعلم منهم

(٣) إن الخطر من الصيهونيين ينحصر عندي في شيء واحد وهو امتلاكهم للارض المقدسة فينبغي لكل من يقدر على حمل الحكومة العثمانية على منعهم من ذلك ان لا يألوفيه جهدا ولا يدخر سعيا .

(٤) إن الخطر من استعمل اموال الاجانب اليهود وغيرهم ينحصر عندي أيضا في أمرين أحدهما غرق الاهالي او الحكومة في الديون ، وثانيهما تمليكهم لرقبة البلاد ، بأن يكون اكثر الارض او الكثير منها لهم

(٥) اذا عدونا هذين الخطرين فلا يضرنا ان نستخدم اموال اليهود العثمانيين واموال الاجانب من اليهود وغيرهم في المشروعات التي تعمر بها بلادنا بالزراعة واستخراج المعادن وغير ذلك ، بل ذلك نافع لنا بل لا بد لنا منه الا اذا اخترنا الخراب على العمران، والفقر على الغنى ، وماذا نخاف بعد هذا ؟

انا رأينا العبرة في مصر بأعيننا : زادت ثروة هذا القطر بأموال الاوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ، وكثر فيها الاغنياء ، ولولا جراءة الفلاح المصري على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب يوازن فيه بين دخله وبين ربا الدين الذي يأخذه بغير حاجة شديدة اليه في الغالب ـ ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العامة، ولكانوا اغنى شعوب الارض . على أنهم اذا ثابوا الى رشدهم ، وعني المتعلمون منهم بالثروة والاقتصاد بعض ما يعنون بالسياسة ، فانه يمكن لهم ان يفوا ديونهم في زمن قريب، وعند ذلك يكون لهم شأن صحيح في السياسة ، أساسه القوة الحقيقية ، لا القوة الكلامية ،

فاضت أنهار الذهب الأوربي على مصر في زمن لم يكن لمصر فيه مثال سابق تقيس حالها عليه لشبهها به ، ولا منار تهتدي به في حياتها الاقتصادية ، ولكنها

انشأت تتعلم بالتجارب ونفقات علم التجارب كثيرة ، وقد ظهرت بواكر ثمرة علمها بالتوجه الى إنشاء النقابات الزراعية لوقاية الفلاحين من غوائل الربا الفاحش وحفظ ثروتهم ، وانشاء الشركات التجارية والصناعية ، انشأوا يعملون بما تعلموا من الاوربيين فكانوا في أول عملهم كالطفل الذي بدأ يتعلم المشي يمشي خطوة ويسقط ، وقد كنا كتبنا في المنار مقالات ونبذا في ذلك عنوانها (طفولية الامة)

اما العثمانيون وأخص منهم السوريين فأمامهم المثال الظاهر والمنار المضيء وهو مصر ، فليعتبروا بحالها ، ولا يقبلوا في أمثال هذه الامور كل رأي ، ولا يتبعوا فيها كل ناعق ، وليحذروا ممن يستميلون العامة اليهم بما يروج عادة في سوقهم ، وهو الانذار والتخويف واذاعة السوء ، فان الجمهور يرجح دائما خبر الشر على خبر الخير

ليس أمر مشروع الاصفر بيد الجرائد التي تراه نافعا ولا التي تراه ضارا وإنما أمرها الى مجلس الامة وحكومتها العليا ، فلتقل كل جريدة ماتشاء في بيان نفعه وضره ، من غير طعن ولا لعن ، فاذا نفذ بعد ذلك كان أهل البلاد على بصيرة من الانتفاع به والتوقي من ضرره ، واذا ردته تلك الكنائن ، وفاءت السكائن ، وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ مسألة اليمن واتفاق الحكومة مع الامام ﴾

كنا اقترحنا على الدولة قولا وكتابة أن تتفق مع الامام فتعترف له بزعامته وتقره على إمامته في قومه حسب اعتقادهم ، وترضى منه بما يقبله في مقابلة ذلك من الاعتراف بسيادة الدولة على اليمن وكونه هو نائبا لها . وبعد الاتفاق على هذين الركنين يسهل الاتفاق على كل شيء ، بل نبهنا الدولة على ماهو أعم من ذلك لتمكين سلطتها في جزيرة العرب كلها بمثل هذا الاتفاق مع أمرائها

كان من سعيي في مسألة اليمن ان اقترحت على رؤف باشا المعتمد العثماني بمصر ـ والفتنة في ريعانها والعسكر يساق الى اليمن تباعا ـ أن يخاطب حكومة الاستانة في أمر الاتفاق مع الامام بلسان البرق ، وقلت له إنني موقن بأن الامام يرضى بالاتفاق ويكره ان يحارب الدولة باختياره ، وانني أتجرأ ان أضمن ذلك بشرط ان تعترف الدولة بإمامة الامام وزعامته في قومه وعدم نزع السلاح منهم ، والامام يعاهدها على عدم الخروج عليها وعلى تأمين البلاد ، وما زالت العرب تدين بالوفاء في الجاهلية والاسلام الخ ماذكرته له . فقال ان الخطابات البرقية وغير البرقية لا تكفي للاقناع في مثل

هذه المسألة ولعلنا نتكلم فيها عند ما نذهب الى الاستانة في فصل الصيف

أما الاصول التي قررتها اللجنة التي ألفت في الباب العالي لاجل وضع النظام لاصلاح اليمن فهي على مانشر في الجرائد عشرة (١) تقسيم اليمن وعسير الى ثلاث ولايات (٢) ان يعين مشايخ القبائل حكاما اداريين أي متصرفين في الالوية وقائمقامين في الاقضية ومديرين في النواحي (٣) ان يصرف النظر عن أصول المحاكمات التي عليها العمل في الدولة هنالك ويستبدل بها محاكم شرعية تحكم في الدعاوى (٤) ان تنشأ الطرق والمعابر الكافية وتؤسس المدارس واخصها الابتدائية (٥) ان يمنح الامام يحيى رياسة اليمن الروحية (٦) أن تبتاع نسافات تحافظ على السواحل وتكون سدا دون تهريب السلاح والذخائر الحربية وان تنشأ المعاقل العسكرية اللازمة (٧) ان يعفى اليمانيون كافة من الخدمة العسكرية ويوفد من سورية وطرابلس اناس يقومون بها هناك ، أو يأخذها اناس من العربان بالاجرة (٨) ان يسمح للعربان بحمل السلاح موقتا (٩) ان تلغى الضرائب ويحصر التبغ (الدخان) لانه يسهل تهريب السلاح (١٠) ان يعين الولاة من أصحاب الفطنة والحنكة والدراية ويمنحوا السلطة الواسعة

هذه الاصول ليست فيما نرى اصلاحا كافيا لليمن ولكنها ترضي اليمانيين وتسكن نائرتهم الى أن تتمكن الدولة من ضبط السواحل ومنع السلاح ومن امتلاك أعنة الرؤساء والمشايخ بالوظائف والرواتب ، وإعداد القوة العسكرية من غير أهل البلاد لتنفيذ كل ماتريده الحكومة بالقوة . وبعد هذا يجمع السلاح من الاهالي ويحملون على كل ماتريده الحكومة منهم ومساواتهم بسائر العثمانيين . ولو كان لنا ان نقترح لاقترحنا ولكننا نتمنى ان توفق الدولة الى اختيار الولاة من الرجال الموصوفين بما ذكر في الاصل العاشر وبالديانة والاخلاص في العمل ، فعلى هذا جل المعوّل ، وما حرك الفتن هنالك في كل زمن الا أولئك الولاة الطغاة العتاة الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون

وسوف نرى ماهي المدارس التي تنشأ هناك وماذا يعلم فيها ، وما هي الطرق والمعابر التي تنشأ للعسكر وللزراعة والتجارة ، وكيف تكون المحاكم ، ونبدي رأينا في ذلك فانه هو كل حظ اليمانيين من الاصلاح العملي . وكان من مصلحتهم ومصلحة الدولة ان يدخلوا في الخدمة العسكرية ويتعلموا في بلادهم ، ويقوموا فيها بكل ماتحتاجه الحكومة من الجند في الداخل ، وينفروا اذا استنفروا لمحاربة كل عدو مهاجم ، واذا جرى الاصلاح في طريقه المستقيم وزالت مخاوف القوم وريبتهم التي غرستها في نفوسهم المظالم السابقة فانهم يطلبون ذلك من تلقاء انفسهم

اما مسألة عسير فكادت تكون أعسر من مسألة اليمن وأعقد ، واعصى على من يحلها وأبعد ، فقد عظم فيها نفوذ السيد الادريسي الروحي وارتابت فيه الدولة فحاربته ، واستعانت عليه بأمير مكة الشريف حسين المشهور بالروية والحزم والاخلاص للدولة ، فسار الى عسير بنفسه وبعض انجاله يقود جيشا مؤلفا من عسكره الخاص وعسكر الدولة النظامي فحارب الادريسي بقوتيه العسكرية والمعنوية حتى فك الحصار عن أبها عاصمة بلاد عسير وأجلى الادريسي الى عصم الجبال فامتنع فيها ، والامير أعزه الله كان أجدر من قواد الحروب بايثار الصلح والسلام ، وحفظ الدماء بالنفوذ الروحي وقوة الخطابة والبرهان ، ويقال انه كان يريد هذا وان الادريسي أبى عليه فتح باب الكلام ، وقد داوى الامير ماجرح بالاحسان الى أهل البلاد التي دخلها في عسير وانشاء المساجد والمدارس لاهلها ، ثم عاد الى الحجاز مؤيدا منصورا ، ولكن الدولة ترى ان عقدة عسير العسكرية لما تنحل

﴿ الازهر وملحقاته بعد القانون الجديد ﴾

أتممنا نشر قانون الازهر والمعاهد الدينية التابعة له في القطر المصري . وقد قامت قيامة الاحزاب لهذا القانون وقعدت ، واجتمعت وافترقت ، وصوبت وخطأت ، وارى ان المعارضين للحكومة وقد تركوا لب اللباب فلم يظهروا الاهتمام به في جرائدهم ولا في مجلس الشورى . وكان بعض أعضاء مجلس الشورى اعترضوا على جعل حق اختيار شيخ الجامع للامير وعلى انعقاد مجلس الازهر الاعلى تحت رياسته ، فأطلقت جرائد الاحزاب المعارضة على هؤلاء الاعضاء لقب الحزب الحر واحتفلوا بهم احتفال التكريم

أما لب اللباب ، والامر الجديد في هذا الباب ، الذي سكت عنه رجال هؤلاء الاحزاب ، فكان سكوتهم العجب العجاب ، فهو ان الازهر وملحقاته كانت من المدارس الحرة المستقلة في أمرها دون الحكومة الواقعة تحت سيطرة الاحتلال ، فأصبح الآن مصلحة من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها . وهذا ما كان يتقيه ويحذره الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كما صرحت به في المنار من قبل

فالمعارضون للحكومة إما ان يكونوا لم يفهموا هذا الامر الجديد العظيم وذلك منتهى الجهل والغفلة ، واما ان يكونوا قد اعتقدوا ان إصلاح التعليم الديني في البلاد لايمكن ان يكون الا بيد الحكومة لان الامة عاجزة عنه ومحتاجة الى مراقبة الاحتلال

بواسطة الحكومة حتى على شؤونها العلمية الدينية، وهذا يناقض مايقولون كل يوم، فهل عندهم من وجه ثالث فيظهروه لنا وللأمة كلها ان كانوا لخدمتها يحسنون

﴿ رأي فاضل في الانفاق النافع والمنار ﴾

جاءنا الكتاب الآتي من ذلك المحسن المستتر الذي تبرع بستة جنيهات مصرية لادارة المنار لتوزع بقيمتها نسخا منه على من تراهم أحق بها، وقد رأينا انه يود نشره ليظهر رأيه للقراء وينبههم الى القدوة الصالحة وهذا نص الخطاب

القاهرة في ٦ اغسطس سنة ١٩١١

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله وزاده هدى وتوفيقا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فارسل الى حضرتكم الجنيه الباقي من الستة جنيهات التي تخصصت للعشرة اشتراكات في مجلة المنار . ولعلي بذلك اكون جئت بمثال حسن لمسلمي هذا القطر وسائر مسلمي الاقطار الذين يبغون الانفاق حبا في الخير وتقربا من الله فلا يهتدون لسبيله القويمة وطرقه الصحيحة . فكم من أموال تنفق في النذور، وكم يضيع منها في المآتم والافراح، وكم يذهب في تشييد الحيشان والقبور، وكم يصرف في زيارة المقابر، في الاعياد والمواسم، وكم في احياء الليالي للأولياء الميتين في الموالد وغير الموالد، وكم من صدقات تعطى لغير مستحقيها وغير ذلك . انما أعني هذا الصنف من المسلمين فقط لانهم انما يفعلون ذلك اجابة لداعي الخير الذي يناديهم فيلبون نداءه في الجملة ولكن بدون ان يقفوا على كنه مايدعون اليه . ولا أعني غيرهم من المسرفين المبذرين الذين يلقون أموالهم في مهاوي اللذات والشهوات، والشرور والمضرات، ولا غير هؤلاء واولئك من البخلاء الجامدين . لعمري لو انفق عشر معشار ماينفق من هذه الاموال فيما يحييهم من الاخذ بيد المصلحين ومساعدة مايقومون به من المشروعات العامة لوجدنا بفضل الله أمة الاسلام غيرها اليوم، ولزال ما الم بها من البؤس والشقاء . لااقول هذا محاباة ولا تملقا فاني أخاطبكم مختفيا عنكم وعن الناس : بحثت فلم أجد في الدنيا دعوة الى الحق والاسلام مثل ماتقوم به مجلتكم ولا شخصا حيا وقف نفسه لخدمة الاسلام والحق والانسانية كشخصكم المحبوب . فهل آن للناس ان يعرفوا شأنكم وشأن مجلتكم ؟ الا انهم (لو) عرفوا ذلك لالتفوا حول لوائكم جميعا وكانوا لكم من الناصرين، فصبرا ان الله مع الصابرين، والعاقبة للمتقين . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

المصري

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

(مصر — الاحد سلخ شوال ١٣٢٩ — ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٢٩٠ هـ ش ١٩١١ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٩٦ : ٩٩) انَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا
فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ
اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ؟ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا
(٩٧ : ١٠٠) الَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨ : ١٠١) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * (٩٩ : ١٠٢) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي

سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً

روى البخاري عن ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانو مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله «ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم» واخرجه ابن مردويه وسمى منهم في روايته قيس بن الوليد بن المغيرة ، واباالقيس ابن الفاكه بن المغيرة والوليد بن عتبة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن سفيان . وعلي ابن أمية بن خلف . وذكر في شأنهم انهم خرجوا الى بدر فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا « غر هؤلاء دينهم » فقتلوا ببدر . واخرجه بن ابي حاتم وزاد منهم الحارث بن زمعة بن اسود والعاص بن منبه بن الحجاج . واخرج الطبراني عن ابن عباس قال كان قوم بمكة قد أسلموا فلما هاجر رسول الله (ص) كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم - الى قوله - الا المستضعفين » واخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة قد اسلموا وكانوا يخفون الاسلام فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم فقال المسلمون هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت الآية فكتبوا بها الى من بقي بمكة منهم وانه لاعذر لهم فخرجوا فلحق بهم المشركون ففتنوهم فرجعوا فنزلت « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » فكتب اليهم المسلمون بذلك فتحزنوا فنزلت « ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا » الآية فكتبوا اليهم بذلك فخرجوا فلحقوهم فنجا من نجا وقتل من قتل . واخرج ابن جرير من طرق كثيرة نحوه .
اهـ من لباب النقول

أقول هذه الآيات في الهجرة نزلت في سياق أحكام القتال لان بلاد العرب

كانت في ذلك العهد قسمين دار هجرة المسلمين ومأمنهم ودار الشرك والحرب . وكان غير المسلم في دار الاسلام حرا في دينه لا يفتن عنه وحرا في نفسه لا يمنع ان يسافر حيث شاء . وأما المسلم في دار الشرك فكان مضطهدا في دينه يفتن ويعذب لاجله ويمنع من الهجرة ان كان مستضعفا لاقوة له ولا أولياء يحمونه ، وكانت الهجرة لاجل هذا واجبة على كل من يسلم ليكون حرا في دينه آمنا في نفسه ، وليكون وليا ونصيرا للنبي (ص) والمؤمنين الذين كان الكفار يهاجمونهم المرة بعد المرة . وكان كثير منهم يكتم إيمانه ويخفي إسلامه ليتمكن من الهجرة . وفي مثل هذه الحال ينقسم الناس بالطبع الى أقسام منهم من ذكرنا ومنهم القوي الشجاع الذي يظهر إيمانه وهجرته وان عرض نفسه للمقاومة ، ومنهم من يؤثر البقاء في وطنه بين أهله لانه لضعف إيمانه يؤثر مصلحة الدنيا التي هو فيها على الدين ، ومنهم الضعيف المستضعف الذي لا يقدر على التفلت من مراقبة المشركين وظلمهم ولا يدري أية حيلة يعمل ولا أي طريق يسلك . وقد بين الله حكم من يترك الهجرة لضعف دينه وظلمه لنفسه مع قدرته عليها لو أرادها ، ومن يتركها لعجزه وقلة حيلته وظلم المشركين له فقال

﴿ ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ الخ توفى الشيء أخذه وافيا تاما ، وتوفي الملائكة للناس عبارة عن قبض أرواحهم عند الموت ، ولفظ «توفاهم» هنا يحتمل ان يكون فعلا ماضيا أي توفتهم الملائكة ، وكل من تذكير الفعل وتأنيثه جائز هنا . وعلى هذا تكون العبارة حكاية حال ماضية ، ويكون سحب حكمهم على جميع من كانت حاله مثل حالهم بطريق القياس . ويحتمل - وهو الاقرب - ان يكون فعلا مستقبلا حذفت منه إحدى التائين فيكون الحكم فيه عاما بنص الخطاب . والمعنى ان الذين تتوفاهم الملائكة بقبض أرواحهم عند انتهاء آجالهم حالة كونهم ظالمي أنفسهم بعدم اقامة دينهم وعدم نصره وتأييده ، و برضاهم بالاقامة في الذل والظلم حيث لا حرية لهم في اعمالهم الدينية ﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ أي تقول لهم الملائكة بعد توفيها لهم (وفيه الالتفات على الوجه المختار): في أي شيء

كنتم من أمر دينكم . قال في الكشاف معنى «فيم كنتم» التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا . يعني ان الاستفهام يراد به التوبيخ على شيء معلوم ، لاحقيقة الاستعلام عن شيء مجهول ، ولهذا حسن في جوابه ﴿ قالوا كنا مستضعفين في الارض ﴾ وهو اعتذار من تقصيرهم الذي وبخوا عليه بالاستضعاف أي اننا لم نستطع ان نكون في شيء يعتد به من أمر ديننا لاستضعاف الكفار لنا ، فرد الملائكة هذا العذر عليهم و ﴿ قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ وتحرروا أنفسكم من رق الذل الذي لا يليق بالمؤمن ولا هو من شأنه . أي ان استضعاف القوم لكم لم يكن هو المانع لكم من الاقامة معهم في دارهم بل كنتم قادرين على الخروج منها مهاجرين الى حيث تكونون في حرية من أمر دينكم ولم تفعلوا ﴿ فأولئك مأواهم جهنم ﴾ قيل ان هذا هو خبر « ان الذين توفاهم الملائكة » وقيل بل خبره قوله « قالوا فيم كنتم » وقيل محذوف . ومعنى الجملة سواء كانت هي الخبر أم لا ان اولئك الذين لم يكونوا على شيء يعتد به من أمر دينهم لاقامتهم بين الكفار الذين يصدونهم عن ذلك مأواهم في الآخرة نارجهنم ﴿ وساءت مصيرا ﴾ أي وقبحت جهنم مأوى ومصيرا لمن يصير اليها لان كل مافيها يسوء ولا يسر منه شيء . قيل انه توعدهم بجهنم كما يتوعد الكفار لان الهجرة للقادر كانت شرطا لصحة الاسلام ، وقيل بل كانوا من المنافقين الذين اظهروا الاسلام ولم يبطنوه . وهناك وجه آخر هو الذي يلجأ اليه في مثل هذا جمهور الفقهاء وهو ان جهنم تكون لهم مأوى موقتا على قدر تقصيرهم وما فاتهم من الفرائض في الاقامة مع الكفار تحت سلطانهم وما عساهم اقترفوا ثم من المعاصي

قال في الكشاف بعد تفسير الاية : وهذا دليل على أن الرجل اذا كان في بلد لايتمكن فيه من اقامة أمر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن إقامة الدين لاتنحصر أو علم انه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة ، حقت عليه المهاجرة . ثم ختم الكلام فيما بدعاء أبان فيه أنه إنما هاجر الى مكة فرارا بدينه ليتمكن من إقامته كما يجب

وهاك ماعندي في الآية عن درس الاستاذ الامام : ذكر تعالى في الآية السابقة فضل المجاهدين في سبيل الله على القاعدين لغير عجز فعلم ان العاجز معذور ، ومعنى سبيل الله الطريق الذي يرضيه ويقيم دينه . ثم ذكر حال قوم أخلدوا الى السكون وقعدوا عن نصر الدين بل وعن إقامته حيث هو ، وعذروا أنفسهم بأنهم في أرض الكفر حيث اضطهدهم الكافرون ومنعوهم من اقامة الحق وهم عاجزون عن مقاومتهم . ولكنهم في الحقيقة غير معذورين لانه كان يجب عليهم الهجرة الى المؤمنين الذين يعتزون بهم ، فهم بحبهم لبلادهم ، واخلادهم الى أرضهم ، وسكونهم الى أهليهم ومعارفهم ، ضعفاء في الحق لامستضعفون وهم بضعفهم هذا قد حرموا أنفسهم بترك الهجرة من خير الدنيا بعزة المؤمنين ، ومن خير الآخرة باقامة الحق ، فظلمهم لانفسهم عبارة عن تركهم العمل بالحق خوفا من الاذى وفقد الكرامة عند عشرائهم المبطلين وهذا الاعتذار هو نحو مما يعتذر به الذين جاروا أهل البدع على بدعهم في هذا العصر وفي كثير من الاعصار ، يعتذرون بأنهم يحبون الغيبة عن أنفسهم ويدارون المبطلين ، وهو عذر باطل ، فالواجب عليهم إقامة الحق مع احتمال الاذى في سبيل الله أو الهجرة الى حيث يتمكنون من إقامة دينهم ، وللفقهاء خلاف في الهجرة هل وجوبها مضى أو هو مستمر في كل زمان ؟ والمالكية على الوجوب (قال) ولا معنى عندي للخلاف في وجوب الهجرة من الارض التي يمنع فيها المؤمن من العمل بدينه ، أو يؤذى فيه ايذاء لايقدر على احتماله . وأما المقيم في دار الكافرين ولكنه لايمنع ولا يؤذى اذا هو عمل بدينه بل يمكنه أن يقيم جميع أحكامه بلا نكير فلا يجب عليه ان يهاجر وذلك كالمسلمين في بلاد الانكليز لهذا العهد بل ربما كانت الاقامة في دار الكفر (أي مع مثل هذه الحرية الدينية) سببا لظهور محاسن الاسلام واقبال الناس عليه (أي اذا كان المسلمون المقيمون ثم يعرفون حقيقة الاسلام و يبينونها للناس بالقول والعمل والاخلاق والآداب)

قال تعالى ﴿ الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ دل الوعيد في الآية السابقة مع الاستثناء في هذه الآية على أن أولئك الذين اعتذروا عن عدم اقامة دينهم وعدم الفرار به هجرة الى الله ورسوله غير صادقين في اعتذارهم فان

الاستضعاف الحقيقي عذر صحيح ولذلك استثنى أهله من الوعيد بهذه الآية ، وقرن الرجال بالنساء والولدان فيها يشعر بأن المراد بالرجال الشيوخ الضعفاء والعجزة

الذين هم كمن ذكر معهم ﴿ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾ أي قد ضاقت بهم الحيل كلها فلم يستطيعوا ركوب واحدة منها ، وعميت عليهم الطرق جميعها فلم يهتدوا طريقا منها ، إما للزمانة والمرض ، واما للفقر والجهل بمسالك الارض وأخراتها ومضايقها ، قال بعض المفسرين « بحيث لو خرجوا هلكوا » أي بركوب التعاسيف أوقلة الزاد اوعدم الراحلة . فسر بعضهم الولدان هنا بالعبيد والاماء ، وقال بعضهم بل هم الاولاد الصغار الذين لا يستطيعون ضربا في الارض وروي عن ابن عباس انه قال كنت أنا وأمي من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون الى الهجرة سبيلا ، واستشكل بأن الاولاد غير مكلفين فلا يتناولهم الوعيد فيحتاج الى استثنائهم ، واجاب في الكشاف بأنه « يجوز ان يكون المراد المراهقين منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف » أقول ويجوز ان يكونوا قد ذكروا تبعا لوالديهم ، لانهم يكلفون ان يهاجروا بهم ، فاذا كان الولدان عاجزين عن السير مع الوالدين كان من عذرهما ان يتركا الهجرة ماداما عاجزين عن حملهم معهما

﴿ فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم ﴾ والاشارة بأولئك الى من استثناهم ممن توعدهم على ترك الهجرة ، أي ان أولئك المستضعفين الذين لم يهاجروا للعجز وتقطع الاسباب والحيل وتعمية السبل يرجى ان يعفو الله عنهم ولا يؤاخذهم بالاقامة في دار الكفر . والوعد بعسى الدالة على الرجاء ، أطمعهم تعالى بالعفو ولم يجزم به للايذان بأن أمر الهجرة مضيق فيه ، وانه لابد منه ، ولو باستعمال دقائق الحيل ، والبحث عن مضايق السبل ، حتى لايخدع محب وطنه نفسه ويعد ماليس بمانع مانعا . وصرح كثير من المفسرين بأن صيغة الرجاء من الله تعالى للتحقيق والقطع ، وليس هذا الذي قالوه بالتحقيق الذي يقطع به ، وانما الرجاء فيها بالنسبة الى المخاطب وعلم الله بتحقيق الرجاء أو عدمه قطعي . وقال الاستاذ الامام : قالوا ان « عسى » في كلام الله للتحقيق ولا يصح على إطلاقه لانه يسلب الكلمة

معناها فكأنه لامحل لها . ونقول فيها ماقلناه في لعل وهو ان معناها الإعداد والتهيئة ، والمعنى انه تعالى يعدّهم ويهيؤهم لعفوه ، والنكتة في اختيار التعبير عن التحقيق بعسى الدالة على الترجي ان صح هي تعظيم أمر ترك الهجرة وتغليظ جرمه

﴿ وكان الله عفوّا غفورا ﴾ أي وكان شأن الله تعالى العفو عن المخالفات التي لها أعذار صحيحة بعدم المؤاخذة عليها ، ومغفرتها بسترها في الآخرة وعدم فضيحة صاحبها ، لانه تعالى لايكلف نفسا الا وسعها

﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ﴾ وصل هذا بما قبله للترغيب في الهجرة وتنشيط المستضعفين وتجرئتهم على استنباط الحيل لها ، لان الانسان يتهيب الامر المخالف لما اعتاده وأنس به ويتخيل فيه من المشقات والمصاعب ما لعله لا يوجد الا في خياله ، فبعد ان توعد التارك المقصر ، واطمع التارك المعذور في العفو إطماعا مبنيا على ان ذلك من شأن الله تعالى ان يفعله ، بين تعالى ان مايتصوره بعض الناس من عسر الهجرة لامحل له ، وان عسرها الى يسر ، ومن يهاجر بالفعل يجد في الارض مراغما كثيرا أي ومذهبا في الارض يرغم بسلوكه أنوف من كانوا من المستضعفين له . أو مكانا للهجرة ومأوى يصيب فيه الخير والسعة فوق النجاة من الاضطهاد والذل ، فيرغم بذلك أنوفهم ، وفيه الوعد للمهاجرين في سبيل الله بتسهيل السبل وسعة العيش . وانما تكون الهجرة في سبيل الله حقيقة اذا كان قصد المهاجر منها إرضاء الله تعالى بإقامة دينه كما يجب وكما يحب تعالى ، ونصر أهله المؤمنين ، على من يبغي عليهم من الكافرين ،

﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ﴾ المهاجر كسائر الناس عرضة للموت ولما وعد تعالى من يهاجر فيصل الى دار الهجرة بالظفر بما ينبغي من وجدان المراغم والسعة ، وعد من يموت في الطريق قبل بلوغها بأجر عظيم يضمنه عز وجل له . فمن خرج من بيته بقصد الهجرة الى الله أي حيث يرضى الله والى نصرة رسوله في حياته ، ومثلها إقامة سنته بعد وفاته ،

كان مستحقا لهذا الاجر ولو مات بعد مجاوزته عتبة الباب ولم يصب تعبا ولا مشقة ، فان نية الهجرة مع الاخلاص كافية لاستحقاقه له ، وقد أبهم هذا الاجر وجعله حقا واقعا عليه تبارك اسمه للإيذان بعظم قدره ، وتأكيد ثبوته ووجوبه ، والوجوب والوقوع يتواردان على معنى واحد ، ومنه قوله تعالى « فاذا وجبت جنوبها » أي سقطت جنوب البدن عند ماتنحر في النسك ولله تعالى ان يوجب على نفسه ماشاء وليس لغيره ان يوجب عليه شيئا اذ لاسلطان فوق سلطانه ، فاين هذا الوعد للمهاجرين في تأكيده وايجابه من وعد تاركي الهجرة لضعفهم وعجزهم من جعله محل الرجاء والطمع فقط ؟ لا يستويان (وكان الله غفورا رحيما) أي وكان شأنه الثابت له ازلا وابدا انه غفور يستر ماسبق لامثال هؤلاء المهاجرين من الذنوب بايمانهم الذي حملهم على ترك أوطانهم ومعاهد انسهم لاجل اقامة دينه واتباع سبيله ، رحيما بهم يشملهم بعطفه ويغمرهم باحسانه

هذه الايات في الهجرة نزلت في سياق واحد متصلا بعضها ببعض ، ومن شمله الوعد من المهاجرين في تلك الاثناء ضمرة بن جندب فعدوا خبر هجرته من اسباب نزول الشق الاخير من هذه الآية ، وما هو بسبب الا في اصطلاحهم الذي يتساهلون فيه باطلاق السبب كما بينا مرارا . روى ابن ابي حاتم وابو يعلى بسند جيد عن ابن عباس خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا فقال لاهله احملوني فاخرجوني من ارض المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق قبل ان يصل الى النبي (ص) فنزل الوحي « ومن يخرج من بيته مهاجرا » الآية . ومنهم ابو ضمرة اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير عن ابي ضمرة الزرقي وكان بمكة فلما نزلت « الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة » قال اني لغني واني لذو حيلة فتجهز يريد النبي (ص) فأدركه الموت بالتنعيم ، فنزلت هذه الاية « ومن يخرج من بيته » الآية . ومنهم آخرون قال السيوطي في اللباب بعد ايراد الروايتين المذكورتين آنفا : واخرج ابن جرير نحو ذلك من طرق عن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم وسمي في بعضها ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة وفي بعضها جندب بن ضمرة الجندعي وفي بعضها

الضمري وفي بعضها رجل من بني ضمرة وفي بعضها رجل من خزاعة وفي بعضها رجل من بني ليث وفي بعضها من بني كنانة وفي بعضها من بني بكر . (قال) واخرج ابن ابي حاتم وابن منده والباوردي في الصحابة عن هشام بن عروة عن ابيه ان الزبير بن العوام قال هاجر خالد بن حزام الى ارض الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات فنزلت فيه الآية . واخرج الاموي في مغازيه عن عبد الملك بن عمير قال لما بلغ اكثم بن صيفي مخرج النبي (ص) أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه قال فليأت من يبلغه عني ويبلغني عنه فانتدب له رجلان فأتيا النبي (ص) فقالا نحن رسل اكثم بن صيفي وهو يسألك من انت وما انت وبم جئت ؟ قال انا محمد بن عبدالله وانا عبدالله ورسوله ثم تلا عليهم « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية فأتيا اكثم فقالا له ذلك ، فقال أي قوم ، انه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الامر رؤسا ولا تكونوا أذنابا . فركب بعيره متوجها الى المدينة فمات في الطريق فنزلت فيه الآية . مرسل اسناده ضعيف . واخرج ابو حاتم في كتاب المعمرين من طريقين عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية قال نزلت في اكثم قيل فأين الليثي قال هذا قبل الليثي بزمان وهي خاصة عامة اه ومجموع الروايات يؤيد رأينا من انها نزلت هي وما قبلها في سياق احكام الحرب لا منفردة فطبقوها على الوقائع التي حدثت في ذلك العهد ولم تنزل لاجل واقعة معينة منه

***

(حكمة الهجرة وسبب مشروعيتها)

قد علم من هذه الآيات ومن غيرها مما نزل في الهجرة ومن الاحاديث والسنة التي جرى عليها الصدر الاول من المسلمين أن الهجرة شرعت لثلاثة أسباب أو حكم اثنان منها يتعلقان بالافراد والثالث يتعلق بالجماعة : أما الاول فهو أنه لا يجوز لمسلم ان يقيم في بلد يكون فيها ذليلا مضطهدا في حريته الدينية والشخصية فكل مسلم يكون في بلد يفتن في دينه أو يكون ممنوعا من إقامته كما يعتقد يجب عليه ان يهاجر منه الى حيث يكون حرا في تصرفه وإقامة دينه ، والا كانت اقامته معصية يترتب عليها

مالا يحصى من المعاصي ، والا جاز له الاقامة . وهذا هو الذي عناه الاستاذ الامام بما قاله عن بعض المسلمين المقيمين في بلاد الانكليز متمتعين بحريتهم الدينية

وأما الثاني فهو تلقي الدين والتفقه فيه وكان ذلك في عصر النبي (ص) خاصا بالزمن الذي كان ارسال الدعاة والمرشدين من قبله (ص) متعذرا لقوة المشركين على المسلمين وصدهم إياهم عن ذلك . ولا يجوز لمن أسلم في مكان ليس فيه علماء يعرفون أحكام الدين ان يقيم فيه بل يجب ان يهاجر الى حيث يتلقى الدين والعلم

وأما الثالث المتعلق بجماعة المسلمين فهو انه يجب على مجموع المسلمين ان تكون لهم جماعة أو دولة قوية تنشر دعوة الاسلام ، وتقيم أحكامه وحدوده ، وتحفظ بيضته ، وتحمي دعاته وأهله من بغي الباغين ، وعدوان العادين ، وظلم الظالمين ، فاذا كانت هذه الجماعة أو الدولة أو الحكومة ضعيفة يخشى عليها من إغارة الاعداء وجب على المسلمين اينما كانوا وحيثما حلوا ان يشدوا أزرها ، حتى تقوى وتقوم بما يجب عليها ، فاذا توقف ذلك على هجرة البعيد عنها اليها وجب عليه ذلك وجوبا قطعيا لاهوادة فيه ، والا كان راضيا بضعفها او معينا لاعداء الاسلام على إبطال دعوته ، وخفض كلمته ،

كانت هذه الاسباب الثلاثة متحققة قبل فتح مكة فلما فتحت قوي الاسلام على الشرك في جزيرة العرب كلها وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا والنبي صلى الله عليه وسلم يرسل الى كل جهة من يعلم أهلها شرائع الاسلام ، فزال سبب وجوب الهجرة لاجل الامن من الفتنة والقدرة على إقامة الدين ، وسبب وجوبها لاجل التفقه في الدين الانادرا ، وسبب وجوبها لتأييد جماعة المسلمين وتقويتهم ونصرهم على من كان يحاربهم لاجل دينهم . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » رواه احمد والشيخان وأكثر أصحاب السنن من حديث ابن عباس . ورووا مثله عن عائشة . ومما لامجال للخلاف فيه ان الهجرة تجب دائما بأحد الاسباب الثلاثة كما يجب السفر لاجل الجهاد اذا تحقق سببه ، وأقوى موجباته اعتداء الكفار على بلاد المسلمين واستيلاؤهم عليها

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اسئلة من البحرين ﴾

(س ٥٤ ـ ٥٩) من صاحب الامضاء

الحمد لله وحده

حضرة محترم المقام حجة الاسلام وامام المسلمين السيد محمد رشيد رضا رضي الله عنه وارضاه

سلام واحترام: يرد بجهتنا المنار ونطالع عليه فنرى فيه من آيات الارشاد لسبل الرشاد، والانصاح عن طرق الفلاح، مايشهد بفضله وفضل صاحبه اطال الله بقاءه في سلامة وعافية، ولازالت آثاره في مناره ماثلة للمسترشدين والمعتبرين، سيدي ارجوكم الاجابة عما يأتي بأوجز ما يمكن وارساله ضمن جواب ان لم ترغبوا درجه في المنار

(١) المعراج كيف كان

(٢) انقضاض الكواكب وعلته الطبيعية والتوفيق بين ذلك وبين ماورد في سورة قل أوحي وسورة والصافات

(٣) أوحي على النبي (ص) معنى القرآن فقط والنبي (ص) هو أعرب عن ذلك المعنى بهذه الالفاظ وركبها هذا التركيب أم أوحي اليه المعنى واللفظ جميعا

(٤) هل يصح حديث انزل القرآن على سبعة احرف وما معناه

(٥) هل من الممكن انشاء مؤتمر اسلامي يعود على الاسلام بفائدة في القريب العاجل واين ينبغي ان يكون

(٦) ألا تستحسنون أن تقوم جماعة الدعوة والارشاد أول مرة لفتح ناد بمكة تسميه نادي التعارف

واقبلوا سلام واحترام الداعي المخلص للمنار وصاحبه محمد صالح يوسف الختجي

الجواب عن السؤال الاول : كيف كان المعراج

لاندري كيف كان المعراج ولا نقطع فيه بشيء فانه خصوصية أكرم الله تعالى بها نبيه (ص) فأراه من آياته في عالم الغيب والشهادة ما لم ير غيره من البشر ، فان في رواياته انه صلى الله عليه وسلم رأى موسى يصلي في قبره بالكثيب الاحمر ورآه في السماء السادسة ، وفيها انه رأى في السماء آدم ونسم بنيه عن يمينه وشماله ، وصلى بالانبياء اماما ببيت المقدس ورآهم في السماء ، ورأى العصاة يعذبون في صور غير صورهم التي كانوا عليها في الدنيا ، ولم يقل أحد من المسلمين ان موسى او آدم رفع بجسده الى السماء ، فما قولك بنسم بني آدم كلهم ، ولا ان العصاة يعذبون بأجسادهم قبل يوم القيامة . وظاهر هذا ان تلك المرائي روحانية كما قال بعضهم أو منامية كما قال آخرون ، وذكرنا الفرق بينهما في الجزء الماضي ، ومنه ماورد في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم تمثل له بيت المقدس وهو بمكة فوصفه لمن سأله عنه من المنكرين .

وقد أورد على مانشرناه في الجزء الماضي اشكالان وسئلنا عن حلهما كتابة ومشافهة

(أحدهما) وهو قديم لو كان الاسراء والمعراج في المنام أو بالروح فقط لما أنكرهما أهل مكة ولما كان ذكرهما فتنة للناس . على انا قد ذكرنا في جواب (س ٤٧) حل هذا الاشكال بالايجاز، واما بيانه بالتفصيل فهو ان الفتنة هي الاختبار الذي يتميز به الايمان اليقيني من عدمه ، فالمؤمن الموقن يصدق النبي (ص) في كل مايخبر به وان كان من الامور المخالفة للعادات والمألوفات فاذا قال رأيت كذا وكذا مما هو ممكن عقلا ممتنع عادة ولم يبين له انه ذلك في اليقظة أو في المنام يتحقق الاختبار وتظهر درجة ايمانه ويكون النبي صادقا في قوله انه رأى ذلك لان فعل الرؤية البصرية والرؤيا المنامية واحد فيقال في كل منهما رأيت والادراك انما هو للروح ، والجسد آلة لا يتقيد بها الاضعفاء الارواح . ومن ذلك احاديث فتاني القبر فقد ورد انهما يبهمان السؤال فيقولان للميت : ماتقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم وادعى انه رسول الله. وقد قال تعالى (١٧ : ٦٠ وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) ووردت الروايات الصحيحة في ان هذه الاية نزلت في شأن ماراه النبي (ص) في ليلة الاسراء والمعراج . ولفظ

«الرؤيا» حقيقة فيما يرى في المنام ولذلك اضطر الى تأويل الآية من جزموا بأن الاسراء والمعراج كانا في اليقظة كما اضطروا الى تأويل رواية شريك في صحيح البخاري الدالة على أنهما كانا في المنام أو الى القول بالتعدد وبعضهم قال انها غلط . وجملة القول ان آية الاسراء التي أوردناها آنفا وحديث شريك في البخاري يدلان على أن الرؤيا المنامية هي التي كانت فتنة للناس . نعم ان الجمهور قد اولوا الآية وقالوا في الحديث ماعلمت ، واما اذا قلنا ان المعراج روحي ، وانه كان بالصفة التي يعبر عنها الصوفية بالانسلاخ كما يأتي قريبا فلا وجه لاستغراب الافتتان بخبره مع التصريح بالانسلاخ والتجرد ، وانلم يصرح به حمله الناس على انه بالروح والجسد وافتتنوا به . على ان افتتان بعض الناس واعتراضهم انما ورد في شأن الاسراء فقط ولذلك قال بعضهم ان الاسراء هو الذي كان بالجسد والروح فقط دون المعراج واختاره المازري في شرح مسلم

(الاشكال الثاني) أورده عالم مشهور من القضاة في هذه الديار قال: ان الاسراء أو المعراج الروحي لا يعد من الخوارق لان بعض الهنود الوثنيين يميتون أجسادهم موتا موقتا وتطوف أرواحهم في الارض طائفة من الزمن ثم تعود فتتصل ببدنها فيخبر صاحبها بمارأت في تلك السياحة الروحية، وقد كان الانكليز يسمعون مثل هذا عن الهنود ولا يصدقونه حتى اختبروه بأنفسهم فأنام هندي أو أمات نفسه أمام بعضهم ورأوا جسده جثة لا حراك بها ، وعلموا منه ان روحه تقصد بلدا معينا فلما عاد الى حياته المعتادة أخبر بأن روحه جاءت ذلك البلد ورأت فيه كذا وكذا .فاستخبر أولئك المختبرون بعض معارفهم في ذلك البلد عما وقع فيها في تلك المدة فوافق الجواب ماقاله الهندي.

والجواب عن هذا على تقدير صحة الرواية من وجوه (أحدها) أن الاسراء والمعراج ليسا من المعجزات التي تحدى بها النبي (ص) للاستدلال على نبوته لان الاستدلال انما يكون بما يدركه المنكرون بحواسهم ولا يشكون فيه (ثانيها) يكفي في تسمية الخارقة معجزة ان يعجز الناس عنها وان أتوا بشيء من نوعها ولا سيما اذا كان ماأتوا به دونها ، فابراء المريض من مرضه نوع واحد والفرق بين افراده عظيم فليس إبراء الارمد كابراء الاعمى ولا إبراء المزكوم كابراء المسلول، والروح التي تنسلخ من بدنها فتطوف في بقاع محدودة من الارض وترى بعض المحسوسات فيها فقط ، لا يقاس عملها بعمل الروح التي تطوف ماشاء الله ان تطوف في الارض وترى فيها أرواح الانبياء والملائكة ثم تعرج الى السماء وترى ماترى من آيات الله الكبرى كالجنة والنار وتسمع وحي الله تعالى في الملأ الاعلى

(ثالثها) ان المتكلمين يقولون ان خوارق العادات تكون لغير الانبياء وتختلف اسماؤها باختلاف احوال من تكون لهم فتكون ارهاصا ومعجزة وكرامة للانبياء الاول قبل البعثة والثاني بعدها مع التحدي والثالث بدونه، وكرامة فقط للاولياء ومعونة لمن دونهم من الصالحين واستدراجا للفساق والكفار، وفي كلامهم هذا مجال للانظار

(رابعها) ان الخوارق التي ذكروا لها هذه الاقسام انما جنسها المنطقي هو الامر المخالف للمعتاد بين جماهير الناس بحسب الاسباب العامة المعروفة التي تنشأ عنها اعمالهم، ولا ينافي ذلك عند المتكلمين ان تصدر الخارقة عن كثيرين، ولذلك جوزوا ان تكون معجزة النبي كرامة لكثير من الاولياء وذكروا وقائع في ذلك منها إبراء المرضى واحياء الموتى والمكاشفات التي لاتحصى، وجوزوا ايضا ان تصدر الخارقة عن كل أحد وميزوا بينها بالاسماء التي سمعت. ومن الناس من يرد هذا ولايقول به فقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي شيخ الصوفية الاكبر في عصره ان الخارقة لاتتعدد فان ما يتعدد لا يكون خارقا للعادة، وهذا هو المعقول لا من حيث تطبيقه على معنى الخارقة فقط بل يقال ايضا ان ما يتكرر لابد أن يكون له سبب معروف وطريقة توصل اليه كما توصل طريقة الصوفية سالكيها الى مايذكرون من الكرامات التي صارت عادة تتكرر لاصحابها وان كانت مخالفة للعادات التي عليها غيرهم، فالكشف مثلا معتاد من صنف الاولياء وانما هو خارق للعادة عند جمهور الناس، وسببه الرياضات الروحية. ولاصحاب الرياضات البدنية أعمال معتادة بينهم خارقة للعادة عند غيرهم كالمشي على الحبال وتعلقهم بها من أرجلهم وإلقاء أنفسهم من الاماكن المرتفعة وما هو أغرب من هذا

هذا وان الانسلاخ الذي ذكر عند الهنود وطواف الارواح وحدها أو باجسام من الاثير تشبه الاجساد المركبة مما نعلم منقول عن صوفية المسلمين وللشيخ محيي الدين بن عربي وقائع كثيرة فيه مذكورة في فتوحاته وفي غيرها ويذكرون لانفسهم معارج روحية، ويقول محيي الدين ان النبي (ص) عرج به الى السماء ٣٠ مرة. والله اعلم

وانما نورد هنا ماقاله ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) في الاسراء والمعراج على طريقة الصوفية لتعرف المذاهب والآراء المشهورة فيهما كلها وهذا نصه:

«واسري به الى المسجد الاقصى ثم الى سدرة المنتهى والى ماشاء الله وكل ذلك لجسده صلى الله عليه وسلم في اليقظة ولكن ذلك في موطن هو برزخ بين المثال والشهادة جامع لاحكامهما فظهر على الجسد أحكام الروح وتمثل الروح والمعاني الروحية اجساد

ولذلك بان لكل واقعة من تلك الوقائع تعبير وقد ظهر لحزقيل وموسى وغيرهما عليهما السلام نحو من تلك الوقائع وكذلك لأولياء الامة ليكون علو درجاتهم عند الله كحالهم في الرؤيا والله أعلم

«أما شق الصدر وملؤه ايمانا فحقيقته غلبة أنوار الملكية وانطفاء لهب الطبيعة وخضوعها لما يفيض عليها من عالم القدس. وأما ركوبه على البراق فحقيقته استواء نفسه النطقية على نسمته التي هي الكمال الحيواني فاستوى راكبا على البراق كما غلبت أحكام نفسه النطقية على البهيمية وتسلطت عليها. وأما اسراؤه الى المسجد الاقصى فلأنه محل ظهور شعائر الله ومتعلق همم الملاء الأعلى ومطمح انظار الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه كوة الى الملكوت. وأما ملاقاته مع الانبياء صلوات الله عليهم ومفاخرته معهم فحقيقتها اجتماعهم من حيث ارتباطهم بحظيرة القدس وظهور مااختص به من بينهم من وجوه الكمال

«وأما رقيه الى السموات سماء بعد سماء فحقيقته الانسلاخ الى مستوى الرحمن منزلة بعد منزلة ومعرفة حال الملائكة الموكلة بها ومن لحق بهم من أفاضل البشر والتدبير الذي أوحاه الله فيها والاختصام الذي يحصل في ملأها. وأما بكاء موسى فليس بحسد ولكنه مثال لفقده عموم الدعوة وبقاء كمال لم يحصله مما هو في وجهه. وأما سدرة المنتهى فشجرة الكون وترتب بعضها على بعض وانجماعها في تدبير واحد كانجماع الشجرة في الغاذية والنامية ونحوهما ولم تمثل حيوانا لان التدبير الجملي الاجمالي الشبيه للسياسة الكلي افراده وانما أشبه الاشياء به الشجرة دون الحيوان فان الحيوان فيه قوى تفصيلية والارادة فيه أصرح من سنن الطبيعة. وأما الانهار في أصلها فرحمة فائضة في الملكوت حذو الشهادة وحياة وانماء فلذلك تعين هنالك بعض الامور النافعة في الشهادة كالنيل والفرات. وأما الانوار التي غشيتها فتدليات إلهية، وتدبيرات رحمانية، تلعلعت في الشهادة حينما استعدت لها. وأما البيت المعمور فحقيقته التجلي الالهي الذي يتوجه اليه سجدات البشر وتضرعاتها تمثل بيتا على حذو ماعندهم من الكعبة وبيت المقدس، ثم اتي باناء من لبن واناء من خمر فاختار اللبن فقال جبرئيل هديت الفطرة ولو أخذت الخمر لغوت امتك فكان هو صلى الله عليه وسلم جامع أمته، ومنشأ ظهورهم، وكان اللبن اختيارهم الفطرة والخمر اختيارهم لذات الدنيا، وأمر بخمس صلوات بلسان التجوز لانها خمسون باعتبار الثواب، ثم أوضح الله مراده تدريجا ليعلم ان الحرج مدفوع وان النعمة كاملة وتمثل هذا المعنى مستندا الى موسى عليه السلام

فانه أكثر الانبياء معالجة للامة ومعرفة بسياستها » اه

(تنبيه) ذكرت في الجزء الماضي من المنار ان حديث المعراج مضطرب وعنيت بهذا اضطراب المتن . وقلما يطلقون لفظ الاضطراب ويريدون به المتن

(الجواب عن الثاني — الشهب علتها وكونها رجوما)

اختلف علماء الفلك في اصل الشهب (ويسمونها النيازك) وقد ذكر الطبيب محمد توفيق افندي صدقي بعض آرائهم فيها في مقالته التي نشرت في الجزء الثامن . ومنهم من يقول ان بعضها من مقذوفات براكين الارض تحلق في الفضاء ثم تسقط، وهذا أبعد الآراء عن الصواب وأقرب منه ان تكون من براكين الكواكب . ومنهم من يقول ان اكثرها من قطع النجوم المنكسرة وبعضها ينفصل من الكواكب الثابتة . وكل ماقيل في ذلك من رجم الظنون ، لم يصل شيء منه الى مرتبة اليقين ، الا أن لبعضها مدارا يعرف بالحساب، وسبب سقوطها هو جذب الارض لها عند دنوها منها بدخولها في فلكها . وقد بينا من قبل أن السبب مهما كان لا ينافي مايترتب على سقوطها من رجم الشياطين وتأذيهم بها وحيلولتها بينهم وبين الدنو من ملائكة السماء واستراقهم السمع منهم. وقد ثبت أن الشهب كانت كثيرة في سنة البعثة وهي تكثر كذلك كلما دنا مدارها الذي تكثر هي فيه من الارض فكان ذلك من توفيق أقدار لاقدار ، والله الموفق وكل شيء عنده بمقدار

(الجواب عن الثالث : نزول القرآن باللفظ والمعنى)

أسلوب القرآن غير أسلوب الحديث النبوي والفرق بينهما ظاهر لايخفى على قارىء من أهل هذه اللغة ولاسامع، والحديث القدسي وغير القدسي في ذلك سواء . فالقرآن معجز بأسلوبه ونظمه لايقدر النبي (ص) ولا من دونه من البشر على الاتيان بمثله. والذي نجزم به انه كان يلقى الى النبي (ص) بهذا الاسلوب والنظم فيلقيه (ص) الى الناس كما ألقاه اليه الملك حتى انه يذكر لفظ الامر الذي يخاطب هو به فيقول مثلا « قل هو الله أحد » وهو المخاطب بلفظ قل وكان الظاهر في الامتثال أن يقول ابتداء « الله أحد » ولكنه أمر أن يبلغ مايلقى اليه كما هو ، وان كان إلقاء الملك غير إلقاء البشر في كيفيته فهو مثله في حاصله ومايدرك منه ، وسنذكر ماورد في ذلك في وقت آخر

(الجواب عن الرابع : أنزل القرآن على سبعة أحرف)

الحديث رواه باللفظ الوارد في السؤال احمد والترمذي عن حذيفة وأشار

السيوطي في الجامع الصغير الى تحسينه فهو لا يصل الى درجة الصحيح ، وروي بلفظ آخر وزيادة « فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول الى غيره رغبة عنه » وهو عند الطبراني عن ابن مسعود ، ورواه عنه ايضا بزيادة أخرى وحسنوهما . وروي على ثلاثة أحرف ، وعلى عشرة أحرف، وكلاهما ضعيف . وقيل ان العدد ليس للتحديد والمعنى على أحرف متعددة

والمختار عندي في معنى الاحرف أنها اللغات العربية المختلفة في الاداء التي يعبر عنها عند كتابنا الآن باللهجات كالهمز وعدمه والامالة وعدمها والمد والقصر وصفة حرف الهجاء من ترقيق وتفخيم . فقد كان هذا مما تختلف فيه العرب حتى يعسر على من كانت الامالة لغة لهم أن يتركوها وهكذا غيرها من الحروف، فأذن الله بأن يقرأ كل قوم بحرفهم الذي اعتادوه لان ذلك لا يغير شيئا من معنى القرآن ولا من جوهر لفظه بل هو يتعلق بأعراض الكلم دون جوهره، ولا ينافي انه نزل بلغة قريش

(الجواب عن الخامس : المؤتمر الاسلامي)

يظهر لنا ان المسلمين لما يستعدوا كما يجب لعقد مؤتمر عام لاجل البحث في مصالحهم وما يرقي شؤونهم ، وقد ذكرهم بذلك العقلاء مرارا فلم يلقوا اليهم سمعا، ولا أداروا نحوهم طرفا ، ولا أمالوا عطفاً ، والذي يسبق الى ذهن كل من يبحث في هذه المسألة أن المؤتمر يجب أن يكون في مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، وهذا ما سبق الى التنبيه عليه السيد جمال الدين الافغاني وما كنا اقترحناه منذ اربع عشرة سنة ، ثم كونه الكواكبي اوسع تكوين في كتابه سجل جمعية ام القرى . وكلنا نعلم ان السلطان عبد الحميد ما كان ليرضى بعقد هذا المؤتمر في الحرمين وكذلك لا يرضى به زعماء جمعية الاتحاد والترقي الآن . وكان اسماعيل غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي تصدر في بغجه سراي (عاصمة بلاد القريم الروسية) اقترح عقد هذا المؤتمر بمصر من عدة سنين فأجاب دعوته فئة من المصريين وجعلوا للمؤتمر قانونا ونشروا الدعوة اليه في جميع الاقطار فلم يجب دعوتهم أحد . ومصر هي البلاد المتمتعة بالحرية التي يمكن ان يكون فيها المؤتمر متى تم الاستعداد له ، وتليها بلاد الهند . ونرجو ان تكون جماعة الدعوة والارشاد هي المعدة للمسلمين الى عقد مثل هذا المؤتمر بعد تأسيس شعبها في جميع الاقطار ، ويتوقف عقد المؤتمر ونجاحه على وثوق الحكومات التي

تسوس المسلمين بأنه لاعمل له الا إحياء العلم والفضيلة ، والجمع بين الدين والمدنية النزيهة ، وعدم الدخول في مآزق السياسة والتعرض لفتنها ، نعم ان من حكام المسلمين من لايرضيهم ترقي المسلمين بدينهم كما نريد ولكنهم لايشتدون في مقاومة المؤتمر إذا كان هذا هو مرادنا منه وكنا بمعزل عن السياسة فيه

(الجواب عن السادس : انشاء ناد للتعارف بمكة)

اننا نستحسن اقتراح الفاضل أشد الاستحسان ولكن انشاء الجماعة ناديا لها في مكة المكرمة أو في غيرها من البلاد يتوقف على إنشاء شعبة لها هناك تكون ضليعة بذلك فالاقتراح يعد الآن مبتسرا ، والبسر قد يصير رطبا فتمرا ، والرجا في الله عز وجل ان نجد في خيار المسلمين من المساعدة على عملنا هذا مايمهد لنا السبيل الى مافيه الخير لنا وللبشر اجمعين

***

﴿ المندل وخواص القرآن ﴾

(س ٦٠) ورد من جاوه الى مكة المكرمة وأرسل الينا منها

ماقولكم دام فضلكم في علم المندل وخواص بعض الآيات القرآنية أو السور ومنها ماذا قرأ على كف صبي دون البلوغ أوجعل وفقا وحمله الصبي يظهر له في كفه أو قدامه شخص أو أشخاص على صورة الانسان بحيث يراه الصبي دون غيره بعينه ويخاطبه ويسأله عما يريد فيخبره الشخص بمقتضى سؤاله ويأمره بأمر أراد فيه (كذا) وكذلك وجد في كتاب (الرحمة في الطب والحكمة) للعلامة السيوطي وذكر فيه لرؤية السارق عبارته فيه « لرؤية السارق يكتب على بيضة دجاجة من أول سورة الملك الى حسير ثم تدهنها بالقطران وتعطيها لصبي ثم تقرأ سورة يس والصبي ينظر اليها فانه ينظر السارق فاعرف هذا السر وصنه عن غير أهله » اه فما الحكم على هذا شرعا هل يجوز استعماله أم لا وهل يكون من قبيل السحر أو الكهانة أو من خواص الآيات القرآنية أفتونا مأجورين يوم الدين لأن هذا شيء جرب واستعمل وصح في بعض الاحيان

(ج) خلق الانسان ضعيفا ، ومن آيات ضعفه انه يفتتن بكل مالايعرف سببه ويسرع الى تصديقه قبل تمحيصه ، ولا سيما اذا لوّن بلون الدين أو جاء من ناحيته ، أو من قبل من يعدون من علمائه ،

قال علماء المنطق ان التجربة من طرق العلم اليقيني وان المجربات احدى اليقينيات الست ، ويعنون بذلك المجربات المطردة التي لاتتخلف متى استوفيت شروطها ككون الخبز مغذيا والماء مرويا وبعض الاملاح والزيوت مسهلا، ونرى جماهير الناس يجربون الشيء مرة أو مرتين تجربة ناقصة ويجعلون له حكم المجربات المطردة ويسلمون به وبكل ما كان من جنسه تسليما ، وهذا وذاك هما سبب شيوع الخرافات في الناس ، فمن فقه هذا لايثق بكل ماقيل انه جرب وصح سواء قاله المعاصرون بألسنتهم أو الميتون في كتبهم ، وان لم يكن أحد من الفريقين متهما بالكذب ، فقد ينظر صبي أو كبير في المندل أو في غير المندل كالرمل والحصا لاجل الاهتداء الى معرفة سارق أو غير سارق فيتراءى له شيء يذكره، اوشبح يصفه، ثم يظهر الواقع موافقا لذلك ولو من بعض الوجوه فيحفظه الناس لغرابته، وأما اذا ظهر الواقع مخالفا لذلك وهو الاكثر فانهم ينسون ماقيل و لا يعدونه دليلا على كون التجربة لم تثبت صحة كون المندل أو الرمل طريقا لمعرفة بعض المغيبات

إن التجربة اذا صحت ظاهرا في بعض الجزئيات دون بعض يجب البحث عن سبب ذلك . وكان يجب ان يكون أول مايخطر ببال العاقل ان قول صاحب المندل أو الرمل ان سارق كذا شاب طويل القامة واسع العينين طويل الذراعين ونحو ذلك قد يكون من التخيلات التي تتراءى عادة ، وان صدق الوصف جاء بالمصادفة والاتفاق ، لان من يقول شيئا من شأنه ان يقع مثله فان الواقع يوافقه تارة ويخالفه تارة ولا مقتضي لمخالفته دائما ، وهذا الامر المعقول هو الواقع في مدعي معرفة بعض الغيب بالمندل والرمل وما أشبههما ، يصيبون مرة ويخطئون مرارا ،فتجربتهم لاتسفر عن اثبات صحة دعواهم لمن ينظر الى مجموع وقائعهم ولكن صغار العقول يكتفون بالجزئية الواحدة او الجزئيات القليلة ويعدونها قضايا كلية مطردة

ويقول بعض المتقدمين والمتأخرين ان تجربة المتقنين للمندل وما يشبهه صحيحة وان المتقن لا يكاد يخطىء الا اذا فقد بعض شروط العمل، فاذا صح هذا القول يكون هذا الامر من الصناعات التي تعرف اسبابها وتتخذ لها عدتها ولا من الخوارق الحقيقية ، ولا من الخواص المجهولة ، وهذا هو الراجح. وينبغي حينئذ البحث عن تلك الاسباب ومعرفة حقيقة هذه الصناعة التي يقل المتقن لها حتى يؤمن غش الادعياء . وابن خلدون وغيره من الحكماء الذين أثبتوا ان لهذا اصلا صحيحا يقولون ان المدار فيه على استعداد الانفس البشرية لادراك بعض الامور الغائبة بالتوجه التام اليها ، وان

بعض النفوس أقوى استعدادا لذلك من بعض، والغلام أقوى استعدادا له من الكبير في مثل وسيلة المندل، والعصبي للمزاج أقوى استعدادا له من غيره ولاسيما من اللمفاوي. وان ماينظر فيه من الزيت أوالماء أوالكتابة أوالبيضة أوالحصا ليس مقصودا لذاته ولا تأثير له في نفسه وانما المراد منه جمع الهمة واشغال النفس عن الخواطر بحصر توجهها في شيء محسوس واحد لتنتقل منه بعد حصر همها وتوجهها فيه الى ما تريد معرفته من ذلك الامر الغائب. وهذا تعليل معقول. وقد كان هذا الامر معروفا قبل الاسلام ويوجد الآن عند المسلمين وعند غيرهم. فاذا كان المسلمون يكتبون شيئاً من القرآن الكريم فغيرهم يكتب شيئاً آخر من كتبهم الدينية أو يكتب حروفاً مفردة لامعنى لها، والمقصد منها اشغال الحس، وتوجيه النفس، ومن هذا الباب ما يدركه بعض اصحاب الامراض العصبية من الامور الغائبة وهو يؤيد نظرية ابن خلدون وامثاله، واذا كان هذا صناعة يجوز شرعا لمن أتقنها أن ينتفع بها وينفع وانما المحرم الغش الذي يفعله الدجالون الذين لا يحصى عددهم، وهو الذي قد يعد من قبيل السحر لانه خداع وتلبيس

***

﴿ العمل بالسياسة والقوانين ﴾

(س ٦١) جاء من أحد آل الشبي في مكة المكرمة وقد ورد من جاوه

ما قولكم دام فضلكم في أحكام السياسة والقوانين التي أنشأها سلطان البلد أو نائبه وأمر وألزم حكام بلده وقضاته باجرائها وتنفيذها هل يجوز لهم اطاعته وامتثاله لاطلاق قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » الخ أم كيف الحكم أفتونا مأجورين لان هذا شيء قد عم البلدان والاقطار

(ج) اذا كانت تلك الاحكام والقوانين عادلة غير مخالفة لكتاب الله وما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجب علينا أن نعمل بها اذا وضعها أولو الامر منا وهم أهل الحل والعقد مع مراعاة قواعد المعادلة والترجيح والضرورات. وان كانت جائرة مخالفة لنصوص الكتاب والسنة التي لا خلاف فيها لم تجب الطاعة فيها للاجماع على انه « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » وهذا نص حديث رواه بهذا اللفظ احمد والحاكم عن عمران والحكم بن عمرو الغفارى وصححوه. ورواه الشيخان في صحيحيهما وابو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه بلفظ

« لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » ولا يشترط أن تكون هذه القوانين موافقة لاجتهاد الفقهاء فيما أصلوه أو فرعوه برأيهم لانهم صرحوا بأن الاجتهاد من الظن ولا يقوم دليل من الكتاب والسنة ولا من العقل والحكمة على انه يجب على الناس أن يتبعوا ظن عالم غير معصوم فلا يخرجوا عنه ولو لمصلحة تطلب، أومفسدة تجتنب، ولا بغير هذا القيد. وكذلك يطاع السلطان فيما يضعه هو أو من يعهد اليه ممن يثق بهم من القوانين التي ليس فيها معصية للخالق وان لم يكونوا من أولي الامر الذين هم اهل الحل والعقد لاجل المصلحة لا عملا بالآية، ولكن اذا اجتمع أهل الحل والعقد ووضعوا غير ما وضعه السلطان وجب على السلطان أن ينفذ ما وضعوه دون ماوضعه هو لانهم هم نواب الامة وهم الذين لهم حق انتخاب الخليفة ولا يكون اماما للمسلمين الابمبايعتهم، فان خالفهم وجب على الامة تأييدهم عليه لا تأييده عليهم. وبناء على هذه القاعدة التي لاخلاف فيها عند سلف الامة لانها مأخوذة من نصوص القرآن الحكيم قال الخليفة الاول في خطبته الاولى « وليت عليكم ولست بخيركم، فاذا استقمت فأعينوني، واذا زغت فقوموني » وقال الخليفة الثاني على المنبر ايضا « من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه » وله كلام آخر في تأييد هذه القاعدة. وقال الخليفة الثالث على المنبر ايضا « أمري لامركم تبع » وقال الخليفة الرابع في أول خطبة له وكانت بعدما علمنا من الاحداث والفتن « ولئن رد اليكم أمركم انكم لسعداء واخشى ان تكونوا في فترة » وهذا مأخوذ من قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » والفتنة التي قتل فيها عثمان لم تكن بالشورى بين أولي الامر بل كانت بدسائس هاجت الرعاع. وأرز (انكمش) فيها مثله وهو إمام أولي الامر وأعلمهم وأعدلهم الى كسر بيته. وما قاله بعض الفقهاء، خدمة للمستبدين من الامراء، من وجوب طاعتهم في كل شيء خوفا من الفتنة مخالف لنص الحديث الصحيح وللاجماع على مضمونه، ولعمل الصدر الاول. وهو الذي كان السبب في إضاعة ملك المسلمين، وترك العمل بشرع الله تعالى ورسوله (ص) فالخضوع للمستبدين الظالمين، هو الذي مهد السبيل للخضوع للكافرين، ولاجل هذا كان الحكام المستبدون يضطهدون العلماء المستقلين، ويرفعون رتب المعممين المقلدين، الذين كانوا أعوانهم في كل حين، نعم ان مقاومة الامة لامراء الجور المتغلبين يجب ان يكون بالحكمة والتدبر واتقاء استشراء الفتن وانتشارها والعمل بقاعدة ارتكاب أخف الضررين

***

﴿ الفرق بين الزواج والزنا ﴾

(س ٦٢) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة الاستاذ الفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبعد نطلب من حضرتكم الاجابة على سؤالنا الآتي نشرا في مجلة (المنار) ولكم منا الشكر ومن الله الاجر !

رجل لا يرغب في الزناء ولا يمكنه ان يتزوج وليس في استطاعته ان يعصم نفسه عن النكاح فهل اذا اتفق مع بغيّ وتزوج بها في ليلته وعقدا عقدة النكاح بينهما بدون واسطة وحين يصبح يطلقها - أفهل هذا يعد زناء أم لا ؟

افيدونا على ذلك ولكم الثواب م . ع . الملاواني

(ج) كيف لا يعدهذا زناء وهو يعلم علم اليقين انه يأتي زانية كانت البارحة كما تكون غد في حجر غيره وهو لم يستبرىء رحمها ولم يعقد عليها عقداصحيحا والعقد الصحيح هو ماتعقد به رابطة الزوجية بقصد العيشة الزوجية واما اشتراط الشهود فيه وسنية إعلانه فليتميز عن السفاح الذي من شأنه ان يكون في الخفاء كالصورة التي تسأل عنها ، وانت موقن انك لاتقصد الزوجية بالكلمات التي سميتها عقدا وانما تقصد السفاح أي الاشتراك مع البغيّ في سفح ماء الشهوة . وابن انت من قوله تعالى « الزاني لاينكح الا زانية او مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » فاعتبر بهذا واعلم ياأخي ان الفرق الحقيقيّ بين الحلال والحرام والخير والشر والحق والباطل لايكون كلمة يلوكها اللسان بل الفرق أمر حقيقي يعبرعنه اللسان لأجل بيانه فلا تغش نفسك ، وتظن انك تخادع ربك ، واذا كنت تحب ان تبقى طاهرا نقيا من نتن الفاحشة فتوجه الى ربك ، وانتزع فكرة هذا التمتع من قلبك ، واشغل نفسك عنها بما يقوي إيمانك كالصيام وذكر الله تعالى بالتدبر والحضور الى ان يهيء الله لك زوجا صالحة والسلام

بحث الاجتهاد والتقليد

(تابع لما نشر في الجزء السابع عن مختصر كتاب)

« المؤمل في الرد الى الامر الاول »

لابن ابي شامة من فقهاء الشافعية في القرن السابع

(فصل) ثم ان المنصفين من اصحابنا المتصفين بالصفات المتقدمة من الاتكال على نصوص امامهم معتمدين اعتماد الائمة قبلهم على الاصلين (الكتاب والسنة) قد وقع في مصنفاتهم خلل كثير من وجهين عظيمين

(الاول) انهم يختلفون كثيرا فيا ينقلونه من نصوص الشافعي وفيما يصححونه منها وصارت لهم طرق مختلفة « خراسانية وعراقية (١) فترى هؤلاء ينقلون عن امامهم خلاف ماينقله هؤلاء ، والمرجع في ذلك كله الى امام واحد ، وكتبه مدونة مروية موجودة ، افلا كانوا يرجعون اليها وينقون تصانيفهم من كثرة اختلافهم عليها؟ واجود تصانيف اصحابنا من الكتب فيما يتعلق بنصوص الشافعي كتاب التقريب (٢) اثنى عليه أخبر المتأخرين بنصوص الشافعي وهو الامام الحافظ ابو بكر البيهقي

(الوجه الثاني) مايفعلونه في الاحاديث النبوية والآثار المروية من كثرة استدلالهم بالاحاديث الضعيفة على مايذهبون اليه نصرة لقولهم ، وينقصون من الفاظ

(١) ثم حدثت بعد المصنف الوجوه الشامية والمصرية بعد مصنفات محي الدين النووي في الشام ثم زكريا الانصاري فابن حجر الهيتمي والرملي بمصر وكل هؤلاء قد اعتمدوا على كتب النووي وقلما يخالفونه . وعمدة أهل الحجاز واليمن وحضرموت الى هذا العهد كتب ابن حجر كما ان عمدة أهل مصر والشام كتب الرملي كما كان الخراسيون يعتمدون كلام فقهاء خراسان والعراقيون كلام فقهاء العراق والمدار على الثقة بالرجال لا على الدليل والنص حتى انك لو أطلعت الحجري أو الرملي منهم على نص الشافعي المخالف لنص ابن حجر أو الرملي لنبذه واتبع ابن حجر أو الرملي

(٢) هو للشيخ قاسم القفال الشاشي قال ابن خلكان هو أجل كتب الشافعية بحيث يستغني من هو عنده عن غيره (٣) ابو المعالي امام الحرمين وابو حامد هو الغزالي

الاحاديث وتارة يزيدون فيها ، وما أكثره في كتب ابي المعالي وصاحبه ابي حامد(٣) نحو « اذا اختلف المتبايعان وترادا » ومن العجيب ماذكره صاحب المهذب في أول باب ازالة النجاسة قال : وأما الغائط فهو نجس لقوله صلى الله عليه وسلم لعمار « انما تغسل ثوبك من الغائط والبول والمني والدم والقيء » . ثم ذكر طهارة مني الآدمي ولم يتعرض للجواب عن هذا الحديث الذي هو حجة خصمه عليه في أمر آخر . ومن قبيح مايأتي به بعضهم أن يحتج بخبر ضعيف هو دليل خصمه عليه فيوردونه معرضين عما كانوا ضعفوه ففي كتاب الحاوي والشامل (١) وغيرهما شيء كثير من هذا ، وهم مقلدون للامام الشافعي فهلا اتبعوا طريقته في ترك الاحتجاج بالضعيف وتعقبه على من احتج به وتبيين ضعفه

ثم ان مذهبه ترك الاحتجاج بالمراسيل الا بشروط ، ولو ذكر سند الحديث وعرفت عدالة رجاله الى التابعي وسقط من السند ذكر الصحابي كان مرسلا . ويورد هؤلاء المصنفون هذه الاحاديث محتجين بها بلا إسناد أصلا ، فيقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون ان ذلك حجة ، وامامهم يرى انه لو سقط من السند الصحابي وحده لم يكن حجة ، وكذا لو سقط غير الصحابي من السند ، فليتهم اذ عجزوا عن أسانيد الاحاديث ومعرفة رجالها عزوها الى الكتب التي اخذوها منها ، ولكنهم لم يأخذوا تلك الاحاديث الا من كتب من سبقهم من مشايخهم ممن هو على مثال حالهم ، فبعضهم يأخذه من بعض فيقع التغيير والزيادة والنقصان فيما صح أصله ويختلط الصحيح بالسقيم ، بل الواجب في الاستدلال على الحكام ، وبيان الحلال والحرام ، ان من يستدل بحديث يذكر سنده ويتكلم عليه بما يجوز الاستدلال به او يعزوه الى كتاب مشهور من كتب أهل الحديث المعتبرة فيرجع من يطلب صحة الحديث وسقمه الى هذا الكتاب وينظر في سنده وما قال ذلك المصنف أو غيره فيه

وقد يسر الله تعالى وله الحمد الوقوف على ماثبت من الاحاديث وتجنب ماضعف منها بما جمعه علماء الحديث في كتبهم من الجوامع والمسانيد ، فالجوامع هي المرتبة على الابواب من الفقه والرقائق والمناقب وغير ذلك . فمنها ماشترط فيه الصحة اذ لايذكر فيه الا حديث صحيح على ماشرطه مصنفه ككتابي البخاري ومسلم وما ألحق بهما واستدرك عليهما ، وكصحيح إمام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة ، وكتاب ابي عيسى الترمذي وهو كتاب جليل مبين فيه الحديث الصحيح والحسن والغريب

(١) الحاوي للماوردي والشامل لابن الصباغ وهما من أعظم كتب الشافعية وأوسعها

والضعيف ، وفيه عن الائمة فقه كثير ، ثم سنن ابي داود والنسائي وابن ماجه ، ومن بعدهم سنن ابي الحسن الدارقطني والتقاسيم لابي حاتم ابن حبان وغيرهما ، ثم مارتبه وجمعه الحافظ ابو بكر البيهقي في سننه الكبير من الاوسط والصغير التي اتى بها على ترتيب مختصر المزني وقربها الى الفقهاء بجهده فلاعذر لهم ولاسيما الشافعية منهم في تجنب الاشتغال بهذه الكتب النفيسة (والكتب) المصنفة في شروحها وغريبها ، بل افنوا زمانهم وعمرهم بالنظر في اقوال من سبقهم من المتأخرين وتركوا النظر في نصوص نبيهم المعصوم من الخطأ وآثار اصحابه الذين شهدوا الوحي وعاينوا المصطفى صلى الله عليه وسلم وفهموا مراد النبي فيما خاطبهم بقرائن الاحوال اذ « ليس الخبر كالمعاينة » فلا جرم لو حرم هؤلاء رتبة الاجتهاد وبقوا مقلدين

« وقد كان العلماء في الصدر الاول معذورين في ترك مالم يقفوا عليه من الحديث لان الاحاديث لم تكن فيما بينهم مدونة انما كانت تتلقى من افواه الرجال وهم متفرقون في البلاد ، ولو كان الشافعي وجد في زمانه كتاباً في احكام السنن اكبر من الموطأ لحفظه مضافاً الى ما تلقاه من افواه مشايخه . فلهذا كان الشافعي بالعراق يقول لاحمد بن حنبل : أعلموني بالحديث الصحيح أصر اليه . وفي رواية : اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا لي حتى أذهب اليه

« ثم جمع الحفاظ الاحاديث المحتج بها في الكتب ونوعوها وقسموها وسهلوا الطريق اليها فبوبوها وترجموها (اي وضعوا لها التراجم والعناوين) وبينوا ضعف كثير منها وصحته ، وتكلموا في عدالة الرجال وجرح المجروح منهم ، وفي علل الاحاديث ، ولم يدعوا للمشتغل شيئاً يتعلل به . وفسروا القرآن والحديث وتكلموا على غريبهما وفقههما وكل مايتعلق بهما من مصنفات عديدة — فالآلات متهيئة لطالب صادق ولذي همة وذكاء وفطنة

« وأئمة الحديث هم المعتبرون القدوة في فنهم فوجب الرجوع اليهم في ذلك وعرض آراء الفقهاء على السنن والآثار الصحيحة . فما ساعده الاثر ، فهو المعتبر ، والا فلا . فلا نبطل الخبر بالرأي ولانضعفه ان كان على خلاف وجوه المضعف من علل الحديث المعروفة عند اهله ، أو باجماع الكافة على خلافه ، فقد يظهر ضعف الحديث وقد يخفى . وأقرب ما يؤمر به في ذلك انك متى رأيت حديثاً

خارجا عن دواوين الاسلام كالموطأ ومسند احمد والصحيحين وسنن ابي داود والترمذي والنسائي ونحوها مما تقدم ذكره ومما لم نذكره فانظر فيه فان كان له نظير في الصحاح والحسان قرب امره . وان رأيته يباين الاصول وارتبت به فتأمل رجال اسناده واعتبر احوالهم من الكتب المصنفة في ذلك . واصعب الاحوال أن يكون رجال الاسناد كلهم ثقات ويكون متن الحديث موضوعا عليهم أو مقلوباً أو قد جرى فيه تدليس . ولا يعرف هذا الا النقاد من علماء الحديث ، فان كنت من أهله فبها والا فاسأل عنه أهله . قال الاوزاعي : كنا نسمع الحديث فنعرضه على اصحابنا كما نعرض الدرهم الزيف فما عرفوا منه أخذناه ، وما أنكروه تركناه ،

« فالتوصل الى الاجتهاد بعد جمع السنن في الكتب المعتمدة اذا رزق الانسان الحفظ والفهم ومعرفة اللسان اسهل منه قبل ذلك ، لولا قلة همم المتأخرين ، وعدم المعتبرين

« ومن اكبر اسباب تعصبهم برفق الوقوف (١) وجود اكثر المتصدرين منهم على ماهو المعروف ، الذي هو منكر مألوف ،

**

(فصل) فاذا ظهر هذا وتقرر تبين ان التعصب لمذهب الامام المقلد ليس هو باتباع اقواله كلها كيفما كانت ، بل الجمع بينها وبين ما ثبت من الاخبار والآثار ، والامر عند المقلدين او اكثرهم بخلاف هذا انما هم يؤولونه تنزيلا على نص امامهم

« ثم الشافعيون كانوا أولى بما ذكرناه لنص امامهم على ترك قوله اذا ظفر بحديث ثابت عن رسول الله (ص) على خلافه ، فالتعصب له على الحقيقة ، انما هو امتثال امره في ذلك وسلوك طريقته في قبول الاخبار والبحث عنها والتفقه فيها ، وقد نقلت ما روي عنه في تاريخ دمشق : قال الربيع قال الشافعي « قد أعطيتك جملة تغنيك ان شاء الله تعالى لاتدع لرسول الله حديثاً ابداً الا ان يأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فتعمل بما قلت لك في الاحاديث اذا اختلفت » وفي رواية « اذا وجدتم عن رسول الله سنة خلاف قولي فخذوا بالسنة ودعوا قولي فاني

(١) قال في هامش الاصل يعني ارتفاق الاوقاف والانتفاع مما شرط على المالكية او نحوهما فتقيدهم بالارتفاق بها وحصرهم جهة الارتزاق منها اورث تعصبهم وجمودهم انتهى . يعني انه لولا تلك الاوقاف التي حبست في العصور الاولى على اصحاب هذه المذاهب لسلك جميع العلماء مسلك الائمة وسائر السلف في الاستقلال وتحكيم الكتاب والسنة

أقول بها » وفي رواية « اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله (ص) فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ماقلت » وفي رواية « كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عند أهل النقل بخلاف ماقلت فانا راجع في حياتي وبعد مماتي (١)

« قال وسمعت الشافعي يقول – وروي حديثا – قال له رجل : تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم ان عقلي قد ذهب » وأشار بيده الى رأسه – وفي رواية : روى حديثا فقال له قائل : أتأخذ به ؟ فقال له : اتراني مشركا؟ أوترى في وسطي زناراً ؟ أوتراني خارجاً من كنيسة ؟ نعم آخذ به آخذ به وذلك الفرض على كل مسلم » وقال حرملة : قال الشافعي كل ماقلت وكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني » وفي كتاب ابن ابي حاتم عن ابي ثور قال : سمعت الشافعي يقول « كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعوه مني » وفيه عن الحسين الكرابيسي قال : قال لنا الشافعي « اذا اصبتم الحجة في الطريق مطروحة فاحكوها عني فاني القائل بها » . وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : مامن أحد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ماقلت فالقول ماقال رسول الله (ص) وهو قولي » قال وجعل يردد هذا الكلام . قال وقال الشافعي « من تبع سنة رسول الله (ص) وافقته ومن غلط فتركها خالفته ، صاحبي اللازم الذي لا أفارقه (هو) الثابت عن رسول الله » وقال الزعفراني كنا لو قيل لنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي (ص) قلنا هذا مأخوذ وهذا غير مأخوذ حتى قدم علينا الشافعي فقال « ماهذا؟ اذا صح الحديث عن رسول الله فهو مأخوذ به لايترك لقول غيره » قال فنبهنا لشيء لم نعرفه . يعني نبهنا على هذا المعنى

قال ابو بكر الأثرم كنا عند البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فأخذ السكين وحكه من كتابه وجعله ضربة (٢) وقال . هكذا أوصانا صاحبنا ، اذا صح عندكم الخبر فهو قولي »

(١) المنار : في الاصل المطبوع تحريف وتقديم وتأخير في هذه القول صححناه من الكتب التي نقلته نقلا مضبوطا (٢) اي جعل التيمم ضربة واحدة يمسح بها التيمم وجهه ويديه وكان في الكتاب ضربتين واحدة للوجه وأخرى لليدين ، وحديث عمار ضربة واحدة فأصلح البويطي بها كتابه وترك قول الشافعي استاذه لحديث عمار

(قال المؤلف) قلت هذا من البويطي فعل حسن موافق للسنة ولما أمر به إمامهم وأما الذي يظهر التعصب لاقوال الشافعي كيفما كانت وان جاءت سنة بخلافها فليسوا متعصبين في الحقيقة لانهم لم يمتثلوا ما أمر به إمامهم بل دأبهم وديدنهم اذا ورد عليهم الحديث الصحيح الذي هو مذهب امامهم والذي لو وقف عليه لقال به ان يحتالوا في دفعه بما لا ينفعهم لما نقل لهم عن امامهم من قول قد أمر بتركه عند وجدان ما يخالفه من السنة هذا مع كونهم عاصين بذلك لمخالفتهم ظاهر كتاب الله وسنة رسوله. والعجب ان منهم من يجيز مخالفة نص الشافعي لنص له آخر في مسألة أخرى بخلافه ثم لايرون مخالفته لاجل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن لهم الشافعي في هذا

قال البويطي سمعت الشافعي يقول « لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها جهدا ولا بد ان يوجد فيها الخطأ لان الله تعالى يقول (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه » وفي رواية « اني الفت هذه الكتب مجتهدا - بنحو ماقبله وفي آخره - فاشهدوا عليّ أني راجع عن قولي الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كنت قد بليت في قبري »

وقال ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى القزاز قال سمعت مالكا يقول « انما انا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ومالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه » وذلك الظن بجميع الأئمة . وقد كره الامام احمد أن يكتب فتاويه وكان يقول لاتكتبوا عني شيئاً ولا تقلدوني ولاتقلدوا فلاناً وفلاناً وخذوا من حيث أخذوا » وقال بعضهم : لاتقلدوا دينكم الرجال ان آمنوا آمنتم وان كفروا كفرتم . وكان احمد لا يفتي في طلاق السكران شيئاً ويقول : ان أحللناه بقول هذا حرمناه بقول هذا . وقال نعيم بن حماد سمعت ابا عصمة يقول سمعت أبا حنيفة يقول ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وماجاء عن أصحابه اخترنا وما كان من غير ذلك فنحن رجال وهم رجال . وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة انه قال: أقلد من كان من القضاة المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادلة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم في رأيي الا ثلاثة نفر - وفي رواية - أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر : أنس بن مالك ، وابو هريرة ، وسمرة بن جندب ، فقيل له في ذلك فقال - أما أنس فاختلط في آخر عمره وكان

يستفتى (فيفتي) من عقله وأنا لاأقلد عقله ، وأما أبو هريرة كان يروي كل ماسمع من غير ان يتأمل في المعنى ومن غير ان ينظر في الناسخ والمنسوخ (١) وقال ابن المبارك : سمعت أبا حنيفة يقول : اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس واذا جاء عن أصحابه نختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم — وفي رواية قال — آخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله فان لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله آخذ بقول أصحابه ثم آخذ بقول من شئت منهم وادع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم الى قول غيرهم ، فأما اذا انتهى الامر الى ابراهيم أو الشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب - وعدّ رجالا من التابعين - فقوم اجتهدوا وأنا اجتهد كما اجتهدوا . قال سفيان الثوري لما بلغه ذلك عن ابي حنيفة . تهم رأينا لرأيهم . وكان سوى بين الصحابة والتابعين في أنهم اذا أجمعوا في مسألة على قولين لم يجز احداث قول ثالث وجوز ابوحنيفة ذلك واما ما أجمع عليه الصحابة فلا كلام في انه لا تجوز مخالفته

فقد وضح لك من اقوال الائمة انه متى جاء حديث ثابت صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فواجب المصير الى ما دل عليه الظاهر مالم يعارضه دليل آخر وهذا هو الذي لايسع احداً غيره . قال الله عز وجل (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) ثم لايجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) . فنفى سبحانه الايمان عمن لم يحكم رسوله فيما وقع التنازع فيه ولم يستسلم لقضائه . وقال عز وجل (وان تطيعوه تهتدوا) فضمن الهداية سبحانه في طاعة رسوله . ولم يضمنها في طاعة غيره . وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) واوعد على مخالفته) . فقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً)

(١) قال في (مرآة الوصول وشرحها مرقاة الاصول) من أصول الحنفية رحمهم الله في بحث حال الراوي وهو ان عرف بالرواية فان كان فقيهاً تقبل منه الرواية مطلقاً سواء وافق القياس أو خالفه وان لم يكن فقيها كأبي هريرة وانس رضي الله عنهما فترد روايته ان لم توافق الحديث الذي رواه اه بحروفه . ولابن القيم في اعلام الموقعين بحث كبير في انه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس ، ادمه اه من هامش الاصل المطبوع ، لم يشر صاحب الهامش الى سقوط سبب ترك رواية سمرة

قال يونس ابن عبد الاعلى حدثنا سفيان بن عينية عن أبي نجيح عن مجاهد قال : ليس من احد الا يؤخذ من قوله ويترك . الا النبي صلى الله عليه وسلم . وروي عن مجاهد باسناد آخر . وروي معناه عن الشعبي وكذلك روى شعبة عن الحكم بن عتيبة . وروي عن مالك بن انس وقال « الا صاحب هذا القبر » ـ واشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم اه

باب المقالات

المسألة الشرقية (*)

﴿ واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ﴾

وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، فوجفت القلوب ، وامتدت الاعناق ، وشخصت الابصار ، وعميت الانباء على الناس فهم يتساءلون : كيف اقدمت ايطالية على مفاجأة الدولة العثمانية بالعدوان واغتصاب مملكة كبيرة وهي ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي وايذانها بالحرب من غير عداء سابق ولا خلاف على شيء بني عليه هذا العدوان ؟

كيف رضيت الدول العظمى بهذا العدوان المشوه الذي هدمت به حقوق الدول ونقضت به معاهداتها ، وبطلت الثقة بكل ماعدا القوة فيها . فهي كالوحوش المفترسة ، والذئاب الضارية ، لا يصدها عن الولوغ في الدماء ، وتمزيق الاشلاء ، الا العجز فقط ؟

كيف سكتت الشعوب الاوربية لدولها على هذه السياسة الوحشية ، التي لا شائبة فيها لشيء من شرف الانسانية ؟

هل الحقوق والعهود والقوانين والعدل والرحمة والانسانية ألفاظ تلوكها الالسنة ، وترسمها الاقلام ، لاجل مخادعة الغافلين ، والتغرير بالجاهلين ، أم هي خاصة بمن يدعون

(*) ننشر في جريدة المؤيد مقالات متسلسلة تحت هذا العنوان اكتفينا منها هنا بالاولى

الانتساب الى المسيح وان كانوا أبعد الخلق عن آدابه وتعاليمه في القناعة والزهد والرحمة ومحبة الاعداء . والصفح عن المعتدين ؟

هل تقصد أوربة بالسماح لاحدى دولها الكبرى بهذا العدوان المشوه ، المخالف لما اعتاده سائر دولها من العدوان المموه ، لجعله مقدمة لاسقاط هذه الدولة الاسلامية واقتسام بلادها بعد ان اسقطن دولة المغرب الاقصى واتفقن على اقتسام دولة ايران وسمحن لروسية بانشاب براثنها في القسم الشمالي منها، وترك القسم الجنوبي لدولة انكلترة ؟

أتريد هذه الدول الاوربية المسيحية العادلة الرحيمة البريئة من الظلم والتعصب بزعمها هدم الدول الاسلامية الثلاث في سنة واحدة ؟ هذا مايتساءل به الناس

قد انهتك الستر، وانكشف القناع ، وأظهرت أوربة ما كانت تخفيه بالتمويه من قصد ازالة سلطان المسلمين من الارض والقضاء عليهم بالذل والعبودية ، وان يكونوا خدما وعبيداً لأوربة بعد أن تقتسم ما بقي من ممالكهم ، وتقطع عليهم جميع طرق العزة والقوة ، وتحرمهم الى الابد من انشاء حكومة ذاتية

كانت أوربة تتوسل الى مقصدها هذا بالبحث عن ذنوب للحكومات الاسلامية وان لم تخل من مثلها حكومة ، أو انتحال ذنوب لاحقيقة لها ، وانما أوجدتها الدسائس الاوربية ليبنى عليها مايراد منها .

ابتلي المسلمون بملوك وامراء وأعوان لهم من العلماء والزعماء حالوا بينهم وبين كل علم وعمل تعتز به أمتهم ، وتقوى به دولتهم ، فمكنوا بذلك أوربة من مقاتلهم، وفتحوا لها الثغور لاحتلال بلادهم وازالة استقلالهم ، فزال أكثرها وبقي أقلها مستقلا في الظاهر ، ولكنه تحت نفوذ أوربة في الواقع

هذه الدولة العثمانية قد اضطرها مركزها في أوربة واحتكاكها بدولها وكونها في الاصل دولة حربية الى اتخاذ جيش منظم كالجيوش الاوربية التي صار أساس قوتها العلم والصناعة والنظام لا الكثرة والشجاعة والقوة البدنية فقط . فكانت الدولة بهذا الجيش وبقليل من النظام أشد الحكومات الاسلامية بأساء، وأقواهن استقلالا، ولكن أوربة تعبث باستقلالها الداخلي ، فلا تدعها تتصرف في بلادها كما تتصرف الدول الاوربية القوية منها والضعيفة في بلادها ، بل لا يسمحن لها من التصرف بمثل مايسمحن به الولايات التي فصلنها منها وجعلنها دولا مستقلة كاليونان والبلغار والجبل الاسود . فهي تريد (مثلا) ان تزيد في المكوس (الجمارك) على مايرد الى بلادها ولا تقدر على ذلك أو ترضى جميع الدول الكبرى به

قد علم القاصي والداني ان دول أوربة تطمع في تقسيم ولايات هذه الدولة بينهن . وانهن يتربثن بذلك لتنازعهن في القسمة وخشيتهن أن تؤدي الى حرب طحون يمزق بها شمل أوربة ويسحق بعضها بعضا ، وكان بعضهن يحسب لسخط المسلمين الخاضعين لها ولهرجهم حسابا . فهذا هو السبب في عدم اتحاد دول أوربة الكبرى باسم الصليب على اقتسام بلاد الدولة العثمانية

ويلي هذه الدولة في دول الاسلام دولة ايران فدولة المغرب الاقصى . كانت أوربة تتربص بهما الدوائر وتنتظر الفرص وترى ان سلاطين هذه الدول اوأعوانهم يستعجلون الطامعين فيها بالاستيلاء عليها . لانهم يظلمون الناس ويبغون في الارض ويسوقون الناس الى اليأس من حكمهم وتوقع زواله وتوطين النفس عليه، ومتى وصلت البلاد الى هذا الحد سهل وجود أو ايجاد الفتن والحوادث فيها والتوسل بها الى احتلالها أو حمايتها أو امتلاكها – أو ماشئت من الاسماء اللغوية أو العرفية الدالة في هذا العصر على الفتح السلمي أو الحربي

كان جل التنازع في السياسة العثمانية والايرانية بين الدولتين الروسية والبريطانية حتى نجم قرن ألمانية في أوائل هذا القرن الهجري وظهرت شرة عاهلها المستوي على عرشها لهذا العهد في منازعة انكلترة فاستمال اليه السلطان عبد الحميد لحنق الانكليز على الدولة العلية وقلبوا لها ظهر المجن واتفقوا مع روسية عليها، ومهدوا السبل لتقسيمها

كانت روسية هي السابقة الى السعي في ازالة دولة العثمانيين ومحو اسمها من لوح الوجود ، وارث موقعها البحري الذي لانظير له في الارض ، لتجمع بين القوتين البرية والبحرية ، وتكون لها السيادة العليا في البرية، وكانت قاعدة السياسة الانكليزية انه يجب ان تبقى الدولة العثمانية سدا في وجه روسية وحائلا بينها وبين البحر المتوسط الذي هو قلب البحار وسيدها ، بشرط ان لاتقوى، ولا تكون دولة بحرية تخشى، وان شئت قلت « بشرط ان لاتموت ولا تحيا » فلما استقرت قدمها في مصر والسودان ، ودمر الاسطول الروسي في محاربة اليابان ، وظهر الاسطول الالماني في منتهى القوة ، وصار في سنين قليلة بعد الاسطول الانكليزي في الدرجة، تغيرت السياسة الانكليزية ، وتبع ذلك تغير سياسة أوربة كلها في المسألة الشرقية ،لان انكلترا لاتزال صاحبة النفوذ الاول في عالم السياسة

كان من سوء حظ العالم الاسلامي في مشرقه ومغربه أن انخدع في هذا الطور السياسي الجديد بتاهل الالمان فاغترت الاستانة ثم طهران ثم فاس باظهار ميله ووده

للعالم الاسلامي ورغبته في بقاء دوله مستقلة عزيزة قوية ، فكان غرورها وانخداعها ، هو الذي حمل انكلترة على التعجيل بالقضاء عليها ، ولم يغن عنها وداد عظيم الالمان الوهمي شيئا ، بل كان صوته في تحية الثلاث مئة من الملايين المسلمين نذير الشؤم وفاتحة الشقاء

المانية دولة بنيت سياستها على الاثرة والشح فهي تريد ان تربح بشرط أن لايربح منها أحد ، بل تريد كسبا بغير رأس مال ، فلاتسمح بدرهم ولا دينار ولا بجندي ولا بكرة مدفع ولا رصاصة بندقية لاجل المسلمين الذين مناهم أمبراطورها بصداقته لاجل الربح منهم ، فكان اذا كان لابد لهم أو للدولة العثمانية كبيرة دولهم من الاعتماد على صداقة دولة أوروبية فلا يشك عارف خبير بأن صداقة انكلترة، خير لهم ولدولتهم من صداقة المانية، فان انكلترة اذا أرادت أن تضر لاتقدر دولة أخرى على منع ضررها، واذا أرادت أن تمنع الدولة من اعتداء غيرها عليها فلا تقدر دولة أخرى على مثل منعها وحمايتها ، وأما النفع فلا ينبغي أن نعتمد فيه على دولة اجنبية، فمن لم ينفع نفسه لاينفعه غيره

هذا هو رأيي في الدولتين وقد صرحت به منذ سنين للبارون أو بنهايم الذي كان مندوب الامبراطور غليوم الثاني غير الرسمي بمصر اذ كان يريد أن يقنعني بضد هذا الرأي ولكن ظهرت حجتي على حجته ولم يستطع اقناعي ولا خداعي بمثل ماخدع به بعض الناس . وهذا هو رأي جميع من أعرف من اخواننا العثمانيين المعتدلين في آرائهم السياسية .

وأذكر ان احمد مختار باشا سألني عن رأيي في انكسار انكلترا في حرب الترانسفال وكانت الحرب في ريعانها : هل من مصلحتنا نحن العثمانيين أن يستمر انكسار الانكليز ويسقط نفوذهم ؟ فقلت أرى ان المصلحة في أن يقف الانكسار والغلب عند هذا الحد وان تنتصر بعده انكلترا ويبقى نفوذها في أوربة محفوظا فان سقوطها خطر على دولتنا لان من مصلحتها أن تبقى دولتنا . ومصلحة روسية في زوالنا . ولا يقف في وجهها سواها. فأهوى بيده ورأسه وقال هذا هو الرأي

كانت سياسة عبد الحميد السوءى تهدم ما كان لانكلترا من المصلحة في بقاء الدولة وتقرب بينها وبين روسية وتزيل مابينهما من الاضغان والاحقاد . فلما زال سلطانه

وجاء الدستور كانت انكلترة أول دولة رحبت بحكومتنا الجديدة وأظهرت لها الميل وأنحت على النمسة بأشد اللائمة عند ما أعلنت ضم البوسنة والهرسك الى أملاكها . وكادت وزارة كامل باشا تعيد لها سياستها الاولى معنا بأكمل مما كانت عليه، ولكن قام في وجهه اغيلمة غلطة وسلانيك وأسقطوا وزارته بارشاد اليهود الصهيونيين الالمانين وما زال الغرور بأولئك الزعماء الذين نزوا على الدولة بقوة جمعية الاتحاد والترقي وضباطها حتى أيأسوا انكلترة منا في وقت يرون فيه فرنسة وروسية وايطالية تابعات لها في السياسة، ويرون النمسة مغتصبة البوسنة والهرسك تطمع في سلانيك مركز عظمتهم ، وفيما جاوروها من مكدونية، ويرون فيه المانية تتفق مع الروسية سرا على بلاد ايران شقيقة دولتنا وجارتها ، وذلك من أكبر الاخطار علينا ، ولم يفيقوا من غرورهم حتى سمعوا صيحة ايطالية في يوم انعقاد مؤتمر جمعيتهم السنوي تقول قد آذنتكم بالحرب، واخذت منكم طرابلس بالقوة والقهر، ورأوا الدولة العلية تراجع الدول العظمى وتذكرهن بالحقوق الدولية ، والمعاهدات والانسانية، فيتصامن عن ندائها ، ويدعن ايطالية تغتصب هذه المملكة الاسلامية الواسعة من الدولة الاسلامية التي لم يبق في يدها في أفريقية الاسلامية سواها ، وقد كان معظم سواحلها الشمالية والشرقية لها

ان سكوت أوربة على هذا العدوان المشهوه الذي تتبرأ منه الاعذار، وتنكث به العهود وتنسخ القوانين، برهان واضح على أنه عدوان متفق عليه ، واذاً لايقف هذا العدوان عند طرابلس ولا سيما اذا ظهر لاوربة أن التجربة الاولى ناجحة بعجز الدولة العثمانية عن كل عمل، وعدم تأييد الامة العثمانية بجميع شعوبها التي يعتد بها لها، وعدم تهييج شعور العالم الاسلامي كله لاجلها ،

يظهر أن دول الاستعمار ولا سيما انكلترة وفرنسة يعتقدن ان العالم الاسلامي قد مات شعوره وتقطعت روابطه بما نفثت فيه أوربة من سموم الجنسية الوطنية واللغوية والقومية . ومن التعاليم الفاسدة المزعزعة لاركان الايمان ، المغرية بالنعيم والشهوات ، وقوى اعتقادها هذا عدم ظهور الغيرة والحمية الاسلامية عند العبث باستقلال دولة المغرب الاقصى ، ودولة ايران ، فتجرأن على العبث باستقلال الدولة العثمانية ، ولم يحفلن باعتقاد المسلمين انها دولة الخلافة ، وان بذهابها زوال الحكم الاسلامي من الارض ، وهو الذي يجب على كل مسلم ان يبذل ماله ونفسه في سبيله

الا فليعلم المسلمون في جميع اقطار الارض والعثمانيون أينما كانوا، وحيثما وجدوا،

أن ذهاب طرابلس الغرب غنيمة باردة يتبعه اغتصاب النمسة لسلانيك وما جاورها فاقتسام بقية ولايات مقدونية ، فوضع الولايات السورية تحت حماية الدول الكبرى ، فتجزئه بقية ولايات الدولة

لا يغرنكم انتقاد بعض جرائد أوربة لغدر ايطالية وعدوانها سواء كان صادرا عن مخادعة وخلابة، أو عن استقلال في الانتصار للمعاهدات والقوانين، أو لاجل أن لايناقض إقرارهن لايطالية ماكان من انكارهن على النمسة عند ما اغتالت البوسنة والهرسك، الجرائد في أوربة مرآة أممها وحكوماتها فاذا كانت تلك الامم والحكومات غير راضية من عدوان ايطاليا فما حل عقدتها على أوربة بعسير

امامنا شيء واحد فيما أرى وهو تأليف وزارة تثق بها أوربة واجتماع مجلس الامة في الحال وتأييده لها وازالة سيطرة أولئك الاحداث على الدولة بقوة جمعيتهم فهم مصدر هذا البلاء كله فاذا تم هذا وأمكن لهذه الوزارة أن تقنع دول الاتفاق المثلث بوجوب كف عدوان ايطالية والمحافظة على جميع أملاك الدولة فذاك والا فالخطر واقع ماله من دافع

ان عجزنا عن تأليف هذه الوزارة وليس لها مثل كامل باشا وعن تأييد المجلس لها بمعارضة أولئك الاحداث فذنب هلاكنا علينا ولا عتب لنا على أوربة . وان قدرنا على تأليفها وتأييدها وعجزت هي عن اقناع الدول بما ذكرنا علمنا ان البلاء من أوربة كلها، وانها متفقة على محو سلطتنا من الارض كلها لا من طرابلس فقط، والحكم حينئذ للطبع لا للرأي، فاذا كان قد زال منا كل شعور بالشرف وقيمة الحياة الانسانية نخلد الى الذل والعبودية والا نفعل كل ما يفعله الانسان الذي يشعر ويحس اذا يئس من الحياة الاستقلالية الشريفة وقضي عليه بالذل والعبودية فاعتبروا يا أولي الابصار

كلمات علمية عربية

(اسوقها الى المترجمين والمعربين (*))

٣

تربية جمعها ترائب Chest-bones وهي عظام الصدر في الذكر والانثى ويغلب استعمالها في موضع القلادة من الانثى ومنها قول امرىء القيس :

(ترائبها مصقولة كالسجنجل) وقد وردت هذه الكلمة في قوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق؟ خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب) والمعنى أن المني باعتبار أصله وهو الدم يخرج من شيء ممتد بين الصلب (أي فقرات الظهر في الرجل) والترائب أي عظام صدره وذلك الشيء الممتد بينهما هو الابهر (الاورطي) وهو أكبر شريان في الجسم يخرج من القلب خلف الترائب ويمتد الى آخر الصلب تقريبا ومنه تخرج عدة شرايين عظيمة ومنهما شريانان طويلان يخرجان منه بعد شرياني الكليتين وينزلان الى أسفل البطن حتى يصلا الى الخصيتين فيغذيانهما ومن دمهما يتكون المني في الخصيتين ويسميان شرياني الخصيتين أو الشريانين المنويين Spermatic Arteris فلذا قال تعالى إن المني (يخرج من بين الصلب والترائب) لانه يخرج من مكان بينهما وهو الاورطي أو الابهر وهذه الآية على هذا التفسير تعتبر من معجزات القرآن العلمية . وقال الاستاذ الامام ان الصلب كناية عن الرجل والترائب كناية عن المرأة أي من باب إطلاق الجزء وارادة الكل والمعنى على قوله رضي الله عنه أن المني يخرج من بين الرجل والمرأة اذا اجتمعا فينزل من ذكر الرجل وهو ما بينهما الى رحم الانثى فيحصل الحمل وهو قول وجيه ولكن الاول أوجه وأدق

الذرور Powder مايذر على الجروح من

(*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي - تابع لما سبق

المساحيق

تليين الطبيعة Laxation

النفطات Vesicales

الشكال للقضيب Frœnum معروف

الشال Pralysis داء يحدث من فساد الاعصاب

الشمع Wax

اللحم المشوي Roasted معروف

المشيمة للجنين Placenta

السلى Fœtal membrane غشاء الجنين

الصبغة Tincture هي اصطلاحا نوع من الخلاصة الدوئية السائلة

الصندل Sendal

الخلاف هو الصفصاف Salicis

الودك Gelatin (الجلاتين)

الهاضوم مايهضم الطعام Pepsin

الصلم قطع الاذن

الضوى Marasmus الضعف الشديد والنحافة

الطبق من امتعه البيت

العتلة معروفة

الطست معروف

عجب الذنب العصعص Coccyx

العرقوب Tendo Achillis

العذرة غشاء البكارة Hymen

المارن الانف Bridge of nose او ما صلب منه

العسم Ankylosis يبس المفاصل

العظلم النيل البقم بمعنى Aniline

التقبض Astringency

عفلت المرأة سقط رحمها

التعفن والعفونة كلمات صحيحة

الطنب أو العقب Tenden وتر العضل

احتقن بكذا والحقنة (الآلة للحقن) والحقنة (المادة التي يحتقن بها)

الحكة Prurigo مرض جلدي يحدث أكلانا شديدا

خمرة Erysipelas مرض معفن

استحم اغتسل

الحنف اعوجاج الرجل الى الداخل Talipes varus

الحشفة Glans Penis رأس الذكر

الجص الجبس

خرف يخرف فهو خرف To become delirifous

الخرء Fœces الغائط

الخزام Seton معروف

الخس Lettuce نبات

الخشخاش مايسمى أبا النوم Poppy
الوَرِك Femur فخذ الانسان
الخُضروات Vegetables
الاختلاج Ataxy اضطراب الحركة
خالله فتخلل أي صار خَلا
خلية جمعها خلايا Cells
الرمص والغمص وسخ العين
Mcibomian Secretion
الدمام حمرة تحمر بها النساء وجوههن
الوَدَج Jugular Vein وريد في العنق
الابهر Aorta أصل الشرايين وأكبرها
الابجل عرق في الرجل والاكحل في
الذراع Basilic والصافن في الفخذ
والنياط في الظهر
المرحاض المستراح
الرسغ Wrist or ankle
الرضفة قطعة من الحجارة المحماة
عملية الرقع Grafing هي وضع قطع من
الجلد بدل قطع ماتت وسقطت
الزنبق Lily نوع من الزهور
الزر Button
المسبار Probe مايجس به الجرح
الاست Anus حلقة الدبر
السرخس الذكر Filix Mas

السعوط دواء الانف
السقمونيا المحمودة Scammony نوع
راتينجي مسهل
أنبوب التصريف Drainagc Tube
وهو مايوضع لانزال المدة من الجروح
استسقاء البطن Ascites ماء ينزل به
المرض
السقي Ascitic fluid وهو السائل الذي
يوجد في البطن
السلس Incontinence نزول البول بدون
إرادة
السهك: ريح العرق الكريهة
الشب Alum
القوتياء الزرقاء هي كبريتات النحاس
الشبث هو المسمى بالعامية أبو شبت
الشثن: غلاظ الاصابع
الشرم: قطع الارنبة، انشقاق الشفة العليا
Hare-lip
الشظية Fibula أحد عظمي الساق
شحمة الاذن معروفة
الشغى عدم انتظام الاسنان
الدسام والشف Gauze هو المسمى عندنا
بالشاش
الغضروف Cartilage مالان من العظم

الغُدة Gland عضو صغير للافراز
غَرَوت الجلد أغروه أي ألصقته
الاغتصاب Rape الفسق كرها
الغضون مكاسر الجلد
الغلفة القُلفة Prepuce جلدة الذكر
الفتق Hernia عاهة معروفة
فحصت عن كذا ولا يقال فحصت كذا
القحف Vertex أعلى الرأس
الفرصة Pledget قطعة من القطن أو غيره
توضع في المهبل بالدواء
فروة الرأس أو الشوى Scalp
الفص lobe
فضخ الرأس أي كسره وأخرج مخه
فك العظم أزاله من مفصله
الفالج Hemiplegia الشلل النصفي الجانبي
وهو ينشأ نزف في المخ
القذال Occiput مؤخر الرأس
قصبة الرجل والرئة Tibia, Trachea
القص Sternum العظم الامامي للصدر
القلس Eructations رجوع الطعام
أو الشراب من المعدة الى الفم
قنيت القناة To groove
القولنج Colic المغص وهي كلمة معربة
القيح: الصديد

الزنبيل هو المقطف بلغة العامة
ا كلدم Ecchymosis
الكرسوع طرف الزند الذي يلي الخنصر
وهو الناتئ عند الرسغ
الكزبرة Coriander
الخلف ثدي ذوات الخف
كشط نحّى
الكَلَب Hydrophobia داء مميت
الكلف Chloasma تلون الجلد في الحبل
الكلية Kidney
الكاهل Dorsal
الكوع طرف الزند الذي يلي الابهام
الساعد forearm
اللثة معروفة
السمحاق Periosteum غشاء فوق العظم
يغذيه
اللصوق Plaster دواء يلصق بالجلد
الملطاء سمحاق الرأس Pericranium
اللعوق مايلعق من الدواء
اللفافة Bandage
بيمارستان Asylum وهي كلمة معربة
المرارة افراز الكبد Bilc
الدُوار Giddiness

ولد منكوسا اي خرج رجلاه قبل رأسه
نُكِسَ المريض نكسا عاوده المرض
نكأت القرحة انكأها إذا قشرتها
أنموذج يجمع على نماذج
الأنملة Terminal phalanx
النَهك Exhaustion الضعف المتناهي
النَوبة Fit
الوباء Epidemic المرض العام كالطاعون
الزرنيخ Arsenic
الوَشم Tattooing
لارق Insomnia عدم النوم
المسفرة Brush ما نيه (فُرشة)
البيض بلمرشت نصف المسلوق
الشمر Fennel
داء الثعلب Alopecia
الماء في العين Cataract وهي كدورة بلورية
الهاوُن Mortar
الاسفيداج معروف
القيفال تعريب Cephalic } عرقان
الباسليق تعريب Basilic }
الاخدعان عرقا الصدغين
استرخاء المدة Diolation تمددها
القراقر Borbovygmi صوت الامعاء

مرض Nurse
مرق اللحم Soup معروف
المارن : مالان من الانف
الماست كلمة فارسية معناها
لبن الزبادي ويسمى اللبن
الماضر بالعربية
المصارين Intestinse الامعاء
مَعِط سقط شعره
موق العين Canthus
المروخ Liniment الدهان
النـ ـى Process
الاستنثار قذف مخاط أنفه
النَخَر Necrosis وهو داء يفسد العظم
ويميته
المنديل معروف
النزف Hœmorrhage خروج الدم
والدّم نزيف أي منزوف
الناصور والناسور واحد Sinus, Fistula
الحُمر الزفت Pitch
الأنفحة والمنفحة Rennet معروفة
النقرس Gout ويسمى ايضا داء الملوك
لانه يكثر في المترفين
المدّة Pus هي القيح

النقيع Infusion ما يستخرج من الدواء
بصب الماء المغلي عليه كالشاي
الطبيخ أو المطبوخ Decoction ما يستخرج
من الدواء بغليه في الماء
النَقَه Convalescence الابلال الشفاء
المنكب Shoulder الكتف
العضد Humerus
النقي والنقو Marrow هو مخ العظم
النخاع Spinal cord

المناعة . الحصانة . وهي في الاصطلاح عدم قابلية بعض الاجسام لبعض الامراض Immunity

فهذا ما أردت نشره من الكلمات العلمية التي عثرت عليها الان والله يوفقنا لنشر غيرها في المستقبل إن شاء ، إنه سميع النداء مجيب الدعاء

الدكتور
محمد توفيق صدقي

باب المراسلة والمناظرة

﴿ حالة المسلمين في جاوه والاصلاح ﴾

لاجرم إن من إخواننا الفضلاء قراء (المنار) من يحب ان يطلع على حالتنا الحاضرة بجاوا لان وشيجة الرحم الدينية بل والطينية لما تنفصل بعد بيننا وبينهم طالما وددت أن ازيح الغشاء عن حالتنا الحاضرة حتى أصورها للقراء كما هي لولا ان العي والحصر قد ختما على في ، وكدما رأس قلمي ، فلا أستطيع أن أبدي من الامر الا قليلا

نعم قد يعتورني بعض الخواطر فاقول : مالي وللعصر يافوخي في تدوين حالة تتعثر الاقلام خجلاً من تسطيرها ، ويتلعثم اللسان تنزهاً عن شرحها ، على ان شأننا لا يخفى على من له أدنى اطلاع على شؤون الامم ، وجمودنا العريق لا ينكره من له أقل نظارة في سطح معترك الطوائف الحيوي

ما كان في الخدع من أمرنا فانه في المسجد الجامع

ومع هذا أجدني مرغماً على القول بأن حالتنا سيئة . وأراني مضطراً الى شرحها والشكوى منها بحكم العوامل التي تدفع المريض الى الانين والتأوه وشرح مرضه الى كل من يراه

ولكن منا فئام هداهم الله يحفظهم التنديد بحالتهم المحزنة ، ويغيظهم نصح الناصحين ، وإصلاح المصلحين ، وعليه فقد اصبحنا جامدين مغرورين (حشفاً وسوء كيلة)

بماذا أبتدي وعلى م أنتهي ؟ يقف بعض الجامدين هنا باهتا مندهشا أمام تلك الكلمات التي ملستها اقلام الكتاب من كل أمة على صفحات الجرائد والمجلات ، وصقلتها ألسن الخطباء على ذرى المنابر والمنصات ، حتى اصبحت والحمد لله فيهم سلوة كل كئيب ، وعكازة كل خطيب ،

هي تلك الكلمات التي يتبجح بها المتبجحون من الامم الراقية بقولهم (عصر العلم . عصر التقدم) الخ فترى الجامدين منا يحسبونها من قبيل الاماني والاحلام حتى يدفعهم حسبانهم واندهاشهم الناشئين عن جمودهم وجهلهم الى تفنيد اولئك المتبجحين وتزييف اقوالهم . ويا ليتهم قاسوا ماجهلوه وما استمحلته عقولهم من وجود معان لتلك الالفاظ - بما يشاهدونه ولا يشكون فيه مما اكتشفه العلم الحديث من العجائب التي لم يحلموا بها لاهم ولا قومهم المحرومون من اسرار الطبيعة والمنبوذون عن علوم الكون :

إن تقدم رجال الغرب وعلومهم ومدنيتهم اعظم مما نتوهم ، واضعاف ما قد نعلم ، وإننا لم نر الا النزر اليسير من بحار تلك المدنية العظيمة التي لا تحتمل تصديق مثلها عقولنا الضعيفة . ولو انعم المنصف منا بصره وأعمل فكره في هذا التقدم المادي والادبي الذي احرزته الامم الغربية ومن ضارعها ، ثم كر بصره في حالتنا الحاضرة لجزم جزماً صارماً بأنه مع صرف النظر عن كلمة الشهادتين التي فضلناهم بها لم تكن نسبة حالنا الى تقدمهم إلا كنسبة حال متوحشي نيام الى تمدننا . وعلى هذا فلا نجد مسوغا للومهم إذا هم عاملونا بمثل ما نعامل به من هم أحط منا أخلاقاً من الاهانة والاحتقار ،

مهلاً مهلاً أيها القاري ، ولا تعجل بالوثوب حفظك الله الى تفنيدي وتكذيبي فان الشواهد حاضرة ، والادلة قائمة ، ولئن آلمك قولي ففي ما نحن عليه معاشر

الحضارمة من التأخر والانحطاط ما هو أجدر بالتألم ، وأحرى بالتأسف ، وإن منا والله أقوام لا يضيرهم الهون ، ولا تستفزهم الحمية ، ولا يؤلمهم القول .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

إن لبني الغرب في هذا العصر علماً جماً ، وفكراً دقيقاً ، وادراكا عاليا ، وهمة جزلة ، واموالا طائلة ، وممالك فسيحة ، ومستعمرات ذهبية ، وإن لهم من نقع الانسانية بل والبهيمية مالا يستطيع هذا القلم الضئيل وصفه ، ولا تدرك معلوماتنا كنهه ،

ليس هذا هو موضوع القلم اليوم . ولكني وددت لو أمثل للمغرورين من قومنا بعض حال رجال أوربا فيقابلوا بينها وبين حالنا التي نظل شامخين بأنوفنا تيهاً بها وغروراً على انفسنا وزورا !!!

من آية وجهة أشرفت علينا معشر الحضارم لا تشاهد الا منظرا يصهر الفؤاد ، ويذرف العيون ويفتت الاكباد ، ويرقق قلب الشامت ،

أمور يضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها الحليم

أجل والله ، من آية وجهة ألقيت بصرك على مجموع العرب هنا تجدهم قد اجادوا في تمثيل ادوار الهمجية الغابرة ، والجهالة الفاضحة ، واحسنوا الارتطام في حمأة التوحش ، وأطربوا الشامتين بغطيطهم الناشيء عن سباتهم العميق ، بل موتهم الفظيع ، وإنه وايم الحق لينبغي لاخواننا المصريين والسوريين والحجازيين والمراكشيين وكل من الطوائف العربية أن يبعث بعضهم لبعض مسنون التعزية في اخوانهم الحضارم الذين ذهبوا ضحية الجهل ، وفريسة الغرور ، وماتوا مجاهدين في سبيل الدينار والدرهم .

أخذ الجمود من كبرائنا مأخذه ، وتمكن في نفوسهم اعتقاد أن كل جديد ضار وان العكوف على العادات القديمة انفع ما كان وما يكون ، وأن ما سبقتنا اليه رجال أوربا من الخير لا يجوز لنا فعله شرعاً . ورسخ هذا الاعتقاد في قلوبهم ، وامتزج بعقولهم وارواحهم ، حتى صدهم عن استماع الادلة النقلية ، والبراهين العقلية ، فهم بهذا خلبوا عقول العوام ، وحجروا واسع الدين ، وسدوا نجاح الاصلاح ، ودفعوا في صدر الأمة حتى قهقروها عن التقدم ، زاعمين ان التحسين والتنظيم ، وتسهيل وسائل التعليم ، مخل بالنسب الكريم ، أو الدين القويم ، ومعاذ الله ان يكونوا في هذا من الصادقين ، فان التفنن في الاصلاح شيء والدين والانساب شيآن آخران

بلغ من تعصب كبرائنا أن حظروا جعل المدارس على الطريقة الحديثة من

إقامة طاولات ومكتبات قدام التلاميذ ، توضع عليها ادواتهم وسرر يجلسون عليها ، ولوح خشبي توضح فيه مشكلات المسائل · وعدوا ذلك من المنكرات الواجب تغييرها باليد لمن قدر عليهم ، لان في هذا كما لا يخفى تشبهاً بالكفار ، ومجاراة لاصحاب النار ، بل الواجب علينا أن نتقشف مداركنا ونهين تلاميذنا فنجلسهم على قاعة المدرسة مباشرة أو بواسطة حصير في هذه البلاد الندية حتى يصابوا بمرض البيري بيري الخوف فيموتوا قريباً وننفض أيدينا منهم نفض الانامل من تراب الميت ، وحينئذ نستريح من انتظار نفعهم في المستقبل ·

كنا لما ان رأينا العجمة الجاوية تمكنت جيداً في أولاد العرب هنا حتى إن بعضهم لا يفهم لفظ الاعداد البسيطة بالعربية · ورأينا الأوربيين يدأبون في نشر لغتهم وعقائدهم الدينية بين اولاد الجاويين ويحاولون ردهم عن دينهم الاسلامي الذي ما بقوا متمسكين الا باسمه ، ورأينا أخواننا العرب جامدين سامدين لا يتألمون ولا يتكلمون ، لما رأينا كل ذلك نهضنا على ما بنا بمساعدة بعض الاخوان وفتحنا مدرسة لتعليم اللغة اجمالا فأولا يدرس فيها إتقان الالفاظ وتركيبها ثم النحو والصرف وغيرهما من الفنون العربية ويدرس أيضاً فيها الجغرافية والتاريخ الاسلامي والعقائد الاسلامية . وطرفاً من اللغة الانجليزية :

وقد باشرت التعليم العربي بنفسي فجعلت تعليم اللغة على أحسن الطرائق الناجعة الرائجة في هذا العصر وهي طريقة برليتز الاميركاني التي هي عبارة عن نظر في المحسوسات والمشاهدات ، وعلم في العمليات ، (انظر المنار م ٨ ج ٢٢ ص ٨٧) وهي أشبه شيء بطريقة تعلم الطفل لغة ابيه وامه إذ يدرس التلميذ الافعال بالاعمال كأن يحمل الكتاب ويفتحه ثم يطبقه ويقوم ويذهب الى اللوح الاسود ويمسك الطباشير بيده ثم يكتب ، وتعرض على سمعه مشاهد الحياة اليومية فيسهل عليه تأليف جمل صغيرة يتزايد كل يوم عددها بسرعة عجيبة . وهذه الطريقة هي بدون شك أحسن طريقة لتعليم اللغات فقد جربناها فوجدناها نافقة نافعة كما شاهدنا تأثيرها فينا حينما تعلمنا اللغة الانكليزية عليها ، وكما يشهد المنصفون تأثيرها أيضاً في تلاميذنا الذين يطلبون العربية عندنا على خطتها . بل قد جربت هذه الطريقة في أجمل عواصم أوربا وما برحت مدارسها تتكاثر بتلك الاصقاع حتى صارت اليوم تعد بالمئات وكلها أسفرت عن نجاح أكيد ، وارتقاء عظيم ، واقتصاد في الوقت والمال (انظر المنار) واما الذي تولى تعليم القسم الانجليزي فهو شاب من خيرة الناشئة العربية هنا وهو حضرة الاستاذ

عبد الرحمن القدسي المتخرج من مدرسة المعلمين بسنقافورة والحامل للشهادة

ولكن مع كل هذا نرى الجامدين والمتعصبين من قومنا العرب لم يرضهم فعلنا ، بل قاموا يشتموننا ويقدحون في اعراضنا ، ويصادرون نهضتنا ، وينفرون الناس عن مدرستنا ، في وقت نحن احوج الناس فيه الى مساعدتهم

حقاً أقول : ان للمنار هنا اليد الطولى في الاصلاح وترقية العقول ، واحداث هذه الحركة الفكرية في أدمغة الشبان . فقد أثر معها أيما تأثير ما غذاها به من لبان الغيرة ، وانشقها إياه من نسيم النهضة ، وقذفه اليها من المعارف ، فالمنار اليوم هو أنشودة النابتة هنا ومورد أنظارهم . اعتماداً على ما يرونه غير ما مرة على صفحاته من ضروب الذكر للحضارم بجاوه فتارة نصيحا ، ومرة موبخا ، وأخرى مثنيا ، وطورا باحثاً عن أحوالهم ، متفقداً لأمورهم ، وكل هذا مالا تفعله معهم أية جريدة أخرى ، فالنابتة بهذا لا تعد المنار الا اكبر استاذ واشفق والد .

نعم ظهرت أيضاً شبه حركة عربية بسنقافورة محصورة في بعض الافراد فأنشئت منذ زمن غير بعيد جريدتين أو ثلاث . ولكنها والحق يقال انما هي حركة عدائية قام بها عباد الاهواء والاغراض بعضهم ضد بعض ، فياليت تلك الجرائد التي نحن احوج الناس الى إرشاداتها العمومية واستنهاض الهمم الى المعالي والقيام بالمشروعات المفيدة عدلت خطتها ، ورجعت عن غيها الى ما يعود بالخير الجزيل على الحضارم وغيرهم .

ولكن من يسمع ما نقول وأنت ترى أولئك سادتنا وقادتنا اما سالكين أو عاملين مثل تلك الاعمال ولا شك ان سمعة جميع العنصر العربي هنا ستكون سيئة جداً حينما يطلع الملايو وغيرهم على جرائدنا وما ينشر فيها ، وعوائدنا وما ينجم عنها ، فرحماك اللهم رحماك ، اللهم لا تشمت بنا عدواً ولا تسيء بنا صديقا ، وأنزل صاعقة من صواعق نقمك على من قام عثرة في سبيل تقدم هذه الفئة المنكودة الحظ آمين آمين

محمد بن هاشم طاهر

مدرس العربية بفليمبغ سوماترا

(المنار) كاتب هذه الرسالة من أذكى شبان الحضرميين المقيمين في تلك الجزائر ذهنا ، وأزكاهم نفسا ، وأشدهم غيرة ، فهو يحب ان يعمل ويخذله شيوخ من قومه ، وأقوى الخاذلين للاصلاح في تلك البلاد جاها وعضداً الشيخ الهرم عثمان بن عقيل ، وقد يسوء الكاتب ان نصرح بذلك لانه من اسرته او هو عمه كما أظن ، ونحن نكره ان نذكر المفسدين في الارض بأسمائهم لولا الضرورة ،

كان المسلمون يكتبون الينا في السنة الأولى والثانية والثالثة للمنار (اي منذ ١٤ سنة) مقالات في بيان ظلم هولنده وضغطها على العرب واضطهادها لهم ويقولون ان عونها عليهم هو واحد منهم اسمه السيد عثمان بن عقيل لانها جعلته جاسوسا عليهم ومستشارا لها في أمورهم، وما كنا ننشر شيئا مما يكتبون لكراهتنا الخوض في سيئات الاشخاص ولأننا كنا نظن ان ذلك الطعن في الرجل يوشك ان يكون لهوى او غرض او منافسة ، واما الضرورة التي دعتنا الى التصريح باسمه والتحذير منه بعد ذلك فهي ما رأيناه من رسائله التي يطبعها وينشرها بين المسلمين، في التنفير من الاصلاح والمصلحين ، والخبط والخلط في أحكام الدين، وتحريم العلوم والفنون والنظام ، وشبهته أن انشاء المدارس المنتظمة وتعلم العلوم الرياضية والطبيعية من التشبه بالافرنج وهو حرام مطلقا في اجتهاده الجهلي ، وكذا يحرم عنده تعليم العلوم العربية والشرعية بطريقة جديدة وعلى هيئة حسنة كما عليه العمل في مدارس مصر والاستانة وغيرها ، كل ذلك عنده من التشبه المحرم في شرعه وليس منه تعليقه هو وسام هولندة على صدره ، وقد رسم فيه الصليب علامة على خدمته له ولاهله !! فهكذا يقتل هؤلاء الجهال المسلمين باسم الاسلام ، وقد زاد الطين بلة أن انشأ بعض انصاره جريدة في سنغافوره لمداوة الاصلاح وأهله ، والتبجح بخرافاته ودجل دجال بيروت المعروف .

كان اول من سلط عثمان بن عقيل على اغواء المسلمين ومنعهم من اسباب الترقي عدو الاسلام الدكتور (سنوك خرونية) الهولندي المنافق الذي ادعى الاسلام وسمى نفسه عبد الغفار وأقام زمنا في الازهر وذهب الى مكة فاقام فيها يتجسس على المسلمين ثم اخرج منها بدلالة وكيل فرنسة السياسي في جده ، ثم جعلته هولنده مستشارها في معاملة المسلمين فأعانه عثمان بن عقيل على ظلمهم ومنعهم من الترقي، وعلى اضطهاد العرب ، فكافأته هولنده بالمال وبوسام صليبي يفتخر بوضعه على صدره ، فهكذا يكون انصار الاسلام !! ولولا هذا المفسد وأنصاره لتقدم الحضارمة هناك في العلم والعمل واصلحوا تلك الجزائر كلها وكانوا أئمة العلم والنور والهداية فيها لما أوتوه من الذكاء النادر، ولابد ان يزيل الله هذه العقبات من طريقهم، ويصدق رجاءنا فيهم، فليعلم السيد محمد بن هاشم أن الله لا بد ان يظهر دينه كما أنزله على رسوله (ص) وان ينصر حزبه انصار كتابه وسنة رسوله (ص) على الدجالين والمنافقين ، ولتعلمن نبأه بعد حين

هذا واننا نحث محبي العلم وانصار اللغة العربية على إمداد مدرسة فليمبغ بالكتب والمال لتكون ينبوعا للترقي والاصلاح في تلك البلاد ، وقد علمنا ان جمعية نشر اللغة الانكليزية قد ساعدتها بالكتب التعليمية افلسنا نحن اولى بهذا الخير وأحوج اليه

﴿ باب الانتقاد على المنار ﴾

« في بحث اختلاف الامة »

جاء في مجلة دين ومعيشت الاسلامية التي تصدر في البلاد الروسية ما ترجمته

كنا ترجمنا في العدد ٢٧ من المجلة مقالة من مجلة المنار في حديث «اختلاف امتي رحمة» ووعدنا ببيان كون بعض الكلمات منها لا يطمئن به الخاطر فانجازاً للوعد نبين فكرنا في المسئلة : تقول المنار في آخر المقالة « ولكن لما جاء دور التقليد والتشيع والتعصب للمذاهب حلت النقمة ، وتفرقت الكلمة ، وذهب الريح والشوكة ، الى أن وصلنا الى هذه الدرجة من الضعف : ذهب ملكنا وصارت المملكة الكبيرة من ممالكنا تقع في قبضة الاجانب » يريد بقوله هذا اسناد السبب في ضعف الاسلام وكون أهله متفرقين شذر مذر الى انقسامهم الى مذهبي السنة والشيعة والمذاهب الاربعة المشهورة بسبب اختلاف الأئمة في الاحكام ، والى ان كل فرقة من اتباع الائمة الاربعة تقلد امامها . بذلك يسند الغيب اليهم . هذا الفكر خطأ من المنار على ما نظن ، والسبب في ضعف العالم الاسلامي وصيرورته الى تلك الحال هو كون المسلمين مغلوبين أمام خصلتين من أقبح الخصال في الشريعة الاسلامية واتصافهم بهما . الاولى منهما الحمية الجاهلية أعني بها الاهتمام بالقومية والجنسية العربية والتركية والفارسية والهندية والتتارية والجركسية وأمثالها وتقديم كل قوم وملة حفظ قوميتهم ومليتهم على حفظ الوحدة الاسلامية ، والقرآن يقول (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آية لعلكم تهتدون)

(وهنا فسر معنى الآية بالتتارية ثم قال) معلوم عند كل من يطلع على كتب التفاسير والتواريخ ان العرب قبل مجيء الاسلام كانت قبائل وطوائف كل واحدة منها عدوة للاخرى تعيش بالقتل والنهب « وبعبارة أخرى . كانوا يمضون الاوقات بالقتل والنهب » وبعد مجيء الاسلام تركوا العداوة فيما بينهم واتحدوا وتآخوا حتى اضطربت أطراف الارض بقوتهم وشوكتهم ، واذا أسلم اناس من اي ملة كانوا عدهم العرب اخوانا لهم ، وكذلك الذين اسلموا . بسبب هذا الاتحاد والتآخي لم يبق بين المسلمين نزعة للعصبية العربية ولا الرومية ولا الفارسية ولا غيرها من القوميات

والجنسيات وعاش المسلمون كلهم كما يعيش الاخوان مع أخوتهم .

الزمان لا يدوم على حال واحدة بل لا بد من التقلب من حال الى حال فالفرس الذين ذهبت الدولة من أيديهم بشوكة الاسلام كانوا مسلمين كسائر الناس ولكن البعض منهم لا سيما الذين لم تذهب لذة الامارة من أفواههم لم يهضموا في نفوسهم رياسة العرب الذين كانوا قبل الاسلام غير معدودين من البشر على اعتقادهم . فارادوا إلقاء الفتن بين المسلمين ومن ورائه حفظ قوميتهم ومنصب الرأسة في ملتهم بأي طريق كان . هكذا أخذوا يعملون بالحمية الجاهلية .

للوصول الى تلك الاماني ألقوا الفتنة أولا بين العرب واخذوا يفضلون طائفة منهم ويستخفون بالآخرين . فبهذه الكيفية حملوا العرب أنفسهم على زرع بذور التفرقة بينهم الممنوعة بالآيات القرآنية المار ذكرها . وللايهام بحسن أعمالهم ومشروعيتها اظهروها في روح الدين . دعوا الناس الى لعن الخلفاء الاولين وتكفيرهم لأنهم غصبوا الخلافة من علي كرم الله وجهه وكانت من حقه .

وهذه الاعمال منهم انما يريدون بها سترة حميتهم الجاهلية وابداءها في صورة حسنة كشيء مشروع في أعين الناس واصل الخلاف ليس هناك . هم في الحقيقة لا يرون كون الخلافة في علي كما لا يرون كونها في ابي بكر أو عمر ، بل تلك الاعمال منهم كما قلنا إلقاء للفتنة بين العرب والأمل باختطاف شيء من الرياسة لهم اثناء الفتن . بناء على ذلك ما كان ذلك الاختلاف بعد مجيء دور التشيع كما قال صاحب المنار بل كان موجودا قبل التشيع ولكن ظهر في الميدان صباغ التشيع لتقوية ذلك الاختلاف فقط .

أما تقليد الأئمة الاربعة فليس له أدنى مناسبة لذلك الاختلاف. والدليل على ذلك انه لم يوجد في وقت من الاوقات فتن تجر الى الحرب بسبب الاختلاف في الحنفية والشافعية أو المالكية والحنبلية . لا ترى حربا من الحروب الاسلامية إلا وتجد سببها الأول ترجيح القومية والملية ، على الوحدة الاسلامية ، وجعل محلها في الاهمية فوق محل الوحدة الاسلامية ، واذا قلنا بلسان العرب فهو الحمية الجاهلية ، والاثبات ذلك يكفي النظر في حال تركيا الآن : فتنة في اليمن ، وعصيان في الدروز ، وشق عصا الطاعة في الألبان ، كل تلك الاضطرابات ليس سببها الاختلاف في كون بعضهم مسلما اوغير مسلم ، أو في كون بعضهم شافعيا او حنفيا . بل السبب في الشكل تلك القومية والملية .

كنا ذكرنا في أول المقالة خصلتين وقلنا انهما السبب في وصول العالم الاسلامي الى تلك الدرجة من الضعف . الخصلة الاولى قد بيناها ، وأما الثانية فهي حب الرياسة . كون تلك الخصلة من الاخلاق الذميمة في الشريعة الاسلامية مبين بالتفصيل في كتب الاخلاق فلا حاجة هنا الى البيان من تلك الجهة . كل قوم يريدون رياسة قومهم على الآخرين دون غيرهم ولا يتجنب في ذلك أي عمل يمكن مجيئه من يديه . وكذلك كل فرد من افراد القوم يريد أن يترأس في قومه دون غيره وهذه الخصلة شائعة جدا بين الجهلاء ولا سيما بين غير المدنيين في ديار القزاق والباشقرط ، فهم يجتهدون في نيل منصب بواس وأسترشينه « كلاهما منصب حاكم في درجة واحدة » حتى تجر الامر في بعض الاوقات الى الجناية كل ذلك امام العيون . شيوع حب الرياسة بين افراد قوم لا شك في كونه يجلب اضرار جسيمة على القوم وذلك حقيقة ثابتة بتجارب عديدة . نيل شخص غير منتظر الظهور في الميدان على منصب الرياسة وقت تخاصم اثنين فيها يصادف كثيراً جدا ولا يكون نصيب المتخاصمين فيها الا إضاعة الوقت وصرف القوى . كذلك الدولة المتشكلة من الاقوام الكثيرين إذا شاع في ابنائها حب الرياسة او تطاول كل قوم الى اتخاذ رئيس فيما بينهم فلاشك في سريان الضعف الى تلك الدولة من جميع أطرافها ، وتلك حقيقة ثابتة بتجارب عديدة ومعروف الشكل من يطالع كتب التواريخ . ولا حاجة الى مراجعة كثير من الكتب ليعرف ، بل يكفي قليل من التفكر في أسباب دخول ممالك الهند المتشكلة من الأقوام العديدة مقدارهم ثلاثمائة مليون او زيادة في قبضة الانكليز وعددهم ثلاثون مليونا فقط .

الاقوام والقبائل في الهند كانوا لا يتحملون رياسة الاقوام الآخرين من جيرانهم وكانت الحروب الدموية لا تنقطع فيما بينهم في نصب رئيس من انفسهم دون الاقوام الآخرين . ففي ذلك الوقت جاءتهم الانكليز وقالت لهم « اتركوا الحرب فيما بينكم ولا تقاتلوا من غير جدوي ، كلكم لا تصلحون للرياسة أبدا ، ولنجرب نحن أمر الرياسة عليكم » حتى أخذوا جميع الهند في ايديهم الصغيرة من غير مشقة او بمشقة قليلة ، وصاروا رؤساء عليها يحكمون . فالسبب في استسلام هؤلاء الاقوام الذين لا يعد عددهم ولا يحصى الى الانكليز وهم عدة ملايين ليس اختلافهم في الحنفية والشافعية

او النسبية او الشعبية . بل السبب من غير شك خصلة حب الرياسة المذمومة الممزوجة بالاختلاف في القومية والملية .

نظن ان صاحب المنار المحترم لاشك يعرف اكثر مناسبب دخول الانكليز مصر التي ولد فيها وتربى في قبضة الانكليز ، السبب في ذلك من غير شك ليس اختلافهم في الحنفية أو الشافعية لان المصريين كلهم شافعيو المذهب الا القليل اليسير ، بل السبب فيها أيضاً تلك الخصلة الذميمة خصلة حب الرياسة . وبعد ذلك لاحاجة بنا الى قراءة تواريخ تونس أو الاندلس . فنحن ما عرفنا كيف نؤول كلام رشيد رضا افندي المحترم حيث يقول : السبب في دخول ممالك الاسلام في يد الاجانب التقليد والتشيع. والحال ان تلك الاسباب المار ذكرها في الميدان أمام كل الناس . لذلك قلنا ان هذا الفكر خطأ من المنار ، وما قلنا ذلك الا تأدبا والا ما يعوزنا الكلام لمقابلة تلك الكلمات من المنار ، لان المذاهب الاربعة قد تووزنت «أو توقلت» عن الاولين الى الآخرين منذ عشر قرون أو اكثر قرناً بعد قرن ، وما قال أحد في قرن من القرون لاسيا العلماء بعدم لزوم تلك المذاهب بل عدوها عين الرحمة كما يقول الحديث اه

﴿ رد المنار ﴾

المسائل الاجتماعية والسياسية التي يبحث فيها عن أحوال الامم وطبائعها واسباب ترقيها وتدليها وحياتها وموتها هي أعلى وارقى وأعوص مسائل العلوم البشرية كلها ، ولا سيما اذا كان فهمها يتوقف على معرفة الباحث دين الامة التي يبحث عن أحوالها وفقه أصوله والاستقاء من ينبوعه الأول كالأمة الاسلامية

والمناظرة في هذه المسائل أصعب من المناظرة في سائر العلوم والفنون لأسباب منها أن كل أحد يظن انه يعرف حقها وباطلها وقل من يعرف ذلك ، ومنها ان تحرير محل النزاع عسير ولا سيما بالكتابة في لغتين او لغة واحدة يتفاوت المتناظران في فهمها، فلهذا وذاك نرى أن مناظرة رصيفتنا الغراء (مجلة دين ومعيشت) لنا في هذه المسألة من المشكلات ، لان ما يترجم لنا عنها أهل لسانها من التتار الذين يطلبون العلم عندنا يدلنا على أن محرريها لايفهمون كلامنا حق الفهم ، بل نراها تخطىء فيه خطأ تسند الينا به مالم يخطر لنا على بال ، وقد كتبت هي أيضا في عبارة ترجمت لنا عنها ان الترجمة كانت خطأ . وهنا تقول اننا جعلنا التقليد والتشيع هو سبب استيلاء الاجانب على بلاد الاسلام ، ويظهر انها فهمت انه هو السبب المباشر لهذا المسبب ، وقد اخطأت

في هذا الفهم كما اخطأت في جزمها بأننا ولدنا في مصر وتربينا في قبضة الانكليز وفي قولها ان مصر وقعت في قبضة الانكليز بسبب حب الرياسة . ومع هذا كله لا بد أن نكتب في هذه المسألة المهمة (اسباب اختلاف المسلمين وضعفهم واستيلاء الاجانب عليهم) ما ترجى فائدته في التفاهم بيننا وفي إيقاظ امتنا من نومها ، او تنبيهها من غفلتها عن نفسها ، فنقول

(١) ان لضعفنا الذي كان سبب استيلاء الاجانب علينا اسبابا كثيرة من أطال النظر في بعضها دون بعض يمكنه ان يطيل القول في جعله هو السبب دون غيره فيكون خطأه في الحصر فقط ، ويكون هذا الخطأ فاحشا اذا كان السبب المحصور فيه من الاسباب الفرعية غير الرئيسية ، كحب الرياسة الذي عدته رفيقتنا ركنا واصلا في ضعفنا وذهاب ملكنا ، وهو خلق عام في البشر فلو كان مقتضيا للضعف بذاته لما وجدت دولة قوية ، واننا نذكر من الأسباب التي يمكن للمرء أن يطيل في بيان كونها المضعفة للامة خلق الحسد الذي يغري محبي الرياسة بالبغي على من يسبقهم الى ما تصبو اليه نفوسهم او يرونها أحق به ممن ناله دونهم ، فالذي يظهر لنا ان عليا كرم الله وجهه كان يرى انه أحق الناس بامامة هذه الامة بعد نبيها (ص) ولكنه لم يبغ على من سبقه الى ذلك كما بغى عليه معاوية ، ولا خلاف في كون خروج معاوية على امير المؤمنين هو الصدمة الاولى التي أصابت الاسلام فكانت علة العلل لكل ماجاء بعدها من اسباب الضعف ، فلك ان تقول أن ذلك البغي علته الحسد لان من لا يحسد صاحب النعمة لا يبغي عليه ولذلك ورد في الحديث « واذا حسدت فلا تبغ » رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة بسند ضعيف ورسته عن الحسن مرسلا . والحسد كما يقع بين الافراد يقع بين الامم واهل الملل كما ورد في تفسير « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » الآية انها نزلت في حسد اليهود للعرب ان بعث نبي آخر الزمان منهم ، وعلى هذا يمكنك ان تقول ان الحروب التي وقعت بين الشعوب الاسلامية كان سببها الحسد

(ومنها) - أي اسباب ضعف المسلمين عدم وضع نظام سياسي للخلافة وشكل الحكومة تكفله الأمة وهذا ما يرجحه اكثر الباحثين في السياسة اليوم

(ومنها) انهم لم يوفقوا الى تأليف جند دائم بنظام يكفل طاعته لأولي الامر كالنظام المعروف اليوم

(ومنها) وهو أعمها الجهل بعلم الاجتماع والسياسة والفنون التي عليها مدار القوة وهو الذي ازال ممالكنا في هذا القرن وما قبله لا التعصب الجنسي ولا حب الرياسة ،

وسبب هذا الجهل جمودنا على التقليد الذى اضعف عقولنا لعدم الاستقلال في استعمالها، واضعف رابطتنا الدينية ووحدتنا العامة

ومنها غير ذلك من الاسباب الاجتماعية والسياسية والدينية التي بحثنا فيها من قبل وبحث غيرنا من الناس كثيراً، وناهيك بما جمع من تلك الابحاث في سجل جمعية أم القرى وغرضنا من هذه الامثلة إن نبين ان ما بيناه من ضرر اختلاف الامـة في دينها وتفرقها الى مذاهب وكونه من اسباب ضعفها لا ينافي ما جاء في مجلة (دين ومعيشت) من ضرر العصبية الجنسية وحب الرياسة وكونهما من أسباب ضعف المسلمين ، ونحن لم نحصر جميع الحروب والفتن بين المسلمين في الاختلاف والتقليد كما حصرها أصحـاب تلك المجلة في التعصب للجنسية والقومية (وهم يعبرون عن ذلك بالملية كالترك والفرس فقد استعملوا الملة بغير معناها الشرعي واللغوي) وفي حب الرياسة .

(٢) أخطأت اختنا مجلة دين ومعيشت فيما ذكرته من الشواهد التي استدلت بها على ما ذهبت اليه . أخطأت في قولها ان الخلاف الضار والتقليد حدث في الامة قبل التشيع والصواب ان التشيع حدث في القرن الأول ، وأخطأت في قولها ان العصبية الجنسية هي التي كانت سبب الحروب بين المسلمين في القرون الأولى وأنه لم يكن للتشيع والمذاهب أدنى تأثير فيها ، والصواب ان سم العصبية الجنسية والقومية لم يسر في المسلمين في تلك القرون سريانا قويا يؤثر فيها . وقد كنا بينـا ما فعله زنادقة الفرس بسائق هذه العصبية من الافساد في الاسلام ومحاولة رد أهله عنه وازلة ملكه ، وكونهم ألبسوا ذلك لباس الدين وبثوه في شيعة علي وابنائه آل بيت الرسول عليهم السلام ، التي تفضلهم على بني أمية الباغين الجائرين ، وكانت هذه الشيعة مؤلفة من خيار المؤمنين ، فسرى بعد ذلك الى عامتها الغافلة ، بعض دسائس أولئك الزنادقة ، وما أحدثوا من تعـاليم الباطنية الكفرية ، ولـكن المسلمين الصادقين من العرب والعجم لم يفطنوا لدسيستهم ، وظلت اخوة الاسلام جامعة بينهـم ، لا يستثقل عربي امارة عجمي ولا مشيخته ، ولا عجمي إمارة عربي ولا مشيخته ، وكانوا كلهم يتعاونون على نقد ما وضعه الزنادقة من الأحاديث وما بثوه من البدع وروجوه بزعمهم انه مذهب شيعة آل البيت الطاهرين وقد كانت الحروب والفتن التي اثارها الباطنية من القرامطة والاسماعيلية وغيرهم تشب نيرانها باختلاف التـعاليم الدينية لا باختلاف الجنسية والقومية . والعبيديون ما استولوا على مصر واسسوا ملكهم باسم الجنسية بل باسم المذهب ، وما ازال ملكهم صلاح الدين الأيوبي بالعصبية الجنسية

والقومية بل بعصبية المذهب ، ولم يكن احد من العرب يكره حكم نور الدين التركي ، ولا صلاح الدين الـكردي ، ولا يخطر في باله أنه من غير قومه ، بل لا يزال العرب يعدونهما خير خلف للخلفاء الراشدين

نعم ان فتنة العصبية الجنسية الجاهلية قد أضرت بالدولة العثمانية كما بينا ذلك مرارا بالقد المر ومع هذا نقول على علم وخبر إن عرب اليمن وحوران لم يقاتلوا الدولة ولم يعصوها لاختلاف الجنس والعنصر ، فاما أهل اليمن فهم يدافعون الدولة ويحاربونها عند ما تحاربهم لاختلاف المذهب ولظلم رجال الدولة وافسادهم هنالك كما اعترف كتاب الترك بذلك في جرائدهم في اثناء الفتنة الاخيرة في هذا العام ، ولم يكن اليمانيون هم البادئين في الحرب الاخيرة بل كان الامام يطلب الاتفاق مع الدولة . ومذهب الزيدية الذين جل تلك الحروب معهم وجوب الخروج على اهل الجور وقتالهم ، واما دروز حوران فهم على كونهم من الباطنية لم يعصوا الدولة لانها تركية وهم عرب ، والقتال بينهم وبين العرب الخلص المجاورين لهم مستمر ، وانما تحرشت بهم الحكومة لتستريح من شقاوتهم وكثر اعتدائهم على من حولهم ، ولم يكن تحرشها بهم من حسن الادارة في شيء اذ كان يمكن إخضاعهم بحسن السياسة كما يعرف الخبيرون من رجال الدولة ، وكذلك اخطأت في تلك الفعلة الشنعاء في الـكرك .

إنني أرى تأثير الاسلام في ازالة عصبية العرب القومية لا يزال أقوى من تأثيره في ازالة عصبية غيرهم من المسلمين، فاهل جزيرة العرب الذين يروا من الدولة خيرا قط وأنما رأوا منها الغارات الشعواء ،وسفك الدماء ، يودون لو يفدونها بأرواحهم ويتمنون لو توفق الى ادارة بلادهم باقامة حكم الشرع فيها ، مع كونهم لم يتعودوا الخضوع لسلطة غريب عنهم ، فهم من أعرق اهـل الارض في الاستقلال ، ولو كان أهل اليمن يكرهون سلطة الترك لاجل العصبية الجنسية لخرجوا عليهم في هذا الوقت الذي لا تستطيع الدولة أن ترسل فيه اليهم جندا ، ولـكنهم في هذا الوقت عرضوا أنفسهم واستعدوا لبذل أرواحهم في الحرب مع الدولة ونعم ما فعلوا ، كما يبذل عرب طرابلس الغرب ارواحهم ليظلوا تابعين لهذه الدولة التي لم يروا منها خيرا قط ، وما ذلك الا لأن رابطة الاسلام فيهم اقوى من رابطة الجنسية والقومية .

نعم ان الارنؤط يطلبون ما يطلبون باسم العصبية القومية وما ألجأهم الي ذلك الا سوء سياسة المتفرنجين في الاستانة الذين يحاولون تتريكهم بالقوة القاهرة ، ولو جروا معهم على سنة الاسلام لما كان للعصبية الجنسية أثر يذكر فيهم

(٣) أخطأت رصيفتنا ايضا فيما اشارت اليه من سبب احتلال الانكليز لمصر كما اخطأت في قولها عن صاحب المنار انه ولد في مصر وتربى فيها ، كما قلنا في أول هذا الرد ، ونزيد هنا ان زمن وجودنا بمصر هو اربع عشرة سنة كعمر المنار ويزيد أشهرا . وانه لم تكن العصبية الجنسية ولا حب الرياسة سبب دخول الانكليز في مصر وانما سببه سوء ادارة اسماعيل باشا وضعف توفيق باشا ، فالاول اغرق البلاد بالديون وجعل انكلترة وفرنسة رقيبتين على حكومته ، حتى أدى ذلك الى خلعه ، والثاني أحدث حركة عسكرية ليتخلص بها من وزارة رياض باشا ولم يستطع تسكينها فاستعان بالانكليز عليها ، وليس هذا محل شرح ذلك ، افرأيتم أيها الرصفاء كيف تبنون احكامكم على اسس من الرمل لا تمسك بناء ولا تحقق رجاء

وبعد هذه الاشارة الوجيزة والتذكرة المختصرة ، أقول انني صرحت في الكلام على ذلك الحديث بعد بيان انه لا يصح بأن أهون الاختلاف الامة اختلاف السلف في فهم أحكام الدين ومنهم علماء الامصار كائمة الفقه المشهورين أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وغيرهم (رحمهم الله تعالى ورضي عنهم) وقلت ان مثل هذا الاختلاف طبيعي لا ضرر فيه ، ثم بنيت ان ضرر الاختلاف في الدين قد نجم في دور التشيع والتعصب وكان من اسباب ضعف الأمة الذي فرق شملها حتى صارت الى ما نحن فيه ، ولم اقل ان الضعف وزوال الممالك لا سبب له إلا الاختلاف والتشيع ، على ان من يقول هذا لا يعجزه ان يستدل عليه ، وبيان ذلك حتى يصعب المراء الظاهر فيه يطول ، وليس هذا محل التطويل ، وانما هو محل التذكير ، فنذكر اخواننا الفضلاء أصحاب تلك المجلة وغيرهم من القراء ببعض المسائل في ذلك فنقول

ان كتاب الله تعالى قد بين في آيات كثيرة ضرر الاختلاف والتفرق ولا سيما في الدين وتوعد على هذا بمثل ما يتوعد على الكفر حتى صرح بان الذين يكونون شيعا وفرقا في الدين هم برآء من النبي (ص) وقد بينا هذا مرارا في التفسير وغير التفسير تارات بالاطناب وتارات بالايجاز

ان النبي صلى الله عليه وسلم بين مثل ذلك في قوله وعمله حتى لم يكن يغضب لشيء كما يغضب اذا رأى الاختلاف بين أصحابه قد أفضى او كاد يفضي الى التفرق وانتصار كل طائفة لرأي والنقول في هذا كثيرة وفيما يقابله من الامر بالاتفاق والاعتصام كثيرة جدا

ان السلف الصالحين كانوا يتحرون هذا الهدي الالهي النبوي ويحذرون من

انضاء الخلاف في الفهم وهو طبيعي لا مندوحة عنه الى التفرق والتشيع المحظور حتى ان الشافعي ترك القنوت في الصبح عند ما صلى في مسجد أبي حنيفة مع أصحابه ببغداد ورأى ان ترك سنة غير مجمع عليها مرة (او اكثر) أهون من مخالفة جماعة من المسلمين اداهم اجتهادهم الى عدم سنيتها . وقد خفي هذا على من علل ذلك بأنه ترك القنوت تأدبا مع أبي حنيفة وهو في قبره اذلا يعقل ان يترك مثل الشافعي سنة الرسول تأدبا مع احد من الناس ، وخفي ايضا على من زعم ان اجتهاده في المسألة تغير في ذلك الوقت ثم عاد ، وهذا بعيد أيضا كبعد الأرض عن السماء ، واما ما قلناه فهو معهود من السلف ، يترك الواحد اجتهاده والعمل بظنه في مثل هذه المندوبات ليوافق الجماعة الذين خالف اجتهادهم اجتهاده فيه اذا كان عمله به يظهر به الاختلاف والتفرق كالقنوت وتكبيرات صلاة العيد ، والا عمل كل باجتهاد نفسه وعذر الآخر في اجتهاده . ومن هذا الباب جواب الامام احمد لمن سأله أيصلي وراء من لم يتوضأ من خروج الدم وكان يرى الوضوء منه قيل له فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل تصلي خلفه ؟ فقال كيف لا أصلي خلف الامام مالك وسعيد بن المسيب . وكان مالك قد افتى هارون الرشيد بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجم فصلى يوما بعد الحجامة وصلى خلفه ابو يوسف ولم يعد الصلاة. وقال بعض الفقهاء ان من علم أن الامام مخالف له في اجتهاده أو تقليده في مثل ذلك لا يصلي خلفه ، وجعلوا المسألة خلافية وصوروها بقولهم هل العبرة برأي الامام ام برأي المأموم ؟ وفرقوا بين المؤمنين في ذلك وغيره حتى انهم صاروا يعقدون في بيت الله تعالى بمكة وفي سائر المساجد عدة جماعات في وقت واحد ، ولا يرون في هذا بأسا وان خالفوا السنة وعمل السلف لأجل تمتع ائمة الصلوات بالرواتب الموقوفة عليهم

يري اصحاب مجلة (دين ومعيشت) ان هذا الخلاف والتفرق لا ضرر فيه ، وانه لم يترتب عليه حرب ولا عداء ، ولم ينكره أحد من العلماء في كل هذه الاعصار ، وكتب التاريخ ومصنفات اشهر علماء الاسلام الاعلام ترد رأيهم هذا وتنقضه عروة عروة

لا يماري أحد فيما جرى بين المسلمين من الفتن والحروب باختلاف أهل السنة مع الخوارج والشيعة ومنها فتنة ابن العلقمي المشهورة ، وآخرها ما جرى بين العثمانيين مع شيعة إيران الامامية ومع شيعة اليمن الزيدية ، فلا نخوض في هذا بل نشير الآن الى بعض الفتن التي شوهت التاريخ باختلاف أهل المذاهب الفقهية الحنفية والشافعية

والحنبلية ، ومن أخذ مثل تاريخ الكامل لابن الاثير وتصفح فهرسه يستخرج من كل مجلد عدة فتن ولا سيما في بغداد

أثبت لنا التاريخ ان إغارة التتار على المسلمين قد كانت أول مزلزل لقوتهم وخاضد لشوكتهم ، وانه كان للعداوة بين الشافعية والحنفية يد في إغراء التتار الوثنيين بالمسلمين وتنكيلهم بهم ، وكانوا قد كادوا يعودون أدراجهم ، بعد أخضاعهم الاعاجم واخذ البلاد منهم ، وموت ملكهم وقائدهم جنكيزخان ، وعجزهم عن فتح اصبهان الاسلامية .

قال ابن ابي الحديد في (ص ٣٢٩) من الجزء الثاني من شرحه على نهج البلاغة : (المطبوع بمصر) ما نصه

« ورجع جنكيزخان الى ما وراء النهر وتوفي هناك ، وقام بعده ابنه قاآن مقامه ، وثبت جرماغون في مكانه بآذربيجان ، ولم يبق لهم الا أصبهان ، فانهم نزلوا عليها مرارا في سنة ٦٢٧ وحاربهم أهلها وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة ولم يبلغوا منها غرضا ، حتى اختلف أهل أصبهان في سنة ٦٣٣ وهم طائفتان حنفية وشافعية وبينهم حروب متصلة ، وعصبية ظاهرة ، فخرج قوم من أصحاب الشافعي الى من يجاورهم ويتاخمهم من ممالك التتار فقالوا لهم اقصدوا البلد حتى نسلمه اليكم . فنقل ذلك الى قاآن بن جنكيزخان بعد وفاة أبيه والملك يومئذ منوط بتدبيره ، فأرسل جيوشا من المدينة المستجدة التي بنوها وسموها « قراحرقم » فعبرت جيحون مغربة وانضم اليها قوم ممن ارسله جرماغون على هيأة المدد لهم ، فنزلوا أصفهان في سنة ٢٣ المذكورة وحصروها . فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم ، وفتحت ابواب المدينة فتحها الشافعية على عهد بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية ، ويعفو عن الشافعية ، فلما دخلوا البلد بدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلا ذريعا ولم يقفوا مع العهد الذي عهدوه لهم ، ثم قتلوا الحنفية ، ثم قتلوا سائر الناس ، وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ، ونهبوا الاموال وصادروا الاغنياء ، ثم اضرموا النار فأحرقوا أصبهان حتى صارت تلولا من رماد » اه

ومن فضائح الخلاف بين الشافعية والحنفية ما ذكره المؤرخون في خبر انتقال ابن السمعاني من مذهب ابي حنيفة الى مذهب الشافعي وما جرى من التعصبات والمطاعن والفتن حتى ان ابن السبكي لم يستح من نقل الرؤى التي تقدمت ذلك ومنها انه لما اختلج في ذهنه تقليد الشافعي وتردد فيه رأى رب العزة جل جلاله في النوم فقال له « عد الينا أبا المظفر » قال فانتبهت وعلمت انه يريد مذهب الشافعي فرجعت اليه !!

فهذا العالم العلامة من المقلدين الذي قالوا عنه انه شافعي وقته قد فهم من الرؤيا التي رآها ان الله تعالى يريد بقوله له «عد الينا» الرجوع عن مذهب ابي حنيفة الذي مكث ثلاثين سنة يناظر علماء الشافعية في ترجيحه على مذهبهم ويتقلد مذهب الشافعي الذي كان يجتهد تلك المدة كلها في ابطال ماخالف الحنفية منه . ويؤخذ من هذا الفهم انه كان يرى ان مذهب ابي حنيفة بعيداً عن الله وعن مرضاته كأنه ليس من دينه في شيء ، اي كان هذا منه وهو متقلد له ، ولماذا لم يفهم من العودة الى الله العودة الى أصل دينه من كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، من غير شوب لهما بظنون الحنفية والشافعية جميعا ؟

المراد من الاشارة الى هذه الواقعة من وقائع تعصبات المذاهب وتفرقها بين المسلمين هو بيان ان كبار المقلدين كانوا يعبرون عن المخالفين لهم في المذهب بمثل ما يعبرون به عن المخالفين لهم في اصل الدين وان لم يصرحوا بتكفيرهم بلفظ الكفر والردة ، ومن ذلك قول بعض الحنفية انه يجوز للحنفي ان يتزوج البنت الشافعية قياسا على الذمية !! بل غلا بعضهم وصرح بالتكفير . ولا يزال هذا التعصب شديدا في بعض بلاد الاعاجم كالهند وغيرها على ضعف المذاهب كلها ، ولا تخلو البلاد العربية من نزغات في ذلك ، فقد قال أحد متفقهة الحنفية في طرابلس الشام في درسه مرة انه لا يصلي خلف امام شافعي لان الشافعية يشكون في إيمانهم (أي ان علماءهم اجازوا ان يقول المؤمن انا مؤمن ان شاء الله) فذهب بعض الشافعية الى المفتي وقال له اقسم المساجد بيننا وبين الحنفية ، فانتهر المفتي ذلك الحنفي وأطفأ الفتنة . ولعل مصر الآن اشد بلاد الاسلام تساهلا وأقلها تعصبا في ذلك

تقول مجلة (دين ومعيشت) إن العلماء قد أقروا خلاف المذاهب الموروثة وعدوه رحمة كما ورد في الحديث فلم ينكره أحد ، وهذا غير صحيح فان العلماء النابغين المستقلين قد أنكروا ذلك في كل عصر وحثوا المسلمين على هداية الكتاب والسنة . وترى في هذا الجزء كلاما لفقيه شافعي مستقل في ذلك ، ولكن ضاع أكثر أقوالهم في الجماهير التي غلب عليها الجهل ، والمشتغلين بمدارسة هذه المذاهب لأجل الأوقاف التي حبست على المنتسبين اليها والمناصب التي يخصهم بها الملوك والامراء ، فلولا الامراء والسلاطين والاوقاف التي وقفوها على المشتغلين بهذه المذاهب لاندرست كما اندرس غيرها ، بل لما وجدت بهذه الصفة ، وإنما كان يحفظ منها مثل ما حفظ من مذهب الثوري والاوزاعي وأضرابهم وهو اقوال الائمة ودلائلهم تذكر في شروح الحديث وكتب الفقه التي لا تحيز فيها الى

فتنة، ولا افتراق فيها بين جماعة المسلمين ، وهؤلاء المقلدون للمذاهب المتعصبون لها لاجل ما ذكر لا يعدون من العلماء حقيقة وان عدوا منهم عرفا ، وكان السلف يعبرون عن المقلد بالجاهل مهما اشتغل بالعلم ، وعن المجتهد بالعالم ، وترى مثل هذا في الهداية وشروحها من كتب الحنفية في أحكام القضاء والافتاء ، على ان مقلدي كل مذهب انكروا مسائل الخلاف في غير مذهبهم فكان لنا من مجموع أقوالهم انكار جميع ما اختلف فيه ، ولا يمكن الترجيح بينهم الا بالرجوع الى الاصل الذي امرنا الله به في قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » كما كان يفعل السلف الصالح رضي الله عنهم

كان المسلمون في خير القرون أمة واحدة ، وكان العلماء فيهم أدلاء ونقلة لدين الله لا يدون ظن احد منهم (اجتهاده) في المسائل ليتخذ دينا يدعى اليه ويلتزم دون غيره ، وكان سبب انتشار هذه المذاهب تعيين الحكام من أهلها ، ثم انتماء الملوك والامراء اليها ، فلو بقيت دولة العبيدين في مصر لصار جميع اهلها او اكثرهم شيعة ثم باطنية ، ولولا تعقب السلطان صلاح الدين لمذهبهم وتعمد محوه واستبدال مذهب الشافعية وكذا المالكية به لما صار اكثر أهل مصر شافعية والكثير منهم مالكية كما بين ذلك المقريزي في خططه . ولولا استيلاء العثمانيين واسرة محمد علي باشا على مصر وهم حنفية وجعلهم القضاة والحكام من أهل مذهبهم لما كثر علماء الحنفية في الازهر وانتشر مذهبهم في هذه البلاد . فلوك الدنيا ومناصب الدنيا ومتاع الدنيا وزينة الدنيا وجاه الدنيا هي التي قررت هذا الخلاف بين المسلمين وحفظته ونصرته كما بين ذلك الامام الغزالي في كتاب العلم من الربع الاول من احياء علوم الدين ، وحسبك ان تراجع منه الباب الرابع الذي عقده لبيان « اقبال الخلق على علم الخلاف » فانه صرح فيه بنحو ما ذكرناه آنفا وبينه كما بينه غيره من العلماء والمؤرخين

وما زال علماء الدنيا - او علماء السوء كما يقول الغزالي - يؤيدون الحكام الظالمين في كل حين لاجل المال والجاه ، بل يؤيدون غير المسلمين أيضا كما كان بعض علماء مصر يقنعون المسلمين بوجوب الخضوع لفرنسة عندما استولت على مصر بجيش بونابرت ، يفعلون ذلك باسم الاسلام ، فلا عجب اذا أيدوا كل حكومة منسوبة الى الاسلام مهما كانت جائرة ومهما كان مذهبها في الاصول او الفروع ، وقد وجد من أصحاب العمائم في مصر من انشأ في هذا العصر مسجدا في مصر باسم ملك ايطالية الكاثوليكي ووقفه على روحه ليكون له ثواب الصلاة فيه . وهذا المعمم الذي يعد من طائفة العلماء وشيوخ المتصوفة هو ابن الشيخ عليش الذي كان يعد اشهر علماء الازهر واشدهم

تشددا في الدين ، وكان من هذا الخزي ان اسم الشيخ عليش وشهرته مما استعانت به إيطالية على اخذ مملكة طرابلس الغرب وبرقة من الدولة الاسلامية ، كل ذلك لاجل عرض قليل وحطام حقير يستفيده من فضلات وكالة إيطالية السياسية بمصر،

فهل يستغرب مع هذا ماقاله الغزالي والمقريزي وغيرهما عن المتقدمين في سبب التعصب للمذاهب ونصرها ، وهو انه طلب المال والجاه والتمتع بالاوقاف والمناصب ؟ أم يستغرب ما كان يكتبه الشيوخ الدجالون من عبيد الدنيا في مدح السلطان عبد الحميد مدمر الدولة العثمانية ، ومذل الامة الاسلامية ، من المدائح فيه ، وتكفير المخالفين له ، كقول الشيخ يوسف النبهاني في ذيل قصيدة له في مدحه ومدح كاتبه عزت باشا العابد انه يتقرب الى الله بمحبته وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه قال « وذلك لازم لكل مسلم وان عكسه من اكبر الكبائر واعظم الذنوب الموجبات لسخط الحق سبحانه بل ربما ادى ذلك الى الكفر » ثم ذكر ان الذين عادوه يعني احرار العثمانيين طلاب اصلاح الدولة « قد عصوا الله ورسوله واسخطوا جميع المؤمنين واستحقوا لعنة الله وغضبه في كل حين » وذكر في تلك القصيدة ان عبد الحميد جدد الدين والدولة وانه لايوجد له مثل في الارض ولكن عسى ان يوجد له مثل فوق السموات . والقصيدة مطبوعة ، فهل مكن المستبدين من اهلاك المسلمين الا امثال هؤلاء المقلدين الجاهلين الطامعين في الاموال والمناصب ، بعنوان هذه المذاهب ، واذا كان الامر كذلك فاي رحمة استفادها المسلمون من اختلاف اولئك المقلدين المتعصبين غير تلك الاموال والمناصب التي تمتع بها اولئك المفرقون بين المسلمين باسم المذاهب ، وائمة المذاهب برآء من ذلك ومن الرضى به

وجملة القول ان حديث « اختلاف امتي رحمة » لا اصل له كما صرح بذلك غير واحد من ائمة الحديث ، وذكر الخطابي له في عرض كلامه لا يثبت ان له اصلا عنده ولكن قد يشعر بذلك كما قال السخاوي ، ووجود أصل له لا يستلزم صحته ولا حسنه وهو لا يعرف له سند ، ومعناه كلفظه لا يصح ولا يثبت بل الثابت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف وفي الواقع ونفس الامر ان الاختلاف قد أدى الى التفرق والعداوة والبغضاء فكان من اسباب ضعف المسلمين وتمزقهم كل ممزق ، فهم للتعصب للمذاهب قد اضعفوا وحدتهم واضاعوا استقلال عقولهم فلما ارتقت الامم باستقلال العقل في فنون العلم وما يترتب عليه من الاعمال علوهم وسلبوا ملكهم

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لتسون صفوفكم او ليخالفن الله بين وجوهكم (متفق عليه في الصحاح والسنن كلها) وفي رواية ابي داود « او ليخالفن

الله بين قلوبكم » وفسرت الوجوه في رواية الجمهور بالقلوب كما فسر به « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض » قال النووي في شرح الحديث معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء ، وقال القرطبي معناه تفترقون فيأخذ كل واحد وجها غير الذي يأخذه صاحبه . ولا يفقه هذه الحكمة النبوية الا العليم بصفات الانفس البشرية واخلاقها ونظام الاجتماع الانساني . ومن سنن الله في ذلك ان ما يتفق فيه الافراد من الاعمال الظاهرة المشتركة بينهم يكون سببا لائتلافهم واتفاقهم ووحدتهم ، والضد بالضد ، ولذلك تحرى الامم المرتقية في العلم والنظام ان تربي افرادها على نظام واحد في الاعمال الظاهرة وان تنشر عاداتها في الامم الاخرى لتجذب بها قلوبها اليها وقد اوضحنا هذا المعنى في مقالاتنا (المسلمون والقبط) فليرجع اليها

يا سبحان الله » ان رسولنا (ص) لم يسمح لنا ان تختلف افرادنا في صف الصلاة فيتقدم بعضهم على بعض واقسم على ان ذلك يكون سبب اختلاف قلوبنا ووقوع التفرق بيننا ، ثم نحن نجيز لانفسنا ان نقيم في المسجد عدة جماعات في وقت واحد لاختلاف المذاهب ونعد هذا رحمة بنا ونحن نشعر في انفسنا بأن ذلك يبعد بعضنا عن بعض ولا نشك في ذلك ، ونجيز لها غير ذلك من انواع الخلاف في هيآت الصلاة وغير الصلاة ، والتاريخ دون لنا ما ترتب على ذلك من الفتن والفساد

لو شئت ان أنقل بعض ما أعلم من وقائع الفتن والعداوة بين اهل المذاهب لجئت بالفضائح ، وكل ذلك قد جرى باسم الانتصار لأئمة العلم والفقه وما هو الا انتصار للاهواء كما قال الغزالي لا شيء منه يوافق اصول اولئك الائمة ولا سيرتهم الشريفة ، بل يقل ان يوجد من مدعي اتباعهم من يعرف حقيقة ما كانوا عليه ، وانما يتبع أهل كل عصر علماء عصرهم الذين اشرنا الى حالتهم لثقتهم بهم وان كانوا جاهلين حتى بالمذاهب التي جعلوها حرفتهم وسبب رزقهم ، وهؤلاء القادة الجاهلون هم الذين منعوا المسلمين من أسباب الترقي المالي والعلمي والصناعي فضاعت بلادهم

منشأ عصبية التقليد الثقة وأكبر مفاسده أن تكون بهذه الثقة مذاهب المبتدعة وطرقهم بل مذاهب الكفر والزندقة باسم الاسلام كمذاهب الباطنية ، فالبكداشية يعدون الآن في بلاد الترك والأرنؤط بالملايين ويقولون إنهم من المسلمين ، وما كان الآخذون بتعليم (الفضل الحروفي) من المسلمين في شيء ، افرأيت لو لم توجد بدعة التشيع أو التعصب من كل طائفة لتعليم معين هل كان وجد هذا الضلال ، ارأيت لو ان المسلمين يعملون في كل عصر وكل مكان بقوله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان

كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا » هل كان وجد هذا التفرق والتمزق والانحلال ؟؟ لا لا وانما وجد بالتقليد لان كل طائفة وثقت برؤسائها فاتبعتهم بغير دليل . وسنزيد هذا بيانا في وقت آخر ان شاء الله تعالى

(باب الاخبار التاريخية والآراء)

محاربة ايطاليه لطرابلس الغرب

نعني بطرابلس الغرب الاقليم الواقع بين القطر المصري والقطر التونسي ومنه برقه المعبر عنها في عرف الدولة بمتصرفية بنغازي وهو مملكة كبيرة مساحتها أربعمائة ألف ميل او تزيد ، ولكنها لسوء الادارة والظلم والفوضى قد غلب عليها الخراب وقل فيها السكان ، فأهلها يقدرون بمليون ونصف يدخل في ذلك بدوهم مع حضرهم ، وموقع هذه المملكة البحري والتجاري عظيم وهي قابلة للعمران والترقي ، وقد كنا نسمع منذ وعينا ان دولة ايطالية طامعة فيها وكانت الحكومة الحميدية على سيآتها قد عنيت بتعليم أهل طرابلس النظام العسكري فأنشأت فيها فرقا من الفرسان « الآلايات الحميدية » كما فعلت في بلاد الاكراد ، فقلنا يومئذ ان للسلطان عبد الحميد في هذه الدولة حسنتين : سكة الحديد الحجازية والآلايات الحميدية . وقد اقترحنا على الدولة العلية منذ أكثر من عشر سنين ان تعمم التعليم العسكري في طرابلس الغرب وفي سائر البلاد العثمانية وتجعل فيها مستودعات للسلاح ليكون الاهالي مستعدين للدفاع عن انفسهم اذا فاجأهم الطامعون وتعذر على الدولة ان تمدهم بالجند الكافي ، بل قلنا إن الطامعين اذا علموا أن أهل البلاد مستعدون للحرب والكفاح يحجمون عن مهاجمة البلاد لان أوربة - ولا خوف الا منها - تؤثر الفتح السلمي الذي لا تخسر فيه كثيراً من ابنائها واموالها على الفتح الحربي

كانت نصائحنا كنصائح غيرنا تحمل على معاداة السلطان ولا يترتب عليها الا ايذاء الناصح في نفسه او أهله وماله ، ثم زالت الحكومة الحميدية ، وحل محلها الحكومة الجديدة ، التي سيطرت عليها جمعية الاتحاد والترقي بقوة الجيش وديوان الحرب العرفي فكان حظ طرابلس الغرب في عهد هذه الحكومة شراً من حظها في زمن عبد الحميد ، فقد اضعفت وزارة حقي باشا حاميتها ، ومهدت السبيل لتعجيل ايطالية باحتلالها ، كما يعلم من التقرير الرسمي الذي قدمه بعض المبعوثين الى المجلس في طلب محاكمة حقي باشا

أن إيطالية تستعد منذ سنين كثيرة لامتلاك طرابلس الغرب وكان هذا الاستعداد على اشده بعد الدستور اذ كان حقي باشا سفيرا للدولة في رومية عاصمة ايطالية فصدرا اعظم للدولة يسهر أكثر لياليه في سفارة ايطالية يقامر مع النساء والرجال ... وكان يشهد دائما لايطالية بحسن النية وصداقة الدولة العلية، حتى ان سفير فرنسة حذره منها، وانذره سوء عاقبة مقاصدها ، فاراه بالنذر ، حتى حل الخطر ، ووقع البلاء المنتظر

وهاك ترجمة البلاغ الذي اعطاه سفير ايطالية لصديقه حقي باشا بامضاء سان جليانو رئيس وزارة ايطالية

﴿ انذار ايطالية للدولة العثمانية ﴾

لبثت الحكومة الايطالية منذ سنين تنبه الباب العالى لضرورة وضع حد لسوء النظام واهمال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي ولوجوب تمتيع هذه البلاد بما تمتع به سائر أقسام افريقية الشمالية وهذا التغيير (المشار اليه من حيث تأييد الامن وترقية البلاد) الذي يقتضيه التمدين بجعل المصالح الحيوية بحسب ما تستلزمه مصلحة ايطالية في الدرجة الاولى بالنظر لقصر المسافة الفاصلة بين تلك البلاد وشواطئ ايطالية

وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الايطالية التي كانت دائما توالي وتعضد تركية في كثير من المسائل السياسية في العهد الاخير وبالرغم من اعتدالها وصبرها حتى الآن كانت الحكومة العثمانية تجهل رغائبها في طرابلس حتى ان جميع مشروعات الطليان في تلك الاصقاع كانت تصادف دائما مقاومة لا تحتمل

فالحكومة العثمانية التي كانت حتى الآن تبدي العداء والسخط من الحركة الايطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة من هذا اليوم (اي الساعة التي كتب او قدم فيها البلاغ) اقترحت على الحكومة الملكية (يعني الطليانية) ان تتفاهم معها وأعلنت انها ميالة أن تمنحها أي امتياز اقتصادي يتفق مع المعاهدات النافذة ومع شرف تركية الاعلى ومصالحها . ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الآن انها في أحوال توافق الدخول في المفاوضة بهذا الموضوع ـ المفاوضة التي برهن الاختبار الماضي على عدم نفعها ـ وهي لا تشتمل على ضمان المستقبل ولا تكون الا سببا للاحتكاك والنزاع

ومن جهة أخرى قد وردت الاخبار الى الحكومة الملكية من قنصليها في طرابلس وبنغازي تفيد ان الحالة هناك خطرة جدا بسبب التحريض العام ضد الرعايا

الطليان ـ التحريض الذي زاده الضباط وسائر موظفي الحكومة . فهذا التهيج خطر شديد على الطليان وعلى سائر الاجانب على اختلاف جنسياتهم. ولما اصبحوا قلقين على حياتهم ابتدأوا يهجرون البلاد بلا ابطاء . ووصول (السفن) النقالات العسكرية العثمانية الى طرابلس زاد الحالة خطراً وحرجا مع ان الحكومة الملكية نبهت الحكومة العثمانية إلى نتائجه السيئة من قبل ، ولهذا تضطر الحكومة الملكية ان تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعا للخطر الذي ينشأ عنه

ولما وجدت الحكومة الايطالية نفسها مضطرة الى الحرص على شرفها ومصالحها قررت ان تحتل طرابلس وبنغازي احتلالا عسكريا وهذا هو الحل الوحيد الذي تعول عليه ايطالية، والحكومة الملكية تنتظر ان تصدر الحكومة السلطانية أوامرها بأن لا يصادف الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية ، وأن لا تجد صعوبة في انفاذ ما تريد انفاذه وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة التي تلي ذلك الاحتلال

وقد صدرت الاوامر للسفير الايطالي في الاستانة أن يلتمس جواباً حازما في هذه المسألة من الحكومة العثمانية في مدة ٢٤ ساعة منذ تسليمه هذا البلاغ حتى اذا لم تجاوب عليه اضطرت الحكومة الايطالية لتنفيذ المشروعات المدبرة لضمان الاحتلال

ونرجو أن يبلغ جواب الباب العالي المنتظر في ٢٤ ساعة لنا عن يد السفير العثماني في رومية

الامضا

سان جليانو

﴿ جواب الدولة على الانذار ﴾

تعلم السفارة الملكية كل العلم الظروف التي لم تسمح لطرابلس وبنغازي بأن تتقدم التقدم الموموق

ودرس المسألة بغير غرض يكفي في الحقيقة لان يثبت ان الحكومة الدستورية العثمانية لا يجوز اتهامها بحالة هي نتيجة الحكم الماضي ، فاذا ظهر ذلك وعدنا الى تاريخ حوادث السنين الثلاث التي مرت يصعب جداً على الباب العالي أن يجد ظرفا واحدا ظهر فيه بمظهر العدا للمشروعات الطليانية في طرابلس وبنغازي بل انه يجد عكس ذلك أي أن ايطالية كانت تساعد بمالها ونشاطها الصناعي على إنهاض ذلك الشطر من السلطنة انهاضا اقتصاديا

وتعتقد الحكومة السلطانية انها أظهرت ميلا حسنا مطردا الى كل المقترحات التي

كانت تقدم لها بهذا المعنى ، بل انها درست وحلت حلا وديا كل طلب طلبته السفارة الملكية ولا حاجة بنا الى أن نزيد انها كانت بذلك تنقاد دائما لارادتها أن تحفظ صلات الصداقة والثقة مع حكومة إيطالية وفي أن تنميها ، وهذه الارادة الحسنة هي التي دفعتها مؤخرا الى أن تقترح على السفارة الملكية اتفاقا يكون أساسه الامتيازات الاقتصادية التي تفتح مجالا واسعا للنشاط الطلياني في تلك الاقاليم على شرط أن يكون حد تلك الامتيازات كرامة السلطنة ومرافقها والمعاهدات النافذة

بهذا برهنت الحكومة العثمانية على ميولها السلمية دون أن يغيب عنها حفظ العهود التي تربطها بالدول الاخرى . تلك العهود التي لا يمكن أن يسقط شطر منها بارادة فريق من المتعاقدين

اما ما يختص بالنظام والامن في طرابلس وبنغازي فان الحكومة العثمانية القادرة جيدا على تقدير الحالة لا يمكنها الا أن تؤكد كما فعلت سابقا انه لا يوجد أقل سبب داع للخوف على الطليان والاجانب النازلين هناك

ففي تلك الاقاليم لا يوجد اضطراب ولا تهييج ، ومهمة الضباط وغيرهم من موظفي الحكومة ضبط الأمن ، وهم يقومون بمهمتهم خير قيام

وأما وصول النقالات العسكرية العثمانية الى طرابلس المتمسكة به السفارة لانها تتوقع منه نتائج خطرة فجواب الباب العالي عليه انه لم يرسل سوى نقالة واحدة سافرت قبل وصول مذكرة ٢٦ ستمبر ببضعة أيام وزيادة على هذا ان تلك النقالة لا تحمل جنودا فلا يمكن أن يكون لوصولها تأثير على أفكار الاهالي غير تأثير الهدوء

فاذا تبين ذلك لا يبقى الا عدم وجود الضمان الذي يضمن للحكومة الطليانية توسع مصالحها الاقتصادية في طرابلس وبنغازي فاذا كانت الحكومة الملكية لا تعمد الى عمل خطير كالاحتلال العسكري فان الباب العالي مستعد لازالة هذا الخلاف والحكومة السلطانية تطلب من الحكومة الملكية أن تبين لها نوع الضمان المطلوب ، فهي توافق عليه اذا لم يمس الاملاك وتتعهد بان لا تغير شيئا من الحالة الحاضرة اثناء المفاوضات من حيث الهيأة العسكرية في طرابلس وبنغازي وتأمل ان الحكومة الملكية توافق الباب العالي على مقصده السلمي   الاستانة ٢٩ ستمبر سنة ١٩١١

(المنار) تلا ذلك الانذار بالحرب والشروع فيه وقد كتبنا مقالات عنوانها العام (المسألة الشرقية) ونشرناها في المؤيد لبيان ما يجب بيانه في هذه الكارثة الخطرة ونشرنا في هذا الجزء الأولى منها وسننشر سائرها في الأجزاء الآتية

نظام مدرسة

﴿ دار الدعوة والارشاد ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين (سورة الجمعة)

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون (سورة البقرة)

﴿ صفة المدرسة ﴾

(الاصل الاول) دار الدعوة والارشاد مدرسة كلية اسلامية تدرس فيها جميع العلوم والفنون التي تدرس عادة في الكليات مع التربية الدينية ، وزيادة العناية بالعلوم الاسلامية ، وتنشأ أقسامها بالتدريج . يبدأ منها بقسم عال لتخريج الدعاة الى الاسلام والمرشدين للمسلمين بالوعظ والتدريس وهو المقصد الاساسي

(الاصل الثاني) هذه المدرسة تابعة لجماعة الدعوة والارشاد ويكون لها لجنة مدرسية يتولى مجلس ادارة الجماعة تأسيسها وناظر يكون من أعضاء هذا المجلس (وفاقا للاصل السابع من النظام الاساسي للجماعة)

(الاصل الثالث) مجلس ادارة الجماعة هو الذي يعين المدرسين الموظفين ومن عدا الخدم من العاملين في المدرسة بناء على طلب لجنة المدرسة

(الاصل الرابع) لسان التدريس في هذه المدرسة هو اللسان العربي ويتحتم فيها تعلم لغة من لغات الامم الاوربية . ويجوز ان تدرس فيها عدة من اللغات الشرقية والغربية ولا سيما لغات الشعوب الكبيرة من المسلمين كالتركية والفارسية والاوردية والملاوية ويكون ذلك بقرار من مجلس الادارة بعد استشارة لجنة المدرسة . والمجلس ان يقرر تدريس بعض العلوم والفنون أو اللغات التي لا نص عليها في هذا النظام من تلقاء نفسه او بناء على طلب لجنة المدرسة

(الاصل الخامس) العلوم التي تقرأ في قسم الدعاة والمرشدين وطريقة تدريسها تبين في فصل يلحق بهذا النظام

(الاصل السادس) برنامج الدراسة وجدول الدروس تضعه لجنة المدرسة عند ارادة الشروع فيه ويقرره مجلس الادارة

(الاصل السابع) القسم العالي الذي يبتدأ به في تأسيس المدرسة يكون صنفين صنف المرشدين ومدته ثلاث سنين وصنف الدعاة ويختار طلابه من متخرجي صنف المرشدين ويمكثون ثلاث سنين أخرى فمجموع مدته ست سنين ماعدا السنة التمهيدية الاولى

(الاصل الثامن) يكون للمدرسة سنة تمهيدية لاعداد الطلاب وترشيحهم للدخول في السنة الاولى وللمدرسة ان تسامح في السنة التمهيدية بما ترى التسامح فيه من شروط الطلبة

(الاصل التاسع) التعليم في قسم الدعاة والمرشدين من المدرسة مجاني والمدرسة تنفق على الطلاب الداخلين فيه وتكفيهم كل ما يحتاجون اليه فيها وتعطيهم إعانة شهرية بحسب الحاجة والاجتهاد والتهذيب لا تقل عن ريال مصري في الشهر واما الطلاب الخارجيون فلا تنفق عليهم شيئا

(الاصل العاشر) مدة الدراسة في السنة تسعة أشهر

(الاصل الحادي عشر) تعطل المدرسة دروسها ثلاثة أشهر الصيف واسبوعا لكل من عيد الفطر وعيد الاضحى اذا وقعا في أيام العمل

(الاصل الثاني عشر) الطلاب الداخليون مخيرون في مدة العطلة بين البقاء في المدرسة والسفر الى بلادهم وزيارة أهليهم . وعلى من بقي فيها أن يلتزم ما تكلفه اياه من الرياضة ومدارسة القرآن والمطالعة والكتابة

(الاصل الثالث عشر) طالب الدخول في المدرسة للتعلم أو التعليم أو غير ذلك من الخدم فيها يقدم الى الناظر وهو يراجع لجنة المدرسة فيما يتعلق به نظرها من ذلك

(الاصل الرابع عشر) يكون للمدرسة طبيب ومراقب عام (ضابط) وكاتب ومأمور ادارة يناط به حفظ موجودات المدرسة وشراء الادوات وتوزيعها على الطلبة ويجوز ان يكون لكل منهم معاونون بحسب الحاجة

(الاصل الخامس عشر) يكون في المدرسة الانواع الآتية من الدفاتر

(١) دفتر قرارات ومحاضر لجنة المدرسة

(٢) دفتر اسماء الطلاب الداخلين وما يتعلق بحالهم في المدرسة

(٣) دفتر اسماء الطلاب الخارجين وما يتعلق بحالهم في المدرسة

(٤) دفتر الامور الصحية

(٥) دفتر كوبيا لطبع الوسائل التي تصدر من المدرسة

(٦) دفتر الرسائل الواردة والصادرة يذكر فيه تاريخها واسماء المرسلين والمرسل اليهم والموضوع

(٧) دفتر الآلات والادوات المتعلقة بالتعليم

(٨) دفتر الاثاث والماعون

(٩) دفتر التبرعات والهبات التي ترد الى المدرسة خاصة

(١٠) دفتر المدرسين واحوالهم في مواظبتهم وغيبتهم

(١١) دفتر المستخدمين واحوالهم في مواظبتهم وغيبتهم

(١٢) دفتر رواتب المدرسين والمستخدمين .

(١٣) دفتر النفقات العامة

(١٤) دفتر مكتبة المدرسة وما فيها من الكتب المهداة اليها والمشتراة لها

(١٥) دفتر شهادات أهل الفضل والمكانة الذين يزورون المدرسة بخطوطهم

﴿ شروط الطلاب وآدابهم في قسم المرشدين والدعاة ﴾

(الاصل السادس عشر) يشترط في قبول الطالب الداخلي (اولا) ان يثبت بالكشف الطبي انه صحيح الجسم والحواس سليم من الامراض والعاهات قادر على التحصيل (ثانيا) أن تثق المدرسة بأنه حسن السيرة طاهر الاخلاق لم يعرف عنه امر يخل بالدين والشرف (ثالثا) ان تكون سنه بين ٢٠ و٢٥ (رابعا) ان يكون حافظا لطائفة من القرآن الكريم بحيث يسهل عليه اتمام حفظه قبل اتمام دراسة الصنف الاول (خامسا) ان يكون قد حصل قدرا صالحا من النحو والصرف والفقه وعرف القواعد الاربع من الحساب على الاقل وان يكون صحيح الاملاء حسن الخط في الجملة جيد المطالعة في الكتب العربية (سادسا) ان يكون من اصل قديم في الاسلام. (سابعا) ان يكتب على نفسه وثيقة يبين فيها انه اطلع على نظام المدرسة ورضي بان يكون من طلابها ملتزما لنظامها خاضعا لجماعتها يتوجه الى حيث توجهه بعد اكمال الدراسة (ثامنا) ان يكتب طلبا للناظر يبين فيه اسمه واسم ابيه وجده وعشيرته وبلده وحكومته وسنه، ويقدمه متصلا بالوثيقة.

(الاصل السابع عشر) يرجح الفقير من حائزي الشروط على الغني والعارف بلغة أوربية على غير العارف وحافظ القرآن كله على حافظ بعضه.

(الاصل الثامن عشر) تتحرى المدرسة ان يكون طلابها من الاقطار المختلفة فاذا تساوى اثنان من طلاب الدخول في الاستعداد رجح من كان من قطر أو بلد لا يوجد في المدرسة منه أحد على غيره، ومن كان من قطر أو بلد فيه قليلون من الطلاب على من كان من بلد فيه كثيرون منهم

(الاصل التاسع عشر) على كل طالب من هؤلاء الطلاب ان يصلي الصلوات الخمس مع الجماعة، والرواتب المسنونة، وان يقرأ كل يوم طائفة من القرآن مع الترتيل. وان يذكر الله تعالى في أوقات الفراغ من العمل منفردا ما حضر قلبه ونشطت نفسه، وان يلتزم أحكام الدين وآدابه في المأمورات والمنهيات ولا سيما المحافظة على الصدق

في الجد والهزل. وان يكون دائما نظيف البدن والثياب والمكان والفراش وسائر ما بيده من الكتب وغيرها محافظا على النظام والاداب مطيعا للناظر والمعلمين والمراقبين، وللناظر ان يكلف الطلبة ما يراه من النوافل حسب الطاقة.

(الاصل العشرون) يتمرن هؤلاء الطلاب على الرياضات البدنية بأنواعها كالعمل في الارض والسباحة والمشي والعدو، ويراقبهم في اثنائها بعض المعلمين.

(الاصل الحادي والعشرون) لا يسمح للطلاب بشرب الدخان مطلقا.

(الاصل الثاني والعشرون) لا يجوز لاحد من الطلاب ان يخرج من المدرسة الا باذن من الناظر لعذر مقبول فان كان العذر مرضيا يشترط في قبوله عند عودته ان يكون قد برىء منه وان يكون سليما من كل داء بشهادة الطبيب الذي تثق به المدرسة

(الاصل الثالث والعشرون) يحظر على الطلاب الاشتغال بالسياسة والدخول في الجمعيات والاحزاب السياسية والتشيع لها بنحو المظاهرات، ومكاتبة الجرائد السياسية

(الاصل الرابع والعشرون) لا يجوز لاحد من الطلاب ان يعيب احدا من اخوانه او يترفع عليه بجنسه أو نسبه او نشبه او مذهبه، واذا بحثوا في مذاهب العلماء وخلافهم في الاصول أو الفروع فعليهم ان يبحثوا بالانصاف وحسن الأدب ولا سيما مع الأئمة والمصنفين.

(الاصل الخامس والعشرون) يكلف هؤلاء الطلاب الكلام الفصيح في المدرسة وخارج المدرسة

(الاصل السادس والعشرون) تحترم المدرسة استقلال الطلاب في أفكارهم وآدابهم، وحريتهم في أقوالهم وسؤالهم. ولهم التصريح لمن شاؤا من المعلمين والناظر بكل ما يخطر في بالهم من المسائل الدينية والعلمية والادبية والاجتماعية وان كانت من باب الشكوك والشبهات في مسائل الدين ولكن مع حسن الادب في التعبير. وعليهم ان لا يظهروا الاقتناع بشيء لم تطمئن له قلوبهم، ولم تستبنه عقولهم.

(الاصل السابع والعشرون) يشترط في الطالب الخارجي ان يكون حسن السيرة والآداب نظيف الثياب عارفا باللغة العربية وعلومها معرفة تمكنه من فهم الدروس التي يريد حضورها سالما من الامراض والعاهات بشهادة الطبيب الذي تثق به المدرسة

(الاصل الثامن والعشرون) من اراد ان يكون طالبا من القسم الخارجي فعليه أن يقدم طلبا لناظر المدرسة يبين فيه اسمه واسم أبيه وجده وبلده وحكومته وسنه ويعين الدروس التي يريد حضورها ويتعهد بأنه يلتزم آداب المدرسة ونظامها

(الاصل التاسع والعشرون) المدرسة مخيرة في قبول الطالبين وردهم

(الاصل الثلاثون) يكون لكل تلميذ دفتر مجلد يكتب اسمه في اوله ويكتب في سائر صفحاته اسماء العلوم والفنون المفروضه في البرنامج في كل سنة من سني المدرسة ويقيد بجانب كل علم وفن اسم الاستاذ الذي حضر عليه الطالب وشهادة الاستاذ له بالمواظبة والتحصيل بحسب الواقع .

﴿ المعلمون ﴾

(الاصل الحادي والثلاثون) يشترط ان يكون المعلمون الموظفون من اصحاب الشهادات او التآليف او الاعمال الدالة على قدرتهم على تدريس مايعهد اليهم وان تكون سيرتهم حسنة في اخلاقهم وآدابهم الدينية والاجتماعية

(الاصل الثاني والثلاثون) المعلمون مطالبون بتعليم الطلاب وتربيتهم الدينية والعقلية والجسمية ولهم الاستقلال التام في ذلك بشرط التزام نظام المدرسة.

(الاصل الثالث والثلاثون) على المعلمين القيام بالامور الآتية .

(ا) ان يكونوا في المدرسة قبل ابتداء الوقت المحدد لدروسهم ببضع دقائق على الاقل

(ب) ان يلقوا الدروس بعبارة فصيحة موضحة بالشواهد والامثلة

(ج) ان لا يشتغلوا في أثناء الدرس بغير موضوعه ، ولايخلطوا مسائل العلوم والفنون بعضها ببعض الا التذكير الذي تقضي به الحاجة، وان لايطيلوا في الاستطراد الا ان يكون ذلك في درس الوعظ

(د) ان يختبروا فهم الطلاب في كل درس فان علموا ان فيهم من لم يفهم بعض المسائل فعليهم ان يعيدوها له الى ثلاث مرات فان لم يفهم ارجئ افهامه الى مابعد الدرس

(هـ) ان يقبلوا من كل طالب كل سؤال يلقيه عليهم فان لم يكن من موضوع الدرس ارجأوا الجواب عنه الى ما بعده

(و) ان يحترموا استقلال الطلاب ويعذروهم في خطأهم وشكوكهم ويرفقوا بهم ولا يحتقروا احدا منهم لسوء فهمه او شكه واشتباهه . وان يتلطفوا في اقناعهم مع حفظ كرامتهم ليربوهم على الصدق والاستقلال وعزة النفس ويرشحوهم بذلك للقدوة الصالحة والاسوة الحسنة .

(ز) ان يقيدوا في دفاتر الطلاب المذكورة في (الاصل ٢٩) الشهادة لهم بالحضور ودرجة التلقي فيما حضروه واستفادوه من الدروس في كل علم

(ح) ان يراقبوا الطلاب في اجتماعاتهم للطعام والرياضة والصلاة ويؤموهم في الصلاة ويؤاكلوهم ويكون هذا بالتناوب بين المعلمين

(ط) ان لا يكون بينهم وبين الطلاب معاملة مالية البتة ولاعلاقة خاصة بل يجب على كل استاذ ان يساوي بين جميع تلاميذه كما يجب عليه ان يساوي بين اولاده في التربية القويمة فاذا عهد احد اولياء الطلاب الى بعض المعلمين بان ينفق عليه او يخصه بعناية منه فعلى هذا المعلم ان يراجع الناظر في ذلك ويعمل برأيه

(الاصل الرابع والثلاثون) جميع المعلمين متساوون في المرتبة وان تفاوتوا في الرواتب فيجب ان يكونوا مظهرا للاخوة والمساواة والتناصف وان يلتزموا في انفسهم ما يربون عليه تلاميذهم من الاخلاق والآداب والاعمال الصالحة من العبادات والمعاملات

(الاصل الخامس والثلاثون) يحظر على موظفي المدرسة ان يشتغلوا بسياسة الدولة العلية الداخلية او الخارجية او بسياسة غيرها من الدول، وان يكاتبوا الجرائد بذلك ، وان يتحزبوا للاحزاب والجمعيات السياسية . ومن اراد ان يكتب في بعض الصحف مقالة في غير السياسة الممنوعة فعليه ان يستطلع رأي الناظر فيها وان يطلعه على ما كتب ويعمل برأيه . اما من يريد منهم ان يكتب شيأ عن المدرسة او عن جماعة الدعوة والارشاد للنشر في الصحف او رسالة الى بعض الناس فعليه ايضا ان يستشير الناظر فيه والناظر لا يأذن الا بعد مراجعة مجلس الادارة .

(الاصل السادس والثلاثون) المدرسون المتبرعون يظهرون رغبتهم لمجلس الادارة وهو يقررهم حسب الحاجة ، وليس عليهم الا حفظ نظام المدرسة العام

﴿ لجنة المدرسة ﴾

(الاصل السابع والثلاثون) تؤلف لجنة المدرسة من ناظرها واربعة اعضاء يعينهم مجلس ادارة جماعة الدعوة والارشاد من اعضاء الجمعية

(الاصل الثامن والثلاثون) تجتمع اللجنة في المدرسة مرة في كل شهر على الاقل وللناظر ان يدعوهم للاجتماع في غير الاوقات التي يعينون مواعيدها ان عرض ما يقتضي ذلك

(الاصل التاسع والثلاثون) لاعضاء اللجنة ان ينتخبوا لهم رئيسا دائما وان يجعلوا لكل جلسة رئيسا ، وفي حالة انتخاب رئيس سوى الناظر يكون الناظر هو كاتب سر اللجنة .

(الاصل الاربعون) تنعقد الجلسة بثلاثة على الاقل اذا كان الناظر والرئيس منهم ولا تكون قراراتها صحيحة نافذة حينئذ الا باتفاق الآراء وفيما عدا هذه الصورة يكون الحكم للاغلبية مطلقا فان تساوت الآراء نفذ رأي من كان الرئيس معهم .

(الاصل الحادي والاربعون) تناط بلجنة المدرسة الاعمال الآتية

(ا) اختيار وترشيح المعلمين وسائر موظفي المدرسة وتقدير رواتبهم

(ب) وضع الميزانية السنوية للمدرسة

(ج) النظر فيما يلزم للمدرسة من الكتب وادوات الكتابة والرياضة البدنية والاجهزة والآلات لتعليم بعض الفنون ، والاثاث والماعون والطعام واللباس وتقرير ذلك .

(د) تقدير وتقرير المكافأة للناجحين في الامتحان

(ﻫ) النظر فيما تحتاج اليه المدرسة من المصنفات الجديدة ومن يعهد اليه بتأليفها وما يقرر للمصنفين من المكافآت . والنظر فيما يعرض على المدرسة من المصنفات الجديدة الموافقة لطريقتها في التعليم وما يقرر منها

(و) ترتيب اوقات الدروس ومسائلها .

(ز) النظر في كل مايتعلق بامتحان الطلاب وتقرير اوقاته وأنواعه ومسائلها (مع موافقة الاصل الثاني والسبعين من هذا النظام)

(ح) النظر في نقل الفائزين في الامتحانات من سنة الى أخرى ومن صنف الى آخر

(ط) اختيار الكتب النافعة للتدريس والمطالعة

(ى) النظر فيما يهديه أهل الفضل الى المدرسة ووضعه في مواضعه

(ك) محاكمة من يقصر فيما عليه من الاعمال من موظفي المدرسة غير الخدم

(ل) النظر في جميع مايتعلق بترقية المدرسة وحفظ مافيها

(م) التفتيش على الدروس

(ن) الاجازات المرضية وغيرها للطلاب والمستخدمين (وفاقا للاصل الخامس والستين من هذا النظام)

(الاصل الثاني والاربعون) تنظر لجنة المدرسة في كل ما تحتاج اليه المدرسة مما لانص عليه في هذا النظام وما تقرره من ذلك يقدمه الناظر الى مجلس ادارة جماعة الدعوة والارشاد للتصديق عليه

(الاصل الثالث والاربعون) لاتنفذ ميزانية المدرسة ولا شيء من قرارات لجنتها المتعلقة بالنفقات المالية الا بعد تصديق مجلس ادارة الجماعة عليه

﴿ ناظر المدرسة ﴾

(الاصل الرابع والاربعون) يشترط ان يكون ناظر المدرسة من أهل العلم والاستقامة والرغبة الذاتية في مقصد جماعة الدعوة والارشاد والاذعان لغرضها من التربية والتعليم المبين في هذا النظام

(الاصل الخامس والاربعون) الناظر هو المسؤل عند مجلس ادارة جماعة الدعوة والارشاد عن تنفيذ نظام المدرسة واقامة التربية والتعليم فيها ، وهو المنفذ لقرارات

لجنتها والذي يضع اللوائح والتنظيمات الداخلية لها ، وعلى كل من في المدرسة ان يعمل بهذه اللوائح والتنظيمات بعد تصديق لجنة المدرسة ، وجميع الموظفين فيها يكونون تحت ادارته .

(الاصل السادس والاربعون) الناظر هو الذي يعين خدم المدرسة وله حق عزلهم وتأديبهم

(الاصل السابع والاربعون) الناظر هو صاحب الحق في الاذن بدخول المدرسة والمنع منه فليس لاحد من الاجانب عن المدرسة او عن مجلس ادارة الجماعة أن يدخلها بدون اذنه

(الاصل الثامن والاربعون) للناظر ان يعهد الى بعض موظفي المدرسة بحفظ دراهمها والنفقة منها وعليه ان يراجع عمله ويحصر النقود في كل شهر على الاقل ويجوز ان يعطى العامل مكافأة على ذلك .

(الاصل التاسع والاربعون) يرسل الناظر الى اعضاء لجنة المدرسة بيانا بالمسائل التي ينظرون فيها قبل انعقاد كل جلسة باربع وعشرين ساعة على الاقل .

(الاصل الخمسون) الناظر يضع مشروع ميزانية المدرسة ويقدمه للجنتها في اواخر السنة المدرسية ويبين لها ايضا مايرى من زيادة عدد الطلاب في السنة التي بعدها ومن التغيير والزيادة في الكتب والادوات المدرسية والزيادة في رواتب الموظفين

(الاصل الحادي والخمسون) على الناظر ان يبين للجنة المدرسة في آخر كل سنة مايوجد في المدرسة من كتب الدراسة وادوات التعليم وغيرها

(الاصل الثاني والخمسون) على الناظر ان يبين للجنة المدرسة نتيجة كل امتحان يكون في المدرسة لتبني عليه قراراتها في قبول من يدخل المدرسة عقب امتحان الدخول ونقل من يصلح للنقل من سنة الى اخرى ومن صنف الى آخر بعد الامتحان السنوي والامتحان الاخير للصنف الاول ، ومن يصلح للتعليم من أهل الشهادتين العالية والعليا بعد امتحانهما لتختار منهم من تحتاج اليه المدرسة من المعلمين

(الاصل الثالث والخمسون) على الناظر ان يقدم لمجلس ادارة الجماعة كشفا بأسماء من فازوا في امتحان الشهادتين العالية للمرشدين والعليا للدعاة واسماء من

اختارتهم لجنة المدرسة منهم للتعليم ليعين المجلس المعلمين ويرسل الباقين الى البلاد التي يختارها لاجل قيامهم بالدعوة والارشاد فيها

(الاصل الرابع والخمسون) على الناظر ان يقدم عقب كل جلسة للجنة المدرسة بيانا لمجلس ادارة الجماعة بقراراتها لاجل النظر فيها والتصديق على مايتوقف تنفيذه على تصديقه

﴿ المراقب العام ﴾

(الاصل الخامس والخمسون) لايتلقى المراقب امرا الا من ناظر المدرسة

(الاصل السادس والخمسون) على مراقب المدرسة القيام بما يأتي

(ا) حفظ النظام في المدرسة وصيانة مبانيها وأثاثها

(ب) تعهد الخدم في قيامهم بخدمتهم ولا سيما النظافة

(ح) التنبيه على اوقات الدروس والاكل والرياضة

(د) مراقبة الطلاب في الحضور والاجتماع والتفرق والاكل والرياضة والصلاة والنوم

(ه) حضور عيادة الطبيب وتنفيذ الاوامر الصحية

(و) معاونة مأمور الادارة فيما يحضره للمدرسة

(ز) القيام بكل ما يكلفه الناظر اياه من اعمال المدرسة

﴿ المخالفة والتأديب ﴾

(الاصل السابع والخمسون) الذنوب التي تعاقب عليها المدرسة نوعان ذنوب مدرسية كاتلاف بعض أدوات وأثاث المدرسة او كترك التلميذ او المستخدم ما تكلفه اياه المدرسة في نظامها العام او بألسنة رؤسائها كالمعلمين والمراقب مع الطلبة والناظر مع الجميع فليس لطالب ان يعصى استاذه ولا المراقب عليه ولا لاحد من المدرسة أن يعصي الناظر

(الاصل الثامن والخمسون) جميع الشكايات في المدرسة تقدم الى الناظر وما كان منها في حق الناظر فانه يرفعها مع بيان رأيه وعمله فيها الى مجلس ادارة

الجماعة في مدة لا تتجاوز الاسبوع ، وللشاكي بعد الاسبوع ان يراجع المجلس مباشرة اذا لم يُشكه الناظر او يقنعه

(الاصل التاسع والخمسون) من اتلف شيئا من اشياء المدرسة لتقصير منه غرم ثمنه

(الاصل الستون) يعاقب الطلاب على ذنوبهم بالتعذير والتأنيب النزيه سرا فجهرا في الدرس أو غيره من الاجتماعات فالوقوف في الدرس فالحرمان من الرياضة مرة أو اكثر فالقيام ببعض الاعمال النافعة وقت الرياضة فالحرمان من الادام مرة او أكثر أو من الاكل مع الجماعة فقطع المرتب شهرا او اكثر فالحرمان من الاجازة الصيفية فالاخراج من القسم الداخلي فالطرد من المدرسة . ويجوز الجمع بين عقوبتين فاكثر من هذه العقوبات . ولا يجوز ان يعاقب أحد بعقوبة بدنية ولا بالحرمان من الدرس الا اذا هوّش فيه فللمدرس ان يخرجه منه ولا من الطعام البتة

(الاصل الثاني والستون) كل من ارتكب ذنبا مخلا بالدين والشرف يطرد من المدرسة حتما . ومن أشد الذنوب قبحا الكذب فمن ثبت عليه انه كذب وانكر كذبته ولو مرة واحدة يطرد من المدرسة ومن ثبت عليه الكذب ثلاث مرات مع الاعتراف والاعتذار والتوبة يطرد من المدرسة بعد المرة الثالثة ، ويلي ذلك طعن بعض الطلاب في مذهب غيره وتهييج العصبية المذهبية او الجنسية فمن تكرر ذلك منه يطرد طردا

(الاصل الثالث والستون) للناظر الحق في تأديب التلاميذ بما عدا الطرد من المدرسة ، واما الطرد فيكون بحكم من لجنة المدرسة ولا يعلن هذا الحكم ولا ينفذ الا بعد تصديق مجلس ادارة الجماعة عليه

غياب موظفي المدرسة واجازاتهم

(الاصل الرابع والستون) للناظر ان يغيب عن المدرسة في ايام العمل الى ثلاثة ايام واذا احتاج الى اجازة اكثر من ثلاثة ايام يطلب ذلك من مجلس ادارة الجماعة ويختار له وكيلا عنه في مدة الاجازة من مدرسي المدرسة او لجنتها ويخبر مجلس ادارة الجماعة بذلك

(الاصل الخامس والستون) اجازات جميع موظفي المدرسة تطلب من ناظرها وللناظر ان يستقل باعطاء اجازة ثلاثة ايام وما زاد على ذلك يعرضه على لجنة المدرسة

(الاصل السادس والستون) ليس لاحد من المدرسين غير المتبرعين ان يغيب عن وقت الدرس الا بعذر صحيح وعلى كل مدرس يريد الغياب عن درسه أن يخبر الناظر قبل الدرس ليتدارك الامر

(الاصل السابع والستون) من غاب من موظفي المدرسة عنها لمرض فللناظر ان يكلفه احضار شهادة طبية من طبيب تثق به المدرسة فاذا زادت مدة غيابه بعذر المرض عن ثلاثة ايام ولم يقدم شهادة طبية بمرضه وكونه مانعا له من عمله فللناظر ان يكلف طبيب المدرسة أو طبيبا آخر ولو بالاجرة ان يعوده ويقدر المدة التي يظن شفاؤه فيها ثم يخبر بذلك لجنة المدرسة ومجلس ادارة الجماعة

(الاصل الثامن والستون) من غاب من الموظفين اكثر من ثلاثة ايام بغير عذر المرض يعرض الناظر امره على لجنة المدرسة ولها ان تعده مستعفيا وتنتخب بدله ، ثم يعرض الناظر ما تقرره على مجلس الادارة للتصديق عليه

(الاصل التاسع والستون) من غاب من الموظفين او المدرسين المندوبين عن المدرسة وقت عمله بغير عذر المرض مطلقا او بعذر المرض اكثر من ١٥ يوما جاز للجنة الادارة ان تقرر اختزال راتبه في المدة التي غاب فيها او مدة اكثر منها او اقل

الامتحان

(الاصل السبعون) الامتحان ثلاثة انواع : امتحان الدخول في المدرسة وامتحان الاختبار في منتصف كل سنة وآخرها وامتحان الشهادة الدراسية . وكل منها يكون لسانيا وقلميا

(الاصل الحادي والسبعون) يمتحن الطلاب الداخليون في جميع مواد العلوم التي يدرسونها . ويمتحن الطلاب الخارجيون في مواد الدروس التي واظبوا عليها وفيما يطالبون ان يمتحنوا فيه من غيرها

(لاصل الثاني والسبعون) يتولى معلمو المدرسة امتحان الدخول والامتحان

الذي يكون في اثناء السنة وفي آخرها تحت رياسة الناظر واما امتحان الشهادة فيتولاه لجنة يعينها مجلس الادارة ويعين رئيسها . ويجوزله ان يندب بعض الاجانب عن المدرسة لمشاركة اساتذتها في امتحان آخر السنة

(الاصل الثالث والسبعون) انما يكون الفوز والنجاح في الامتحان السنوي وامتحان الشهادة بحسب النسبة المبينة في الجدول الآتي

الاخلاق والآداب العملية	٩٠ في المئة
حفظ القرآن الكريم	٨٠ »
تجويد « «	٥٠ »
التفسير	٧٠ »
الحديث	٦٠ »
مصطلح الحديث	٥٠ »
التوحيد	٥٠ »
الكلام (ويدخل فيه رد الاغاليط والشبه والمطاعن عن الاسلام)	٥٠ »
البدع والخرافات والتقاليد والعادات	٥٠ »
اصول الفقه	٥٠ »
الفقه	٥٠ »
حكمة التشريع	٦٠ »
علم النفس والاخلاق والتصوف والتربية العلمية العملية	٦٠ »
الارشاد والمرشدون والدعوة والدعاة	٦٠ »
تاريخ الاسلام ودوله	٦٠ »
تقويم البلدان	٦٠ »
التاريخ العام قديمه وحديثه	٥٠ »
الملل والنحل (ومنه تاريخ الاديان والجمعيات الدينية)	٥٠ »
اصول القوانين وحقوق الدول وضروب النظام	٤٠ »
المنطق	٤٠ »

المناظرة وآداب البحث	٤٠ »
سنن الاجتماع	٥٠ »
سنن الكائنات	٤٠ »
الرياضيات (حساب وجبر وهندسة وهيئة)	٥٠ »
فنون العربية (١)	٥٠ »
ادبيات العربية وتاريخها	٦٠ »
اللغة الاوربية	٦٠ »
سائر اللغات	٣٠ »
قانون الصحة	٥٠ »
الاقتصاد	٥٠ »
الخط والرسم	٣٠ »

(الاصل الثالث والسبعون) من فاز في الامتحان الأخير للصنف الاول يعطى الشهادة العلمية العالية ويلقب فيها بالمرشد ، وهذه الشهادة تؤهله لمنصب ارشاد المسلمين بالوعظ والتعليم والتدريس في مدارس جماعة الدعوة والارشاد ماعدا صنف الدعاة بدار الدعوة والارشاد

(الاصل الرابع والسبعون) من فاز في الامتحان الاخير للصنف الثاني يعطى الشهادة العلمية العليا ويلقب فيها بالداعي الى الله . وهذه الشهادة تؤهله للدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والتدريس في الصنف الاعلى من دار الدعوة والارشاد وفي سائر مدارس الجماعة

(الاصل الخامس والسبعون) حملة الشهادتين العالية والعليا من دار الدعوة يرجحون على غيرهم للتعليم فيها وفي غيرها من مدارس الجماعة ويكونون من الاعضاء العاملين في الجماعة

(الاصل السادس والسبعون) من خاب في امتحان احدى الشهادتين لتقصيره

(١) هي فقه اللغة ومفرداتها واساليبها والنحو والصرف والعروض والبلاغة والانشاء والشعر والخطابة والاملاء

في بعض العلوم يجوز للجنة المدرسة ان تقرر اعادة امتحانه فيما قصر فيه في اثناء السنة وان تقرر تكليفه حضور جميع دروس السنة التي خاب فيها واعادة الامتحان مع طلابها في آخر سنتها . فان خاب في المرة الثانية ضربت له موعدا قريبا لاعادة امتحان ماقصر فيه فان خاب في الثالثة حرم من الشهادة التي أدى امتحانها . فان كان امتحان الشهادة العليا اقر على الشهادة العالية وبقي من صنف المرشدين . وإن كان امتحان الشهادة العالية اخرج من القسم الداخلي وله حينئذ ان يواظب على بعض دروس الصنف الثاني او كلها في القسم الخارجي ويمتحن مع طلابه

(الاصل السابع والسبعون) اذا خاب احد الطلاب الداخليين فيما عدا امتحان الشهادة من امتحانات آخر السنة بتقصيره في بعض العلوم وفوزه في الآخر فيجوز للجنة المدرسة ان تقرر اعادته دروس تلك السنة كلها ، وان يعاد امتحانه قبل دخول السنة التالية فيما خاب فيه اذا لم يزد عن ثلاثة علوم ، فاذا نجح نقل الى السنة التالية ، والا كانت مخيرة بين تقرير اخراجه من القسم الداخلي وبين قبول اعادته لدروس السنة كلها . ولا يعيد طالب دروس سنة اكثر من مرتين

(الاصل الثامن والسبعون) كل من اخرج من القسم الداخلي لغير علة المعاصي وفساد الاخلاق يجوز قبوله في طلاب القسم الخارجي

(الاصل التاسع والسبعون) اذا حال المرض او مانع اضطراري آخر دون أداء بعض الطلاب امتحان آخر السنة مطلقا كانت المدرسة مخيرة بين ان تمتحنه قبل الشروع في دروس السنة التي بعدها وبين إلزامه إعادة دروس تلك السنة كلها

(الاصل الثمانون) من برع في امتحان بعض العلوم وخاب في بعضها يجوز للمدرسة ان تعطيه شهادة خاصة فيما برع فيه . والخطابة كالعلوم فمن اتقنها يعطى شهادة بها

(خاتمة)

(الاصل الحادي والثمانون) لمجلس ادارة الجماعة تعديل احكام هذا النظام باتفاق ثلاثة ارباع جميع اعضائه بشرط ان يكون بعد اخذ رأي اعضاء لجنة المدرسة

المنار ١٣١٥

بشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

{مصر ـ الثلاثاء ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٩ ـ ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٩٠ هـ ١٩١١ م}

العلوم والفنون

﴿ التي تدرس في دار الدعوة والارشاد ﴾

(وطريقة تدريس كل علم منها في قسم الدعاة والمرشدين (*))

(تنبيه) ان إصلاح طريقة التعليم الاسلامي مع التربية الدينية هو الغرض الاول الذي تقصده جماعة الدعوة والارشاد في هذه المدرسة وانما نفع التعليم بتربية ملكة استقلال الفهم في تحصيل مسائل العلوم والحكم بها، وملكة الاستحضار لها عند الحاجة اليها، وملكة العمل بالعملي منها، ولا يتم تسهيل التعليم الا بتأليف لجنة علمية لتصنيف الكتب التي تصلح للتعليم والمطالعة على الوجه المبين هنا بالاجمال ، أما في بدء العمل فتختار المدرسة بعض الكتب المعروفة وترشد المعلمين في هذا الفصل

(*) هذا هو الفصل المشار اليه في الاصل الخامس من نظام المدرسة المنشور في الجزء العاشر

وفيما تبلغهم إياه من قرارات لجنتها الى كتب أخرى يقتبسون منها دروس بعض العلوم الى ان يتم لها ما تقصد اليه من ايجاد الكتب الدراسية الجديدة ، فعليهم ان يرموا الى ذلك الغرض ويتوخوا تربية الملكات الثلاث

﴿ تجويد القرآن الكريم ﴾

تقرأ رسالة في علم التجويد لصنف المرشدين ويعلمون التجويد بالعمل بأن يقرأ كل طالب على حافظ المدرسة طائفة من الآيات بالتجويد في الاوقات التي تعين في البرنامج فيصحح له الحافظ تجويدها الى ان يكون ذلك ملكة في اللسان

﴿ التفسير ﴾

يقرأ درس عام دائم في التفسير لطلاب جميع السنين على طريق الوعظ والخطابة بلغة فصيحة ليتعلموا منه كيفية الارشاد والوعظ الذي يرجى تأثيره في القلوب ، وليكون مثالا لهم في الاسلوب الذي يطبع ملكة الخطابة الدينية في نفوسهم وألسنتهم ، وغذاء لإيمانهم ، ومهذبا لاخلاقهم ، ومذكرا لهم بمقصد الدين ، من إصلاح المؤمنين

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين تفسير القرآن كله بالاختصار والسهولة مع اجتناب اصطلاحات العلوم والفنون العربية والشرعية ، ويتوخى فيه فهم الآيات بغير تكلف كما يعطيه اسلوب اللغة وينطبق به بعض القرآن على بعض ، فيراعى فيه أخذه بجملته وتفسير بعضه ببعض ، ويراجع فيه المأثور ويعتمد ما يصح منه ، وينبه فيه على أجوبة الشبهات عن بعض الآيات التي يعترض عليها المبطلون ، او يشتبه فيها الجاهلون ، من غير شرح للشبهة ، بحيث اذا أوردت على الطالب يفطن لجوابها ، والا بقي غافلا عنها

صنف الدعاة

ويقرأ لصنف الدعاة تفسير الآيات التي ترد عليها الشبهات ، ويجادل فيها الكافرون أو أصحاب المقالات ، مع شرح الشبهات المتعلقة بالعلوم الكونية والفلسفة والتاريخ والقوانين ومجادلة أهل الاديان ، والجواب عنها بطريق المناظرة ،

وكذلك الآيات الدالة على ما امتاز به الاسلام على جميع الاديان ، وبيان حقائق العلوم التي لم تكن معروفة للبشر في زمن التنزيل ولا سيما للعرب سواء كان ذلك في علوم الكون أو علوم الاجتماع والشرائع والآداب

﴿ الحديث ﴾

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين مثل مختصر البخاري ، ومختصر الزواجر ، او الترغيب والترهيب للمنذري ، والشفاء ، يقرأ ذلك بأسلوب سهل فيبين لهم معنى الحديث بالاختصار من غير بحث فيما يتعلق به من العلوم والفنون والاعراب الا النادر الذي يتوقف عليه الفهم احيانا ، ولا شرح للشبهات الا ما يشكل على العامة عادة مما يبثه المبطلون في أحاديثهم وخطبهم ، والمشككون في رسائلهم وكتبهم ،

صنف الدعاة

ويقرأ لصنف الدعاة مثل المنتقى للشيخ مجد الدين ابن تيمية أو غيره من مختصرات دواوين الحديث ، ويتوسع لهم في فقه الحديث وحكمه ، وفي التعارض والترجيح بين الاحاديث وشرح الشبهات الواردة عليها ، والبحث في مشكلاتها واسانيدها وعللها ، اذ المطلوب ان يكون الدعاة من علماء الحديث رواية ودراية لاجل تحريره اهو صحيح متفق عليه مقبول عند الامة فيجب الدفاع عنه والاحتجاج به حتما ، وما ليس كذلك فيكون من دفاع المعترضين عليه أن أئمة المسلمين لم يتفقوا على قبوله فلا يلزمهم مايرد عليه

(اصول الحديث او ـ المصطلح)

يقرأ هذا العلم قبل قراءة الحديث نفسه ، وطريقة قراءته أن يعرّف كل اصطلاح تعريفا واضحا ويوضح بعدة أمثلة ، ويبين ما اختلف فيه اصطلاح بعض المحدثين عن بعض كاصطلاح الترمذي في الحديث الحسن والغريب

﴿ التوحيد ﴾

المراد بعلم التوحيد علم العقائد الاسلامية المبينة في القرآن الحكيم ، التي قامت

بها دعوة الدين، ومباحثه تدخل في ثلاثة أبواب: الإلهيات والنبوات والغيبيات، أي مايجب الايمان به بالغيب، ويعبر عنها أيضا بالسمعيات

صنف المرشدين

هذا العلم خاص بصنف المرشدين يجب ان يبرعوا فيه قبل الانتقال الى صنف الدعاة. فأما الإلهيات فتقرأ على هدي القرآن وسنته في الاستدلال بالكائنات، أكثر من الاستدلال بالنظريات، وعلى الوجه الذي يودع في القلوب حب الله تعالى وتعظيمه ومراقبته، والجمع بين الرجاء الذي يرغب في طاعته، والخوف الذي ينفر من معصيته، والاستغراق في توحيده، ومعرفة كماله بصفاته، ويشرح في هذا الباب مافشا الخطأ في فهمه بين الناس كمسائل القضاء والقدر والجبر، والتوكل والكسب، والغرور والرجاء، واليأس والامل، والدعاء والتوسل، والولاية والبراءة

وأما مسائل النبوات فتقرأ على الوجه الذي يعرف به احتياج البشر الى ارسال الرسل وتفضل البارئ الحكيم بايتائهم مايحتاجون اليه من هذه الهداية التي تكمل بها فطرتهم، بوحيه الى أفراد كملتهم، ليفقهوا عنهم ويقتدوا بهم، فتصلح أحوالهم، وترتقي عقولهم وأرواحهم، ويتوقف ذلك على بيان اخلاق الرسل عليهم السلام وصفاتهم، وسيرتهم في أقوامهم، ورفعهم إياهم من حضيض الوثنية الى أوج التوحيد، وعلى بيان مفاسد الوثنية التي كانوا عليها، وبيان ارتقاء الدين بارتقاء استعداد البشر للاهتداء به، الى ان تم وكمل بالاسلام، وختمت النبوة والرسالة بمحمد عليه الصلاة والسلام، ومعنى كون دين الله واحدا في كل زمان وسنة الله في ارتقائه واكماله، وبيان ماامتاز به القرآن على سائر الكتب والاسلام على سائر الاديان اجمالا، ويبين في هذا الباب مايشتبه فهمه على الناس من الشفاعة المثبتة في القرآن والشفاعة المنفية فيه، والهداية المثبتة للانبياء والهداية المنفية عنهم، ومعنى عصمتهم، وعدم التفريق بينهم، مع تفضيل الله بعضهم على بعض

وأما السمعيات الثابتة في الخبر عن عالم الغيب فتقرأ على الوجه الذي يعرف به الانسان فوائد الايمان بالغيب وحياة الآخرة الابدية كتوسيع نطاق العقل باخراجه من مضيق علم المحسوسات المشتركة بين كل ذي حس، الى فضاء مدارك الروح

والعقل، وإعلاء مقام النفس بتوطينها وإعدادها لتلك الحياة العالية، التي تحتقر بالنسبة اليها هذه الحياة الفانية، فتهون عليها مصائب الدنيا وخطوبها، ويسهل عليها احتمال المتاعب وترك الشهوات في سبيل الحق

ويجتنب في تقرير هذه العقائد ذكر الخلاف بين المذاهب والفرق، ويعتمد على ما كان عليه الصدر الاول من السلف، ولا بد من وضع رسائل على هذه الطريقة تكون على ثلاث مراتب: احداها للتعليم الابتدائي وللعوام، والثانية للتعليم المتوسط، والثالثة للتعليم العالي، وارشاد الطلاب بها الى الطريقة التي يعلمون بها كل صنف من الناس على قدر فهمه وحسب مايليق بحاله

﴿ الكلام ﴾

المراد بعلم الكلام علم حماية العقائد الاسلامية والدفاع عنها، ورد مايورده الملاحدة والمبتدعة من الشبهات عليها والتحريف فيها، بالدلائل الحقيقية والالزامية، وقد تجدد في هذا العصر شبهات لم تكن معروفة في عصر المتكلمين السابقين، وبطل كثير من تلك الشبهات التي كانت رائجة في عصرهم، المستنبطة من العلوم اليونانية وغيرها، فتجب العناية في هذا العلم بما يحتاج اليه في هذا الزمن على الطريقة التي ترجى فائدتها فيه

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين رسالة مختصرة من كتب المتكلمين كالسنوسية او النسفية بحيث يفهمون عباراتها، ويعرفون اصطلاحهم منها، ويقرأ لهم رسالة أخرى تذكر فيها الشبهات الرائجة بين العامة في هذا العصر من قبل دعاة النصرانية، ومقلدة الملاحدة ونحل الباطنية، مع بيان وجه بطلانها

صنف الدعاة

يتوسع لهذا الصنف في رد الشبهات المتولدة من العلوم الرائجة في هذا العصر كالفلسفة والهيئة والتاريخ والقوانين وغيرها على النحو الذي ذكر في الكلام على التفسير

﴿ البدع والخرافات ، والتقاليد والعادات ﴾

صنف المرشدين

هذا العلم خاص بصنف المرشدين فتقرأ لهم دروس خاصة في بيان البدع التي نجمت في المسلمين ، والخرافات التي فشت بينهم ، يبين فيها مثاراتها وأسبابها وتاريخها ، وتأثيرها الضار في الدين والدنيا ، وفي بيان التقاليد والعادات التي سرت اليهم من الامم والشعوب التي دخلت في الاسلام أو جاورها المسلمون ، والتمييز بين الضار منها والنافع ، و بين ماصبغ باون الدين وليس منه في شيء

و يبين المدرس في مقدمة هذه الدروس وجه الحاجة اليها وان ماتكون عليه الامة من هذه الامور يعد من مقوماتها أو مشخصاتها التي تمتاز بها عن غيرها ، وان مابه الامتياز والتشخص ينبغي ان يكون حسنا نافعا ، وان ينقى من القبيح وأسباب الضرر ، وان اطباء الامم الروحيين والاجتماعيين لا يستطيعون معالجة أمراضها وحفظ صحتها الا اذا عرفوا كل ذلك منها

وقد كان علماؤنا يبينون هذه الامور في كتب الكلام والمواعظ والرقائق والاخلاق والآداب وكتب التاريخ ، فالمدرس يستمد من هذه الكتب ومنها كتاب الاعتصام للشاطبي وكتاب المدخل لابن الحاج وكتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي و كتاب ايثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليماني وكتاب الطريقة المحمدية للبركوي ، و يبحث عما حدث من ذلك بعد عصر المؤلفين الذين وصلت الينا كتبهم ويذكر منه كل ما عرفه

﴿ الفقه ومنه الفرائض ﴾

يشترط في كل طالب ان يكون محصلا قدرا من فقه مذهبه يعرف به اسلو به ويسهل عليه به ان يراجع في كتبه منه مايحتاج اليه

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين شيء من فقه المذاهب كلها بالايجاز الا في العبادات والاحكام الشخصية ومنها الايمان والنذور والذبائح والاشربة والاضحية فتفصل

بعض التفصيل ليعرفوا اصطلاحات هذه المذاهب فيسهل على كل واحد أن يتوسع في فقه أي مذهب منها بنفسه اذا صار مرشدا في جهة يغلب فيها اتباعه ، واحتاج فيها الى ذلك التوسع . ومن فوائد ذلك ان يعرف كل طالب أن هذه المذاهب متقاربة فلا يتعصب لبعضها على بعض ، وانها متفقة في المسائل القطعية التي لا يسع مسلما جهلها ، وأن ماوقع من الخلاف بالاجتهاد فيما دون ذلك لاينبغي ان يكون سببا لتفرق المسلمين في دينهم ، بل عليهم ان يعذر بعضهم بعضا وان خالفه في مثل هذه المسائل كما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم

ويكتفى في الفقه ببيان المسائل التي يحتاج اليها في العمل دون الشواذ والفرضيات . ويوضع لذلك رسائل تذكر فيها المسائل مفصلة معدودة على طريقة مجلة الاحكام العدلية . ويجب ان تكون عبارتها في غاية السهولة والانسجام ، لانها هي الطريقة التي تسلك في تعليم العوام ، وتقرأ لهم رسالة في الفرائض ويمرنون على عمل المناسخات

﴿ حكمة التشريع ﴾

بهذا العلم يكون المسلم على بصيرة من دينه ، منبعثا الى العمل به بوازع من نفسه ، وبه تكون حجته بالغة في الاستدلال على حقيته ، ودفع شبهات المعترضين على شريعته ، و به يعلم وجه كون هذه الشريعة هي الحنيفية السمحة الصالحة لجميع البشر في كل زمان ومكان ، توافق أهل السذاجة والبداوة ، وترفعهم الى أرقى انواع الحضارة ، وكون كل حضارة تخرج عن هديها لاتسلم من الرذائل المادية ، والآفات الشائنة للانسانية ، فلبيان هذه الفوائد يدوّن هذا العلم ، ولاجلها يقرأ

صنف المرشدين

يوضع كتاب في حكم الشريعة واسرارها على طريقة كتب فروع الفقه يذكر في كل باب منه حكم ماثبت في الكتاب والسنة من الاحكام بالتفصيل ومنه يعلم حكمة ما استنبطه العلماء منها أو قاسوه عليها ، ويقرأ هذا الكتاب لصنف المرشدين

صنف الدعاة

و يوضع كتاب آخر تجمل فيه مقاصد الشرع وحكمه قواعد وتذكر الفروع

على سبيل التمثيل ، ويقرأ هذا الكتاب لصنف الدعاة ،مثال ذلك قاعدة اليسر في الدين ورفع الحرج وقاعدة المحرم لذاته والمحرم لسد الذريعة ،وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات وكونها تقدر بقدرها ، وفروعها كثيرة معروفة ،

ويستعان على تأليف الكتابين بالمصنفات التي تذكر فيها هذه الحكم كاحياء العلوم للغزالي واعلام الموقعين وزاد المعاد لابن القيم والموافقات للشاطبي والفروق للقرافي وحجة الله البالغة للدهلوي ومجلة المنار

﴿ أصول الفقه ﴾

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين بعض الرسائل المختصرة في الاصول على طريقة الجمهور، ودروس في المسائل المهمة من كتاب الموافقات للشاطبي، ويستكثر لهم من الامثلة فيها

صنف الدعاة

يقرأ لصنف الدعاة مختصر الموافقات وكتاب آخر على طريقة الجمهور تؤخذ دروسه من الكتب المبسوطة الواضحة العبارة كالمنخول للغزالي والمسودة لآل تيمية وارشاد الفحول للشوكاني ويستكثر من الامثلة فيها أيضا

﴿ علم الاخلاق والتصوف والتربية العلمية والعملية ﴾

من المختصرات الجديرة بالتدريس لصنف المرشدين كتاب الاخلاق والسير لابن حزم ، والذريعة للراغب الاصفهاني ، و (مختصر الاحياء) ان وجد مختصر موافق والا فيختصر على حسب الغرض . (١) ويزاد عليه في مباحث ذم الدنيا والفقر والزهد بيان الفرق بين زماننا وزمان القرون الاولى من المسلمين في الحاجة الى سعة الثروة وتوقف حياة الامة عليها الان، وعدم توقفها في ذلك الزمان ،وكون الزهد الصحيح والقناعة الفضلى ، لا ينافيان تحصيل الثروة وعمارة الدنيا ، لانهما من

(١) يشترط ان يكون مختصر الاحياء خاليا من الاحاديث الموضوعة والواهية وان يذكر في هوامشه تخريج الاحاديث والتنبيه لما يستدرك على الاصل او يبين الفرق في تأثيره بين زماننا وزمان من قبلنا

صفات القلب ، وفي تدبيرهما ان يجمل الانسان فضل ماله لنفع امته ومجد ملته ، وانه لا ينبغي تعمد ترك تحصيل الثروة ، الا لعمل انفع للامة والملة

ويوضع له كتاب في الاخلاق وكتاب في التربية العلمية والعملية ونظام التعليم على الطريقة التي تمس اليها حاجة هذا العصر يقتبس فيها من كتب حكمائه ما زادوه على المتقدمين من الفوائد والحقائق التي اقتضتها حال الاجتماع، ويلخص في كتاب التربية والتعليم ما كتبه الغزالي في نظام التعلم من كتابه الاحياء وما كتبه ابن خلدون في مقدمته وما يختار من كلام غيرهما كأبي بكر بن العربي والشيخ زكريا الانصاري ثم ما اهتدى اليه علماء الغرب من ذلك بالنظر والاختبار ، وبذلك يظهر اتصال سلسلة هذا العلم ، وتعرف الطريقة المثلى التي ينبغي ان يجري عليها المسلمون في هذا العصر

ويدخل في باب التصوف بيان طرق الصوفية واختلافهم فيها وتأثيرها في الامة واسباب انتشار بعضها في قطر دون آخر وما وافق السنة منها وما خالفها وبيان وسائل اصلاح ما فسد منها

﴿ علم الارشاد والدعوة والدعاة والمرشدون ﴾

الارشاد ضرب من ضروب التربية والتعليم وهو ما كان دينيا منهما كالوعظ وتربية المكلفين، فهو بمعنى التصوف على ما كان يفهمه بعض المتقدمين، والمراد به هنا ما يشمل ارشاد المسلمين الى مصالحهم الدنيوية كالمحافظة على قوانين الصحة بحسب ما وصل اليه العلم ، والاقتصاد في المعيشة كما يليق بحال العصر ، والعناية بأمور الكسب بالطرق الحديثة ، مضموما هذا الى الوعظ وتربية الاخلاق والاداب ، والمرشدون هم العلماء العاملون الذين قاموا بالارشاد ، ونفعوا به العباد . واما المراد بالدعوة الى الدين والدعاة القائمين بها فظاهر

صنف المرشدين

علم الارشاد المستمد من عدة علوم خاص بصنف المرشدين ، لانهم يعلمون تلك العلوم لاجله ، فتدرس لهم طرقه العلمية والعملية واساليبه ومسائله واختلافها

باختلاف احوال البلاد في سياستها واحكامها وطبائعها ككونها زراعية أوصناعية ، واختلاف أهلها في المذاهب والاخلاق والعادات ، واختلاف أعمار المخاطبين وافهامهم ، وتذكر لهم تراجم أشهر المرشدين في الامم واساليب ارشادهم ومبلغ تأثيرهم ووجه الاعتبار بهم

صنف الدعاة

الدعوة الى اصل الدين اعسر من الإرشاد الى العمل بأحكامه والاخذ بآدابه، وأخص منه لانها تستلزمه ، وتحتاج الى اكثر مما يحتاج اليه من العلوم ومن الحكمة والكياسة ، وتختلف مثله باختلاف أحوال البلاد وأهلها ، وللاديان وتاريخها ، ودروسها خاصة بصنف الدعاة فتقرأ لهم على الطريقة المشار اليها في قراءة علم الارشاد، ومنها الاعتبار بما عند الامم الاخرى منها ، وتراجم الدعاة المشهورين ، ويتوسع لهم في بيان اسباب سرعة انتشار دعوة الاسلام في العصر الاول وبعده وكيف كانت دعوته وتأثيره في الامم والاقطار، وما سرى من أصوله وتعاليمه الإصلاحية الى أهل الملل الاخرى .

﴿ تاريخ الاسلام ودوله ﴾

المراد بتاريخ الاسلام سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين، ومافيهما من الاحكام والحكم والعبر، وسيرة أئمة العلم والدين من السلف الصالحين، فيوضع في ذلك كتاب خاص على الطريقة العلمية يبين في مقدماته ومقاصده أحوال الامم الدينية والاجتماعية عامة والعرب خاصة قبل الاسلام ، وحاجة الجميع الى إصلاح روحي اجتماعي يضع عن الناس إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، من الوثنية التي جعلتهم عبيدا للمخلوقات التي سموها آلهة ، والمخلوقين الذين جعلوهم ملوكا ، إذ لم يكن لأحد منهم حرية في استعمال عقله ، ولا في التصرف ببدنه ، الا بمشيئة رؤساء الهياكل والمعابد ،أو رؤساء العروش في القصور ، ثم ما تتضمنه تلك السيرة المباركة من الاصلاح العام في العقائد والعبادات ، والعادات والمعاملات ، والحروب والسياسات ، وسائر امور البشر الاجتماعية والمدنية والادبية ، ولاسيما

رابطة الزوجية ومعاملة النساء ، ويلي ذلك بيان تأثيره في المسلمين بوضع السلف للعلوم واشتغالهم بالفنون التي كانت أساس حضارة الاسلام يبين كل مقصد من هذه المقاصد في باب من ابواب الكتاب

ويوضع كتاب آخر في تاريخ دول الاسلام يبين فيه أسباب تكوّن كل دولة منها وما قامت به من الاعمال كالفتوحات والصناعات وسائر شؤون العمران ومقدماتها وسيرتها في القضاء والمدنية ، ثم اسباب ضعفها وزوال ما زال منها وحالة ما بقي منها الى اليوم

﴿ التاريخ العام قديمه وحديثه وتاريخ الاديان ﴾

صنف المرشدين

يقرأ التاريخ العام للصنف المرشدين مختصرا ، ويجعل له مقدمة في بيان حكمته وفوائده ونقده وما يعرض فيه من الهوى والوهم ، يذكر فيها رأي ابن خلدون في أول مقدمته في ذلك ويزاد عليه ما يختار من كتب حكماء الغرب

صنف الدعاة

ويقرأ لصنف الدعاة بالتوسع المناسب لحالهم ويزاد لهم تاريخ الاديان عامة وتاريخ الكنيسة خاصة وماله من التأثير في الانقلاب الاجتماعي والسياسي والمدني في أوربة وغيرها ، ويرشد من يراد إرسالهم الى قطر من الاقطار للارشاد أو للدعوة ان يطالعوا المطولات في تاريخ ذلك القطر وسكانه من تصانيف المتقدمين والمتأخرين ليكونوا على بصيرة في عملهم ، وينبه الطلاب في كل درس على ما فيه من العبرة والموعظة . ويدل الاستاذ الطلاب على الكتب التي تسهل عليهم المراجعة في كتب العهد العتيق والعهد الجديد كقاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست ، وكتاب مرشد الطالبين ، وكتاب مغني الطلاب ، وكتاب ذخيرة الالباب

﴿ الملل والنحل والجمعيات الدينية ﴾

صنف الدعاة

علم الملل والنحل خاص بصنف الدعاة وتؤخذ دروسه مما كتبه علماؤنا كابن

حزم والشهرستاني ومن الكتب الاوربية ، ويختصر الكلام في الملل والنحل المندرسة ويتوسع في غيرها ، ويتبع هذا بيان احوال الجمعيات الدينية ، ويتوسع ايضا في بيان أحوال أهل النحل الرائجة بين المسلمين في هذه الازمنة في هذه لازمنة كالبكداشية والبابية البهائية منهم وغير البهائية

﴿ تقويم البلدان وخرت الارض ﴾

يقرأ لصنف المرشدين خرت لاقطار الاسلامية وتقويم بلدانها مفصلا تفصيلا وخرت سائر الارض بالاجمال ، ولكنه يفصل لصنف الدعاة بأنواعه الدينية والسياسية والتجارية ، وينبه الطلاب في اثناء الدروس الى العبرة بسنن الله تعالى في ادالة الدول وارث الارض ،

﴿ حفظ الصحة ﴾

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين علم حفظ الصحة وما يتبعه من علم الاسعافات الوقتية التي يمكن استعمالها في غيبة الطبيب عند حدوث المرض أو الجرح أو الحرق ، ويذكر في مقدمة هذا العلم ما ورد في الكتاب والسنة من الدلائل على مشروعية الطب والتداوي وتحرير مسألة العدوى ، و يبين فيه أن قوام هذا العلم في اتباع الشريعة في الطهارة والعفة والاعتدال في الامور كلها

﴿ الاقتصاد ـ أو ـ تدبير الثروة ﴾

يوضع للدروس التي تقرأ من هذا العلم مقدمة في الايات ولاحاديث الواردة في الاقتصاد وذم الاسراف والتبذير ، ومراعاة الشريعة لذلك بحظر اضاعة المال وانفاقه في المضار أو ما لا يفيد حتى فى مثل النهي عن الاسراف في الماء عند الوضوء والغسل ، وتبين فيها المقابلة بين الاسلام والنصرانية في ذلك وفي اختلاف أثر الدينين في التابعين لهما اذ عمل جماهير كل من المسلمين والنصارى في هذه العصور بضد ما يهدي اليه دينهم ، و يبين فيها مكانة الثروة من حياة الامم والدول في هذا الزمان

﴿ اصول القوانين وحقوق الدول وضروب النظام ﴾

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين قدر صالح من نظام الشركات والنقابات والجمعيات والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية والبلدية ونظام الادارة والقضاء الاهلي والمختلط بحيث يكونون على بصيرة مما عليه الحكومات القانونية في عصرهم

صنف الدعاة

ويقرأ لصنف الدعاة قدر صالح من حقوق الدول واصول القوانين وفلسفتها ويبين لهم في كل باب منها نسبة مسائله الى الشرع . ويستعان على هذا بما كتبه بنتام ومونتسيكو وغيرهما من حكماء الغرب

﴿ المنطق ﴾

يجتنب في تعليمه ايراد الامثلة بالحروف ويتحرى ان يكون أكثرها من الوجوديات وأقلها من النظريات ، ويتوسع في مباحث الاستقراء والتمثيل وسائر مواد القياس ، ويبين في باب البرهان منه خطأ الحس ويحرر فيه بحث التواتر وشروطه وما يعده الناس منه وهو ليس منه ، و يشرح في بحث الخطابة والشعر طرق التأثير بهما ، وفي مباحث الجدل والمغالطة والسفسطة ضروب التلبيس بها و يستكثر من الامثلة على ذلك ، ويكلف الطلاب استخراج الامثلة في ذلك من مناظرات الجرائد بارشاد الاستاذ وتنبيهه

﴿ المناظرة وآداب البحث ﴾

كان علماء المعقول منا يستعملون اصطلاحات فن آداب البحث في مناظراتهم كما يستعملون اصطلاحات المنطق كلفظ السند والمنع والنقض والمعارضة لاتفاق المتناظرين عليها ، ولا يكاد يستعملها الآن أحد ، ولكنها تفيد العارف بها بصيرة وقوة فتقرأ مع بيانها بالامثلة ،

صنف الدعاة

يمرن صنف الدعاة على المناظرة بالفعل بأن يجمع بعض الطلاب شبهات الملاحدة أو النصارى على الاسلام ويناظر فيها بعض اخوانه فيكون كل منهما سائلا تارة معللا أخرى ، ولا يدخر مورد الشبهات وسعا في تقريرها على النحو الذي يقرره به أهلها مع النزاهة والادب في العبارة فقد اطلق ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام لفظ الرب على الكوكب والقمر والشمس تمهيدا لاثبات التوحيد ، فان عجز المدافع عن الاسلام أو الداعي اليه عن رد شبهات الآخر واثبات مدعاه هو جاء حكم الحكم بينهما مبينا للحق في المسألة

﴿ علم النفس والحكمة العقلية ﴾

يقرأ هذان العلمان بأسلوب الصوفية وعلى طريقتهم وان اقتبست المسائل من كتب الحكماء المتأخرين . والمراد بأسلوب الصوفية وطريقتهم مايعين على تربية النفس على الكمال ، وتربية العقل على الاستقلال ، بأن توجه المسائل الى الطالب توجيه مطالبة بأن يكون سالما من امراض النفس والعقل، متمتعا بصحتهما، شاكرا لله تعالى نعمته بهما باستعمالها فيما خلقا له ، والعروج بهما الى سماء الكمال ، بقدر الطاقة والامكان ، لاتوجيه من يريد أن يرسم في لوح الدماغ صورا يمتع صاحبه بزينتها اذا عرضها على خياله ، أو على انظار الناس في الصحائف ، أو أسماعهم في المجالس، ويذكر في مقدمة كل منهما خلاصة ماوصل اليه المتقدمون فيهما ككلامهم في الحواس الباطنة وما ذكروه من مراكز الحس المشترك والحافظة والواهمة ،

﴿ علم سنن الاجتماع ﴾

هذا العلم من أجل العلوم التي هدانا اليها القرآن الحكيم فأجدر بالمسلمين ان يكونوا أشد الامم عناية به ، وتحريرا لمسائله، واهتداء بحكمه ، وينبغي ان يقرأ على الطريقة الاسلامية التي هي أرجى للعبرة وادعى الى العمل ،

صنف المرشدين

تؤخذ من مقدمة ابن خلدون المسائل الاجتماعية ويعقب على بعض الفصول

منها بما لا بد من التنبيه عليه كبيان خطأه في بعض ما قاله عن العرب ، وبيان ما اختلفت فيه طبيعة العمران واحوال الاجتماع كتغلب أهل الحضارة والترف في زماننا على أهل البداوة والخشونة ، خلافا لما كان في عهده وقبل عهده ، ويجعل ذلك دروسا أو فصولا تقرأ لصنف المرشدين

صنف الدعاة

ويوضع كتاب في هذا العلم على النسق الذي ارتقى اليه لهذا العهد وتنفخ فيه روح العبرة والهداية الاسلامية ويقرأ لصنف الدعاة . مثال ذلك ان يذكر في مقدمة العلم وبيان موضوعه ما ورد في ذلك من الآيات الحكيمة ، والاحاديث الشريفة، كقوله تعالى «١٣٦:٣ قد خلت من قبلكم سنن » وقوله «٦٢:٣٣ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » وما ماثلها . وفي باب أصول البشر واصنافهم ومراتب الاجتماع فيهم مثل قوله عز وجل (١٣:٤٩ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وقوله (١٩:١٠ وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا) وقوله (٢١٢:٢ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) الآية - وفي باب قوة الاجتماع والجمعيات الآيات والاحاديث الواردة في الاتفاق والاعتصام ، والناهية عن التنازع والتفرق وهي كثيرة ، وفي معناها حديث الترمذي « يد الله على الجماعة » - وفي باب انتقال الامم والدول من حال الى حال مثل قوله سبحانه (١٢:١٣ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقوله (١٣٩:٣ وتلك الايام نداولها بين الناس) وفي باب الاشتراكية والتعاون ماورد من الآيات والاحاديث والآثار في الزكاة والصدقات ، وينبه الطلاب على وجوه العبرة في هذا العلم وما ينبغي من العمل به

﴿ علوم سنن الكائنات، في المواليد وسائر الموجودات ﴾

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين دروس مختصرة في المواليد الثلاثة يتوسع فيها بعلم النبات والحيوانات الداجنة والسائمة بعض التوسع ، ورسائل مختصرة ايضا في الحكمة

الطبيعية والكيمياء ووظائف الاعضاء ، ويقرن تعليم كل علم بما يمكن من التجارب العملية التي يتمكن بها العلم ويظهر للمتعلمين مبادي فوائد العمل به ليرشدوا الامة الى ان العمل هو المقصود بالذات

صنف الدعاة

ويقرأ لصنف الدعاة دروس متوسطة في ذلك

تقرأ هذه العلوم كلها على طريقة اسلامية يعبر فيها عن كل قاعدة من قواعدها بالسنة الالهية فيقال في العنوان سنة الله تعالى في الجاذبية العامة ، سنة الله تعالى في تمدد الاجسام بالحرارة ، ويقال في اثناء الكلام سنة الجاذبية ، سنة التمدد ، سنة ضغط السائلات ، الخ ويذكر في كل موضوع ما يرى مناسبا له من الآيات الحكيمة ، والاحاديث الشريفة ، في الحث على النظر في الكائنات والاعتبار بها ، والاستدلال بما فيها من النظام على علم الله وحكمته ، وبما فيها من المنافع على سعة رحمته بعباده ، وكذا ما ورد مناسبا لكل موضوع في بابه ، تمزج التنبيهات بالمسائل مزجا يغذي الايمان ، ويرسخ به الايقان ، وينبهون على منافع هذه العلوم في العمران ، وما يجب على الامة من الاستعانة بها على اتقان الصناعات ، وعمل الآلات والادوات ، والجواري المنشآت ، وما يترتب على إهمالها من عجز الامة وضعفها ، وصيرورتها عالة على غيرها

﴿ العلوم الرياضية ﴾

تقرأ العلوم الرياضية كلها على الطريقة المعروفة في المدارس الا الهيئة الفلكية فانها تقرأ على النحو الذي أشرنا اليه في طريقة قراءة علوم سنن الكائنات من مزج المسائل بالآيات الحكيمة في الاستدلال بها على قدرة الباري الحكيم وعلمه وقدرته ، وبيان موافقة ما ارتقى اليه العلم في هذا العصر لما انزله الله تعالى على نبيه الامي (صلى الله عليه وسلم) منذ ثلاثة عشر قرنا

يقرأ لصنف المرشدين الحساب بالتفصيل التام وقليل من الهندسة ومبادىء الجبر والهيئة ، ويتوسع لصنف الدعاة في ذلك بعض التوسيع

(اللغة العربية وفنونها وتاريخ آدابها)

الغرض من تعليم اللغة العربية وفنونها وآدابها أن يكون كل متعلم قادرا على التعبير الفصيح بهذه اللغة قولا وخطابة وكتابة بلا تكلف ، وان يفهم أقوال بلغائها منظومة ومنثورة ، ثم أن يفهم كتاب الله تعالى ويدرك إعجازه بعقله وذوقه ، ويتأثر قلبه ويخشع بتلاوته ، ويفهم كذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان يفهم ايضا تصانيف علمائها في العلوم والفنون والآداب ، ويقدر على التدريس والتصنيف بها فيما علمه منها ، فينبغي ان يراعي هذا الغرض في جميع الدروس ويقرن فيها العلم بالعمل في مادة اللغة وفقهها وفنونها المبينة فيما يأتي

(فقه اللغة ومفرداتها واساليبها)

هذا العلم هو الاصل المقدم في علوم اللغة ، والنحو والصرف والبيان وغيرها من الفنون فروع او وسائل له ، ويحتاج في هذا العلم الى قليل من القواعد والقوانين في الوضع والمعاني العامة كالعام والخاص والمطلق والمقيد والمشترك والمترادف وغير ذلك ، والى كثير من قراءة الكلام البليغ في الاغراض المختلفة ، وكثير من مراجعة الكتب المصنفة في ذلك . فمن الكتب المشتملة على القواعد والقوانين الكلية التي تدرس او تجعل مادة للمدرس كتاب (الصاحبي) في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها (لابن فارس) وكتاب (أدب الكتاب) لابن قتيبة ، وكتاب (الادب) للزمخشري و(المزهر) للسيوطي و(الخصائص) لابن جني (والكليات) لأبي البقاء . ومن الكتب التي تراجع عند الحاجة كتاب (اساس البلاغة) للزمخشري ، و(لسان العرب) لابن منظور وكتاب (المخصص) لابن سيده و(فقه اللغة) للثعالبي (وإصلاح المنطق) و(تهذيب الالفاظ) كلاهما لابن السكيت . فأمثال هذه الكتب تكون بين أيدي المعلمين والطلاب يردون حياضها بقدر الحاجة عند المطالعة

وعند الكتابة . واما مراجعة المفردات لاجل ضبطها أو الوقوف على معناها فيعتمد فيه على احسن المعاجم ترتيبا ، واسهلها في الكشف عن الالفاظ طريقا ،

(النحو والصرف والعروض)

صنف المرشدين

يقرأ لصنف المرشدين بعض المختصرات التي ألفت في هذه الفنون او تؤلف على الطريقة العصرية في سهولة العبارة وكثرة الامثلة وان سبق لهم حضور ما هو أكبر منها من الكتب على غير هذه الطريقة ، ليتعلموا بذلك طريقة التدريس للمبتدئين ، ويقرأ لهم كتاب آخر في النحو تختاره لجنة المدرسة ، ويتحامى في قراءته ما لا فائدة فيه من التعليلات المخترعة والفلسفة العقيمة وكل ما ليس من موضوع الفن ولا يوصل الى غايته

(المعاني والبيان والبديع)

تسمى هذه الثلاثة فنون البلاغة ، والبلاغة في الحقيقة ملكة طريق تحصيلها مزاولة الكلام البليغ بالقراءة والحفظ والتكلم والكتابة ، وقواعد هذه الفنون تعين على فهم الكلام البليغ اذا قرنت بالامثلة الكثيرة من ذلك الكلام ، فعلى هذه الطريقة تقرأ . وينبه الطلاب على ذلك المرة بعد المرة لكيلا تشغلهم القواعد والاصطلاحات عن المراد منها ، فيجعلوها مقصودة لذاتها ، كما جرى عليه الذين جعلوا منتهى تحصيل البلاغة مدارسة مختصر السعد التفتازاني ومطوله في بلاد العرب والعجم ، ويراعى هنا ما ذكر في الكلام على النحو والصرف والعروض ، ويعتمد المدرسون على كتابي امام الفن الشيخ عبد القاهر الجرجاني (اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) ومثل (كتاب الصناعتين) لابن عساكر من الكتب الجامعة في البلاغة بين العلم والعمل ، ويراجعون أيضا كتاب (المثل السائر) على ما فيه من التكلف والدعوى ، وغير ذلك من الكتب التي يستعان بها على وضع الدروس باقرار لجنة المدرسة

(الإنشاء والشعر والخطابة)

يعلم الطلاب طرق الانشاء واساليبه ، وقرض الشعر ونقده ، وكيفية الخطابة ومواقفها وإشاراتها ، ويمرنون على ذلك بالعمل ، ولا يكلف نظم الشعر من لا يميل اليه بسليقته ، وأما الإنشاء والخطابة فيكلفهما كل طالب تكليفا ، الى ان يكونا ملكة له . ومادتهما ما يحفظ ويقرأ مع الفهم من القرآن الكريم وجوامع الكلم من الاحاديث النبوية ، والسنن وما يقابلها من البدع ، وما يوعى من التاريخ وعلم سنن الاجتماع ، وكذا مختارات الحكم والامثال والخطب المأثورة عن البلغاء في الجاهلية والاسلام وغير ذلك ، كما ان مادة الشعر في اسلوبه هي حفظ بعض المختار من جيده وقراءة الكثير منه مع الفهم ، ولا بد مع ذلك من مراعاة ما تقدم في الكلام على (فقه اللغة ومفرداتها واساليبها) وما سيأتي في الكلام على المطالعة. وأما صورة الخطابة وطرق الاداء فيعتمد في تعليمها على العمل الذي يقوم به الاستاذ أمام الطلاب وما يسمعونه من مصاقع الخطباء في نادي المدرسة وغيره

﴿ آداب اللغة العربية وتاريخها ﴾

في كل أمة عوام وخواص ، ومما يمتاز به الخواص في الكلام الفصاحة والبلاغة في التعبير والتأثير والقدرة على الشعر والخطابة والمحاورة والمناظرة والمفاخرة والكتابة بأنواعها ومنها الرسائل وكتابة المصالح العامة للحكومة وغيرها ، وكذا التصنيف في العلوم والفنون المختلفة ، وتلك الضروب من الكلام هي التي يعبرون عنها بآداب اللغة العربية ، وهي تختلف باختلاف الازمنة التي تتغير فيها أحوال الامة الاجتماعية والعلمية والسياسية والدينية وغير ذلك من ضروب التغيير ، فكما تحتاج الامم الى تاريخ جميع أحوالها التي اشرنا الى تغيرها تحتاج الى تاريخ اللغة التي يعبر بها عن المقاصد التي تختلف باختلاف تلك الاحوال

فتاريخ اللغة العربية له عصور او عهود : عصر الجاهلية او عهدها « ٢ » ـ صدر

الاسلام ، « ـ الامويين « ـ العباسيين « ـ الاندلسيين ، « ـ الدول الاعجمية « ـ النهضة العصرية في مصر وسورية . ومادة تاريخها في هذه العصور متفرقة في الكتب ولا يوجد فيما نعلم كتاب مدون في ذلك صالح للتدريس ، واما عصور دول العرب البائدة فقلما يوجد في كتبنا التي بين ايدينا شيء عنها يعتد به ، وقد طفق المنقبون في البلاد ، والمستنطقون للآثار ، والباحثون عن كتابات الاقدمين المنقوشة في الاحجار ، يستخرجون ويكتشفون بعض تلك الخبات والاسرار ، المكتومة في بطن الأرض او مجاهيل القفار ، فتاريخ الامة يتناول كل ما عرف عنها في عصر من الاعصار ، وقد توجهت الهمم الى جمعه في الصحف وتدوينه في الاسفار

يقرأ هذا العلم لصنف المرشدين في السنة الاخيرة فان وجد في ذلك الوقت مؤلف مختصر تراه المدرسة صالحا اقرته لجنتها والا وضع غيره ، ويقرأ لصنف الدعاة بالتوسع الذي تحدده لجنة المدرسة

ومما تعنى به المدرسة في هذا العلم الاسهاب في الكلام عن القرآن الحكيم وتأثيره في هذه اللغة وأهلها ببلاغته وحكمه . ويراجع في هذا الباب ما كتبه فحول العلم وفرسان البلاغة كالقاضي ابي بكر الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) والجاحظ وغيرهما

(المطالعة والحفظ)

أفضل ما يحفظ وأنفعه لتقويم العقل والنفس واللسان كتاب الله (القرآن المجيد) فلا بد لكل طالب داخلي في دار الدعوة والارشاد من حفظه كله ، وتبالغ المدرسة في النصح للطلاب الخارجيين وتلح عليهم بأن يحفظوه أيضا ،

وتختار المدرسة للحفظ طائفة من الاحاديث الشريفة في الحكم والاخلاق والآداب ومقاصد الدين ، وطائفة من الامثال ومختار الشعر والنثر

وتختار للمطالعة احاسن الكتب التي تغذي العقل والروح وتطبع ملكة البلاغة في النفس ، كنهج البلاغة وكتب الجاحظ وأمالي ابي علي القالي والكامل للمبرد ، وبعض كتب وآثار المتأخرين . ومن كتب حكماء الغرب المترجمة مثل كتاب (التربية

الاستقلالية) ونعنى بوضع كتب جديدة للمطالعة يراعى فيها أفهام جميع طبقات القراء لتكون عونا على تقويم اللسان والنفس فيهم

(الاملاء والخط والرسم)

تعلم هذه الفنون على الطريقة المعتادة لأنها طريقة معبدة لا تطالب المدرسة أ كلا منها الا ان تشترط ان يكون ما يملى من خير الكلام وأنفعه ويراعى فيه سن الطالب ومعارفه ، و يكون بالتدريج اللفظي والمعنوي ، و يصحح مايكتبه الطلاب بالدقة التامة ، و يعلمون رسم البلاد والاقطار وكل ما يباح رسمه ولو على بعض الاقوال والوجوه التي يعتد بها

(اللغات)

من يراد جعلهم مرشدين أو دعاة في قطر من الاقطار يعلمون اللغة المنتشرة في ذلك القطر ، وطريق تعليم اللغات الاوربية معبد معروف وعالموه كثيرون ، وكذلك التركية والفارسية من لغات المسلمين ، ومتى احتيج الى تعليم لغة منها أو من غيرها يستعان عليها بصالحي أهلها ،

هذا ما اقتضت الحال بيانه من إصلاح التعليم الاسلامي في دار الدعوة والارشاد ، والله الموفق و به الاستعانة وله الحمد

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة عن احاديث ومسائل ﴾

(س ٦٣) من صاحب الامضاء في بياوي (جاوه)

سيدي الاستاذ الحكيم : ان الاحاديث الضعيفة وما قاربها في الرتبة اعظم نكأة للدجالين ،

واكبر شبهة على الصادقين المسترشدين ، ولعلمي انه لايوجد طبيب لأدواء المسلمين المزمنة غيركم (غلولا رضاه ولا نود صحته) جئتكم متطفلا على اعتابكم ، راجياً من جميل فضلكم وكرم احسانكم ،ان تحققوا رجائي ،وتفيضوا علي من صيب علمكم وارشادكم مايفعم إنائي ويشفي ادوائي، ولعله قد سبق لكم جواب على بعض هذه الاسئلة في أعداد سابقة فارغب اليكم انلا تحيلوني على ما ليس عندي . وان تفضلتم بالمبادرة بالجواب فانتم أهل الفضل ومعدن الاحسان : فما قول سيدي في (١) حديث « اكثر أهل الجنة البله » وكيف يتفق مع قول النبي ص (٢) «انما يثاب الناس على قدر عقولهم»

(٣) وحديث « يأتي على الناس زمان تعرج فيه العقول » وهل تعرج من العرج أو من العروج ؟

(٤) وحديث « خذوا نصف دينكم عن حميرا »

(٥) وحديث ثناء النبي على أويس ولقيا عمر وعلي له ، وطلبهما منه الدعاء

(٦) وحديث « ارواح الشهداء في جوف طير معلقة تحت العرش » ، وهل روح الشهيد هي روح الطير ام لا ؟

(٧) وهل يثاب قارئ القرآن وان لم يفهم معناه أو فهمه على غير المراد ؟

(٨) وما يروى عن ابي بكر رضي الله عنه انه اكل طعاما ، فبان له ان فيه شبهة أو حراماً فتقايأه ، فهل لنا قدوة في عمل الصديق ؟

(٩) الا وان من اكبر الشبه الفاتكة بالعقول ما يدعيه المشعوذون من عبدة الجن من قولهم انه يتصورون بصور مختلفة ويتشكلون باشكال متنوعة الى آخر ما يدعون ويزعمون ، وقديما كنت لا أعول على مختلقاتهم ، ولا اعيرأذني لسماع خرفاتهم وخزعبلاتهم ، حتى سمعت كلام الاستاذ الامام في هذا الموضوع فانشرح له صدري ، وزال به غين الاشكال عن فهمي ، غير اني ارتبكت في تأويل قول الله تعالى عن اضياف ابراهيم حيث تصوروا في صورة البشر الخ ما يقول أهل التفسير

(١٠) وهل القائل (علة الكون انت ولولاك لدامت في غيبها الاشياء) يعني بذلك المصطفى (ص) مصيب في قوله ام مخطئ ؟ فقد اتخذ هذا القول بعض السذج من عقائد الدين الواجبة التسليم . افيدوني سيدي عن هذه الكلمات وان كانت ليست من الاهمية بمكان فقد انزلت املي باعتابكم واسأل الله تعالى ان يعمم النفع بكم ويؤتيكم من لدنه اجراً عظيما

ع . ب . ح .

(الجواب)

(١) حديث « اكثر اهل الجنة البله »

هذا الحديث رواه البيهقي في الشعب والبزار في مسنده عن أنس وهو ضعيف . قال ابن الاثير : هو جمع الأبله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير . وقيل هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس لأنهم اغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها ، واقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها ، فاستحقوا ان يكونوا اكثر اهل الجنة . فاما الأبله وهو الذي لاعقل له فغير مراد في الحديث . وفي حديث الزبرقان « خير اولادنا الأبله العقول » يريد انه لشدة حيائه كالابله وهو عقول اه وفسره في مادة عقل بأنه الذي يظن به الحمق فاذا فتش وجد عاقلا . وقال سهل التستري الصوفي هم الذين ولهت عقولهم وشغلت بالله عز وجل . وقال بعضهم في تفسيره : ان من عبدالله تعالى لاجل الجنة نهو أبله في جنب من يعبده لكونه ربا مالكا ، وقد يقال ان هذا يعد أيضا أبله في جنب من يعبده لعلمه بكماله الذي تدل عليه جميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وقال بعضهم ان المراد بالجنة ما يقابل الدرجات العلى من الجنة التي هي منازل المقربين الذين هم ارقى من هؤلاء .

(٢) حديث « إنما يثاب الناس على قدر عقولهم »

لاأذكر انني رأيت هذ الحديث في دواوين المحدثين بهذا اللفظ وما أراه الامن موضوعات المتأخرين ، ولكن ورد في معناه حديث عائشة في نوادر الاصول للحكيم الترمذي وهو انها سألت النبي (ص) بأي شيء يتفاضل الناس ؟ قال « بالعقل في الدنيا والآخرة » قالت قلت أليس يجزى الناس بأعمالهم ؟ قال « يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله الا من عقل ؟ فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون » وحديث أنس عند الحكيم الترمذي في نوادره ايضا « ان الاحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس الزلف عقولهم » ورواهما داود بن المحبر في كتاب العقل وتخلف ألفاظهما عنده وهو نفسه مختلف فيه قيل هو ثقة وقال احمد لا يدري ما الحديث وقال الدارقطني فيه متروك ، وقال في كتابه « كتاب العقل » وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه باسانيد غير أسانيد ميسرة الخ ما قال . اما سند حديث أنس في النوادر ففيه جهالة ، واما سند حديث

عائشة عنده فحسبك ان في اسناده ميسرة بن عبد ربه الفارسي البصري قال ابن حبان كان يروي الموضوعات عن الاثبات وهو واضع أحاديث فضائل القرآن وقال ابو داود أقر بوضع الحديث . فعلى هذا لا حاجة الى الجمع بين الحديثين فأحدهما ضعيف والآخر موضوع ، ولو فرضنا انهما صحا فما قاله ابن الاثير في تفسير الاول كاف في منع التعارض

(٣) حديث عرج العقول

حديث « يأتي على الناس زمان تعرج فيه العقول » موضوع ايضاً

(٤) حديث « خذوا شطر دينكم عن الحميراء »

هكذا ذكر الحديث في الكتب قال السخاوي يعني عائشة رضي الله عنها ، قال ابن حجر لا اعرف له اسنادا ولا رأيته في شيء من كتب الحديث الا في النهاية لابن الاثير ولم يذكر من خرجه . وذكر الحافظ عماد الدين انه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه اه أقول واذ لم يعرفه هؤلاء الحفاظ الذين احاطوا بجميع كتب الحديث علما وحفظا فمن يعرفه ؟. وقد قال بعض العلماء في تفسيره على تقدير ثبوته ان المراد بشطر الدين الاحكام الخاصة بالنساء باعتبار تسمة الاحكام الشرعية الى قسمي المكلفين من النساء والرجال

(٥) حديث ثناء النبي (ص) على أويس القرني

روى مسلم في صحيحه عن أسير بن جابر ان أهل الكوفة وفدوا الى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس ، فقال عمر هل ههنا احد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله (ص) قد قال « ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير امّ له قد كان به بياض (اي برص) فدعا الله فأذهبه عنه الا موضع الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم » وروى ايضا عنه عن عمر انه قال : اني سمعت رسول الله (ص) يقول « إن خير التابعين رجل يقال له أويس له والدة وكان به بياض فروه فليستغفر لكم » وروى عنه أيضا قال كان عمر اذا اتى عليه امداد اهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر حتى اتى على أويس فقال له : أنت أويس بن عامر؟ قال نعم . قال من مراد ثم من قرن ؟ قال نعم . قال فكان بك

برص فبرئت منه الا موضع درهم ؟ قال نعم . قال لك والدة ؟ قال نعم . قال سمعت رسول الله (ص) يقول « يأتي عليكم أويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره . فان استطعت ان يستغفر لك فافعل » فاستغفر لي ، فاستغفر له ، فقال له عمر اين تريد ؟ قال الكوفة ، قال ألا اكتب لك الى عاملها ؟ قال أكون في غبراء الناس احب الي. فلما كان من العام المقبل حج رجل من اشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع . (فذكر له عمر الحديث – قال) فأتى أويسا فقال استغفرلي ، فقال انت احدث عهد بسفر صالح فاستغفر لي ، قال لقيت عمر ؟ قال نعم ، فاستغفر له ، ففطن له الناس فانطلق على وجهه ، قال أسير (الراوي) وكسوته بردة فكان كلما رآه انسان قال من أين لأويس هذه البردة ؟ اه

هذه رواية مسلم في صحيحه عن اسير بن جابر وروى حديثه ابن سعد وابو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخه مطولا في قصة لاويس عن حاله في الكوفة . وروى قصته ابن عساكر وغيره عن صعصعة بن معاوية وسعيد بن المسيب والحسن والضحاك بأسانيد ضعيفة كلها عن عمر بن الخطاب ، وفي رواية الضحاك عن ابن عباس عند ابن عساكر ان عمر وعليا ركبا حمارين وأتيا الاراك حيث كان أويس وانهما طلبا منه الدعاء فدعا لهما وللمؤمنين والمؤمنات . وهذه الرواية لا تصح وانما الصحيح من كل ما روي عن أويس هو ما اخرجه مسلم عن اسير بن جابر ويقال ابن عمرو وكان يقال له يسير أيضا على ان ابن حبان قال عند ذكره له في الثقات « في القلب من روايته قصة أويس (شيء) الا انه حكى ما حكى عن إنسان مجهول فالقلب الى أنه ثقة أميل » وقال ابن سعد كان ثقة وله أحاديث. وذكره العجلي في الثقات من أصحاب ابن مسعود . وقال ابن حزم اسير بن جابر ليس بالقوي والجمهور على توثيقه تبعا لمسلم

(٦) حديث « ارواح الشهداء »

حديث « ان ارواح الشهداء في اجواف طير خضر » قد رواه احمد في مسنده ومسلم في صحيحه واصحاب السنن الاربعة وهو وارد في شهداء أحد . وقد اختلفت ألفاظه عند رواته . ففي بعضها انها تكون في حواصل طير ، وفي بعضها في صورة طير وفي

بعضها « كطير خضر » ومجموع الروايات يدل على ان أرواحهم تتشكل بصورة الطير فترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها ، ويكون ذلك شأنها الى يوم القيامة فتبعث مع سائر الخلق في الاجساد المعروفة ، وليس معناه أنها تحل في طير من الطير الموجودة كما يقول أهل التناسخ ، والحديث يمثل لنا حياة الشهداء الغيبية في عالم الغيب ، قال بعض العلماء انه خاص بشهداء أحد وقيل بل يعم من كان مثلهم في الاخلاص . ولا يمكن ان يعم كل من قتل في الحرب لما ورد من عقاب من يقاتل رياء وسمعة

(٥) ثواب تالي القرآن بغير فهم

الاصل في مشروعية تلاوة القرآن الاهتداء والاعتبار والاتعاظ به ولا يكون ذلك الا بالتدبر والفهم ، وتلاوة القرآن مع الغفلة عن معناه ذنب كما ورد في الاثر: رب تال للقرآن والقرآن يلعنه . وقد يثاب التالي بغير فهم اذا كان يتلو لغرض شرعي آخر كتجويد التلاوة والحفظ فان توجه الذهن الى ضبط الالفاظ وإتقان مخارج الحروف مثلا يشغل عن تدبر المعاني ولكن مثل هذا يكون غرضا عارضا لا دائما

﴿ (٦) ورع الصديق والقدوة به ﴾

روى البخاري عن عائشة انه كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان ابو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه ابو بكر فقال له الغلام أتدري ماهذا؟ فقال وما هو ؟ قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية فأعطاني – وفي رواية ابي نعيم كنت مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما كان اليوم مررت بهم فاذا عرس لهم فأعطوني – فأدخل أبو بكر اصابعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج . ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء .

وروى مالك من طريق زيد بن أسلم مثل ذلك عن عمر الفاروق . قال زيد شرب عمر لبنا فأعجبه فسأل الذي سقاه : من اين لك هذا اللبن ؟ فأخبره انه ورد على ماء قد سماه فاذا نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوا لي من ألبانها فجعلته في سقائي فهو هذا . فأدخل عمر يده فاستقاء

اين أهل زماننا وغير زماننا من هذا الورع وقد صار من يتقي الحرام الصريح المجمع على تحريمه يعد من النوادر ، في اكثر الامصار والحواضر ، التي يزعم متفرنجة أهلها انهم أرقى وأكمل من السلف الصالح ، لانهم في زمن اتسعت فيه دائرة الفنون والصناعات ؟

(٩) تشكل الملائكة والجن

لا حاجة الى تأويل ما ورد عن ضيف ابراهيم وهو لا يدل على صدق اولئك الدجالين في حكاياتهم الخرافية عن الجن ، وهل تقاس الملائكة بالحدادين ؟ نقبل كل ما ورد في التنزيل عن عالم الغيب وكذلك ما صح في الاخبار ولا نقيس عليه ،ونقول صدق الله ورسوله وكذب الدجالون ،

(١٠) القول بان النبي «ص» علة لخلق الكون

المشهور المعروف عن متكلمي الاشاعرة الذين يتبعهم اكثر المسلمين ان افعال الله تعالى لا تعلل ولكنهم يقبلون امثال هذا البيت في الاطراء وقصائد المدح . وهذا المعنى في البيت مأخوذ من حديث « لولاك لما خلقت الافلاك » وهو موضوع كما قال الصغاني وابن تيمية وغيرهما

(حديث العمائم تيجان العرب)

(س ٦٤) من صاحب الامضاء في (فليمبغ بجاوه)

سيدي أسألك عن لفظ (اذا وضعت العرب عمائمها فقد ذلت) هل هو خبر عن النبي (ص) ام أثر وما هو معناه ؟ تفضل اجبني على صفحات المنار

عقيل بن عبد الله الحبشي

(ج) روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس مرفوعا « العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم » وسنده ضعيف ، ولعل معناه ان العمائم لما كانت هي العلامة التي تمتاز بها العرب عن غيرها من الامم في المشخصات الظاهرة وكان وضعها لها وتركها إياها تركا لرابطة من الروابط العامة بينها ولا يكون غالباً الا لتفضيل زي آخر من ازياء الامم عليها – لما كان ذلك كذلك كان ترك العمائم احتقارا لهذا الزي المشخص يتضمن احتقارا ما لاهله وتفضيلا لمن استبدل زيهم به عليهم وذلك مبدأ ترك العز عز الاستقلال وتفضيل الافراد امتهم على غيرها

(تمثيل الوقائع التاريخية والخيالية للاعتبار)

(س ٦٥) من صاحب الامضاء الحرفي في (دمشق الشام)

سيدي الاستاذ صاحب المنار الاغر !

ما رأي الاستاذ حفظه الله في تمثيل الروايات الاخلاقية التي لا يشوبها من

ضروب الخلاعة ، أو من ظهور النساء حاسرات على المسارح والتي تحبب الحضور بالفضيلة وتنفرهم من الرذيلة ؟ . وهل يجوز لنا ان نعتبر التمثيل غيبة فنحرمه بدعوى ان الغيبة محرمة ؟ . وهل ورد في النصوص الشرعية تصريحاً أو تلميحاً ما يدل على حرمة التمثيل الاخلاقي ، أو يشير الى اجتنابه ، وعهدنا بهذا النوع من التمثيل انه خير ما يغرس في النفوس حب الفضائل وكره الرذائل ؟ . .

اوجو اجابتي على هذه الاسئلة حتى لايبقى مجال لتقرير المسلمين باسم الشريعة ، ورميها بسهام غير سديدة ، هدانا الله بمناركم الوضاح الى اقوم طريق (ع . .)

(ج) جاءنا مثل هذا السؤال أيضا من دمشقي آخر اشار الى اسمه بحرفي (م . ن) وجاء في سؤاله ان للسؤال واقعة حال في دمشق، وهي أن تلاميذ المدرسة العثمانية بدمشق مثلوا قصة زهير الاندلسي التي تشرح كيفية انقراض المسلمين من الاندلس فقام بعض الحشوية من طلاب الشهرة واصحاب الدعوى يشنعون على المدرسة ويكفرون تلاميذها ومعلميها ويزعمون انهم حاولوا هدم الاسلام بتذكير المسلمين باسباب انقراض المسلمين من مملكة اسلامية كانت زينة ممالك الأرض بالعلوم والفنون والآداب ، وخطبوا بذلك على المنابر في رمضان فصدق فيهم قول من قال ان لمتعصبي دمشق في كل رمضان ثورة

اشار السائل الذي نشرنا نص سؤاله الى ما صرح به السائل الآخر من احتجاج محرمي التمثيل على تحريمه بأنه يتضمن الغيبة وقال هذا المصرح ان بعضهم حرم قراءة الجرائد والمجلات بمثل هذا الدليل

نقول ان صح قولهم ان تلك القصة او الواقعة التي مثلت في دمشق كانت متضمنة لشيء من الغيبة – وهو ما يستبعد جدا – فالمحرم فيها هو الغيبة لا جميع القصة ولا القصص التي تمثل ولا التمثيل نفسه . وكان الاظهر ان يقولوا انها تتضمن الكذب في بعض جزئياتها وكأنهم فطنوا الى كون الكذب غير مقصود فيها ولا يتحقق الا بالنسبة الى مجموع القصة اذا كان ما تقرره وتودعه في الاذهان من مغزاها المراد غير صحيح كأن تصور قصة زهير لقرائها وحاضري تمثيلها ان الاسبانيين اضطهدوا المسلمين وفتنوهم عن دينهم وخيروهم بين الكفر والخروج من الوطن ، ويكون هذا الذي تصوره لم يقع او وقع ضده

هذه القصص التمثيلية من قبيل ما كتبه علماؤنا المتقدمون من المقامات التي تقرأ في المدارس الدينية وغير الدينية كمقامات البديع ومقامات الحريري، وقد كان الحريري

رحمه الله تعالى توقع أن يوجد في عصره أمثال أولئك المتنطعين الذين حرموا قصة زهير الاندلسي فرد عليهم بقوله في فاتحة مقاماته

« على اني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ، ونضح عني المحب المحابي ، لا أكاد اخلص من غمر جاهل ، او ذي غمر (حقد) متجاهل ، يضع مني لهذا الوضع ، ويندد بأنه من مناهي الشرع ، ومن نقد الاشياء بعين المعقول ، وانعم النظر في مباني الاصول ، نظم هذه المقامات ، في سلك الافادات ، وسلكها مسلك الموضوعات ، عن العجماوات والجمادات ، ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات ، او اثم رواتها في وقت من الاوقات ، ثم اذا كانت الاعمال بالنيات ، وبها انعقاد العقود الدينيات ، فأي حرج على من أنشأ مقامات للتنبيه ، لا للتمويه ، ونحا بها منحى التهذيب ، لا الأكاذيب ، وهل هو الا بمنزلة من انتدب لتعليم ، وهدى الى صراط مستقيم ، »

فهو يقول انه لم يعرف عن احد من علماء الامة الى زمنه أنه حرم أمثال تلك القصص التي وضعت عن الحيوانات ككتاب كليلة ودمنة وغيره لان المراد بها الوعظ والفائدة وصورة الخبر في جزئياتها غير مرادة ، وما سمعنا بعده ايضا ان احدا من العلماء حرم قراءة مقاماته ، ولكن اجتهاد بعض المغرورين بالحظوة عند العوام يتجرءون على تحريم مالم يحرمه الله ورسوله ولا حرم مثله احد من علماء الملة، وهم مع هذا يتبرءون بألسنتهم من دعوى الاجتهاد واسم الاجتهاد ويشنعون على من يقول أنه يمكننا ان نعرف الاحكام بادلتها الشرعية ، فهم يعترفون بأنهم ليسوا اهلا للاستدلال ولا لمعرفة حكم بدليله ، ويدعون انهم مقلدون لبعض الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم فليأتونا بنص من أولئك الائمة على تحريم ما حرموه ان كانوا صادقين

ثم نقول من باب الدليل قد فسر الحرام في بعض كتب الاصول بأنه خطاب الله المقتضي للترك اقتضاء جازما فليأتونا بخطاب الله المقتضي لتحريم تمثيل الوقائع الوعظية والتهذيبية . أما أصول المحرمات في الكتاب فقد بينها الله تعالى بالاجمال في قوله (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله مالا تعلمون) افلا يخشى أولئك المتجرئون ان يكونوا من الذين يقولون على الله مالا يعلمون ، الذين قال فيهم ايضاً (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس » الحديث وهو

الصحيحين والسنن كلها من حديث خيار الآل والصحب علي وولده الحسين والعبادلة الثلاثة وعمار والنعمان بن بشير رضي الله عنهم. فاذا كان الحرام بينا فكيف يخفى مثل هذا الحكم على جميع المسلمين في هذه القرون الطويلة ولا يهتدي اليه الا أولئك المضيقون في هذا العام ؟ اننا لانرى وجها ما لهذا التحريم ولو سلمنا ان في القصة المثلة كلاما يصح ان يعد غيبة اوكذبا فاننا نعلم ان في كثير من كتب الحديث والفقه والوعظ احاديث موضوعة ولم يقل أحد ان ذلك يقتضي تحريم تأليف تلك الكتب وقراءتها وطبعها . وفي كتب الحديث طعن في الرجال فهل نحرم علم أصول الحديث ؟ الا انه ليحزننا ان يكون لامثال هؤلاء المفتاتين المتنطعين كلمة تسمع في مدينة دمشق الفيحاء التي هي أجدر البلاد بأن تكون ينبوع الحياة الدين والعلم والارتقاء في سورية وجزيرة العرب كلها ، وما آفتها الا نفر من المتنطعين قدجعلوا الدين عقبة في طريق الارتقاء العلمي والعملي ، فنسأل الله تعالى ان يلهمهم الرشد ، ويهديهم طريق القصد، او ان يبصر العامة كالخاصة في تلك المدينة الزاهرة بحقيقة أمرهم، حتى لاتتبع كل ناعق منهم

***

(خطبة الجمعة بالعربية والعجمية)

(س ٦٦) من صاحب الامضاء في مكة المكرمة

الحمد لله الذي جعل السؤال متوسلا لمزيل الاشكال . والصلاة والسلام على النبي ذي الجمال . وعلى آله وصحبه ذوي الكمال . أما بعد فما قولكم دام فضلكم في اداء بعض خطبة الجمعة بالعربية وبعضها بالعجمية لاجل تفهيم من يحضرها من الاعاجم الذين لا يفهمون العربية فهل تكون هذه الخطبة والحال ما ذكر تعد فاصلا ام لا ؟ افتونا بالجواب . ولكم الاجر والثواب . والسلام في المبدإ والختام .

كاتبه اضعف الطلبة

ابراهيم المكي

(ج) هذا السؤال مبني على ما قاله الفقهاء الشافعية في بحث اشتراط كون الخطبة بالعربية لاتباع السلف والخلف الذي هو إجماع عملي متواتر ، ولانها من الاذكار التي شرعها الله لنا في عبادتنا كتكبيرة الاحرام وقراءة القرآن في الصلاة ، ونزيد على هذين التعليلين والدليلين أن وحدة الامة الاسلامية امة التوحيد لا تتم الا اذا كان لها لسان مشترك يعرفون به دينهم من مصدر واحد وتأثير واحد وهو كتاب

الله وسنة رسوله (ص) كما يعرفون مصالح دنياهم كذلك فيكون بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

قال الفقهاء في هذا البحث ان الاعاجم اذا امكنهم تعلم الخطبة بالعربية وجبت عليهم على سبيل فرض الكفاية فان لم يقم بها احد منهم أثموا كلهم ولا جمعة لهم بل يصلون الظهر، وقالوا يجب السفر لاجل تعلمها اذا تعين ولو زاد على مسافة القصر وقالوا في حال عدم امكان تعلم الخطبة بالعربية - وهذا لا يكون الا نادراً وفي بعض المواضع والاحوال - خطبوا بلغتهم مترجمين أركان الخطبة العربية فان لم يحسن أحد منهم الترجمة فلا جمعة لهم . وقالوا انه يشترط الموالاة بين أركانها وبين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة .

إذا تبين هذا نقول الظاهر ان السائل يريد بأداء بعض الخطبة بالعربية اداء جميع أركانها من الحمدلة والتصلية والوصية بالتقوى وقراءة الآية والدعاء ، ويريد بأداء بعضها بالعجمية ايراد طائفة من الوصية والوعظ بالعجمية لان هذا هو الذي يضر فيه الفصل الذي جعله موضع الاستفهام وجوابه بناء على مذهب الشافعية ان الفصل الذي يضر هو ما كان بقدر صلاة ركعتين باخف ممكن فاكثر وهو زهاء دقيقتين فان كان أقل من ذلك لم يضر . على ان اشتراط الموالاة ليس متفقا عليه وجعله في المنهاج اظهر القولين. وقد سبق لنا استحسان مايفعله بعض علماء الاعاجم من ترجمة الخطبة بعد الصلاة

***

(الموالاة وتعاون المسلمين مع غيرهم واستعانتهم بهم على الخير)

(س ٦٧) من صاحب الامضاء في دمشق الشام صاحب سؤال ٣٤ و٣٥ في ص ٤٢٩

حضرة مدير مجلة المنار الأجل

نشكركم على بيانكم للاحكام المتعلقة بمسألة دخول المسلم في جمعية سرية بيد أنه استشكل علينا قولكم (انه يجوز للمسلم ان يدخل في كل جمعية عملها مشروع وان كان اعضائها او رئيسها من غير المسلمين اهـ) وهنا لنا سؤال نرغب اليكم أن تجيبونا عنه وهو : الا يعد دخول المسلم حينئذ موالاة لابناء الملل الاخرى واستعانة بهم واسترشادا بآرائهم؟ واذا كان كذلك فهل هو سائغ .

وذكرتم ان المسلم اذا دخل في جمعية على انه ليس فيها شيء مخالف للشرع

الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه ولم يستطع ازالته وجب عليه ان يتركها ويتبرأ منها اه وهنا نسألكم عن الحكم فيما اذا كانت تلك الجمعية تمنع الداخل فيها من الانسحاب منها بمقتضى حلفه اليمين

ابن الامير محمد

(ج) نهي المسلمون ان يوالوا غير المسلمين في دينهم ونصرة اقوامهم على المسلمين وهذا ما كان يفهم من النهي عن اتخاذهم أولياء من دون الله . وما ورد في الحديث من نفي الاستعانة بالمشركين انما ورد في الاستعانة بهم في الحرب وله معارض ولذلك كانت المسألة خلافية والظاهر ان عدم الاستعانة كان عند الاستغناء عنها والا فقد ثبتت الاستعانة في السنة وسيرة الصحابة (رض) وليس هذا المقام هو مقام التفصيل في ذلك وقد سبق لنا بيانه في موضعه من قبل وهو ليس مما نحن فيه، واما التعاون على دفع الشر او فعل الخير فهذا لا مجال للخلاف فيه وينزه الاسلام ان يمنعه . مثاله ما ذكرنا في جواب السؤال السابق من التعاون في جمعية الاسعاف، وهل يوجد مجال للخلاف في الاستعانة بالكتابي او الوثني أو الملحد على إنقاذ الغريق وإطفاء الحريق وإقامة الحمل يقع في الطريق ؟ انه لا يستطيع أحد ان يهجو دينا محق اشد من هجوه بتحريم مثل هذه الاعمال

اما الجمعيات التي يشترط فيها الحلف على عدم الخروج منها فالاحتياط اجتنابها فان احتاج احد الى الدخول فيها لمصلحة مشروعة يستثني أو يقيد الحلف بما اذا لم يظهر له فيها ما يخالف اعتقاده ، فان حلف واطلق ثم رأى منكرا لم يستطع ازالته ورأى ان بقاءه في الجمعية يتضمن اقرار هذا المنكر او تقويته وجب عليه ان يترك ويكفر عن يمينه فان المنكر لا يلزم باليمين . وقد ورد الاذن بنقض اليمين فيما دون ذلك ففي الحديث الصحيح « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » رواه مسلم وغيره

(استدراك على الفتوى في انزال القرآن على سبعة احرف)

فاتنا ان نذكر في تلك الفتوى المنشورة في الجزء الماضي (ص ٧٣٦) ما ورد في حديث انزال القرآن على سبعة أحرف من الروايات الصحيحة عند الشيخين وغيرهما فقد بنينا الجواب على اللفظ الذي اورده السائل وروايته ضعيفة، فوجب التنبيه

المسألة الشرقية

(تابع المقالات التي نشرناها في المؤيد بمناسبة حرب ايطالية لطرابلس الغرب)

(٢)

﴿ ما يجب على المسلمين والعثمانيين من مساعدة الدولة ﴾

(صفة العناصر العثمانية ومكانة السلطة الاسلامية من أهلها)

عدوان ايطالية على الدولة العثمانية هو فتح لباب المسألة الشرقية ، دفعت اليه أوربة أشد دولها حماقة وغرورا وأقلها بصراً بالعواقب ، وان فرنسة وانكلترة لا يطيب لهما مجاورة ايطالية لتونس ومصر لو لا الضرورة، وهما تعلمان ان طرابلس الغرب لا تكون لقمة سائغة لها كما ساغت حماية تونس للاولى واحتلال مصر للثانية ، فسمحتا لها بأعسر اللقم ازدرادا وهضما . واقبحها أحدوثة وذكرا ، وأشنعها سبة وعارا .

اذا لم يكن مراد أوربة بهذا العدوان فتح باب المسألة الشرقية بهذا العمل لا يكون أقل من طرق لهذا الباب ، وانتظار لما يسمع من الجواب ، فماذا يجيب العثمانيون والمسلمون ؟

العثمانيون مؤلفون من عناصر وملل شتى وقد رضيت دولتهم التركية العنصر ، الاسلامية الدين ، بأن يكونوا كلهم شركاء لعنصرها فيها ، وما قام يحاوله أولئك الاحداث الاغرار من هضم حقوق عناصرهم، واضطهاد لغاتهم، عرض يزول بزوالهم، أو زوال سلطتهم الموقتة، فلا ينبغي أن تؤاخذ الدولة بذنب تلك الزعنفة التي قذفتنا بها سلانيك وأزمير وادرنه ، بل يجب ان يعلم كل عنصر وأهل كل ملة انه لا توجد دولة أوربية تعاملهم بمثل ما تعاملهم به الدولة العثمانية وتعطيهم من الحقوق مثل ما تعطيهم هي، فان الاوربيين قد تألهوا بالعظمة والكبرياء، فهم يرون أنفسهم آلهة للشرقيين، وان شاركوهم في الدين . فعلى من لم يعم التعصب الديني قلبه، ولم تفسد الوساوس الاجنبية لبه ، ان يفكر بخطر العبودية ، والحرمان من المساواة وحقوق الحاكمية، اللذين يتهددانه بسقوط الدولة العلية (لا سمح الله تعالى)

ثم لا يثقل على غير المسلمين من اخواننا العثمانيين أن يكون المسلمون من غير العثمانيين مشاركين لهم في الغيرة على هذه الدولة والانتصار لها باسم الاسلام ، فانما ذلك مزيد قوة واحترام لدولتهم التي يعتزون بعزتها ويذلون بذلتها (حماها الله تعالى)

الدين الاسلامي دين سلطة وحاكمية ،وهذه الصفة من صفاته ،تكاد تكون أرسخ من عقيدة التوحيد في نفوس أهله ، والمسلمون في مشارق الارض ومغاربها يعتقدون أن الدولة العثمانية هي التي تقوم بها هذه الصفة ، وهي سياج عقائد الاسلام وعباداته ، وان ما عرض لها من التقصير في خدمة الاسلام باستبداد بعض السلاطين ،وفساد دين بعض الباشوات ، أو بضغط أوربة ،هو من الاعراض التي لا تلبث أن تزول بزوال أسبابها ما دامت الدولة باقية مستقلة ،آخذة على نفسها القيام بمنصب الخلافة

هذا الاعتقاد سار في جميع الشعوب الاسلامية سريان الدين في مداركهم وشعورهم . ولبعض همج أفريقية وجزائر المحيط الجنوبي من الغلو في هذه الدولة وفي سلطانها ما يدخل في باب الخرافات ، حتى ان في « البرابرة » المقيمين في القاهرة من يعتقدون ان السلطان هو الحافظ لهم في بلادهم ، وهو الذي منع المرابين وغير المرابين من الاعتداء عليهم

هذا الاعتقاد الذي تجهل الدولة كنهه فلم تعرف كيف تستفيد منه قد أفاد دول الاستعمار ومهد لها سبيل الاستيلاء على الممالك الاسلامية الكثيرة والتمكن فيها ، بضعف المسلمين في مقاومتهم لها ، اذ كان من أسباب هذا الضعف في كل قطر اعتقاد أهله انهم ليسوا هم الذين يقيمون حكم الله وانما تقيمه دولة الخلافة فهو في أمان واطمئنان ، يمكن الالتجاء اليه في كل آن ، فاذا وقعت الواقعة ، وبدأت أوربة بتقسيم البلاد العثمانية بالعدوان المحض ، وشعر المسلمون في كل مكان ، بان أوربة جعلتهم كاليهود لا دولة لهم ولا سلطان ، فهنالك يدخل العالم في طور جديد لا يعلم عاقبته الا الله تعالى

ليس هذا القول بالتهديد ولا بالوعيد ، وليس الذي يقوله جاهلا بقوة أوروبة العلمية والصناعية والاجتماعية بل هو يعرفها ويعلم أنها جعلت بها اكثر المسلمين مسخرين لخدمتها كالسوائم ،وان الجاهلين منهم وهم السواد الاعظم لا يعلمون ماذا يعملون ،وان المتعلمين قد أفسدت التعاليم الاوروبية نفوس الكثيرين منهم وحلت الرابطة الاسلامية التي تربط كل قطر من بلادهم منهم بالآخر وهم لا يشعرون ، واحدثت لهم روابط أخرى بدلا منها تسمى في مصر الوطنية المصرية ، وفي الاستانة الحاكمية التركية ، وفي

طهران الجنسية الفارسية ، وان من المصريين من صار يفاخر بفرعون ويعد المسلم السوري والحجازي دخيلا في امته ، وان جميع الطبقات تأثرت بهذا ، وانه وجد في الاستانة اناس يقولون ان أسباب ضعفنا وتأخرنا جاءتنا من الاسلام ... وفي طهران من ينشر تاريخ المجوس وعظمة ملوكهم ، وينفر من الاسلام الذي دفع العرب الى سلب ذلك الملك منهم ، وان منهم من استحوذ عليه شيطان الجبن ،لشدة ما قاسى من الاضطهاد والظلم ، كل هذا أعرفه كما يعرفه الاوربيون الذين زرعوا بذوره وتعهدوا غرسه بالسقي حتى بدت لهم ثمراته دانية القطوف ، ولكنني أعلم مع هذا كله أن هذه الجنسيات الجديدة لما تتمكن من نفوس جميع الذين ابتدعوها ، وان أكثر الذين تدنسوا بها لم يعرفوا انها مخالفة لاصول الاسلام وفروعه الذي جعل المسلمين أمة واحدة بل أعضاء لجسد واحد ، وان الشعور بالخطر على الحكومة الاسلامية كاف لمحو كل هذه الوساوس الاوربية من نفوسهم ، وزلزال الجبن الذي ألم بقلوبهم ، وعودة الرابطة الاسلامية القلبية الى أشد ما كانت قوة ومتانة ، وهذا هو الذي عنيته بقولي « يدخل العالم في طور جديد لا يعلم عاقبته الى الله تعالى »

ان أوربة قد علمت كنه حرص المسلمين على الحكومة الاسلامية ، وشدة نفورهم من الحاكم الاجنبي عنهم ،فهي لذلك تخادعهم بنصب اشباح منهم تجعلهم آلات للحكم عليهم والتصرف بهم ، حتى ان ايطالية التي هي أشد دولها غرارة وغرورا ، واقلهن علما وتجربة ، تبحث عن أمير مسلم تجعله تمثالا تحكم طرابلس الغرب باسمه . ولولا ان أوربة تعلم كنه شعور المسلمين بالحرص على السلطة الاسلامية لما اطلقت على ذلك لفظ التعصب الديني وجعلت هذا اللقب منار البغي العدوان ، والخطر على نوع الانسان ، تنفر المسلمين منه ، وتهددهم بالعقاب عليه ، ولكن هل يخشى ان يكون من سوء تأثير التعصب الاسلامي المخيف أكثر مما كان من تساهل أوربة وعدلها ورحمتها في دفعها ايطالية الى اغتصاب مملكة اسلامية كاملة والسماح لأسطولها بتدمير ما يستطيع تدميره منها ومن أسطول الدولة العلية ؟ كلا انه لا يوجد عدوان في الارض أقبح ولا أوضح ولا أفظع من هذا العدوان

انه مهما بالغ كتابنا وكتاب أوربة في اقناع المسلمين بان أوربة تريد ازالة ملكهم من الارض لا لاجل دينهم بل لنفعها المجرد ، فلن يستطيعوا ان يقنعوا بذلك رجلا واحد من كل مليون رجل ، نعم ان ضعفنا هو الذي يجرئهم علينا ولكن حكومات البلقان المسيحية أضعف منا فلماذا يعطونها من أملاكنا ، ولا يقتسمون بلادها كما يقتسمون

بلادنا ؟ يقولون ان ايطالية حاربت الحبش وازالت سلطة البابا ، ونقول نعم وطالما حارب المسلمون بعضهم بعضا ،ولو استولت ايطالية على الحبش لما كان ذلك في نظر أوربة الا استبدال دولة مسيحية بدولة مسيحية ؛ وأما ازالتها لسلطة البابا فقد مكنتها أوروبة منه لاعتقادها ان الدين المسيحي لا يعطي الباباوات تلك السلطة الدنيوية التي انتحلوها لانفسهم ، وان كان فيهم ملحدون ففينا ملاحدون ، ومنهم من يريد ازالة سلطة الخلافة ويجعل السلطة دنيوية محضة تقليدا لهم ، فلماذا يبرؤن من التعصب ونرمى به ؟

انني شرحت اعتقاد المسلمين كما هو فما جئتهم بشيء جديد الا التذكير بما يجب من اظهار شعورهم وآلامهم من اعتداء أوربة وبغيها على دولهم الثلاث ومساعدتهم للدولة العلية بكل ما تمكن فيه المساعدة من المال والحال

لا أقول انه يجوز لهم ان يعتدوا على أحد الاوربيين أو المسيحيين لان ايطالية أوربية مسيحية فان الله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وللقتال طرق قانونية لا ينبغي الا بها وهي قتال الجيش المنظم ومن يتطوع معه فقط ،وقد انبأنا البرق بأن كثيراً من فضلاء الانكليز عرضوا على سفارة دولتنا في لندره ان يتطوعوا لقتال ايطالية معنا ، فالمسلمون أولى باظهار هذه العاطفة في كل قطر من الاقطار، سواء احتاجت اليهم الدولة أم لا ، فأدعو المسلمين الى التطوع

ثم ادعوهم الى اظهار شعورهم بالقول والكتابة والمظاهرة والاحتجاج . وقد رأينا الجرائد الاوربية عندنا ولا سيما الفرنسية منها قد اظهرت التحيز الى ايطالية بمدح عدوانها، واظهار العدواة والبغضاء للدولة العلية ،وكذلك بعض الجرائد المسيحية العربية المتعصبة للدين (وحاشا الجرائد العثمانية الراقية كالمقطم والاهرام فانهما قامتا للوطنية العثمانية بحقها) فلم لا يظهر المسلمون تحيزهم الى دولتهم وبغضهم ومقتهم للمعتدين عليها

ثم أدعوهم الى مقاطعة التجارة الايطالية وترك معاملة الطليان بكل نوع من انواع المعاملة ، وأرى ان كل مسلم في أي بلد يعامل طليانيا معاملة مالية أو زراعية فهو مستحق للعنة الله والملائكة والناس أجمعين

ثم أدعوهم الى مساعدة الدولة العلية بالمال وجمعه بالاكتتاب المنظم ، وليتذكروا ان الله تعالى قدم ذكر الجهاد بالاموال على ذكر الجهاد بالانفس حيث يمكن الامران. واما من يعجز عن الجهاد بنفسه فليس له حظ الا في الجهاد بماله . فان تركه

فلا عذر له عند الله ولا عند رسوله ولا عند المؤمنين ، ولا يوجد دليل على صدق الايمان أقوى من بذل المال في سبيل الله ولا دليل على ضعف الايمان أو النفاق فيه أقوى من البخل والامساك عن البذل في سبيل الله، ومن أهمه او أهمه حماية الملة وحفظ كيان الامة والدولة

ان مسلمي مصر والهند أجدر المسلمين بأن يكونوا أرفع المسلمين صوتا وأنداهم كفا في الانتصار للدولة العلية لانهم يمتازون على سائر المسلمين بثلاث العلم والمال والحرية ، وفي هذا المقام نعترف لدولة انكلترة بالفضل على جميع دول أوربة التي تضطهد المسلمين وتضيق عليهم مسالك الحرية الشخصية ، وان كنا في مقام نشكو فيه من اقرارها لايطالية على عدوانها الوحشي

للدولة على المصريين حق الاخوة الاسلامية ، وحق السيادة السياسية ،ولولاية طرابلس عليهم حق ثالث وهو حق الجوار ،فيجب ان يكونوا هم السابقين الى كل أنواع المساعدات الممكنة، وهم أهل لذلك ، فلا يألون جهدا ، ولا يدخرون وسعا ، وقد رأينا الاضطراب ظاهرا على عوامهم وخواصهم ،والغيرة شاملة لجميع طبقاتهم، ويليهم مسلمو تونس فالواجب عليهم أن يرفعوا أصواتهم، ويمدوا سواعدهم، ويكذبوا هانوتو في زعمه ان فرنسة قد فصلت ولاية تونس من مكة ،أي بترت هذا العضو من جسم الملة الاسلامية ، هذه فرصة يجب ان يغتنموها هم واهل الجزائر ليظهروا للعالم الاسلامي كذبه صدق فرنسة في قولها انها بدأت تغير سياستها في معاملة المسلمين ، تغيير تساهل وتحسين ، وليعلموا أن الجبن والاحجام في هذا الوقت لا يزيدهم عند فرنسة الامهانة واحتقارا ، وذلة وصغارا، ولا أحتاج الى تذكيرهم بقيمتهم في نظر العالم الاسلامي ، بل العالم الانساني

هذا ما أذكر به اخواني المسلمين في الشرق والغرب وأدعوهم مع سائر الكتاب اليه ، ولي معهم قول آخر فيما يجب عليهم من العبرة في هذه الحادثة وما يجب ان يعتقدوه في أوروبة كلها ويعاملوها به اذا هي بقيت مصرة على غيها في إقرار ايطالية على عدوانها

واما انتم أيها العثمانيون الخاص فانما أعظكم بواحدة أن تقوموا مثنى وفرادى وجماعات ثم تتفكروا فتجزموا بأنكم مهددون بالزوال ، وان هذا الوقت ليس وقت مطالبة باصلاح ، ولا مؤاخذة على افساد ، وانما هو وقت لا يتسع الا لشيء واحد وهو تأييد الدولة ببذل الاموال والارواح

واعلموا أيها الاخوة الالبانيون ان حكومتنا صائرة بطبعها الي اللامركزية فلا

تعجلوا، ولا تغوينكم دسيسة أوربة باضطرارها الدولة الى اعطاء تلك المطالب للاه السوريين، واصفحوا عن جهل اخوانكم المغرورين، الذين رجحوا قتالكم وقتال أخوتكم الاخرين، فهذا وقت العفو والسماح، هذا وقت الاعتصام والاتحاد، فان الخطر محدق بالجميع، فيجب أن يتحد الجميع على دفعه

هذا واني أرجو من اخواننا السوريين الكرام في خارج المملكة أن يظهروا صدق وطنيتهم، ويعرفوا دولتهم بقيمة اخلاصهم، وبأنهم ما كانوا يشكون الا من سوء المعاملة، وانهم حريصون على سلامة الدولة، ولا يكرهون منها صبغتها الاسلامية، لان هذه الصبغة لم تمنعها من مشاركتهم فيما يسمونه الحاكمية، ولا من مساواتهم بغيرهم في الحقوق العمومية، وما كان من التقصير في ذلك فهو من ذنب بعض الافراد. والاصلاح لا يجيء الا بالتراخي والتدريج

مصر في يوم الجمعة ١٣ شوال سنة ١٣٢٩

(٣)

﴿ ما يجب من العبرة، والاستفادة من هذه الشدة ﴾

لسان الحال أفصح من لسان المقال وأصدق، والحوادث أشد تأثيرا في نفوس الناس من الاحاديث والاقوال التي تلقى اليهم، وحوادث الشدائد في البأساء والضراء، أبلغ في التأثير والعبرة من حوادث النعمة والرخاء، فيجب على الخطباء والمرشدين أن يغتنموا فرصة نزول البلاء والشدة، لتنبيه شعور الامة، باستخراج فنون الموعظة والعبرة

كان الاستاذ الامام يقول ان علة هذه اليقظة والحركة الفكرية في المسلمين هي الحرب الروسية العثمانية الاخيرة، وكانوا قبلها في غفلة لا يتألم قطر من أقطارهم لما يصيب قطرا آخر، بل لا يكاد يشعر بمصابه، فقد دخل الانكليز قبلها بلاد الافغان محاربين فاتحين ولم تبال بذلك الاستانة ولا مصر، بل ولا الهند ولا ايران جارتا تلك الامارة، فتلك الحرب هي التي أيقظت المسلمين هذه اليقظة على ضعفها بانتصار الروسية عليها، وبلوغ الجيش الرومي ضواحي عاصمتها

وأعرف كثيرين من أحرار العثمانيين يعتقدون أن انتصار الدولة على اليونان في حربها الاخيرة كان شرا من الانكسار الذي كانوا يتمنونه للقضاء به على استبداد

عبد الحميد، فهم يقولون ان ذلك الانتصار هو الذي كان سبب رسوخ استبداد ذلك المخرب لبناء الدولة، ولولاه لفاز طلاب الاصلاح باعلان الدستور قبل الوقت الذي أعلن فيه بسنين كثيرة

هذا القول معقول وقد بين لنا كتاب الله تعالى ما كان في انكسار المؤمنين مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد من الفوائد وما كان من تمحيصه لهم وارشاده اياهم الى تدارك ما فرطوا فيه بغرور بعضهم في الانتصار

ان دول أوربة تعلم من فوائد الشدائد ما لا نعلم. فهي تحاول أن تحول بيننا وبين الانتفاع بما تنزله بنا منها، فلا تقطع منا عضوا الا بعد تخدير أعصابنا، وابطال شعورنا، بنحو ما يسميه الجراحون «عملية التبنيج» فيسمون البغي والعدوان والفتح والتمليك بغير اسمائها، هزؤا بنا، وضحكا وسخرية منا، حتى ان ايطالية تريد بعد هذا البغي والعدوان المشوه أن تسخر من الدولة والامة العثمانية بتسمية امتلاكها لطرابلس «احتلالا تحت سيادة تركيا» وان تدفع للدولة دريهمات تسميها ثمنا أو أجرة أو خراجا لتلك المملكة الاسلامية العثمانية ليسخط العثمانيون والمسلمون على الدولة وييأسوا منها

إن أخذ ايطالية لطرابلس بالقوة القاهرة لبعدها عن مركز قوتنا أشرف للدولة وانفع للامة من أخذها بثمن بخس. وكل ما تباع به الاوطان فهو بخس، وفيه من الخسة والضرر لايطالية بقدر ما فيه من الشرف والفائدة لنا

لا عار على من يشتري ملك غيره، ولكن العار الكبير على من يختلسه اختلاسا عند غيبة من كان يحميه. ولا يغني الامة مال قليل أو كثير تأخذه مع الاذلال والاهانة واضعاف رجائها في الحياة، وايئاسها من العزة والشرف، ولكن الامة تغنى وتتسع ثروتها بالمنبهات القوية التي تعرفها بكيد أعدائها وغدرهم، وتقوي شعور الشرف والاباء فيها، وتحفز هممها الى اتخاذ جميع الوسائل لحفظ الموجود، ورد المفقود، على ان العثمانيين الصادقين، وغيرهم من المسلمين الغيورين، سيبذلون للدولة من الاعانة لحفظ شرفها أكثر مما تبذله عدوتها لاضاعته

علمت من الثقاة في عاصمة دولتنا أعزها الله تعالى ان بعض المتفرنجين المارقين الذين نفثوا سموم العصبية الجنسية الجاهلية فيها، يميلون الى بيع أوربة بعض الولايات العربية التي في أطراف المملكة كطرابلس وجنوب بلاد العرب لاجل أن يرقوا بثمنها ولايات الروملي والاناضول، وما يتصل بها من البلاد الخصبة، ويجعلوها مركز

قوة الدولة، فتكون لهم دولة صغيرة قوية كدول أوربة في كل شيء !!! لكن بشرط أن يكون ذلك في غمرة من الحوادث يظهرون للامة فيها أن الدولة فعلت ذلك مضطرة لا مختارة، وانها افتدت رأس الدولة وقلبها ببعض أصابع من يديها أو رجليها، أو بما هو دون ذلك عندهم

قد اضطررت الى بيان هذه المسألة الآن اضطرارا لتفطن لها الامة فتقطع الطريق على وساوس شياطينها، ولا شك ان السواد الاعظم من الامة العثمانية يسفه أولئك الزعانف من الافراد المتفرنجين المارقين، الذين يقال ان من آثارهم ترك تحصين طرابلس الغرب، فيرجى أن لا تلدغ الامة من جحرهم مرة أخرى

المسلمون اشجع الناس وأثبتهم في القتال، وقد بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنهم لا يغلبون من قلة، وما خذلت دولتنا وغلبت في حرب الروسية الاخيانة من بعض القواد والرؤساء، بعد أن نفث التفرنج فيهم سم الالحاد، وجعل همهم من حياتهم التمتع باللذات والشهوات، ولعل ايطالية ما جمحت الى هذا العدوان الا اتكالا على أفراد من هذا الصنف الممقوت الذي يهون عليه اضاعة هذه المملكة (طرابلس وبرقة) لذلك الغرض الوهمي.

ومولانا السلطان الاعظم وأعضاء أسرته الكريمة كلهم ينبذون رأي أولئك الزعانف المارقين أن ظهر. ومروات العنصر التركي المبارك وجمهور الطبقة المتعلمة وجميع العامة من هذا العنصر العريق في الاسلام كلهم يخالفون أولئك الاوشاب الذين لا يعرف لهم الامة أصل ثابت ولا أثر صالح

يظنون ان مثل هذا الرأي الافين يروج عند بعض طلبة المدارس الرسمية المغالية في التفرنج، ونرجو ان يكون هذا الدرس الذي ألقته علينا ايطالية قد أبطل ظنهم، ونبه نابتة تلك المدارس على بطلان ظن آخر وهو أن تقليد بعض الاوربيين في العادات ونبذ الدين ظهريا يجعلنا مثلهم في قوتهم وعظمتهم، وكانوا يجاهرون بهذا الظن حتى تجرؤا على كتابته في الجرائد، وكتب بعض ساسة الاستانة: ان قومنا الترك والمجر من أصل واحد فلماذا ارتقوا في المدنية والحضارة ونحن منحطون واستعداد الجميع واحد؟ يجب أن نسلك مسلكهم حتى نكون مثلهم باحترام أوربة لنا ومساعدتها ايانا ورضاها بأن يكون عنصرنا عنصرا أوربيا

كان هؤلاء المساكين ومقلدتهم من طلبة المدارس الرسمية يتوهمون ان أوربة يمكن أن ترقيهم وتجعل لهم دولة قوية كدولها، وانه لا وسيلة الى ذلك الا بارضائها

بالتفرنج ونبذ الاسلام!! نعم انه يرضيها منهم التفرنج لانه هو الذي يجرف ثروتهم اليها، ويرضيها منهم ترك الاسلام لانه هو الذي يحل رابطتهم ويفصلهم من مئات من الملايين يغارون عليهم ويودون أن يروهم سالكين سبيل الرشاد ليجدوهم بأموالهم ونفوذهم المعنوي وكذا بأرواحهم ان وجدوا الى ذلك سبيلا. ولا يرضيها ذلك منهم لاجل أن يرتقوا ويعتزوا، بل يناديهم لسان حالها كل يوم ولسان مقالها في بعض الاوقات بهذا المثل « وجودك ذنب لا يقاس به ذنب » وهل يمكن أن يوجد نداء أفصح لهجة وأصرح صيحة من بتر طرابلس الغرب من جسم الدولة

هؤلاء الذين أفسدت تعاليم أوربة علينا قلوبهم وأفكارهم، وجعلتهم عونا لها على ازالة استقلالهم، من حيث لا يشعر بذلك أكثرهم، يوجد اشباه لهم وأمثال في الهند ومصر وتونس والجزائر. يظن أكثرهم ان بلاده تكون مستقلة بمساعدة أوربة اذا تركت جنسيتها ومقوماتها ومشخصاتها الاولى واستبدلت بها ما تأخذه عن أوربة من الجنسية الوطنية واللغوية، وقد وطنت نفوس بعضهم على الرضى بالسلطة الاوربية ظاهرا وباطنا لا محاء شعور الدين والجنس منها وعفاء أثره

كتبت هذه النبذة لتذكير هؤلاء المتفرنجين بما يجب عليهم من العبرة في الكارثة النازلة بنا، وتذكير سائر الامة بالاعتبار بهم، لعلها تقدر على ابعاد من بقي منهم على غيه من مناصب الدولة، ومن النيابة عنها في مجلس الامة، ولتذكير الجميع بما يجب أن نأخذه عن أوربة وما يجب ان ندعه ونتقيه كما تتقى العقارب والثعابين وجراثيم الامراض « ومكروبات » الاوبئة أو أشد اتقاء

كارثة طرابلس الغرب حجة قطعية محسوسة يشترك في ادراكها السمع والبصر فلا يمكن أن يوجد في الحجج أقوى من دلالتها على حكم أوربة علينا بالاعدام، واتفاقها على قسمة تركتنا قبل الاجهاز علينا، فيجب أن يعرف هذا كل فرد من أفراد رجالنا ونسائنا وأولادنا.

وهذه الحجة تدل على بطلان عقيدة نظرية كان يعتقدها بعض ساستنا والمفكرين منا، وهي أن أوربة لا تعتدي على بلد من بلادنا الا اذا حدثت فيها فتنة اعتدي فيها على بعض الاوربيين من أية أمة منهم، أو على النصارى منا، فاذا قدرنا على منع أسباب الفتن والتعدي وتلافي ما تحدثه الدسائس فيها فاننا نتقي بذلك تعدي أوربة علينا ونجعل لانفسنا

فرصة بذلك نرقي بها انفسنا . أبطلت كارثة طرابلس الغرب هذه الشبهة وقامت بها الحجة على أن أوربة تغتصب بلادنا بمحض العدوان وكونها محتاجة اليها وأحق بها منا . فارضاؤها عنا متعذر ما دمنا أحياء . واننا نراها قد استعجلت علينا بعد أن اظهر لها بعض المتفرنجين منا فسقهم والحادهم (كما صرحت به بعض الجرائد الفرنسية في المقارنة بين تركيا الفتاة ومصر الفتاة)

ان أوربة تجربنا بهذا البدع الجديد من العدوان هل نرضي ان تقتطع جسمنا قطعة بعد قطعة كلما هضمت واحدة منها قطعت أخرى والتهمتها من غير مقاومة منا ولا معارضة أم لا . فان رضينا بهذا الخسف فهو القصد والغرض والامنية العليا لان المملكة تكون كلها غنيمة باردة لها لا تخسر عليها نقطة من الدماء الاوربية المقدسة التي تفضل كل نقطة منها على جميع أهل آسية وأفريقية .

وان أبينا الذل والخسف وقاومنا جهد استطاعتنا وأثبتنا لها اننا بشر نحس ونشعر وان بيننا اتصالا وتضامنا في الجملة ، فهي تكون حينئذ بين أمرين اما ان تحل المسألة الشرقية عاجلا خشية أن يقوى هذا الشعور والتضامن فتصعب ابادة أهله ، واما ان يكون الاتفاق لم يصل بين دولها الى هذه الدرجة فتتركنا نحن وايطالية الى أن يتم لهذه الاستيلاء على طرابلس بقوتها وحدها أولا يتم ، ويتربصون بباقي بلادنا فرصة أخرى

والذي أراه انه لا يمكن ان نموت ميتة شرا من أن نقطع قطعا قطعا كالشلو ونؤكل بالتدريج فيكون موتنا امانة لشعور جميع المسلمين وايئاسا لهم من الحياة ، فيجب اذاً ان تبذل الدولة والامة كل طاقتها في صد ايطالية عن طرابلس وان عرضت كل ما فيها للخراب وكل من فيها للقتل . ولأن تأخذها ايطالية أطلالا دارسة ليس فيها أنيس ، لا من البشر ولا من اليعافير والعيس ، خير من أن تأخذها بقلاعها وحصونها ودورها وأهلها .

واذا أرادت أوربة بسبب مقاومتنا لايطالية ان تقتسم بقية بلادنا فخير لنا أن نعرض جميع جيشنا وجميع أفراد أمتنا للقتل كما قلنا في اخواننا أهل طرابلس وان نعرض جميع بلادنا للخراب ، ولا ندعها غنيمة باردة لاوربة الباغية الطاغية، كما نعرض طرابلس لذلك

واذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز ان تموت جبانا

ان تفعل ذلك أوربة (وهو ما لا ترضاه لها شعوبها التي يوجد فيها الجماهير

من المهذبين الذين يكرهون العدوان وسفك الدماء حقيقة لارياء ونفاقا كما يدعي ساستها) يكن ذلك درسا للشرقيين عامة والمسلمين خاصة يقرب أن يعلمهم كيف يعاملون هذه الوحوش المفترسة بمثل ما عاملتنا به . وانه ليغلب على اعتقادي أن سلب الدولة الاسلامية الكبرى ملكها (حماه الله) بمثل هذه الصورة بعد ذلك العدوان على مملكتي ايران والمغرب الاقصى يكون سببا قريبا لحياة المسلمين والصينيين حياة قريبة وان القوة الآلية القليل عمالها . لا يدوم لها القهر للكثرة العديدة تفق آحادها

أيتها القسطنطينية العظمى ! اعلمي أنه يجب أن نحيا ، وأنك أنت التي تحكمين اليوم بوجوب حياتنا اذا أبيت أن تبيعي طرابلس ولو بملء الارض ذهبا ، وجعلت الدم مع العزة والشرف ، أرخص من الذهب مع الذل والهوان ، يجب أن تختاري العز على الذل ، وجميع قلوب المسلمين معك اليوم ، وسيتبع ذلك أموالهم وأنفسهم هذا اذا أقدمت أوربة على الخطر الاخير ، وان هي أحجمت عنه فلا تأسفي على طرابلس اذا ذهبت وبقي الشرف ، ونمي الشعور بالحياة الاستقلالية، فانها لا تلبث أن تعود هي وغيرها . والواجب على الامة العثمانية في حالة الاحجام وحفظ كيان الدولة أن تبعد عن كراسي الوزارة والرياسة والقيادة والنيابة في مجلس الامة جميع المارقين المفتونين بالتفرنج ، وأن لا تقتبس من أوربة الا الصناعات والفنون التي تمدها بالقوة والثروة ، دون الآداب والعادات والازياء وسائر الامور المعنوية ، يجب حينئذ أن تؤسسي جامعة عثمانية حقيقية ، وأن تحفظي رابطتك الاسلامية أشد الحفظ ، وسنبين هذه الواجبات بالتفصيل ان شاء الله تعالى

(٤)

﴿ الاعتبار بالمقارنة بينها وبين الجامعة الاسلامية ﴾

المسألة الشرقية عبارة عن ازالة ملك المسلمين كالوثنيين واقتسام أوربة لجميع ممالكهم، وهي من الحقائق الثابتة المقررة لا ينكرها أحد ، ومسألة الجامعة الاسلامية عبارة عن اتفاق المسلمين وتعاونهم على حفظ سيادتهم والدفاع عن أنفسهم ، وهي من الخيالات التي تصورتها أذهان الاوربيين ورسمتها في لوح الامكان والاحتمال لاجل الصد عنها، واتقاء وقوعها ، عملا بقاعدة « اتقاء وقوع المرض خير من معالجته بعد وقوعه » ترى أوربة انه لا اثم في حل المسألة الشرقية ولا حرج ، ولا يعد من الطمع

ولا من التعدي على حقوق الامم ، بل هي فضيلة وكمال انساني ، وانما يخشى الاثم والحرج في اختلاف الدول الكبرى في القسمة اختلافا يضرم نيران الحرب بينهن

وأما الجامعة الاسلامية فهي فى نظر أوربة أكبر الآثام ، وأظهر أمثلة البغي والعدوان، وأشنع صور التعصب الوحشي، لأن المسلمين ميالون الى الحرب والاستيلاء على الممالك وهذه تجارة خاصة بأوربة يجب عليها احتكارها

صوروا الجامعة الاسلامية بتلك الصور الشنيعة المشوهة، وتفننوا ماشاءت بلاغتهم في هجوها وذمها ، ووصف مضارها ومفاسدها ، حتى نفروا قومهم منها ، ومن المسلمين الذين يتهمونهم بها ، بل نفروا المسلمين أنفسهم منها بضربين من ضروب التنفير (أحدهما) تهديدهم بأن أوربة تسومهم سوء العذاب اذا هي انست منهم عملا ما لهذه الجامعة (وثانيهما) انها أحدثت لهم جنسيات جديدة ، واحدثت لهم أماني واعتقادات بأنه يمكن لكل جنس منهم ان يستقل بنفسه، ويكون له دولة عزيزة ممدنة ، اذا هو انسلخ من الجنسية الاسلامية ، ونهض بجنسية النسب أو اللغة معا أو احدهما فقط ، فيكون الترك دولة تركية فقط، والفرس دولة فارسية فقط ، والمصريون دولة مصرية فقط، والسودانيون دولة سودانية فقط بشرط ان تكون هذه الجنسية بمعزل عن الدين لاشية فيها ، وحينئذ يجد أهلها من مساعدة أوربة عاشقة الانسانية وعدوة التعصب الديني ما يبلغهم أمنيتهم من هذا الاستقلال (??)

من عجائب تصرف العلم في الجهل ان وساوس أوربة تروج في سوق المستمسكين بكل ما يعتقدون أو يظنون أو يتوهمون انه من الدين ، المبغضين الماقتين لكل ما عليه الاوربيون كما تروج في سوق المتفرنجين الذين زلزلت التعاليم الاوربية الناقصة عقائدهم وجميع مقوماتهم ومشخصاتهم الملية ، بل هي في سوق أولئك المتعصبين لعقائدهم وتقاليدهم أشد رواجا وأقبح تأثيرا .

تعبث أوربة بجميع الشرقيين وتلعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة ، فهم ألعوبة بين يديها ، حتى في حال مقاومتهم لها ، لان من المقاومة ما لا بد منه فهي تمهد لهم سبيله، كمقاومة أهل المغرب الاقصى لفرنسة في تلك المدة القصيرة . هي التي حركتهم للثورة ، وهي التي دفعتهم الى المقاومة، لان الطريقة التي رسمتها للاستيلاء على بلادهم واعناقهم لا تتم الا بذلك ، وكم لها من أمثال هذه الوسائل ولكن من تستعملهم فيها لا يدرون كنه عملهم ولا غايته ولا يعرفون من هم الدافعون لهم اليها ، ولا انهم يبخعون أنفسهم بها (ينتحرون)

ان المسألة الشرقية حقيقية لا ريب فيها ، ومن عجائب غفلة المسلمين انهم لا يزالون كالاطفال يدركون الجزئيات عند ما تتصل باحدي حواسهم ولا يفطنون للكليات التي تندرج هي تحتها ليدركوا كل ما هو محيط بهم من المصائب والاخطار ، حتى ان اوربة تتجادل في قسمة ممالكهم وهم يسمعون تحاورها في جدالها ، ويكتبون بعض أخبارها في جرائدهم ، وتلوكها ألسنتهم في مجالسهم ، ولا ينتقلون من كل جزئية منها الى الامر الكلي الحامل عليها وهو ازالة ما بقي من ملكهم ، والاتفاق على قسمة سائر تراث اجدادهم ، وهو ما يسمى بالمسألة الشرقية ، فهم يعدون مسألة طرابلس الغرب مسألة جزئية سببها طمع ايطالية وغرورها ، واقدامها على نكث فتل المعاهدات ونسخ أصول حقوق الدول ، وليس الذنب ذنب ايطالية وحدها، وانما هو عمل أوربة كلها بدليل اقرارها اياها عليه ، وعدم اجابة الدول نداء الدولة العلية اذ استصرختهن لحماية القوانين والعهود والمواثيق

لو ان مثل هذا العدوان وقع من الدولة العلية على بعض حكومات البلقان لقامت قيامة أوربة كلها وجهزت أساطيلها وصاحت جرائدها على اختلاف لغاتها يجب على دول المدنية أن تطهر الارض من هذه الدولة الاسلامية الباغية العادية المتعصبة المتوحشة حفظا للعهود والقوانين التي يرعاها البشر ولا يتعدي حدودها الا الهمج والمتوحشون

قلت ان الجامعة الاسلامية مسألة خيالية ، وها نحن أولاء نري الذين يتهمون المسلمين بها، لاجل تنفيرهم عن التوجه اليها، لا يعدون لهم عملا ما في سبيلها ، وانما يؤاخذوننا كانا اذا كتب كاتب منا مقالة ذكر فيها حكومة اسلامية أو بلادا اسلامية بما يدل على أنه يكره لها الشر ، ويحب لها الخير ، كما كانت الجرائد الاوربية هنا تنكر على بعض الجرائد الاسلامية الى عهد قريب استنكار نكث فرنسة لمعاهدة الجزيرة بالاعتداء على مملكة المغرب الاقصى وارسال جنودها لاحتلال مدينة (فاس) ثم استنكار عمل المانية في حملها فرنسة على امتلاك تلك البلاد امتلاكا تاما بشرط أن تعطيها بدلا عما تستحقه فيها بمقتضي قاعدة المسألة الشرقية ، وهي أن الدول العظمى هي الوارثة لجميع الممالك الشرقية التي تسقطها

لا يزال يرن في آذاننا صوت تلك الجرائد التي قامت اليوم تتعصب لايطالية الباغية على الدولة العثمانية التي بغي عليها . كانت تقول انه لا حق لمسلم في اظهار الشفقة على مملكة مراكش لانها ليست وطنه فشفقته اذا من التعصب الاسلامي المذموم ومن دلائل الميل الى الجامعة الاسلامية الممقوتة . وأما تعصب الجرائد الفرنسية

والانكليزية التي تصدر في بلادنا ، لايطالية الباغة علينا ، فهو محمود مشكور وان لم تكن وطنها لان التعصب فرض عليهم ومحرم علينا

أعجب من هذا أن هذه الجرائد المتعصبة لا تستحي الآن من ذم المصريين ورميهم بالتعصب لاستنكارهم بغي ايطالية على دولتهم التي يخفق علمها فوق رؤسهم ، ويخطب باسم سلطانها على منابرهم ، وعطفهم على اخوتهم في الدين والعثمانية واللغة ، وجيرانهم المتصلين بهم في الوطن من أهل طرابلس . فمن المنكر العظيم في مدنية أوربة التي تلقي دروسها علينا هذه الجرائد أن نتألم لتدمير ايطالية لبلادنا ، وسفكها لدماء اخواننا ، وان نستنكر همجيتها ووحشيتها ونهتم لتخفيف المصائب عن أولئك الجيران الذين لم يقترفوا ذنبا تحكم به أوربة عليهم بهدم وطنهم على رؤسهم !؟ أما آن لنا أن نفهم ونعقل ونتدبر هذه الدروس ؟؟

قال حكيمنا « الناس من خوف الذل في الذل » وقد ذللنا حتى انه يساء الينا ونؤمر بالشكر . فالى متى يقذفون في قلوبنا الرعب والخوف من لفظ « التعصب » الذي نجد معناه عندهم ولا نجده عندنا، وانما يخافون أن نستفيد منه الاتحاد والتكافل كما استفادوا؟

الى متى يقذف في قلوبنا الرعب والخوف من لفظ «الجامعة الاسلامية» التي نرى مثلها عندهم مشاهدا محسوسا بالاتفاق على حل المسألة الشرقية ولا نرى لذلك المعنى أثرا في شعب من شعوبنا ، ولا في قطر من أقطارنا ، أنخاف من سطوتهم أن تفتك بنا بأكثر من البغي باغتصاب بلادنا عنوة واقتداراً ليضربوا علينا الذلة والمسكنة الى الابد ؟ يذبحوننا ويأكلوننا ، ويمنون علينا بعد ذلك بأنهم يمدنوننا ، !! لا كانت هذه المدنية ولا كان الراغبون فيها والناشرون لها

أراد رجل من المغرب الاقصى أن يرسل ولده الى بيروت ليتعلم فيها ، قبل نزول البلاء عليها باحتلال فرنسة لها ، فأنذره الفرنسيون سوء عاقبة تعليمه في بيروت وقالوا له اننا سنملك هذه البلاد فيحرم ولدك من كل شيء فيها اذا لم تعلمه في مدارسنا . فقال ان مدارسكم لا تعلمه لغته ولا دينه وهما أهم ما أريد أن أعلمه اياه . انه لا يوجد أحد من أهل المغرب الاقصى يأمن على ما يرسل اليه من خارجه في البريد الفرنسي لانه يعلم انه لا يصل اليه الا بعد أن يطلع عليه المفتشون ويرون انه ليس فيه مالا يحبون أن يقف عليه ، وسيكون أهل تلك المملكة عن قريب محرومين من كل مالا تريده فرنسة لهم ، وهذا أهون ما في هذه المدنية

أنا لا أدعو بهذا الا الى شيء واحد ، وهو أن نعرف أنفسنا ، ونعرف ما حولنا ، وما يحيق بنا ، لنكون على بصيرة من أمر هذا البلاء الذي أنذرنا به بغي ايطالية علينا ، باتفاق أوربة وأقرارها ، ونفهم كنه المسألة الشرقية قبل أن يتم حل عقدتها ، وتنفيذ المقصد منها ، ونفهم سر تهديدنا بلفظ التعصب ولفظ الجامعة الاسلامية اللذين هما من الالفاظ المهملة التي لا معنى لها عندنا

ان مسلمي المغرب الاقصى كانوا عونا لفرنسة على فتح الجزائر ، وهي الآن قد احتلت مملكة المغرب بقوة مسلمي الجزائر ، فهل كان هذا من التعصب الاسلامي وفروع الجامعة الاسلامية ؟

احتلت فرنسة تونس واستولت عليها وهي محاطة بالمسلمين من كل جانب فهل عارضها أحد من المسلمين أو قاتلها عليها ؟ فأين التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ؟

أراد اسماعيل باشا ان يجعل بلاد مصر مملكة أوربية فاعتمد على أوربة وتدهور في الحفرة التي حفرتها ، ولم يمنع ذلك خالفه من الثقة بأوربة ودعوتها الى حفظ أريكته ، من ثائري رعيته ، فهل هذا من التعصب الاسلامي والعمل بالجامعة الاسلامية ؟

فصلت انكلترة مملكة السودان من أختها مملكة مصر ثم فتحتها بجنود المصريين وأموالهم وهم وادعون ساكنون ، لا يكادون يعترضون الا على الاستمرار على أخذ أموال مصر للسودان ، مع الاجتهاد بقطع كل علاقة للسودانيين بمصر وللمصريين بالسودان ، ولا يزال الانكليز يفتحون بالجيش المصري كل ما أرادوا من السودان ، وحفظ كل ما أرادوا حفظه من بلاد السودان ، وكل مصري يعرف انه لا حظ لبلاده من ذلك ، وها نحن أولاء نرى وفودهم تغشى دار الوكالة الانكليزية كل يوم لتهنئة فاتح السودان بتولي ادارة الاعمال في مصر ، يأتون هذا في الوقت الذي أحسوا فيه بالخطر على دولتهم صاحبة السيادة الرسمية والشرعية عليهم ، مع علمهم بأن انكلترة قطب الرحى في هذا الخطر ولو شاءت لازالته ، فهل يتوسلون بهذا الى نيل مساعدتها للدولة أم هذا من التعصب الاسلامي والعمل للجامعة الاسلامية ؟؟!

ما هي القوة التي تمد فرنسة بها سلطتها في احشاء افريقية وتحفظ بها ما تستولي عليه وتحفظ به تجارتها ؟ أليست من أهالي البلاد المسلمين ليس معهم الا عدد قليل من الضباط البيض ؟ ما هي قوة ايطالية المستولية بها على مصوع والتي تطمع بها أن تضم الى مستعمراتها الافريقية بلاد اليمن كلها أو بعضها ؟ أليس معظمها من المسلمين ، يسوسهم ويسيرهم عدد قليل من الايطاليين ؟ لو كان هناك تعصب اسلامي أو عمل للجامعة

الاسلامية في الاستانة أومصر أو الهند أوما دون هذه البلاد الراقية من بلاد المسلمين ، اما كان يكون منه ارسال المحرضين على هؤلاء الافراد من الاوربيين الذين يستعبدون الملايين من المسلمين ؟ ما كان شيء من ذلك ولا نعلم أحدا فكر في تكوينه ، ولم يستطع الاوربيون أن يجدوا شبهة على ذلك يلصقونها بمسلم ، فأين التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ؟

ولو شئت لرجعت الى تاريخ الشرق وذكرت اتفاق العثمانيين مع اعدائهم الروس على اقتسام البلاد الايرانية عند ما تغلب الافغانيون على اصفهان في عهد (شاه سلطان حسين) ومحاربتهم للايرانيين من طريق بايزيد عند ما كان (عباس ميرزا) يدافع الروسية عن بلاده ، ثم مكافأة ايران للعثمانيين بمساعدة الروسية عليهم في حربها لهم، فهل هذا من التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية

كان سلطان ميسور (تيبوسلطان) أرسل سفيراً الى الدولة العثمانية يعرض عليها احتلال بلاده لصد انكلترة عنها فردته خائبا ولو أجابته لهان عليها ان تملك بلاد الهند بلا مشقة ولا عناء

وان شاه ايران (فتح علي) أنذر الافغانيين بالحرب مساعدة للانكليز عندما أراد الافغانيون الزحف على الهند ، وان أمير الافغان (دوست محمد خان) نكث عهد (رنجت سنك) صاحب بنجاب ومحالفته على صد الانكليز ولولا ذلك لما ظفر الانكليز بجيش (رنجت) وأخذوا تلك المملكة بتلك السهولة - كذلك امراء البنغالة والكرنانك ولكنهم قد مهدوا للانكليز السبيل الى الاستيلاء على السلطنة التيمورية في الهند فهل كان كل ذلك من التعصب الاسلامي . ومبادئ العمل للجامعة الاسلامية ؟

واذا تحولنا عن الهند الى الممالك الاسلامية التي استولت عليها الروسية نراها كلها كانت متخاذلة يشمت بعضها ببعض فقد سر أهل بخارى باستيلاء تلك الدولة على بلاد التركمان وخوقند وقابلها هؤلاء بالمثل عند ما استولت عليها هي أيضاً ، ولم نر أحدا من هؤلاء المسلمين ساعد الآخر على صد الاجنبي عن بلاده ، فأين تجدون لنا في التاريخ الاسلامي جرثومة من جراثيم التعصب النافع لنا أو الضار بكم ؟ وأين تجدون الدليل على ما سميتموه الجامعة الاسلامية ؟ هل اتحد ملوك المسلمين في الماضي على محاربة النصارى كما اتحد ملوك أوربة على المسلمين في الحروب الصليبية ؟ أو كما اتحدت دولها الآن في المسألة الشرقية ؟ الى متى هذا الغش والتغرير، والسخرية من هؤلاء المسلمين المتخاذلين المتغافلين

هذا نذير من النذر الاولى ، وهذا نذير من النذر الآخرة ، وان امامنا خطراً كبيراً فيجب أن ندرك كنهه ، وان نبحث عن مستقبلنا مع الباغين المعتدين ، والا ضاع كل شيء وصرنا أذل البشر ، وصعب علينا مع هذا الاتحاد العام علينا ان نرتقي عن طبقة العبيد الاذلاء ، وأول درس عملي يجب أن نقوم به هو بذل المال لمساعدة طرابلس الغرب على نكبتها وان نستفيد بذلك كيف يكون التكافل والتعاون بيننا

واذا كنا لم نهتد لسكل ما أصابنا فيما مضى الى العمل للجامعة الاسلامية التي نصون بها أنفسنا ونكون أمة عزيزة فعسى ان تكون الكارثة الحاضرة مبدأ هذه الهداية وتكون ايطالية المغرورة هي الملجئة الى وضع الحجر الاول في هذا البناء الشريف الذي يوقف بني أوربة عند حده ويعيد الى الشرق أفضل ما سلب من مجده ، وقد قال حكماؤنا في أمثالهم « الشيء اذا جاوز حده ، جاوز ضده » والى الله المصير

٣ شوال سنة ١٣٢٩

(٥)

﴿ ما يجب على العثمانيين، المختلفين في اللغة والدين ﴾

ان وثوب ايطالية على طرابلس كما يثب الذئب الجائع على الشاة وتأييد كل من حليفتيها ومن دول الاتفاق الثلاثي لها على عدوانها على ما بين الفريقين من الخلاف والنزاع برهان قاطع على انهم يريدون بذلك حل المسألة الشرقية حلا حاسما (ان أمكن) ، وانه ليس عند أحد من تلك الدول عاطفة رحمة أو انسانية أو نزعة عدل أو حق تحملها على كف عادية الظلم، واطفاء نائرة البغي ، فهن في أرق وأعلى مدنيتهن التي يسمونها مسيحية أشد قسوة وأشوه وحشية من أهل البوادي والقفار ، وأين هم من العرب في جاهليتهم وأدنى أحوالهم الذين عقدوا حلف الفضول على أن لايدعوا ظالما الا كفوه عن ظلمه، ولا مظلوما الا أعانوه على حقه . وهن على هذا البغي والوحشية والهمجية لايخجلن من حمل قسوس بلادهم وكتابها وأساتذتها على مفاخرة الاسلام بدينهم ومدنيتهم وآدابهم وفضائلهم، أعاذ الله الشرق منهم ومن شر قوتهم التي يدعون بها كل تلك الدعاوى الكاذبة الخادعة ، وأكذبها دعوى الانتساب الى دين المسيح عليه الصلاة والسلام

ان هؤلاء الوحوش الضواري ليس لهم دين الا الدينار والنار والبارود والديناميت

التي هي وسائل اللذات والشهوات والكبر والفخر والخيلاء ، ألا ترى الى ملك ايطالية كيف ملأ ماضغيه فخرا ببغي دولته وعدوانها الوحشي ، وقال انه يريد أن يري أوربة عظمتها وقوتها في حرب طرابلس ، لتقر عينها ويسر قلبها ببغي كثرتها على قلة العثمانيين هنالك ؟ ولا يخفى على أحد قرأ الانجيل وعرف سيرة المسيحيين الاولين قبل أن تشوه أوربة الديانة المسيحية وتقلب أوضاعها بأن المسيح ما أمر بالبغي والعدوان وسفك دماء الابرياء ، وهو ما تفاخر به أوربة ، وانما أمر بالرحمة والرأفة ومحبة الاعداء المبغضين ، ومباركة السابين اللاعنين ، وأنه يجب على المسيحي أن يدير خده الايسر لمن ضربه على خده الايمن

اذا كان أولئك السياسيون السفاكون للدماء ، الشديدو الضراوة بتمزيق الاشلاء ، أعداء للاسلام باعتدائهم على أهله ، فهم أشد عداوة للمسيحية الحقيقية بقلبهم لوضعها ، وتغييرهم لطبعها ، ونفثهم لسموم التعصب الذميم فيها ، فهم الذين أبادوا من أوربة جميع الوثنيين ، باسم المسيح الرءوف الرحيم ، وهم الذين أكرهوا بالسيف مسلمي الاندلس على النصرانية أو الجلاء من البلاد باسم المسيح أيضا ، وهم الذين أنشأوا محكمة التفتيش لتعذيب العلماء والعقلاء الذين يصرحون بما تصل اليه عقولهم من حقائق العلوم باسم المسيح أيضا ، وهم الذين أجروا الدماء أنهاراً لاختلاف المذهب في الدين الواحد كما أجروها أنهارا من قبل باختلاف الدين ، ولا يزالون يضطهدون اليهود والمسلمين في بعض البلاد ، ويمنعون الكاثوليك من احتفالاتهم الدينية في انكلترا . ثم لما صارت الغلبة للماديين منهم لم يتركوا تلويث المسيحية بقسوتهم التي ورثوها عن أجدادهم الرومانيين فكانوا الى هذا العصر يغشون المتدينين من شعوبهم بأنهم يريدون باعتدائهم على الدولة العثمانية انقاذ رعاياها المسيحيين من ظلم المسلمين ، والادالة للصليب من الهلال ، حتى ان الايطاليين سالبي سلطة البابا عميد الدين الاكبر — ولا يقاس بهذا تعديهم على الاحباش المخالفين لهم في المذهب — قد أخذوا من أحد رؤساء الدين (مطران كريمونا) منشورا يدعو فيه الايطاليين الى حرب المسلمين في طرابلس الغرب ويثبت لهم مشرعيتها باسم المسيح ، وقد جعلت احدى الجرائد المسيحية بمصر عنوان هذا الخبر كلمة يعزونها الى المسيح وهي « ماجئت لالقي سلاما على الارض » وتتمتها كما في انجيل متى (١٠ : ٣٤) ماجئت لالقي سلاما بل سيفا .

وجملة القول ان دول أوربة دول مادية وحشية غلب عليها الكبر والعتو والغطرسة ، وما الدين المسيحي عندهم الا آلة سياسية يغشون بها المتدينين من شعوبهم ويتوسلون

بها الى العدوان على غيرهم ، فاذا هم غلبوا على بلاد جعلوا أهلها كالعبيد والخدم لهم ، ولا يرضون ان يساويهم أحد من أهل الارض في الحقوق ولا في غير الحقوق ، بل يترفع الانكليزي من أدنى الطبقات عن الركوب في السكك الحديدية مع أشرف الهنود محتدا ، وأعلاهم أدبا ، وأوسعهم ثروة . على أن الانكليز أقرب من سائر الاوربيين الى حب الحرية والعدل . وهذا الكبر والعتو لم يعهدا في شعب من شعوب الشرق حتى في طور البداوة والجهل

يصف ملطبرون وغيره من مؤرخي أوربة الترك بالكبر والقسوة وقد مضى على الترك عدة قرون وهم أقوى دول الارض بأسا ولم يفعلوا في زمن جهلهم ما فعلته أوربة من التعصب الفاحش باكراه الناس على ترك أديانهم أو مذاهبهم لاتباع دينها و مذهبها ، بل ترى هذه الدولة العثمانية مازالت أوسع حرية منهم وأشد تساهلا حتى في هذا العصر الذي بلغوا فيه أوج الحرية والمدنية والدليل على ذلك وجود الملل الكثيرة والنحل المتعددة في بلادها الى اليوم . وهي الآن قد جعلت حكومتها مشتركة بين المسلمين وغيرهم من أهل تلك الملل الكثيرة ، ولم تكلفهم ما تكلف فرنسة أهل الجزائر وغيرهم من شروط الجنسية الفرنسية وهي ان يخالفوا اعتقادهم الديني ويخونوا ضمائرهم بترك احكام الاسلام في النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من الاحكام

ان كثيراً من جهلة المسيحيين الشرقيين مغرورون بمسيحية أوربة فهم يظنون أن الدول الاوربية اذا استولت على البلاد العثمانية ، تكون خيراً لهم من الدولة العلية ، فتساويهم بالاوربيين في الحقوق ورتب الشرف بحيث لا يكون بين الفريقين فرق ، والدولة العثمانية لما تصل في المساواة بين المسلم وغير المسلم الى هذا الحد ، ويخالف أولئك الاغرار في ظنهم هذا جميع أهل العلم من نصارى الشرق الذين عاشروا الاوربيين واختبروهم ، والذين عملوا معهم حتى في مصر والسودان وهما القطران اللذان قضت حالتهما السياسية والاجتماعية الممتازة وموقعهما الجغرافي أن يكون الانكليز فيهما خيرا منهم أنفسهم في زنجبار بل وفي الهند — يشهد هؤلاء أن الانكليزي المرءوس يرى نفسه فوق رئيسه المصري أو السوري (الذي ما كان رئيسا له الا لانه أرقى منه علما وخبرا في العمل المشترك بينهما) وان كان هذا الرئيس على دينه ومذهبه ، فهو يرى نفسه فوق كل شرقي لانه انكليزي ، وهكذا شأن جميع الاوربيين مع جميع الشرقيين ، والانكليز أحسن اخلاقا ومعاملة من سائر الاوربيين

ألا فليعلم كل نصراني عثماني انه اذا وقعت بلاده تحت سلطة دولة أوربية فقد حرم من حقيقة السلطة وشرف الرياسة وعزة الحكم التي يرجى ان يكون له منها النصيب الوافر ببقاء الدولة العثمانية دستورية ، ولا يذهب بهذا الرجاء من قلوب غير الترك من العثمانيين ماعرفوا من تعصب زعماء جمعية الاتحاد والترقي لجنسهم ، ومحاولتهم تمييزه على جميع الاجناس، فان هذا من الغرور الذي يزول بزوال أولئك الزعماء أو بزوال نفوذهم العارض أو برجوعهم عنه، وقد زعم صاحب جريدة طنين وهو لسان حالهم انهم قد رجعوا عن سياسة تتريك العناصر . فان كان مخادعا فسيذهب الزمان بخداعه ، وستؤول حكومة هذه الدولة الى ما يسمونه اللامركزية حتما اذ لا بقاء لها بغير ذلك اذا هي سلمت من بغي أوربة وعدوانها

فعلينا أيها الاخوان في الوطن والعثمانية أن نمحو من أذهاننا وساوس أوربة التي بثتها في بلادنا وفرقت بها كلمتنا، وان نكون إلبا واحدا على من يعاديها، ويدا واحدة في القيام بكل ما يحفظ كيانها وبرقيها ، وان نستفيد من تعلق قلوب المسلمين غير العثمانيين بها، ونشكرلهم اخلاصهم لها ، علينا أن نظهر لها في هذه الشدة كل ما نستطيعه من المساعدة بأموالنا واقوالنا وأفعالنا وشعورنا ، وان لا نؤاخذها بما ظهر من سوء سياسة بعض رجالها ، فاننا اذا جمعنا كلمتنا على مساعدتها في هذه الازمة نكون أقوياء بعدها على احباط كل سعي لاولئك المسيئين أو لغيرهم بقوة وحدتنا وظهور إخلاصنا الذي يقطع ألسنتهم فلا يستطيعون أن يتبجحوا باحتكار الوطنية العثمانية، ورمي غيرهم بالتعصب للدين أو الجنسية

هذا ما أذكر به أبناء الدولة العلية المخالفين لها في الدين، واما ابناؤها المخالفون لاسرة السلطنة في اللغة فقط فلا أراهم يحتاجون الى التذكير بوجوب الاتحاد والتعاون على نصرها وتأييدها ، وموالاة من والاها ، ومعاداة من عاداها

أين سروات الالبان ورؤساء عشائر الاكراد ، وامراء العرب الانجاد ، هذا وقت النجدة ، هذا وقت الوحدة ، « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، ان الله على كل شيء قدير »

إعلموا ان أوربة لا تبقي على أحد منكم ، واذا ساغت لها لقمة طرابلس الغرب

فستكون ألبانيا لقمة للنمسة ، وبلاد الاكراد لقمة للروسية ، واليمن كالخليج الفارسي لقمة لانكلترة ، أومشتركة بينها وبين ايطالية . وأماسورية فيقال ان انكلترة لا ترضى إلا بجعلها فاصلة بين مصر وبين الاناطول الذي هو حصة المانيا حبيبة الترك ، وذلك بأن تكون مستقلة تحت حماية الدول الكبرى كلها ويكون حاكمها العام أوروبيا

هكذا قد اقتسموا البلاد ولا يقيها من تنفيذ القسمة الا تجددكم واتحادكم ، واستعدادكم بالفعل للذود عن بلادكم ، فوالله لئن ظفروا ببغيتهم ليجردن بلادكم كلها من السلاح ، وليتحدن على أن لا يبيعوكم بعد ذلك سلاحا ، ولا يدعوكم تعملون ولا تتعلمون كيف تعملون ، وليسومنكم سوء العذاب ، وليحرمنكم من السلطة والثروة ، وليسلطن عليكم قسوسهم ومقامريهم وخمارهم وبغاياهم ليفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وصحتكم وآدابكم

أين أنت يا أميرمكة وسيد الشرفاء ، أين أنت يا إمام اليمن ياذا النجدة والاباء ، أين أنتم يا أمراء نجد الانجاد ، أين أنت ياصاحب كويت ، أين أنت يا ابن سعود ، أين أنت يا ابن الرشيد ، ألا يدعو بعضكم بعضا الى الاجتماع والتعاون على نصرة الدولة ، ألا يجب أن تزحفوا على مصوع والارتيرة ، ألا تبذلون المال والنفس في هذه الشدة ???

وأنتم ياعلماء النجف وكربلا وايران ، هذا أوان ما يجب عليكم من خدمة الاسلام، هذا أوان شد أواخي اخوة الايمان ، والتعاون على حفظ ما بقي له من الاستقلال، عليكم بما لكم من النفوذ الروحي أن تستلوا من نفوس المتفرنجين نزغة الجنسية الجاهلية ، وان تجذبوا الامة الفارسية الى الامة العثمانية ، كلا ان الامة واحدة ولكن فرقتها الاهواء ، وهذا أوان جمع المتفرق ولم الشتات ،

وأنت أيتها الاستانة أما آن لك أن تعلمي ان حمل هؤلاء كلهم للسلاح خير لك من جمه منهم ، وان تعليمهم النظام العسكري خير لك من جهلهم به ؟ أصلحي ما أفسده المتفرنجون الملحدون ، فبالاسلام تجملين ملايين من أولئك الليوث فداء لاستقلالك ، كما نصحنا لك اذ كنا في جوارك ، وقبل ذلك وبعد ذلك

في ٢١ شوال سنة ١٣٢٩ (لها بقية)

﴿ مقدمات الحرب في طرابلس الغرب ﴾

لما أعلنت الحرب بتلك الصورة المنكرة وظهر أن الدول الكبرى موافقة لايطالية عليها بادرنا الى نشر مقالات (المسألة الشرقية) في المؤيد لننذر المسلمين والشرقيين عامة الى الخطر الاوربي الذي اوشك ان يقضي على الشرق الادنى كله ، معتقدين ان هذا الانذار ، قد يصد بايقاظ المسلمين هذا التيار ، ويحصر شر الحرب ، في طرابلس الغرب ، ثم كانت ايطالية عونا لنا بسوء تصرفها على تنفير أوربة منا ، وعطف أكثر جرائدها علينا ، بعد ما كان من فظائع الجيش الايطالي بقتل النساء والشيوخ والاطفال من العرب فلهذا كففنا عن التنديد بأوربة كلها ،

ثم انا نشرنا في الجزء الماضي انذار ايطالية الاول للدولة العلية وجواب الدولة عنه ، وسننشر بعد ذلك ماينبغي حفظه من تاريخ هذه الحرب وقد نشر بعض الذين كانوا موظفين في طرابلس قبل الحرب مقالة في المؤيد بين فيها مقدماتها وأسبابها ، فرأينا ان ننشرها في المنار وهاهي هذه قال :

يعلم كل من له أقل عناية بتتبع سياسة ايطالية في طرابلس الغرب أن هذه الحكومة ما زالت موجهة نظرها وأملها الى هذه الولاية منذ خمسة وعشرين عاما أو أكثر قصد الاستيلاء عليها بالسلم أو بالحرب لما لايالة طرابلس من الاهمية الكبرى لاحتوائها على معادن شتى ، ولان سعتها تبلغ ثلاثة أضعاف سعة البلاد الايطالية من أعلاها الى أدناها

وكانت ايطالية تحاذر أن تتعرض للاستيلاء على طرابلس الغرب بالقوة الحربية ، مع ما تعلمه من انقطاع هذه الولاية عن عاصمة الملك العثماني وبعدها عنها وعن سائر بلاد السلطنة وضعف القوة البحرية العثمانية ، لانها كانت ترى أن استيلاءها على طرابلس لم يكن يوافق مصلحة انكلترا وفرنسا لاسباب لا حاجة الآن الى شرحها

ولهذا طرقت للوصول الى هذا الامل مسالك أخرى فنصبت لذلك من مدارسها فخا أولا ، إذ أسست في طرابلس الغرب مدارس ايطالية كثيرة واختصت للانفاق عليها الالوف من أموال خزينتها قاصدة بذلك أن تشيع اللغة الايطالية بين عرب طرابلس وتؤلف قلوب الاطفال والناشئة

ولقد أدرك وزيرنا الغيور المرحوم احمد راسم باشا يوم كان واليا على طرابلس

ما ترمي اليه ايطاليا من هذا العمل فجعل يقاومه بالوسائل المشروعة وينبه الاهالي الى ما عرفه من حقيقة أمر هذه المدارس وأنها لا توافق مصلحة المسلمين ، وكان له من العلماء والمدرسين عضد وساعد على نشر هذه النصيحة بين الطرابلسيين العثمانيين الى أن نجح في عمله واتفق الجمهور على اتقاء هذا الفخ السياسي فلم يكن يوجد في صفوف هذه المدارس غير نفر قليل من أطفال اليهود الفقراء

ومهما كانت الحال فان ايطاليا جنت شيئا من ثمار هذه المدارس لان الذين تخرجوا فيها من شبان اليهود صاروا يخابرون غرف التجارة في ايطاليا ويستجلبون بضائع الايطاليين ومصنوعاتهم وينشرونها في طرابلس وينشرون معها اللغة الايطالية حتى بلغ مقدار الذين يتكلمون بالايطالية من الموسويين وبعض المسلمين ثلاثين في المائة من أهل مدينة طرابلس مع أن الذين يتكلمون بالتركية لا يبلغون خمسة في المائة

على أن هذا كله لم يقنع أصحابنا الايطاليين بل زاد في أطماع حكومتهم ، وقامت جرائدهم تنتقد خطة السنيور (كريسبي) وحزبه قائلة ان ما أنفق على هذه المدارس كان أعظم من الثمرات التي جاءت بها وأن المصلحة تقضي باقفالها ما دامت كذلك أما الحكومة فلم تلتفت الى أقوال الصحافيين بل أصرت على المثابرة في هذه الخطة وظلت تصرف مرتبات موظفي هذه المدارس ونفقاتها ، ودامت الحال على ذلك الى أن انعقد مؤتمر (الجزيرة) فتقرر فيه أن لا تعارض الحكومات الموقعة على صك المؤتمر شيئا من المصالح الاقتصادية والسياسية التي للايطاليين في طرابلس الغرب ، ومن ذلك الحين أسست ايطاليا في طرابلس الغرب فرعا لبنك (دي روما) فكان هذا البنك قطب رحى المصائب على هذه الولاية العثمانية والمصدر لكل دسيسة سياسية ، زد على ذلك أن الثلثين من رأس مال (بنك دي روما) هي لحضرة البابا والثلث الآخر للحكومة الايطالية

تأسس هذا البنك فعلا في طرابلس ولم تلاحظ في تأسيسه حرمة البلاد وأحكام قوانينها ، وبيان ذلك أن القانون يقضي بأن لا يؤسس مرفق من المرافق المالية الاجنبية في سلطنة آل عثمان الا بارادة سلطانية ، وفضلا عن ذلك فان الخاصي والعامي يعلم ان هذا البنك انما أسس لاستملاك الاراضي ، واستعمال الايطاليين لها ، ولاقراض الاهالي بالربا الفاحش ، ولاحتكار التجارة في طرابلس ، ولاخذ امتيازات لاستثمار المناجم وانشاء المرافئ وما أشبه ذلك ، ثم اظهار القلاقل والاختلافات بين الحكومة المحلية والقنصلية الايطالية التي يعظمها الخيال الايطالي بالطبع حتى تصل الى الاستانة

ورومة فتكون منها « مسائل » يختلقون منها الوسائل للخطة التي وضعوها لانفسهم

كان والي طرابلس الغرب وقائدها في حين تأسيس (بنك دي روما) ذلك الرجل الكبير المرحوم رجب باشا ، فقاوم رحمه الله هذا المشروع غير المشروع بكل قوة لديه طالبا من مؤسسيه أن يحصلوا على ارادة سلطانية بتأسيسه أولا ، وفي الوقت نفسه كان يكتب الى الاستانة مبينا النتائج السيئة التي تكون من نجاح الايطاليين في تأسيس هذا البنك فلم يرض الايطاليون بالخضوع لقانون البلاد وأوعزت الاستانة الى المرحوم رجب باشا بأن لا يتشدد كثيرا لئلا يكون سببا في احداث (مشكلات سياسية)

ولما يئس ذلك الرجل العثماني الحكيم من معاونة الاستانة له واهتمامها بأمر هذه الولاية البائسة توسل بوسائل حكيمة لمقاومة النتائج بعد عجزه عن مقاومة المقدمات ، فصار يتمسك بنصوص القانون ما أمكنه في مسائل بيع الاراضي والعقارات ويعرقل الحيل والدسائس التي تعمل لاجل نقلها من ملك العثماني الى ملك الايطالي تحت ستار الحيلة ، فكلما أراد أحد أن يبيع قطعة أرض أو عقارا واشتم المرحوم رجب باشا منها رائحة الايطاليين دعا صاحبها وبين له الاضرار العظمى التي تلحق وطنه من بيعها الى ايطالي ، فاذا لم يقتنع البائع بحث له عن عثماني يشتري منه أو جار يضطر البائع الى تفضيله بحكم الشفعة ، وان لم يجد أوعز الى المجلس البلدي بأن يشتري ذلك ولو كانت قيمته فاحشة ، واذا أخفق سعيه في ذلك وهذا أمر دائرة (الطابو) بأن تنفذ أحكام القانون بعدم افراغ تلك الارض أو ذلك العقار باسم البنك لان البنك شخص معنوي ، والبيع والشراء يشترط فيهما الايجاب والقبول - كل ذلك كان يفعله المرحوم رجب باشا لئلا يتمكن (بنك دي روما) أو أحد من الايطاليين من شراء الاراضي العثمانية واستعمارها

كانت العوائق المشروعة التي وقف بها والي طرابلس الاسبق في وجه بنك دي روما خير وسيلة ممكنة لعرقلة مساعيه بالرغم عن الشكاوى الطويلة العريضة من البنك والتهديدات المختلفة الاساليب التي كان قنصل ايطاليا وحكومة ايطاليا يحيئان بها في كل يوم

ولما أعلن الدستور العثماني ، ثم عين حقي بك (حقي باشا) سفيرا للدولة العلية في روما علم بنك دي روما وحكومة ايطاليا ان السكوت على الوسائل التي كان يتخذها رجب باشا ربما عادت مؤيدة بالقانون في زمن الدستور وفي ذلك من القضاء على الآمال

الايطالية ما فيه ، فأكثر الايطاليون من الشكاية واتخذوا حقي بك نصيرا وآلة لهم ، ومما كتبه حقي بك في ذلك الحين الى الباب العالي ان ايطاليا تبذل جهدها لمساعدة الحكومة العثمانية (!) خصوصا بعد الدستور ، ومن الواجب على الباب العالي ان يتسامح مع (بنك دي روما) تثبيتاً لاواصر المودة بين الدولتين واحكاما لمباني الحب والصداقة ، فأثر هذا القول من سفير الدولة في حكومته المركزية ، واوعز الباب العالي الى الحكومة المحلية في طرابلس الغرب بأن تقبل فراغ الاراضي باسم المدير العام لبنك دي روما

وفي ذلك الحين كان المرحوم رجب باشا قد نقل من ولاية طرابلس الغرب وعين وزيراً للحربية العثمانية ، وخلفه على طرابلس امير اللواء محمد علي سامي باشا ، وهو رجل جندي لا يعرف شيئا من شؤون الادارة وأساليب السياسية ، ثم جاء بعده فوزي باشا ، وأعقبه حسني باشا ، وهؤلاء الولاة الثلاثة لم يزد مجموع مدتهم في طرابلس على سنتين وقد جد البنك منهم في أثنائها تسهيلات كثيرة وتسامحا كبيرا وكانت الجرائد المحلية وفي مقدمتها (تعميم حريت التركية و (الترقي) و (أبو قشة) و (المرصاد) العربية تبين للحكومة والرأي العام مقاصد ايطاليا وأعمالها وأغراض بنك دي روما وتصرخ بأعلى صوتها منبهة اولياء الامور الى المصائب المنتظرة التي سيكون البنك المذكور مصدرها وسببها فلم تجد هذه الجرائد الصادقة أذنا صاغية من الحكومة ورجالها ، ولكنها أثرت في الرأي العام وصححت اعتقاده بشأن البنك فصار يعتقد انه مرفق سياسي بعد ان كان يحسبه تجاريا بحتا ولما شعر مؤسسو البنك أن معاملاته ستقف بسبب الحملات الصحافية قام فأسس في طرابلس مطبعة وجريدتين ايطاليتين احداهما جريدة (إيكو دي تريبولي) والثانية جريدة (استيللا) وصارت هاتان الجريدتان تدافعان عن البنك ومصالحه وتبثان في أذهان الناس انه تجاري لا سياسي فلم يخدع الرأي العام بأضاليلهما

وفي ولاية حسني باشا قدم طرابلس رجل من أهل الارجنتين في جنوب أمريكا اسمه المستر (كوزمان) فأصدر جريدة سماها (بروجريسو) وصار يطعن فيها على الحكومة الايطالية ويبين مقاصدها في طرابلس الغرب ويفضح نية (بنك دي روما) السيئة وظل على ذلك مدة أشهر ارتفعت فيها شكوى البنك منه الى عنان السماء ولكن لم يكن للحكومة العثمانية وجه لسماع تلك الشكوى

واتفق انه جاء الى طرابلس أيضا مصور أميركي من أهل الولايات المتحدة

وبينا كان يصور (جامع احمد باشا) مر من امامه صبي صغير حال بينه وبين الجامع فغضب المصور الاميركي وضرب الطفل

ولما تداخل البوليس حصل بينه وبين المصور سوء تفاهم فتطاول الاميركي على البوليس وضربه فقبض عليه البوليس باسم القانون وأخذه الى قسم البوليس للتحقيق، ومن الغريب ان قنصل أمريكا عد هذه الحادثة اهانة للاميركي (!) وطلب من حسني باشا ترضيته فأجابه حسني باشا اليها وطرد البوليس من خدمة الحكومة بمراسم علنية وبحضور كثير من الاجانب

فلما علم قنصل ايطاليا بطرد البوليس من خدمة الحكومة بصورة غير قانونية عاد فطلب نفي محرر جريدة (البروجريسو) بصورة غير قانونية أيضا استناداً على العمل السابق من الوالي في مسئلة الاميركي والبوليس ، أما حسني باشا فقد أجاب قنصل ايطاليا أيضا الى طلبه ونفى المستر كوزمان بصورة استبدادية اساء لها جميع العثمانيين من أهل طرابلس وضحك منها الكثيرون من الاجانب، وهي حادثة مؤسفة في الحقيقة لحدوثها في زمن ادارة دستورية

كانت حادثة اخراج الصحافي الارختنيني فوزا كبيرا للسياسة الايطالية في طرابلس الغرب عقدت لها الصحف الايطالية فصول الابتهاج والسرور ، وامتلأ بها قنصل ايطاليا غرورا وزهوا وخيلاء فأصدر أمراً تحريريا الى الصحف والمطبعة الايطالية التي فى طرابلس بأن لا تلاحظ بعد الآن قانون المطبوعات العثماني ، وما عليها الا أن تراعي القانون الايطالي فقط معلنا بذلك لحكومته أنه فتح لها في طرابلس فتحا جديدا ، ووالينا حسني باشا ظل محافظا على راحته ووظيفته ساكتا عن كل اهانة واعتداء وخيانة تلحق بالوطن العزيز

فاتني أن أطلع القارىء على أن (بنك دي روما) كان في خلال هذه المدة قد قدم الى المحاكم العثمانية قضايا على بعض أشخاص فرفضت المحاكم قبول هذه القضايا لان البنك لم تتوفر في تأسيسه الشروط القانونية ، وكان سفيرنا في رومية حينئذ قد جيء به الاستانة صدرا أعظم ووجهت عليه رتبة الوزارة فصار (حقي باشا) فانتهز (الكفالير برشاني) مدير بنك دي روما هذه الفرصة السانحة وذهب الى الاستانة شاكيا لحقي باشا ما يلاقيه البنك من مشاكسات المحاكم الطرابلسية له . فأصدر حقي باشا أمراً الى نظارة العدلية ونظارة الخارجية بوجوب قبول القضايا من (بنك دي روما) في المحاكم العثمانية ولا حاجة الى الحصول على ارادة سلطانية بشأنه

لان سفراء الدول اعترضوا على القانون العثماني الموضوع بشأن الشركات والمرافق المالية الاجنبية . ومنذ ذلك أخذت المحاكم تنظر في قضايا البنك مضطرة غير مختارة .

وفي ولاية حسني باشا أيضا جاءت طرابلس لجنة فرنسوية مؤلفة من أربعة أشخاص للبحث عن مناجم الفسفاط ، ومعها أمر من نظارة الداخلية العثمانية بوجوب المحافظة على أعضائها بقوة الجند اثناء بحثهم في المناجم . فلم يهضم بنك دي روما والايطاليون هذا الامر وقامت جرائد ايطاليا تحتج على حكومتها لتفريطها في المصالح الايطالية وان قدوم الفرنسويين الى طرابلس يمس شرف ايطاليا صاحبة السيادة (!) على هذه الولاية وعلى معادنها بالطبع

ثم جاءت لجنة اميركية الى بني غازي للبحث عن الآثار القديمة فقامت قيامة الصحف الايطالية أيضاً وأصرت على مطالبة حكومتها بمنع هذه الاعتداآت (!) واعلان سيادة ايطاليا على طرابلس (!) واجبار الحكومة العثمانية على اخراج اللجنتين المذكورتين . وكانت الجرائد المحلية تدافع عن حقوق العثمانيين وتصرح بان الحكومة العثمانية حرة في منح الامتيازات لمن أرادت فزادت هذه الكتابات في استياء الايطاليين وصارت صحفهم تهدد حكومتنا بالاستيلاء على طرابلس الغرب وبارسال أساطيلها اليها واحتلالها . فصارت حضرة الكاتبة الافرنسية الفاضلة (ما دام كي دافلين) عقيلة طبيب الصحة في طرابلس تفند مزاعم الصحف الايطالية وتصرح بعجز ايطاليا عن احتلال طرابلس سيما في الدور الدستوري ، فهاج الايطاليون وهاجموا قنصليتهم مطالبين حكومة ايطالية بعزل زوج ما دام كي دافلين واخراجهما من البلد . وتعرض لها بعضهم بالاذى في الشوارع . أما هي فلم تكن تقابلهم الا بالحزم والعزم ضاحكة من أفعالهم وآرائهم السخيفة . ومن الاسف انه لما احتج سفير ايطالية على هذه السيدة الفاضلة لدى الباب العالي وعده الباب العالي أن يستبدل بزوجها طبيبا غيره عند أول فرصة

وفي بعض الايام جمع حسني باشا بعض أعيان الولاية وكان صهره (رحمي بك) مبعوث سلانيك وأحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي حاضرا فصار يحضهم ويحرضهم على الاشتراك مع (بنك دي روما) ومع تاجرين مصريين كانا في طرابلس وان يطلبوا من الحكومة امتيازا باستثمار مناجم الفسفاط بالاشتراك مع البنك المذكور فحصل ذلك بالفعل (!) وعقدت الشركة رسميا وتوجه بعض هؤلاء الى الاستانة لاخذ الامتياز فهاجت الجرائد العثمانية الكبرى لهذا المشروع وشرحت مضاره للرأي العام

حتى اضطر الباب العالي الى عدم منح الامتياز به ورجع أولئك الاشخاص بالخيبة والخسران

وجهت ولاية طرابلس الغرب وقيادتها بعد ذلك الى المشير ابراهيم أدهم باشا، ولما وصل هذا الى مقر وظيفته شعر بواجبه الوطني الكبير اذ تحقق الاضرار الحاضرة والمستقبلة التي تنشأ عن ازدياد النفوذ الايطالي في طرابلس الغرب . فأجاب نداء ضميره بمقاومة هذا النفوذ بالوسائل المشروعة وعدم التساهل بما لا يجيز القانون التساهل فيه، وسعى من جهة ثانية الى زيادة القوة العسكرية والذخائر الحربية لسببين كبيرين الاول ردع الايطاليين وتقليص فكرة الاستيلاء من رؤوسهم، والسبب الثاني وجوب تحصين (جنت) وقضاء (غات) وهو الحد الفاصل بين الاملاك العثمانية وايالة (تونس) وقد وضع حفظه الله خرائط جغرافية وحربية متعددة للاماكن التي تصلح للدفاع أو لحشد الجنود

أما الحكومة المركزية (وزارة حقي باشا) فكانت مستغرقة في رقادها مستمرة على سخائها وتساهلها غير مبالية بما يعرضه عليها هذا الشهم الغيور

واول ضربة صدرت من المشير ابراهيم أدهم باشا لبنك دي روما أنه منع البنك من اخراج الحجارة التي في أرض (قرقارش) وناحية (جنزور) الملاصقة للحصون العثمانية مستندا في عمله على القانون الخاص الناهي بعدم استخراج المعادن الحجرية بدون رخصة من الحكومة، وكون هذه الاماكن لا يجوز ايجارها واستئجارها لقربها من الحصون العسكرية وقانون الطوبجية يحظر مثل هذا العمل

ولما رأى الايطاليون هذا الحزم من ذلك المشير العثماني الصادق هاجت عليه حفائظهم ورفعوا عقائرهم وتطاولت عليه صحفهم بالقذف والتحقير مع أنه حاكم البلد وقائدها، وهو لا يقابلهم الا بالتؤدة والسكون، وكانت الصحف الايطالية تسميه عدو ايطاليا الاكبر

وحدث أن (بنك دي روما) عرض على المشير ابراهيم باشا استعداده لانارة المدينة بالكهربائية بدون مقابل لا من الحكومة ولا من المجلس البلدي وذلك للمودة القديمة بين الحكومة الايطالية والحكومة العثمانية . فرفض الوالي هذا الطلب . فازداد غضب الايطاليين على الوالي وكثرت شكاواهم منه

ثم ورد على قنصل ايطاليا تلغراف بان المستر (كوزمان) صاحب جريدة (البروجريسو) عزم على العودة الى طرابلس ومن الواجب السعي لدى الحكومة

المحلية في منعه من دخول المدينة . ولما راجع القنصل ابراهيم باشا في الامر أجابه بأن الحكومة العثمانية اليوم حكومة دستورية ولا يمكنها منع أحد من أمر لا يحظره القانون، وقد زال زمن الادارة الكيفية، وما فعله حسني باشا مع كوزمان لم يكن عملا قانونيا . فوصلت الوقاحة بالقنصل أن أرسل من قبله اناسا يمنعون كوزمان بالقوة من دخول المدينة . اما الوالي فلم يتعرض للقنصل بل أرسل قوة من البوليس لكي يمنعوا كل اعتداء من أحد على آخر بدون سبب على الرصيف . على أن هذا لم يمنع جماعة القنصل من رشق البوليس بأقوالهم البذيئة، ولكن كوزمان نزل المدينة بدون أن يمسه سوء، وهنا لم يعد الايطاليون يفقهون معنى للسكينة والقانون والحق بل جعلوا يصخبون ويضجون ويملأون الصحف بالشكوى الكاذبة وقام سفير ايطالية في الاستانة يهدد الباب العالي اذا بقي كوزمان في طرابلس فأوعز الباب العالي الى ابراهيم باشا بأن ينفي كوزمان حفظا لمودة ايطاليا (!)

ولما أيقن ابراهيم باشا بضعف الحكومة المركزية خاف أن يمس الشرف العثماني العار، فأرسل الى كوزمان ليلا واقترح عليه أن يسافر وأن يشيع بين الناس انه يسافر من تلقاء نفسه لا بأمر من الحكومة، ودفع له بعض نفقات سفره، وفي صباح تلك الليلة سافر كوزمان معلنا ما قاله ابراهيم باشا ولم يشعر أحد بأسرار الحادثة، وكتب ابراهيم باشا الى الباب العالي أن كوزمان الذي كتبتم لي بشأنه بحثت عنه عند وصول أمركم فوجدته قد سافر من طرابلس وبهذا حفظ الوالي العثماني الشرف العثماني

وأعقب ذلك أن دفعت القحة سفير ايطاليا الى مطالبة الباب العالي بعزل ابراهيم باشا لانه يعرقل مصالح الايطاليين في طرابلس الغرب، وبينما كان حقي باشا الصدر الاعظم وخليل بك ناظر الداخلية على عزم تنفيذ اشارة سفير ايطاليا اتصل الخبر بالصحف العثمانية فاحتجت على الباب العالي وأنذرته خطر هذا العمل الوبيل وان ذلك عمل استبدادي والقانون الاساسي لا يجيز عزلا بدون محاكمة، فخشي الباب العالي هياج الرأي العام كما كان يحسب حسابا لتهديد السفير فأراد أن يوفق بين المتناقضين ولذلك أذن للايطاليين بالبحث عن معادن طرابلس فأرسلوا لجنة قيل ان أكثرها من أركان الحرب وكبار الضباط الايطاليين فصارت تطوف في جميع انحاء الولاية حتى قضاء (سوكنة) في (فزان)

وبعد ثلاثة أشهر فقط ورد الامر من الباب العالي بعزل ابراهيم باشا بلا سبب ولا محاكمة فعلم الناس أن سفارة ايطاليا هي التي عزلته (!) وسافر هذا وهو يائس

والشعب في كدر وبقي الدفتردار أحمد بسيم بك وكيلا على الولاية

وبعد خمسة عشر يوما وصلت أساطيل ايطاليا الى مياه طرابلس الغرب وأعلنت الحرب . . . اه

(المنار) هذا نموذج من سياسة وادارة دولتنا وضعف رجالها وجهلهم، فالبلاد ماوصلت الى هذا الخطر الا بسوء تصرفهم، وما كانت الامة لتعقل اوتفهم

***

﴿ ترجمة التقرير الذي قدمه مبعوثا طرابلس الغرب ﴾

(لمجلس المبعوثين وطلبا فيه محاكمة حقي باشا)

ايها السادة

ان طرابلس الغرب وبنغازي معرضتان اليوم لخطر عظيم. فقد (حاول) بترهما من جسم الوطن المقدس عدو لا يعرف عدلا ولا انسانية

فالوطن العزيز المقدس يفقد بفقدهما ربع املاكه وتفقد الامة العثمانية المبجلة نحو مليوني نسمة من ابنائها وتضيع الدولة سلطتها في القارة الافريقية ويقطع مقام الخلافة المفدى روابطه المادية مع تسعين مليونا من المسلمين في تلك القارة

ان العالم الذي يفتخر بمدنيته وحبه للانسانية التزم جانب الطاعة والاذعان في مقابلة ادعاء (ايطالية) الكاذب اذ الحق هو القوة في هذا الزمان فلهذا كانت قلوبنا تقطر دماً لما آلت اليه حال طرابلس الغرب وبنغازي البعيدتين والمعزولتين عن القوة العثمانية والملك العثماني الواسع وعاصمته وكثيراً ما حولنا انظر الحكومة ونظركم الى ذلك قائلين انهما محتاجتان الى قوة بحرية عظيمة حفظاً للمواصلات والدفاع في أحوال كهذه فما كان لهما حظ من ذلك

ان المحافظة على طرابلس الغرب ومنع الاعداء المجاورين من التسلط عليها يتوقفان على جعل القوة العثمانية مساوية لقوة الاعداء ونعني بهذا ان تكون البحرية العثمانية محاكية لبحريتهم في القوة . ولا يخفى ان الحكومة السابقة اهملت الاعتناء بالقوة العثمانية البحرية ولا يتسنى لها ابلاغها درجة الكمال في اعوام قليلة ولكن الجميع يعترفون انه كان في الامكان اجراء تدابير سياسية لتخليص الوطن المنكود الحظ وتأخير اطماع الاعداء والاحتفاظ بشرف الامة

ان المحافظة على حقوقنا في ولاية طرابلس وبنغازي لا توقف على قوة بحرية الدولة فقط بل على سياسة خارجية أيضاً نعتمد عليها ، وعلى اصلاحات داخلية واقتصادية تلتئم مع ما يحيط بالمملكة ، وعلى تنظيم حربي يناسب الموقع والمكان

ان هذا الملك العثماني المقدس لا يظل امره مستوثقاً بالقول ولا آمناً بالمعاهدات الكاذبة كما هي حاله اليوم وانما هو في احتياج الى عقد اتفاق بين الدول التي أخذت على نفسها تأييده وتمكينه بقواها الحربية والبحرية

ان ولاية طرابلس الغرب وبنغازي يجب بالنظر الى موقعها الجغرافي والملي ان يكون فيها حكام يحسنون الادارة والاقتصاد وان تكون لها ادارة ملكية ومالية قائمة بذاتها وان تكون لها قوة عسكرية محلية (أي من ابنائها) لتظل مستظلة بظل العلم العثماني الى الابد ، نعم انه لم يكن في الامكان ابلاغ بحريتنا في سنوات قليلة درجة تنطبق على آمال الامة ولكن عجباً ألم يكن في الوسع اجراء الامور التي أشرنا اليها

كلا . اننا لم نجتهد ولا التفتنا الى سياستنا الخارجية ولا الى ادارتنا المالية ولا ترقية عسكرنا . بل تركنا طرابلس الغرب وبنغازي لسياسة الوفاق والاتفاق مع الدول ولنتائجها المشؤومة التي تلبس كل يوم لبوساً ، وخدعنا نفوسنا بالتبجح بمقاصدنا السلمية ورغبتنا في مصافاة سائر دول العالم، فانتهجنا طريقاً معوجا في التشكيلات (الادارة الملكية هو في نظر كثيرين من ابناء وطننا في البلاد العثمانية جهل مطبق ، ذلك اننا اظهرنا ان لا ثقة لنا ولا اعتماد على اخواننا الطرابلسيين الذين يظهرون اليوم حميتهم الملية العثمانية بيكائهم دماً على الوطن المحبوب ، عرضنا جسم الوطن للضعف حتى كادت روحه تبلغ التراقي بايقادنا نار الحروب الداخلية ونار الاختلال ، وعدم التروي والتبصر ، وانفاق المال على ما يقضي به حسن التدبير ، ثم اننا تركنا خزينة المالية تئن تحت حمل الملايين الثقيل ، وتركنا طرابلس الغرب تئن من ألم الجوع والفقر فألقينا في نفوس اهلها جبناً ، وصيرنا قوتهم ضعفاً

وجملة القول اننا لم نعد شيئاً على الاطلاق لهذا اليوم العصيب ، فلا عسكر ولا وسائط دفاع في يد الشعب . وما سبب ذلك كله الا تراخ واهمال بلغا حداً ما بعده حد

لندع الآن كل هذا جانباً ونحاسب وزارة حقي باشا على تغاضيها ، غفلة وتعطيل واهمال لم نشهد لها مثيلا حتى في عهد الادارة السابقة ، ومن نكد الطالع انها وجدت في هذه الوزارة ، ومن جملة ما يذكر عن إهمالها وتخاذلها انه بينما كان اعداؤنا يطمحون بانظارهم الى الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب وبنغازي لم تفكر هذه الوزارة

في إلقاء الخوف فيهم وارجاعهم عن اطماعهم بتوفير الارزاق والمهمات والجنود في طرابلس توفيراً كافياً

نحن مبعوثي طرابلس نبكي دماً لاضطرارنا الى عد سيئات وزارة حقي باشا السياسية والادارية التي ارتكبتها في طرابلس الغرب فقط وعرضها على اولي الحل والعقد ونحصر كلامنا في ما يلي

{ ١ } كان عدد الجيش المرابط دائماً في طرابلس الغرب حتى في العهد السابق يتراوح بين ١٥ و ٢٠ الفاً ، وانشئت في ذلك الحين فرق من الاهالي «قول او غلي» يتراوح عددها بين اربعين وخمسين الفاً وكانوا يتمرنون على استعمال السلاح حتى صار في إمكانهم معاونة الجيش النظامي

اما وزارة حقي باشا فلم تكتف باهمال هذه القوة الاهلية كل الاهمال بدلا من ان تعنى بتنظيمها بل سيرت عدداً من الجيش النظامي في هذه الولاية الى اليمن ولم ترجعه ولا استبدلت به سواه، وكانت هذه القوة مؤلفة من الايين فانزلت الى الاي واحد، وبناء على هذا هبط عدد جنود طرابلس من اربعين الفاً الى اقل من خمسة آلاف

(٢) ان الاهالي ما فتئوا منذ اعلان الدستور يطلبون متشوقين الانتظام في الجندية لدفع التعدي عن وطنهم . ولكننا نقول انه بالرغم من مخاطبتنا الشفاهية والتحريرية في طلب ذلك ومن قبول مجلس المبعوثان والحكومة فتح اعتماد في ميزانية سنة ١٣٢٦ (مالية) لعسكر طرابلس وبنغازي — لقائم مقام وكاتب الاي واحد واربعة يوزباشية وثلاثة عشر ملازماً اولا وواحد وعشرين جاويشاً — لم يبدأ باجراء ذلك الا في هذه السنة أي منذ أربعة أشهر وذلك في طرابلس الغرب فقط، ونقول والاسف ملء صدورنا ان هذا العمل لم ينفذ في شكل ملائم لحاجة البلاد ، فقد أخذ ثلاثة آلاف واربعمائة شخص فقط من الافراد الداخلين في الاسنان العسكرية مع ان عددهم كان ستة عشر الفا ولم تطلب الحكومة سواهم فكان اهمالها هذا سبباً في تثبيط همم الاهالي مع انهم كانوا قبلاً يريدون اداء الخدمة العسكرية بشوق عظيم ، ثم انها لم تهتم بامر القرعة فقط بل اهملت أمر الرديف أيضاً

(٣) كانت حكومة العهد السابق قد احتاطت للطوارىء في طرابلس فحفظت فيها اربعين الف بندقية من طراز مارتيني وشنايدر لتسليح الفرق المؤلفة من الاهالي عند الحاجة الى معونتها فنقلت هذه البنادق الى الاستانة بحجة الاستعاضة عنها بسلاح جديد ولم ترسل اسلحة بدلا منها

كانت المدافع وغيرها من الاسلحة ترسل الى طرابلس الغرب في العهد السابق بكل تحفظ وضبط مع ان خصومنا كانوا يعترضون على ارسالها في ذلك الحين ولكن هذا المحذور زال في عهد الدستور ولم يبق هناك ما يعوق ارسال الاسلحة وتحصين ولايتنا لأن مجلس المبعوثان كان مستعداً ان ينفق المال في سبيل الدفاع عن الوطن ، مع هذا تركت الوزارة ولايتنا ولم تعمر استحكاماتها وهي مطمح انظار الاعداء

(٤) يعلم الاولاد قبل الحكومات ان الايطاليين طامعون بالاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب ان عاجلا وان آجلا ، ولهذا كان واجباً على الضباط الذين في طرابلس والموظفين ان يكونوا ملمين باللسان المحلي وواقفين على الاحوال العسكرية وطبيعة الاراضي ليستطيعوا قيادة العساكر الاهلية التي يجب ضمها الى العساكر النظامية حين حدوث خطر كالخطر الذي نحن فيه الآن ، ولكن الحكومة استقدمت جميع الضباط المحليين المخرجين من المكتب الحربي الا قليلين منهم وضباطاً آخرين تعلموا اللسان المحلي وعرفوا طبيعة الاراضي لطول مدة استخدامهم هناك ، فظلت محلاتهم خالية ولم يرسل ضباط سواهم مع شدة الحاجة ، ولم تشترط الحكومة على العدد القليل الذي ارسلته بدلا منهم وجوب معرفة اللسان المحلي وبناء على هذا حرم الاهالي الذين تسلحوا للدفاع عن بلادهم من اطماع الاعداء قواداً يفهمونهم ويقودونهم ابان الحرب ، ولقد بات هؤلاء المنكودو الحظ في يأس وألم عظيم

(٥) ان اهل طرابلس الغرب الذين قاموا في وجه العدو مدافعين عن ولايتهم التي فقدت اسباب الدفاع تقريباً أمحلت بلادهم منذ أربعة اعوام ، وابتلوا بغلاء وجدب شديدين هما فوق حد التصور ، ولقد أوضحنا ذلك لحضراتكم منذ سنتين بمخاطباتنا الشفاهية وتقاريرنا الخطية ، علمت وزارة حقي باشا ذلك كله منا ولكنها لم تحرك ساكنا بل تركت اهل طرابلس في احتياج شديد وضيق خانق يتضورون جوعاً

ولما رجعنا الى بلادنا في عطلة مجلس المبعوثان رأينا مئتي الف نفس من أهلها قد هاجروا الى تونس والبلاد الاخرى من شدة الفاقة وسوء الحال والتجأ اربعة آلاف نفس من الشيوخ والمرضى والاطفال والنساء الى مركز الولاية لعلهم يجدون بلغة بالسؤال والاستعطاء ، وقد مات ٥١٤ نفساً من هؤلاء جوعاً في اثناء اربعة اشهر اي من شهر آذار الى نهاية حزيران ، هذا بالرغم مما عرض على مقام الصدارة

خطياً وتلغرافياً في أوائل تموز (يوليو) ١٣٠٧ لاعطاء الثمانية آلاف ليرة الباقية من العشرة آلاف ليرة — وهو المبلغ الذي طلبت الحكومة تخصيصه وصادق مجلس المبعوثان على صرفه — ولم تعمل الحكومة شيئاً

ثم ان الست مئة ألف كيلة شعير التي قررت الحكومة توزيعها على الاهالي على سبيل القرض للبذار والاكل ونظمت المادة القانونية لها وصدق عليها لم ترسلها الحكومة حتى اعلان الحرب ، فالولاية جردت من القوة النظامية وترك اهلها مهملين فباتوا في حال لا تمكنهم من المدافعة بل تركوا عرضة للجوع ولجور عدو ظالم

(٦) ان الواجب على المأمورين الملكيين الذين يعينون في ولايات معرضة لاطماع الاعداء ان يكونوا ذوي مقدرة وكفاءة وعارفين اللسان المحلي ليستطيعوا تولي المهام وادارة الشؤون، وان تعين الحكومة اشراف اهل البلاد وذوي النفوذ في بعض البلاد بوجه استثنائي . ووزارة حقي باشا اهملت ذلك كله وعينت بعض الاخصاء (المقربين) في طرابلس الغرب فاضاع الاهلون الرجاء من الانتفاع بخدم مأموري الحكومة

(٧) ان اهمية هذه الولاية تستغني عن البيان والتعريف فكان الواجب أن أن لاتترك يوماً واحداً بلا وال ولا قومندان ولكن الحكومة عزلت أخيراً واليها ابراهيم باشا بناء على طلب ايطاليا واستدعته الى الاستانة قبل ان تعين آخر مكانه

وبينما الايطاليون يستعدون لقضاء اغراضهم تركت الحكومة القيادة بيد ضابط برتبة اميرالاي والولاية بيد مكتوبجي غير مجرب ولا ممرن ولا يفهم اللسان المحلي ولا العادات المحلية . فكان لهذه الاحوال في أهل الولاية تأثير عظيم حتى عادت الاشاعات الكاذبة التي كان خصومنا يجتهدون في نشرها منذ زمان ، ونجتهد نحن في محوها من الاذهان، كقولهم للبسطاء والعوام ان الحكومة العثمانية كفت يدها عن ادارة هذه الولاية او ان الدولة تريد بيع مملكتكم فهذه الاقوال وامثالها صغرت النفوس واضعفت الهمم وثبطت العزائم

هذا وقبلما تقع هذا الحوادث المهمة استقدمت الحكومة الى الاستانة البكباشي وحيد بك المتخرج في المكتب الحربي وقومندان الاستحكام الذي يعول عليه وحده في الدفاع حين هجوم الاسطول الايطالي ولم ترسل قومندانا آخر بدلا منه ففقدت المدينة اسباب الدفاع تماماً بهذا الشكل

(٨) غني عن ان البيان ان الطليان لم يخفوا ما يضمرونه وهو الاستيلاء على طرابلس الغرب وبنغازي منذ سنين كثيرة ، ولقد كانوا يجاهرون بذلك لجميع الملل ولا سيما العثمانيين كلما وجدوا الى المجاهرة سبيلا ، وقد تنبهوا لمد نفوذهم في الايام

الاخيرة تنبهاً عظيما متربصين الزمن المساعد ، فكان الواجب على حقي باشا قبل كل شخص آخر ان يعرف حقيقة الامر وهو في سفارة رومية ، وان يعرف اهمية هذه المسألة اكثر مما يعرفها سواه

ولكن لما لم ينتبه الى انذارات مجلس النواب ولا الى ما شهده واطلع عليه بالذات ، ولا الى بلاغات خلفه سفير رومية ولا كتابات قائم مقام الولاية العديدة — اغتنمت ايطاليا الفرصة التي سنحت . (وبينما كانت) ايطاليا تفاتح الدول في اثناء مسألة فاس لتحقق آمالها في طرابلس الغرب وتعد جيشها واسطولها للاستيلاء كان حقي باشا يشهد هذه الامور من بعيد، واغرب من هذا انه صرح لسفرائنا في اوربا باجازات حتى اذا تعاظم الاشكال وبلغ حده من الشدة لم يكن الا قليلون منهم في اماكن وظائفهم ، فيظهر من هذا البيان ما ساعدت الحوادث به خصومنا علينا

(٩) كان الواجب بذل الهمة في جعل القوة القليلة النظامية المحلية التي هناك قادرة على المقاومة ولو زمناً قليلا بينما كان الاعداء يستعدون للهجوم ولكن الحكومة لم تعن بهذا ، وظلت حتى اعلان الحرب لا تحرك ساكنا ولا تصدر اوامر بل ان النقود الكافية التي يتوقف عليها الدفاع لم تكن قد وصلت فجعل ذلك الدفاع مستحيلا مع انه كان ممكناً ، فهذا كله سهل للعدو الاستيلاء على الولاية

فيتبين مما تقدم ان الحكومة تركت طرابلس الغرب وبنغازي ميراثي اجداد العثمانيين عاجزتين عن الدفاع من كل وجه ! تركتهما بلا عسكر ولا سلاح ولا ذخيرة ولا ضباط ولا وال ولا قومندان ولا مؤن ولا نقود ، تركتهما جائعتين فقيرتين !!

أشهد تاريخ الامم عمى الى هذا الحد ؟ أرأى اهمالا كهذا الاهمال ؟ أوجد ضعف محبة للوطن كهذا الضعف ؟ فنحن مبعوثي طرابلس الغرب نمثل صورة ضمائر موكلينا وابناء الامة كافة بهذه النكبة التي جرتها علينا وزارة حقي باشا وزملائه

ان وزارة حقي باشا خالفت اول مادة وآخر مادة من القانون الاساسي في الامور الخارجية والداخلية والمالية والحربية ، ذلك القانون المعظم الذي هو أس الدولة الدستورية، فلهذا نطلب من مجلس المبعوثان ان يقوم بوظيفته في الشأن

هذا ومبعوثو طرابلس الغرب يطلبون عملا بالمادة الحادية والثلاثين من القانون الاساسي محاكمة وزارة حقي باشا تخليصاً للوطن في المستقبل من تهلكة يقع فيها . حتى اذا وفقنا الى تحديد المسؤولية ووجوب انزال العقاب علمنا اننا خدمنا الوطن.

مبعوثا طرابلس محمود ناجي وصادق

المطبوعات الجديدة

﴿ شرح نهج البلاغة ﴾

(للشيخ عز الدين ابي حامد عبد الحميد ، الشهير بابن ابي الحديد)

قد اشتهر نهج البلاغة في سورية ومصر وسائر البلاد العربية بشرح الاستاذ الامام له وكثر استفادة الناس من هدايته وبلاغته. فلو كان شرح ابن ابي الحديد له قاصراً على تفسير غريبه ، وبيان ما لا تصل اليه جميع الافهام من معاني جمله ،واسرار حكمه ، لكان لنا في تعليقات الاستاذ الامام غنى عنه ، ولكن هذا الشرح كتاب من اجمع الكتب في الادب والتاريخ والكلام والفقه والخلاف والجدل ، وقد وصفه مؤلفه أبلغ وصف وأجمعه بقوله عن نفسه :

« وشرع فيه بادي الرأي شروع مختصر ، وعلى ذكر الغريب والمعنى مقتصر ، ثم تعقب الفكر، فرأى ان هذه النغبة لاتشفي أواما ، ولا تزيد الحائم الا حياما ، فتنكب ذلك المسلك ، ورفض ذلك المنهج ، وبسط القول في شرحه بسطا اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان ، وما عساه يشتبه ويشكل من الاعراب والتصريف ، واورد في كل موضع ما يطابقه من النظائر والاشباه نثرا ونظما ، وذكر ما يتضمنه من السير والوقائع والاحداث فصلا فصلا ، واشار الى ما ينطوي عليه من رقائق علم التوحيد والعدل اشارة خفيفة ، ولوح الى ما يستدعي الشرح ذكره من الانساب والامثال والنكت تلويحات لطيفة ، ورصعه من المواعظ الزهدية ، والزواجر الدينية ، والحكم النفسية ، والآداب الخلقية ، المناسبة لفقره ، والمشاكلة لدرره ،والمنتظمة مع معانيه في سمط ، والمتسقة مع جواهره في لط، بما يهزأ بشنوف النضار ، ويخجل قطع الروض غب القطار ، وأوضح ما يومىء اليه من المسائل الفقهية ، وبرهن على ان كثيراً من فصوله داخل في باب المعجزات المحمدية ، لاشتمالها على الاخبار الغيبيه ، وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية ، وبين من مقامات العارفين التي يرمز اليها في كلامه مالا يعقله الا العالمون، ولا يدركه الا الروحانيون المقربون، وكشف عن مقاصده عليه السلام في لفظة يرسلها، ومعضلة يكني عنها، وغامضة يعرض بها، وخفايا يجمجم بذكرها، وهنات

تجيش في صدره فينفثها نفثة المصدور، ومرمضات مؤلمات يشكوها فيستريح بشكواها استراحة المكروب ، فخرج هذا الكتاب كتابا كاملا في فنه ، واحدا بين ابناء جنسه، ممتعاً بمحاسنه ، » الخ

والمصنف من المعتزلة وهم متفقون على ان بيعة ابي بكر بيعة شرعية صحيحة وكذا بيعة سائر الخلفاء الاربعة واختلفوا في التفضيل فبعضهم كالاشعرية يجعلون ترتيب الخلفاء الاربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة ومن هؤلاء عمرو بن عبيد والجاحظ والنظام وغيرهم من قدماء البصريين . وبعضهم يفضل عليا على الجميع وذكر ان الجبائي والقاضي عبد الجبار ذهبا الى ذلك في آخر عمرهما ، وبعضهم توقف في التفضيل ، وقطع بعض هؤلاء بتفضيل علي على عثمان وانما توقف في التفضيل بينه وبين ابي بكر وعمر . والمصنف على رأي من يفضلون عليا على الجميع رضي الله تعالى عنهم

إن هذا الشارح على تشيعه لامير المؤمنين لم يكن مقلدا لطائفة الشيعة بل كثيراً ما يفند أقوالهم في بعض المسائل ولا سيما الطعن في الشيخين ، ويورد كلام قاضي القضاة عبد الجبار من شيوخهم في رد كلام الشيعة ورد الشريف المرتضى عليه ويحكم بينهما بالاستقلال . ولكنني رأيته التزم التسليم على علي كلما ذكر حتى في الحكاية عن الصحابة وعن الجاهلية – ولم يكن هذا من عرفهم – ولا يقول عند ذكر ابي بكر ولا عمر – دع من دونهما من الصحابة – كلمة (رضي الله عنه) لا في كلامه ولا في نقوله عن علماء أهل السنة الذين جرت عادتهم بذلك ، على انه يقولها عند ذكر شيوخ المعتزلة ، فهل يصح ان يتعمد هذا وهو معتقد صحة خلافتهما ويورد كثيراً من مناقبهما وفضائلهما ؟ أم محا دعاءه لهما من نسخ الكتاب بعض غلاة الشيعة ؟ الله أعلم، ويمكن إن يقال ان كان تعمد ذلك فهو فيه مصانع للوزير ابن العلقمي الشيعي المشهور الذي جعل الكتاب باسمه واهداه الى خزانته ، والمصانع غير عدل فلا يوثق به، وان كان ذلك من تصرف نساخ الكتاب من غلاة الشيعة فهو تصرف لا أراه مزيد قوة في نصر الكتاب لهم بل ربما كان ضعفاً لانه يفتح الباب لرمي المصنف بالهوى أو المصانعة ولا يبقى مجالا للقول بأنه ليس سنياً ولا شيعيا فيكون حكمه في مسائل الخلاف بين الطائفتين أقرب الى الانصاف ، وأبعد عن الاعتساف . على أن العبرة بقوة الدليل لمن كان من أهله ، والمصنف ضليع في الدلائل العقلية واللغوية الا انه على سعة اطلاعه في المنقول ليس من أهل النقد والتمحيص في علم الرواية فلا يعتد بنقله لذاته في باب الحجة الا ان يعزوه الى الثقات كالصحيحين، وكتبهما ماينقل عنهما، وفيما عدا ذلك ينظر في تصحيح الرواية التي يراد الاستدلال بها

وجملة القول ان هذا الكتاب من اعظم المصنفات العربية في الفنون التي أشرنا اليها ، يجد الناظر فيه من فنون العلم والأدب مالا يجده مجموعا في غيره فهو مما يحتاج اليه كل متكلم وجدلي ومؤرخ وأديب ، وقد كان أعز من بيض الانوق ، وابعد على منال ناشديه من العيوق ، فقرب مناله ودنت قطوفه بطبعه وبقلة ثمنه ، فقد طبع في مطبعة البابي الحلبي بمصر فكان اربع مجلدات كبيرة يباع في مكتبته المشهورة . وثمنه ١٠٠ قرش

« كتاب المجازات النبوية »

للشريف الرضي الشهير كتاب في بيان مجازات القرآن وكتاب في مجازات الحديث لم ينسج على منوالهما ناسج ، ولم يسبقه الى مثلهما سابق ولم يلحقه لاحق ، والمراد بالمجازات ضروب المجاز في البيان . ومن اجدر من الشريف الرضي وهو امام البلاغة وقائد فرسانها ، بشرح ما ينطوي في كلام جده صلى الله عليه وآله وسلم من فنونها، واقتطاف ما يتدلى من أفنانها ، ألا ان هذا الكتاب خير استاذ تؤخذ عنه البلاغة، وتتلقى عنه الفصاحة ، ويتعلم منه كيف تستخرج درر المعاني من أصدافها، وكيف تجري دراري الهداية في افلاكها ، وقد طبع (كتاب المجازات النبوية) في مطبعة الآداب ببغداد على ورق نظيف ولكن لم يعن طابعه بتصحيحه كما يجب فقد كثر فيه الغلط والتحريف ويمزج فيه الشعر والرجز بالكلام أحيانا لا يميز بعضه من بعض، ولعلنا ننقل للقراء فيما يأتي من الاجزاء نموذجا منه ، يعلمون به انه على عدم العناية بتصحيحه لا يستغنى عنه

(كتاب التنبيه)

هذا الكتاب كان عمدة الشافعية منذ وضعه كبير فقهائهم الشيخ ابو اسحق الشيرازي الى ان ظهرت وانتشرت كتب النووي ثم شروحها للرملي وابن حجر وكتب الشيخ زكريا الانصاري وكانوا اذا ترجموا فقيها شافعيا قالوا انه حفظ التنبيه او قرأ التنبيه وقد طبع التنبيه في مطبعة البابي الحلبي وطبع على هامشه (تصحيح التنبيه) للنووي وهو شرح وجيز له ويباع ببضعة قروش في دار الكتب العربية الكبرى

﴿ مطبوعات الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ﴾

بارك الله تعالى في وقت صديقنا القاسمي وعمره فانه يخرج لنا في كل عام كتابا

او كتبا من تأليفه أو مما يختاره من آثار علمائنا النافعة وبين يدينا الآن أربعة مصنفات مطبوعة مما ألفه واختاره قد نشرت في هذا العام وهي :

(لقطة العجلان) للشيخ بدر الدين محمد الزركشي من فقهاء الشافعية في القرن الثامن وهو كتاب وجيز اورسالة في مقدمات ومهمات مسائل العلوم العالية من الفلسفة وأصول الحديث واصول الفقه واصول العقائد والمنطق ـ وقد أطال فيه ـ والهيئة. قال الزركشي رحمه الله تعالى انه جمع هذه المسائل « لسؤال بعض الاخوان لتستعمل عند المناظرة ، وتعين على الدخول في فنون العقول لدى المحاورة ، وتد شرحها الشيخ القاسمي شرحا لايقل عن ضعفي الاصل ووضعه في اواخر الصفحات معلما على مواضع الشرح بالارقام . وطبع على نفقة صديقنا محمد عبد الخالق افندي اسماعيل من فضلاء الاسكندرية ، وثمن النسخة منه ٣ قروش

(تنبيه الطالب ، الى معرفة الفرض والواجب) رسالة للقاسمي « اشتملت على ماينيف على مئة قاعدة من قواعد الواجب المقررة في علم الاصول والمأثورة عن الائمة المحققين » كذا كتب المؤلف ، واقول هي ١٠٣ مسائل اومباحث معدودة بالارقام ربما كان اكثرها في أحكام الواجب وروعي في التسمية الغالب . وهذه المسائل نافعة لطلاب العلم ان شاء الله تعالى ولا سيما في البلاد التي قل فيها الاشتغال بعلم الاصول وهجرت كتبه النافعة . وقد طبعت هذه الرسالة ايضا على نفقة صديقنا محمد عبد الخالق افندي اسماعيل (تبرع بطبعها وطبع ماقبلها تبرعا حبا بنشر العلم) ، وثمنها قرشان

(ارشاد الخلق ، الى العمل بخبر البرق) كتاب جديد للقاسمي في جواز العمل بخبر التلغراف شرعا وفيه مباحث نافعة لا يستغني طلاب العلوم الشرعية عن تدبرها منها في المقدمة ان الاسلام موافق لنواميس العمران ، وانه لا يخلو عصر من قائم لله بالحجة، وان الاجتهاد في الوقائع الحادثة ضروري لا بد منه، واما المقصد فيدخل في ثلاثة ابواب أولها في مدارك اصولية لمسألة التلغراف وتحته ١٥ فصلا وثانيها في مدارك ومآخذ فروعية للمسألة وتحته ٧ فصول وثالثها في الاستدلال على العمل بخبر التلغراف في الصوم والفطر وتحته ١٥ فصلا . ويلي ذلك خاتمة في معنى التلغراف وتاريخه وما نظم فيه من الشعر وما يناسبه من الآلات المخترعة في هذا العصر وفيما كان يستعمل في الزمن الماضي لنقل الاخبار كالمشاعل والمناور في الجبال وحمام الرسائل . ويلي ذلك طائفة من الفتاوى في العمل بالتلغراف للعلماء المتأخرين المشهورين في مصر والشام

والعراق . وقد بلغت صفحات هذا الكتاب بالطبع اكثر من مئة صفحة من قطع المنار بمثل حروفه وثمنه خمسة قروش صحيحة .

(الفتوى في الاسلام) رسالة او كتيب للقاسمي بحث فيه عن منشأ الفتوى في الاسلام وكيف كانت في القرون الثلاثة الأولى وفيما بعدها واول من قام بهذا المنصب ، وما قاله الفقهاء في شروط المفتي وآدابه وتغيير الفتوى بتغيير الاحوال، وغير ذلك من المسائل والفوائد . وصفحات هذه الرسالة ٧٢ كصفحات المنار ، وتطلب كسائر مؤلفات القاسمي من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

(مطبوعات الدكتور محمد افندي عبد الحميد)

« طبيب مستشفى قايوب »

ان لضعف العلوم والفنون في بلادنا وعدم نبوغ احد من المشتغلين بها منا أسبابا أقواها وأظهرها ان اكثر طلاب العلوم عندنا لايطلبونها لأجل العمل بها ولا لاجل ان يكونوا فيها ائمة مستقلين يحققون ويحررون ، ويكتشفون ويخترعون ، بل يتلقون بعض المبادي ويحفظون بعض الاصطلاحات ليؤدوا بها امتحانا يأخذون به شهادة ينالون بها رزقا مضمونا من الحكومة في الاكثر ومن غير الحكومة في الأقل ، ومتى وصل احدهم الى هذه الغاية او يئس من الوصول اليها ترك العلم والكتب ولا يكاد يبقى عنده مما تعلمه الا الرطانة الافرنجية التي يكون حظه منها جذبه الى إضاعة ما تصل اليه يده من المال في سوق الازياء والعادات والشهوات، وجرف ما يستطيع جرفه من ثروة البلاد الى اوربة

واما الذين يتلقون العلوم التي لا ينال المعاش الا بالعمل بها كالطب والهندسة فانهم في الغالب يقنعون بعد نيل الشهادة بالوظيفة والعمل الذي به الرزق وقلما تتوجه همة احد منهم الى مداومة المطالعة والبحث والتأليف والترجمة لتنمو علومهم ويبرعوا في أعمالهم، ويرتقوا عن طبقة الصناع الذين لاينفعون البلاد الانفعا جزئيا يزول بزوالهم، الى طبقة العلماء الذين تعم منافعهم ، ويتركون الآثار الصالحة لمن بعدهم ،

ونحمد الله تعالى اننا كدنا ندخل في دور العلم الصحيح النامي بهمة بعض المتخرجين في هذه السنين ، فبينا الدكتور محمد توفيق افندى صدقي الطبيب في سجن طره يبحث ويكتب ويؤلف بين الدين الصحيح والعلم الصحيح اذا نحن بطبيب آخر قد اتحفنا في هذين العامين بعدة مصنفات طبية جراحية نافعة وهي :

(١ ـ التشخيص الجراحي) وهو سفر كبير صفحاته ٦٥٦ صفحة بقطع المنار ماعدا المقدمة والفهرس ، يبحث فيه عن تشخيص جميع اجزاء البدن في الامراض والعلل التي تعالج بالاعمال الجراحية . وليس نفعه خاصا بالجراحين بل يمكن ان يستفيد منه كل قارىء في الجملة وان لم يفهم كل مايقرؤه منه . وقد طبع طبعا حسنا على ورق جيد وثمن النسخة منه خمسون قرشا صحيحا

(٢ ـ الحمل خارج الرحم) الحمل انواع ويعرض للنساء في المعتاد وغير المعتاد منه أمراض كثيرة ، ومن تلك الانواع الحمل ما يقع خارج الرحم وهو الذي ألف فيه هذا الكتاب المختصر المفيد وفيه ذكر انواع اخرى من الحمل وامراضه ومعالجتها وصفحاته ٦٨ صفحة كصفحات رسالة التوحيد وثمنه عشرة قروش

(٣ ـ العملية القيصرية) رسالة صفحاتها ٣٩ صفحة كصفحات رسالة التوحيد ايضا شرح فيها هذه العملية التي تعمل في الرحم بشقه بعد شق البطن ثم خياطته او استئصاله . وثمنها خمسة قروش

(٤ ـ العلاج بعد العمليات) لم أر هذا المصنف بين ماأرسله الينا المؤلف من مطبوعاته فلا أدري أرسله واختزل دوني ام لم يطبعه ، واسمه يدل على موضوعه

(٥ ـ سركا.ومبير) قصة من تأليف السر اوثر كونان دويل ،وترجمها الدكتور محمد عبد الحميد عن الانكليزية ، ولم يأذن لي الوقت بقراءة شيء منها،وصفحاتها ٢١٦ صفحة كصفحات الرسائل المذكورة قبلها وثمنها ٥ قروش صحيحة . وتطلب المطبوعات المذكورة من مكتبة المنار وغيرها

واني اقترح على الدكتور أن يجعل لكل كتاب يصنفه او يترجمه مقدمة وجيزة يبين فيها موضوع الكتاب ومكانته وفائدته والمواد التي استعان بها على تأليفه ويجعل له فهرسا مفصلا فاني رأيته لم يجعل للكتيبة الصغيرة فهارس ورأيت فهرس كتاب التشخيص الجراحي موجزا لم يذكر فيه الا عناوين الفصول دون ما فيها من المباحث المفصلة التي تستحق ان يجعل لها فهرس مرتب على حروف المعجم

﴿ البيان ﴾

« مجلة تبحث في الأدب والتاريخ والفلسفة والاخلاق والتربية والاجتماع والنقد »

والروايات (والقصص) والصحة وتدبير المنزل . وتعنى بنشر آثار الغرب وآثار العرب ، وتضرب بسهم في كل فن ومطلب » صاحبها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ويساعده في تحريرها محمد افندي السباعي وهي بحجم المنار وتصدر مثله في آخر كل شهر عربي وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا مصريا في السنة تدفع مقدما .

ماذا ينوي او يحب صاحب هذه المجلة ان تتقنه مجلته وماذا يرجى من عنايته بها ؟ كتب في مقدمة الجزء الاول منها انه سأل الاستاذ الامام : كيف يكتب العالم وكيف يكتب الصحفي وكيف يكتب الاديب وما هي مفاصل الحدود بين الثلاث ؟

(قال) فنظر الي رحمه الله نظرته التي تنفذ الى اعماق النفس فتكشف جوانبها ، وتصفح جهاتها ، وتقابل فيها بين معاقد الأمل ومقاصده ، وقال : اراك تمهد لغرض وان وراء لفظك القلق لمعنى مطمئنا ، ويخيل الي ان لك هوى في مزاولة الصحافة . قلت هو ذاك يامولاي ومابي ان أعلم الا ما أعمل والا فاين أقع من ادبك إذن ؟

قال : فاعلم ان الحقائق النفسية مطلقة لا قيد لها ، وان الحد لا يثبت على الحقيقة بتمامها وهي معنى الكمال الا اذا كان للكمال المطلق حد محدود ، وانما تؤتى هذه الحقائق من جهة العرف ، وتنتقص في مواضعات الناس ، وانت خبير بأن مجرى العرف في امة من الامم لا يكون الا بحسب ما في مجموعها العقلي من القوة او الضعف ، فقد اصطلحنا في بلادنا على ان من يحفظ كتابا او يقرأ درسا أو يقرر مسألة يسمى عالما ، ثم توسعنا في ذلك حتى صار من يحمل كتابا او درسا في (ملزمة) من كتاب او مسألة من درس يسمى عالما أيضا ،

وتواطأنا على ان من ينشيء صحيفة وان كتبها غيره وكان هو وصحبه كل قرائها سميناه صحفيا (كذا) ، ثم غلونا في ذلك حتى صار كل من يقرأ صحيفة يرى من هوان الحرفة عليه ان أيسر الاشياء عملا أن يكون صاحب تلك الصحيفة او كصاحبها

وتواضعنا من قديم على ان من يحفظ قطعة من اللغة نظمها ونثرها سميناه أديبا وان كان يرى الامم الحية بعينيه وهو نفسه كبعض الموتى لا أثر له في قومه ولا في لغته . ثم بالغنا في ذلك حتى صار كل من يحصل على شذرة من ذينك المدنين النفيسين وان كانت سرقة سميناه أديبا أيضا

واصطلح غيرنا ممن فهموا اسرار الحياة ولم يقدسوا الموت تقديس الزهاد — والأمة اذا افرطت في واجبات الموت فرطت في اغراض الحياة — اصطلحوا على ان من قام به فن من الفنون فهو العالم ، ومن تعلقت بعلمه مصلحة الأمة فهو الصحفي ، ومن

كان لامته في مواهب قلمه لقب من ألقاب التاريخ فهو الاديب

وليست الصحافة عندنا بأحوج الى الحقيقة الصحفية عند غيرنا منها الى حقيقة العلم وحقيقة الادب . فان اردت ان تصحح معنى العرف وتصلح خطأ الاصطلاح ورغبت ان تكون بحق أحد الثلاثة فكن الثلاثة جميعا اه

هذا ما نقله صاحب هذه المجلة عن مفكرته من حديث كان بينه وبين الاستاذ الامام ، — وانما نقل كلام الاستاذ بمعناه لا بحروفه قطعا — وقال إن من نيته ان تكون مجلته كما قال الامام « تصحيحا لمعنى العرف وإصلاحا لخطأ الاصطلاح »

ونحن نرحب برصيفنا الجديد وصاحبنا القديم ونتمنى لو يصل به الجد الى ما انتوى ، واكبر ما نرجوه منه ان يكون لنا من بيانه صحيفة أدبية متقنة ويتوقف هذا على توجيه وجهه وصرف عزيمته كلها الى علم الادب ، وإن استعداده له لأقوى من استعداده لغيره من الفنون ومصالح الأمة ، وقد أصاب حظا منه يؤهله لادراك لقب من ألقابه ، يحفظه له التاريخ في بعض ابوابه ، وله من صاحبه السباعي ولي نصير ، وعون وظهير ، عده بالأدبيات الافرنجية ، المبثة في الصحف الانكليزية ، وقد اصبحت لغتنا وحظها من الصحف الادبية أقل مما تحتاج ، وحاجتها اليها أكثر مما تجد ، وإن النبوغ في العلوم والفنون والسياسة والاجتماع ، موقوف على ارتقاء اللغة وبلوغها درجة الكمال ، في حسن التعبير ، وقوة التأثير ،

لا ترتقي المجلات عندنا مادام الواحد منا يستقل بمجلة تبحث في كل علم وفن اذ لا يمكن ان يتقن الواحد كل علم وفن ، فشرط الاتقان أن يعنى صاحب المجلة بشيء واحد يتقنه او يكون للمجلة عدة محررين اخصائيين . نعم إنه لا يوجد عندنا لكل علم وفن قراء يقوم بهم أمر مجلة لا تبحث في غيره ، الا الادب فان أكثر المتعلمين يتمنون لو يكون له مجلة متقنة ، ويرجى ان يكون قراؤها ان وجدت اكثر من قراء جميع المجلات ، فهذه نصيحتنا لصاحبنا منشيء مجلة البيان وما أرى الاستاذ الامام قال له كن الثلاثة جميعا الا لانهاض همته وارشاده الى التوفيق بينها مع توجيه العزيمة الى اتقان أمر واحد منها ، ولا يمكن أن يكون أراد حثه على الكتابة في علوم الفلسفة ، والاجتماع والصحة وأن يضرب بسهم في جميع الفنون ويتقن كل ذلك في صحيفة واحدة ، وقد كان من غرضنا اذ أنشأنا المنار ان نجعل لادب اللغة حظا عظيما من صحائفه فأبت العناية بالاصلاح الديني والاجتماعي ان تؤتيه هذا الحظ . فهذه نصيحة اخ قد جرب لاخ يريد ان يجرب

باب الاخبار والآراء

﴿ عبر الحرب ، في طرابلس الغرب ﴾

نشرنا في هذا الجزء مقالة لكاتب عليم خبير ، والتقرير الذي قدمه مبعوثان من طرابلس لمجلس الامة في الآستانة بينا فيه حالة طرابلس وتقصير وزارة حقي باشا فيما يجب من تحصينها بل جناية هذه الوزارة بتجريد هذه الايالة بل المملكة مما كان فيها من العدة والجند وجعلها عرضة لاستيلاء الاجنبي عليها ، وانشاب اظفار مطامعه فيها ، ولدينا مزيد من أخبار مقدمات هذه الحرب بنوعيها : إعداد الحكومة العثمانية إياها للخروج من سلطتها ، واستعداد إيطالية للاستيلاء عليها ، وفي ذلك من العبرة مايمثل لكل ذكي وغبي كيف تدول الدول ، وكيف تموت وتحيا الامم ، (نجانا الله)

ومن وجوه العبرة بكارثة طرابلس اننا لم نجد احدا ولم نعلم انه يوجد أحد كان يرتاب عند اعلان الحرب في خروج طرابلس وبنغازي من المملكة العثمانية ، وكان اشد الناس يأسا منها قواد الدولة ووزراؤها حتى نقل عن ناظر الحربية وعن مختار باشا الغازي التصريح بان الدفاع عنها جناية ، وانما تجددت لبعض الناس الآمال بما ظهر من نجدة العرب أهل البلاد وشجاعتهم وكسرهم الجند الطلياني الجرار المنظم الكامل العدة والسلاح مرارا بمعاونة من هناك من الجند المنظم القليل العدد والعدد وجله او كله من بلاد سورية وفلسطين ، فكانت الحرب سجالا والنصر في الغالب للمعتدى عليهم حتى اضطر المعتدون الى لزوم الثغور التي احتلوها ليكونوا حتى حماية اسطولهم ، فثبت بهذا ان اليمن والخليج الفارسي لارجاء في حمايتهما من الاعداء الا باستعداد أهلهما للحرب بالتعليم العسكرى والسلاح الجديد الكافي

ومن وجوه العبرة ان اكثر الشعوب الاسلامية قد انتدبت لمساعدة المجاهدين بالاعانات المالية وكان العرب في مصر وسورية ابسطهم يدا ، وقصر الشعب التركي الذي كان يجب ان يكون أشد الجميع غيرة وحمية ونجدة ولاسيما أهل الاستانة والروملي الذين بيدهم ازمة السيادة على هذه البلاد والسلطة فيها وفي غيرها ، وقد ظهر تقصير رجالهم في المحافظة عليها ، بل ماهو أعظم من ذلك ، وكان ينتظر من جمعية الاتحاد والترقي ذات الملايين ان تجود بمبلغ عظيم مما تكنزه من أموال العثمانيين ،

من هذه العبر ومن اتحاد دول أوربة كلها علينا ، على ما كانت عليه من التنازع في قسمة النفوذ والامتلاك لبلادنا ، نرى اننا على خطر عظيم ، وان المسألة الشرقية قد حان أوانها ،

ولا نرى امامنا رجالا يتداركون الخطب ، بل نرى التفرق في مجلس الامة لايزداد الا شدة ، ونرى زعماء الاتحاديين على ظهور خطأهم ، ونفور السواد الاعظم منهم ، لايزالون مستمسكين بالمحافظة على سلطتهم الرسمية ، وسلطتهم الخفية ، غير مبالين بالخطر الذي ينذر الدولة العلية

وقد بينا رأينا في طريقة تدارك الخطر ولا نرى أمامنا رأيا غيره وهو ان تسند الصدارة الى رجل الدولة كامل باشا ويؤيده مجلس الامة تأييدا يعتد به فقد ظهر بالتجربة انه هو الوزير المستقل الذي تثق به الامة ، ودول أوربة عامة وانكلترة خاصة ، وانكلترة هي ميزان سياسة أوربة وصاحبة الترجيح فيها ، فاذا وثقت بحكومتنا يوشك ان تساعدها على درء الخطر وتخرجها من المأزق الذي وقعت فيه ، نظن هذا ونرجوه ولا نوقن به ، ومن العجب ان مكاتب جريدة العلم في الاستانة قال ان حزب الحرية والائتلاف الذي تألف في الاستانة بسعي زعيم الدستور صادق بك متفق مع سفير انكلترة على ترشيح كامل باشا للصدارة ، وان مقابلة ملك الانكليز لكامل باشا في سفينته ببور سعيد وحفاوته به يراد بها اظهار ميل انكلترة الى تقليده الوزارة . قال المكاتب هذا ليثبت به ان توسيد الصدارة الى كامل باشا ليس من مصلحة الدولة في شيء !! فاذا صح قوله فالرجاء في انكلترة ان وثقت بحكومتنا أكبر مما نظن ، وليته يتم ولو كره العلم وزعماء الحزب الوطني كلهم الذين يدهنون الآن لجمعية الاتحاد والترقي ويتملقون لها ويجعلون سيئاتها حسنات ، وهواها هدى منزلا من السماء ، كما كانوا يقولون في عبد الحميد أيام سلطانه وجبروته

أيها العثمانيون ان دولتنا على خطر فاتركوا الاهواء والحظوظ وكونوا إلبا واحدا عسى ان توفقوا لتلافي الخطر ، ويا أيها المسلمون انكم خرجتم من عهد بعيد عن صراط ربكم ، وهداية دينكم ، خصوصا في تمزيق وحدتكم ، وتمديد سلطتكم ، وتفرق شيعكم ، وكانت لكم ممالك كثيرة لم يبق منها الى هذه السنة الا ثلاث ، فواحدة قضي عليها فيها وهي مملكة المغرب الاقصى ، والثانية أنشبت اظفار اوربة وبراثنها في احشائها وهي إيران ، والثالثة بدىء بتقطيع أعضائها ولا يعيش الرأس بغير أعضاء وهي العثمانية ، فتأملوا في حالكم ومستقبلكم ، ان كنتم قد استيقظتم من رقدتكم ، ولا تكونوا كالذين يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولا هم يذكرون

﴿ جمعية الاخاء الاسلامي في بيروت ﴾

تألفت هذه الجمعية في بيروت من عهد قريب لأجل التعاون على البر والتقوى والاعمال

التهذيبية والاقتصادية وبث محبة الوطن العثماني في نفوس جميع العناصر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد نشرت نظامها فرأينا أهم احكامه انه لا يقبل فيها من يقصر في اداء الفرائض والواجبات او يرتكب بعض المحرمات ، وانه يحتم على كل عضو يدخل فيها ان يعطي العهد والميثاق باليمين على الاعتصام بحبل الدين والتقوى والصلاح وحب الدولة والوطن والصدق والامانة والاخلاص لافراد الجمعية ومعاملة جميع الناس بالحسنى ، وانه لا يجوز الاشتغال فيها بالسياسة . وعلى كل عضو ان يدفع بشلكا فاكثر في الاسبوع لاجل ماتقوم به الجمعية من الاقتصاد والتوفير. واختير الشيخ محمود فرشوخ رئيسا لهذه الجمعية . ووضع لها صديقنا عبد الرحيم افندي قليلات هذا التاريخ

ان دين الاسلام دين سلام   واعتصام بحبل رب الأنام
دين عدل وحكمة واتحاد   واقتصاد وألفة ووئام
وستبدو هذي الفضائل في تا   ريخ (جمعية الاخا الاسلامي)
١٣٢٩

ونحن نتمنى من صميم الفؤاد ان يكون الاقبال على هذه الجمعية عظيما لأن القيام بها اذا انتشرت وكثر أهلها يقلل الجرائم والمنكرات والمعاصي فيستريح الناس والحكومة وترتقي البلاد بسرعة عظيمة فما أهلك البلاد الا الفسق والفواحش والمنكرات الناشئة من الجهل وعدم الاهتداء بالدين ، وكنا قد ألفنا جمعية كهذه في طرابلس الشام عند زيارتنا لها عقب إعلان الدستور ورجونا ان يتسع نطاقها فلم يوجد رجال يقومون بأمرها ، فعلة خيبتنا في كل شيء انما هي فقد الرجال العاملين للمصلحة العامة

﴿ مؤتمر علمي ديني في أزمير ﴾

كتب الينا من « ازمير » انه تألفت فيها لجنة لاجل عقد مؤتمر اسلامي في ١٥ المحرم سنة ٣٣٠ للبحث في الفلسفة الاسلامية والتربية والتعليم في الاسلام واسباب ضعف المسلمين بعد ان ارتقوا في دينهم ذلك الارتقاء المدني الذي يشهد به تاريخ المدنية الشرقية والاندلسية ، وتعدى أثر سعادتهم بدينهم الى غيرهم من أهل الملل. وارسل الينا مؤسسو هذه اللجنة كتابا عربيا بينوا فيه مقصدهم ووجه الحاجة اليه. وانهم سينشرون نتيجة بحثهم وما يكتب اليهم من أصحاب العقول الكبيرة والافكار النيرة الذين كاتبتهم اللجنة في ذلك ثم طلبوا منا مايأتي بقولهم :

« فنرجوكم ان تبينوا لنا فكركم قبل التاريخ المذكور بتحرير من حضرتكم والامل

قوي ان امثالكم يعينون المشاريع العالية وبحثكم يكون في النزاع القائم ضد الاسلامية وحكمتها واصلاح المدارس والتكايا حتى يتسنى للاسلام ان يأتي الى مدينة العلم من بابها وهو نفس العلم والتربية ومثلكم اوسع نظراً في هذا الموضوع فنرجوكم ان تدبجوا تحريركم بامراض اهل الاسلام وتلافيه وماهو المحتاج اليه في هذا الموضوع » الخ

٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٩   (الختم)

﴿ اغراء بعض كتاب الافرنج قومه بالترك والاسلام ﴾

قرأنا في جريدة المهاجر السورية التي تصدر في نيويورك من أمريكة ما يأتي ، (وفيه من العبرة ان جميع الافرنج الذين نقول انهم تركوا الدين يعلمون دياناتهم في بلاد الدولة حتى للمسلمين والدولة لا تعنى بتعليم الاسلام لاهله ثم انهم يقولون فيها ماترى)

« كتبت جريدة (المايل) مقالة سألت فيها الاميركان ماذا نصنع بتركيا ؟ ؟ وبالاتراك الذين يعلمون الناس الديانة بالسيف !! ثم طلبت الى الحكومة طرد الاتراك من بلادهم الخ . ولم تنتشر هذه المقالة حتى قام أحد القراء ورد على الجريدة المذكورة رداً انتشر في الجريدة نفسها وهذا هو

الى المحرر

عجبت كثيراً لمقالة (ماذا نصنع بتركيا والاتراك ؟) فأتيت بهذه الاسطر اسألكم اى حق لنا بالتداخل في شؤون تلك البلاد واهلها ؟ ومن اين يحق لنا نحن ان نجبر الاتراك على وضع التوراة والتلمود مكان القرآن ؟ ؟ ان تركيا تخص الاتراك وليست ايطاليا التي اغتصبت طرابلس مؤخراً سوى لص يجب تأديبه ومعاقبته .

قلتم ان الديانة لا يتعلمها الناس بالسيف ثم رأيتكم تدعون الاميركان الى امتشاق الحسام وطرد الاتراك المسلمين من بلادهم ونشر المسيحية فيها. ألا تكونون انتم بذلك تستعملون السيف لتعليم الناس الديانة ؟ ألا تستاءون انتم اذا حاول الاتراك طرد الاميركان من بلادهم ؟ والافضل لكم ان تقولوا للشعب المسيحي ان يعمل بقول الكتاب وهو (أخرج القذى من عينك اولا) !!

﴿ استعانة بعض الجرائد الاوربية على تعصبها بقول الزور ﴾

كتب المستشرق الشهير (فبري) المجري الى جريدة وقت الروسية يكذب ما نقلته عن جريدة (بودابست هيرلات) معزوا اليه من التحريض على إزالة ملك

المسلمين من الارض والقول بوجوب انقراضهم ، وقال ان ذلك الكلام مفترى عليه في تلك الجريدة المجرية لخصومة شخصية ، وصرح بأنه صديق للترك وسائر الشعوب الاسلامية منذ خمسين سنة وان المثل التركي يقول « الصديق القديم لا يكون عدوا »

ولما كنت قد اشرت في بعض مقالات (المسألة الشرقية) الى ما نسب اليه وجب علي ان أبرئه منه ، وانبه على مبلغ تعصب تلك الجريدة الكاذبة

﴿ تصحيح اغلاط في الجزء العاشر من المنار ﴾

(١) ارسل الينا مترجم مقالة مجلة (دين ومعيشت) التي ناقشناها فيها في الجزء الماضي يقول انه قابل الترجمة التي نشرت في المنار بالاصل فوجد فرقا في موضعين أحدهما في السطر السابع من ص ٧٠٩ ونص ما نشر هكذا « ولا سيما بين غير المتدينين ، في ديار القزاق والباشقرط ، فهم » وحقه ان يكون هكذا « ولا سيما بين غير المتمدنين ، في ديار القزاق والباشقرط مثلا » وثانيهما في السطرين الثالث والرابع من ص ٧٧٠ ونص ما نشر هكذا « سبب دخول الانكليز مصر التي ولد فيها وتربى في قبضة الانكليز » وحقها ان تكون هكذا « سبب دخول مصر التي ولد فيها وتربى في قبضة الانكليز »

(٢) جاء في السطر السابع من ص ٧٨٢ « رئيس وزارة ايطالية » وصوابها ناظر خارجية ايطالية

(٣) في السطر السابع من ص ٧٩١ (الاصل ٢٩) وصوابه (الاصل ٣٠)

(٤) » » ١٨ من ص ٧٩٨ « علم النفس والاخلاق » وصوابه زيادة « والحكمة العقلية » بين علم النفس والاخلاق ، فليصحح ذلك بالقلم

هذا ما عدا أغلاط الطبع المدركة بالبداهة

(حوالات المنار)

المرجو ان ترسل جميع الحوالات باسم منشئ المجلة (محمد رشيد رضا) وان لا يرسل شيء منها باسم وكيل ولا غيره ، وأن تكون حوالات البريد كلها على مكتب (بوسطة مصر) دون فروعها

(تأخر المنار عن موعده)

تأخر صدور الجزء الماضي بسبب نقل ادارة المجلة من شارع درب الجماميز الى شارع مصر القديمة وتعطل اعمال المطبعة والادارة أكثر من شهر وتبع ذلك ان هذا الجزء يتم في آخر ذي الحجة ويتأخر الذي بعده أيضا ثم ينتظم الصدور في المواعيد ان شاء الله تعالى

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر – الخميس ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٩ – ٢٠ ديسمبر (كانون اول) ١٩١١هـ١٢٩٠م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٠٠ : ١٠٣) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، إِنَّ
الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١ : ١٠٤) وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ
فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ،
فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا
فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ،

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢ : ١٠٥) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ، فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ، إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا

﴿ صلاة السفر والخوف ﴾

السياق في أحكام الجهاد في سبيل الله وجاء فيه حكم الهجرة . والصلاة فرض لازم في كل حال لا يسقط في وقت القتال ولا في أثناء الهجرة ولا غير الهجرة من أيام السفر ولكن قد تتعذر او تتعسر في السفر وحال الحرب إقامتها فرادى وجماعة كما أمر الله تعالى ان تقام في صورتها ومعناها ، فناسب في هذا المقام أن يبين الله تعالى ما يريد أن يرخص لعباده فيه من القصر من الصلاة في هاتين الحالتين فقال

﴿ واذا ضربتم في الارض ﴾ الضرب في الارض عبارة عن السفر فيها لأن المسافر يضرب الارض برجليه وعصاه او بقوائم راحلته، كما يقال طرق الارض اذا مر بها كأنه ضربها بالمطرقة ومنه الطريق أي السبيل المطروق . وقال ههنا ضربتم في الارض ولم يقل «ضربتم في سبيل الله» كما قال في الآية (٩٣) من هذه السورة الواردة في حكم إلقاء السلام في الحرب لان هذه اعم فهي رخصة لكل مسافر ولو لم يكن سفره في سبيل الله للدفاع عن الحق واقامة الدين بأن كان للتجارة او لمجرد السياحة مثلا، واذا كان السفر في سبيل الله فالمسافر احق بالرخصة وهي له أولا وبالذات بقرينة السياق وماجاء في الآية التي بعد هذه ﴿ فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ﴾ أي فليس عليكم تضييق ولا ميل عن محجة دين الله (وهو الحنيفية السمحة) في القصر من الصلاة . والجناح فسر بالإثم و بالتضييق و بالميل عن الاستواء قيل هو من جنحت

السفينة اذا مالت الى أحد جانبيها قاله الراغب وهو الذي فسر جنوح السفينة بما ذكر، وفسره غيره بأنه عبارة عن بلوغها ارضا رقيقة تغرز فيها ويمتنع جريها، وهذا المعنى يناسب الجناح أيضا على ان الجنوح معناه الميل وهو من الجنح بالكسر بمعنى الجانب . ومن فسر الجناح بالتضييق اخذه من قولهم جنح البعير (بصيغة المجهول) اذا انكسرت جوانحه (اضلاعه) لثقل حمله ، وتفسيره بالإثم مأخوذ من هذا ايضا وهو مجاز . والقصر (بالفتح) من القصر (كعنب) ضد الطول وقصرت الشيء جعلته قصيرا

فالقصر من الصلاة هو ترك شيء منها تكون به قصيرة ويصدق بترك بعض ركعاتها وبترك بعض اركانها كالركوع والسجود والجلوس للتشهد . واختلف العلماء في هذه الآية فقيل ان المراد بالقصر من الصلاة فيها ترك بعض ركعاتها وهي صلاة السفر التي تقصر فيها الرباعية فقط فتصلى ثنتين ، وقيل بل المراد به صلاة الخوف مطلقا او كيفية من كيفياتها وهي المبينة في الآية التي بعد هذه . وقيل بل المراد بها القصر من هيئتها لا من ركعاتها ، وقيل بل القصر من العدد والاركان جميعا . وجمع المحقق ابن القيم في الهدي النبوي بين الاقوال فقال في فصل صلاة الخوف :

« وكان من هديه (ص) في صلاة الخوف ان أباح الله سبحانه وتعالى قصر اركان الصلاة وعددها اذا اجتمع الخوف والسفر . وقصر العدد وحده اذا كان سفر لا خوف معه ، وقصر الاركان وحدها اذا كان خوف لا سفر معه . وهذا كان هديه (ص) وبه يعلم الحكمة في تقييد القصر في الآية بالضرب في الارض والخوف » اه وسيأتي تفصيل ذلك

فقوله تعالى ﴿ ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ﴾ شرط لنفي الجناح في قصر الصلاة، والفتنة الإيذاء بالقتل اوغيره كما صرح به بعضهم وأصله الاختبار بالمكروه والاذى كما تقدم من قبل . قال ابن جرير : وفتنتهم إياهم فيها حملهم عليهم وهم ساجدون حتى يقتلوهم او يأسروهم فيمنعوهم من إقامتها وادائها ويحولوا بينهم وبين عبادة الله وإخلاص التوحيد له اه وليس هذا خاصا بزمن الحرب بل اذا خاف المصلي قطاع الطريق كان له أن يقصر هذا القصر

﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ﴾ تعليل لتوقع الفتنة من الذين كفروا اي كان شأنهم أنهم اعداء مظهرون للعداوة بالقتال والعدوان ، فهم لا يضيعون فرصة اشتغالكم بمناجاة الله تعالى ولا يراقبون الله ولا يخشونه فيكم فيمتنعوا عن الايقاع بكم ، اذا وجدوكم غافلين عنهم ، والعدو يستوي فيه الواحد والجمع

بعد هذا اقول ان القصر في هذه الآيات مجمل وانما اختلف العلماء في المراد منه لأن الآية التي بعد هذه الآية تبين لنا نوعا اوانواعا من قصر صلاة المعروفة في الاسلام فقيل انها مبينة لما قبلها ، ورد بعضهم هذا بأن الاصل ان تفيد كل آية من الآيتين معنى جديدا تفاديا من التكرار ، وأنهم كانوا يفهمون من القصر نقص عدد الركعات بدليل حديث ذي اليدين المشهور اذ قال: اقصرت الصلاة ام نسيت يارسول الله ؟ (وهذا دليل ضعيف) ومن اسباب الخلاف ماثبت في السنة وجرى عليه العمل من العصر الأول الى الآن من قصر الصلاة الرباعية. والسنة مبينة لإجمال القرآن، ولا يمكن ان تعرف الاصطلاحات الشرعية من ألفاظ اللغة بدون توقيف، والقرآن نفسه لم يبين لنا الا كيفية القليل من العبادات كالوضوء والتيمم فالسنة هي التي بينت كيفية الصلاة وكيفية الحج وغير ذلك . وانني أذكر ما قاله الاستاذ الامام في هاتين الآيتين قبل ان افسر الثانية منهما ثم أذكر ملخص ما ثبت في السنة في قصر الصلاة وصلاة الخوف ثم أبين معنى الاية الثانية وكيفيات صلاة الخوف التي وردت

الاستاذ الامام : الكلام لايزال في الجهاد وقد مر في الآيات السابقة الحث عليه لإقامة الدين وحفظه ، وايجاب الهجرة لاجل ذلك وتوبيخ من لم يهاجر من أرض لا يقدر فيها على إقامة دينه ، والجهاد يستلزم السفر ، والهجرة سفر ، وهذه الآيات في بيان أحكام من سافر للجهاد او هاجر في سبيل الله اذا أراد الصلاة وخاف ان يفتن عنها ، وهو انه يجوز له ان يقصر منها وان يصلي جماعتها بالكيفية التي ذكرت في الآية الثانية من هذه الآيات . (قال) والقصر المذكور في الآية الاولى هنا ليس هو قصر الصلاة الرباعية في السفر المبين بشروطه في كتب الفقه فذلك مأخوذ من السنة المتواترة ، واما ماهنا فهو في صلاة الخوف كما ورد عن بعض الصحابة وغيرهم من السلف ، والشرط فيها على ظاهره ، والقول بأنه لبيان الواقع

فلا مفهوم له لغو من القول لايجوز أن يقال في اعلى الكلام وأبلغه ، فهذا القصر المذكور في الآية الاولى هو المبين في الآية التي بعدها ، وفي سورة البقرة بقوله تعالى « فإن خفتم فرجالا أو ركبانا » فآية البقرة في القصر من هيأة الصلاة والرخصة في عدم إقامة صورتها بأن يكتفي الرجال المشاة والركبان بالإيماء عن الركوع والسجود ، وهو قول في القصر المراد ، والآية التي نحن بصدد تفسيرها في القصر من عدد الركعات بأن تصلي طائفة مع الامام ركعة واحدة فاذا أتمتها جاءت طائفة اخرى وهي التي كانت تحرس الاولى فصلت معه الركعة الثانية ، وليس في الآية ان واحدة من الطائفتين تتم الصلاة . اه ماقاله الاستاذ الامام في الدرس ملخصا

واما ماورد في السنة فقد لخصه ابن القيم في الهدي النبوي احسن تلخيص وناهيك بسعة حفظه وحسن استحضاره وبيانه . قال في بيان هدي النبي (ص) في السفر وعبادته فيه ما نصه :

« وكان يقصر الرباعية فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرا الى ان يرجع الى المدينة ، ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية في سفره ألبتة . واما حديث عائشة « ان النبي (ص) كان يقصر في السفر ويتم ويفطر ويصوم » فلا يصح . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هو كذب على رسول الله (ص) انتهى وقد روي « كان يقصر وتتم » الاول بالياء آخر الحروف والثاني بالتاء المثناة من فوق ، وكذلك « يفطر وتصوم » أي تأخذ هي بالعزيمة في الموضعين قال شيخنا ابن تيمية وهذا باطل ما كانت ام المؤمنين لتخالف رسول الله (ص) وجميع اصحابه فتصلي خلاف صلاتهم . والصحيح عنها « ان الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر رسول الله (ص) الى المدينة زيد في صلاة الحضر واقرت صلاة السفر » فكيف يظن بها مع ذلك ان تصلي بخلاف صلاة النبي (ص) والمسلمين معه ؟

قال ابن القيم (قلت) وقد أتمت عائشة بعد موت النبي (ص) قال ابن عباس وغيره انها تأولت كما تأول عثمان ، وان النبي (ص) كان يقصر دائما ، فركب بعض الرواة من الحديثين حديثا وقال : فكان يقصر وتتم هي . فغلط بعض الرواة فقال : كان يقصر ويتم ، أي هو . والتأويل الذي تأوله قد اختلف فيه

فقيل ظنت ان القصر مشروط بالخوف والسفر فاذا زال الخوف زال سبب القصر. وهذا التأويل غير صحيح فان النبي صلى الله عليه وسلم سافر آمنا وكان يقصر الصلاة والآية قد اشكلت على عمر (رض) وغيره فسأل عنها رسول الله (ص) فأجابه بالشفاء وان هذ اصدقة من الله وشرع شرعه للامة

« وكان هذا بيان ان حكم المفهوم غير مراد وان الجناح مرتفع في قصر الصلاة عن الآمن والخائف ، وغايته انه نوع تخصيص للمفهوم أو رفع له ، وقد يقال ان الآية اقتضت قصرا يتناول قصر الأركان بالتخفيف وقصر العدد بنقصان ركعتين وقيد ذلك بأمرين الضرب في الأرض والخوف ، فاذا وجد الأمران ابيح القصر فيصلون صلاة الخوف مقصورة عددها وأركانها ، وان انتفى الامران فكانوا آمنين مقيمين انتفى القصران فيصلون صلاة تامة . وان وجد أحد السببين ترتب عليه قصره وحده ، فاذا وجد الخوف والاقامة قصرت الأركان واستوفي العدد. وهذا نوع قصر وليس بالقصر المطلق في الآية . فان وجد السفر والأمن قصر العدد واستوفي الاركان وسميت صلاة أمن . وهذا نوع قصر وليس بالقصر المطلق . وقد تسمى هذه الصلاة مقصورة باعتبار نقصان العدد ، وقد تسمى تامة باعتبار إتمام أركانها ، وانها لم تدخل في قصر الآية ، والأول اصطلاح كثير من الفقهاء المتأخرين ، والثاني يدل عليه كلام الصحابة كعائشة وابن عباس وغيرهما :

« قالت عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر رسول الله (ص) الى المدينة زيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر . فهذا يدل على ان صلاة السفر عندها غير مقصورة من أربع وانما هي مفروضة كذلك . وان فرض المسافر ركعتان . وقال ابن عباس فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة . متفق على حديث عائشة وانفرد مسلم بحديث ابن عباس . وقال عمر بن الخطاب : صلاة السفر ركعتان والجمعة ركعتان والعيد ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد خاب من افترى . وهذا ثابت عن عمر (رض) وهو الذي سأل النبي (ص) ما بالنا نقصر وقد أمنا ؟ فقال له رسول الله (ص) « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » ولا تناقض بين

حديثيه فإن النبي (ص) لما اجابه بأن هذا صدقة الله عليكم ودينه اليسر السمح علم عمر انه ليس المراد من الآية قصر العدد كما فهمه كثير من الناس ، فقال صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر . وعلى هذا فلا دلالة في الآية على أن قصر العدد مباح ، ينفى عنه الجناح ، فان شاء المصلي فعله وان شاء أتم . وكان رسول الله (ص) يواظب في اسفاره على ركعتين ركعتين ولم يربع قط الا شيئا فعله في بعض صلاة الخوف كما سنذكره هناك ونبين ما فيه ان شاء الله تعالى . وقال له أنس خرجنا مع رسول الله (ص) من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة . متفق عليه

« ولما بلغ عبد الله بن مسعود ان عثمان بن عفان صلى بمنى اربع ركعات قال : انا لله وانا اليه راجعون ، صليت مع رسول الله (ص) بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر بمنى ركعتين وصليت مع عمر ركعتين ، فليت حظي مع اربع ركعات ركعتان متقبلتان . متفق عليه . ولم يكن ابن مسعود ليسترجع من فعل عثمان أحد الجائزين المخير بينهما بل الأولى على قول ، وإنما استرجع لما شاهده من مداومة النبي (ص) وخلفائه على صلاة ركعتين في السفر

« وفي صحيح البخاري عن ابن عمر (رض) قال : صحبت رسول الله (ص) فكان في السفر لا يزيد على ركعتين . وابا بكر وعمر وعثمان . - يعني في صدر خلافته والا فعثمان قد اتم في آخر خلافته وكان ذلك أحد الاسباب التي انكرت عليه . وقد خرج لفعله تأويلات » اه نص عبارته

وههنا ذكر ابن القيم ستة تأويلات لإتمام عثمان الصلاة وردها اقوى رد الا السادس منها فقال انه احسن ما اعتذر به عن عثمان وهو انه قد تزوج بمنى والمسافر اذ أقام في موضع وتزوج فيه أتم صلاته فيه وهو قول الحنفية والمالكية وورد فيه حديث مختلف في تضعيفه ، وقال غيره انه كان نوى الاقامة أي لاجل الزواج . ثم ذكر الاعتذار عن عائشة وأعاد قول ابن تيمية ان الاتمام مع النبي (ص) كذب عليها

وقد احتج الشافعي بحديث عائشة ورواه من طريق طلحة بن عمر وعن عطاء

عنها . قال البيهقي وروي من طريق المغيرة بن زياد عن عطاء ايضا . اقول وهما ضعيفان . ثم قواه البيهقي بروايتين للدارقطني احداهما من طريق العلاء ابن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عنها وقيل عن ابيه عنها وحسنها وفي العلاء مقال يمنع الاحتجاج به قيل مطلقا وقيل فيما خالف فيه الأثبات كهذا الحديث ، واختلف في سماع عبد الرحمن منها، وقالوا إن في متن هذا الحديث نكارة ، وقال ابن حزم هو حديث لا خير فيه ، وملخصه انها خرجت معتمرة مع النبي (ص) في رمضان فكان يقصر وكانت تتم ثم ذكرت له ذلك فقال «أحسنت» والرواية الثانية للدارقطني صححها عن عمر بن سعيد عن عطاء عنها . وهي التي تقدم ذكر الحديث فيها اول البحث ان النبي (ص) «كان يقصر في الصلاة ويتم ويصوم ويفطر» قال في نيل الاوطار قال الحافظ ابن حجر في التلخيص : وقد استنكره الامام احمد ، وصحته بعيدة الخ وقد ضبط الحديث في التلخيص بمثل ماتقدم عن ابن القيم من اسناد الاتمام والفطر الى عائشة لا الى النبي (ص) وابن تيمية جزم بكذب الحديثين عن عائشة كما ذكره تلميذه ابن القيم، على ان العبرة برواية الصحابي لا رأيه وفهمه وخصوصا مايخالف فيه غيره ، وقد اختلف في تأويل عثمان وقد تقدم الراجح وهو انه عد نفسه بالزواج مقيما غير مسافر، واما تأولها الذي رواه عروة عنها فهو ان القصر رخصه لانها قالت له لما سألها « يا ابن اختي إنه لايشق عليّ » رواه البيهقي وصححه و يعارضه على تقدير تسليم صحته كون فرض المسافر ركعتين المتفق عليه عنها فيرجح عليه

وجملة القول ان الثابت المتفق عليه هو أن النبي (ص) كان يصلي الظهر والعصر والعشاء في السفر ركعتين ركعتين وكذلك ابو بكر وعمر وسائر الصحابة الا عثمان وعائشة فانهما أتما متأولين وقد عرفت الجواب عن ذلك ، وان الاتمام عن عائشة لم يصح ، فالحق ماعليه الحنفية وغيرهم من وجوب ذلك خلافا للشافعية . وهل هو أصل المفروض كما روي في الصحيح او قصر ؟ خلاف

قال ابن القيم قال امية بن خالد لعبد الله بن عمر : إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر في القرآن (يعني صلاة الرباعية ركعتين) .

فقال له ابن عمر « يا أخي ان الله بعث محمدا (ص) ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأينا محمدا (ص) يفعل . اه أقول وهذا هو القول الفصل، والحاذق من عرف كيف يطبق فعله (ص) على القرآن ، فهو تبيين له لا يعدله تبيان ،

﴿ مسافة القصر ﴾

من المباحث التي تتعلق بالاية ان الفقهاء الذين يقلدهم جماهير المسلمين في هذه الاعصار قد ذهبوا الى ان قصر الصلاة (وكذا جمعها والفطر في رمضان) لا يكون في كل سفر بل لابد من سفر طويل واقله عند المالكية والشافعية مرحلتان وعند الحنفية ثلاث مراحل ، والعبرة فيها بالذهاب . والمرحلة اربعة وعشرون ميلا هاشمية وهي مسيرة يوم بسير الاقدام أو الاثقال أي الابل المحملة . وليس هذا مجمعا عليه ولا ورد فيه حديث صحيح ، وقد اختلف فيه فقهاء السلف وأئمة الامصار ، وفي فتح الباري ان ابن المنذر وغيره نقلوا في المسألة أكثر من عشرين قولا . وقد بينا في تفسير « فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر » ان الفطر في رمضان يباح في كل ما يسمى في اللغة سفرا طال او قصر كما هو المتبادر من الآية ولم يثبت في السنة مايقيد هذا الاطلاق ، وبينا ذلك في بعض الفتاوى ايضا ونذكر منها الفتوى الآتية نقلا من المجلد الثالث عشر من المنار وهي :

(س٥٢) من م . ب . ع . في سمبس برنيو (جاوه)

حضرة فخر الانام ، سعد الملة وشيخ الاسلام ، سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء أدام الله بعزيز وجوده النفع آمين

وبعد اهداء اشرف التحية وأزكى السلام فياسيدي وعمدتي أرجو منكم الالتفات الى ماألقيه اليكم من الاسئلة لتجيبوني عنها وهي (وذكر أسئلة منها) :-

هل تحد مسافة القصر بحديث « يا أهل مكة لاتقصروا في أدنى من أربعة برد من مكة الى عسفان والى الطائف » أم لا ؟ وهل أربعة البرد هي ثمانية

وار بعون ميلا هاشمية ؟ وعليه فكم يكون قدر المسافة المعتبرة شرعا بحساب كيلو متر ؟ افتونا فتوى لانعمل الا بها ولا نعول إلا عليها فلا زلتم مشكورين وكنا لكم ذاكرين .ـ

(ج) الحديث الذي ذكره السائل رواه الطبراني عن ابن عباس وفي اسناده عبدالوهاب ابن مجاهد بن جبير قال الامام احمد ليس بشيء ضعيف ، وقد نسبه النووي الى الكذب ، وقال الازدي لاتحل الرواية عنه، ولكن مالكا والشافعي روياه موقوفا على ابن عباس واذ لم يصح رفعه فلا يحتج به . وفي الباب حديث انس انه قال حين سئل عن قصر الصلاة « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه احمد ومسلم وابو داود من طريق شعبة وشعبة هو الشاك في الفراسخ والاميال . قال بعض الفقهاء الثلاثة الاميال داخلة في الثلاثة الفراسخ فيؤخذ بالاكثر. وقد يقال الاقل هو المتيقن ، وفيه ان هذه حكاية حال لاتحديد فيها والعدد لامفهوم له في الاقوال فهل يعد حجة في وقائع الاحوال ؟ وهناك وقائع أخرى فيما دون ذلك من المسافة فقدروى سعيد ابن منصور من حديث أبي سعيد قال « كان رسول الله (ص) اذا سافر فرسخا يقصر الصلاة » وأقره الحافظ في التلخيص بسكوته عنه وعليه الظاهرية وأقل ماورد في المسألة ميل واحد رواه ابن ابي شيبة عن ابن عمر باسناد صحيح وبه اخذ ابن حزم. وظاهر اطلاق القرآن عدم التحديد وقد فصلنا ذلك في (ص ٤١٦ و ٦٤٩ من المجلد السابع من المنار)

والمشهور أن البريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وأصل الميل مدالبصر لان مابعده يميل عنه فلا يرى وحددوه بالقياس فقالوا هو ستة آلاف ذراع الذراع ١٤ أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست حبات من الشعير معترضة معتدلة وقال بعضهم هو اثنى عشر ألف قدم بقدم الانسان . وهو أي الفرسخ ٥٥٤١ مترا اه

هذه هي الفتوى وازيد الآن ان الشافعية قد اعتمدوا في كتب الفقه الاستدلال على تحديد سفر القصر بما روي عن ابن عباس وابن عمر من قول الاول وكون الثاني كان يسافر البريد فلايقصر . وهذا مااستدل به الشافعي في الأم ولم يستدل

بحديث مرفوع الى النبي (ص) الا قصره (ص) في سفره الى مكة، وقال « لم يبلغنا ان يقصر فيما دون يومين » يعني لو بلغه لعمل به كما هي قاعدته رحمه الله « اذا صح الحديث فهو مذهبي » وقد بلغ غيره مالم يبلغه في هذا وهو حديث أنس عند احمد ومسلم في صحيحه من قصر النبي (ص) في ثلاثة فراسخ او أميال قال الحافظ ابن حجر وهو اصح حديث ورد في ذلك واصرحه . وكان سببه ان انسا سئل عن القصر بين الكوفة والبصرة فقاله، ويرجح رواية الثلاثة الاميال حديث ابي سعيد في الفرسخ فانه ثلاثة أميال ، فوجب على الشافعية العمل به ككل من بلغه

﴿ كيفية صلاة الخوف في القرآن ﴾

قال عز وجل بعد ماتقدم من الاذن بالقصر من الصلاة ﴿ واذا كنت فيهم ﴾ اي واذا كنت أيها الرسول في جماعتك من المؤمنين ـ ومثله في هذا كل امام في كل جماعة ـ ﴿ فأقمت لهم الصلاة ﴾ إقامة الصلاة تطلق على الذكر الذي يدعى به الى الدخول فيها وهو نصف ذكر الاذان وزيادة « قد قامت الصلاة » مرتين بعد كلمة « حي على الفلاح » كما ثبت في السنة الصحيحة ، وقيل هو كالأذان مع زيادة ما ذكر، وتطلق على الاتيان بها مقومة تامة الاركان والشرائط والآداب ، والظاهر هنا المعنى الاول ، لتعديته باللام ولان الصلاة المبينة في الآية ليست تامة بل هي مقصور منها ، وتقابل صلاة الخوف هنا صلاة الاطمئنان المأمور بها في الآية التالية ، فمعنى أقمت لهم الصلاة دعوتهم الى ادائها جماعة ، اي والزمن زمن الحرب وفتنة الكفار مخوفة ، ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ في الصلاة يقتدون بك ويبقى الآخرون مراقبين للعدو يحرسون المصلين خوفا من اعتدائه ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ اي وليحمل الذين يقومون معك في الصلاة أسلحتهم ولا يدعوها وقت الصلاة لئلا يضطروا الى المكافحة عقبها مباشرة أو قبل إتمامها فيكونوا مستعدين لها ، وعن ابن عباس ان الأمر بأخذ السلاح أي حمله هو للطائفة الأخرى لقيامها

بالحراسة ، وجوز الزجاج والنحاس أن يكون للطائفتين جميعا اي وليكن المؤمنون حين انقسامهم الى طائفتين - واحدة تصلي وواحدة تراقب وتحرس - حاملين للسلاح لا يتركه منهم أحد ، ووجه تقديم الاول ان من شأن الجميع في مثل تلك الحال ان يحملوا اسلحتهم الا في وقت الصلاة التي لا يكون فيها قتال ولا نزال فاحتيج الى الامر بحمل السلاح في الصلاة لانه مظنة المنع والامتناع . والاسلحة جمع سلاح وهو كل ما يقاتل به وانما يحمل منه في حال إقامة الصلاة التامة الأركان ما يسهل حمله فيها كالسيف والخنجر والنبال من اسلحة الزمن الماضي ، ومثل البندقية على الظهر والمسدس في الحزام او الجيب من اسلحة هذا العصر ﴿ فاذا سجدوا ﴾ اي فاذا سجد الذين يقومون معك في الصلاة ﴿ فليكونوا من ورائكم ﴾ اي فليكن الآخرون الذين يحرسونكم من خلفكم ، واحوج مايكون المصلي للحراسة ساجدا لانه لا يرى حينئذ من يهم به ، أو عبر بالسجود عن الصلاة اي اتموها لانه آخر صلاة الطائفة الاولى ، ويجب حينئذ ان يكون الباقون مستعدين للقيام مقامهم ، والصلاة مع النبي (ص) كما صلوا ، وهو قوله ﴿ ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ﴾ اي ولتأت الطائفة الذين لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك كما صلت الطائفة الاولى ﴿ وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ﴾ في الصلاة كما فعل الذين من قبلهم ، وزاد هنا الامر بأخذ الحذر وهو التيقظ والاحتراس من المخاوف ، وتقدم تحقيق القول فيه في تفسير قوله تعالى من هذه السورة بل من هذا السياق فيها (٧٠ يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) قيل ان حكمة الامر بالحذر للطائفة الثانية هو ان العدو قلما يتنبه في أول الصلاة لكون المسلمين فيها بل يظن اذا رآهم صفا انهم قد اصطفوا للقتال ، واستعدوا للحرب والنزال ، فاذا رآهم سجدوا علم أنهم في صلاة ، فيخشى أن يميل على الطائفة الاخرى عند قيامها في الصلاة ، كما يتربص ذلك بهم عند كل غفلة ، وقد بين تعالى لنا هذا معللا به الامر بأخذ الحذر والسلاح حتى في الصلاة فقال

﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ أي تمنى اعداؤكم الذين كفروا بالله وبما انزل عليكم لو تغفلون عن أسلحتكم

وأمتعتكم التي بها بلاغكم في سفركم بأن تشغلكم صلاتكم عنها فيميلون حينئذ عليكم اي يحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشغولون بالصلاة واضعون للسلاح، تاركون حماية المتاع والزاد، فيصيبون منكم غرة فيقتلون من استطاعوا قتله ، وينتهبون ما استطاعوا أخذه ، فلا تغفلوا عنهم ، ولا تجعلوا لهم سبيلا عليكم ، وهذا الخطاب عام لجميع المؤمنين لا يختص بالطائفة الحارسة دون المصلية ، وهو استئناف بياني على سنة القرآن في قرن الاحكام بعللها وحكمها .

ولما كان الخطاب عاما لجميع المحاربين ، وكان يعرض لبعض الناس من العذر مايشق معه حمل السلاح، عقب على العزيمة بالرخصة لصاحب العذر فقال ﴿ ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ﴾ اي ولا تضييق عليكم ولا اثم في وضع اسلحتكم اذا أصابكم أذى من مطر تمطرونه فيشق عليكم حمل السلاح مع ثقله في ثيابكم ، وربما افسد الماء السلاح لانه سبب الصدإ ، او اذا كنتم مرضى بالجراح او غير الجراح من العلل ، ولكن يجب عليكم حتى في هذه الحال ان تأخذوا حذركم ولا تغفلوا عن انفسكم ، ولا عن اسلحتكم وأمتعتكم ، فان عدوكم لا يغفل عنكم ولا يرحمكم ، والضرورة تتقدر بقدرها ﴿ إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾ بما هداكم اليه من اسباب النصر، كإعداد كل مايستطاع من القوة وأخذ الحذر، والاعتصام بالصلاة والصبر، ورجاء ما عند الله من الرضوان والأجر، فالظاهر أن العذاب ذا الاهانة هو عذاب الغلب وانتصار المسلمين عليهم اذا قاموا بما امرهم الله تعالى به من الاسباب النفسية والعملية ، وسيأتي قريبا ما يؤيد هذا المعنى في هذا السياق كالامر بذكر الله كثيرا ، وقوله « انهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » ويؤيده قوله تعالى (١٥:٩ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وقال جمهور المفسرين أن المراد به عذاب الآخرة ، وانه مع ذلك ينفي ما ربما يخطر في البال من أن الامر بأخذ السلاح والحذر يشعر بتوقع النصر للاعداء

روى البخاري ان الرخصة في الآية للمرضى نزلت في عبد الرحمن بن عوف

وكان جريحا ، والمعنى عندي ان الآية قد انطبق حكمها عليه والا فهي قد نزلت في سياق الآيات باحكام أعم وأشمل ، وروى احمد والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن ابن عياش الزرقي قال كنا مع رسول الله (ص) في عسفان فاستقبلنا المشركون وعليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي (ص) الظهر ، فقالوا قد كانوا على حال لو اصبنا غرتهم ، ثم قالوا يأتي عليهم الآن صلاة هي احب اليهم من ابنائهم وأنفسهم . فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر « واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » الحديث وروى الترمذي نحوه عن ابي هريرة ، وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله وابن عباس اه من لباب النقول

﴿ كيفيات صلاة الخوف في السنة ﴾

ورد في اداء النبي (ص) لصلاة الخوف جماعة كيفيات متعددة أوصلها بعضهم الى سبعة عشر . والتحقيق ماقاله ابن القيم من ان أصولها ست وان مازاد على ذلك فانما هو من اختلاف الرواة في وقائعها واعتمده الحافظ ابن حجر . والحق ان كل كيفية منها صحت عن النبي (ص) فهي جائزة ، وهاك أصولها المشهورة :

(١) روى احمد والشيخان واصحاب السنن الثلاثة عن صالح بن خوات عن سهل بن ابي حثمة (وفي لفظ عمن صلى مع النبي (ص) يوم ذات الرقاع) ان طائفة صفت مع النبي (ص) وطائفة وجاه العدو (اي تجاهه مراقبة له) فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما فأتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو ، وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته فأتموا لانفسهم فسلم بهم » وغزوة ذات الرقاع هذه هي غزوة نجد لقي بها النبي (ص) جمعا من غطفان فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال ولكن القتال كان منتظرا فلذلك صلى باصحابه صلاة الخوف ، وسميت ذات الرقاع لانها نقبت اقدامهم فلفوا على ارجلهم الرقاع اي الخرق وقيل لان حجارة تلك الارض مختلفة الالوان كالرقاع المختلفة وقيل غير ذلك

هذه الكيفية في حالة كون العدو في غير جهة القبلة وهي منطبقة على الآية الكريمة فليس في الآية ذكر السجود الامرة واحدة فظاهرها ان كل طائفة تصلي

ركعة واحدة هي فرضها لاتتم ركعتين لامع الامام ولا وحدها ، وهو الذي يصلي ركعتين ، وقد قال بهذه الصلاة افقه فقهاء الصحابة عليهم الرضوان علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وزيد بن ثابت وكذا ابو هريرة وابو موسى وسهل بن ابي حثمة راوي الحديث المتفق عليه ، وعليها من فقهاء آل البيت عليهم السلام القاسم والمؤيد بالله وابو العباس ، ومن فقهاء الامصار مالك والشافعي وابو ثور وغيرهم

(٢) روى احمد والشيخان عن ابن عمر « قال صلى رسول الله (ص) باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة للعدو ، ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو . وجاء أولئك ثم صلى بهم النبي (ص) ركعة ثم سلم . ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة »

هذه الكيفية تنطبق على الآية أيضا وهي كالتي قبلها في حال كون العدو في غير جهة القبلة ، ولا فرق بينها وبين الاولى الا في قضاء كل فرقة ركعة بعد سلام الامام ليتم لها ركعتان والظاهر انهما تأتيان بالركعتين على التعاقب لاجل الحراسة ، واما فرض كل منها في الكيفية الأولى فركعة واحدة . والظاهر أن الطائفة الثانية تتم بعد سلام الامام من غير ان تقطع صلاتها بالحراسة ، فتكون ركعتاها متصلتين ، وان الاولى لا تصلي الركعة الثانية الا بعد ان تنصرف الطائفة الثانية من صلاتها الى مواجهة العدو . وهو مارواه ابو داود من حديث ابن مسعود فانه قال « ثم سلم وقام هؤلاء (أي الطائفة الثانية) فصلوا لانفسهم ركعة ثم سلموا » وقد أخذ بهذه الكيفية الحنفية والاوزاعي واشهب ورجحها ابن عبد البر على غيرها بقوة الاسناد وموافقتها للاصول في كون المأموم يتم صلاته بعد سلام امامه

(٣) روى احمد والشيخان عن جابر قال « كنا مع النبي (ص) بذات الرقاع وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكان للنبي (ص) أربع وللقوم ركعتان »

هذه الكيفية منطبقة على الآية أيضا وكانت كاللتين ذكرنا قبلها في حال وجود العدو في غير جهة القبلة ، الا انه ليس فيها تفصيل كأن جابرا قال ما قاله لمن كان يعرف القصة وكون كل طائفة كانت تراقب العدو في جهته عند صلاة الاخرى ، أو ان الراوي

عنه ذكر من معنى حديثه ما احتيج اليه، والفرق بين هذه وما قبلها ان الصلاة كانت فيها ركعتين للجماعة واربعا للامام، وفي رواية ابن عمر ركعتين لكل من الجماعة والامام، وفي رواية سهل ركعة واحدة للجماعة وركعة للامام، فلا فرق الا في عدد الركعات، وقد صرح بأن هذه كانت في ذات الرقاع وكذلك الاولى، والظاهر ان الثانية كانت فيها أيضا أوفي غزوة مثلها كان العدو فيها في غير جهة القبلة

وفي رواية للشافعي والنسائي عن الحسن عن جابر انه صلى الله عليه وسلم صلى بطائفة من أصحابه ركعتين ثم سلم، ثم صلى بآخرين ركعتين ثم سلم. وفي رواية أخرى للحسن عن ابي بكرة عند احمد وابي داود والنسائي وغيرهم قال « صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصلى ببعض اصحابه ركعتين ثم سلم، ثم تأخروا وجاء الآخرون فكانوا في مقامهم فصلى بهم ركعتين ثم سلم، فصار للنبي (ص) اربع ركعات وللقوم ركعتان ركعتان » وقد أعلوا هذه الرواية بان ابا بكرة اسلم بعد وقوع صلاة الخوف بمدة واجاب الحافظ ابن حجر بجواز ان يكون رواه عن صلاها فيكون مرسل صحابي. ويؤيد هذه الرواية وكونها تفسيرًا لما قبلها موافقتها للآية فضل موافقة بتصريحها بما يدل على قيام الطائفة الاخرى بالحرسة، فهي تفسير للروايتين عن جابر، وقد صرح شراح الحديث بأن الركعتين اللتين صلاهما النبي (ص) بالطائفة الثانية كانتا له نفلا ولها فرضا. واقتداء المفترض بالمتنفل ثابت في السنة، قال النووي في شرح مسلم وبهذا قال الشافعي وحكوه عن الحسن البصري وادعى الطحاوي انه منسوخ ولا تقبل دعواه اذ لادليل لنسخه اهـ أقول وقد قال الشافعية باستحباب إعادة الفريضة مع الجماعة وقالوا انه ينوي بها الفرض ولم يجزموا بأن الثانية هي النفل بل قال بعضهم بجواز ان تحسب الثانية هي الفريضة. وجملة القول إن هذه الكيفية من صلاة الخوف داخلة في مفهوم الآية، وموافقة للاحاديث المتفق عليها في عدم زيادة النبي (ص) على ركعتين في سفره حتى ان الشافعية الذين يجيزون أداء الرباعية تامة في السفر قالوا إن الركعتين الاخريين كانتا نفلا له (ص) ولو صلى الاربع موصولة لكان لمدع ان يدعي عدم اطراد ذلك النفي

(٤) روى النسائي باسناد رجاله ثقات احتج بها الحافظ ابن حجر في التلخيص

وابن حبان وصححه عن ابن عباس ان رسول الله (ص) صلى بذي قرد (بالتحريك وهو ماء على مسافة ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر) فصف الناس خلفه صفين صفا خلفه وصفا موازي العدو فصلى بالذين خلفه ركعة ثم انصرف هؤلاء الى مكان هؤلاء وجاء أولئك فصلى بهم ركعة، ولم يقضوا ركعة. وروي ابو داود والنسائي باسناد رجاله رجال الصحيح عن ثعلبة بن زهدم (رض) قال كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان فقال ايكم صلى مع رسول الله (ص) صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: انا. فصلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا. ورويا مثل صلاة حذيفة عن زيد بن ثابت عن النبي (ص) ويؤيد ذلك حديث ابن عباس الذي تقدم نقله عن زاد المعاد وهو « فرض الله الصلاة على نبيكم (ص) في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة » رواه احمد ومسلم وابو داود والنسائي. والقول بهذا قد روي عن ابي هريرة وابي موسى الاشعري وغير واحد من التابعين وهو مذهب الثوري واسحق ومن تبعهما

هذه الكيفية داخلة في مفهوم الآية الكريمة أيضا اذ ظاهر الآية ان كل طائفة صلت مع النبي (ص) ركعة واحدة وليس فيها ان احدا اتم ركعتين ويجمع بين هذا وبين ما تقدم من روايات الاتمام بأن أقل الواجب في الخوف مع السفر ركعة ويجوز جعلها ركعتين كسائر صلاة السفر، وجمع بعضهم بأن صلاة الركعة الواحدة انما يكون عند شدة الخوف، ولايتجه هذا الا بنقل يعلم به ذلك ولو بيان ان الخوف كان شديدا في الغزوات التي صلى فيها ركعة واحدة بكل طائفة ولم تقض واحدة منهما أي لم تتم، وان كانت الاحوال التي تقع فيها الاعمال لاتعد شروطا لها الا بدليل

(٥) روى احمد وابو داود والنسائي عن ابي هريرة قال: صليت مع رسول الله (ص) صلاة الخوف عام غزوة نجد فقام الى صلاة العصر فقامت معه طائفة وطائفة أخرى مقابل العدو وظهورهم الى القبلة فكبر فكبروا جميعا الذين معه والذين مقابل العدو، ثم ركع ركعة واحدة وركعت الطائفة التي معه ثم سجد فسجدت

الطائفة التي تليه ، والآخرون قيام مقابلي العدو ، ثم قام وقامت الطائفة التي معه فذهبوا الى العدو فقابلوهم ، واقبلت الطائفة التي كانت مقابل العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله (ص) كما هو ، ثم قاموا فركع ركعة أخرى وركعوا معه وسجد وسجدوا معه ، ثم أقبلت الطائفة التي كانت مقابل العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله (ص) قاعد ومن معه ، ثم كان السلام فسلم وسلموا جميعا ، فكان لرسول الله (ص) ركعتان ولكل طائفة ركعتان .

هذه الكيفية تشارك ماقبلها بكونها من الكيفيات التي كان العدو فيها في غير جهة القبلة وكونها كانت في غزوة نجد وهي غزوة ذات الرقاع وكانت بأرض غطفان ، وهناك مكان يسمى بطن نخل وهو الذي صلى فيه بكل طائفة ركعتين كما تقدم . وتخالفها كلها كما تخالف ما ارشدت اليه الآية التي نزلت في تلك الغزوة فيما تدل عليه من ترك الطائفتين معا للقيام تجاه العدو في آخر الصلاة ، وتخالف الاصل المجمع عليه في وجوب استقبال القبلة وقت تكبيرة الاحرام ، وقد روى أبو داود عن عائشة كيفية هذه الصلاة في هذه الغزوة فصرحت بانه كبر معه الذين صفوا معه قالت: كبر رسول الله (ص) وكبرت الطائفة الذين صفوا معه ثم ركع فركعوا ثم سجد فسجدوا ثم رفع فرفعوا ، ثم مكث رسول (ص) ثم سجدوا هم لانفسهم الثانية ثم قاموا فنكصوا على أعقابهم يمشون القهقرى حتى قاموا من ورائهم وجاءت الطائفة الاخرى فقاموا فكبروا ثم ركعوا لانفسهم ثم سجد رسول الله (ص) فسجدوا معه ثم قام رسول الله (ص) وسجدوا لانفسهم الثانية ثم قامت الطائفتان جميعا فصلوا مع رسول الله (ص) فركع فركعوا ثم سجد فسجدوا جميعا ثم عاد فسجد الثانية وسجدوا معه سريعا كأسرع الاسراع ثم سلم رسول الله (ص) وسلموا . فقام رسول الله (ص) وقد شاركه الناس في الصلاة كلها . وفي اسناد هذا الحديث محمد بن اسحق وقد صرح بالتحديث وانما وقع الخلاف في عنعنته لافي سماعه . وهذه كيفية أخرى أجدر من رواية ابي هريرة بأن يعتمد عليها لخلوها من ذكر الاحرام مع عدم استقبال القبلة وكأن عائشة أجابت عن ترك الحراسة بالاسراع في السجود ، وفي النفس منها شيء ، وما أرى ان الشيخين تركا ذكر هذين الحديثين في صحيحهما لاجل سندهما فقط

(٦) روى احمد ومسلم والنسائي وابن ماجه عن جابر قال : شهدت مع رسول الله (ص) صلاة الخوف فصفنا صفين خلفه والعدو بيننا وبين القبلة ، فكبر النبي (ص) فكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف الآخر في نحر العدو ، فلما قضى النبي (ص) السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا. ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ، ثم ركع النبي (ص) وركعنا جميعا ثم رفع رأسه ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى ، وقام الصف المؤخر في نحر العدو . فلما قضى النبي (ص) السجود بالصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ، ثم سلم النبي (ص) وسلمنا جميعا. (قال في المنتقى بعد ايراد هذا الحديث) وروى احمد وابو داود والنسائي هذه الصفة من حديث ابن عياش الزرقي وقال : فصلاها رسول الله (ص) مرتين مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم . والبخاري لم يخرج هذا الحديث وقال ان جابرا صلى مع النبي (ص) صلاة الخوف بذات الرقاع ، وأجيب بتعدد الصلاة وحضور جابر في كل منها . وعسفان بضم اوله قرية بينها وبين مكة اربعة برد

وهذه الكيفية لاتنطبق على نص الآية لأن الآية نزلت في واقعة كان فيها العدو في غير ناحية القبلة فاحتيج الى وقوف طائفة تجاهه لحراسة المصلين ولهذا استنكرنا حديث ابي هريرة وعائشة في الكيفية الخامسة ، وفي هذه الواقعة كان العدو في جهة القبلة فاكتفى فيها من العمل بهدي الآية ان لايسجد الصفان معا بل على التعاقب لان حال العدو لاتخفى عليهم الا في وقت السجود

(٧) روى الشافعي في الأم والبخاري في تفسير قوله تعالى « فان خفتم فرجالا او ركبانا » عن ابن عمر انه ذكر صلاة الخوف وقال « فان كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا (جمع راجل وهو مايقابل الراكب) قياما على أقدامهم أو ركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها . قال مالك قال نافع لاأرى عبدالله بن عمر ذكر ذلك الا عن رسول الله (ص) اه وهو في مسلم من قول ابن عمر بنحو ذلك . ورواه ابن ماجه عنه مرفوعا قال: عن ابن عمر ان النبي (ص) وصف صلاة الخوف وقال « فان كان خوفا اشد من

ذلك فرجالا أو ركبانا» أي يصلي كيفما كانت حاله ويومئ بالركوع والسجود إيماء. والظاهر ان هذه هي صلاة الناس فرادى عند التحام القتال او الفرار من الخوف (لا من الزحف) أو خوف فوات العدو عند طلبه. وفرق بعضهم بين من يطلب العدو ومن يطلبه العدو. قال الحافظ ابن المنذر: كل من أحفظ عنه العلم يقول ان المطلوب يصلي على دابته يومئ إيماء وان كان طالبا نزل فصلى بالارض، وفصل الشافعي فقال الا ان ينقطع عن أصحابه فيخاف عود المطلوب عليه فيجزئه ذلك. وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ان ما قاله ابن المنذر متعقب بكلام الاوزاعي فانه قيده بشدة الخوف ولم يستثن طالبا من مطلوب، وبه قال ابن حبيب من المالكية. أقول ويؤيده عمل عبد الله بن انيس عند ما ارسله النبي (ص) الى خالد بن سفيان الهذلي ليقتله اذ كان يجمع الجموع لقتال المسلمين قال «فانطلقت امشي وأنا أصلي أومئ إيماء» رواه احمد وابو داود وحسن اسناده الحافظ في الفتح. واخذ الزمخشري هذه الكيفية من الآية التابعة كما يأتي

﴿فاذا قضيتم الصلاة﴾ أي أديتموها وأتممتموها في حال الخوف كما بينا لكم من القصر منها، وهو كقوله «فاذا قضيت الصلاة» وقوله «فاذا قضيتم مناسككم» ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ اي اذكروه في أنفسكم بتذكر وعده بنصر من ينصرونه في الدنيا واعداد الثواب والرضوان لهم في الآخرة، وان ذلك جزاؤهم عنده ما داموا مهتدين بكتابه، جارين على سننه في خلقه، وبألسنتكم بالحمد والتكبير والتسبيح والتهليل والدعاء ــ اذكروه على كل حال تكونون عليها من قيام في المسابقة والمقارعة، وقعود للرمي أو المصارعة، واضطجاع من الجراح أو المخادعة، لتقوى قلوبكم وتعلو هممكم، وتحتقروا متاعب الدنيا ومشاقها في سبيله، فهذا مما يرجى به الثبات والصبر، وما يعقبهما من الفلاح والنصر، وهذا كقوله تعالى في سورة الانفال «٨: ٤٦ إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» واذا كنا مأمورين بالذكر على كل حال نكون عليها في الحرب كما يعطيه السياق، فاجدر بنا ان نؤمر بذلك في كل حال من أحوال السلم كما يعطيه الإطلاق، على ان المؤمن في حرب

دائمة وجهاد مستمر، تارة يجاهد الاعداء، وتارة يجاهد الاهواء، ولذلك وصف الله المؤمنين العقلاء بقوله «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم» وأمرهم بكثرة الذكر في عدة آيات. وذكر الله أعون ما يعين على تربية النفس وان جهل ذلك الغافلون. روى ابن جرير عن ابن عباس انه قال في تفسير الآية: لا يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها جزاء معلوما ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهي اليه، ولم يعذر أحدا في تركه، الا مغلوبا على عقله، فقال «فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم» بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال اه

﴿فاذا اطمأننتم﴾ أي فاذا اطمأنت أنفسكم بالامن وزال خوفكم من العدو ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أي ائتوا بها مقومة تامة الاركان والحدود والآداب، لا تقصروا من هيئتها كما أذن لكم في حال من أحوال الخوف، ولا من ركعاتها ونظام جماعتها كما أذن لكم في حال أخرى منها، وقيل ان المراد بالاطمئنان الاستقرار في دار الاقامة بعد انتهاء السفر لانه مظنته. واذا كان هذا الحكم مقابلا لما تقدم من حكم القصر من الصلاة في السفر اذا عرض الخوف، ومن كيفية صلاة الخوف، فالمراد بالاطمئنان فيه ما يقابل السفر والخوف جميعا، كما ان المراد باقامة الصلاة ما يقابل القصر منها بنوعيه: القصر من هيئتها وحدودها والقصر من عدد ركعاتها، وذلك ان السفر تقابله الاقامة ولم يقل فاذا أقمتم، والخوف يقابله الأمن كما قال في آية أخرى «وآمنهم من خوف» ولم يقل هنا فاذا أمنتم، ومعنى الاطمئنان السكون بعد اضطراب وانزعاج فهو يقابل كلا من الخوف والسفر مجتمعين ومنفردين اذ يصدق على من زال خوفه في سفره انه اطمأن نوعا من الاطمئنان، كما يصدق على من انتهى سفره واستقر في وطنه انه اطمأن نوعا من الاطمئنان

وهذا المعنى يلتئم مع قول من قال ان الآيتين السابقتين وردتا في صلاة الخوف لا صلاة السفر سواء منهم من قال ان صلاة السفر قد ثبت القصر فيها بالسنة المتواترة

ومن قال انها شرعت ركعتين ركعتين الا المغرب فقط فانها ثلاث ، ومع قول من قال انهما جامعتان لصلاة السفر بقصر الرباعية فيه والصلاة الخوف بأنواعها، ومنها ماتكون فريضة المأموم فيها ركعة واحدة ومنها مايكون بالايماء، سواء منهم من تأول في اشتراط الخوف فلم يجعل له مفهوما أو جعل مفهومه منسوخا ، ومن فصل فجعل شرط السفر خاصا بقصر الرباعية الى ثنتين وشرط الخوف خاصا بقصرها الى ركعة واحدة ، أو القصر من هيئتها وأركانها

وذهب الزمخشري الى ان الآية بمعنى آية البقرة في صلاة الخوف فجعل قضاء الصلاة فيها عبارة عن أدائها، والذكر بمعنى الصلاة ، والمعنى فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فصلوا قياما مسايفين ومقارعين ، وقعودا جاثين على الركب مرامين، وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح، وفسر الاطمئنان بالامن واقامة الصلاة بعده بقضاء ما صلي بهذه الكيفية أي القضاء المصطلح عليه في الفقه وهو اعادة الصلاة بعد فوات وقتها. وجعل الآية بهذا حجة للشافعي في ايجابه الصلاة على المسافر في حال القتال في المعركة كيفما اتفق ثم قضائها في وقت الامن خلافا لابي حنيفة الذي يجيز ترك الصلاة في حال القتال وتأخيره الى أن يطمئن . وقد خرج الزمخشري بهذا عن الظاهر المتبادر من استعمال لفظي القضاء واقامة الصلاة في القرآن ، وهو الدقيق في فهم اللغة وتفسير اكثر الآيات بما ينصح عن اصيميها المحض، واسلوبها الغض، فسبحان المنزه عن الذهول والسهو،

﴿ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ هذا تذييل في تعليل وجوب المحافظة على الصلاة حتى في وقت الخوف ولو مع القصر منها، اي إن الصلاة كانت في حكم الله ومقتضى حكمته في هداية عباده كتابا اي فرضا مؤكدا ثابتا ثبوت الكتاب في اللوح او الطرس ، موقوتا اي منجما في اوقات محدودة لا بد من أدائها فيها بقدر الامكان ، وإن أداءها في اوقاتها مقصورا منها بشرطه خير من تأخيرها لقضائها تامة، وسنبين ذلك في بحث حكمة التوقيت . روى ابن جرير عن ابن مسعود (رض) انه قال إن للصلاة وقتا كوقت الحج. وروى عن زيد بن أسلم انه قال في تفسير « موقوتا » منجما كلما مضى نجم جاء نجم (قال) يقول كلما مضى وقت جاء وقت آخر اه يقال وقت العمل يقته (كوعده يعده) ووقته توقيتا اذا جعل له

وقتا يؤدى فيه ، ويقال أقته ايضا بالهمزة بدلا من الواو كما يقال وكدت الشيء توكيدا واكدته تأكيدا

﴿ حكمة توقيت الصلاة ﴾

التشكيك شنشنة لاهل الجدل والمراء من دعاة الملل، ومتعصبي مقلدة المذاهب والنحل ، وناهيك بمن يتخذونه صناعة وحرفة كدعاة النصرانية الذين عرفناهم في بلادنا ، وقد صار بعض شبهاتهم على الاسلام يروج في سوق المتفرنجين ، فيما يوافق أهواءهم من التفصي من عقال الدين ، ومن اغرب ذلك اعتراضهم على توقيت الصلاة وزعمهم أنه عبارة عن جعلها رسوما صورية ، وعادات بدنية ، وان المعقول أن يوكل هذا الى اختيار المؤمن فيذكر ربه ويناجيه عند ما يجد فراغا تسلم به الصلاة من الشواغل ، ولا توجد قاعدة من قواعد الشرائع او القوانين ، ولا نظرية من نظريات العلم والفلسفة ، ولا مسألة من مسائل الاجتماع والآداب، الا ويمكن الجدال فيها ، والمراء في نفعها أو ضرها . وقد سئلت عن هذه المسألة في شعبان سنة ١٣٢٨ وأنا في القسطنطينية فأجبت عنها جوابا وجيزا مستعجلا نشر في (ص ٥٧٩) من مجلد المنار الثالث عشر . وهذا نص السؤال وقد ورد مع أسئلة أخرى :

« اذا كانت الغاية من الصلاة هي الاخلاص للخالق بالقلب مما يؤدي الى تهذيب الاخلاق وترقية النفوس ، وكان من المحتم على كل مسلم أن يقيم صلاته بمواعيد ، فكيف يعقل - والناس على ما ترى - ان كل الصلوات التي تقام في المساجد والبيوت هي باخلاص عند كل المسلمين ؟ واذا كان الجزء القليل منها هو المقصود من الدين والمبني على الفضيلة فلماذا لا تترك الحرية التامة للناس في تحديد مواعيد اقامة صلواتهم ؟ والا فما هي الفائدة التي تعود على النفس من الركوع والسجود بلا اخلاص ولا ميل حقيقي للعبادة ، بل اتباعا للمواعيد ، واحتراما للتقاليد ؟ »

وهذا هو الجواب

الجواب عن هذا يتضح لكم اذا تدبرتم تفاوت البشر في الاستعداد وكون

الدين هداية لهم كلهم لا خاصة بمن كان مثلكم قوي الاستعداد لتكميل نفسه بما يعتقد انه الحق وفيه الفائدة والخير ، بحيث لو ترك الى اجتهاده لا يترك العناية بتكميل إيمانه ، وتهذيب نفسه ، وشكر ربه وذكره ، وقد رأيت بعض المتعلمين في المدارس العالية والباحثين في علم النفس والاخلاق ينتقدون مشروعية توقيت الصلوات والوضوء وقرن مشروعية الغسل بعلل موجبة وعلل غير موجبة على الحتم ، ولكن تقتضي الاستحباب ، وربما انتقدوا أيضا وجوب غير ذلك من انواع الطهارة بناء على ان هذه الامور يجب ان تترك لاجتهاد الانسان يأتيها عند حاجته اليها ، والعقل يحدد ذلك ويوقته !! هؤلاء تربوا على شيء وتعلموا فائدته فحسبوا لاعتيادهم واستحسانهم اياه انهم اهتدوا اليه بعقولهم ولم يحتاجوا فيه الى ايجاب موجب ولا فرض شارع ، وان ما جاز عليهم يجوز على غيرهم من الناس ، وكلا الحسبانين خطأ فهم قد تربوا على أعمال من الطهارة (النظافة) منها ماهو مقيد بوقت معين كغسل الاطراف في الصباح (التواليت) وهو مثل الوضوء ، أو الغسل العام ، ومنها ماهو مقيد بعمل من الاعمال ، وتعلموا مافيه من النفع والفائدة فقياس سائر الناس عليهم في البدو والحضر خطأ جلي .

ان أكثر الناس لا يحافظون على العمل النافع في وقته اذا ترك الامر فيه الى اجتهادهم ولذلك ترى البيوت التي لا يلتزم اصحابها أو خدمها كنسها وتنفيض فرشها وأثاثها كل يوم في أوقات معينة عرضة للاوساخ ، فتارة تكون نظيفة ، وتارة تكون غير نظيفة ، واما الذين يكنسونها وينفضون فرشها وبسطها كل يوم في وقت معين وإن لم يلم بها اذى ولا غبار فهي التي تكون نظيفة دائما . فاذا كانت الفلسفة تقضي بان يزال الوسخ والغبار بالكنس والمسح والتنفيض عند حدوثه وان يترك المكان أو الفراش أو البساط على حاله اذا لم يطرأ عليه شيء ، فالتربية التجربية تقضي بأن تتعهد الامكنة والاشياء بأسباب النظافة في أوقات معينة ليكون التنظيف خلقا وعادة لاتثقل على الناس ولا سيما عند حدوث أسبابها ، فمن اعتاد العمل لدفع الاذى قبل حدوثه أو قبل كثرته فلأن يجتهد في دفعه بعد حدوثه أولى وأسهل . وعندي أن أظهر حكمة للتيمم هي تمثيل حركة طهارة الوضوء عند القيام الى الصلاة ليكون أمرها مقررا في النفس محتما لاهوادة فيه . وقد قال لي مثل أنس وكيل المالية بمصر في

عهد كرومر انه يوجد الى الآن في أوربة أناس لا يغتسلون مطلقا واننا نحن الانكليز أكثر الاوربيين استحماما وانما اقتبسنا عادة الاستحمام عن أهل الهند ثم سبقنا جميع الامم فيها . فتأمل ذلك وقابله بعادات الامم في النظافة التي هي الركن العظيم للصحة والهناء

واعتبر هذه المسألة في الاعمال العسكرية كالخفارة عند عدم الحاجة اليها لئلا يتهاونوا فيها عند الحاجة اليها وجعلها مرتبة موقوتة مفروضة بنظام غير موكولة الى غيرة الافراد واجتهادهم

اذا تدبرت ما ذكرنا فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لاجل تكميل فطرة الناس وترقية أرواحهم وتزكية نفوسهم ، ولا يكون ذلك الا بالتوحيد الذي يعتقهم من رق العبودية والذلة لاي مخلوق مثلهم ، وبشكر نعم الله عليهم باستعمالها في الخير ومنع الشر ، ولا عمل يقوي الايمان والتوحيد ويغذيه ويزع النفس عن الشر ويحبب اليها الخير ويرغبها فيه مثل ذكر الله عز وجل ، أي تذكر كماله المطلق وعلمه وحكمته ، وفضله ورحمته ، وتقرب عبده اليه بالتخلق بصفاته من العلم والحكمة والفضل والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال . ولا تنس ان الصلاة شاملة لعدة انواع من الذكر والشكر كالتكبير والتسبيح وتلاوة القرآن والدعاء ، فمن حافظ عليها بحقها قويت مراقبته لله عز وجل وحبه له ، أي حبه للكمال المطلق ، وبقدر ذلك تنفر نفسه من الشر والنقص ، وترغب في الخير والفضل ، ولا يحافظ العدد الكثير من طبقات الناس في البدو والحضر على شيء مالم يكن فرضا معينا وكتابا موقوتا ، فهذا النوع من ذكر الله المهذب للنفس (وهو الصلاة) تربية عملية للأمة تشبه الوظائف العسكرية في وجوب اطرادها وعمومها وعدم الهوادة فيها ، ومن قصر في هذا القدر القليل من الذكر الموزع على هذه الاوقات الخمسة في اليوم والليلة فهو جدير بأن ينسى ربه ونفسه ، ويغرق في بحر من الغفلة ، ومن قوي إيمانه وزكت نفسه لا يرضى بهذا القليل من ذكر الله ومناجاته بل يزيد عليه من النافلة ومن أنواع الذكر الاخرى ماشاء الله أن يزيد ، ويتحرى في تلك الزيادة أوقات الفراغ والنشاط التي يرجو فيها حضور قلبه وخشوعه ، وهو الذي استحسنه السائل . وجملة القول

ان الصلوات الخمس إنما كانت موقوتة لتكون مذكرة لجميع افراد المؤمنين بربهم في الاوقات المختلفة لئلا تحملهم الغفلة على الشر او التقصير في الخير ولمريدي الكمال في النوافل وسائر الاذكار أن يختاروا الاوقات التي يرونها أوفق بحالهم ، واذا راجعت تفسير « حافظوا على الصلوات » في الجزء الثاني من تفسيرنا هذا تجد بيان ذلك واضحا وبيان كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا واظب المؤمن عليها ، ومن لا تحضر قلوبهم في الصلاة على تكرارها فلا صلاة لهم فليجاهدوا أنفسهم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اخذ الاثاث واللباس من اهل الكتاب ﴾
(والنفقة على الزوجة الممكنة)

(س ٦٨ - ٦٩) من صاحب الامضاء في مكة المكرمة

(١) ما قولكم ، رضي الله عنكم ، فيما عمت به البلوى في هذه الايام من اتخاذ المسلمين نحو اللباس واثاث البيت من النصارى واليهود ، ولم يتمكن عليهم (كذا) تجنبه الا بعسرة شديدة ، هل هو جائز أم حرام أم كيف الحال ؟ فان قلتم بالجواز فما المراد من هذا الحديث الشريف (من تشبه بقوم فهو منهم) فان قلتم بالتحريم فذاك ، افتونا فلكم الاجر والثواب ،

(٢) ما قولكم ، عز قدركم ، في امرأة لا تمكن نفسها على الزوج بأن لا تعرضها عليه كأن لا تقول « اني مسلمة نفسي اليك » ولكنها تطيع لزوجها بان تجيب امره

الذي يجب عليها هل تجب لها النفقة عليه ام لا فان قلتم بالوجوب فما تقولون في عبارة فتح القريب ونصها : وتجب النفقة على الزوجة الممكنة . قال العلامة الباجوري : بان عرضت نفسها عليه كأن تقول : اني مسلمة نفسي اليك ، فان قلتم بعدمه فما قولكم في افتاء بعض العلماء بالوجوب لان اجابة امر الزوج الذي يجب عليها عين التمكين ، ولسان الحال ، افصح من لسان المقال ، بينوا لي بيانا واضحاً ، هذا واسأل الله ان يعطيكم الفضل والرضوان ، بجاه سيد ولد عدنان ، اللهم آمين

مكة المؤرخ في ١٤ القعدة سنة ١٣٢٩ هجرية . محمد علوي

﴿ تشبه المسلمين بغيرهم ومخالفتهم لهم ﴾

(ج) اتخاذ اللباس والاثاث من اليهود والنصارى ظاهر لفظ السؤال أن المراد اتخاذ ذلك من مصنوعاتهم واشتراؤه منهم ، ولا أعلم ان هذا كان موضع خلاف بين الفقهاء وما زال الناس سلفا وخلفا يشترون مايحتاجون اليه من مصنوعات أهل الكتاب وغيرهم ، من تجارهم وغير تجارهم ، وقرينة الحال وإيراد حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » يدلان على ان مراد السائل باتخاذ اللباس والاثاث منهم هو ان يلبس المسلم مثل لباسهم ويستعمل مثل أوانيهم فيكون متشبها بهم ، وان كان ذلك اللباس والاثاث من صنع المسلمين . وهذه المسألة قد كثر السؤال عنها من جزائر جاوه والملايو - ولعل السائل منهم - واجبنا عنها مرارا كثيرة في عدة مجلدات من المنار . وبينا ان الاسلام لم يفرض على المسلمين زيا مخصوصا لذاته ولا حرم عليهم زيا مخصوصا لذاته ، وانه ثبت في السنة الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية والطيالسة الكسروية . ولم يثبت عنه ولا عن خلفائه انهم كانوا يأمرون من يدخلون في الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس ان يغيروا أزياءهم ، ولكن الذين كانوا يدخلون في الاسلام كانوا يتبعون المسلمين حتى في أزيائهم وعاداتهم ،

أما مسألة تشبه المسلمين بغيرهم فان كان في أمر دينهم أو ماحرمه ديننا وان لم يحرمه دينهم فلا شك ولا خلاف في حظره بل صرح بعض الفقهاء بأن من تشبه بهم في أمر دينهم وشعائرهم بحيث يظن انه منهم يعد مرتدا ويجري عليه حكم المرتد قضاء . وان كان هذا في أمور الدنيا المباحة في نفسها كالأزياء والعادات فهو مكروه ، ولكنه اذا فعل مثل فعلهم ولبس مثل لبسهم غير قاصد للتشبه بهم فلا يسمى متشبها ولا يكون منه ذلك مكروها

هذا ملخص ماحرره الفقهاء ومن أخذ الحكم من حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » جزم بان القصد في المحاكاة داخل في معنى التشبه لان صيغة التفعل تدل على ذلك . وقد تكلمنا على هذا الحديث في غير موضع من المنار ، وبينا في ص ٦١ من المجلد الثالث عشر ان ابن حبان قد صححه وكان يتساهل في التصحيح وان غيره ضعفه ، وأن معناه من تكلف ان يكون شبيها بقوم في شيء بتكرار محاكاتهم فيه انتهى التشبه به الى ان يكون مثلهم في ذلك الشيء ، وهذا من قبيل حديث « إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم » رواه الطبراني ، ولذلك قالوا * ان التشبه بالكرام فلاح * والحديث لايدل على ذم التشبه في كل شيء ولا على مدحه في كل شيء ولا على ان المتشبه بقوم في شيء يكون مثلهم في جميع الاشياء ،

لو لم يكن في هذه المسألة الا هذا الحديث الذي جعله عبيد العادات العتيقة هجيراهم عند مقاومة كل جديد لسهل على عبيد العادات الحديثة الرد عليهم والاحتجاج بما هو أصح منه متنا وسندا من لبس النبي (ص) لزي مشركي قومه في الغالب وزي النصارى والمجوس في بعض الاحوال ولأمكنهم ان يزيدوا على ذلك مثل قولهم ان الدولة العثمانية لو لم تأخذ عن أهل أوربة هذا السلاح الجديد والنظام العسكري الحديث وتتشبه بهم في أعمال الحرب لسهل على حكومة صغيرة كانت بلادها ولاية عثمانية كالبلغار ان تدمرها وتأخذ عاصمتها في اسبوع واحد كما سهل على الاوربيين اخذ اكثر الممالك الاسلامية التي لم تتشبه بهم في ذلك اوجميعها . ولكن وراء مانسمعه من هؤلاء واولئك من العلم النقلي والعقلي والاجتماعي المؤيد بالاختبار مالم تصل اليه روايتهم ، ولم تسم اليه درايتهم

ثبت الهدي النبوي بمخالفة المسلمين لغيرهم فيما يتعلق بأمر الدين والدنيا كحديث « صوموا عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما » رواه احمد والبيهقي في سننه بسند صحيح وكان أمر بصومه وحده فقيل له ان اليهود تصومه فأمر بمخالفتهم بالزيادة كما أمر بمخالفتهم بتغير الشيب وكانوا لايخضبون (رواه الشيخان وغيرهما) وخالفهم في سدل الشعر فكان يفرق شعره (كما ثبت في الشمائل) ، وكتب عمر (رض) الى عامله في بلاد العجم عتبة بن فرقد ينهاه ومن معه عن زي الاعاجم . والحكمة في هذه المخالفة ان يكون للامة الاسلامية التي كانت تتكون في ذلك العهد مقومات ومشخصات ذاتية تمتاز بها عن سائر الامم فتجعل نفسها تابعة لامتبوعة وإماما لامقلدا . وان لاتأخذ عن غيرها شيئا لان غيرها يفعله بل تأخذ ماتراه نافعا أخذ

العاقل المستقل الذي يستعمل عقله وعلمه في عمله ولا يكون امعا يتبع غيره حذو النعل للنعل (الحكمة ضالة المؤمن) . ولو اتبع كل جيش من الصحابة فتح بلاداً لعادات أهلها وأزيائهم لفني فيهم ، ولكن المسلمين على قلتهم كانوا يجذبون الامم باستقلالهم الى اتباعهم حتى انتشر الدين الاسلامي ولغته في العالم سريعا . ثم كان من شؤم التقليد الذي اصبنا به ان انتقل جماهير المسلمين في هذه الازمنة من التقليد في الدين والعلم الى التقليد في العادات حتى غلبت عليهم عادات الامم الاخرى فوهت قوتهم ، وسحلت مرائرهم ، وصاروا عالة على غيرهم ، فأين نحن اليوم من حكمة عمر بن الخطاب (رض) حين زينوا له في الشام ان يظهر بمظهر العظمة والزي الرائع لاهل البلاد الذين تعودوا ان يروا حكامهم كذلك اذ قال انما جئنا لنعلمهم كيف نحكمهم لا لنتعلم منهم كيف يحكمون.

انا اسهبنا في هذه المسألة في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي هو أول كتاب ألفناه ونحن في طور الطلب والتحصيل ، وفرقنا هنالك بين حكم الازياء في نفسها، اذا تزينا بها الافراد لحاجتهم اليها ، وبين تشبه الامة بغيرها ، وما فيه من المضار الاجتماعية والسياسية ، وكذا بين اقتباس الفنون والصناعات الحربية والعمرانية عن الافرنج وبين التشبه بهم في عاداتهم وأزيائهم ، وما في الاول من النفع الذي لانحيا بدونه ، وما في الثاني من الضرر الذي يحل جامعتنا ، ويفسد كياننا ، على إننا مفتونون بالضار معرضون عن النافع ، ونقلنا في العدد ٢٩ من سنة المنار الاولى نبذة في بيان ضرر الثاني اولها (اذا نظرنا الى التقليد والتشبه من طرف السياسة تجلى لنا ان الصواب امتناع امتنا عن التشبه او التقليد لغيرها من الامم في الازياء والعاد (جمع عادة) وكل مالا فائدة فيه ولاسيما المناصبين والمحادين لنا) الخ فليراجعه من شاء في ص ٥٥١ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول

ولو أردنا أن نبين هذه المسألة بالتفصيل التام لاحتجنا الى تأليف مجلد كبير أهم مباحثه ماورد في الكتاب والسنة وعمل الصحابة من النصوص والافعال في ذلك وما أخذه المسلمون عن غيرهم في الصدر الاول وما تحاموه من ذلك بقصد المخالفة لغيرهم لتكوين جامعتهم ، وما يفعله المسلمون في هذه الازمنة وما يتركونه من ذلك اتباعا للهوى او العادة لا للمصلحة ولا للشرع وان ادعى بعضهم اتباعه فيه

إن النصوص والمسائل التي تتعلق بالتشبه وعللها وحكمها تختلف باختلاف المنافع والمضار والمقاصد ، وقد آلف ابن تيمية فيها كتابا كبيرا سماه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) توسع فيه ببحث مشاركة المسلمين لغيرهم في أعيادهم وشدد

في ذلك بالدليل والبرهان وناهيك بسعة اطلاعه ودقة فهمه ، ومع هذا يمكن ان يزاد ويستدرك عليه ، ولكن لكل مقام مقالا ، ولكل زمن مصالح وأحوالا ، ومايعقلها الا العالمون المستقلون ، وان من موانع العقل والفهم ان تجعل المسألة دينية تعبدية ، وما هي الا من المصالح الاجتماعية السياسية ، فلا نجد فيها جمود بعض المغاربة الذين يحرجوا من زيّ الجند الاوربي الذي يتوقف على مثله اتقان الحركات والاعمال العسكرية التي تعد من أعظم أسباب تفوق جند على جند ، ولا نغلو غلو بعض المشارقة الذين يقلدون الاوربيين في كل زيّ تقليدا أعمى من غير حاجة اليه ، كالحازقين الذين يلبسون الثياب الضيقة الضاغطة التي تعوقهم عن العبادة والحركة ، ولا هي من اسباب الصحة ولا الراحة في بلادهم الحارة ، بل نتأمل فيما عند غيرنا من أمثال هذه المستحدثات الدنيوية فاوجدناه ضارا بأجسادنا أو بثروتنا او بآدابنا اجتنبناه ألبتة ، ونجتنب ايضا مالايضر ولا ينفع ، وماكان ضره أكبر من نفعه ، وأما ما وجدناه نافعا نفعا لاضرر معه او معه ضرر قليل يزيد عليه ضرر تركه وإهماله فاننا نقتبسه لا بقصد التشبه والتقليد بل بقصد النفع الذي ثبت عندنا ، كما فعل النبي (ص) في اقتباس حفر الخندق من الفرس ، ونجتهد مع هذا في جعله احسن مما عليه غيرنا او مخالفا له نوعا ما من المخالفة التي تكون عنوان استقلالنا وتميزنا ، وسدا دون فنائنا في غيرنا من الامم

أنا اعتقد ان تقليد المسلمين في الاستانة ومصر وغيرهما للاوربيين وتحريهم التشبه بهم في عاداتهم وأزيائهم قد كان مفسدة من المفاسد التي أضعفت جامعة الامة وراخت عقدتها وأوهنت أخلاقها ، وجرفت ثروتها ، ونرى هذه المفاسد على اشدها فيمن تعلموا لغات الافرنج وولعوا بزيارة أوربة ، فان ماينفقه المصريون منا في أوربة كل عام على الشهوات واللذات والزينة والقمار يكفي لتعميم التربية الملية والتعليم النافع في القطر المصري كله ومنه الفنون التي يجب ان نقتبس من أوربة لاحياء الصناعة والتجارة ، واننا نرى الشاب اوالكهل منا يترك زيه الوطني ويستبدل به الزي الافرنجي – ماعدا القبعة (البرنيطة) التي يلبسونها في أوربة فقط – لاجل أن يأمن الانتقاد اذا هو جلس في الحانات العامة لمعاقرة الخمر ، او دخل مواخير البغايا لاجل الفسق ، ونرى ان لابسي هذه الازياء تضعف رابطتهم بلابسي الازياء الوطنية الاولى وتقل ألفتهم وأنسهم بهم ، ونسمع منهم من انتقاد بعضهم على بعض ، كما نسمع من المتغايرين في الجنس او الملة أو الوطن ، ومن أغرب ضروب هذه التفرقة ان المتخرجين في المدارس

العليا لم يقبلوا ان يكون المتخرجون في دار العلوم (مدرسة المعلمين العربية) أعضاء في ناديهم عندما اسسوه وهم اساتذتهم ومعلموهم ، فاضطر هؤلاء الى تأسيس ناد لهم خاص بهم ، واني أعتقد أن اختلاف الزي مباعد بين القلوب أنه سبب باطن من أسباب ذلك ، ناهيك بما يضاعفه من لوازمه وغير لوازمه من اختلاف التربية .

وليس ضرر هذه التفرقة بين جماعات الامة ولا سيما جماعات المتعلمين بالامر اليسير ، كلا انه لأمر كبير يستحيل ان تكون الأمة معه مستقلة عزيزة ، وليس هو الداء الوحيد الذي رمانا به التفرنج بل ان ارقى المتفرنجين منا يتلذذ باتفاق ألوف الدنانير في القمار والفسق ولا يخرج منه الدينار او الدرهم لمصلحة الامة او لاصحاب الحق عليه من قومه الا نكدا ، وهو يزعم مع هذا الفساد ان الامة ما أفسدها الا الدين او أهله وعلماؤه . وحسبنا هذه العجالة هنا

﴿ ٢ – الجواب عن مسألة طاعة المرأة لزوجها ﴾

لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله (ص) ما يدل على ان الطاعة الواجبة تتوقف على النطق بمثل ما ذكره بعض الفقهاء في مسألة طاعة المرأة لزوجها ، ولا يدل على ذلك اجماع ولا قياس ولم يمض به عرف وانما قاله من قاله من الفقهاء تصوراً للطاعة بما خطر في باله انه يكون حجة على الزوج اذا أراد أن يمتنع عن النفقة متعللا بعدم الطاعة ، وإنما العبرة في الطاعة بالفعل لا بالقول ، إلا ما كان الامر فيه بالقول ، وطاعة أولي الامر واجبة بنص الكتاب ولم يقل أحد من الفقهاء بأنها تتوقف على قول يشعر بها اوأنه يشترط فيها ذلك .

وظاهر عبارة السائل انه يفرض المسألة في المرأة في حجر زوجها وانما صور الفقهاء التمكين بمثل ذلك القول في ابتداء وجوب النفقة فكان مذهب الشافعي القديم ان النفقة تجب بالعقد ثم رجع عنه الى وجوبها بالدخول وهو الصواب الموافق للسنة ، ومتى دخل الرجل بامرأته وجبت عليه نفقتها الا اذا عصته في نفسها إذ معنى ذلك انها تأبى أن تكون زوجا له ، ويكتفى بالطاعة بالفعل ولا يشترط ان تقول له شيئا ، وإنما يحتاج الى مثل ذلك القول إذا عقد النكاح ولم يطالب هو من عقد عليها الى بيته حسب العادة والعرف وارادت ان تطالبه بالنفقة وتقاضيه فيها وعلمت انه يحتج بعدم الدخول وهوالمقصر فيه ، فلابد لها في مثل هذه الحال من مطالبته بالحياة الزوجية التي تترتب عليها النفقة مطالبة يمكن الاحتجاج بها امام القاضي وهو ماعبروا عنه بالتمكين ، وان

كان تعبيرا يمجه ذوق الادباء والمنشئين . وهذه المطالبة يصح ان تكون منها او من وكيلها أو وليها ولكن بعض الشافعية صرحوا بأن المكلفة والسكرانة تعرض نفسها بنفسها ويعرض غيرهما وليها بناء على سعة تصرف المرأة في الشريعة ، وصرح بعضهم بأن هذا غير شرط وانه يعمل بالعرف وهو ان المرأة يتكلم في شأن زواجها وليها ولا سيما البكر كما ترون في حاشية الشبراملسي على النهاية ، وهذا هو الذي يتجه لان المحكم في مثل هذا هو العرف

***

﴿ تفسير « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ﴾

(س ٧٠) من صاحب الامضاء بدمشق الشام

حضرة المصلح الكبير سيدي السيد محمد رشيد رضا ادام الله نفعه امين

بعد تقديم واجب الاحترام اعرض انني قرأت في ناركم الاغر (ج ٦ م ١٤) جواباً على سؤال ورد من دمياط من مصطفى نور الدين حنطر عنوانه (القدر وحديث خلق الانسان شقياً وسعيداً) وحقيقة لقد أجدتم في الجواب بحيث قطعتم ألسنة الذين يحتجون بالقضاء والقدر (اي على الجبر والكسل) وظهر فساد رأيهم بحجج ناهضة لايعقلها الا العالمون ، وازلتم من الشكوك والخطرات مايصعب على غيركم ازالته فجزاكم الله خير الجزاء ، لازلتم ملجأ للتائهين عن المحجة البيضاء، وداحضين شبهات المتنطعين المقلدين الذين لم يعرفوا من الدين الاقوال هذا وذاك . هذا وقد وقع في خلدي شبهة في مسألة القضاء والقدر في قوله تعالى « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين » فأرجوكم كشف قناع تفسير هذه الآية حتى يطمئن القلب ويظهر الصبح لذي عينين لانها اوقعتني في ارتباك لايزول الا باستنشاق نفحات علومكم وورود معارفكم واتمنى ان يكون الجواب في أول عدد يصدر من مجلتكم حفظكم الله وجعلكم مناراً لكل مستنير آمين   كاتبه

عبد الفتاح ركاب
السكري

(ج) معنى الآية الحكيمة والله أعلم (ولو شئنا) أن نجعل الناس أمة واحدة مهتدين صالحين كالملائكة (لآتينا كل نفس هداها) وجعلناه أمراً خلقيا فيها لاتستطيع

غيره ولا يخطر في بالها سواه ، وحينئذ لا يكون هذا النوع هو النوع المعروف الآن ، ولا يكون مكلفا مجزيا على عمله لأنه لا اختيار له فيه ، ولا يكون ثم حاجة لوجود دار للجزاء على الحق والخير ودار للجزاء على الباطل والشر

وقوله تعالى (ولكن حق القول مني) الخ معناه ثبت وتحقق القول المؤكد مني بأن يكون الجن المستترون ، والناس المتجسدون، مكلفين لانهم يعملون بالاختيار، ومثابين معاقبين لاختلاف الاعمال بالتفاوت في العلم والاستعداد ، ليكون لجهنم منهم مالؤها ، كما يكون للجنة قسطها ، اي فلهذا لم نؤت كل نفس هداها باصل الخلقة بل هديناها النجدين ، ودللناها على الطريقين، بأن خلقناها مستعدة لقبول الحق والباطل ، وعمل الخير والشر ، وآتيناها علما وارادة واختياراً ترجح بها سلوك أحد الطريقين على الآخر ، وجرت سنتنا بأن يكون عمل كل نفس بقدرة صاحبها متوقفا على ترجيح الفعل او الترك على مايقابله، وان يكون الترجيح بارادة العامل ، وان تكون الارادة تابعة للعلم بالمنافع والمضار والمصالح والمفاسد ، كما جرت سنتنا وسبقت كلمتنا بأن يكون من خلق الانسان ومقتضى فطرته أن يرجح دائما فعل ماينفع وترك مايضر بحسب علمه بذلك ، فعلى هذا تكون سعادة الانسان وشقاوته تابعين لعلمه بالحق والباطل والخير والشر ، فان كان علمه صحيحا وجدانيا او عقليا غير معارض بوجدان غالب ، رجح الحق والخير على ضدهما فكان سعيدا ، والا رجح الباطل والشر فكان شقيا ، ولكن الناس كثيرا مايجهلون الحقائق في ذلك فيرجحون مافيه شقاوتهم على مافيه سعادتهم . وقد لطف الله تعالى بالانسان فأمد علمه المكسوب الناقص بالوحي، الذي هو كالعقل للنوع ،

لا يذهب بك الظن الى انني خرجت عن معنى الآية بما اشرت اليه من سنة الله في خلق الانسان فيها ، فانك اذا راجعت ما قبلها من السورة تجده في خلق الانسان وحكمة الله وابداعه فيه ، فانه تعالى ذكر في أولها إنزال الكتاب وكفر من كفر به ، ثم ذكر خلق السموات والارض وتدبيره الامر بينهن، وكونه احسن كل شيء خلقه ،وخلق الانسان وتسويته ، ونفخ الروح فيه ، واعطاءه الحواس والعقل ،وانه قليلا ما يشكر له هذه النعم باستعمالها فيما خلقت له ، ثم ذكر انكار المشركين للبعث ، ثم الموت والجزاء ، وتمنيهم الرجوع الى الدنيا في يوم الحساب ، ثم ذكر الآية . فلا بد في تفسيرها من التوفيق فيها بين مقتضى المشيئة ، ومقتضى سنن الخلقة ، فان

مشيئة الله تعالى انما تجري بسننه في خلقه ، كما بينا ذلك مرارا ، والسياق هنا جامع للامرين والقول في هذه الآية تكويني كقوله تعالى بعد ذكر خلق السماء والأرض «فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين» وقوله «قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم» ومنه كلمة التكوين العامة «انما أمره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» وتسمية عيسى المسيح كلمة الله ، وقوله تعالى «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون» كل هذا وأمثاله مما يذكر في بيان خلق الاشياء وسنن الله في تكوينها ليس من القول اللفظي ، ولا الكلام النفسي ، وانما هو القول والكلام التكويني الذي هو من متعلقات صفة الارادة والمشيئة التي يتبعها الايجاد والتكوين ، لا متعلقات صفة الكلام التي يكون بها الوحي والتكليف ، فمعنى «حق القول» بما ذكر في الآية أنه مما تعلقت به مشيئة الله تعالى في التكوين ، فانه تعالى شاء ان يكون الناس كما قال في آية قبلها ذوي حواس وعقول متمكنين من الشكر والكفر كما نعرف من أنفسنا وأبناء جنسنا ، وبذلك كانوا مستعدين للاشياء المتقابلة المتضادة مختارين في الترجيح بينها ، ويترتب على ذلك ان يحسن فريق منهم الاختيار فيكونوا من اصحاب الجنة ، ويسيء فريق منهم الاختيار فيكونوا من أهل النار ، وتتم كلمة الله في تكوين الفريقين على ماسبق بيانه ، وهذا ينطبق على ماشرحناه في تفسير القدر ، وكونه عبارة عن النظام الالهي والسنن ،

مناظرة عالم مسلم

(لدعاة البروتستانت في بغداد)

تنشر المجلات الدينية التي يصدرها دعاة النصرانية مناظرات خيالية يصورون وقوعها بين بعض المسلمين وبعض النصارى يدعون فيها ان المسلم يذعن لكل مايقوله له النصراني فلا يكون إلا محجوجا في كل مسألة ، ومنها مناظرة رأيتها في هذه الايام منشورة في مجلة الشرق والغرب ادعى فيها النصراني ان القرآن فرض العقاب اي الدنيوي على المرتد والحبس على المرتدة ! واجاز المسلم ذلك وقبله ، وهو لا أصل له ، وها نحن أولاء ننشر لهم مناظرة حقيقية بين عالم مسلم مشهور وهو السيد هبة الدين صاحب مجلة العلم في النجف وبين قسوسهم في بغداد ، وهو الذي اختار نشرها في المنار على نشرها في مجلته لان المنار كما قال اوسع انتشاراً ، وهذا نصها

«بحثنا مع الدعاة البروتستانيين . حفلة انس مع رفقة فضلاء»

قضينا حزيران (يونيو) هذه السنة في مدينة السلام ، نتجول في محافل فضلائها الاعلام ، نستفيد من موائد فوائدهم ، ونستأنس من طيب اخلاقهم وعوائدهم ، ومن جملة الاندية العلمية الدينية ، أو الحفلات الانسية الودادية ، حفلتان شريفتان اجتمعنا فيهما بالفضلاء المبشرين الفلاسفة الدكاترة دعاة البروتستانية النصرانية المشهورين بطيب الاخلاق والتقدم في الطب العملي ، والروحي الملكوتي ، وهم حضرة القس (بيبي وينسنت بويس) (١) والدكتور الكبير { جونس } (٢) وفضيلة داود فتو افندي البغدادي والدكتور (جورج ويلديل ستانلي) (٣) وكان معنا في المحضر بعض البغداديين وجمع من اجلاء النجف الاشرف من العائلة الجليلة الجواهرية وغيرهم

جرت في ذينك المحفلين الجليلين محاورات ادبية ، وملاطفات ودادية ، انتهت بنا الى محادثة دينية فلسفية ، نتلو خلاصتها لمن ألقى سمعه طلبا لتعميم الفائدة وتمحيص الحقيقة ،

تقدس الانجيل

قلت للفاضل داود افندي : ما تلك بيمينك ؟ قال الكتاب المقدس . فقلت ما المقصود من تقدسه ؟ قال انه منزه من كل كذب وخطاء وشبهة . فقلت من جمعه وألفه ؟ قال الحواريون «متى» و«مرقس» و«لوقا» و«يوحنا» فقلت هل كان هؤلاء مقدسين في أنفسهم ؟ قال كلا ليس في العالمين مقدس غير سيدنا المسيح (ع)

فقلت اذا كانوا غير مقدسين عن الخطاء والكذب كيف يصير ما ألفوه مقدساً عنهما ام كيف يطمئن احد بتقدس مجموعة يحتمل الخطأ والكذب في جامعها ؟

قال ان روح القدس موجود في هؤلاء فيعصمهم ويقدسهم

قلت من اين تعلم بوجوده فيهم ؟ وكيف عرف الناس ذلك وبأي سبب اختصوا بحلول تلك الروح فيهم دون البرية ؟

قال ان روح القدس يملأ كل انسان عموماً ولا خصوصية له بهؤلاء فقط .

قلت حتى الوثنيين والمسلمين وغيرهم ؟

---

(١) هو من اهالى (لدن) وعمره ٣١ سنة (٢) هو من اهالى (برتين) الواقعة على البحر دون الباب الجنوبي لمدينة لندرا بمسافة ٥٠ ميلا وعمره ٤٤ سنة (٣) هو ايضاً من اهالى لندن وعمره ٢٥ سنة

قال نعم وهو الذي يهديهم الى الخير ويحذرهم عن الشر

فقلت تختلج في ضميري ههنا مشكلات «١» انك قد قلت ليس في العالم مقدس غير المسيح {ع} والآن تقول جميع من في الارض مقدس وهذا تناقض في القول

(٢) ان روح القدس (الذي بنيتم على انه يقدس من حل فيه) لواصبح موجوداً في كل انسان عموماً كما افدت لزم ان تصحح كل متناقضين، وتصدق كل امرين متنافيين، لان القائل بكل منهما بشر حل روح القدس فيه فلو اعتقدت التوحيد في الله (س) وبرهنت عليه واعتقد غيري الشرك فيه تعالى واستدل عليه وجب ان تصحح كلا الاعتقادين وتصدقهما جميعا لان فينا معا الروح القدس { المستوجب لتقدس مظهره } وبديهة العقل كاجماع العقلاء قاضية ببطلان هذه المسئلة

(٣) لو صح وجود روح القدس في كل انسان عموماً لزم من صحة هذه القضية فساد نفسها وكل ما يلزم من وجوده عدمه أو من صحته فساده أو من اثباته نفيه فهو باطل مستحيل ، الا ترى انك لو أيقنت بوجود روح القدس في كل انسان وانه يعصم من وجد فيه عن الخطأ لزمك ان تعتقد بانني { المخاطب لك } ايضاً معصوم بحلول روح القدس في باطني، والحالة انني مثلا اعتقد بعدم وجود روح القدس في كل انسان أو انه لا يعصم من حل فيه فيلزمك أن تعتقد بصحة جميع ما أراه ومن جملة ما أراه فساد تلك القضية التي صححتها انت فقتلت القضية نفسها ... (مسرة في الجميع كأنهم استظرفوا هذا الكلام)

ثم قلت (٤) انكم معنا تعتبرون { ولاشك } الصدق والكذب في المحاورات وتقولون هذا كاذب أو مبطل وهذا صادق او محق ، وتتحرون العلائم والامارات فيهما ، فلو كان الناس كلهم مقدسين بروح القدس لم يبق موقع للتحري ولغت اكثر الامور أو خالفتم فطرة الناس وجبلتكم ولكان الاسلام حقاً والقرآن صدقاً ،

قال هذه مسئلة فلسفية طويلة

بشرى الائتلاف ، في معنى قولهم « المسيح ابن الله »

تذاكرنا في نسب المسيح (ع) المذكور في الانجيل وفي آخره ابن فلان ابن آدم ابن الله .

فقلت كلمة (ابن الله) ههنا صفة لآدم {ع} أو لعيسى {ع} مع كثرة الفواصل؟

فقال داود افندي انما هي صفة آدم {ع}

قلت كيف يكون آدم ابن الله ؟

قال اذ لم يكن له اب جسماني وانما خلق بقدرة الله ومشيئته .

فقلت لم لا تقولون في عيسى (ع) انه ابن الله بهذا المعنى ؟

قال بلى نقول فيه ايضاً بهذا المعنى لا غير

قلت اذن توافقتم مع المسلمين في المعنى واختلفتم في اللفظ اذ المسلمون ايضاً يعتقدون في آدم وفي المسيح انهما مخلوقان من امر الله وبقدرته بلا انتساب منهما الى أب جسماني ويستدلون بما في القرآن العظيم (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الخ

نعم اختلفتما من جهة انكم تسمونه (ابن الله) فهذه الملاحظة والمسلمون يتنزهون من هذه الكلمة تقديساً لله تعالى عن شوائب المجسمة ويقولون عيسى روح الله وكلمته فاتفقتم معهم في الجوهر واختلفتم في امر عرضي لا أهمية فيه

أساس الطب التجربة

قال . د . (جونس) هل عندكم في النجف اطباء ؟

قلت نعم كثيرون

قال يحكمون بالطب الجديد ؟

قلت فيهم من اشتغل بالطب الجديد وهو موظف من الحكومة المحلية .. ولكن مسلك الاكثر منهم الطب القديم

قال مسلكهم مسلك العجائز والبدو يعالجون المرضى بالكي ونحوه

فقلت أساس الطب ومبناه هو التجربة فاذا جرب الناس ٨٤ لا علاجياً وعهدوا منه الفائدة العمومية دائما فلا لوم عليهم اذا رجعوا اليه عند مسيس الحاجة

قال ليست التجربة مبنى الطب واساسه بل العلم هو أساس الطب

فقلت التجاريب تهدي الناس الى معرفة الضار والنافع والعلم يظهر لهم علة المضرة والمنفعة فالتجربة تقضي مثلا بضرر المحموم اذا اغتسل بماء بارد والمفكرة تشتغل بتعليل ذلك فيظهر العلم سره وان برودة الماء تسد مسام البدن ومنافذ الابخرة فتحتبس في الباطن فيتضرر المحموم منه ، فالتجربة اساس الحكم والتعليل، التجربة طب سطحي والعلم يكسوه فلسفة .. ، التجربة من مبادي حصول العلم ... التجربة تجمع الاشباه والنظائر ، فتمهد السبيل لوصول العلم الى الحكم الكلي ، والناموس العام ،

هل المسيح (ع) واسطة لخلق العالم

قال د. (جونس) في ضمن محادثته (ان الرب هو المسيح .. كذا ..)

فقلت كيف يكون المسيح (ع) ربا؟

قال لانه خالق الاشياء كلها

قلت فهل كان في نفسه مخلوقاً مع ذلك أم لا ؟

قال نعم كان مخلوقاً من الاب تعالى

قلت كان اذن واسطة في خلق الاشياء بيننا وبين المولى (س)

قال نعم

فقلت لِمَ لم يخلق الله الاشياء بنفسه حتى احتاج الى توسطه ؟

قال لان الله مقدس من كل جهة ، والخلق كلهم غارقون في بحر الخطأ والذنوب، فكيف يتلطف عليهم الله ويجود عليهم بالوجود من دون واسطة

قلت تصورت من هذا الكلام اشكالات متعددة

-١- كيف غرقوا في بحر الخطايا قبل ان يوجدوا

-٢- ان المسيح ليس بأسخى من الله ولا هو ارأف منه بالعباد حتى يحتاج الناس اليه في عطوفة الله بهم وإفاضته عليهم

-٣- ان تقدس الله لو عد مانعاً من تعلق فيضه بالناس حيث انهم غير مقدسين (من باب عدم المناسبة بين العلة والمعلول) فكيف جاز على المسيح ان يخلق الخلق اذ المانع سواء كان من طرفه (وهو التقدس) أو من طرفنا (وهو عدم التقدس) موجود على كل حال بسبب عدم المناسبة المذكورة أو نحتاج الى واسطة أخرى بيننا وبينه فيعود الكلام ويتسلسل فالتفت د. (جونس) الى د. « جورج ويلديل ستانلي » وتكلما بالانكليزية مدة ثم ساد الجميع سكوت

(الحديث اللطيف)

إني قلت بعد ذلك ان في مجمعنا من يقولون ان الواسطة غير منحصرة بحضرة المسيح « ع » أي المقدسون في البرية كثيرون ومنهم « محمد » نبي الاسلام « ص » ويثبت هؤلاء تقدسه بمثل ما تثبتون به التقدس لعيسى « ع » فلماذا لا يجوز ان

يتوسط « محمد » (ص) بيننا وبين المولى (س) في الوجود وفي كل جود ؟

قال متبسما كيف يجوز ذلك وقد خلق محمد بعد المسيح ؟

فقلت وقد جاء عيسى بعد آدم وجمهور الانبياء فكيف جاز ان يتوسط لهم في الخلق ؟

قال توسط المسيح للخلق في عالم الملكوت وجاء بعدهم في عالم الناسوت .

فقلت يقولون في محمد أيضاً مثل ذلك وانه تقدم في الخلق على الكل في عالم الملكوت فتوسط لهم ثم جاء في عالم الناسوت بعد الرسل جميعاً

الشر في الأكول أو في آكله

قال . د . (جونس) يتذاكر الناس ان الشيء الفلاني شر والحالة أن الشر من الانسان المستعمل لذلك الشيء لا من نفس ذلك الشيء . مثلا . من أكل شيئاً فأصابه ضرر منه ، تراه يشتكي من ذلك الشيء مع انه لا شر فيه وانما الشر في نفس الآكل لان الانسان هو صاحب الخطيئة لا غيره

فقلت ههنا جهات لفظية يجب ان تنقشع غيومها حتى لا تختلط الحقائق بسببها

قال وما تلك الجهات ؟

قلت تفرقة الشر عن الضرر الذي تتصف به الادوية والاشياء فان الضرر في العرف امر منتزع من خاصية في الشيء تؤثر أثراً يخالف الصحة كالسم أو يخالف الهيئة الاجتماعية كالحسد والظلم ، و . و . ويقابله النفع وهو أمر منتزع من خاصية في الشيء تؤثر أثراً يوافق الصحة كالماء أو يوافق نظام الاجتماع كالعدل والاحسان و. و.

وأما الشر فقد يستعمل ويراد به الضرر وقد يستعمل ويراد منه انسان فاسد الاخلاق وله استعمالات أخر . واني ما عرفت المقصود منه في كلامكم ولذلك ما بادرت الى الحكم عليه بشيء فهل تقصدون من الشر الضرر أو غيره ؟

قال : الضرر

قلت لا يشك احد في ان الاشياء فيها بأنفسها خواص طبيعية تؤثر من ذاتها ضرراً أو نفعاً ، فالنار محرقة ، والشمس مشرقة ، والسم قتال ، والماء رطب ، والزيت دسم ، فهذه الخواص موجودة لهذه الاشياء سواء استعملها احد اولا وسواء تعلقت بجماد أو نبات أو حيوان أو انسان صغير او كبير مخطيء أو مقدس

ثم انكم في طبكم ومطبكم تتذاكرون على الدوام في خواص الاشياء وتسمون منها ضاراً ومنها نافعاً من دون نظرة الى الانسان المستعمل لها

فقال المقصود من الشر الخطيئة {كأنه استدرك}

قلت نعم اذا كان المراد من الشر الخطيئة، لم يكن في العالم شيء ذو خطيئة من الجماد والنبات والحيوان غير الانسان لان الخطيئة تتوقف على عصيان احكام المولى والعصيان فرع ثبوت احكامه وتكاليفه ولا تكليف الا على الانسان القادر فلا يكون لغيره خطيئة . لكنني أذكر منكم كلاماً قد سبق وهو ان الانسان عموماً مقدس بوجود روح القدس فيه فمن اين تكون له خطيئة ؟ (سكوت ساد الجميع)

« رجعة المهدي ونزول عيسى (ع) »

قال د. (جونس) ان الشيعة يعتقدون برجوع المهدي وظهوره وان عيسى {ع} ينزل من السماء ويؤمن به ويصلي خلفه

قلت نعم ولا تختص الشيعة بهذه العقائد فان اكثر المسلمين يعتقدون ذلك ولا يفارقونهم الا في جزئيات وراء ذلك

قال كيف يجوز في العقل رجوعه بعد الف سنة

فقلت مثلكم لا ينبغي أن يسأل هذا السؤال ويطلب تعليل ذلك بالعقل فانكم تعتقدون نزول المسيح {ع} في آخر الزمان بجسده الناسوتي فكيف جاز لديكم ذلك عقلا بعد الفي سنة أو اكثر ؟ قال نعم يجوز ذلك لان المسيح مقدس فلا تؤثر في بدنه عوامل الفساد وغير المقدس لا يكون كذلك

فقلت اسمحوا لي بالاصغاء الى جمل قصيرة

١ـ ان الشيعة أيضاً يدعون العصمة والتقدس في المهدي المنتظر ويحسبونه من الائمة الاثنى عشر {عج}

٢ ـ ان التقدس من الخطايا لا يمنع تأثير العوامل الطبيعية في عالم الكون والفساد ، فان الدين والامور الروحية تتعلق بالعوامل الادبية وتهذيب النفس وهي خاضعة للعوامل الطبيعية ، فيموت الانسان وان كان نبياً مقدساً ويمرض وينعس ويجوع ويعطش ، أفلا تقرأون تاريخ المسيح {ع} وانه كان يصفر لونه من الصيام جوعا وعطشاً ، ويخضر من اكل النبات وغير ذلك واعظم منها انكم تعتقدون قتله بأيدي اليهود بتلك الكيفية الفجيعة ، وتقرأون خبر مقتله {ع} وتبكون على ما اصابه،

وقد اتخذتم الصليب تذكاراً لواقعته فمن جوزتم عليه هذه الانفعالات الجسمانيـة ، وان تقدسه لم يمنع هذه التأثيرات الطبيعية فيه ، كيف تقولون بانه باق وسيعود بجسده الناسوتي من دون ان يخضع جسده للفواعل الكونية ؟

« لست أنا الآن في صدد ابطال هذه القضية، ولكنني اذكرها نقضاً على ما اسلفتموه»

فتناجيا « جونس » و« جورج ويلديل ستانلي» بالانكليزية طويلا

ثم قلت ـ ٣ ـ لو كان تقدس الانسان من الخطأ سبباً لتقدس بدنه عن الفساد وتنزهه من العوامل الطبيعية ، لزم ان لا يتأثر الطفل منها اذ لا خطيئة له ، ولا سيما بعد التعميد الذي يغفر له الخطيئة السارية اليه من آدم (اي على قولهم) مع انا نجد الاطفال أسرع تأثرا بعوامل الفساد

قال ليس الطفل مقدساً لان خطيئة أمه وابيه تسري فيه فيصير خاطئاً

فالتفت اليه حضرة السيد ك . مهدي جمال الدين الهندي « وهو من علماء النجف الاجلاء » وقال له لو أثرت خطيئة الام في الابن لزم على قولك ان يكون المسيح {ع} أيضاً مخطئاً غير مقدس لان أمه السيدة مريم (ع) ليست عندكم بمقدسة فتسري خطيئتها في ابنها عيسى (ع)

ثم قلت للدكتور (جونس) ـ ٤ ـ لو كان تقدس الانسان من الخطايا مانعاً من غلبة النواميس الطبيعية لزم ان لا يفسد شيء من الحيوانات العجم والبهائم لانها لا ترتكب خطيئة ولا تعصي ولا تسري فيها خطيئة آدم (ع) مع انا نراها أخضع لسلطة الطبيعة كونا وفساداً من الانسان :والانسان بقوته العلمية والعملية أقدر على مدافعة المضار من الحيوانات الاخر

قال ان الحيوانات أيضاً في خطيئة لان بعضها يظلم البعض في حوائجه

قلت نفرض حيوانا منفرداً في جزيرة

قال أفيأكل من الاشجار ويقتات النبات أولا ؟

قلت نعم بالضرورة

قال فهو ظالم على النبات وبذلك يصير مخطئاً غير مقدس

قلت أفلم يكن عيسى {ع} يقتات النبات ويأكل مما نأكل مع انه لم يعد ظالما وكان مقدساً بتمام معنى الكلمة ؟

وايضا ماتقولون في النبات ؟ هل يظلم أحداً ويخطىء مع انه يفسد بفواعل الطبيعة ويتغير

قال نعم النبات أيضاً مخطىء

قلت ياسبحان الله ولماذا ؟؟

قال لانه يفيد الحيوان والانسان في المأكل والملبس وغيرهما مع انهما ظالمان خاطئان ومن أفاد خاطئا أو أعان ظالما كان مخطئا غير مقدس

قلت اذن يلزم ان يكون المسيح {ع} مخطئا غير مقدس {والعياذ بالله} لانكم تقولون وتكتبون عنه انه أول من أفاد البشر وآخر من يفيدهم وانه فدى نفسه للناس حتى يغفر الله لهم خطيئاتهم جميعا وتسمونه {الفادي} فهو يفيد {جنس} البشر الظالم الخاطىء أكثر من افادة النبات بما لايقاس ومع ذلك لاتثلمون تقدسه وأعظم منه افادة للناس المولى {س} وهو في منتهى القدس

فجعل .د. {جونس} يناجي البقية بالانكليزية مدة ثم سكتوا وسكتنا طويلا وجرت بعد ذلك بيننا مظاهر الالفة والعطوفة وتفرق الجميع مستأنسين مستبشرين

وذكرت هؤلاء الدكاترة الكرام بالخير والمدح مراراً ، لانهم يبذلون تمام جهدهم في معالجة المرضى والمصابين ولو مجاناً ، ولهم اياد بيضاء في خطتهم ، ولقد شاهدت منهم الاهتمام في أداء وظائفهم وتنبيه الغافلين ، والنصيحة والدعوة الى الديانة المسيحية عند اجتماع المرضى وغيرهم ، حتى انهم كتبوا على جدران المستشفى

« آمن بالرب اليسوع ، ينجيك واهلك من كل سوء »

وقد كانوا دائبين في هذه الوظائف في بغداد منذ سنين طويلة ويباشرون معالجة المرضى بمداواة كاملة . وقد عزموا على شراء جنينة على ضفاف الدجلة بالفي ليرة عثمانية ، ليجعلوها المستشفى الوحيد في القطر العراقي الان الحكومة العثمانية (ادام الله استقلالها) ما نزعت حتى الآن الى قبول ذلك فيسر المولى لطلاب الخير كل عسير ، وقابل أهل المعروف بكل جميل ، وهو الهادي الى سواء السبيل

النجف الاشرف بالعراق   هبة الدين الشهرستاني صاحب مجلة العلم

(المنار) ليتأمل المتصفون مبالغة المسلمين في التساهل والتسامح نهذا عالم من شرفائهم يثني على دعاة النصرانية ويتمنى لهم النجاح ويدعو لهم به وهو يعلم أنهم لايقصدون من التطبيب الا دعوة المسلمين الى دينهم ، ولكنه لايعلم ان بعض قسوسهم صرح ببعض مقاصدهم فقال ان طريق الشيطان لاينقطع الا اذا زال الاسلام من جزيرة العرب!!

المسألة الشرقية

(٦)

﴿ بعض مايجب من العبرة في الحالة الحاضرة ﴾

قد أتى علينا حين من الدهر ونحن في غمة من أمرنا ، وأوربة تتصرف فينا كما يتصرف الاوصياء الخونة في كفالة المعتوهين والقاصرين عن درجة الرشد، لاهمّ لهم الابقاء الحجر عليهم، ليتمتعوا بأموالهم وما ورثوا من آبائهم وأجدادهم

فتنت أوربة ملوكنا وأمراءنا بجميع فتن السياسة، وزينت لهم تقليدها في زخرف مدنيتها ، وأوهمتهم انها تهديهم الى سبيل الرشاد التي يصلون بسلوكها الى ماوصلت هي اليه من المدنية الجميلة التي تدهش الابصار وتفتن الالباب، حتى سلبت ممالكهم، وثلت عروشهم ، فنهم من ذهب من سلطانه العين والاثر ، ومنهم من بقي له الاسم والرسم، دون التصرف والحكم ، ولم يعتبر اللاحق منهم بما حل بالسابق ،وأنى لهم العبرة وهم بين قاصر العقل ،وفاقد الرشد ، وقد عمهم كلهم الجهل ، وحيل بينهم وبين مايجب عليهم من العلم

فتنت أوربة ملوكنا وأمراءنا ، ولم تقصر في فتنة شعوبنا، فقد هاجمتنا بجنود من القسوس والمعلمين، والتجار والسماسرة والمرابين ، والبغايا (المومسات) والقوادين والقوادات ، وأصحاب الملاهي والحانات ، فحاربتنا في عقائدنا الدينية ، وفي مقوماتنا ومشخصاتنا الملية ، وفي آدابنا وعاداتنا القومية ، وفي رزقنا وثروتنا العمومية ، تريد بهذا كله الفتح والاستعمار باسم المدنية

راجت في سوقنا كل هذه الفتن ، فحلت روابطنا ، وأضعفت جامعتنا ، ومزقت نسيج وحدتنا ،واغتالت معظم ثروتنا ، ونحن نتوهم أننا نرقى بذلك أنفسنا ،ويظن الذين تفرنجوا منا أنهم صاروا أرقى من سائرنا عقولا ، وأعلى آدابا ، وأصلح أعمالا، حتى ان بعض أحداث المدارس منهم يرون أنفسهم بتأثير فتنة التفرنج أنهم أرقى من سلفنا الصالح الذين فتحوا الممالك ومصروا الامصار، ودونوا العلوم ، وبنوا لنا ذلك المجد الذي ساعدنا اعداءنا على هدمه منذ قرون ولماينهدم كله ، ألا اننا قوم جاهلون

مخدوعون، نخرّب بيوتنا بأيدينا، وأيدي اولئك الفاتحين الخادعين لنا، ولا ندري ماذا نفعل

كان سفراء أوربا ووكلاؤها، وقسوسها وعلماؤها، وتجارها ومومساتها، هم القواد الفاتحين، والملوك السائدين، الذين ما دخلوا قرية من ممالكنا الا أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، ومن عجائب جهلنا وغفلتنا، أن أمرنا معهم لايزال غمة علينا، ولا نزال نرجو الخير منهم، والترقي بتعلم لغاتهم، واتباع عاداتهم، ماصخت العبر آذاننا، وخطفت أبصارنا، وقرعت أذهاننا، كما فعلت في هذا العام الذي تواطأت فيه أوربة على مرأى منا ومسمع متفقة على ابتلاع الممالك الثلاث التي كانت باقية لنا، وهي الدولة المغربية والدولة الايرانية والدولة العثمانية

بدأت أوربة بالجناحين «ايران ومراكش» فلم تر في المجموع الاسلامي شعور ألم يذكر، ولا حركة دفاع تخشى، فتجرأت على القلب. واذا جاز أن يعيش من قطعت أطرافه كما فعلت أوربة بجسم ملكنا، فهل يجوز أن يعيش الجسم بغير قلب؟ فمتى نفيق؟ ومتى نشعر؟

وصل البغي والعدوان علينا الى هذه الدرجة ولم تزل الغشاوة كلها عن أبصارنا، ولا الرين عن قلوبنا، ولا يزال في آذاننا وقر، وبيننا وبين الحقيقة حجاب، ولاتزال أوربة تنظر الينا نظر الوصي القوي المنة الشديد الطمع الى الغلام السفيه، وهي ترجو أن لاتحمل في الاجهاز علينا كبير عناء ببركة اتحادها وتخاذلنا، وحزمها وتواكلنا، ثم خلابة من ربت لنا من تلاميذها الذين يزينون لنا ان مدنيتنا لاتحقق الا بتقطيع أوصال جامعتنا الملية الاولى، وصيرورة كل عضو منا جسدا كاملا باستقلال كل قطر من أقطارنا بجنسية جديدة، وبراءته من سائر الاقطار، ارضاء لاوربة التي أرشدتنا الى هذه الحياة الجديدة وحببتها الى تلاميذها منا، وبغضت اليهم رابطتنا الملية الاولى لانها من التعصب المذموم في عرف مدنيتها الشريفة المبنية بزعمها على حب الانسانية وارادة الخير لجميع البشر (؟؟)

أفيقوا أفيقوا أيها المساكين المخدوعون، وانظروا الى ماتفعل أوربة بكم، إنها ما قطعتكم أفلاذا لتمدن كل واحدة منكم على حدتها حبا في الانسانية، وانما قطعتكم كما تقطع الحمل المشوي لتأكله لقمة بعد لقمة. لستم بأعلم بحب هؤلاء القوم للانسانية من فيلسوفهم الاكبر، الحكيم هربرت سبنسر، الذي نصح لليابانيين بأن لايتحدوا بقومه الانكليز، ولا يجعلوا لهم موطنا في بلادهم لئلا يفسدوا عليهم أمرهم، ويلتهموا ثروتهم، ويزيلوا ملكهم من الارض، أو يجعلوه أثرا بعد عين، ليس لهم منه الا الاسم،

اعلموا أن أمر أوربة كله في أيدي رجال السياسة ورجال المال، وهؤلاء كلهم من أصحاب الاثرة والبغي، لايعرفون الحق الا للقوة القاهرة، وكل مايتشدقون به، من ألفاظ الانسانية والمدنية والحق والعدل والقانون وما يشاكل هذه الكلمات فهو من خدعة الحرب وغش التجارة، ومن يوجد في أوربة من أهل الفضيلة ومحبي الحق والعدل مخدوعون مثلكم بأكاذيب السياسيين والماليين، ودعاة الدين، الذين ينفرونهم من الشرق والشرقيين، والاسلام والمسلمين، فرجاؤنا في استقلالهم ان ينفعنا قليل، ليس عليه تعويل.

لماذا تقوم قيامة الشعوب الاوربية كلها اذا حارب العثمانيون حكومة من حكومات البلقان المسيحية، أو حاولوا اخماد ثورة كتلك الثورة الارمنية؟ لماذا تستنفر تلك الشعوب حكوماتها على دولتنا، وتساعدها بالمال والتطوع لمحاربتنا؟ ولماذا نراها وادعة ساكنة وقد بغت ايطالية واعتدت علينا، وتنظر بعين الرضا والارتياح الى اسطولها وهو يمطر على ولاية من ولاياتنا قذائفة الجهنمية؟ وهذا مع اجماعها على بغي ايطالية واحتقارها للقوانين ونكثها للعهود الدولية «هذا وما كيف لو» - هذا وما جاءت ايطالية بشبهة من الشبه التي اعتادت أوربة أن تدلي بها الى شعوبها، ليوافقوها على الاعتداء علينا، كانقاذ المسيحيين من تعصب المسلمين، أو منع الثورات، وتأييد عروش الحكومات، فكيف كان يكون تأييدهم لها لو جاءت بمثل ذلك

الا ان الخطب كبير، والبلاء عظيم، وكل ما ظهر من تأثيره فينا، فهو قليل بالنسبة الى ما يراد به منا، ماذا عملنا، جمعنا شيئاً من الاعانة بمصر لانقاذ جيراننا واخواننا أهل طرابلس من براثن الموت صابرة أو صبراء، ولكن المبالغ مادفعه العشرات والمئين من امرائنا وسرواتنا ومثرينا نصف ما دفعه غني واحد من اغنيائنا الذين أفسدهم التفرنج في هذه السنة وحدها لمقامري أوربة ومومساتها؟ ان الجرائد الاوربية التي تصدر عندنا تنفرنا من اعانة دولتنا والعطف عليها وتظهر أنها قد استكبرت منا ما تصدينا له، وهي انما تسخر منا وتستصغر ما تظهر انها تستكبره، وتعرف حقيقة ما تظهر انها تستنكره، وترى كدولها أننا نعمل عمل الصغار، فهي كدولها تعبث بنا كما يعبث الرجال بالاطفال، «فاعتبروا يا أولي الابصار»

ان الامة التي تعرف قيمة الحياة هي التي تحتقر الحياة والمال، في سبيل الشرف والاستقلال، فيجب أن تعرف أوربة منا في مثل هذه الحال أننا أمة واحدة؟

وأننا لا نحمل الضغط الا الى درجة معينة ، وانها اذا تجاوزت بنا تلك الدرجة فانه الا الانفجار، الذي لايعلم عاقبته الاالله الواحد القهار، فلتربع على ظلمها ، ولتقف عند هذا الحد في طمعها ، واذا لم تكف عنا بغي دولة الفوضويين واللصوص فلتتركنا وشأننا معها ، ولا تعارضنا فيما نفعله في بلادنا من ارسال المدد والذخيرة من مصر وعن طريق مصر الى طرابلس الغرب ، ومن معاملة الطليان في بلادنا ، بما يجوز لكل أمة وحكومة منهم أن تفعله في بلادها ، أما اذا كانت ألمانية تمنعنا من مقاطعتهم أو اخراجهم من ديارنا، وانكلترة تمنعنا من ارسال الرجال والذخائر من مصر، فلا تكون ايطالية وحدها هي المحاربة لنا، وانما تحاربنا أوربة بأسرها، وهل لنا ذنب يقتضي كل هذا الا ديننا ؟ فأين التعصب ومن هم المتعصبون ؟ الا تعتبرون أيها الغافلون ؟

أظهرت ايطالية من الجبن شجاعة، ومن العجز قوة ، وبغت وتكبرت في انذارها لدولتنا، وانما جرأها على ذلك علمها بأن دول أوربة الكبرى كلها معها، واعتقادها أنها تنصرها أولا وآخرا عملا بقاعدة « ما أخذه الصليب من الهلال لا يعود الى الهلال ، وما أخذه الهلال من الصليب، يجب أن يعود الى الصليب »

ولاجل هذه القاعدة قالت انها لا تقبل مناقشة ولا مذاكرة في مسألة طرابلس الا بعد احتلال عسكرها فيها ؟ ونتيجة القياس المنطقي الذي يتألف من هذه القاعدة ومن استحلال أوربة واقدامها على مثل هذا التعدي انه يجب أن لا يبقى للهلال ملك في الارض

ان ايطالية لم تحتقرنا بجمع قوتها البحرية والبرية وهجومها بها على طرابلس العزلاء الخالية من الحامية والاستعداد ، بل احتقرت نفسها والدول المساعدة لها ، وأقامت الحجة على أنه لا قيمة للحق ولا للفضيلة ولا للانسانية عندها ، وانما تحتقرنا هي وحليفتها ألمانية بمساومتنا في بيع شرفنا وديننا بثمن بخس تعرضه على دولتنا ، لتقر ايطالية الباغية على بغيها ، وتجعل طرابلس ملكا شرعيا لها ، ولعل عاهل ألمانية صديق السلطان والدولة والمسلمين (؟؟) لا يجهل ان نصيحته هذه تكون أشأم على الدولة من زيارته لطنجة واظهاره الميل والمساعدة لسلطان مراكش، لعله يعلم ان العمل بنصيحته يسخط العالم الاسلامي كله على (صديقه) الدولة ويثير عليها رعيتها ، واذا ترتب على ذلك (لا سمح الله ان يكون) هلاكها تكتفي أوربة أمرها ، وتسلم من تبعتها أمام العالم الاسلامي

ألا فيعلم الامبراطور العظيم، وحليفه الملك المتعظم، ان الدولة العثمانية ليست الآن

في يد عبد الحميد فينالا منه ما أراد ، ولا بيد تلك الزعنفة التي خدعتهم ألمانية بمكر يهودها الصهيونيين ، وانما أمرها الى مجلس كبير لا يبيع دينه وشرفه بمال اليهود ولا يخدع بمكرهم ، وقد انكشف له الستار عن كنه صداقة ألمانية لنا التي جرت علينا كل هذا البلاء ، فان استطاع مجلسنا أن يؤلف وزارة تقدر أن تقنع انكلترة وصديقتيها بذلك ويكف بغي دول التحالف الثلاثي عنا فذاك ما نحب من السلم والحق، والا فالرأي ما بيناه من قبل ، ورأينا كل من نعرف من المسلمين متفقين معنا عليه ، وهو أن نحب الموت في سبيل حفظ ما هو لنا، أكثر مما يحبه غيرنا في سلب ما ليس له ، وحينئذ اما نبقى أصحاب دولة وشرف، واما أن نموت كما يموت الكرام ، بعد ان نميت أضعافنا من أعدائنا البغاة

ايها المبعوثون المخلصون إنكم تعلمون ان بيع طرابلس بيع للدولة كلها وقضاء عليها ، فاذا عجزتم عن انقاذها ولم تجدوا من أوربة مساعدا فاعلموا انه ليس بعد اليوم كوفة ، فادفعونا الى عمل اليائس من الحياة ووزعوا كل ما عند الدولة من السلاح علينا ، واطردوا جميع أعدائنا من بلادنا ، وتعرضوا لجهر أوربة كلها بمحاربتنا ، فذلك أشرف لنا من اسرارها لذلك ، وربما كان خيرا وأبقى ٢٣ شوال

(٧)

﴿ اماني ايطالية وظنونها في مسألة طرابلس الغرب ﴾

صرح علماء الحرب الذين عرفوا طرابلس الغرب من ألمانيين وغيرهم انه ليس في استطاعة ايطالية ان تجاوز سواحلها وتتوغل في داخليتها بالقوة العسكرية لاسباب متعددة (منها) شجاعة عرب هذه الولاية الخارقة للعادة وتصديهم للحرب والكفاح من سن البلوغ الى سن الشيخوخة مع وفرة السلاح عندهم وتمرنهم على استعماله وبراعتهم فيه ، وكراهتهم لسلطة الاجنبي المخالف لهم في الدين والجنس والعادات واللغة

(ومنها) ان العسكر الاوربي اذا تجاوز الساحل دخل في صحاري رملية وعثاء يعوزه فيها الماء ، وما ثم الا آبار قليلة ماؤها خجرير (ثقيل)، لايعرف مواقعها الا الوطني الخرّيت . وقد يطمونها ويطمسون معالمها فلا يهتدي اليها غيرهم، على ان ماءها يؤذي الاوربي ولا يؤذيهم

(ومنها) قلة الزاد فليس هناك أسواق ولا اهراء يأخذ منها الجند الاوربي

ما اعتاد التغذي به من الخبز والبطاطس والحبوب والخضر واللحم والخمر. وأما العربي الوطني فهو يكتفي من الزاد في يومه بكسرة من الخبز، او قبضة من الشعير أو التمر . ويحارب على ذلك طول العمر .

(ومنها) ان عرب البلاد يستمدون ممن وراءهم من البلاد السودانية وكلها اسلامية تمدهم وتساعدهم على جهاد عدوهم الذي فرض الله عليهم قتاله بعد تعديه عليهم ، ولا سيما اذا استنجدهم السنوسيون وعرفوهم ان الجهاد يكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا دخل الكفار بلاد المسلمين محاربين فاتحين

ولا يعقل ان تجهل ايطالية من حالة هذه البلاد ماعرفه الالمان والانكليز فانها منذ عشرات السنين تمهد السبيل لامتلاكها، وفيها كثير من تجارها وعلمائها، وكم أرسلت اليها من الضباط للوقوف على شؤونها الحربية ، فلماذا أقدمت الان على فعلتها الشنعاء، بهذه الصورة الشوهاء ؟ أفلم تحسب لتلك الاسباب حسابا، أم ترضى من الغنيمة باحتلال السواحل وجعل الاسطول امامها يحميها الى ماشاء الله ، أم لها في ذلك رأي آخر رازه ساستها ، واعتمد عليه قادتها ؟

اقوال حكومة ايطالية وجرائدها تدل على انها تعتقد أن أهالي طرابلس لايحاربونها حربا ذات بال يخشى ان يطول أمرها ، ويتفاقم شرها ، وقد استنبطنا من هذه الاقوال ومما نعرف من سعيها ودسائسها في طرابلس انها تبني اعتقادها هذا على عدة دعائم

(١) مابذلته من المال والدسائس لاستمالة شيوخ العرب وزعمائهم اليها وتنفيرهم من الترك ، ولاستمالة الشيخ السيد السنوسي واقناعه بان ايطالية محبة له وللاسلام والمسلمين !! وقد اتعبتها الوسائل حتى استطاعت ارسال هدية الى الشيخ السنوسي واقنعته بقبولها بسعي أحد التجار المسلمين بمصر بعد ما اخفق سعي جاسوس وكالتها السياسية هنا في ذلك

ونحن نرى ان هذه الدعامة متداعية لا تمسك هذا البناء، فهدية ملك ايطالية الى الشيخ السنوسي لم تفد ذلك الملك أدنى ميل من السنوسي اليه ولا الى دولته ، وكل ما بذل لمشايخ العربان يمكن ان يهدم بكلمة واحدة تلقى اليهم وتذاع بينهم ، وهي ان هؤلاء الايطاليين يريدون ازالة حكم القرآن من هذه البلاد واخضاع المسلمين لاحكامهم وازالة سلطانهم، والتمهيد بذلك لاذلال دولة الخلافة ومحوها من الارض،

(٢) مخادعة العرب وغشهم بايهامهم انها تريد أن تجعل حكمهم لشيوخهم وزعمائهم تحت حمايتها وانها تحترم شعائر دينهم وتمكنهم من اقامته والعمل به كما يشاؤن ، وقد

اوصت الحكومة الايطالية جيشها الذي أرسلته لاحتلال هذه البلاد بأن يحترم المساجد وكل ما هو ديني وان يلفوا مشايخ العرب وسائر الاهالي نحو ما شرحناه من الخداع، ويقيس الايطاليون مسلمي طرابلس على غيرها من المسلمين الذين خدعوا من قبل بمثل هذه الوعود حتى اذا تمكن نفوذ الاجنبي فيهم هدم اكثر مساجدهم ، واغتصب جميع أوقافهم ، ومنعهم من تعلم أحكام دينهم، وانما يأذن ببعضها دون بعض وضيق عليهم الخناق لاجل أن يتركوا أحكامهم في النكاح والطلاق والميراث ، وبث فيهم دعاة دينه يفترون على الاسلام وينفرون عنه ، هذا ولا يجعل لاحد منهم أدنى سلطة في حكومة بلاده ، وشبهته ان هذه حكومة مدنية وان المسلمين جاهلون متوحشون لايصلحون لادارة الاحكام واقامة العدل فيها ما داموا كذلك

وهذه الدعامة أوهى من تلك فان في طرابلس على غلبة الجهل عليها كثيرا من العلماء ومشايخ السنوسيين يعرفون حقيقة ما عليه كثير من اخوانهم المسلمين الذين سقطوا تحت سلطة الدول الاوربية التي هي أقرب الى الحرية والعلم والمدنية والشرف من ايطالية الماكرة الغادرة المجاهرة بالبغي عليهم وعلى دولتهم ، وما هم عليه من الذل والفقر والجهل والحرمان من الحرية والمدنية ، ويعلمون ان تلك الدول لم تف لهم عهدا ، ولم تصدقهم وعدا ، وانها لا ترقيهم، ولا تمكنهم من ترقية أنفسهم ، وقد يوجد الآن من يبلغهم أن البلاء المبين الذي تدخره ايطالية لهم، هو اضعاف ما يشكونه غيرهم من المسلمين الذين يعرفون أخبارهم، وغيرهم ممن لا يكادون يعرفون عنهم شيئاً ، وأين المدنية التي أقامت أركانها ايطالية في الارتيره ؟ وكيف واكثر بلادها الجنوبية نفسها في قارة أوربة (المقدسة) محرومة من المدنية والعمران، يفر أهلها منها الى اميركة وغيرها من البلاد كما يفر الموسوس من الارض الموبوءة ،

(٣) بثها في هذه الولاية وسوسة الجنسية العربية والتنفير من الترك بأنهم أهل ظلم وجور يبغضون العرب ولا يعرفون لهم حقهم ولا مايوجبه الاسلام لهم . وقد كادت تقوى هذه الفتنة في طرابلس الغرب وفي غيرها من البلاد بسوء ذكرى الحكام المستبدين في العصر الماضي وبما ذاع من أمر السياسة الجنسية السوءى التي بها عرف زعماء جمعية الاتحاد والترقي في الثلاث السنين الماضية ، وحذرناهم من سوء عاقبتها، وانذارهم خطر مغبتها ، فماروا بالنذر، وأقدموا على ما أقدموا عليه من الاقوال والاعمال

السياسية والحرية، وهذه التفرقة الجنسية بين المسلمين وتقطيعهم أمماً مختلفة في الوطن أو اللغة هي أقتل آلات الفتك التي حاربتهم بها أوربة باعانة تلاميذها المتفرنجين الذين لا يزالون يبالغون مالا يبالغ الافرنج في التنفير من الرابطة الاسلامية والجامعة الدينية

كنت أخشى أن تكون هذه الدعامة أقوى الدعائم التي تمهد لأوربة تقطيع أوصال الدولة العلية وجعل كل اقليم من مملكتها يغلب فيه جنس من الاجناس مملكة مستقلة بالاسم تحت حماية دولة أوروبية قوية لا يتمتع تحت حمايتها من سلطة بلاده الا بالاسم فقط. كنت أخشى هذا وهو الذي كان يمكن لايطالية فيه أن تزيل سلطة الدولة العلية من طرابلس بمعونة أهل طرابلس أنفسهم. ولكنني أحمد الله ان استعجلت أوربة باستيفاء جميع غلة هذه الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن (شجرة عصبية الجنسية) فكانت ايطالية هي السبب في اجتثاثها من طرابلس قبل رسوخ جذورها فيها.

نزعة الجنسية الشيطانية لم تنتشر كثيراً في طرابلس لانه قلما يوجد فيها من قرأ جريدة عبيدالله التي سماها (العرب) وجريدة (طنين) وأمثالهما فلا تزال الرابطة الاسلامية هي الحاكمة على قلوبهم. وما وصل اليهم من جواسيس ايطالية ضعيف. ويوجد فيهم من يرشدهم الى أن الترك اخوتهم في الاسلام، وان كل الظلم الذي عرفوه منهم سببه الجهل بأحكام الدين وبالمصلحة العامة، وأنهم كانوا يظلمون في بلادهم كما يظلمون في البلاد العربية ونحوها، وان الدولة دخلت الآن في طور جديد يرجى أن يصلح به حال الجميع، ولكن أعداءها وأعداء الاسلام يريدون أن يقضوا عليها قبل اصلاح شأنها لانهم يكرهون صلاح الشرقيين عامة والمسلمين خاصة، ويريدون أن يظلوا ضعفاء فقراء ليكونوا خدما بل عبيداً لاوربة

إن ايطالية لم تجتث شجرة عصبية الجنسية من طرابلس الغرب فقط بل هي قد زعزعت هذه الشجرة الخبيثة في سائر البلاد الاسلامية بهذا البغي والطغيان، وتبع ذلك رسوخ شجرة الرابطة الاسلامية الطيبة وتشعب أفنانها في مصر وتونس والجزائر واليمن وسورية والاناطول والارنؤط وبلاد التتار وايران والهند. كان يقول القائل ويكتب الكاتب في الجنسية المصرية وانفصالها من الجنسية التركية أو العثمانية واستقلال أهلها دون اخوانهم العثمانيين وغيرهم وتفضيل القبط عليهم فلا يلقى الا التحبيذ والتصفيق، فنبه هذا العدوان الذي أصفقت عليه أوروبة مسلمي مصر الى أنهم مسلمون قبل كل شيء، فمن عرض الآن بصرف المصري عن الاتحاد بالعثماني

ومساعدته بماله ونفسه، وعن اعتقاد كون مصلحته عين مصلحته، وحياته مرتبطة بحياته، لا يلقى الا اللعن والتحقير، من الكبير والصغير، الا أفراد من غلاة التفرنج أو من المنافقين

تبين بهذا فساد ما كانت تظنه ايطالية - من أن عرب طرابلس لا يقاتلونها قتالا شديداً يطول أمره - بضعف الدعائم التي بنته عليها، وكانت ترى أن الامر ينحصر في مقاومة الجند النظامي، وقد مهدت السبيل الى جعل هذه المقاومة لا تأثير لها باستعمال حقي باشا وغيره من أنصاره كما تستعمل الآلات التي تمهد بها الطرق التي تمشي عليها، أولئك الانصار الذين يبخلون بالمال أن ينفق على مثل طرابلس لحمايتها أو لترقيتها، ولكنهم لا يبخلون به أن ينفق على محاربة الدولة لأبنائها واخوتها كما فعلوا في اليمن وغيرها لغير سبب موجب وغير نتيجة صالحة

أهمل تحصين طرابلس وفرق شمل الألايات الحميدية الاهلية التي كانت مرابطة فيها، ولم يوضع فيها من الجند الا ما قد يحتاج اليه لاجل تحصيل العشور والضرائب وحفظ هيبة الحكومة في نفوس الاهالي، وما كان هذا وحده هو الذي أطمع ايطالية وجرأها على مهاجمة البلاد وانزال عساكرها فيها، وانذار الدولة صاحبة البلاد بأنها تريد ضمها الى املاكها، وطلب إقرارها اياها على ذلك بالتهديد والوعيد

نعم ماكان المجرىء لايطالية على فعلها هو خلو البلاد من الحصون المنيعة والحامية الكافية، ولا الظن بأن مدافعة العرب لا تكون شديدة طويلة، ولا مشايعة أوروبة لها في الباطن، فأن أوربة وان سكتت لها على عملها ولم تعارضها فيه، لا يمكن أن تعترف لها به رسمياً، وتعدها به صاحبة البلاد الشرعية، اذ لا يعقل أن تنحط جميع الدول الكبرى أمام شعوبها الحق بصفة رسمية الى هذه الدركة السافلة، وفرق عظيم بين السكوت للمبطل على باطله، وبين الاجماع على تسمية باطله حقاً بالتصريح الرسمي. واذا لم تعترف الدول لها بامتلاكها لتلك البلاد بمثل هذا البغي والعدوان يكون للدولة صاحبة البلاد الرسمية أن تطالب بحقها بالقوة الحربية أو بغيرها في كل وقت، وتكون الباغية في مركز حرج في جميع تصرفاتها

ايطالية تعلم هذا وتعلم انه اذا تيسر لها احتلال ما وراء الثغور البحرية من البلاد في زمن قريب أو بعيد بعد خسارة كبيرة أو صغيرة فانه لا يتيسر لها أن تسوسها وتدبر شؤونها وتكون آمنة مطمئنة فيها تأتيها المكاسب رغدا من كل مكان - وهي ليس لها صفة رسمية فيها - تلك أمنية لا ينالها الغاصب لأرض يعلم هو وأهله وجيرانه

والعاملون في الارض وجميع من يريد معاملتهم فيها انه غاصب ناهب ، وان تصرفاته غير شرعية ، ويخشى في كل وقت أن تعصف ريح الحق فتزلزله أو تزيله منها ، فاذا أعدت ايطالية لذلك ؟ وماهي الوسيلة التي تتوسل بها لحمل الدولة العلية على إقرارها على عملها وجعل مقامها في طرابلس جائزا في قانون حقوق الدول ؟ ولا تكون اللقمة سائغة هنيئة بل لايسهل ازدرادها بدون ذلك ؟

يمكننا أن نستنبط جواب هذا السؤال العويص من فحوى الاقوال ، ومن قرائن الاحوال ، ومن الوقوف على بعض مخبآت السياسة ، ومذاهب الزعماء وأهل الرياسة، وهو أن ايطالية ترى انها اذا احتلت طرابلس بالفعل فان حمل الدولة العثمانية على اقرارها على الاحتلال أمر يسير غير عسير لاربعة أسباب (أحدها) علمها بأنه لا يمكنها اخراجها بالقوة لضعف أسطولها ومنع انكلترة لها من ارسال جندها بطريق مصر (ثانيها) علمها بأن أوروبة لا تكره ايطالية على الخروج عملا بقاعدة « ما أخذه الصايب من الهلال لا يعود الى الهلال » (ثالثها) ان بعض اصحاب النفوذ من المتفرنجين العثمانيين يرون مثل هذا الولاية من الاطراف البعيدة عن كرسي السلطنة لا تستحق أن ينفق عليها شيء من المال لاجل حمايتها أو ترقيتها ، وأنه اذا أمكن الاستعاضة عنها بمال ينفق في العاصمة وما يليها يكون أولى ، وان بيع طرابلس الغرب اسهل وأولى من بيع البوسنة والهرسك (رابعها) مساعدة الحزب الالماني في الدولة على ذلك . ونفوذ هذا الحزب في جمعية الاتحاد والترقي وفي ضباط الجيش العثماني عظيم ومن رجاله المؤثرين دهاقين اليهودية في سلانيك والاستانة وأبناء عمهم من الصابئين . هذه هي آراء ايطالية أو أمانيها

أما الصورة التي رسمتها بارشاد حليفتها ألمانية لتنفيذ ذلك فهي - على ما ظهر لنا - ان ايطالية تدعي بعد احتلال طرابلس انها تريد جعلها ملكا خالصاً لهـا ، وتنذر الدولة العثمانية بطاشتها الـكبرى اذ لم تقرّها على ذلك، بأن تأذن لاسطولها بضرب ما شاء من موانيها وجزرها واحتلال ما شاء منها، فعند ذلك تنبري ألمانية للصلح باسم الصداقة والمحبة الخاصة لهذه الدولة ولجميع العثمانيين والمسلمين لاجلها كما قيل «لاجل عين ألف عين تكرم » وتخدمها كما خدمتها في مسألة بيع البوسنه لحليفتها الاخرى (النمسة) فتأخذ لها مبلغا من المال وتحمل ايطالية على الاعتراف بسيادة السلطان الاسمية على طرابلس

نعم تدعي ايطالية أنها لا ترضى بأن يبقى للسيادة العثمانية هنالك اسم ولا رسم

وهذا تمويه تمهد به السبيل لارضاء العثمانيين باسم السيادة ليقال إن ايطالية تنازلت عن بعض مطالبها في الصلح اكراما لحليفتها (ألمانية) وحبا في السلام !! لانهم مع كل هذا العدوان والطغيان لا يستحيون من ادعاء حب السلام وكراهة الحرب

ربما يكون قد بدا لايطالية ما لم تكن تحتسب في هذه الاسباب الاربعة ، كما بدا لها مالم تكن تحتسب في تلك الدعائم الثلاث ، فخاب من ظنها في الترك مثل ما خاب ظنها في العرب ، وربما كان اعتمادها الظاهر على نفوذ ألمانية في الدولة هو الذي يزلزل هذا النفوذ منها أو ينسفه في اليم نسفا ، ولم يبق في هذه المقالة مجال للاطالة في هذه المسألة ، ولكن لا بد من ختمها ببيان كون ايطالية لا تريد أن تزيل اسم السيادة العثمانية كما تزيل جميع رسومها ولاسيما اذا كان بغير اقرار الدولة العثمانية ورضاها:

تعلمت أوروبة من انكلترة داهية الاستعمار وفيلسوفته ان حكم الشعوب ولاسيما الاسلامية منها باسم الحماية أو الاحتلال المؤقت أو غير المؤقت وادارة بلادها بواسطة رجال من افرادها ، هو أسلس قيادا، وأسهل طريقا ، وأسلم عاقبة وأخف تبعة، وأفعل في تخدير الشعور ، واطمئنان القلوب ، وصرف العقل عن استنباط الحيل للمقاومة والخروج ، ولهذا تريد أن تسوس فرنسة المغرب الاقصى كما تسوس دابة تونس السلسة المذللة، لا كما تسوس دابة الجزائر الجموح الصعبة .

لم تدخل أوروبة بلادا شرقية أوسع علما ومدنية من مصر ومع هذا ترى ايطالية ان أحزاب مصر السياسية لا يشكون من الانكليز المتصرفين في كل شيء عشر معشار ما يشكون من الحكام الوطنيين في جميع الاعمال ، فالانكليز يعملون والتبعة واللائمة على غيرهم فيما ينتقد ، والعالم كله ينسب اليهم كل ما يستحسن ، ولم يضر مصالحهم اعترافهم بسيادة الدولة العثمانية على البلاد بل هو نافع لهم ، ومضعف للنفور منهم ،

بعد كتابة ما تقدم بشرتنا أنباء الاستانة بان الوزارة قد ابرمت العزم على مقاومة ايطالية وعدم الجنوح لسلم يضيع به شيء من البلاد ، وصلح يذهب به شرف الامة والدولة ، وان مجلس المبعوثين أيد الوزارة بناء على عزمها هذا . فحمدنا الله تعالى أن حقق رجاءنا في دولتنا وحكومتنا ، وخيب ظنون الدولة البـاغية علينا ، وسوف على الباغي تدور الدوائر

وهنا نصرح لحكومتنا العلية بما وصل اليه علمنا واختبارنا وهو أن بيع طرابلس لايطالية المهينة لنا ، التي عجزت عن حرب الحبشة من قبلنا ، يعد بمثابة انتحار الدولة (حماها الله تعالى) سواء كان استيلاء هذه الباغية على طرابلس باسم الاحتلال أو

باسم آخر ، نعم إنه انحار لانه يسقط قيمة الدولة ونفوذها وقيمتها الدينية والسياسية من نفوس رعيتها ومن نفوس جميع المسلمين ، بل يخشى أن تكون عاقبته شرا من ذلك ، أعز الله الدولة ووفقها لما فيه قوتها وشرفها دائمين ما دامت السموات والارض. في آخر شوال سنة ١٣٢٩ (للمقالات بقية)

منشورات ايطالية الخداعية

﴿ في طرابلس الغرب ﴾

وزعت إيطالية في طرابلس الغرب بعد احتلالها عدة منشورات تخادع بها العرب هنالك ، ومنها ماألقي من الطيارات والمناطية في المعسكرات. وهم يظنون انهم يخاطبون أطفالا يصدقون كل مايسمعون ، ونحن ننشر أهم هذه المنشورات لاجل الاعتبار بها في الحال والاستقبال

﴿ منشور قائد جيش الاحتلال الايطالي ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصلاة والسلام على كافة الانبياء المرسلين صلى الله عليهم وسلم أجمعين)

بأمر ملك ايطاليا المعظم فكتور عمنويل الثالث نصره الله وزاد مجده

أنا الجنرال كارلوس كانيفا قائد العساكر الايطالية الموكل اليها محو الحكومة التركية في طرابلس وبرقة والمقاطعات التابعة لها فبناءاً عليه أعلن الشعوب جميعهم القاطنين في المقاطعات المنوه عنها من شاطىء البحر الى آخر الحدود الداخلية الذين يملكون بيوتا في المدن وبساتين وحقولا ومراعي حول المدن نفسها أو بعيداً عنها مايلي

ان العساكر الخاضعة لامري لم يرسلها جلالة ملك ايطاليا حماه الله لاضعاف واستعباد سكان طرابلس وبرقه والفزان والبلاد الاخرى التابعة لها التي توجد الآن تحت سيادة الاتراك بل لتعيد اليهم حقوقهم وتقتص من المعتدين عليهم وتجعلهم أحرارا

يحكمون أنفسهم وتحميهم من كل من يعتدي عليهم سواء كان من الاتراك أو أي شخص كان يريد استرقاقهم

وعليه فأنتم ياسكان طرابلس وبرقة والفزان والبلاد الاخرى التابعة لها من الآن سيحكمكم رؤساء منكم موكل اليهم أن يقضوا بينكم بالعدل والرأفة عملا بقوله تعالى « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وستكون هذه الاحكام تحت حماية ورعاية ملك ايطاليا السامي حرسه الله

واعلموا أن ستبقى الشرائع الدينية والمدنية محترمة وتحترم الاشخاص والاملاك والنساء والحقوق وجميع الامتيازات المختصة باماكن العبادة والبر لان غاية أعمال الرؤساء يجب أن تكون واحدة وهي تحسين حالتكم والعمل على استتباب راحتكم ويجب أن يكون ذلك مطابقاً للشريعة الغراء والسنة المحمدية السمحاء وسيقضي بينكم بالعدل طبقاً للشريعة وحسب أوامرها بواسطة قضاة قد اشتهروا بتفقههم في الشرع ذوي استقامة وسيرة حميدة كما أنه لاتغض الطرف عمن يظلم من الرؤساء ولا تغتفر غشا أو خداعاً من أحد القضاة فالكتاب والشريعة والسنة فقط تقضي وتحكم عليكم

واعلموا جيداً أنه لا تؤخذ منكم ضرائب لتصرف خارجا عن بلادكم والضرائب التي توجد الآن عليكم ننظر فيها وتنقص أو تلغى كما يقتضي العدل

واعلموا جيداً أنه لا يدعى أحد منكم للخدمة العسكرية بالرغم عن ارادته وفقط يقبل بها أولئك الذين يرغبون الانضمام تحت اللواء الطلياني باختيارهم لاجل حماية النفوس والأملاك ولكي يتكفلوا للبلاد السلم والنجاح وأما الآخرون فيقمون في بيوتهم منعكفين على العمل في الحقول ورعاية المواشي أو معاطاة التجارة والصناعة والحرف الضرورية لقيام الحياة المدنية

وعلى هذا فكل امرىء يمكنه أن يقيم الصلاة في معبده (جامعه) حسب تعاليم دينه ويلزمكم أن تتضرعوا لله عز وجل أن يرفع مجد الشعب الايطالي ومجد ملكه لانه أخذكم تحت ظل حمايته

والايطاليون يرومون أن يكون اسمهم مهاباً من جميع أعدائكم وأما منكم فقط فيكون محبوباً ومباركاً

وبناءاً عليه وحسبما خولني جلالة ملك ايطاليا العادل المنصور وحكومته أعلنتكم بما تقدم وسيجري مفعوله من هذا اليوم من شهر شوال سنة ١٣٢٩ هجرية ليبتى

كأساس للعلاقات المستقبلة التي ستوجد بين الحامية والمحتمين وبين الايطالي وسكان هذه البلاد واني واثق بأنكم تقبلون هذا المنشور بسرور قلبي لانه سيكون قانوناً يجب أن يحفظ بامانة واستقامة ضمير وشهامة من كلا الطرفين

واذا وجد من لايحترم الشرائع ولا يعتبر الاشخاص أو يمس حرمة النساء أو يخرق حرمة الملك أو يقاوم أو يثور على ارادة العناية الالهية التي أرسلت ايطاليا الى هذه البلاد وباسمها صدرت لي هذه الاوامر وقبلتها ممن يملك حق الامر فسيكون الانتقام منه عظيما وسأحافظ على تنفيذها بالقوة الموكلة لعهدتي نبراس العدل والحق

فياسكان طرابلس وبرقة والمقاطعات التابعة لها اذكروا أن الله قد قال في كتابه العزيز « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » وقد جاء أيضاً « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وجاء أيضاً « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » أي الذين يصلحون الارض ويمنعوا (كذا) منها الفساد وينشروا (كذا) فيها العدل والعمران وجاء أيضاً « وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم » أي ان تفسدوا في الارض اذ توليتم أمور الناس وتقاتلوا بعضكم بعضاً ان الذين يفعلون ذلك يلعنهم الله ويصمهم ويعمي أبصارهم ويستبدلهم بغيرهم . وجاء أيضاً « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » وجاء أيضاً « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » فارادة الله ومشيئته سبحانه وتعالى قضتا أن تحتل ايطاليا هذه البلاد لانه لا يجري في ملكه الا ما يريد فهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير، فمن أراد أن يظهر في الكون غير ما أظهر مالك الملك رب العالمين المنفرد بتصرفاته في ملكه الذي لاشريك له فيه فقد جمع الجهل بأنواعه وكان من المعتدين . وبناءً عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى ويسلم بما تعلقت به الارادة الربانية وأبرزته القدرة الالهية فالملك له سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء

فايطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها المعظم ويخفق فوقها العلم المثلث الالوان « أبيض وأحمر وأخضر » اشارة الى المحبة والايمان والعشم في وجه الله اهـ بحروفه

(المنار) لايسخر الاجانب من المسلمين بمثل هذا المنشور الا بمعونة المنافقين منهم فهذا المنشور كتبه لايطالية أحد أصحاب العمائم بمصر، وهل يستغرب هذا

ممن يرى المسجد الذي بناه صاحب العمامة الكبيرة ابن الشيخ عليش الكبير باسم ملك إيطالية السابق (امبرتو) والد ملكها الباغي المعتدي على طرابلس وبرقة ليصلى فيه على روحه !! فهذا حظ هؤلاء المنافقين من القرآن : يحرمون على المسلمين ان يهتدوا به لأن الاهتداء به من الاجتهاد الممنوع او المقفل بابه على زعمهم ولكنهم يحرفونه على معانيه ليضلوا به المسلمين ويفسدوا عليهم أمر دينهم ودنياهم حتى صار بعضهم آلة للاجانب في ازالة حكم المسلمين من الارض، وقيل ان بعض هذه المنشورات كتب أو وزع برأي ومساعدة حسونة باشا القرامنلي الذي وعدته إيطالية بجعله والياً لطرابلس

أورد هذا المنافق ـ الذي استعمل القرآن في خدمة الصليب وتحويل مملكة اسلامية الى دولة نصرانية ـ قوله تعالى « لاينهاكم الله » الخ يريد به ان إيطالية لم تقاتل أهل طرابلس في دينهم ولم تخرجهم من ديارهم !! فكيف يقبلون تحريفه والمدافع تدمر ديارهم وقد خرج الكثيرون منها وسيرون ماهو أشد من ذلك، والظاهر أن إيطالية لما كلفت المنافق كتابة المنشور كانت تظن أنها تأخذ طرابلس غنيمة باردة من غير قتال ، ثم أعطوه لقائدهم فوزعه بعد الشروع في تدمير البلاد ، وقتل من فيها حتى النساء والاولاد ، وهو لا يعلم مافيه .

وأورد المنافق الآية التي جعلها شهادة لايطالية بالصلاح الذي تستحق به ارث البلاد، وقد شهد عليها حتى أهل دينها وجنسها بالفساد والافساد ، وأورد آية « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » وايطالية قد بغت بالحرب ، ولا تريد من السلم الا أن يكون المسلمون عبيدا لها في تلك الارض ، فهل معنى السلم الذي أمر به القرآن أن نحكم غيرنا في رقابنا ونملكهم أرضنا وديارنا وأموالنا ؟ وأورد آية ايتاء الملك ونزعه بمشيئة الله ليستدل بها على انه يجب على المسلمين أن يقبلوا الذل وسيف الاجنبي لانه بمشيئة الله !! فهل يقول ذلك المنافق ان دفاعهم عن أنفسهم وبلادهم ، وقيامهم في ذلك بما أمرهم به دينهم ، يكون ارغاما للمشيئة وخروجا من سلطانها ؟ أليس ـ ذلك وقد وقع ـ بمشيئة الله تعالى ؟ وأورد آية « ومن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الظالمون » فليطبق لنا قانون ايطالية على كتاب الله !!! وأورد آية « وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم » وهي أدل الآيات على جهله وفضيحته في التحريف بوضع الشيء موضع نقيضه فان المعنى إننا إذا تولينا عن إنفاق أموالنا على الجهاد في سبيل الله يستبدل الله بنا غيرنا ، وهو يجعل دليل الجهاد دليلا على تركه !! ـ الى هذا الحد وصل الاجانب والمنافقون من السخرية بالمسلمين والعبث بدينهم وأمرهم

﴿ منشور بورياريجي الذي جعلته ايطاليا والياً لطرابلس ﴾

يأيها الاهالي الكرام

لايخفاكم انه لما كانت الحكومة العثمانية المنقرضة من هذه الديار توسلت بجميع الوسائط لاجل تأخير جميع مصالح دولة ايطاليا وعكس كل مشروع لها تجاريا كان أم اقتصادياً في هذه البلاد

ولما كان كل مابذلناه من السعي والجد مع الحكومة المذكورة عدة سنين للحصول على صورة اتفاق يؤلف الاختلاف بين الطرفين لاجل تأمين منافع الدولة الايطالية وفوائدها في هذه الاقطار حبط وذهب جفاء وسدى فقد اتيناكم رغماً عما كنانوينا‌ه بصورة الاحتلال لاجل توطين لافقط منافعنا بل ومنافعكم أيضاً وعليه فاننا من هذا اليوم تقلدنا باسم ذي الشوكة ملك ايطاليا الاعظم ولاية هذه البلاد لاجل ادارة أمورها الملكية والعسكرية معاً وناهيكم ايها الاهالي العزاز ان جل مرامنا أن نؤكد لكم كل التأكيد ونؤيد لكم أي تأييد أننا سنعتني أي اعتناء بكل مايؤول الى المحافظة على دينكم . وسنتخذ جميع الوسائط للذب والمحاماة عنه فكونوا من هذه الجهة مطمئنين خالي البال آمنين، واعلموا ان محاكمكم الشرعية ثابتة كما في السابق بأعظم مايمكن من الحرمة والرعاية لها وان أحكامها جارية كالاول واننا نتعهد بانفاذ الاحكام عند الحاجة (ليتأمل هذا القيد) وكذلك جميع أموال الوقف ثابتة كما كان جارياً في السابق تحت ادارة الاوقاف بدون أدنى مداخلة من طرف الحكومة الايطالية في شؤونها الاعلى طريق النصيحة العائدة لتثبيتها وتنميتها ونجاحها وترقيها (أي في أيدي الايطاليين) ثم اننا نتعهد لكم تعهداً قوياً بصرف عنايتنا وإفراغ جدنا وجهدنا لاجل صيانة العرض والناموس في هذه الديار واجراء تمام الحرمة والرعاية من هذه الجهة فان عرضكم عرضنا وناموسكم ناموسنا (هذا مانخاف منه فان المومسات الايطاليات قد أفسدن كثيراً من البلاد) وويحاً ثم ويحاً للمتجاسر .

أما أموالكم وأملاككم المنقولة وغير المنقولة فانتم أصحابها وسنتخذ جميع الوسائط لاجل تحكيمها وصيانتها لكم خالية من كل ريب وشبهة احسن مما كانت عليه في زمن الحكومة العثمانية المندرسة وكذلك جميع حقوقكم فهي مقدسة مصونة من كل ظلم وتعد فالمحاكم ستدور على محور لايفرق بين المذاهب والاديان ولا يميز بين العروق والاجناس .

ابشروا أيها الاهالي المحترمون اننا قد ابطلنا الخدمة العسكرية في هذه الديار (يالها من بشارة) وألغينا كثيراً من الضرائب والجبايات وأما التكاليف القليلة التي صوبنا إثباتها فهذه ايضاً لم نثبتها الا بعد أن خفضناها ونزلناها عما كانت عليه في دور الحكومة السابقة وجل مقصدنا من ذلك توسيع نطاق ارباحكم وتجارتكم وترقي صنائعكم في هذه البلاد وتقدم هذه الديار في الزراعة والحراثة لتحوز في زمن قليل هي أيضاً ماحازته جاراتها من التمدن والترقي فتنتقلوا من الضراء الى السراء ومن البؤسى الى النعمى ومن الشدة الى الرخاء .

واياكم ان تصغوا الى اغواآت المفسدين الذين لاقصد لهم سوى زرع الفساد والمضرة بنفسهم وبكم فهؤلاء (سيعلمون أي منقلب ينقلبون) بل اسمعوا معنا وعاضدونا أنتم أيضاً بحسن نيتكم وآزرونا بنشاطكم وأعمالكم لعل يحفظ لكم تاريخ المستقبل في بطونه ماشهد به لاجدادكم من العز والمجد والشرف والرغد وهذا مانتمناه لكم يأيها الاهالي النجباء من صميم قلبنا بل هذا ما يتمناه لكم كل ايطالي اذ قد اصبحتم من أبنائنا وحقكم علينا كحق كل فرد من الايطاليين ولا فرق بينكم وبينهم فاصرخوا معنا : ليحيي الملك لتحيي ايطاليا !   في ١٥ شوال سنة ١٣٢٩   والي طرابلس

بورياريجي

(المنار) لو انخدع أهل طرابلس بهذه الاماني وخضعوا الايطالية بدون حرب لحفظ عليهم التاريخ ضد ماحفظه لاجدادهم فان أجدادهم أباة الضيم والذل ، ورجال الحرب والفتح ، أما وقد شرعوا بما يجب عليهم من الدفاع ، فلم يبق عليهم الا الصبر والثبات ، ليحفظ لهم التاريخ ماحفظه لاولئك الاجداد الكرام .

وقد نشر هذا الوالي منشورا آخر ذكر فيه ان جميع موظفي الحكومة العثمانية صاروا منفصلين من وظائفهم وانه يجب على الترك منهم أن يتركوا مدينة طرابلس في مدة ثمانية الايام وبعد هذه المدة يعاملون المعاملة القانونية . والامضاء (القونترامیرال والي طرابلس رفائيل بورياريجي)

اعانة امير افغانستان

﴿ وكبراء قومه لاهل طرابلس الغرب ﴾

(وخطبة الامير في ذلك)

كتب الينا أحد أساتذة المدرسة الحربية الافغانية العثمانيين في (كابل) -وهو من قراء المنار- الرسالة الآتية مع كتاب خاص فننشر الرسالة شاكرين وهي :

(يوم من أعظم الايام في الاسلام)

اليوم الثاني من ذي الحجة الحرام من هذه السنة كان يوما من الايام التي تخلد لملك أفغانستان الذكر الجميل في صدر التاريخ نعم هذا اليوم هو الذى انبرى فيه أميرها المحبوب ومد يد الاعانة لاخوانه المسلمين القاطنين في شاسع الارض

صباح هذا اليوم صدرت الاوامر لجميع الامراء ورجال الدولة وأعيان المملكة وتجارها ووجوهها تدعوهم الى الاجتماع في الدربار (ردهة الاجتماع) فما جاءت الساعة الثانية بعد الظهر الا وتقاطر أرباب المناصب وكبار الدولة وتجارها من كل فج واجتمعوا في ردهة عظيمة عالية البناء معدة لمثل هذه الامور ثم بعد ساعة شرف الامير الكبير الشأن الردهة يغشاه العز والجلال فقامت الناس اجلالا فرحين مستبشرين برؤية محياه الذى كان يتلظي غيرة وحمية . ثم ألقى تحيته على الجمع فحيوا بأحسن منها، وبعد برهة تلا خطابا يلين الصخر ويذيب القلوب وهذه ترجمته

ترجمة الخطاب الملكي

لا يعزب عن فكر أحد من الاعزة والاشراف وجميع رعيتي الصادقة من كل صنف من سكان مملكتي المحروسة (أفغانستان) ان كل انسان يعيش في هذه الدنيا الفانية لابد أن يكون نظره موجها الى أمرين عظيمين في جميع أعماله : أحد هذين الامرين مادي والثاني معنوي ، وفي هاتين الحالين يرى على نفسه وظائف كثيرة ويراها مكلفة بأعمال متعددة ، بناء على الكرامة والشرف النوعي الذى امتاز به الانسان على سائر المخلوقات بحكمة وقدرة الباري جل شأنه ، وانه بقيامه بتلك الاعمال،

وأدائه لتلك الوظائف، يقضي حاجاته الطبيعية، ويزيل ضروراته الجسدية، وينال أيضا من المثوبات الروحانية الاخروية ما ليس له حد

وكما أن اطاعة الرب المعبود يوصل المرء للمقامات العالية الروحانية ، هكذا تعاون الناس على دفع احتياجاتهم الفرعية يجعل المتعاونين ممتازين بين أقرانهم

في هذا المقام أريد أن أورد مثالا أو مثالين :

نفرض أن بلدا يحتوي على ثلاث مئة من السكان ، وان ذلك البلد لا يوجد فيه ماء صاف يصلح للشرب والاستعمال، ولكن على بعد ستة أميال يوجد ماء صاف سائغ نافع للصحة ، فلا شك في أن سكان ذلك البلد لابد لهم من أن يطووا ستة أميال حاملين قربهم على أكتافهم لاجل الاتيان بذلك الماء ، وفي هذا لابد أن يلحقهم خسارتان الاولى تعب الجسم والثانية اضاعة الوقت ، وباضاعة هذا الوقت لامناص من أن تعطل كثير من الحوائج الانسانية التي لابد منها لان المرء المحتاج الى الشرب محتاج أيضا الى أشياء كثيرة عليها مدار حياته ، فاذا صرف اربع أو خمس ساعات من نهاره لاجل تحصيل الماء فقط فمن أين يأتي بالوقت اللازم لتدارك سائر حاجاته الباقية

بناء على ذلك اذا أكمل سكان ذلك البلد وظيفتهم المدنية وتعاضدوا وصاروا يدا واحدة وأعطى كل واحد منهم روبيتين مثلا يحصل من هذا ستمائة ألف روبية وبهذا المقدار يتيسر لهم جر الماء المذكور الى بلدهم بسهولة تامة ، وبهذا التعاقد يمكنهم أن يتخلصوا من مشاق نقل الماء بالقرب ويخلصوا من هذا الاحتياج بدون عناء ولا مشقة . واذا فرضنا أن كل واحد من سكان ذلك البلد كان ينفق في السنة ثماني روبيات ثمنا للفاكهة فاكتفى كل منهم بخمس روبيات ووفر ثلاثة - وذلك سهل للغاية - ثم جمعوا ذلك المتوفر وصرفوه فيما يعود عليهم نفعه من مصالحهم العامة ، فانا نجزم بأنهم يدركون بهذا التعاون من المنافع مالا يمكننا حصره وتحديده

(المثال الثاني) خلق الناس بارادة الخالق الازلي أكفاء ، أبوهم آدم والام حواء ، وانقسموا بعد ذلك الى شعوب متعددة ، وقبائل مختلفة ، ولكنهم من حيث الوجود كأنهم جسم واحد، وخصوصا اذا كان بينهم علاقة جنسية ، ورابطة مذهبية وملية ، فان كل فرد من أفراد ذلك الجنس والمذهب يكون حينئذ كعضو من أعضاء ذلك الجسم الواحد يتألم ويضطرب من تألم أي عضو من الاعضاء الباقية ، كما اذا عرض لاحدى الحواس الخمس ألم فلا شك في أن الحواس الاربع الباقية كلها

تأثر وتألم . اذا رمدت عين المرء مثلا فان سامعته تألم حتى من نغمات البلبل والهزار، حتى قد تكون عندها كوخز النبال، وتتأثر شامته من رائحة الورود، وينكر فمه طعم الماء ويدمي بنانه لمس الحرير. هذا ليس في الحواس الخمس فقط بل تجري هذه الاحكام في كل عضو من أعضاء ذلك الجسم

أيتها الرعية الصادقة ، وأيتها الامة الافغانية ذات العقيدة الصحيحة ، مرادنا الملوكي من جميع هذه التمهيدات هو إيقاظكم لعمل صالح كثير الخير ، وترغيبكم في أمر ذي بال جامع لخيري الدنيا والآخرة ، وإني أشكر المولى جل جلاله ، وعم نواله ، أن جعلني بفضله ورحمته لم أتفكر في شيء قط يتعلق بأمتي الصادقة المتدينة بدين الحق غير الخير ، ولست متفكراً في غير ذلك في ما بعد .

أيتها الامة : اعلموا أن الدولة العلية العثمانية التي هي من جنسنا وعلى مذهبنا قد صارت هدفا لعدوان جنائي مخالف للحق والانسانية جعلنا نتألم ونضطرب دهشة من هذا العدوان الفظيع ، وإن معاونة إخواننا المسلمين تجب علينا من حيث الدين والانسانية معاً ، وبما أن بعد الشقة قد حرمتنا معاونتهم فعلا وبدناً وجب علينا أن نمد لهم يد المعونة بالمال على الأقل .

انكم الى الآن لم تحسوا بالفوائد العظام التى تحصل من مثل هذه المعاونات فهذه أول مرة أرشدكم الى هذا العمل الصالح النافع بالذات وأفتح كتاب الاكتتاب بيدي الملوكية وأقيد واثبت به مبلغ (٢٠) الف روبية من عين مالي الشخصي الملوكي

أؤمل من غيرتكم الدينية وجودكم الملي أنتم رعيتي الصادقة أن تشاركوني بهذا العمل الخيري كل على قدر حاله ، ودرجة آماله ، ليس عليكم جبر أو تضييق في هذا الباب ، لان هذا الامر يتعلق بالضمير والانسانية ، وكل صاحب ضمير صاف وعقيدة خالصة يعطي شيئاً من ماله الزائد عن نفقة أهله وعياله ويثبت اسمه في هذا الكتاب يكون عمل عملين عظيمين (الاول) يكون سعى وجد بماله لاكتساب رضاء الباري جل وعلا وفي هذا مالا يخفى من إطاعة أمر الله والتلذذ باللذائذ الروحانية . (والثاني) يكون أعان بني نوعه ودينه وفي هذا أيضا مالا يعزب عن فكركم من أداء حقوق الانسانية ، وحفظ الشرف والغيرة الملية .

أيتها الرعية الصادقة : اسم هذا الكتاب (كتاب اعانة يتامى شهداء ومجروحي محاربة طرابلس الغرب) . افتحوا كيس حميتكم وبلوا قلوبكم بماء الشفقة الاخوية ، أعينوا يتامى وأيامى أولئك المجاهدين الذين جادوا بأرواحهم لاجل حفظ وطنهم

وشرف ملتهم ، أعينوهم على الاقل بلفائف يشدون بها جروحهم ، لا تنظروا الى قلة ماتعطونه من المال وكثرته ، أعطوا ما تتمكنون من اعطائه ، وأثبتوا أسماءكم في هذا الكتاب (ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا)

وأسأل المولى سبحانه أن يهديني ويهديكم وجميع إخواننا المسلمين وأبناء نوعنا الانساني كافة لما فيه الخير والصلاح . اه

* *

(قال المراسل) : وكان أبقاه الله ذخراً للاسلام والمسلمين يفسر للسامعين بلسان طلق وبيان عذب ماحواه الخطاب من المزايا الباهرة وكان يقول وكله حماس

« ألا ليتني قريب منهم أمدهم بالفعل لا بالقول ، ألا ليتني طائر أطير لمساعدة إخواني المسلمين »

وكان قائماً على قدميه ينظر يميناً ويساراً كالاسد الرئبال ، وأمامه أنجاله الفخام وإخوته العظام ، وأعيان مملكته يحثهم على الاكتتاب قائلا

« لا أظن أن أحداً من رعيتي يتأخر عن مد يد المعونة لاخواننا في الانسانية والدين وان وجد على فرض المحال ، فاني أستجدي منهم شيئاً يسد عوز أولئك المجاهدين الذين جادوا بأنفسهم ، فداء لحفظ شرف ملتهم ووطنهم . أعينوا أولئك الجرحى ، أعينوا أطفال الشهداء ، فما في الدنيا شيء يقرب من ثواب الآخرة كاغاثة الملهوف »

وبعد أن ختم مقاله قام جميع العثمانيين القاطنين في افغانستان ورفعوا له عريضة الشكر فقرأها على رؤوس الاشهاد وأظهر سروره بها أبقاه الله ، وهذه ترجمتها

﴿ عريضة الشكر من العثمانيين ﴾

المستخدمين في أفغانستان الى أميرها

نحن العثمانيين المفتخرين بالخدمة تحت حماية وعاطفة أمارتكم السنية نفتخر بتقديم إحساساتنا وتشكراتنا القلبية لسدتكم الملوكية

طرابلس الغرب تلك البلاد الوحيدة في أفريقية التي حافظت إلى الآن على استقلالها وحريتها الاسلامية قد صارت هدفاً لعدوان وحشي من قبل إيطاليا خلافاً لجميع القوانين الدولية ، وخلافاً للقواعد البشرية ، والآداب الانسانية .

مجالس الصلح ، جمعيات الأمن العام ، جميع الدول المعظمة التي لا تفتر في كل

فرصة سنحت عن بيان انها هي المكافئة بنشر المدنية في مشارق الارض ومغاربها، كلما غضت النظر عن هذا التجاوز الوحشي ولم تشأ أن تنبس ببنت شفة . لكن ضربة غدر واعتساف نزلت على فئة اسلامية في هذا القرن العشرين قرن العلم والتمدن ضعضعت أركان جميع المسلمين القاطنين في جميع أقطار الدنيا وجرحت أفئدتهم . وجرائد العالم أجمع – ماعدا الجرائد التي باعت ضميرها بثمن بخس – مجمعة على تقبيح حركات إيطاليه الجنائية . وانا نعرض بكمال الصدق ان هذا الفعل العظيم الملوكي الذي أتيتم به قد أحيا آمال جميع العثمانيين الذين يشعرون بالاحترام والمودة لاخوانهم الافغانيين من أمد بعيد ، ويسر جميع المسلمين في أنحاء الارض المتألمين من هذا العدوان الفجائي الدنيء على إخوان دينهم

الحق نقول ان كل كلمة من خطابكم الملوكي ستبقى منقوشة في أذهان جميع المسلمين أبدالآبدين ، وسيخلد للاسلام شرفاً ومجداً لا يمحوه تعاقب الايام والسنين اهـ

**

ثم بعد ذلك قام أخوه الاكبر نائب السلطنة السردار نصر الله خان حفظه الله وفاه بخطاب ارتجالي بليغ يشكر به حضرة الامير الخطير على ارشاده الامة الافغانية لهذا الصراط السوي ويدعو الجميع لتلبيته . ألقى خطابه بصوت متهدج مؤثر ، فما بقي أحد في المجلس إلا وأسبل الدموع الغزار.

ثم استقبل الأمير المعظم القبلة ودعا الله أن ينصر المسلمين وأمن الجميع على دعائه

ثم أمر حاشيته بتوزيع الرقاع والاقلام المعدة للاكتتاب وكان من جملة الموزعين لهذه الرقاع نجلاه الفخيمان عينا الدولة السردار أمان الله خان والسردار محمد كبير خان ، فكان المجتمع في هذه الجلسة مائة ألف روبية أو أكثر ، ثم صلى العصر وودع الجمع وقال اني ذاهب غدا لجلال آباد أستودعكم الله ، وأعدكم بجمع الخاق من الاطراف يوم عيد الاضحى وتشويقهم للاقتداء بكم . وأمر بارسال دفاتر الاكتتاب الى جميع أنحاء مملكته فودعه الحاضرون وأعينهم تذرف بالدموع على فراق هذا الامير الخطير الشان داعين ببقاء ملكه وذاته، وانفض الجمع وكلهم ألسن تشكر

افغانستان في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٩ (علي)

(المنار) انا نشكر لهذا الامير العظيم عمله هذا بلساننا ولسان إخواننا أعضاء جمعية الهلال الاحمر المصرية الذين يتشرف صاحب هذه المجلة بكونه منهم ، ثم بلسان جميع المسلمين ، فانه نطق باسم الاسلام ، وعمل بهدي الاسلام ، أدام الله ملكه مادامت الايام

تقريظ المطبوعات

﴿ مجموع تسعة كتب ورسائل سلفية ﴾

طبع الشيخ فرج زكي الكردي هذا المجموع المؤلف من الكتب والرسائل الآتية على نفقة بعض محيي السلف ومروجي كتب انصارهم، ومحيي آثارهم، وهي:

١ – (الرد الوافر ، على من زعم ان من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر) تأليف حافظ الشام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن ناصر الدين) الشافعي المتوفى سنة ٨٤٢ وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب شهادة أئمة العلم وحفاظ الحديث لابن تيمية بالعلم والعرفان وتلقيبهم اياه بشيخ الاسلام منهم الحافظ ابن سيد الناس الاشبيلي والحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عماد الدين ، والحافظ الذهبي ، والحافظ المقدسي الصالحي ، وحافظ الشام في عصره أبو العباس احمد بن شيخ الشافعية علاء الدين حجي بن موسى السعدي ، والحافظ أبو العباس احمد بن مظفر النابلسي ، والحافظ أبو الفضل سليمان بن يوسف المقدسي ، والحافظ ابن رجب ، والحافظ العراقي ، وغيرهم من الحفاظ ، ومنهم كثير من فقهاء المذاهب الاربعة وكبار القضاة والمفتين حتى قاضي القضاة تقي الدين السبكي الذى اشتهر التغاير بينه وبين شيخ الاسلام ونقل عنه كلام فيه فكتب اليه الحافظ الذهبي يسأله عن ذلك فاعتذر وأثنى على شيخ الاسلام بأنه نادرة الاعصار في علمه واجتهاده ودينه وورعه

وقد قرظ هذا الكتاب وأجازه كثير من حفاظ ذلك العصر وأكابر علمائه وفقهائه منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وقاضي قضاة الشافعية شيخ الاسلام (البلقيني) الشافعي ، وقاضي قضاة الحنفية ومحدثهم (العيني) ، وقاضي قضاة المالكية (البساطي) ، وقاضي قضاة الحنابلة نصر الله بن احمد البغدادي ، وكل هؤلاء كانوا في مصر

٢ – (القول الجلي ، في ترجمة ابن تيمية الحنبلي) للعلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس

٣ – (الكواكب الدرية ، في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية) للشيخ

مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي من علماء الحنابلة المشهورين وفي هذا الكتاب بيان ثناء أئمة العلماء على ابن تيمية ، وذكر تصانيفه وسعة حفظه وتمسكه بالكتاب والسنة ، ونصره لمذهب السلف ، ومحنته وسببها ، ومن انتصر له من علماء المذاهب في الاقطار، وما رثي به بعد موته من كبار العلماء ، وذكر قصيدة منها

٤ — (تنبيه النبيه والغبي ، في الرد على المدراسي والحلبي) للشيخ احمد بن ابراهيم بن عيسى النجدي ردّ به على رجلين ردا على شيخ الاسلام . وهو كتاب مطول مفيد في تأييد عقيدة السلف

٥ — (رسالة الزيارة) للعلامة محيي الدين محمد البركوي صاحب الطريقة المحمدية . وقد طبعوها في هذا المجموع لانها تؤيد مذهب السلف في زيارة القبور وترد بدع من خلف من بعدهم

٦ — (عقيدة الامام موفق الدين أبي عبد الله بن قدامة المقدسي) صاحب المصنفات المفيدة ، ومنها المغني الذي فضله العز بن عبد السلام مع المحلى لابن حزم على جميع كتب الاسلام في الفقه

٧ — (فائدة في الكبائر) للشيخ موسى الحجاوي وهي قصيدة دالية

٨ — (عقيدة أهل الأثر) للسكلوذاني وهي قصيدة أيضاً

٩ — (كتاب ذم التأويل) للشيخ موفق الدين بن قدامة . وكان ينبغي أن لا يفصل بينه وبين عقيدته

صفحات هذا المجموع ٥٨٢ فنحث القراء على اقتنائه ومطالعته ولاسيما الذين يسمعون من الدجالين الذين لا خلاق لهم طعناً في ابن تيمية لا حجة لهم عليه ولا بينة الا ما يتوكأ عليه بعضهم من كلمات بذاء وسباب وجدت في فتاوي ابن حجر الهيتمي ينبغي لمن يحترمه ويكرمه أن يقول انها مدسوسة عليه ، والا فأين الهيتمي هذا من شيوخه وشيوخ شيوخه وغيرهم من أجلاء مذهبه وسائر المذاهب الذين أثنوا على هذا الرجل بما لم يثنوا بمثله على أحد كالحافظ ابن حجر العسقلاني وأفقه الفقهاء والاصوليين ابن دقيق العيد من الشافعية وغيرهم

***

﴿ تحريم نقل الجنائز ﴾

فشت في طائفة الشيعة بدعة شنيعة مرت القرون عليها ولم يرتفع صوت علمائهم

في إنكارها بل اقروهم عليها كما أقر غيرهم كثيرا من البدع إرضاء لاهواء العامة ، وناهيك بالبدع التي ينتفع بها بعض المعممين . تلك البدعة هي نقل الموتى من البلاد البعيدة والاقطار النائية الى حيث مقابر أئمة آل بيت النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام لتدفن بجوار مشاهدهم ، فيجيئون بهم وقد تقطعت أوصالهم ، وتمزقت ابدانهم ، وانتنت جثثهم ، وفي هذه البدعة اماتة كثير من الفرائض والسنن . ولا شك في أن كثيرا من العلماء كان يتألم ويتأوه لانتشار هذه البدعة ولكن لم يتجرأ أحد على الجهر بانكارها والنهي عنها بمثل ما صدع به في هذا العام صديقنا السيد هبة الدين الشهرستاني من علماء النجف الاعلام وصاحب مجلة العلم المفيدة التي يصدرها في النجف ، فألف في ذلك رسالة بين فيها شناعة هذه البدعة وما اشتملت عليه من المحرمات ومن اجدر بالسبق الى مثل هذا الاصلاح ، والاضطلاع بهذا الهدي والارشاد ، من جحاجحة الهاشميين ، وصناديد العلويين ، الذين يؤثرون رضوان ربهم ، وخدمة شريعة جدهم ، على ارضاء الخواص والعوام ، والطمع في أموال الناس ،

وقد علمنا من أخبار العراق ان هذا السيد بعد أن صدع بكلمة الحق في هذه المسألة ، وأيده فيها كثير من العلماء الكملة ، تصدى له من خذله ، وأغرى العامة به ، حتى قيل إنه كان مهددا بالقتل ، ثم هدأت الفتنة ، وخذلت البدعة ، وسوف يستنير القوم ويرجعون الى هذه الفتوى داعين لمن دعا اليها ، ذاكرين بالسوء من صدّ عنها ، والعاقبة للمتقين

ومن مآثر هذا السيد المصلح انه كان قد سعى أشرف السعي وأفضله للتأليف بين علماء أهل السنة والشيعة في العراق وجمع كلمتهم على التأليف بين المسلمين وحثهم على مساعدة المجاهدين في طرابلس الغرب وغيرها ، وقد نفع سعيه وان صد عنه المتعصبون ، وظهر اثر اصلاحه وان كره المفسدون ، فأهنئك أيها الصديق الكريم ، والولي الحميم ، وأبشرك بالفوز العظيم ، « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »

(تنبيه) كتبنا لهذا الجزء تقريظ كثير من الكتب التي اهديت الينا في هذا العام فضاق عنها فأرجأناها الى الجزء الثاني من السنة الآتية

باب الاخبار والآراء

﴿ كتابٌ رصيف ، ورأي حصيف ﴾

(في المساعدة على الحرب ، بطرابلس الغرب)

لما أنذرتنا إيطالية البأس، وآذنتنا بالحرب، كتب الينا صديقنا الامير شكيب ارسلان الكاتب الشهير الكتاب الآتي من صوفر (لبنان) في ١٣ شوال ، وكتب فوقه (خصوصي) فلم ننشره في وقته ، ثم استأذناه في نشره لما فيه من أصالة الرأي ، وايقاظ الفكر ، واذكاء نار الغيرة، وانارة مصباح البصيرة ، والتنويه بالاصلاح الديني، والاعلاء الى نفعه الدنيوي ، ولم يصدنا عن ذلك اطراء الصديق لصديقه ، واعطائه اكثر من حقوقه ، فأذن لنا فنشرناه ، وهاهو ذا بنصه البليغ :

سيدي الاخ الفاضل

أعلم ان جهادكم في تهذيب الانفس ، واقامة الشريعة على قواعد العلم ، واخذ المؤمنين بحقيقة الدين ، وإثلاج الصدور ببرد اليقين ، هو الجهاد الاكبر والبلاء الاسنى ، والذي فيه استكمل الحسنى ، وان الأمة التي تفهم الدين فهمكم ، وتفقه الشرع فقهكم ، لا يخشى عليها من اعتداء ايطالي ، ولا استبداد اجنبي ، ولكن جهادكم هذا غرس لم يحن إيناعه ، وزرع لم يئن ارتفاعه ، ودون وصول ثمرته الى درجة الوفاء بالغرض ايام وليال ، واعوام طوال ، بما رسخ من الاوهام ، وسدك بالعقول من صدأ الترهات ، ونحن الآن في خطب مستعجل الرأب ، وفتق مستلزم سرعة السد ، ولا يفيدنا فيه تعنيف مفرط ، ولا لوم مقصر ، ولا جزاء خائن او مستهتر ، ولا يغنينا مع إلحاح وافد الشر ، وإظلال نازل البأس ، إكبار الاعمال ، والوقيعة بمدبري هذه الاعمال ، بل علينا قبل ذلك واجب أعجل ، وهو تلافي ما فرط فيه غيرنا ، وإبلاء العذر فيما يطلبه الرأي العام منا ، وقد ظهر لنا بعد تقليب وجوه الحيل كلها ، وتمحيص آراء الاغاثة باجمعها ، انه لم يبق الا طريق البر ، وان هذا الطريق مهما كان شاقاً صعباً طويلاً معطشاً فانه هو الوصلة الوحيدة ، والممر الممكن ، وان طريقاً سلكه آباؤنا مراراً في فتوحاتهم ومغازيهم لجدير بأن نسلكه نحن في احرج

موقف واضيق مجال ، فان لم تساعد السياسة على امرار جنود منظمة ، فلا اقل من متطوعة، وان لم يمكن نهوض متطوعة، فلا اقل من تسريب ذخائر وارزاق على ظهور الجمال ، بحيث لو بدىء بتسيير قطر الجمال قريباً صار المدد متصلاً ، فان في طرابلس وبنغازي والصحراء ومن قوم السنوسي رجالاً يشاغلون ايطاليا سنين طوالاً لو جرى تأمين مسئلة معيشتهم ، اذ هناك رجالات كثيرة ، وفروسية ونجدة ، وبغضاء للعدو ، ولدى الدولة عدة آلاف من الجند ، واسلحة وعدة ، وانما يخشى على اولئك من الجوع وقلة الطعام . أفلا ينهض الاسلام في كل هذه الممالك الى إغاثتهم بما يمسك ارماقهم على الاقل ، حتى تطول الحرب ويستمر الدفاع ، فان طول اجل الحرب يستدعي تدخل الدول، ويفت في عضد تجارة ايطاليا، ويثير عليها ثائر سكانها، فتنتهي النازلة بصورة ليست فيها هذه الفضاضة وهذا الذل ، ولا يطأطأ فيها الرأس امام الطلياني ، فياما احلى الغلبة للانكليزي بالقياس الى هذه الحالة ، ويا ما احلى طعم الموت اذا صرنا نهزم امام من هزمهم الاحباش ، أفلا يمكنكم في مصر عقد الاجتماعات لوضع هذه الاعانة في موضع التحقيق ، وايفاد السعاة الى الهند والى السنوسي ، فأما من الهند فتمكن النجدة بالمال ، واما من الصحراء فبالرجال ، واما من جهة الضباط لتدريب الاهالي فالدولة تقوم بهذا الأمر ، وما نستصرخ اخواننا المصريين أولي اليسار واصحاب الحمية الا للمدد المادي ان تعذر كل مدد غيره ، واي شهم يضطلع بمثل هذا العمل اكثر منكم ، واي عمل هو اشرف من هذا ، واي سقوط ، حالاً واستقبالاً أعمق من سقوطنا اذا ذهبت طرابلس الغرب . لاجرم ان حسن الدفاع عنها ليقف بالطامحين عن سائر حوزتنا ، ويحفظ علينا هذا النزر الباقي من كرامتنا ، وان التخاذل عن هذه النجدة يكون الاجهاز على مهجتنا العمومية ، اذ تعلم اوربا انه ليس ثمة من حياة ولا من أحياء ، وإن هناك الأعداد بدون إعداد . قصدت استيراء زندكم في هذا الغرض، وليس ذلك على همتكم بعزيز، ونحن في انتظار الجواب شد الله بكم الازر، ووفقكم الى هذه الغاية اقدم

شكيب ارسلان

(المنار) جاءنا هذا الكتاب يرمي عن قوس عقيدتنا ، ويرينا في مرآته الصقيلة صورتنا، وقد استفزنا الذعر، واستنفرنا العدوان النكر، فطفقنا نستوري زناد الهمم ، ونستسقي سحب الجود والكرم ، فذو المال يجود بماله ، وذو القلم واللسان بمقاله ، فكتبنا الى الصديق نبشره بان حسن ظنه بالمصريين قد صدق ، وان كل ما يمكن من تنفيذ رأيه قد نفذ ،

﴿ الخطر الأكبر على بلاد العرب والرأي في تلافيه ﴾

طرابلس الغرب مملكة عظيمة مساحتها اضعاف مساحة إيطالية الطامعة في استعمارها ، وإغناء فقراء أمتها بخيراتها ، وكانت في يد الدولة العثمانية من عهد بعيد ولم تقدر على الاستفادة منها ولا على مساعدتها على الترقي والعمران ، لان فاقد الشيء لا يعطيه . ثم انها لم تحصن فيها الثغور ولا أقامت فيها معدات الدفاع لحفظها من الاجنبي الطامع ، بل كان من سياسة الاتحاديين الذين حلوا محل السلطان عبد الحميد ان خرجوا منها معظم ما كان فيها من العسكر والسلاح ، فبادرت إيطالية الى احتلال ثغورها ، ولولا قيام أهلها بالدفاع عنها لاحتلوا سائر أرجائها . كل هذا معروف ولكن ماذا كان بعده ؟

انبرت ايطالية بعد فعلتها بطرابلس الى سواحل جزيرة العرب المقدسة فانشأت تضرب ثغورها بمدافع اسطولها، تقتل من تقتل وتدمر ما تدمر، والدولة تسمع وتبصر ولا تستطيع أن تعمل شيئا ، بل نراها تهدد ايطالية بطرد رعاياها من المملكة العثمانية اذا هي اعتدت على بعض جزائر الارخبيل او سواحل الروملي او الاناطول؛ ولكنها لا تهددها ولا تفعل شيئا ولا تقول كلمة في ضرب ايطالية لثغور اليمن وحصرها هي وثغور الحجاز (ماعداجده التي تعارض الدول الآن في حصرها ، ومايدرينا عاقبة امرها)

ومن أسباب ذلك ان الدولة جعلت من تقاليدها ان مركز عظمتها وشرفها ومجدها هو الروملي ثم الاناطول فهي تهتم بأدنى قرية أو جزيرة من الروملي وان كان جميع سكانها من الروم او البلغار، مالا تهتم لمملكة عربية وان كان سكانها أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه . وهذا من أكبر أسباب ضعف الدولة

لولا معارضة فرنسة لضربت ايطالية ثغور سورية واحتلتها كلها او بعضها ، ولو كانت ترى لها ربحا او نفعا من احتلال بعض ثغور اليمن والحجاز لاحتلتها ، ولكنها قد تخشى من الضرر اكبر مما ترجو من النفع ، وهي على كل حال لم تعتد الا على البلاد العربيه إذ هي البلاد التي لا تدافع عنها أوربة لانه ليس فيها نصارى او أفرنج، ولا الدولة ذات السيادة عليها لانها عندها من اطراف نعم السلطنة،

لا من الاعضاء الرئيسة في الدولة، ولذلك لم تحصن ثغورها ، ولم ترسل اليها عسكرا الا لقهر أهلها على كل ما تطلبه من المال ، او إكراههم على التجرد من السلاح ، فقد علم المصريون مما نشر في الاهرام نقلا عن مدير معارف اليمن ما كان يعلمه اهل الاستانة قبل من أن حملة اليمن الاخيرة كانت مبنية على طلب الوالي من الامام إعطاء ما عند قومه من السلاح للدولة وامتناع الامام من ذلك

لم تكن محاربة اليمن وحدها هي التي قصد بها جمع السلاح من أهالي البلاد بل كانت حملة حوران والكرك لاجل جمع السلاح من ارجاء سورية، وكانت الحكومة الاتحادية تريد جمع السلاح من عرب طرابلس الغرب أيضا ولكنها لقيت من معارضة المبعوثين ماحال دون تقرير ذلك وتنفيذه . وقد سمعت في الاستانة من مصادر مختلفة ان من أصول سياسة جمعية الاتحاد والترقي جمع السلاح من العرب في كل ولاياتهم ومن الالبانيين والأكراد ، ثم ظهر صدق ذلك

نحن لا نبحث الآن عن مقاصد الاتحاديين ونيتهم ، ولا عن ضرر سياستهم التى جروا عليها او عدم ضررها ، ولا في اثبات ما يقوله خصومهم من عزمهم على بيع بعض الاطراف للاجانب بتجريده من اسباب الدفاع، والسماح لهم بالنفوذ فيه ووسائل الانتفاع ، الذي هو الطريق المعبد للفتح السلمي والاستعمار ، وانما ننبه أهل الغيرة والروية في الاستانة وسائر المملكة ثم المسلمين عامة على ما ظهر بالحس والعيان فهدم جميع النظريات المخالفة له ، وهو ان البلاد العربية لا يمكن حفظها من اعتداء الاجانب عليها ، ودوام ارتباطها بسائر المملكة العثمانية ، الا بقوتها الذاتية وتعميم السلاح والتعليم العسكري فيها

فالواجب المحتم الذي لا تخيير فيه هو ان تبادر الدولة العلية الى ارسال السلاح الكامل حتى المدافع بأنواعها الى بلاد الشام والعراق والحجاز ونجد وكذا اليمن من غير سواحل البحر الاحمر، وان ترسل الضباط البارعين لاجل تعميم التعليم العسكري، والاهالي كلهم يقبلون ذلك ولا يكلفون الدولة مالا ولا نفقة تذكر . ويجب على جميع الاهالي مطالبتها بذلك ملحين ملحفين . والا فلينتظروا الساعة تأتيهم بغتة، كما اتت اهل طرابلس وبرقة، فقد جاء اشراطها وأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ؟؟

باب الانتقاد على المنار

جاءنا في اوائل العام اسئلة من (لنجه — في خليج فارس) أجبنا عنها في الجزء الثالث . وكانت تلك الأسئلة مبنية على انتقاد بعض الناس على المنار الاستقلال بتفسير القرآن واتيانه بمعان فيه لم تنقل عن المفسرين . وقد سئل عن ذلك عالم لنجه الشيخ عبد الرحمن يوسف الملقب بسلطان العلماء فأجاب عنها . وقد كتب الينا ولده بعد ذلك ان المنتقد أنكر من جواب المنار أمورا

(احدها) قول المنار (ص ١٨٦) « الذي يؤخذ من مجموع الروايات في تفسير السلف لهذه الآية ان اللام في العدل ليست للجنس » الخ . قال المنتقد : ان الآية ليس فيها لفظ العدل فيبحث عن لامه — وان العبارة تدل على ان صاحب المنار مضطر الى التقليد « وتوقيف الذهن على ما ذكره المفسرون » (كذا)

(ثانيها) قول المنار (ص ١٨٧) ان العدل الذي يدخل في استطاعة الانسان واجب حتى في معاملة الاعداء وقال « يا لله العجب اذا فرق زيد صدقته المندوبة فأعطى عمرا مئة وخالدا ألفا هل يعد مخالفا للواجب . . . وانما العدل الواجب في الاقضية »

(ثالثها) قول المنار « والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يفيدان المأمور والمنهي علما يبعث ارادته الى العمل به » قال المنتقد « انه استنباط معنى من النص يخصصه وهو وان كان مختلفا فيه عند الاصوليين الا أن قولنا ان العالم بما يفعل لا يؤمر ولا ينهى قول منكر ينهى عنه »

(رابعها) قول المنار « ولهذا كان واجبا » اي لانه يفيد ماذكر . قال المنتقد « هو استنتاج عجيب ولا شك انه من عثرة القلم سيما حصره علة الوجوب »

ثم طلب الكاتب دفع خرافات هذا المنتقد ووصفه بعدة اوصاف لا نذكر منها الا انزهها وهو انه متهور يؤذي العلماء والدين . وان دفع خرافاته يفيد أهل تلك البلاد . فأقول

يظهر ان هذا المنتقد من أهل المراء والجدل لا من طلاب الحق فيما يقوله أو ينتقده، ومن كان كذلك ينبغي عدم الالتفات الى انتقاده الا اذا كان يؤذي الناس . فاذا كان همه موجها إلى تخطئة المنار في بعض المسائل فالخطب سهل فالمنار غير مؤيد بالعصمة وليدلنا على كتاب من تأليف البشر ، ليس فيه خطأ ولا غلط ، ولم ينتقد أحد عليه شيئا

اما عبارة المنار في لام (العدل) فالمراد بها ظاهر لغير المماري الذي يلتمس حرفا ينكره ، ولا ينظر في جملة القول والمراد منه ،ذلك بأنه علل في السؤال كون العدل غير واجب « باخبار الله تعالى بأن العدل غير مستطاع » ـ هذه عبارته ،فاذا كان الفعل لايدل على المصدر عنده ولا يؤول به وإن اقترن بأن المصدرية فلماذا صرح هو نفسه بأن الله أخبر بأن العدل غير مستطاع ـ ولفظ العدل لم يرد في الآية ـ واذا كانت عبارة المنار جوابا عن قوله هذا فلم لم يجوز ان تكون كلمة العدل فيها قد ذكرت حكاية للفظه هو، وان يكون تقدير الكلام ان العدل الذي قلت إن الله تعالى قد أخبر بأنه غير مستطاع ليس هو جنس العدل وانما هو عدل خاص الخ ماهناك ، اي فلا يتم زعمك انه غير واجب. على ان لفظ العدل ورد في بعض روايات تفسير الآية فيجوز ان تحمل عبارة المنار على حكاية ذلك

وأما زعمه ان نقل المنار روايات المفسرين يدل على اضطرار صاحبه الى التقليد فهو بديهي البطلان فما كل من نقل مضطر الى تسليم ما نقله وما كل من سلم ما نقله وقبله يكون مقلدا لمن نقله عنه، لجواز ان يقبله لقوة دليله ، وقد اشترط بعض الاصوليين في الاجتهاد العلم بفروع الفقه منهم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني والاستاذ ابو منصور وابو حامد الغزالي وخصه هذا بمثل أهل زمنه ـ وزمننا أولى ـ فاذا جاز أن يتوقف اجتهاد الانسان على وقوفه على اجتهاد غيره أفلا يجوز أن يتوقف على ماروي عن السلف في فهم القرآن وهو أقرب الى تحرير اللغة وتفسير الاصطلاحات الشرعية منه الى الاجتهاد والاستنباط ؟

وأما إنكاره ما أوجب الله من العدل الممكن في المعاملة وحصره العدل الواجب

في الاقضية، فهو أغرب ضروب تهافته وأدلة جهله . وأقرب الحجج الدامغة له مايجادل ويماري في موضوعه ، وهو العدل بين النساء ، فهل يصل به التهور الذي وصف به الى ان يزعم ان العدل لايجب بين الزوجتين الا في القضاء بين يدي الحاكم ؟ وقال الله تعالى (٥: ٧ ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » وليس في الآية قرينة تخص هذا العدل بالحكم وصرح المفسرون بعموم العدل فيها مع الاعداء وشموله للاحكام والاعمال . وقال تعالى (٦ : ١٥٢ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) كما قال (٤ : ٥٧ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) فهذا هو العدل في الاحكام، وذاك هو العدل بالاقوال، ومن الامر بالعدل العام الشامل لكل قول وفعل وحكم قوله تعالى ١٦ : ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقال صلى الله عليه وسلم « ان الله كتب الاحسان في كل شيء » أي بنص هذه الآية وأمثالها والعدل أولى بأن يكتب، لانه أهم ، والحاجة اليه أعم ، وعدمه سبب الخراب والدمار .

وأما شبهة المنتقد التي أوردها فتدل على ان المراء قد أفسد عليه فهم ضروريات اللغة والعرف فان صدقة التطوع وإعطاء بعض الفقراء منها أكثر من بعض ليست مما يدخل في باب العدل والظلم اذ ليس لاحد الفقيرين حق على هذا المتصدق المتطوع ولا ماله شركة بينهما فيقسمه بالعدل والمساواة ، وانما هو محسن والله تعالى يقول « ما على المحسنين من سبيل »

وأما قوله ان المنار قد استنبط معنى من النص يخصصه الخ فهو قول من لم يفهم عبارة المنار وما أظن أن يستطيع أن يفهمها وهو يجهل ضروريات اللغة والشرع ، فهذه عبارة تهدم أقوى شبهات فلاسفة هذا العصر ، التي يؤيدون بها مذهب الجبر، وهي قولهم بالأفعال المنعكسة المركبة. ومن اضاعة الوقت وخسارة الصحف ان نطيل الكلام مع مثل هذا المماري في مثل هذه المسألة

**

(التبرك بزيارة الصالحين)

كتب الينا بعض القراء من دمشق يقول بعد الثناء :

قرأت في مناركم الاغر في الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر جوابكم على سؤال الاستمداد من الانبياء قلتم : ومن طلب من المخلوق مددا معنويا فهو على نوعين نوع يعد شركا كطلب الزيادة في العمر فان هذا من مما لا يطلب الا من الله تعالى فمن طلبه من غيره فقد أشركه معه . وهذا ظاهر لا يحتاج الى بيان . وأما الذي غمض عليّ فهو قولكم : « ونوع لايعد شركا لانه داخل في دائرة الأسباب وهو ما يطلبه المتصدقون من أهل العلم بزيارة الصالحين وقربهم اوذكر مناقبهم وسيرتهم وتصور احوالهم من الزيادة في حب الخير والصلاح والتقوى ويعبرون عن هذه الزيادة الذي يجدونها في نفوسهم بالبركة والمدد ، ولكنهم لا يدعونهم من دون الله ولا يفعلون ما لم يفعله السلف » واني ارى هذا هو عين الشرك بدليل قولكم وهو ما يطلبه المتصوفون من أهل العلم بزيارة الصالحين وذكر مناقبهم وسيرتهم وتصور احوالهم ، وهذا الطلب لايكون الا من الاموات ، ومعلوم ان الاستمداد من الاموات شرك لامرية فيه . وأما قولكم : ولا يفعلون مالا يفعله السلف ، ففيه انه لم ينقل عن أحد من السلف الصالح زيارة الاموات مع ذكر المناقب بل الامر بالعكس كانوا يناضلون هذه البدع اشد المناضلة . واني اعتقد ان من جملة الاسباب التي اوقعت الاسلام في الكسل والخمول هو سموم بعض افكار المتصوفة الذين ظنوا ان الدين بالتقشف واعتزال الناس ثم سرت في افئدتنا حتى اصبحنا نظن ان كل ما قاله المتصوفون حق . هذا وارجو من اخلاصكم اظهار هذه الحقيقه حتى يتبين الصبح لذي عينين وان الله مع المتقين ،

(المنار) يظهر انكم فهمتم من كلمة « يطلبه المتصوفون » الدعاء والطلب القولي وأننا ابحنا دعاءهم كما يدعى الله عز وجل، مع علمكم بأننا نصرف معظم العمر في مقاومة امثال هذه البدع وغفلتم عن تصريحنا بكونهم « لايدعونهم » وعن قولنا « بزيارة الصالحين وقربهم اوذكر مناقبهم وسيرتهم وتصور أحوالهم » وهو متعلق بيطلبه المراد

منه يقصده ويبغيه . والمعنى ان الصوفي العالم بدينه الملتزم لسيرة السلف يبغي ويقصد من زيارة الصالحين والقرب منهم في حال حياتهم ، وبذكر مناقبهم وسيرتهم وتصور حوالهم بعد مماتهم ، ان ينمو في نفسه حب الخير والصلاح والتقوى التي هي صفات الصالحين . وذلك أن رؤية الصالحين والقرب منهم ومشاهدة سمتهم وهديهم يؤثر في النفس ويبعث فيها القدوة ، وكذلك ذكر مناقبهم وسيرتهم وتصور أحوالهم بعد موتهم ، وبضد ذلك معاشرة الفساق والاشرار وقراءة أخبارهم ، وتصور احوالهم في فسقهم واسرافهم ، يشوق النفس الى المعاصي ويقودها الى الاقتداء بهم . ولذلك صرحنا بأن هؤلاء الذين اجزنا فعلهم ، وبينا قصدهم ، يلتزمون سيرة السلف الاستمساك بالسنة واتقاء البدعة ، ولا يدعون مع الله احداً ، وما كل المتصوفة هكذا

**

الذكر بالالفاظ المفردة

كتب الينا صديقنا الشيخ احمد محمد الالفي ينتقد ما كتبناه في الجزء الثاني ردا عليه في عدم مشروعية الذكر بالالفاظ المفردة . فنترك مما كتبه مناقشاته في أقوال زيد وعمرو ممن ليس قولهم حجة في الدين باجماع المسلمين ومنهم الفقهاء والصوفية الذي نقل عنهم بل عزى اليهم مشروعية ما ذكر ، وقال انه لا يعقل أن يبنوا عملهم على غير أصل ثابت - فانهم هم لا يدعون ان كلامهم حجة ، ونترك دعواه «ان المذاهب الاربعة اجمعت على مشروعية الذكر بالاسم المفرد مطلقا » فان المذاهب لا يعزى اليها الاجماع وانما يعزى الى جميع المجتهدين فان اراد ان الأئمة الاربعة هم الذين اجمعوا فليأتنا بنصوصهم وان كان اجماعهم وحدهم ليس حجة عند الاصوليين - ولنترك البحث في نقله عن ابي حنيفة انه اوصى أبا يوسف بما نصه « وأكثر ذكر الله بين فيها الناس ليعلموا ذلك منك » فان هذا لو كان نصا في محل النزاع لكان له غنى عنه بمثله في القرآن الكريم ، فهنالك الحجة البالغة ولكنه ليس نصا والا لما كان ثم محل للخلاف ، واذا كان يسمي مثل هذه العبارة نصا في المسألة فلا يعتد بشيء من فهمه ولا نقله بالمعنى - نبرئه من قصد هذا و نترك مثل ما أشرنا اليه من قوله ونكتفي منه بما هو مظنة الدليل ونبحث فيه وهو

(١) قوله تعالى « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » قال : أي نادوه بها بأن تقولوا يا الله كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه . وأقول ان صديقنا حفظه الله قد ذهل ذهولا ما كان ينتظر منه اذ جعل النداء ذكرا مفردا ونسي نصوص النحاة في ذلك وما عهده بدراسة النحو وتدريسه ببعيد

(٢) قوله : حديث الانوار وارد في فضائل الاعمال ولا يخفا كم جواز العمل فيها بالحديث الضعيف ولم نعلم ان احدا من الحفاظ قال بوضعه وان قال احد فليس متفقا عليه وحينئذ فلا معنى لمنع الاستدلال به اه

أقول يعني بحديث الانوار ماتقدم في (ص ١٠٠) وهو « اذا قال العبد الله خلق الله من قوله ملكا مقربا لايزال يقول الله الله حتى يغيب في علم الله وهو يقول الله الله » ومن العجائب ان يشترط اتفاق المحدثين على القول بوضع الحديث لمنع الاستدلال به ولا يكتفي بقول واحد منهم انه موضوع . وهذا شرط ليس له فيه سلف ولا يجد له فيه خلفا . وهب انه لم يقل أحد قط بوضعه ولا بتصحيحه ولا بتحسينه ولا بتضعيفه فهل يكون حجة على مشروعية عبادة من العبادات بمجرد ذكره في كتاب مثل الانوار بغير سند ؟ ، ليذكر لنا المنتقد الفاضل من خرج هذا الحديث من الحفاظ أصحاب الصحاح او السنن أو المسانيد ذات الاسانيد المعروفة . وأما الذين جوزوا العمل بالحديث الضعيف في الفضائل فقد اشترطوا فيه شروطا ثلاثة (اولها) ان لا يكون ضعفه شديدا (وثانيها) ان يكون العمل الذي يحث عليه قد ثبتت مشروعية جنسه . وعبارة السخاوي نقلا عن شيخه الحافظ ابن حجر « ان يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج مايخترع بحيث لايكون له أصل أصلا قال السخاوي عن شيخه (الثالث) ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي (ص) ما لم يقله . (قال) والاخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد ، والاول نقل العلائي الاتفاق عليه اه ونقل قبل ذلك عن ابن العربي المالكي ان الحديث الضعيف لايعمل به مطلقا . وأما الموضوع فلم يقل احد بجواز العمل به في حال من الاحوال ، والشروط الثاني والثالث أن الحديث الضعيف يعد مقويا لتلك الفضيلة التي ثبتت بدليل آخر ، وموضوع بحثنا إثبات الحكم بالحديث

الضعيف استقلالا وهو لا يدخل في ذلك . ولا يقال ان تكرار الاسماء المفردة داخل في عموم الامر بالذكر فيتحقق فيه الشرط الثاني لانه محل النزاع ، ومثل هـذا نهي الفقهاء عن صلاة الرغائب وصلاة شعبان وعدهما بدعتين ولم يقولوا انهما داخلتان في عموم صلاة التطوع

هذا وان الحديث الذي يتعلق به المنتقد على عدم جواز الاحتجاج به ليس نصا في محل النزاع لجواز ان يكون المراد بذكر العبد اسم الله ذكره في صيغ الاذكار المشروعة كالتهليل والتسبيح الا ان يقال ان مايرد من أقوال الملائكة في أخبار عجائب الخلق يعد من العبادات التي يكلفنا الله اياها . وانما ذكرنا هذه العبارة عنه لاجل التذكير بهذه الفوائد والا فالحديث ليس مما يجعل محل البحث

وجملة القول في هذه المسألة ان الكتاب والسنة حثا على ذكر الله عز وجل وورد فيهما تفسير ذلك وبيانه مفصلا تفصيلا كالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد والتلاوة والدعاء والاستغفار: ففي حديث أبي هريرة في الصحيحين « ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم مايقول عبادي قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك» الحديث ، وهذا لفظ البخاري وزاد مسلم ويهللونك ويسألونك . ورواه البزار من حديث أنس بلفظ آخر اوله « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر » وفيه انهم يقولون لله عز وجل« ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد (ص) ويسألونك لآخرتهم ودنياهم » فهذا هو تفسير الذكر وبيان ما يكون في مجالس الذكر وحلق الذكر كما اخبر الصادق المصدوق (ص) عن خطاب الملائكة لرب العالمين ، ولم نجد في حديث ما انهم عدوا منه : هو هو هو ، حق حق حق ، وما أشبه ذلك من الالفاظ المفردة ، كما إننا لم نجد في شيء من كتب الحديث الأمر الصريح بذكر هذه الالفاظ المفردة وتكرارها ولاذكر ثواب لمن يقولها ولاأن النبي (ص) أو اصحابه (رض) كانوا يكررونها كما نعهد من أهل الطريق ، ولكن الاحاديث كثيرة في التهليل

والتسبيح والتكبير والتحميد وغير ذلك من الاذكار المركبة ذات المعاني ، فلماذا لم يرولنا اصحاب الصحاح والسنن حديثا في الترغيب بذكر اسم من الاسماء يكرر مفردا ؟ ولماذا يترك اهل الطريق الاذكار الواردة ويلتزمون هذه الالفاظ المفردة ويلحون في الانتصار لهم ، ويحيلون وقوع الخطأ منهم ، مع مشاهدة كثير من البدع فيهم ؟

أما حديث السنن في قيام الساعة فقد بينا معناه في الجزء الثاني وهو لم يرد في سياق تشريع من ترغيب او ترهيب وانما ورد في الخبر عن الغيب وكيف يكون الناس عند قيام الساعة . أي انهم يكونون ملاحدة اشرارا لا يقول احد منهم الله فعل كذا الله أنعم بكذا . وانما يضيفون كل شيء الى سببه أو الى انفسهم اوالى الطبيعة ولا يذكرون خالقهم وخالق الاسباب كلها رب الطبيعة ورب كل شيء ومليكه . ولا يعقل ان يكون معنى الحديث ان شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة هم الذين لا يكررون ذكر لفظ الجلالة مفردا غير واقع في كلام مركب مفيد ، لان هذا ليس عنوانا على منتهى الكفر والشر ، وزوال الخير من الارض ، بل ولا على التقصير في عبادة الله عز وجل ، فقد كان السلف الصالحون اعبد الناس واقواهم ايمانا ولم ينقل عنهم المحدثون مثل هذا

ثم انني اختم هذا الجواب بتذكير أخينا المنتقد بأنه اذا كان يريد ان يكون على بصيرة في اي حكم اومسألة دينية ويأخذها بدليلها فعليه أن يراجع فيها كتاب الله ودواوين السنة المعتمدة ، وألا يجعل من أصول الدين ودلائل الشرع ما فشا بين الناس في شر القرون ، وان شايعهم فيه المؤلفون ، واوله لهم المؤولون ، واماان كان لا يعقل ان ما يقوله زيدوعمرو ، وخالد وبكر ، ومادون في مثل كتاب الأنوار والاسرار ، ونزهة المجالس وربيع الابرار ، الا أنه هو الحق ، الذي شرعه الله للخلق ، فعليه أن يترك الدلائل ، ويجاري الناس فيما هم عليه ، فالمقلد ليس من أهل الاستدلال ، ثم اذا كان يرى انه معذور في اتباع رأي كل مؤلف أو بعض المؤلفين الذين يثق بهم ، هو ومن تربى بينهم ، كما يفعل جماهير الناس من أهل كل ملة ، فعليه ان يعذر من يتبع نص الكتاب والسنة ، اذ هو احق بأن يعذر والسلام

(خاتمة السنة الرابعة عشرة)

قد تمت السنة الرابعة عشرة من سني المنار بفضل الله وتوفيقه فله الحمد والشكر والثناء الحسن كما يحب ويرضى . وقد شغلنا عن العناية بالمنار في هذه السنة بتأسيس مشروع الدعوة والارشاد وانشاء مدرسته ، وقاسينا في سبيله من البلاء هنا مالم نقاسه في الاستانة لان اعداء الاصلاح هنا الذين يجاذبهم الهواء والحسد ، ذوو شراسة وسفه ، وضراوة بالارجاف والكذب ، واما أمثالهم في الاستانة فقد مرنوا في الطباع ، ومردوا على الاعمال ، وتأدبوا في الاقوال ، فكان اشدهم للمشروع مقاومة ، احسنهم لقاء ومراجعة ، وألطفهم معاملة ، يخصني باكرامه ، ويغنيني بكلامه ،

وقد اقتضى إنشاء المدرسة في ضواحي القاهرة نقل مطبعة المنار ، والادارة والدار ، فاغتال النقل من وقتنا أكثر من شهر لم نكتب فيه حرفا ، ولم نعمل في الادارة عملا ، ثم اكل ترتيب الادارة والمطبعة شهرا آخر ، فلهذا تأخر اصدار المنار عن مواعيده في النصف الثاني من السنة ، وطبع عدة أجزاء منه في مطابع أخرى فلم يكن طبعها كما ينبغي - فهذا هو تقصيرنا في حق المشتركين علينا وهذه أسبابه

(المشتركون) أما المشتركون فانهم كانوا في هذه السنة اشد تقصيرا وأقل وفاء منهم فيما قبلها فلم يؤد ماعليه الا قليل منهم . رأونا مشغولين عن تذكيرهم ومطالبتهم فتشاغلوا عنا ، ورأونا لانطالبهم فقلّ منهم من طالب نفسه ، فزادت نفقات المنار عن دخله (وارداته) ألوفا . فنرجو من أهل الغيرة منهم على الدين والعلم ، بل من أهل الوفاء والحق ، ان يحاسبوا أنفسهم ، ويكلفوها عملا واحدا في السنة لمساعدة من يخدمهم بماله ونفسه طول السنة ، وهو ان يرسل كل واحد منهم حوالة بما عليه

مرّ علينا عدة سنين ونحن نخص جمهور المشتركين في القطر التونسي بالشكوى ، وقد أذكت هذه الشكوى نارالنعرة الوطنية في نفوس بعض أهل الغيرة والوفاء من فضلائهم فلامنا ، وانتدب لتحصيل مطلوبنا ، ولم يلبث ان ظهر له صدق قولنا ،

(الانتقاد على المنار) نشرنا في هذا الجزء ما وجدناه في الظرف الذي يحفظ فيه رسائل الانتقاد الارسالة مطولة من صديق لنا من أهل العلم والفضل في الاستانة جاءتنا في اثناء الاشتغال بنقل الادارة والمطبعة فرأينا أن نراجعه فيها قبل نشرها ، لاننا لا نحب ان نجعله ممن يرد عليهم قبل تنبيهه الى ذلك ، وسنفرغ لهذه المراجعة بعد فتح المدرسة

وانا نرجو منه ومن سائر أهل العلم ان يتعاهدونا بالتذكير والنقد ، بعد الروية والتأمل . والشكر للناصحين المخلصين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين